

دائرة
المعارف
الإسلامية



كتاب الشعب

دائرة المعارف الإسلامية

أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية

أنشطة المستشرقين في العالم

ويشرف على تحريرها

تحت رعاية الاتحاد الدولي للجامع العلمية

هوتسا، وفنتك، وكب، وبيش بروشنال، وشاده
وباسيد، وهارتفيلد، وبادر، ولويس، وبلأ، وشاخت

المنشأة العربية

إبراهيم زكي خورشيد

إبراهيم زكي خورشيد . أحمد الشنناوي . د. عبد الحميد بنيس

المجلد التاسع

الشعب

إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنناوي، د. عبد الحميد بنيس

إدوارد سخاو في ليبيك عام ١٨٧٨ ، وترجم إلى الإنكليزية بعنوان *Chronology of Ancient Nations, an English Version of the Arabic Text of the Atharul Bakia of Al-Bairuni or Vestiges of the Past* ، جمعه وجبره المؤلف عام ٣٩٠ - ٣٩١ م (١٠٠٠ م) ، وترجمه ونشره المستشرق سخاو وعلق عليه ووضع له فهرساً : (C.E. Sachau : *Or. Transl. Fund* ، لندن سنة ١٨٧٩ م). وذهب البروني في حديثه إلى الهند ، وكانت قد دخلت في الإسلام وقتذاك بفضل الحملات المظفرة التي قامت بها جيوش محمود الغزنوي ، ودرس هناك العلوم اليونانية وأخذ يستقي من مناهل الثقافة الهندية ، وضمن خلاصة هذه الدراسات كتابه الثاني الكبير «تاريخ الهند» (*Al-Bairuni's India, An account of the Religion, Philosophy, Literature, Chronology, Astronomy, Customs, Laws, and Astrology of India About 1030*، نشره في لندن إدوارد سخاو عام ١٨٨٧ م) ونشر المستشرق نفسه ترجمة إنكليزية له مع تعليقات وشروح في لندن عام ١٨٨٨ في مجلدين ، وظهرت الطبعة الثانية عام ١٩١٠ م (انظر سخاو *Indo-arabische Studien zur Aussprache und Geschichte des Indischen in der 1. Hälfte des XI. Jahrh. Abh. d. Berl. Akademie* عام ١٨٨٨). ولما عاد من الهند استقر في البلاط الغزنوي وأهدى إلى السلطان مسعود بن محمود عام ٤٢١ هـ رسالة في علم الفلك عنوانها «القانون السمودي في الهيئة والنجوم» (*Verzeichnis der arab. Hdsz. der : Ahlwardt*) Kgl. Bibliothek zu Berlin ، رقم ٥٦٦٧

+ «سبرون» : ومعناها في الفارسية «الخارجي» ، وقد أطلق هذا الاسم على المصالح والإدارة الخارجية للبيت السلطاني ، في مقابلة المصالح الداخلية التي أطلق عليها اسم «أندرون» (انظر هذه المادة) ومن ثم كانت بيرون ملتقى البلاط والدولة ، وكانت تشمل إلى جانب موظفي القصر عدداً من الضباط العظام والأعيان اللذين يعنون بالشئون الإدارية والعسكرية والدينية للإمبراطورية العثمانية. المصادر :

Tableau générale de l'Empire : D'Ottoman (١)

Ottoman ، ج ٧ ، باريس سنة ١٨٢٤ ، ص ١- ٣٣ (٢) إسحاقيل حتى أوزون جارشيلي : عثمانلي دولتنيك سراي تشكيلي ، أنقرة سنة ١٩٤٥ ، ص ٣٥٨ وما بعدها (٣) Gibb & Bowen ، مجلد ١ ، ج ١ ، ص ٧٢ ، ٨٢ وما بعدها (٤) وانظر أيضاً مادة «سراي» .

غورشد [لويس B. Lewis]

«البيروني» أبو الريحان محمد بن أحمد : مؤلف عربي من أصل فارسي ، ولد في ذي الحجة عام ٣٦٢ هـ (سبتمبر عام ٩٧٣) بضاحية من ضواحي خوارزم . ودرس الرياضيات والفلك والطب والتقويم والتاريخ . وكانت بينه وبين ابن سينا مراسلة ، وأثمرت هذه الدراسات المتعددة فالف البروني أول كتبه الكبيرة المسمى «كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية» (وهو بالألمانية *Chronologie orientalisches Voeelk* ، وقد نشره

مودود التوقى عام ١٤٤٠ الموافق ١٠٤٨ م
Bibl. arabico-hispana Escorialensis : Casiri)
 ج ١ ، ص ٣٢٢ ؛ Steinschneider في
Zeitschr. d. Deutsch Morgent. Gesch. ، ج ٤٩ ، ص
 (٢٥٢). وبقيت من تصانيفه رسالة عن الصلة بين
 أخجام المعادن والجواهر (مخطوط بمكتبة الأكمار
 الثلاثة الروم الأورثوذكس في بيروت ، انظر
 لويس شيخو في مجلة المشرق عام ١٩٠٦ م ، ص
 ١٩ في *E. Wiedemann Sitzungsber. der physik.*
kalisch - medizinischen Societat in Erlangen
 المجلد ٢٨ ، عام ١٩١٦ ، ص ١٦٣ - ١٦٦ .

المصادر :

(١) ابن أبى أصيبعة ، طبعة ميلر Mueller
 ج ٢ ، ص ٢٠ (٢) السيوطى : بغية الوعاة ، القاهرة
 سنة ١٣٢٦ هـ ، ص ٢٠ (٣) Wuestenfeld في
Luoddes Zeitschr. ، ج ١ ، ص ٣٦ (٤) الكاتب نفسه ؛
Die arab. Aerzte ، رقم ١٢٩ (٥) الكاتب نفسه ؛
Die Geschichtschreiber der Araber ، رقم ١٩٥ (٦)
Histoire de la med. arabe : Leclerc ، ج ١ ، ص
 ٤٨٠ (٧) Reinaud في *Géographie d'Aboulfeda*
 الترجمة ، ج ١ ، ص ٩٥ (٨) الكاتب نفسه ؛
Mémoires de l'Académie des Inscriptions ، ج ١٨ ، ص
 ٢٩ (٩) Mehren في *Annalen for nordisk Oldkundghitid*
 سنة ١٨٥٧ ، ص ٢٣ ، رقم ١٥ (١٠)
History of India : Elliot-Dowson ، ج ٢ ، ص ١
 (١١) *Die Mathematiker und* : H. Suter
Astronomen der Araber und ihre Werke ، ص ٩٨

Suppl. to the Catalogue of the Ar. Mss. in : Rieu
the British Museum ، رقم ٧٥٦ ؛
Bodleianus Codd Mss. Orient. Cat. ، ج ٢ ،
 ص ٣٧٠ ، ملا فيروز ، ص ٣٥ ، رقم (٦٥) ؛
 وصنف في العام نفسه رسالة قصيرة في الهندسة
 والحساب والتنجيم عنوانها والضميم لأوائل صناعة
 التنجيم ؛ (Ahlwardt) ، كتابه المذكور ، رقم
 ٥٦٦٥ - ٥٦٦٦ ؛ *Bibl. Codd.* ، ج ١ ، رقم
 ١٠٢٠ ، ج ٢ ، ٢٨٢ ؛ *Catalogue des : de Slane*
MSS, arabes de Bibliothèque Nationale رقم
 ٢٤٩٧ ؛ وهناك نسخة فارسية ، انظر فهرس
 المخطوطات الفارسية ، بالمتحف البريطانى ، ج ١ ،
 ص ٤٥١ .

وتوفى البروتى في الثالث من رجب سنة ١٤٤٨ هـ
 (١٣ ديسمبر عام ١٠٤٨ م) وله إلى جانب الكتب
 التي ذكرناها والرسائل الصغيرة في الرياضيات
 والفلك (*Das buch der Auffindung* : H. Suter
der Sehnen mit Kommentar von Abu'l-Raihan
Muhammed Al-Biruni uebers. mit Komet ،
 الرياضية ، المجموعة الثالثة ، ج ٨١ ، ص ١٥١ ،
 ليسك سنة ١٩١٠) كتاب في المادة الطبية عنوانه
 «كتاب الصبيلة» (صبيلة) وقد ترجمه في الهند
 إلى الفارسية أبو بكر بن عثمان الأصغر الكاساني ،
 وكان ذلك عام ٨٠٧ الموافق ١٢١١ م (انظر
 H. Beveridge في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .
 عام ١٩٠٢ ، ص ٣٣٣ - ٣٣٥) . وصنف البروتى
 كتاباً في الجواهر عنوانه «كتاب الجماهر في
 معرفة الجواهر» وأهداه إلى الملك المعظم أبي القتح

(ب) سيرة البروق بقلم ابن أبي أصيبعة ، ج ٢ ، ص ٢٠-٢١ ، انظر فيلمان E. Wiedemann ، Beitr. XXVIII, Biographie von al-Biruni, ج ٢٤ ، ص ١١٧ - ١١٨

(ج) سيرة البروق بقلم ياقوت في كتاب إرشاد الأريب لطبقه كوليوت Margoliouth ج ٦٤ ، ص ٣٠٨ - ٣١٤ ، انظر E. Wiedemann Mitteilungen Ueber al-Biruni : & J. Hell zur Gesch. der Medizin u. Naturw., ج ١١ ، سنة ١٩١٢ ، ص ٣١٤ - ٣٢١

(د) سيرة البروق بقلم ظهير الدين البهي في كتابه تأريخ الإسلام (انظر فهرس مكتبة برلين رقم ١٠٠٥٢ ، وانظر E. Wiedemann Beitr. XX No. 28 : Einige Biographien nach al-Baihaqi, ج ٩٢ ، سنة ١٩١٠ ، ص ٦٦)

وتذكر فيما يلي الطبقات المختلفة لثقافات البروق :

(١) E. Wiedemann , Beitr. XVIII, Astronomische Instrumente, Trigonometrische S. B. P. f. Grossen Geodastische Messungen M. S. Erlg., ج ٤١ ، ص ٢٦ - ٧٨ (٢) J. Frank & E. Wiedemann Beitr. LXI, Allgemeine Betrachtungen von al-Biruni in seinem Werk ueber Astrolabien, ج ٥٢-٥٣ ، سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، ص ٩٧ - ١٢١ (٣) E. Wiedemann Ein Instrument das die Bewegung von Sonne und Mond darstellt nach al. Biruni Islam. ج ٤٤ ، سنة ١٩١٣ ، ص ٥ - ١٣ (٤) E. Wiedemann Ueber die verschiedenen, bei der Mondmessung

و.م. ١٨٠٢ (١٢) Brockelmann Gesch. d. ar. : M. Shreiner (١٢) ٤٧٥ ، ج ١ ، Li. : Revue des Etudes في Les Juifs chez Albiruni : M. Fiorinaj (١٤) ٢٥٨ ، ج ١٢ ، J. : Bulletin di La proiezioni cartografiche di Albiruni della società geographica italiana ، السلسلة ٣٠ ، ج ٤ ، ص ٣٨٧ - ٢٩٤ [C. Brockelmann بروكلمان]

البروق ، الخوارزمي : اسم آخر يطلقه كتاب العرب أحياناً على أبي الريحان البروق . وليس من شك أن ياقوت قد استعمل الاسم الأول مرة واحدة فقط (انظر معجم ياقوت ، ج ١ ، ص ٤١٧) . وعما يؤسف له أن العلماء المحدثين يستعملون اسم الخوارزمي على الرغم من أن ذلك يسبب الالتباس .

ونضيف إلى المصادر التي ذكرت آنفاً ما يأتي : والآثار الباقية وقد أعاد نشره هاراسوويتز O. Harrassowitz في لينسك سنة ١٩٢٣ مستعيناً بالتصوير الشمعي :

ويجب أن نضيف السيرة الآتية :

(١) سيرة البروق بقلمه (نشر النص العربي سخاو Suchau في مقالة كتاب الآثار الباقية) وقد ترجم هذه المقالة ونشرها سوتر H. Suter و فيلمان E. Wiedemann : Beitr. L X, Ueber al-Biruni und seine Schriften S. B. P. M. S. في ٥٢ ، سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، Erlg., ج ٥٢ ، ص ٩٦ - ٥٥

سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ ، ص ١١ - ٧٨ (١٤)

الكاتب نفسه: «Grunde der Verfassung des Buches »Grund der Tafeln des Chwarezmi (naemlich al-Biruni), Bibl. math., المجموعة الثالثة ، ج ٤ ، سنة

١٩٠٣ ، ص ١٢٧ - ١٢٩ (١٥) C. Schoy

Aus der mathematischen Geographie der Araber Isis. (nach dem Kanun al-Masudi) etc., ج ٥ ، سنة ١٩٢٢ ص ٥١-٧٥ (١٦) الكاتب نفسه :

Die Bestimmung der geographischen Breite der Annalen der Stadt Ghazna durch al-Biruni Hydrographie سنة ١٩٢٥ ، ص ٤١ - ٤٨ (١٧)

الكاتب نفسه : Die trigonometrischen Lehren des arabischen Astronomen Muhammed b. Ahmed. Abu'l-Raihan al-Biruni ، هانوفر سنة ١٩٢٥ .

Ueber den Wert von Edels : E. Wiedemann (١٨) Is. teinen bei den Muslimen في سنة ١٩١١ ، ص ٣٤٥ - ٣٥٨ (١٩) الكاتب نفسه :

Beitr. XXXI, Ueber der Verbreitung der Bestimmungen der spez. Gewichte nach al-Biruni في S. B. P. M. S. Erlg., ج ٤٥ ، سنة ١٩١٣ ، ص

٣١ - ٣٤ (٢٠) J. Hell & E. Wiedemann

Beitr. XXIX, Geographisches aus dem mas'udischen Kanon von Al Biruni ج ٤٤ ، سنة ١٩١٢ م ، ص ١١٩ - ١٢٥ .

أما كتاب البروني في الفلك و التفسير لأوائل صناعة التنجيم ، الذي سكب في سنة ١٠٢٩ فقد نشره مع ترجمة إنكليزية دزمري رايت Ramsay

Eders في auftretenden Farben nach al-Biruni

Jahrbuch fuer Photographie سنة ١٩١٤ (٥) الكاتب نفسه : Ueber Erscheinung en bei der Duemmerung und bei Sonnenfinsternissen nach

arabischen Quellen Archiv fuer Geschichte der Medizin ج ١٥ ، سنة ١٩٢٣ ، ص ٤٣ - ٥٢ (٦) الكاتب نفسه: Meteorologisches aus der Chronologie Meteorolog. Zeitschr. في von al-Biruni سنة ١٩٢٢ ،

ص ١٩٩-٢٠٣ (٧) الكاتب نفسه : Ueber Gesetzmassigkeiten bei Pflanzen nach al-Biruni Biolog. Zentralblatt ج ٩٠ ، سنة ١٩٢٠ ، ص ٤١٣ -

٤١٦ (٨) الكاتب نفسه : Beitr. XXVII, Geographisches aus al-Biruni S. B. P. M. S. في ج ٤٤ ، سنة ١٩١٢ ص ١ - ٢٦ (١٠)

Ueber die Projektion der Sternbilder und : H. Suter der Laender von al Biruni, Tasti al-Suwar wa-Tabti al-Kuwar (Abhandlungen zur Gesch. der

Naturw.-u. Medizin ج ٤ ، سنة ١٩٢٢ ، ص ٧٩-٩٣ (١١) J. Ruoka al-Biruni alt Quelle fuer: Is. في das Leben und die Schriften al-Razi

ج ٥ ، سنة ١٩٢٢ ، ص ٢٦ - ٥٠ (١٢) Beitr. LXVIII, Ueber die Waage : E. Wiedemann des Wechsels (nach al-Khazini) und die Lehre

von den Proportionen nach al Biruni في S. B. P. M. S. Erlg., ج ٥٣ ، سنة ١٩١٦ ،

ص ١٥-١٣ (١٣) H. Suter Das Buch der auffindung der Sehnen im Kreise von Abu'l-Raihan Muhammed al Biruni في Bibl. math., المجموعة الثالثة ، ج ١١ ،

سهل العبارة فيها، وله في اللتين كتاب أسماء الضميمة لأوائل صناعة التنجيم (وقد أشار إليه كاتب للمادة) وفي دور الكتب الأوروبية الرسمية جملة طيبة من مؤلفاته القيمة يرجع إليها المستشرقون في بحوثهم. وقد نشر المستشرق الألماني S. Sachau مصنفين منها الأول بعنوان *Chronologia tablischer* Volker وقد طبعه في ليبيك سنة ١٨٧٨، والثاني بعنوان *Albiruni's India* وطبعه في لندن سنة ١٨٨٧، وصدرت ترجمة الكتاب الثاني بالإنكليزية في سنة ١٨٨٨ كما صدرت ترجمة الكتاب الأول بها في سنة ١٨٧٩ تحت عنوان *The chronology of ancient nations* انتهى كلام المعلمة الفرنسية

وقد ألم كاتب المادة بأسماء طائفة من مؤلفات البروني وكلها جليلة الخطر، ولكن أجّلها خطراً وأجّلها أثراً. وأقصها ذخراً كتابه في الفلك للموسم: «القانون المسعودي» وهو مصنف ضخم يحوى ١٤٣ باباً في ١١ مقالة، ألفه يرسم السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة. يروى أنه لا آتم تأليفه وحمله إليه أرواد السلطان أن يجزيه على هذا العمل الجليل بعض ما يستحقه فوجّه إليه ثلاثة جال تولد بأجلها من نقود القصة فردّها أبو الريحان إليه قائلاً: إنه إنما يحمد العلم للعلم لا للمال!

أما موضوعات القانون المسعودي فتتناول علم الفلك بحذافيره، فهو إذاً من أكثرها إغاضة في موضوعاته وأحوالها لدقائق حقائقه. وقد صبره أبو الريحان بقلعة بليغة العبارة تتضمن التعلية

Wright، لندن، سنة ١٩٣٤، عن غطوط محفوظ في المتحف البريطاني. ويمكن الرجوع إلى مادة «ميزان» فيها مختص بتحقيقات البروني عن الجاذبية النوعية، وهذه التحقيقات متصلة بكتابه المسمى «في النسب إلى بين الفلزات والجواهر في الحجم».

[E. Wiedemann]

تعلق على مادة «البروني»

البروني هو أبو الريحان محمد بن أحمد القلخي، وفي رواية غير التي اعتمد عليها كاتب المادة أنه ولد بحومة سنة ٩٦٢ ميلادية (٣٥١ هجرية) وتوفي سنة ١٠٤٨ ميلادية (٤٤٠ هجرية). لم يقصر همه في مدارس العلوم والتأليف فيها على الفلك والرياضيات بل تناول الآداب والتاريخ واخصن في الفن الأخير بتعوين أخبار الأمم الشرقية عامة والأمة الهندية خاصة. فقد استقصى حوادث الهند وأخبارها وأساطيرها ووصف عاداتها وأخلاقها وأزياءها في إفاضة حجية وأخذ بالأطراف، ولهذا انعقد إجماع النقاد على أن توافيه في التاريخ من غير المراجع لاستطلاع أخبار الشعوب الشرقية وحوادثها وأصاليب معيشتها.

وقد تصدت المعلمة الفرنسية الكبرى *La Grande Encyclopedie française* لذكره، فجاء في الجزء السادس منها ما يأتي:

«مع أن البروني كتب أغلب مؤلفاته باللغة العربية فقد كان بارعاً في الكتابة باللغة الفارسية

الرحوم إبراهيم نجيب باشا وكان مديراً لديوان الأوقاف في طبع ذلك الكتاب الجليل طبعة متقنة في مطبعة هذا الديوان ، ولكن المنيّة حالت دون تحقيق هذه الأمانة وظلّت أعواماً بعد ذلك أنعمى أنباء الكتاب النفيس حتى علمت من حضرة صاحب المزة مصطفى نجيب بك من مستشاري المحاكم المختلطة أن دار الكتب المصرية ابتاعته بأربعين جنيهاً وهو الآن درة في جبين مقتنياتها الفلكية المخطوطة الثمينة .

وتحت عنوان الكتاب قرأت ما يأتي : « الخزانة المعمورة الخدمية الصاحبية الأعظمية المشرفة صمها الله بدوام دولة صاحبها » وهذا يفيد أنه كان ملكاً لأمرٍ خطير أو سلطان كبير .

ومن لطائف الاتفاق أن الكتاب ألّف برسم السلطان مسعود بن محمود وسمى بالقانون المسعودي نسبة إليه وأن ناسخه الذي انتهى من نسخه في جمادى الآخرة سنة ٦٧٣ هجرية هو « الراجى رحمة ربه محمد بن مسعود بن محمد السنجارى المنجم » .

وأن منقلد الكتاب من يد الضياع وكاتب هذا التعليق هو خادم العلم العالم ،

صهيد مسعود

« تيرى محمد باشا » : أحد الصلور الأعظمين في الدولة العثمانية ، وهو ينسب إلى أمامية ، ومن أحفاد جلال الدين الأكرسرى المشهور ، ولذلك يصل نسبته إلى بكر أيضاً . اشتغل بالقانون ، ووفق فيه حتى أصبح قاضى صوفيا وسلاوى

والأدعية للسلطان مسعود . وقد استهلها بعد البسملة بقوله : « المسعود من سعد بالله وانفرد بتأنيده عن الأشكال والأشياء فلا واضع لمن رفع ولا واجد لمنع » . ثم قال في غضون المقدمة : « الملك السيد الأجل المعظم خليفة الله وناصر دين الله وحافظ أوامر الله وللمنتقم من أعداء الله أبو صعيد مسعود ابن بين الدولة وأمين الملة عمود أطال الله بقاءه وأدام إلى المعالي والمآثر ارتقاءه » إلى أن قال في ختام هذه المقدمة : « وإياه أسأل أن يجعل دولة السلطان المعظم الملك الأجل السيد نوراً خلقه كما جعل سلطانه خلافاً لهم في أرضه ويجعل مجلسه بدارهم الإقبال والسعادة ويجعلها مرقية إلى الزيادة إنه على ما يشاء قدير ومصلح عباده خير بصير » .

هكذا ولقد كانت في نسخة مخطوطة من هذا الكتاب النفيس شأن وصلة يرجعان إلى سنة ١٩١٢ ، فلقد كنت في مكتبي بإدارة المطبوعات إذ بيأبح كتب من المتجولين يدخل على منهل الوجه ويضع بين يدي نسخة مخطوطة رائعة من ذلك المصنف طالباً منى يضع عشرات من الجنيهات ثمناً لها فخشيت أن يقع هذا اللخر الثمين في يد من يعرف قيمته من الأجانب أوفى يد من لا يعرفها من الجهلاء المتاملين فيكون مصيره إلى الضياع ، فزودت الرجل ببطاقة إلى صديقي وقسمي في بعض الأعمال العلمية المنفورة له على أبو الفتوح باشا وكان وقتئذ وكيلاً لوزارة المعارف حاثاً له على اقتناء الكتاب بألفي ثمن . فأخبرني رحمة الله عليه بأنه دفع في المكتبة ٢٧٠ جنيهاً وأنه حزم على أن يخاطب صهره

وقد شيد پیری محمد پاشا بعض المنشآت الخيرية منها مسجد إستانبول سمي باسمه ومدرسة ومطعم للشعب وتأسيساته هـ وكان لقبه «پیری» ولكنه استعمل لنفسه اسماً مستعاراً هـ أى غلصاً وهو رمزی هـ يحمر به أشعاره هـ وهى أشعار لأبى جها (*Geschichte der Osmanischen* : J.V. Hammer *Dichtkunst* ج ۲ ص ۳۲۷ وما بعدها ، وقد أخطأ فى تاريخ وفاته هـ وذكر فى الجزء الأول هـ ص ۱۸۷ «پیری» من غير أن يميز بين الشخصيتين المعروفتين بهذا اللقب هـ لطيف : تذكره هـ ص ۱۶۸ تحت اسم رمزی هـ

المصادر :

- (۱) محمد ثريا : سجل عثمانى ج ۲ ص ۴۳
- (۲) عثمان زاده محمد تائب : حليقة الوزراء ، إستانبول سنة ۱۲۷۱ هـ ص ۲۲ وما بعدها هـ وهو أكثر تفصيلاً من سابقه هـ وانظر مؤرخى القرن السادس عشر الميلادى من العثمانيين (۳) بروسه لى محمد طاهر : عثمانى مؤلفى هـ ج ۲ ص ۱۱۱ وما بعدها وفيه ذكر لپیری محمد پاشا باعتباره من الأدباء ويقول هذا المصنف أن المبرمج ديواناً صغيراً من القصائد (ديوانچه) وأنه عرض لجزء من المتنوى والشاهلى بعنوان تحفه مير ووصف الكتابين بأسمائهم لايزالان مخطوطين
- [باننكر Franz Babinger]

وخلطه هـ ثم أشرف على مطاعم (عمارت) محمد الثانى الى خصصها للفقراء هـ إستانبول هـ وفى بداية عهد بايزيد الثانى منح لقب باشا دقدردار هـ واشتهر فى أيام سليم الأول بمشورته الحكيمة فيما يتصل بنزوة فارس (*G. O. R. : J.V. Hammer* ج ۲ ص ۴۱۲ ، ۴۱۷ وما بعدها) وأنقل قبل الحملة على تبريز لاحتلال هذه المدينة باسم السلطان وعين فى نهاية سبتمبر عام ۱۵۱۴م وزيراً ثالثاً مكان مصطفى پاشا الذى كان قد صرف عن منصبه (*G.O.R. : J.V. Hammer* ج ۲ ص ۴۲۰) وشغل پیری منصب قائمقام إستانبول مدة من الزمن هـ ولما انتهت الحملة على مصر نصب صدراً أعظم مكان يونس پاشا الذى قتل أثناء تفقهر الجيش من مصر عام ۹۲۳ هـ الموافق ۱۵۱۷م ، واشترك بهذه الصفة فى غزو بغداد عام ۱۵۲۱م ، وغضب عليه السلطان بعد احتلال رودس نتيجة للمناس أحمد پاشا الذى كان يأكل الخسد قلبه طمعاً فى منصبه هـ وهزل پیری من منصبه وأجرى عليه معاش قدره ۲۰۰,۰۰۰ أسير فى الثالث عشر من شعبان عام ۹۲۹ هـ (۲۷ يوفية عام ۱۵۲۳م) . وخلفه إبراهيم پاشا (انظر هذه المادة) وهو يونانى الأصل من مدينة پرخه Parga . وعاش پیری محمد پاشا بعد ذلك عشر سنين هـ ثم وافاه الأجل المحتوم عام ۹۳۹ أو ۹۴۰ (۱۵۳۲ - ۱۵۳۳م) فى سلورى ودفن بها فى المسجد الذى شيده هـ ومن أبنائه محمد بك الذى توفى قبل أبيه عام ۹۳۷ هـ وهو وال على ليچ ليل هـ

تقرض أن الاسم پیری هو «مخلص» في حين أن العلم هو محمد علي الأرجح . وقد كان الاسم المركب پیری محمد مألوفاً في القرن السادس عشر الميلادي أو بعبارة أخرى هو علم ينادي به محيي الدين في «الخطاب» (*Id.*) ، المجلد ١١ ، ١٩٢١ م ، ص ٢٠ ، تعليق (٣) . أما حياة پیری رئیس الذي قام برحلات كثيرة تحت إشراف عمه كمال رئیس المتوفى في ١٦ شوال عام ٨٩١٦ (١٦ يناير ١٥١١م) والذي برز بعد ذلك تحت إمرة أخيه اللين بربوسه (انظر هذه المائدة) المتوفى في ٤ يولية عام ١٥٤٦م ، فلست نعرف عنها إلا أنه استطاع أن يخرج من هذه الغارات وهو مزود بخبرة واسعة ببلاد البحر المتوسط . ثم نصب «قودان» لمصر ، وصافر بهذه الصفة من السويس إلى الخليج الفارسي وشط العرب . وفي عام ٨٩٤٥ (١٥٤٧م) احتل عدنان (*Die Osmanische Chronik des Rustem Pascha*) ، المجلد ٢١ ، ليمسك سنة ١٩٢٣ ، ص ١٧٤ وما بعدها ، وعليه شروح وافيه . وفي عام ٨٩٥٩ (١٥٥١م) فقد حلى الساحل العربي عدداً من مراكبه الثلاثين ، واحتل ثغر مسقط وسبي عدداً من سكانه حملهم معه ، وحاصر هرمز ولكنه رفع عنها الحصار لقاء رشوة ، وعاد إلى البصرة (وفقاً لرواية پچوی ، وعالي ، وحاجي خليفة: تحفة الكبار ، الطبعة الأولى ، للورقة ٢٨ ، ووفقاً لما أورده *G.O.R.* ، *J.V.Hammer* ، ج ٢ ، ص ٤١٥) . وسمع أن أسطولاً من أساطيل الأعداء

«نيرى محيي الدين رئيس» ملاح عثاني ووصام للفرات ، ولطه نصراني من أصل يوناني ، وقيل إنه ابن أخى القرصان المشهور كمال رئیس الذي كان مرتداً عن دينه فيا يروى (انظر فيا يخص بكمال رئیس Hans - Albrecht von Besiki : *Kemal Reis* في *Beitrage zur Geschichte der turkischen Flotte* ، بون عام ١٩٢٨ ، وهي رسالة قدمت لجامعة بون ، *J. H. Mordtmann* : *M.S.O.S. in der Lebensgeschichte des Kemal Reis* ، المجلد الثاني والثلاثون ، القسم الثاني ، برلين سنة ١٩٢٩ ، ص ٣٩ - ٤٩ ، ص ٢٣١ وما بعدها) ، ويقال إن أباه كان يسمى حاجي محمد في حين أن پیری ترجم نفسه في مقالة مصغره عن الملاحه فقال إن أباه يدعى حاجب حقيرى ، ويظهر أنه اختار هذا الاسم ليسج مع اسمه پیری : وهو أمر مشاهد في أسماء أخرى مثل ستان بن عبد المنان ودلاد بن عبد الودود وما شابه ذلك من أسماء آباء المرتدين عن دينهم المسجوعة والمعبدة . وحقيرى لا يمكن أن يكون اسم علم وإنما يكون «مخلصاً» على الأكثر ، ولهذا فإننا نشك كثيراً في أنه كان من أصل تركي خالص ، اللهم إلا إذا كان اسمه حقيرى محمد فقط وهو اسم له شواهد في سجل عثاني (ج ٢ ، ص ٢٣٩) ولو أن هذه الشواهد وردت في عصر متأخر : وجاء في المصدر نفسه (ج ٢ ، ص ٤٤) أن الاسم الكامل لهذا القرصان هو پیری محيي الدين رئيس ، ومهما يكن من شيء فإننا نستطيع أن

الكتاب إلى سليمان القانوني أكثر وضوحاً ، وقدم
المصور الجغرافي الكامل إلى هذا السلطان عام ١٤٣٠ م
(١٥٢٣ م) . وقد نشر بول كاله Paul Kahle
نص هذا الكتاب مع ترجمة له معتمداً على المخطوطات
المعروفة بعنوان *Piri Reis, Bahriya* ؟ أما كتاب
Das türkische Segelhandbuch fuer das Mittelmeer
الذي نشر منه إلى *dieses Meer vom Jahre 1521* ،
منتصف عام ١٩٣٥ المجلد الأول والمجلد الثاني ، والجزء
الخامسون ، القسم ١ - ٢٨ ، فقد طبع في ليبسك
وبرلين عام ١٩٢٦ ، وطبع قبل ذلك فصول
مترجمة مثلاً ذلك : H.F. von Diez : كتابه المسمى
Centenario della Nascita in Sizilien : E. Sachau
di Michele Amari ، ج ٢ ، بالرمو سنة ١٦١٠
ص ١ ما بعدها ؛ R. Herzog : *Ein türkische*
Werk ueber das Agaisische Meer aus dem Jahr. 1520
في *Mitteilungen des Kaiserl. Deutschen Archaeolog.*
Instituts, Athenische Abteilung ، ج ٢٧ ، سنة
١٩٠٢ م ، ص ٤١٧ وما بعدها ؛ E. Oberhammer
القسم الخامس بفرص في *Die Insel zypern* ميونخ
سنة ١٩٠٣ ، ٤٢٧ - ٤٣٤ ، وأقسام أخرى في
Cartier de Pinon : طبعة بلوشيه الخلاء بالصور ،
وكذلك في *M. S. U. K. Foy* القسم الثاني
ج ١١ ، سنة ١٩٠٨ م ، ص ٢٣٤ وما بعدها ، وانظر
كذلك في *F. Treschner* ، ج ٧٧ ،
سنة ١٩٢٣ ص ٤٢ مع مصادر أخرى .

أما ما يسمى خريطة كولومبس التي عثر عليها
تخليل آدم في أكتوبر عام ١٩٢٩ مكتبة السراي
ليستانبول فإنها من وضع پیری رئیس كما يستلزم .

يقرب فقد عزمه على العودة مسرعاً إلى
وطنه في ثلاثة مراكب محملة بكل ما جمع من
فنائم . وجنحت سفنه عند جزائر البحرين ،
بيد أنه أفلح في الوصول إلى السويس بمركبتين ثم
إلى القاهرة . وكان قباد باشا وإلى البصرة قد أرسل
إلى الباب العالي يخبره بأن الحملة باءت بالفشل ،
ولهذا وصلت الأوامر إلى القاهرة بقتل پیری رئیس
فقطع رأسه فيها عام ٩٦٢ هـ (١٥٥٤ - ١٥٥٥ م)
على ما يقال ، ولكن الأرجح أن ذلك كان عام
٩٥٩ أو ٩٦٠ هـ ، وأرسل متاعه إلى إستانبول ؛
ويروى أن وفداً من هرمز وصل بعيد وفاته
إلى العاصمة يمثل السكان الذين نهبهم وأخذ
بطلب إرد ما أخذ پیری من فنائم ، وطبيعى
أنه لم يجب إلى طلبه . وعطفه في منصب قبردان
مصر قرصان آخر اسمه مراد ، وهو الذي كان
قد صرف عن منصب منجب بك قطيف (ولعله
الملكور في المثل باسم مراد قبطان وفقاً لما أورده
Denkwuerdigkeiten von Aien : H.F.V. Diez
ج ١ ، برلين سنة ١٨١١ ، ص ٥٥)

ويعرف پیری رئیس عادة بأنه مصنف كتاب
في الملاحة في بحر إيجة والبحر المتوسط ، وعنوانه
« بحره » ويصف فيه جميع الشواطئ إلى رحل
إلها مع ذكر التيارات والأراضي الفسحة والمراسي
والخلجان والمضائق والفتور . وكان قد بدأ في
تأليف هذا المصنف في عهد سليم الأول المتوفى
في سبتمبر عام ١٥٢٠ م ، ولو أنه يقول في مقدمة
كتابه هذا إنه لم يكن قد بدأ تأليفه حتى عام ٩٢٧ هـ
(آخر ١٥٢٠ م) وسبب ذلك أنه رأى أن إلهام

Mitteilungen der Geographischen Ges. in Wien
ج ٧٧ ، سنة ١٩٣٤ ، ص ١١٥ وما بعدها ، وأخيراً
P. Kahle في *Geographical Review* ، ١٩٣٣ ، ص
٦٢١ - ٦٣٨ .

للمصادر :

(١) حاجی خلیفه : جهان نما ، استانبول ،
سنة ٨١٤٥ هـ ، ص ١١ (٧) الکاتب نفسه : نسخة
الکبار فی أسفار البحار ، استانبول ٨١٤٢ هـ
ص ٢٨ (٧) الکاتب نفسه : کشف الظنون ،
طبعة فلزکل ، ج ٢ ، ص ٢٧ وما بعدها ، رقم
١٦٨٩ (٤) - محمد ثریا : سجل عثمانی ، ج ٢ ،
ص ٤٤ (٥) P. Kahle : للمصدر المذكور ، المقدمة
Piri Reis und Ceino Bahriyas : Hans. v. Mzik (٦)
في *Beiträge zur historischen Geographie* طبعته
Mzik ، لینک ، فينا سنة ١٩٢٩ ، ص ٦٠ - ٧٦ .

[فرائز بابنکر Franz Babinger]

« بَیْزَرَة » : كلمة عربية تدل على « فن
الصید بالطیر » ، ولا تقتصر على التسمية « البَیْزَرَة »
(أصلها الفارسی [من باز : انظر مايلي] أوثق ارتباطاً
بفكرة « فن البیزره ») . ولا كانت مشتقة من
بیزار ، وهي صيغة معربة للكلمة الفارسية بازبَیَر
أوبازدَار ، قد فضلت على صيغها الثنائية بازدره
وقلنا استخففت كلمتا بازِيَّة وبِیَاذَة في المغرب
الإسلامي . وليس من شك في أن استخدام
« الكواسر » (جمع كاسر) جوارح (جمع جارح)

من توقيعه عليها عام ١٥١٣ هـ وهي بالتركية ذات
الزبان زاهية على رق من مقاس ٨٥ X ٦٠ ستيمتراً ،
وتصور الجانب الغربي من خريطة العالم ،
وتشمل المحيط الأطلسي وأمريكا والجزء الغربي
من العالم القديم . أما الأجزاء الأخرى من العالم فقد
قدت ، ويظهر أن هذه الخريطة هي التي أهديت
إلى السلطان سليم عام ١٥١٧ كما نستدل من قرة
وردت في مصنفه « بحريه » : وهذا يفسر لنا
وجودها في المكتبة السلطانية (انظر فيما يخص جله
الخريطة Paul Kahle : في *Imprente Colombiana*
١٥١٩ في *Una Carta Turca del*
السنة الماثرة ، ج ١ ، الفصل الماثر ، ميلان ،
وروما سنة ١٩٣١ ؛ الکاتب نفسه : *Una mapa de*
Andrica hecha por el turco Piri Reis, en el ano
١٥١٩ ، *basandose en una mapa de Colon y en*
Investigación y Progreso في *mapas portugueses* ،
ج ١٢ ، مدريد سنة ١٩٣١ ، ص ١٦٩ وما بعدها ؛
C) في *The Illustrated London News* ، ج ١٨٠ ،
العدد ٤٨٤٥ في ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٧ ، ص ٣٠٧ ،
A Columbus Controversy-and Two Atlantic charts
مع صورة طبق الأصل ؛ P. Kahle : *Die verschollene*
Columbus-Karte von 1498 in einer türkischen
Weltkarte von 1513 ومعه تسع خرائط وعدد
صفحاته ٥٢ ، برلين وليپسك سنة ١٩٣٧ ؛
Eugen Oberhammer : *Eine türkische Karte*
Anzeiger der Akademie في *zur Entdeckung Amerikas*
سنة *der Phil. Hist. , Wissen- schaften in Wien*
١٩٣١ ، ٩٩ - ١١٢ ؛ الکاتب نفسه *Eine Karte*
des Columbus in Türkischer Überlieferung في

سنة ١٩٥٦) ، وكتاب صبح الأعشى للقلاشندى
(القاهرة سنة ١٩١٣ ، مجلد ٢) وكتاب مروج
الذهب للمسعودى .

وكان فى المغرب والأندلس وفى الشرق على
السواء متحسبون لرياضة صيد الحيوانات بالصقور ،
ففى إفريقية الأغلبية نجد أن الولى عمدا الثانى
(عام ٨٦٤ - ٨٧٥) ، الذى لم يطلق عليه
لقب « أبى الغرائق » عبثاً ، قد أزهق خزانة الدولة
بتفقاته الجشونة على اللعب بالطير (انظر ابن
عديارى : البيان المغرب ، ترجمة فانان Paganan)
الجزائر سنة ١٩٠١ ، ص ١٤٧ - ١٤٨) . وكان
بنو حفص أيضاً مشغوفين بصيد الحيوانات بالصقور ،
ووجد المستنصر (عام ١٢٤٩ - ١٢٧٧) ، شأن
أمرأه ساسان ، متعة فى صيد واسع الأرجاء بالقرب
من بنزرت والصقر على قفصه (انظر ابن خلدون :
كتاب العرب ، ترجمة ده سلان وكازانوفا De Slane
et Casanova ، ص ٢٨ ، ص ٣٣٨) . وفى القرن
الخامس عشر كان حفيده حيان (عام ١٤٣٥ -
١٤٨٨) يتفق بضعة أيام كل أسبوع فى هذه التسلية
(انظر Deux réels de voyage inédits : R. Brunschvig)
باريس سنة ١٩٣٦ ، ص ٢١٢) . وكان صاحب
اليازورة فى بلاط بنى أمية بقرطبة متمصب رفيع
قريب من الحاكم (انظر ابن هداوى : المصلح
للمذكور فى B. Lévi-Provençal ، القسم العاشر ،
باريس سنة ١٩٣٢ ، ص ٥٥) . وكان أسلوب
صيد الحيوانات بالصقور ، الذى انتشر فى البلاد
الإسلامية إبان القرون الوسطى ، وسيلة يتعيش منها

كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام ، ويصور
لمرو القيس فى قصيدته « أيام الصيد » بعض أوصاف
رياضة الصيد بالطير . ومهما يكن من أمر فإن
صيد الحيوانات بالصقور لم يتخذ أهمية عندهم
إلا بعد الفتوح الإسلامية الكبرى ، التى أدت إلى
احتكاكهم بالفرس والبيزنطيين (الروم) ،
وحظى هذا الصيد سريعاً برضا الزعماء الجدد ،
قد اكتشفوا فيه إمكانية الترويح عن أنفسهم
وإرضاء شفقتهم بركوب الخيل فى اطمئنان وسلام .
وكان الخلفاء وكبار المسلمين متحمسين لرفع
شأنه ، مع القصد ، إلى مرتبة نظام يدبره أمير الصيد ،
وأمير شكار من بعد . وكان الخليفة الأموى يزيد
ابن معاوية (عام ٦٨٠ - ٦٨٣) من أوائل من
أبدوا حاسماً جازماً للصيد بالطير . ويقدم المؤرخون
وكتاب التراجم ورواة الأخبار معلومات باللغة
العربية ، ويتحدث كل منهم عن ممارسة صيد
الحيوانات بالصقور كما شهدوا فى زمنه وبلده ،
ويروى له للناسبة نوادر تجيش بالحياة عن مغامرات
بعض الأمراء فى هذا المجال . (انظر الطبرى ،
وابن الأثير والسيوطى ، والمقرئى طبعه كاترين ،
في Introd. à l'hist. de l'Orient : J. Sauvaget
Mamlouk) . وتوجد معلومات عن البيزرة
تفوق ذلك قيمة فى بعض المصنفات الموسوعية
التي أعدت للنشر لدراسة الأدب وقه اللغة ،
مثل كتاب الحيوان للجاحظ (القاهرة سنة ١٩٤٧)
والنقحش لابن سبويه (الإسكندرية سنة ١٩٠٤ ،
مجلد ٨ ، القاهرة من إصدار م. طابى ، تونس

بالمعنى العام للصقار أندلسية - مغربية ، وكثيراً ما انتهت إلى صيغة الطيار أو الصقار ، وكان يساعد كليهما الكلاباذى ، وهو صاحب سرب الصقور ، الذى يطلق كلابه السلوقية (جمع سلوق) على الغزال أو الأرنب ، عندما كان البازى ، وأحياناً الصقر من فصيلة الشرق أو حتى النسر ، يحلق وهو حائم ، بعيداً عن السرب ، وعينه على الصيد لا يفلقه ،

والصنيف التقليدى فى الشرق للكواسر التى تستحق أن توصف بالضرارة والقائم على أن اللون الأسود أو اللون الأصفر لخدقة العين يدل على حدة بصر ملقطة النظر ، يطابق بالضبط النظام الحديث لعلم الطيور . والواقع أن «الطيور ذات العيون السوداء» لا توجد إلا فى جنس الصقر *falco* وهو وحده الذى يتميز بأن خدقته سوداء ، وهذه طيور طويلة الأجنحة تحلق فى الفضاء ، وهى تغرى بطئهم وتستخدم فى «الطيران على ارتفاع شاهق» (طيران البليشون والكركى أو الغريزى والفريان ، والقاب من حين إلى حين ، والحدأة وطير الماء) . وإن المستغرب ليحار فى كثير من الأحيان حيال وفرة المصطلحات التى تدل على طيور اللعب ، وهى وفرة لا ترجع إلى تعدد الأنواع ، بل ترجع إلى تنوع الصفات التى تطلق على درجات اللون التى لا تحصى للريش الذى يكسو جسد الطائر حسب جنسه (من حيث الذكورة والأنوثة) وعمره وبيئته . وقد رأى العرب أنواعاً عديدة مختلفة عندما كان الأمر لا يعلم معرفة صفات طيور فردية من التفصيلة نفسها ، وهل هى غير كاملة النمو ، صغيرة أو بالغة ، من الذكور

كثير من الناس ، وكانت ممارسته ليست مقصورة على الطبقات الممتازة كما كانت الحال فى العالم المسيحى . وتال سكان الريف والبدو يكرسون وقتهم وجهدهم له ، وحافظوا على هذا التقليد حتى مطلع القرن العشرين . ومن اليسر أن نفهم اهتماماً على هذه الحقيقة ، الدور الذى كان لطائر اللعب فى الحياة الاقتصادية عند المسلمين ، وخاصة فى القرون الوسطى ، بفضل التجارة التى أقامها ، والناس اللازمين للهوى به (انظر ١. طلس : الحياة الاقتصادية فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ، بالعربية فى مجلة المجمع العراقى ، سنة ١٩٥٢ ، عدد ٢ ، ص ٢٧١-٣٠١ ، الجاحظ (٩) ، كتاب التيمر بالتجارة ، طبعة عبد الوهاب ، القاهرة سنة ١٩٣٥ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ترجمة Ch. Pellat ، فى *Arabica* ، ١٥ ، مجلد ٢ ، ٢ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١٦٠ - ١٦١) والواقع أن سيد الموكلين بالصقور لم يكن صقاراً بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح فى الأغلب الأعم ، وإنما كان يرتدى القفاز (الدمشق) ، وفى المغرب القفاز (فصص أثناء الصيد . وكانت رعاية بيت الطيور يعهد بها إلى غيلمان (جمع غلام) البياز ، الذين كانوا يكلّفون إلى جانب هذا مهمة تزويد بيت الطيور بالحمام وغيره من طيور الصيد لتغذية الصقور وتدريبها على الصيد ، والنام مصطلح فى البيزرة ، اقتضى ، بحسب نوع طائر اللعب ، أن يكون فى كفاية البياز (والجمع بيازور) . وبالمناسبة لتفضيل مصطلح بيازور على مصطلح بياز ، انظر ابن سديد المكنفانى : إرشاد المقاصد ، ص ٩٢ ، ومصطلحات بيازور وبيازى وبيازى وبيازور ،

الحويان ، القاهرة سنة ١٩٣٧ ، ويطالع بمثابة كبيرة نظراً للأخطاء العديدة في أداة علمية تقادم عليها العهد في الغالب) ولم يعرف صيد الحيوانات بالصقور التي تخلق على ارتفاع شاهق في المغرب الإسلامي سوى أربعة أنواع من الصقور Falconidae : الشبلي (أو الشبلي ، وهي كلمة مشتقة من اسم البلدة الأندلسية لبنة Niebla ، وتشير إلى لفظ مستعار) ، البرقي ، وهو صقر مغربي يعرفه باسم Barbary Lanner Falcon أو Alphaneta . عند الصقارين النصارى : Falco Biarmicus ، الصقر المغربي ، Falco peregrinus pelegrinoides (توركي) ، وصقر إيانورا Falco Eleanore (بحري) (انظر ليو أفريقيانوس : Il Viaggio : Leo Africanus ، البندقية سنة ١٨٣٧ ، ص ١٦٦ ؛ L. Mercier : La chaise et les sports chez les Arabes ، باريس سنة ١٩٢٧ ، الفصل الخامس La fauconnerie ، ص ٨١ - ١٠٦ والمصادر ؛ F. Daumas : Les chevaux du Sahara ، باريس سنة ١٨٥٣ ، مع Réflexions de l'Emir Abdel-Kader ، ص ٣٥٩ - ٣٧٧) . ونوصف هذه الصقور الأربعة في المغرب بأنها « حرة » . أما « الطيور ذات العيون الصفراء » التي لا يربها إلا البازيار ، فإنها القصيلة التي تستخدم أكثر من غيرها في رياضة الصيد بالصقور : وكلها « طيور عظمى قصيرة الأجنحة » أو « صقور تحف على قبضة اليد » ، تدرب على « الطيران المنخفض » ، وتتألف هذه القصيلة إلى حد كبير من الجنس المسمى Accipiter أو Accipitridae

أو من الإناث : ومهما يكن من أمر فنوسع المرء أن يكشف ، بين ذلك الحشد المراكم من الأسماء ، المصطلح الدال على الجنس ، بالاستماتة بالقوائم العلمية للحيوانات المنجحة في كل بلد من جهة ، وبالأوصاف التي أوردتها كبار علماء الطبيعة المسلمين مثل الفزوي (عام ١٢٠٣ - ١٢٨٣) ، في كتابه « عجائب المخلوقات » ، والعمري (عام ١٣٤١ - ١٤٠٥) في كتابه « حياة الحيوان » ، وبخاصة مؤلفو المصنفات الخاصة بكلاص الصيد ، من جهة أخرى (انظر مابلي)

وهكذا كان الصقار غير منشغل إلا بتدريب : (١) السنقور (أو السنقور أو الشنقار) Falco rusticolus ، وكان غير معروف في البلاد العربية ، ولابد من استيراده من سيبيريا بتفقات باهظة ، وكثيراً ما كان يبرز بين المدايا التي تقدم في الاحتفالات التي يتم فيها تبادل السفراء (ب) الصقر أو صقر الخزال أو الشرقي Falco Cherrug (ج) الباز الجوال Falco Peregrinus ، بتوحيته الشرقية الثلاثة : Calidus ، Babylonius ، Falco Perigrinator : (يطلق اسم شاهين أو بحري على « الصقر الجوال ») (د) الحداة ذات الجناحين الأسودين ، Elanus (هـ) زرق ، صقر أبيض ، وكوهي بالقارسية (و) الكتوش Falco columbarius acaalon (ز) العاسوق Falco tinnunculus (ح) العرويس Falco Naumanni (ط) اللزريق Falco Vespertinus (انظر اذ الملووف : معجم

ونظم في بعض أرجاء بلاد القوس وتركية الصقور
الصقواء المسماة Aquilidae

وليس من شك في أن الطائر الذي نمتع بأكبر
حظوة منذ القدم وفي كل بلد من بلاد الشرق هو
الباز Accipiter gentilis ، وثوويه Accip. albidus
(إما باز كوشاه باز) ، وكان التجار يجلبونها
من اليونان وتركستان وبلاد السجم والهند
لأنهما لايتبعان إلى الحيوانات المجنحة في
البلاد العربية ، ولما عرفها المغرب ، وكان
يُعتقد أن الباز خلق لقن الطيران ، وانتقل اسمه
للقارمى باز إلى العربية قبل الإسلام ، وأطلق ،
بسبب الجهل ، حل طائر من طيور اللب ، وكان
للمصطلح والببيرة يعني صيد الحيوانات بالصقور ،
بصفة عامة : وحل النقيض من ذلك فإن « الصقور »
هو الذي رجعت كلمته على « الباز » في أوروبا ،
وغطت « البزردة » على تقنية فن رياضة الصيد
بالصقور ، وكان من الضروري عند تعريب الاسم
باز ، أن يصاغ له فعل ثلاثي كان اختياره سبباً
في إثارة شيء من اللقمة لعلما فقه اللغة ومولاني
المعجم . وروى وضع ثلاثة أفعال متعاقبة : (١)
يزو أو يزي ، بالاشتقاق من ياز والبازي والبازي
والجمع بزاة وبزاني والبزازي وبزغان (ب) يوز
أو ييز بالاشتقاق من : باز والجمع أبواز وبيزان (ج)
باز بالاشتقاق من بآز والجمع بآز وبزوز وبزوز
وبيززان وبزوز وبزوز . وجاء بعد الباز ، الباشق
Accipiter nisus (العلام أو الطوط) وثوويه قصير
القلبين المسى وشيخرة Accip. badius brevipes

(الببيلق) ، والذي كان يفضل بسبب قابليته
للتعلم والمساحة الشاسعة لتوزيعه ، ولا تزال أثاره
(السآف) تستخدم في رأس بونة تونس في الصيد
عند مرور السباقي في الربيع (انظر D.M. Mathis :
La chasse au faucon en Tunisie ، في Bull.
Société Sc. Natur. de Tunisie ، ص ٣-٤ ،
تونس سنة ١٩٤٩ ، ص ١٠٧-١٨ والرسوم
الإيضاحية ، الكاتب نفسه ، في M. Planiol
Traité de Fauconnerie et Autourserie : A. Boyer
باريس سنة ١٩٤٨ ص ٢٤٢-٤٨ ، L.Lavauden :
La chasse et la faune cynégétique en Tunisie
تونس سنة ١٩٢٠ ، ص ٢٠-٢١ ، اللطائف
بالعربية ، تونس ، مايو سنة ١٩٥٥ ، ص
٢٤ - ٢٧ والرسوم الإيضاحية)

أما التسور فلها في الواقع لم تعمل قط إلى مرتبة
عناق العليز ، ومهما يكن من شيء فإن القوس
والأثراك دربوها بنجاح الشغول ، Spizaetus
cirratus ، ونسر بونل Bonelli : Hieraeus
fasciatus ، والنسر المتعل Hieraeus pennatus
(وكلاهما يسمى الإساج) . وأغفلت صقور القُرآن
(المُرزاة) والصقور الحوام (السقاوي) بسبب
شراسها التي تعلم معها استئناسها ، وكذلك الحداة
والنسر ، بسبب ميلها للحيقة . وقام القوس بفن
التدريب إلى حد استخدام البوهة التي قامت باجتماع
الكواسر الأخرى . وكانت الطيور ذات العيون
الصقواء كلها غيّر بعلامة للطيران المنخفض من
أجل صيد طيور السباقي أو السلوى والحجل والقبج

الوقت نفسه تقريباً أسعد طلس. (بتداد سنة ١٩٥٤) أقدم نص عربي معروف هو «كتاب المصايد والطاردة»، وهو من تأليف الشاعر المشهور كشاجم المتوفى عام ٩٦١ أو ٩٧١ (انظر Brockelmann ١٠، ص ٨٥، قسم ١، ص ١٣٧، طلس: مجلة ٥، الموضوع للذكور، مع تحليل للمصنف) وكانت هذه الرسالة الكاملة عن الصيد والبيزرة، أحد المصادر التي استفلها كثيراً المؤلفون المتأخرون للمصنفات الخاصة بكلايب الصيد، ويشع منها لسوء الحظ اهتمام كبير بالأدب الذي يجردها من أية أهمية علمية، وتختلف فيها كثيراً وتفوقها جيشاننا بالحياة وفائدة مذكرات عن البيزرة بقلم أسامة بن مقفد المتوفى عام ١١٨٨م في مصنفه كتاب الاعتبار (طبعة ف. حنّى Ph. Hitti، برنستون سنة ١٩٣٠، الفصل الثالث، ص ١٩٢ - ٢٢٩) الذي ألّفه أثناء الحروب الصليبية (انظر Derenbourg: ... d'Ousdme، النصوص، باريس سنة ١٨٨٥ و ١٨٩٣). أما مصنف المملوك محمد المتسكلي، وهو كتاب أنس للملا بوحش القلا، الذي كتب عام ١٣٧١ (انظر Brockelmann ٢، ص ١٣٦، قسم ٢، ص ١٦٧) ونشر (باريس سنة ١٨٨٠) مع ترجمة فرنسية متوسطة القيمة قام بها فلوريان فرعون Florian Pharaon، فقد قدّ الكثر من قيمته منذ تيسر الحصول على رسالة كشاجم. وفضلاً عن هذا فإن البيزرة تناوّلها قصائد تاليفية مثل القصيدة المكوّنة من ٢١٣ بيتاً التي نظمها المبحرني

والطبيهوج والقطا والحبارى والعداد والدراج والعنقود وغيرها من طيور الصيد في السهوب والصحراء.

وكانت الأصول الفنية للبيزرة بمعنى الكلمة في أوائل العصر الإسلامي، موضوعات طرقها رسائل عديدة، لم يصل إلينا الجانب الأكبر منها، ويتحدث ابن النديم في كتابه القهرست عن عشر منها. ومن جهة أخرى فإن عدداً كبيراً من المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة في أوروبا والشرق يجب أن تدرس (انظر Brockelmann، الفصول التي تتناول «Naturwissenschaft» و«Jagd») ومع ذلك فإن هذه الأصول معروفة لنا نسبياً، بفضل المصنفات العديدة التي حققت. وأقدم هدهانصرص، والذي يتناول البيزرة، قد يكون الأصل في النسخ اللاتينية الرومانية، التي لم تحقق بعد، ولكنها تنسب إلى مؤلفين هما مؤمن Moamin وخطريف Ghatrif (انظر التحقيق النقدي الواقع هذه النصوص الذي قام به H. Tjerseld، استوكهلم-باريس سنة ١٩٤٥). ومنذ عهد قريب خطرت للعالم السورى كرد على فكرة موقفة هي نشر (دمشق سنة ١٩٥٣) رسالة البيزرة المخصصة لبيزرة الخليفة الفاطمي العزيز بالله (عام ٩٧٥ - ٩٩٦)، ويقدم لنا كاتبها المجهول ثمة خبرته البطولية وخبرة اللعاب، بأسلوب مجرد من اللوذعية غير الضرورية. وأفراد فصل خاص لبعض الشواهد الشعرية. وهذا المصنف، هو بعد أنس كتاب. من الكتب التي يجوز تبا بالغة العربية عن طريق التدريب. وفي

وكان جفناه « يعلقان خطم » وكان « يعرض التجويع أو التقيص » بالصيام ثم « يقتص الخيط » بالتدريج ويُغزى بأن يخطو « من تلقاء نفسه » على قبضة اليد بتدعيم « حفات ملء المقار » (بالتلقم) وإغرائه بلحم فرانس حية (بالتلقيف) . وعندما يصبح أليفاً ويخطو على قبضة اليد عند النداء عليه ، كان يربط إلى « طيالة » ويبدأ وقتل التنريم على أن يخضع لهذه اللعبة أو تلك . وكانت غريزته لأكل اللحم تثار وتُسمى فراسته لمسك حيوان الصيد بإطلاعه أمام طيوره الكبيرة ، التي تنتخب من أنواع كان يتلرب على اصطفاها . وكانت هذه الثريينات تتكرر في صبر ، وفي كل مرة ثم على مسافة أكبر . وعندما يُشدد أن التلميذ مستعد للإرسال ، كان يجهز به « السباقان » والأجراس (الخلائع) . ثم يعود على أن يلبس فوق رأسه البرقع (أو الكمّة وفي الغرب الكنسييل) . إن « يَغشَى بالقباء » ، ويكسب شيئاً من « الأوس » بأن يمضي ساعات طويلة بين الجماهير في الشوارع والأسواق . وعندما يألف الناس والخيول والكلاب والحيوانات الأليفة كان يؤخذ إلى أماكن الصيد حيث « صاد طليقاً » من طير الماء والمصاير . وكان يعود على صوت طنبّيل مربوط في سرج الصقّار (انظر L. Mercier ، المصدر ، ص ٩٨) . وكان يسمح له بال « إشباع » على إحدى فرسياته . ولم يكن التلرب ينفذ بهذه الدرجة من الإثقان في الغرب : وكان الطائر يؤخذ في مرحلة البلوغ ويطلق سراحه في الخريف ولا يتعرض إلا لتدريب

التجيجي الموق صام ١٥١٤ (بروكلمان Brockelmann ، ص ٢٠ ، ص ١٣٦) وكتاب الجمهرة في البيزرة (مخطوطة بمكتبة الإسكوريال رقم ٩٠٣) تأليف رجل يلحى عيسى الأزدى (القرن العاشر) والذي كثيراً ما استشهد به للنكلى . وهذه المؤلفات تستحق النشر بالرغم من أن ل. مرسيه L. Mercier (المصدر المذكور) قد استفاد منها ، وأفاد علانية على ذلك من مخطوطات القاهي الموق عام ١٥٤١ والأشعري الموق عام ١٤٤٤ (مخطوطات ، باريس ، المكتبة الأهلية رقم ٢٨٣١ و ٢٨٣٤) : « وقد رد طلس (مجلة ٥٥٠) الأرجوزة الجميلة التي عنوانها « فرائد السلوك في مصايد الملوك » عن رياضة الصيد بالطيور لابن فَيَّانَة (عام ١٢٨٧-١٣٦٦) إلى صيفها الأولى ، ونخلص من كل هذه التصور إلى أن طرق الصيد والتدريب كانت هي بينها تقريباً بالنسبة لكل أنواع طيور الصيد . فكان الصقر الصغير يمسك - وهو « فَرِيخ » أو « أصفر المنقار » (غيطراف أو غيطريف) أو من « الصفور المزايزة أي « التي تهرج العش » (الناهضة) - من عشه الشاهق ، وكان الصقر الصغير يوقع في الشرك أو يصطاد بشباك وأنشوطات ، وفي الغالب يبارك وهو « فرخ » أو « وحش » أو « بلدي » أو « قاطع » أو « راجع » (انظر نظام العش في كتاب ابن مقد ، المصدر المذكور ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ : M. Planiol : المصدر المذكور ، ص ١٥٤ - ١٥٦) . وعند أسره كان « يرد إلى أليف » أي يستأنس (تعبير « هلي »)

إلغام الشعراء ، وأصبحت منذ عصر الأمويين - هي
والقنص - أحد الموضوعات الرئيسية في الشعر الشعبي
بالرجز ، والواقع أن الأرجوزة - وهي أكثر
مرونة ورشاقة من القصيدة القديمة المترمة - سرعان
ما أصبحت ، لدى السَّماخ المتوفى عام ٢٢٢هـ =
(٦٤٣م) ، والصَّحَّاح المتوفى عام ٨٩هـ = (٧٠٨م)
وابنه رُؤبة (المتوفى عام ٢٢٢هـ = ٦٤٣م) وكثير
غيرهم ، القالب المألوف للقصيدة الطردية ، وكانت
القصيدة الأخيرة تسامر أسلوب العصر كثيراً
في عهد العباسيين ، فقد اختارها كثير من كبار
الشعراء مثل أبي نواس وابن المعتز وكُشَّاجِم
والنَّاشي ، وهيات لهم ، عن طريق البحث عن غريب
الألفاظ ، فرصة لإظهار علمهم (Ch. Pellat :
Langue et Littérature Arabes ، باريس سنة ١٩٥٧ ،
ص ١٠٨ - ١٠٩) ، ومن شاء المزيد عن
الطرايات فلينظر للكاتب نفسه : *Le milieu basrien* ،
ص ١٦٠ وما بعدها والتعليقات . وتوجد الطرايات
في دواوين الشعراء ، وقد ذكر الجانب الأكبر
من طرايات أبي نواس في كتاب الحيوان للجاحظ ،
ومن المؤسف أن نسجل أن هذه اللوحة التعاليم قد
أدت إلى أن يستعمل أولئك الذين يجدون فيها متعة
لغة ليس فيها إلا القليل مما يستغله عشاق الصيد
بالصقور من ألفاظ . وقد استغل شعراء الأندلس
بصفة خاصة موضوع الصيد بالصقور ، وهو موضوع
لم يستطع أن يبرأ من ميلهم الواضح للطبيعة ،
وبخاصة ابتداء من القرن الحادى عشر وما بعده .
واستطاعوا أن يدخلوا فيه تلك النغمة التي لم يعرفها

مدني (انظر L. Mercier : المصدر المذكور ، ص
٩٦ - ١٠٤) . وعندما كان الصقر ينزل
ليستريح ، كان يوضع على « الحَمْولة » (القفاز)
أو على « العارضة » (الكَنْدَرَة) وكان يُعْمَضُ
« للتشريق » في الشمس بالقرب من حوض استحمامه .
وكان أثناء فترة القَرْنِصَة (التَّكْرِيز) يحفظ بمزل
عن أية ضجة ، وكان ذرقه (رَمْنَجَه) يراقب
بناية . وبهذه الوسيلة كان يحافظ على صحته .
وتنفرد الرسائل الخاصة بالبيزرة فصولاً طويلاً
عن تشخيص الأمراض التي تصيب بطور اللعب وطرق
علاجها وتكشف في الأغلب الأعم عن إيمان همجي
بالتجريب ممتزج غرافات صحية .

ومنذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم طرح السؤال
عن حكم الشريعة - كما ورد في القرآن الكريم - في
جواز أكل لحم طيور الصيد التي تصاد بصقر كاسر
مدرب ، وكان السؤال يدور حول ما إذا كان
الطائر يجب أن يذبح وفقاً للشعائر الدينية . فابن
رشد في كتابه بداية المجتهد ... (انظر ابن
رشد : كتاب الصيد ، مختارات من كتاب بداية
المجتهد ، النص والترجمة ، شرحه ف. قريه
F. Viré ، في *Revue Tunisienne de Droit* ،
العددان رقم ٣ - ٤ ، تونس سنة ١٩٥٤ ، ص
٢٢٨ - ٥٥٩) يورد رواية واضحة عن المواقف
المتخلفة التي اتخذتها المذاهب الأربعة . وهذا الموضوع
نفسه هو الجزء التمهيدى في كل المصنفات التي
تأولت البيزرة والصيد .

ومن جهة أخرى فإن البيزرة لم تعجز عن

الإجازات التي لا تقدر : والحق إن الفن الإسلامي في الشرق والغرب قد استمد من هذا الموضوع ، بتفسيراته التي لا تحصى ، كثيراً من خصائصه (انظر *A survey of Persian Art* : A.U. Pope أكسفورد سنة ١٩٣٩ ، *Art Musulman* : G. Migeon باريس سنة ١٩٥٦ ، *L'Art de l'Islam* : G. Marçais باريس سنة ١٩٤٦ . ونضيف في الختام أن هذا الموضوع نفسه قد استغل على نطاق واسع في الروك الملوكية (انظر *Saracenic Heraldry* : L.A. Mamyer أكسفورد سنة ١٩٣٢ ، *Artin pacha* : Ost. : لندن سنة ١٩٠٢ ، *Étude du blason en Orient* : المصادر :

علاوة على المصادر المذكورة في صلب المادة (١) *The Baz : A Persian Treatise* : D.C. Phillott (١) *on falconry, Nama-yi Nasiri* ، لندن سنة ١٩٠٨ (٢) *La Parure des Cavaliers et l'Insigne* : L. Mercier ، الترجمة الفرنسية لكتاب «حلية الفرسان» لابن حنبل الأندلسي ، باريس سنة ١٩٢٤ ، ص ٦ و ٤٠٠ ، والمصادر (٣) ز. م. حسن : *Hunting as practised in Arab countries of the Middle Ages* ، للطبعة الأميركية ، القاهرة سنة ١٩٣٧ (٤) *R.F. E. La chasse au faucon dans les Hauts de Constantinople* ، في مجلة «TAM» ، ص ٣٣٠ ، الجزائر سنة ١٩٤٨ (٥) *G. Dementieff La Fauconnerie en Russie, Esquisses historiques* في مجلة *L'Oiseau* و *Françoise d'Orniethologie* ، العدد ١٥ ، سنة ١٩٤٥ ، ص ٩ - ٣٩ .

تم [ب. فيريه E. Viré]

الشعراء الشرقيون (انظر *Poésie Andalousse* : C.H. Pérès باريس سنة ١٩٥٣ ، ص ٣٤٦ - ١٩) . وكان هناك ، إلى جانب هذه الضروب البكرية المكتوبة بلغة علمية ، شعر في البيوت ، مذهب بني ثناء ، وقد نظم كبار البدو العرب بلهجاتهم المختلفة . ومن الطريف أن تسجل أن الطوارق لم يعرفوا قط فن البيوت (انظر *La chasse chez les Touaregs* : H. Lhote باريس سنة ١٩٥١) : وإن الرقص الذي أبداه جامعو المختارات الشعرية من اللغة «البارجة» قد سرعنا من «أغاني» هؤلاء البدو ، التي كانت لا تزال إلى عهد قريب ، تحظى بالاحترام في نفوس الصحراء ، والتي تكشف في أوصالهم للصقور طرائده وحيوانات صيده ، عن واقعية من الصعب أن نجد لها في الشعر القديم (انظر *Chants sur la chasse au faucon* : M. Sidoun attribué à Si El-Hadj Aissa, Chef de Laghouat في *R. Afr.* ، العددان رقم ٢٧٠ - ٢٧١ ، سنة ١٩٠٨ ، ص ٢٧٢ - ٩٤ ، النص والترجمة والتعليقات)

ولاشك أن الدور الكبير الذي قام به الصقور في سباعتهم موضوعاً استلهمته الآثار الفنية الإسلامية بعد مادة للدراسة كبيرة . والواقع أن طرق التعبير الفنية : التمنينات والنحت الزخرفي في الحجر ، والجص ، والخشب والعاج والخمر على البلور والزجاج والنحاس وصياغة البرونز والمعادن الثمينة وصناعة الخزف والطنافس والمطرزات الخ الخ ، موضوع الصقور ، يقدر كبير من

اللى كونه هؤلاء القامحون الجدد لبلاد الشام . وبيسان سقط رأس القتيه وجاء بن حثوة المتوفى حوالى عام ١١١٢ هـ ، وهو القتيه المشهور بصلته بالأمويين ونفذه لدى عمر بن عبد العزيز . وكانت بيسان مدينة مزدهرة أيام العرب ، وهى على حافة سهل خصب متسع يصل سهل إسرلون Endelon بالغور ، وقد كان متاخ وادى الأردن دلياً كما هو شأنه ، تزرع فيه نباتات عظيمة القيمة كالتبلة وقصب السكر ، وإليها يعود الفضل فى ازدهار المدينة . ويقول بعض المؤرخين إن فى هذا المكان قبر ابن حيدة بن الجراح أحد فالحى الشام المعروفين ، وقد اشتهرت بيسان بنفيلها التى وود ذكره فى الأثر ، كما اشتهرت بضيورها التى كانت تصدر إلى الحجاز . ولما كانت بيسان على طريق الحملات الخارجة من دمشق أو من شاطئ البحر المتوسط ، فقد قامت كثيراً من غزوات الصليبيين . ونشبت فى السهول المجاورة لها عدة وقائع ، وسقطت فى يد جودفري دى بوايون Godfrey de Bouillon وتركها الصليبيون أثناء حروب صلاح الدين وغربوها فى عهد بيرس . ولم تنهض من كبوتها إلا بصعوبة ، وكانت حالتها أيام باقر كحالتها الآن ، لأنه لم ينجس فيها سوى تختين . وجاء القريرى فى القرن الخامس عشر الميلادى فذكر أن بيسان مدينة صغيرة . ثم انحطت حتى أصبحت قرية حقيرة ، ونهضت بعد الاحتلال للمصرى فى القرن التاسع عشر . وكان فيها أملاك السلطان بما فيها من حلات جميلة لا تموزها المياه ، وجاء قصر

« بيسا » : كلمة هندية يعرفها الإنكليز باسم بيس Pice ، وهى عملة نحاسية كان يتعامل بها فى الهند البريطانية تسوى ثلاث بيات Pice أودع أنا Anna . وأراد شير شاه فى عهد المغل أن يوحد العملة النحاسية فأطلق اسم بيسا على « دلم » القديم ، وكان كل أربعين منها تسوى روية . ومع هذا فإن الاسم الذى سكنت به العملة هو بصفة عامة القلوس أو الروانى . وبيسا هو الاسم العام الذى يطلق على تلك القطع الكثيرة من النحاس التى ضربت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين فى الدويلات الوطنية الكثيرة التى انقسمت إليها الإمبراطورية المغلية (J. Prinsep : *Useful Tables* ، طبعة توماس ، لندن سنة ١٨٥٨ ، ص ٦٧ وما بعدها) .

[الآن J. Allan]

« بيسان » وبالعبرية بيت شان وباليونانية إسكيثوبوليس Scythopolis : من أوائل المدن التى فتحها العرب فى غربى فلسطين ، وكانت فيها سدود وقنوات تتجمع فيها مياه بعض المجارى الكبيرة . فمروى الأراضى المجاورة لهذه المدينة وتصرف الزائد من مياهها . وحاولت الحماية البيزنطية الدفاع عن بيسان ضد المغيرين فحطمت السدود فتبطلت البطائع التى كادت تحاصر قرىسان العرب ، ولا تزال هذه البطائع باقية إلى الآن ، ولكن العرب غطوا هذه القبة وفتحت المدينة أبوابها لهم وأصبحت جزءاً من جند الأردن

(انظر هذه المادة) ، ومع ذلك فإن مناخها حار رطب ، لم يتوان الجغرافيون العرب عن التنديد به ، وفي الوقت نفسه بأسفون لسوء حال ماثها (عل) أنهم ينوهون بمزاجها عين الفلوس ، وهي بر تلحها رواية منتشرة بين الناس من العيون الأربع التي تنبع من الجنة . وقد أتاح الري ، فيها مضي ، زراعة الأرز ، وكان عماد ثروة البلاد في عهد المقلبي ، أما أشجار النخيل التي تحدث عنها الروايات ، فإن الجغرافي ياقوت ، لم يشهد منها في القرن السابع الهجري . (الثالث عشر الميلادي) ، سوى نخلتين . ولكن بيسان نجحت في الحفاظ على نواة العمران فيها حتى اليوم ، بفضل موقعها التجاري والاستراتيجي المشهود على الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط دمشق وداخل سورية بالجليل ومنها إلى مصر وساحل البحر المتوسط ، على الرغم مما تعرضت له من تقلبات تاريخية لاحصر لها .

وإن تعمير هذا الموقع ، الذي ثبت أنه تم قبل فترة الألف السنة الثالثة ، من حضريات تل الحنصن التي نجحت في الوصول إلى مستوى العصر البرونزي ، يرجع حقاً إلى عصور قديمة جداً . ونحن نعرف اهتمام المصريين ببلدة بيتششن أو بيتششن القديمة ، التي نقلوا اسمها وكتوبه بيتششر ، والتي ضموها ثلاثة قرون بعد انتصار تحتمس الثالث في سهول سجد ، وتركوا آثاراً عديدة تدل على احتلالهم لها . ثم أصبحت هذه القرية الهامة ، التي كانت هدفاً لأطماع الفلسطينيين وبنو إسرائيل والمبدين ، والتي كانت ، في وقتها ، جزءاً من مملكة سلفان ،

المدير ويسكنها نحو ثلاثمائة ألف نسمة : وسيتزايد هذا العدد على الأيام على الرغم من الحر اللالاح وعدم ملائمة جوها للصحة : واستأذات بيسان من الحط الحديدي الذي مد بين حيفا ودرة .

المصادر :

- (١) اليكري ، طبعة مُستفكدة ، ص ١٨٨
 - (٢) الطبري ، ج ١ ، ص ٢١٥٧ ، ٢١٥٨ (٣)
 - الرملي : صحيح ، طبعة بولاق ، ج ٢ ، ص ٤١
 - (٤) المبرد : الكامل ، طبعة Wright ، ص ٧٣ (٥)
 - الأخطل : ديوان ، ص ٣ (٦) الأغاني ، ج ٢ ، ص ٨٦ ، ج ٩ ، ص ٨٠ (٧) المقلبي ، طبعة ده غويه ، ص ١٦٢-١٦٣ (٨) ياقوت ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، ٧٨٨-٧٨٩ (٩) ابن الجوزي : صفوة الصفوة ، ج ١ ، ص ٢٠ ، مخطوط بدار الكتب المصرية (١٠) G. Le Strange : *Palestina Under the Muslims* ، ص ٤١١ (١١)
- Historical Geography of the Holy Land* : G.A.Smith
ص ٣٥٧ - ٣٦٤ .

[لامنس H. Lammens]

+ بيسان : بلدة فلسطينية صغيرة في وادي الأردن ، على مسيرة ٣٠ كيلومتراً (١٨ ميلاً) جنوبي بحيرة طبرية ، وعلى ارتفاع ٩٨ متراً فوق سطح البحر ، وقدم فوق شقة ترتفع ١٧٠ متراً فوق الأرض المنخفضة التي يشق فيها نهر الأردن طريقه ، على مسافة منها . وبها تبرا من الحرارة الاستوائية الشديدة التي تسود في غير ذلك من مواضع النور

وكان غزو المغول الذين هزموا في مكان لا يبعد كثيراً عن عين جالوت (انظر هذه المادة) عام ١٢٥٨م (١٢٦٠م) بمثابة ضربة شديدة قوّلت بها، ولكن قلل لها فياً بعد أن تصبّح في عهد المماليك قسبة ولاية في النفر الثاني الجنوبي المتاخم لولاية دمشق : وشيد في هذه الفترة خان سكر في المنطقة المجاورة لها مباشرة على طريق خط السكة الحديدية الحالي . وكان يتزل بها الخان البريدية الراكبون الذين عدل خط سيرهم ليمروا بهذا الطريق بمبادرة اتّملها كبير الحجاب ابن فضل الله عام ٨٧٤١هـ (١٣٤٠م) .

المصادر :

- (١) *Géographie de la Palestine*: F.M. Abel
 باريس سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٨، وخاصة - ٢ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ (انظر Bethaan) مع إشارات إلى
Beth-Shan, Topography and History : Rowe
 سنة ١٩٣٠، وإلى مقالات مختلفة في *Revue Biblique*
 وخاصة بن عاي ١٩٢٢ و ١٩٢٥ (٢) *Lo Strange* :
Palestine under the Moslems ، لندن سنة ١٨٩٠
 وخاصة ص ٤١٠ - ٤١١ (٣) *A.S. Marmardji* :
Textes Géographiques ، باريس سنة ١٩٥١
 ص ٣٧ - ٣٨ (٤) *Annali* : Gaetani ، القاهر
 (٥) للكاتب نفسه :
Chronographia ، ص ١٥٠ - ١٥١ و ١٧٩ (٦) البلاذري :
 فتوح البلدان ، ص ١١٦ (٧) الطبري : القهرس
 وخاصة - ١ ، ص ٢١٥٧ - ٢١٥٨ (٨) ابن
 الأثير : القهرس ، وخاصة - ١١ ، ص ٣٦١

وإن ظلت دائماً معادية لدين اليهودية ، من أهم المدن العشر في العصرين الهلبي والروماني ، مقسمة باسم إسكيتوبوليس Scythopolis . وازدهرت المليئة هناك . وتأيد النجاح الذي أحرزته المسيحية ببناء كنائس وأديرة متعددة . وكان أسقفها رئيساً لأساقفة ولاية فلسطين الثانية *Palestina Secunda* ، وهناك ولد كاتب سبر القديسين المشهور سيريل الإسكيتوبوليسى Cyril of Scythopolis .

وتعرضت البلدة لهجمات العرب الأولى في أوائل عام ١١٣هـ (٦٣٤م) هاجم جند خالد بن الوليد جيشاً بوزنطيا (روميا) وأبادوه ، في مكان لا يبعد عنها كثيراً ، واحتلت البلدة إلى استعادت الآن اسمها الأصلي ، والذي خفف إلى بيسان ، احتلالاً تاماً عام ١٥هـ (٦٣٦م) وقت غزو شرقييل ابن حسنة لإقليم الأردن ، ومن المحقق أن أبا عبيدة ابن الجراح ، الذي يقع ضريحه هناك في قول بعض الكتاب : قد زارها . ويبدو أنها ازدهرت في هدوء وسلام وسط بساتينها عندما كانت مركزاً إدارياً لأحد نواحي جند الأردن ، إلى أن هاجمها الفرنجة في الحرب الصليبية الأولى ، وضموها إلى مملكة القدس اللاتينية ، بعد أن استولى عليها تانكريد Tancred عام ٩٢هـ (١٠٩٩م) وأنشأوا بارونية بيسان ولكنهم نقلوا الكرسي الأسقفى إلى الناصرة . وظل تاريخها مضطرباً . وانتهت هجمات المسلمين عليها باستعادة صلاح الدين لها عام ٥٨٣هـ (١١٨٧م) ، وتعرضت من بعد لغارة جديدة قام بها الفرنجة في الحرب الصليبية الخامسة ، ودمروها عام ٦١٤هـ (١٢١٧م)

« ييش بالقي » أويش بالقي أوبش يلق : كلمة تركية معناها خمس مدن Pentapolis ، وهي بالصينية « تي تشغ » أي مدينة الشمال : مدينة في التركستان الصينية الحديثة شالي الجبال السماوية «تين شان» ، ولم يعمّن موقع هذه المدينة تعييناً مقنعاً إلا في العصر الحديث . وقد تردد ذكر هذه المدينة في النقوش الأورخونية من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادي . وبمقتضى الجغرافيون وعلماء الصينيات عن موقع «تي تشغ » ويش بالقي في المدينة الحديثة أورو مچی منذ أيام كلاپروث Klaproth وأبل رموسات Abel Remusat وكان كروم جرزمابلو Grum, Grzhimaïlo أول من ذهب عام ١٨٩٦م إلى أن هذه المدينة لابد أنها كانت أبعد من ذلك ناحية الشرق في مكان قريب من كوجان الحديثة (*Opisanie puteshestviya v Zapadnij, Kitai*) ج ١ ، ص ٢٢١ وما بعدها) . وقد تلخص هذا الرأي في المجلد الثاني من هذا المؤلف (سنة ١٨٩٩ ، ص ٤٢ وما بعدها) عندما أشار جرزمابلو إلى كتاب « متغ كويوموكي » الذي ترجمه بويوف Popov عام ١٨٩٥ . وفي عام ١٩٠٣ نقل إدوارد شافان Edward Chavannes مستقلاً عن بويوف وكروم جرزمابلو نفس الإشارات عن كتاب صيني آخر هو سي يوشو تازكي Documents sur les turcs occidentaux ، ص ١١) وأثبت دلبريو Dolbezhev عام ١٩٠٨ أنه يوجد بالمنطقة التي حددها الكتاب الصينيون عند قرية « هوباوتسي » على مسيرة ستة أميال من شمال مدينة تسيموسا أطلال

(٩) Hit. Dr. Gr. القهارم (١٠) المروى : كتاب الزيارات ، طبعة سوردل - تومين Sourdcl-Thomine ، دمشق سنة ١٩٥٣ ، ص ٢١ من النص (ص ٥٤ من الترجمة ، دمشق سنة ١٩٥٧) (١١) ياقوت ، ١٨ ، ص ٧٨٨ (١٢) البكري : *Das Geographisches Worterbuch* ، طبعة شتفالد Wuestenfeld ، ص ١٨٨ (١٣) أبو القلاء : *تقوم* ، ص ٢٤٣ (١٤) *Hist. des Croisades* : R. Grousset ، سنة ١٩٣٤ ، ص ٣٦ ، القهارم ، وبخاصة ص ٩١ ، ص ١٧٩ - ٨١ ، ص ٢٠٤ - ٢٠١ ، ص ٢٠٤ (١٥) *La Syrie à* : M. Gaudelroy-Demombynes ، باريس سنة ١٩٢٣ ، وبخاصة ص ٦٤ ، ص ١٧٩ (١٦) J. Sauvaget : *La Poste aux chevaux* ، باريس سنة ١٩٤١ ، ص ٧٣ - ٧٥ .

آدم [سوردل - تومين Sourdcl-Thomine]

+ « بيمستون » : (انظر مادة « بيمستون ») .

« بيمستون » كلمة فارسية (عملة من خوات العشرين) : عملة فارسية صغيرة كما يقول فونز (*Lexicon Persico Latium Vigniti denarioli* : Vuellera) ثمانون خمس محمودي : وكل عشرة ذنانير تساوي ييش في العملة الحديثة ، وكل ألف ييش تساوي تومان ، وكل هذا فإن قيمة الييش تقرب من نصف الييش الإنكليزي (وانظر مادة « سكة ») .

إلى ماذكر. عن هذه السفارة (ترجم اعتبار هذه السفارة سانت جوليان St. Julien في المجلة الآسيوية، المجموعة الرابعة، ج ٩، ص ٥٠ وما بعدها)، ومن الأدلة الحاسمة على أن بيش باتى هي عين خراب بئو جونج تسي - كما يذهب إلى ذلك دلبريو Dolbeshew - أن كل ما ذكره واتنغ ين - في عن موقع المدينة وما جاورها، إلى آخره يتفق تماماً مع حقيقة الكشف في الأطلال التي بقيت في بئو جونج تسي : ومن الواضح أن البحيرة التي وصفها واتنغ ين تسي وعبرها في قارب كانت إلى الشرق من هذه المدينة ؛ ولا تزال هناك بقايا سد قديم يمكن استعماله لتحويل النهر إلى بحيرة . ويظهر أنه كان إلى الغرب من هذه الأطلال معبد بوذي ؛ ويقول واتنغ ين في إنه كانت هناك في أيامه معابد بوذية في بي تنغ بنيت عام ٦٣٧م، ولم يكن السكان يشتغلون بفلاحة البساتين فحسب ولكنهم كانوا يصنعون أدوات من الذهب والفضة والنحاس والحديد .

ويبدو أن بيش باتى لم تذكر إلا مرة واحدة في المصنفات الإسلامية قبل عهد المغول وذلك في كتاب حدود العالم الذي لا تعرف مولفه (٨٣٧م - ٩٨٢م) . وقد ورد ذكر مدينة بئو جونج تسي أي المدن الخمس ، وقيل إنها إلى الشمال من جبال طفقان (تين شان) ولها معصف أرمم التفرغو . وواضح أن اسم هذه المدينة عبارة عن ترجمة فارسية لبش باتى . ويروى أنها لم تكن شديدة الحرارة صيفاً كما هو شأن المدن التي إلى الجنوب من هذه الجبال

مدينة على شيء من الأهمية محيطها ميلان وتصف الليل ، وتعرف هذه المدينة الآن بـ بوجونغ تسي (Izmiestija Russkago Komiteta dlja, izucheniya Sredney i Vostchnou Azii رقم ٩، ص ٦٥ وما بعدها). ولم يكن لمارتمان (Chinensis : M. Hartmann) Turkistan ، هال سنة ١٩٠٨ ، ص ٧) وبلوشيه (Introduction de l'histoire de Rashid eddin : Blochet) لندن - ليدن سنة ١٩١٠ ، ص ٢١٢ ، ٣١٦) علم بهذه الأبحاث ومازالا يأخذان بالرأى القديم القائل بأن بيش باتى هي عين كورومجي . وتذهب المصادر الصينية إلى أن هذه المدينة كانت في الزمن القديم منذ أسرة هان المتأخرة (٢٥ - ٢٢٠م) مقر أمير من أهل البلاد اسمه قنن ستوبه (Doncments etc. : Chavannes ، ص ١٩ ، ٣٠٥) ولم تظهر الأسماء الصينية «كين - من» و«بي - تنغ» إلا في القرن السابع الميلادي، وكانت بي تنغ منذ عام ٩٥٨م عاصمة ولاية تابعة للصين، وكان ولاتها من الصين أو من الأمراء الكثر في بعض الأحيان. وأطلق الحاكم الصيني عام ٧١٤م في صد غارة قامت بها القبائل التركية بقيادة ابن الخان موجو، ومهما يكن الأمر فإن الترك وأهل التبت أزالوا السيادة الصينية في نهاية هذا القرن . وانتقلت بي تنغ إلى أيدي الأويغورية ثم إلى القرقى عام ٧٩١م. وورد ذكر المدينة بعد ذلك على أنها مقر أمير أويغوري استقبل بيلاطه في بي تنغ بغير أسرة سنخ المسمى. واتنغ - ين - في عام ٩٨٢م . ويعود الفضل فيما لدينا من وصف مفصل عن بيش باتى

المظفرة ناحية الغرب التى اشترك فيها الإيدى قوت وقاد جيشاً عدته عشرة آلاف مقاتل . ولم تستطع هذه البلاد أن تقاوم انتشار الإسلام وبخاصة أن المسلمين كانت لهم بفضل علمهم وكرامتهم الطيبة النفوذ فى إمبراطورية المغول ، ولانستوى من ذلك الصين ، وقد حلوا تدريجياً محل الأويغورية الذين كانوا للمسلمين الأول للمغول ، وبذلك قامت خصومة شديدة بين الأويغورية والمسلمين . وفى عهد مونككخسان (١٢٥١ - ١٢٥٩) شهد بحكم بلاد خوارزم بأسرها حتى الحدود الصينية إلى مسعود بك ولد محمود يكوأج الخوارزمى . وقد ورد ذكر مسعود بك أيضاً فى المصنفات الصينية على أنه حاكم بيش باتى ، وفى الوقت نفسه أى عام ٩٥٠هـ (١٢٥٢ - ١٢٥٣م) أتهم سيف الدين الذى كان يعيش فى بيش باتى (وربما كان يمثل فيها مسعود بك) الإيدى قوت بأنه أصدر أوامر سرية تقضى ببيع المسلمين فى بلاده ، وأدانت المحكمة التى فيها المغول لحاكمته وقتل وبيش باتى . وقد ذهب الجوينى إلى منغوليا عام ٦٤٩ - ٦٥١هـ فى ركاب أرغون ألفا حاكم فارس المغولى ، ولابد أنه زار على الأقل بيش باتى فى حودته ، ولكنه لم يذكر لقرائه سوى قصص خرافية استقاها من مصادر أويغورية منها قصة تدور حول تأسيس مدينة بيش باتى (انظر بصفة خاصة W. Radloff : *Kudatku Bilik* المجلد ١ ص ٤١ وما بعدها) ولم يقل لنا شيئاً عن المدينة نفسها وعن اتساعها وما إلى هذا . كذلك لم يذكر لنا الرحالة الذين زاروا بيش باتى فى القرن الثامن

ومع هذا فلم يذكر الكردىزى (Barthold : *Ostent* : *Pezdskis* ص ٨٦) مدينة بيش باتى (بنيكيت) فى وصفه للطريق المعتنق بلاد التوغز إلى جبال كوكمان (جبال ساجان) فى حين أن المصنفين فى العهد المغولى يقولون إن بيش باتى كانت على جانب كبير من الأهمية باعتبارها مبدأ طريق القوافل عبر الصحراء إلى منغوليا ، شأنها فى ذلك شبهة بشأن كوجان الحديثة . ولهذا السبب كان إقليم بيش باتى من المناطق الأولى التى وصلت إليها القبائل التى فرت من منغوليا عند قلوب چنكيزخان فى القرن الثالث عشر الميلادى ثم بعد ذلك قبائل هلا التامع نفسه .

وكانت بيش باتى وقره خوجة (قرب طورفان الحديثة) فى ذلك الوقت أهم مدن أمير أويغورى يلقب بـ «إيدى قوت» وكان تابعاً لـ «كوركخان» القره خطائى . وانتهاز إيدى قوت هذا انتصار جيوش چنكيزخان عام ١٢٠٩م لتخلص من سلطان كوركخان ووضع نفسه تحت حماية المغول . وإذا أخذنا بالرواية الضعيفة التى أوردتها الجوينى (تاريخ جهان كشى فى *Barthold : Turkestan o epocha Mongolskogo nastastviya* ص ١٦٥) فإن القرغالى يمتها بمحمد خوارزمشاه فى الستين المشر التالية قامت فى الأرض وصلت إلى بيش باتى . والجوينى هو الذى أمدنا أيضاً بما نعرفه عن العلاقات بين رعابا الإيدى قوت وسفراء المسلمين فى السنوات الأولى من الحكم المغولى . واتحدت بلاد الأويغورية مع الدول الإسلامية بأسية الوسطى بفضل الغزوات المغولية

چغتاي والحان الأكبر ، وقد هزت هذه الحروب والنزاع الذى دب بين أبناء چغتاي كيان هذه المدينة . ويزعم محمد حيدر صاحب تاريخ رشيدى الذى عاش فى القرن العاشر الهجرى الموافق لاساس عشر الميلادى أن أرض بيش باقى كانت تابعة لـ «مغلستان» التى كانت تمتد من بحيرة بلخش (انظر هذه المادة) إلى برس كول ، وهى بر كول الحديثة على الحدود الصينية (تاريخ رشيدى ، الترجمة الإنكليزية ، لندن سنة ١٨٩٥م ، ص ٣٦٥) ويولوح أن بيش باقى كانت قد تخربت منذ أمد طويل ، شأها فى ذلك شأن المدن الأخرى فى هذه الناحية التى ورد ذكرها فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين مثل بلاساغون وألماتى وغيرها . ويولوح أيضاً أن الصينيين أطلقوا اسم باقى فى القرن الخامس عشر علماً على ناحية بعينها فقط ، وفى هذا القرن حل الإسلام محل البوذية فى هذه البلاد ، ويرد ذكر الحملات الأولى التى شنت على بلاد أخفاد چغتاي فى القرن الخامس عشر ، ودخلت جميع الأراضى التى فى النصف الشرقى من آسيا الوسطى بعد ذلك فى المملكة المتبدية العظيمة التى أسسها القالموق ، ولم يغزها الصينيون حتى الأعوام ما بين ١٧٥٥ إلى ١٧٥٨ . وطبيعى أن ظروف كنهه لاتتألم تقدم المدن والحياة المحصورة . وحل الرغم من ذلك فلنا نسبين من الخريطة التى رسمها الضابط السويدى رينا Renat أثناء إقامته بين القالموق (سنة ١٧١٦ - ١٧٣٣ . Carte de la Dzungaria dressée par le Suedois Renat) أن

عشر أمثال تشانغ جتون الصينى (١٢٢١م ، *Madagascar Researches* : Bretschneider ج ١ ، ص ٦٥) وهجوم ملك أرمينية الصفرى (١٢٥٥م) إلا التزو اليسر عن هذه المدينة . ولم يذكر رحالة أوروبا الغربية شيئاً عن بيش باقى فى العهد المغولى ، وإن كان الطريق الممتد من أرمالك (ألماتى) بالقرب من كولجه) إلى كمبلك (شان باقى أى بكين) الذى ذكره كل من بيكرولوتى Pegolotti (Cathay: Yule) ومارينوللى Marignolli (الكتاب المذكور ، ص ٢٨٨) وغيرهما لا بد أنه كان يمر بمدينة بيش باقى . ويقول وصاف (Hammer ، ص ١٩ ، الطبعة الهندية ، ص ١٢) أن المسافر يقضى أسبوعين فى الذهاب من ألماتى إلى بيش باقى .

ومعلوماتنا عن تاريخ المدينة بعد ذلك وتخريبها التهاى قليلة . فقد استطاع الإيلى قوت بعد انهيار إمبراطورية چنكيزخان أن يحكم دولة مستقلة فيما بين مملكة الحان الأكبر (الصين) والإمبراطورية المغولية فى آسيا الوسطى . وفى حوالى عام ١٢٧٥ أفلح فى صد غزوة آتية من آسيا الوسطى (*Histoire des Mongols* : d'Ohsson ج ٢ ، ص ٤٥١ وما بعدها)

ونستدل من الخريطة الصينية التى عملت عام ١٣٣١ (*Madagascar Researches*: Bretschneider) الرحلة التى فى صبر ج ٢) أن جزأى مملكة أويغور القديمة لى بيش باقى وقره خوجا ، كانا من أملاك أبناء چغتاي (انظر هذه المادة) ولا بد أن بيت الإيلى قوت قد هلك إبان الحروب التى نشبت بين مملكة

إن شرطة شريف مكة يقال لهم بيشة نسبة للقبيلة
البحانية المعروفة بهذا الاسم .

المصادر :

- (١) الممدانى ، طبعة ميلر ، القاهره (٢)
ياقوت : المعجم ، طبعة لستفيلد ، ج ١ ، ص ٧٩١
(٣) *Die alte Geographia Arabiens* : Sprenger
ص ٤٧ (٤) *Erdkunde* : Ritter ، ج ١٢ ، ص
٢٠٢ ، ٩٤٩ وما بعدها .

[ثاير Th. Weir]

« بيشرع » : اسم فارسي يطلق على أولئك
الصوفية الذين ينحدون إلى أن أحكام الإسلام لم
توضع للذين أنارت الصوفية بصائرهم (أى الذين
لا يؤمنون بالكذب المنزلة) ،

+ « بيشهر » : (انظر مادة « بكشهر »)

« نيشوا » : لقب أحد وزراء صلاح الدين
البيهنى في الدكن وهو كبير وزراء شيوحي
وزعيم حلف المراهطا . ويشتوا معناها بالفارسية
زعم ، وبالقهلولية يشويى ، وبالآرامية بيشيى .
ويمكن الرجوع إلى كتاب (Hubschmann
Armenische Grammatik ج ١ ، ص ٢٣٠) فيها
يخص بصيغتها القديعة .

مدينة بروبسن Borsensis بتاحية كوجان الحديثة
ولا تعرف عن هذه المدينة شيئاً سوى ما ذكرنا . ولم
تؤسس مدينة كوجان إلا بعد تولد الحكم الصليبي ،
وكوجان بالصينية كوجونك وبالتركية كوشنك ،
[بارتولد W. Barthold]

« بيشة » وتكتب أيضاً « بيشة » بالعمزة :
قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن على
مسيرة أربعة وعشرين ميلاً من تبالة ، وهى
من عمل مكة وتبعد عنها مسيرة خمسة أيام ، والوادي يبدأ
من جبال الحجاز ، ويمر بجبال تحاه ثم ينصب
في نجد حتى يتهى في بلاد عكيل . وفي بيشة
بطون من الناس كثيرة من خثعم وهلال
وسؤامة وسكول وعقيل والقياب وقريش ،
وقريش ملك في وادى بيشة يقال له المتعسل ،
وبيشة من النخل والفيل شيء كثير ، ولها أيضاً
واد مشجر كثير الأسد (الحريرى ، مقامه ٤٨ في
آخرها ، الكامل ، طبعة Wright ص ٣٤٩ ص ١٦ ،
ص ٥٠٣ ، ص ١٤ ، الأغاني ، ج ٤ ، ص ٧٥)
وزعيم الإدريسى (طبعة Jauhart) أن المسافة بين
بيشة وتبالة خمسون ميلاً . وقلمة بيشة الحالية على
خط عرض ٢٠ شمالاً وخط طول ٤٣ ٢٠
شرقاً .

ويذكر ابن حوقل مدينة أخرى اسمها بيشة
في البحرين (المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة
ده غويه ، القاهره) ويقول سنوك هرجرونه
(*Makhs : Snouck Hurgronje* ج ١ ، ص ١٨١)

عند موت شاهزوجة أخرى كانت تعرض تقبلهم ،
أنصف إلى ذلك أن هذا الاعتقال كان ينبغي بناية
نقود البرامشة الشيشية السيامي في الدكن : ومع
أن بالاجي فشنات وجد أن البلاد مزقتها الفتن
الأهلية قد تركها في أمن وسلام ورخاء : وعقد
بالاجي فشنات حسابات دخل الدولة فزاد بذلك
من إشراف البرامشة على أمولها . وقد أعطاه الإمبراطور
المقل محمد شاه أثناء قيامه بمنصب الوزارة حق
جباية « الجوث » وهو عبارة عن ربع غلة أراضي
الدكن ، وسمح له بأن يزيد على هذه الضريبة
ما يولئى العشر أيضاً : ويطلق على هذه الضريبة
الإضافية « سَردسَمِكِي » . وتابع ولده باجي رآو
(سنة ١٧٢٠ - ١٧٤٠ م) سياسة التوسع ، وعقد
قبل وفاته بعام معاهدة تغلب عليها الصفة التجارية
مع Louis حاكم بومباي (Alchion) ، ثم (١٧٤٠ -
١٧٦١ م) بالحكم إلى ابن عمه سداش رآو الهأو
كما عهد بقيادة جيوشه إلى أخيه راکهَنَات رآو
المشهور باسم رگهويه ، وامتاز حكمه بسرعة ازدياد
سلطة المراطها ، وعانت جنوده في البلاد من
الكرنتك إلى البنجاب حتى لحقت بهم المزعجة
المنكرة عند بانيت (انظر هذه المادة) عام ١٧٦١ م
واستعيج الاتفاق الذي عقد عام ١٧٥٥ م أن حطمت
حملة مؤلفة من الإنكليز والمراطها نقود أنكريا
Angria رئيس القرصان الذي كان يهد بغاراته
المستمرة طريق الملاحة على الساحل الكُنْكَسِي ،
وانتهت هذه الحملة بعد معاهدة مع أيشوا نصت

كان بمارن شوجي ، منشي سلطان المراطها
السيامي في الدكن مجلس من الوزراء يعرف
باسم « أشته پردهن » وكان بيشوا أو « منخبأپردهن »
أحد هؤلاء الوزراء ، ولم يكن منصبه هنا وراثياً ،
وكان شوجي مستبداً بالسلطة ، وشاهد ذلك أن
وزرائه لم يكن يسمح لهم باختيار مساعديهم
« نوابهم » بل كان ذلك موكولا إلى شوجي نفسه ،
وبل شوجي في المرتبة البيشوا : وكان المشرف
على الأمور المدنية والحربية يضع خاتمه على جميع
الرسائل والوثائق الرسمية ، وقلل بكت بيرتينيدي
من سلطان البيشوا في عهد راجرام . ويعتبر بالاجي
فيشنات (سنة ١٧١٤ - ١٧٢٠) أول بيشوا لأنه
هو المؤسس الحقيقي لسلسلة من الحكام أمكنهم
لتربحاً أن يحلوا محل راجات ساتارا في زعامة الحلف
المراطهي . غير أنه قد حكم قبل عهده بالفضل ست
بيشوات هم : شامرج نيلكنث ورؤكسر ، ومروتر مَبَك
بنسكلي ، ونيلكنث مَرشور بنكل ، وپَرشرام
ترمك بيرتينيدي ، وپَرومَرشور بنكلي ،
وبكرشنا فاسدَف .

وكان بالاجي فشنات جَلا (سنة ١٧١٤ -
١٧٢٠ م) مؤسس أسرة البيشوا « چَنپَاوَن » قديراً
أولاً إنه كان برهمنياً كُنْكَسَتَ أَقامه شاهو
(١٧٠٨ - ١٧٤٩ م) كبيراً للوزراء . وزاد
سلطان البيشوا نتيجة للمصاعب التي لحقها شاهو
والقوض السياسية التي سادت مهاراشترا وضعف
راجرات ساتارا المتأخرين .

ولما زال اعتقال بيرتينيدي فادُيا (جگچَپَتراو)

حاول تقوية نفوذ الپيشوا ، وماهادجي سندھيا الذي أراد السيطرة على الپيشوا لكي يتخذ منهم حجاباً يستر مظلله .

وسابع الپيشوا وآخرهم هو باجي رآو الثاني (سنة ١٧٩٦ - ١٨١٨) وقد دب النزاع في سبيل

الحصول على السلطان في پونا بين هولكر Holkar ودولت رآو سندھيا الذي خلف ماھادجي سندھيا عام ١٧٩٤م ، وذلك خلال حكم المركيز ولزلي Wellesley بعد وفاة نانا بھدنجيس عام ١٨٠٠ م . وفر الپيشوا أثناء هذا النضال إلى بسين حيث طلب حاية الإنكليز ، وفي عام ١٨٠٢م نصب ولزلي بمقتضى معاهدة بسين حامياً للپيشوا الذي رضى أن يقبل حامية إضافية ، وسمح للإنكليز أن يتوسلوا في النزاع بينه وبين أمراء الهند الآخرين (Aitchison ج ٦ ، رقم ١٣) . وطبيعي أن هذا لم يرق في عين أعضاء الحلف المراتبي الآخرين . ووقع باجي رآو لسوء الحظ تحت نفوذ حظي له ضعيف الخلق اسمه ترمبكجي ، وهو الذي اشترك في مقتل رسول گيكرار ، وكان هذا الرسول قد دعى إلى پونا بعد أن أمته الإنكليز على حياته . ولما ذكر الحاكم القفستون Elphinstone أن الپيشوا يتآمر على تكوين حلف مراتبي ضد الإنكليز أرغم الپيشوا على إمضاء معاهدة پونا عام ١٨١٧م . وكانت هذه المعاهدة مكملة لمعاهدة بسين التي مذكروها ، بيد أن وعود باجي رآو كانت خيراً على ورق لأنه عندما تقدم اللورد هاستنگز للقضاء على المراتبا نار الپيشوا ونهب مقر الحاكم الإنكليزي . وهزمت

على حرمان التجار المولنديين من الأجبار في أرض المراتبا (Aitchison ، ١ ، رقم ٣) وما إن توفي هذا الپيشوا حتى قامت الفتن التي أضغمت من قوى المراتبا ، وانتقل النفوذ بعد ذلك إلى قواد المراتبا وهم :

سندھيا الجواليپوري ، وجنھله التاكپوري ، وهو لكر الأنلدوري وگيكرار البرودوي . واستعاد المراتبا قروهم مرة أخرى في بلاد الهند الشمالية على يد سندھيا (سنة ١٧٧١) أيام ماھور رآو (سنة ١٧٦١ - ١٧٧٢م) وأصبح شاه عالم إمبراطور للعل الذي تخلى عن الإنكليز العلوية في يد هولاء المراتبا . ثم خلف ماھور رآو أخاه نراين رآو (سنة ١٧٧٢ - ١٧٧٣) ولكنه قتل بتحريض عمه وجھوبه ، وقسم الحلف المراتبي فترة من الزمن إلى قسمين متخاصمين أحدهما حزب وجھوبه للمطالب بتعصب الپيشوا والآخر حزب البلاط بزعامة پھدنجيس ، وكان يؤيد نادھو رآو نراين (سنة ١٧٧٤ - ١٧٩٥) في مطالبته بالعرش . ونادھو هذا هو ابن نراين رآو ، وقد ولد بملوفاة أبيه ، وأدى تعزيز حكومة بومباي لھاواي وجھوبه إلى قيام حرب بين الإنكليز والمراتبا انتهت بقد معاهدة سالباقي عام ١٧٨٢ ، وكان الفضل في إبرامها لوارن هاستنگز Warren Hastings وأقرت هذه المعاهدة استقلال سندھيا ووطنت السلام بين الإنكليز والمراتبا عشرين سنة . وأصبح لتاريخ المراتبا من ذلك الحين عبارة عن نضال قائم بين نانا پھدنجيس (بالاجي جتھر دھن) الذي

؛ V. K. Rajwad (١٣) *Sensodhik Mandal*
 ؛ في ٢٢ مجلدًا *Marathanchya Itchanchi Sadhanan*
 (١٤) *Marathi Riyasat* : G. S. Sardesai
 ثمانية مجلدات (١٥) *Selections from the Pishwas*
 ؛ طبعة G. S. Sardesai في ٤٥ مجلدًا
 (١٦) *The Administration System of the* : S. Sen
Marathas ، سنة ١٩٢٣ -

[كولين دافيز C. Collin Davies]

+ «البيضاء» (أي المدينة أو القلعة البيضاء) :
 اسم مكان عربي متواتر يطلق على أماكن متفرقة
 في جميع أرجاء الأراضي الإسلامية ؛ ويذكر
 الحمداني (صفحة جزيرة العرب) أربعة أماكن
 بهذا الاسم ، وجاء في ياقوت ذكر ستة عشر
 مكاناً مختلفاً معروفة باسم البيضاء ، وأهمها بلدة
 البيضاء الفارسية القائمة في ولاية فارس شمال
 شيراز وغربي إصطخر ، وكان اسمها الأصلي
 نَسَا - وهذه المدينة هي قاعدة إقليم كام فيروز ،
 وكانت في حجمها تعادل حجم إصطخر في القرن
 الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وتكتنفها مراع
 خصيبة . وقد خرج عدة علماء من البيضاء (انظر
 مادة «البيضاوي») ، وقلول بها الحجاج أيضاً .
 أما عن البيضاء في جنوبي جزيرة العرب ، وهي
 قاعدة بيجان الأعلى ، فانظر مادة «بيجان» .

المصادر :

(١) الإصطخرى ، ص ١٢٦ ، ١٩٧ (٢)
 ابن حوقل ؛ ص ١٩٧ (٣) ابن خردادبه ، ص

جيشو البيشوا وقضى على هذا النصب . ومع
 ذلك فقد أجرى على باجي رآو معاش سنوي وسمح
 له بالإقامة في بهور ، وبها توفي عام ١٨٥١ م .
 واختفى نانا صاحب الذي كان قد تبناه باجي عام
 ١٨٥٨ م .

المصادر :

Treaties, engagements & : C.U. Aitchison (١)
Sanads etc. ، ج ٦ ، سنة ١٩٠٩ (٢) Cambridge
Hist. of India ، ج ٥ ، فصل ١٤ ، ٢٢ ، ٢٣
Life of Mountstuart : T. E. Colchbrooke (٣)
Elphinstons ، في مجلدين ، سنة ١٨٨٤ (٤)
Report on the Territories : M. Elphinstone
Conquered from the Pishwas ، سنة ١٨٣٨ (٥)
Selections from the letters : W. G. Forrest
Preserved in the Bombay Secretariat ، سلسلة
 كتب المراطها ، سنة ١٨٨٥ ، *Homa Series* سنة
 ١٨٨٧ (٦) J. H. Cense & D. R. Banerji :
The Third English Embassy to Poona ، سنة ١٩٣٤
A History of the : J. G. Grant Duff (٧)
Mahrattas في مجلدين ، سنة ١٩٢١ (٨)
Atifharik Lekha Sangraha : V.V. Khar
 في اثني عشر مجلدًا (٩) A. Macdonald
Memoir of the : A. Macdonald
Life of the Late Nana Farnuwas ، سنة ١٧٥١
 (١٠) Lord Hastings & the : M. S. Mehta
Indian States ، سنة ١٩٣٠ (١١) D.B. Parasnis
Itihās Sangraha ، في سبعة مجلدات (١٢)
Publications of the Bharat Itihās

المعلومات في أسلوب مقتضب للإسهاب فيه وإن كان لم يتحرر اللغة أولم لإماماً تاماً بفروع العلم التي اشتغل بها وهي التفسير التاريخي وتصنيف المعاجم والنحو واللهجات والقراءات المختلفة (انظر *Gesch. d. Qyran* : Noeldke ص ٢٩ ، الطبعة الأولى : Beidhawil : *Commentarius in* : *Coranum* ، باريس ، درسدن ، ليسك ، طبعة فليشر *Fleischer* ، ليسك عام ١٨٤٦ - ١٨٤٨ في مجلدين ، *Indici ad Beidhawil Commentarium* ، *in* *Coranum* ، طبعة فيناند فل *Winand Fell* ، ليسك سنة ١٨٧٨ ، *D. S. Margoliouth* ، *Chrestomathia Baldawiana* ، لندن سنة ١٨٩٤) .
وطبع تفسير البيضاوى عدة مرات في الشرق :
بولاق سنة ١٢٨٢ - ١٢٨٣ هـ ، إستانبول سنة ١٢٨٥ ، ١٣٠٥ (طبعة حجرية) ١٣١٤ هـ ، القاهرة سنة ١٣١٣ هـ (طبعة حجرية) ١٣٢٠ - ١٣٢١ هـ ، وطبع في فارس طبعة حجرية في سنة ١٢٨٣ هـ ، لكنوز سنة ١٨٦٩ ، ١٨٧٣ ، بومباي سنة ١٨٦٩ . ونذكر من الحواشي الكثيرة التي كتبت على هذا التفسير وتم طبعها حاشية ابن التيجيد حوالى سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) إستانبول سنة ١٨٢٧ في سبعة مجلدات . وحاشية محمد بن مصطفى القوجوى شيخ زاده المتوفى سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) ، إستانبول سنة ١٢٨٣ هـ في أربعة مجلدات ، وحاشية عبد الحاكم السيلكونى المتوفى عقب سنة ١٠٦٠ هـ (١٦٢٦ م) إستانبول سنة ١٢٧١ هـ ، وحاشية الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ (١٦٥٨ م) ،

٤٦ (٤) المقدسى ، ص ٢٤ ، ٤٣٢ (٥) ياقوت ج ١ ، ص ٧٩١ (المشترك ، ص ٧٧) (٦) *Le Strange* ، ص ٢٨٠ (٧) *H. von Wiss-* *Beitrage Zur hist. Geogr. : mann & Hoefner* *des vorislamischen Suedarabien* ص ١٤ ، ٧٣ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٦ .

عرويه [*O. Loefgren*]

«البيضاوى» عبد الله بن عمر : أحسن فسر القرآن وابن قاضي قضاة فارس في عهد الأتابك أبي بكر بن سعد (٦١٣ - ٦٥٨ - ١٢٢٦ م) . ولى القضاء في شيراز ثم استقر آخر الأمر في تبريز حيث توفى كما يقول الصفدى عام ٦٨٥ هـ (١٢٨٢ م) . ويلعب السبكى إلى أنه توفى عام ٦٩١ هـ الموافق ١٢٩١ م (السيوطى : بقية الرواة) غير أنه ليس من المحتمل أن تكون وفاته قد تأخرت حتى عام ٧١٦ هـ الموافق ١٣١٦ م (انظر *Rieu* : ملحق المخطوطات العربية في المتحف البريطانى ، ص ١١٦) .

وأهم تصانيف البيضاوى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» وهو تفسير للقرآن اعتمد فيه على تفسير الرغزنى المعروف به «الكشاف» ولكنه توسع كثيراً في التفسير مستعيناً في ذلك بمصادر أخرى . ويعتبر أهل السنة تفسير البيضاوى أحسن التفسيرات جيناً . وله في أنفسهم مكانة عظيمة . ويعتاز البيضاوى في مصنفاته بتركيز الكثير من

قد طبع هذا المخطوط ونسب خطأ لليضاوى
Historia Sinensis persiae : Abdallae Beidavaci
geminio manuscripto ed. lat. quoque reddita ab
André Mullero Gröfenhagio ، يانه سنة ١٦٨٩ .

المصادر :

- (١) السبكي : طبقات الشافعية ، القاهرة ١٣٢٤ ، ج ٥ ، ص ١٩ (٢) السيوطى : بغية الرواة ، القاهرة ١٣٢٠ ، ص ٢٨٦ (٣) خواندمير : حبيب السيرة ، برمباى ١٨٥٧ ، ج ٣ ، ص ٧٧ (٤) *History of India : Elliot* ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ وما بعدها (٥) *Gesch. der Arab.* : Brockelmann *Litt.* ، ج ١ ، ص ٤١٦ .

[O. Brockelmann]

+ اليضاوى ، عبد الله بن عمر بن علي أبو الخير ناصر الدين : ينسب اليضاوى للمذهب الشافعى ، وقد تولى منصب قاضى القضاة في شيراز ، واشتهر بسمه العلم وكتفى عدة موضوعات منها تفسير القرآن ، والفقه ، والأصول ، والكلام ، والتجو ، وأكاديه ليست بعامة مبتكرة ، وإنما هي تعتمد على كتب غيره . وعرف اليضاوى بالاختصار في تناوله موضوعاته ، على أن كتبه يؤخذ عليها من ثم الانتصار إلى إتمام ، ويؤخذ عليه عدم الدقة ، وأهم كتبه تفسيره للقرآن المعروف باسم « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » وهو بعامة تركيز وتعديل للكشاف للزعرى . وهذا الكتاب الذى يفصح عن علم واسع ، تشويه أوله معترلة حاول

بولاق سنة ١٢٧٨٣ في ثمانية مجلدات ، وحاشية إسماعيل بن محمد القونوى المتوفى سنة ١١٩٥ (١٧٨١م) على هامش حاشية ابن التيجيد .

وصنف اليضاوى ، علاوة على عدة رسائل صغيرة في النحو والفقه ، كتاب « مناج الوصول إلى علم الأصول » وشرح هذا الكتاب عبد الرحمن ابن حسن الإسنى المتوفى سنة ٥٧٧٢ (١٣٧٠م) وطبع هذا الشرح في بولاق سنة ١٣١٦ هـ على هامش كتاب « التقرير والتحخير » لمولاه ابن أمير الحاج .

وكثيراً ما يرجع إلى كتابه في الإلهيات المسمى « طوابع الأنوار من مطالع الأنظار » وقد شرح هذا الكتاب محمود بن عبد الرحمن الإصفهاني المتوفى سنة ٥٧٤٩ (١٣٤٨م) ، وطبع هذا الشرح بالقاهرة سنة ١٢٢٣ هـ مع حواشى الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ (١٤١٣م) . وطبعت هذه الحواشى بمفردها في إستانبول سنة ١٣٠٥ هـ . وكتب اليضاوى أيضاً تاريخاً للعالم باللغة الفارسية من عهد آدم حتى سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥م) واسم هذا المصنف « نظام التواريخ » (انظر Notices et Extraits : de Sacy) ج ٤ ، ص ٦٦١ - ٦٧٣ ، Brit. Mus. ج ٢ ، ص ١٧٢ ؛

وهناك مخطوط محفوظ بين المخطوطات الشرقية بمابورج تحت رقم ١٨٧ (Katalog der orient. HSS.) der Stadt-Bibliothek zu Hamburg mit ausschlass der Hebr. ج ١) تضمن بعد بدايته تاريخ الصين للأخوذ من كتاب تاريخ العالم لرشيد الدين . وللفلك

الأخرى إلى انتهت إليها مطبوعة أو مخطوطة كتاب «مناهج الوصول إلى علم الأصول» ، وكتاب «الغاية القصوى» (وهو رسالة في الفقه) ، وكتاب «لُبُّ الألباب في علم الإعراب» (في النحو) ، وكتاب «مصباح الأرواح» ، و«طوابع الأنوار من مطالع الأنظار» (في علم الكلام) ، وقد كتب اليضاوى أيضاً كتاباً بالفارسية هو «نظام التواريخ» (نشره مع تعليقات باللغة الهندستانية سيد منصور ، حيدر آباد سنة ١٩٣٠) وهو يتناول تاريخ العالم حتى سنة ١٢٨٥هـ (١٢٨٦م) ويقول السيوطي إن اليضاوى توفى سنة ١٢٨٥هـ (١٢٨٦م) نقلاً عن الصفيى، ويروى أن السبكي ذكر سنة ١٢٩١هـ (١٢٩٢م)، ولكن السبكي لم يذكر تاريخاً في طبقاته : ويذكر اليافى سنة ١٢٩٢هـ (١٢٩٣م) ، وينقل رواية تقول إنه توفى سنة ١٢٧٦هـ الموافق ١٣١٦م (Rieu : *Suppl. to the Cat. of the Arab. MSS in the British Museum* ، ص ٦٨) .

المصادر :

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة سنة ١٣٢٤هـ ، ج ٥ ، ص ٥٩ (٢) السيوطي : بنية الوعاة ، القاهرة سنة ١٣٢٠هـ ، ص ٢٨٦ (٣) اليافى : مرآة الجنان ، حيدرآباد سنة ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ (٤) Brockelmann ، ج ١ ، ص ٥٣٠ وما بعدها ، قسم ١ ، ص ٧٣٨ وما بعدها (٥) معجم مركيس ، القاهرة سنة ١٩٢٨ - ١٩٣٠ ، ص ٦١٦ وما بعدها (٦) *Christomata Baidawiana* : Margoliouth ، لندن

اليضاوى أن يصوبها ، فحينما يقفدها وحينما يحلها . ولكنه كان في بعض الأحيان يبي عليها وربما كان غير مدرك كل الإدراك مغزاها . ولم يزعم اليضاوى في مقدمته أنه يخرج كتاباً مبتكراً ، وهو يقول إنه طالما رغب في إخراج كتاب يضم خبر ما عرفه من أئمة الصحابة وأبيات التابعين ، وأهل التقى في الزمن الأول اللذين هم دون أولئك مرتبة . وكان اليضاوى يروم أيضاً أن يضمّن كتابه إشارات هي ثمرة أبحاث أسلافه . وكتابه يحوى أيضاً حل بعض قراءات «للأئمة الخاتمة الأعلام» (ذلك أن اليضاوى يضيف يعقوب البصري إلى اقراء السبعة المشهورين) كما يحوى أيضاً حل القراءات الخاصة لواحد أو آخر من القراء المعروف بهم . وكان ثمرة ذلك كتاباً فاع صيته كثيراً ، وطبع من ثم عدة طبعات . وكتب على الكتاب بأمره - أو على أجزاء منه - عدة حواش ، وقد أحصى بروكلمان ٨٣ منها ، ثم ذكر كتابين لفنا النظر إلى المواضع التي صجر اليضاوى عن أن يزيل منها آراء الرغشري المتزفلة ، ونذكر من طبعات تفسر اليضاوى الكثيرة الطبعة التي قام بها فليشر H.O. Meisner (ليبسك سنة ١٨٤٦ - ١٨٤٨ ، في مجلدين ، وقد أعد فهارساً لها W. Fell ، ليبسك سنة ١٨٧٨) ، وطبعة القاهرة ، سنة ١٣٣٠هـ ، في أربعة أجزاء يضمها مجلدان ، وعليها شرح الخطيب الكازروني ، وقد قوت على طلبة السنة السادسة بالأزهر . وذكر بروكلمان وسركيس الطبقات الأخرى . ومن كتب اليضاوى

لسان العرب ، ج ٥ ، ص ١٥٦ (٦) S. Fraenkel :
Die aramaischen Fremdwörter ، ص ٢٦٥ .

وأقدم مصنف عربي كتب عن الخيل هو كتاب
يعقوب بن أئى حزام المتوفى عام ٢٨٩ هـ الموافق
٩٠٢ م ، وهذا المصنف مازال مخطوطاً (كتاب
القرومية وشيات الخيل ، المحفوظ في المتحف
البريطاني تحت رقم ١٣٥٥ ، وكتاب البيطرة
المحفوظ بالمتحف البريطاني تحت رقم ٨١٣ ، وبالمكتبة
الأهلية بباريس تحت رقمى ٢٨١٥ و٢٨٢٣) .

[هيل J. Hell]

« بيع » : ومعناها عقد البيع ، أو بيع البضاعة
بال نقد ، وتطلق كتب الفقه على بعض المعاملات
الشرعية الأخرى التي تقوم على تبادل الأشياء
عبارة «أنواع البيع» (انظر كشاف اصطلاحات
الفنون ، ج ١ ، ص ١٣٧ ، ص ١٤ - ١٦ ،
النوى : مناج الطالبين ، طبعة فان دن بيرغ
Van den Berg ، ج ١ ، ص ٣٦٩) .

والمعاملات الشرعية التي من هذا القبيل هي :
بيع العين بالعين ويسمى مقايضة ، وبيع النقد
بالنقد ويسمى صرفاً ، وبيع السكف أو السلم
ومقتضاه يشترى المشتري شيئاً لم يقدره بنفسه وإنما
وصف له وصفاً دقيقاً ويلقب عنه عاجلاً ، ثم صلح
للمعاوضة وهو اتفاق يأخذ الدائن بمقتضاه شيئاً آخر
بدلاً عن حقه .

سنة ١٨٩٤ (٧) Geschichte des : Th. Noeldke
، الطبعة الثانية ، ليسك سنة ١٩٠٩-١٩٢٨ ،
ج ٢ ، ص ١٧٦ ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ .

مورشد [روبسون J. Robson]

« بيطار » ، ويقال أيضاً بـبـيـطـرو بـيـطـر :
لفظ مأخوذ من اليونانية إبيداتروس ومعناه حنّاد
أوجراح حيوان . وعلى الرغم من أن الأعراب
كالموا على دواية يعلم البيطرة بحكم دروسهم وتجاربهم
في الرعى وتربية الحيوان فإن البيطرة الجوالين
الذين ترحلوا إلى بلاد العرب من الإمبراطورية
البيزنطية ومن الشام - كما نسقبن من اشتقاق
هذا اللفظ - كان لهم مقام ملحوظ عند هؤلاء
الأعراب ، وكان هؤلاء البيطرة - كسجائر النبلد
الجوالين - يشربون خيماهم في الأسواق العظيمة
مثل عكاظ وذي المجاز وغيرها ، ويزاولون
صناعتهم التي تقوم في الغالب على القصد والتضميد .
ويلوح أن البيطار كان يستخدم فنه في تطيب
الإنسان أيضاً ، وشاهد ذلك أن القداى من
شعراء العرب استعملوا كلمة يطار بمعنى طبيب ،

المصادر :

- (١) الجواليقي : إلحزب ، طبعة مسخو ،
ص ١٥ (٢) الأب أنستاس : البيطرة عند الأعراب
في مجلة المشرق ، ج ١ ، عام ١٨٩٨ (٣) ديوان
التابعة ، طبعة آوارت ، ص ١٥٥ ، (٤) الأصمعيات ،
طبعة آلوارت ، ص ٨٣ ، (٥) الطيرساح في

وغير ذلك . ولا شك أنه في مقادير أي شخص أن ينقل ملكيته لثل هذه الأشياء إلى شخص آخر . ولكن هذه المعاملات لا تسمى في كتب الفقه بيعاً ، وإنما جرى العرف بأن يعبر عنها باصطلاحات أخرى مثل «سحب بده» عن شيء ما ، وتخلي عن حقه في شيء ، وتخلص من شيء . أما الاستحواز على شيء فيفسى في هذه الحالات «استيلاء» كما يسمى تسليم شيء «تسكيناً» .

وتسليم الشيء المباع ودفع ثمنه لا يكفيان في نظر الشرع . لأن البيع يتطلب شرعاً إيجاباً من البائع وقبولاً من المشتري . ويرى بعض الفقهاء أن بيع الأشياء الضئيلة القيمة يصبح دون التقيد بهذه الإجراءات . وفي الحديث أن النبي حرم لإبرام عقد البيع بالملاسة أو المتأبلة (انظر صحيح البخاري: كتاب البيوع الباب ٦٢ ، ٦٣) .

وللبائع والمشتري حق فسخ البيع إذا جهرا بملك طالما أنهما لم يبرحا مكان العقد ، (انظر فيما يخص بذلك نيار المجلس : Sachau : *Muhamm. Recht* ، ص ٢٨٦ وما بعدها) .

المصادر :

نذكر إلى جانب التفصيل عن البيع في كتب الحديث المختلفة وكتب الفقه ما يلي :

(١) *De contractis* : L.W.G. van den Berg

ado et dero jure Mohammadano وهي رسالة قلعت

إلى جامعة لندن للحصول على الدكتوراه سنة ١٨٩٨ (٢)

للكاتب نفسه : *over het contract al-Bai in het*

وهناك أيضاً بيع بشرط فيه شخص أن يكون له حق ارتفاق . ويعبر مثل هذا العقد في نظر الشرع شراء لحق استعمال الشيء . فيصبح للمشتري مثلاً الحق في أن يمر بأرض الغير (حق المرور) أو في أن يشيد بناء على هذه الأرض (حق البناء) أو في أن يستعمل حائط جاره لتدعيم بنائه الخ . ومن جهة أخرى لا يعتبر جل الفقهاء الإيجار والعارية بيعاً ، لأن المستأجر في الحالة الأولى لا يحفظ بحق الانتفاع إلا مدة معينة ، كما أن رد المبلغ المقرض في الحالة الثانية لا يمكن أن يكون مطابقاً للتقابل فيما بين التزامات التبادل الموجود في عقود البيع (انظر الباجوري في مسهل الفصل الذي عقده عن البيع : *Muhamm. Recht* : Sachau ، ص ٢٧٥) .

وفضلاً عن ذلك فإن الفقهاء ألفوا التمييز بين ثلاثة أنواع من البيع هي المراجعة والمواذعة والتولية وبمقتضاها يتفق المشتري على أن يطلع في الشيء ثمناً أعلى من الثمن الذي اشتراه به البائع أو أقل منه أو مماثله (انظر صحيفة عقد التولية في *Supplém. aux diction. arabes* : Dony ، ج ٢ ، ص ٨٤٣ ، عمود ١) .

وقد أحل القرآن البيع (سورة البقرة آية ٢٧٦) وحرم الربا (انظر مادة «ربا») . ولا يكون البيع صحيحاً إلا إذا كان بريئاً مما نهى عنه الشرع ويعود على المسلم ببيع مشروع . وعلى هذا فلا يخل الشرع بين الكلاب والخنازير والبراز والألات الموسيقية المحرمة والأعشاب التي تصنع منها الخمر

والمصدر «بيع» ، كما اصطُح على استعمال كلمة «إنتاج» أو «اشتري» للدلالة على الشراء ، وكثيراً ما استعملت كلمة «شري» للدلالة على معاملة مربحة ، وكلمة «اشتري» للدلالة على معاملة غير مربحة (وفلك على سبيل المجاز) في القرآن الكريم ، وهذا الاستعمال يطابق كلتي كسب واكتسب (انظر Schacht في *Studia Islamica* ، ص ٣٠ وما بعدها) . وليس من شك في أن القانون التجاري بمكة أيام الجاهلية قد بلغ مستوى على قدر من التقدم ، فالجارة التي كانت للمدينة تعتمد عليها فحسب في معاشها احتلت هناك مكان الصدارة ، حتى إن القرآن الكريم لم يكثر من الإشارة إليها في كثير من الأحيان فحسب بل أورد عدداً من المصطلحات المتصلة في التجارة لتعبر عن أفكار دينية ، (ويبقى) من جهة أخرى ، علم المبالغة في تقدير أهمية التجارة المكية بألفاظ مطلقة؛ انظر G. H. Bousquet في *Harb* ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٢٣٣ وما بعدها ، ص ٢٣٨ وما بعدها) . ومن الميسور أن نرد إلى تلك المجموعة التي كانت تولف القانون التجاري الجاهلي ، حقوق الرها التي حرمت بنص القرآن الكريم ، وبعض المعاملات التي انتظمت النسبة والمضاربة ، وربما غير المجلس، الذي يبدو أنه يرجع إلى عرف محلي في مكة (انظر *Origins: Schacht* ، ص ١٥٩ وما بعدها) ، وقشر جميع الظواهر إلى أن ركن العقد الشرعي، والإيجاب والقبول ، هما جزء من مصطلحات الشريعة الإسلامية ، أو ربما بعض أحكامها ، إنما تعود إلى

Bijdragen tot de Taal- land-en in Mohamm. recht ، *volksk. v. N.-Indie* ، ص ١٠٩-٢٠٤ ، انظر المعلومات التي ذكرها Veth في *Tijdschr. v. N.-Indie* ، ص ٣٧١-٣٨٦ (٣) الكتاب سنة ١٨٩٩ ج ١ ، نفسه : *De beginselen van het Mohamm. recht* ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٨٨٣ ، ص ٨٨-١٠١ ، وانظر Snouck Hurgronje في *Ind. Gids* ، سنة ١٨٨٤ ، ج ١ ، ص ٧٤٨-٧٥٥ (٤) *Muhamm.: E. Sachau* ، *Recht nach schafitischen Lehr* ، برلين سنة ١٨٩٧ ، ص ٢٦٥-٣١٥ (٥) *Th. W. Juynboll* ، *Handbuch des Islamischen Gesetzes* ، ليدن سنة ١٩١٩ ، ص ٢٦٤-٢٦٦ (٦) *A. Sprenger* ، *A dictionary of the technical terms used in the sciences of the Muslims* ، كلكتة سنة ١٨٦٢ ، ج ١ ، ص ١٣٦-١٣٨ : [جوينبول *Th. W. Juynboll*]

+ بيع (كلمة عربية) : يستعمل في اللغة العربية مصدران للدلالة على عقد البيع هما : يَبِعُ وشَرَى ، وصيغة التثاني من الأضداد ، فهي لا تعني عادة «باع» فحسب ، وإنما تعني أيضاً «شري» ، أما «اشتري» فتعني «الشراء» لا غير ، ويشترك هذان المصدران مع عدد من المصطلحات الشرعية القديمة في التعبير عن إبرادة طرفين في علاقة متبادلة . وتعني كلمة بيع في الأصل صفق البعدين عند إبرام اتفاق ، وربما كانت كلمة شري تعني حركة السوق التي لاها : وقد اصطُح في الشريعة الإسلامية على استعمال كلمة «باع» في عقد البيع ،

البيع إنما هو ملك البائع ، فالم يشترط خلاف ذلك ، وتحريم بيع شيء غير معين بالضبط (في حالة بيع ثمار ناضجة على شجرة الخ . فإن مجموعة الأحاديث الأساسية بكتبتها التقدير) ؛ وتحريم إعادة بيع المأكولات أو السلع بصفة عامة قبل حيازتها (وهذا نتيجة لتحريم الربا) أو بصفة عامة بيع الأشياء التي لم تصبح ملكاً للبائع ، واستبعاد أشياء معينة من دائرة التعامل ، وهي أشياء تعد بحكم الشريعة نجسة أو محرمة ، وكذلك الأشياء التي تعد ملكية شائعة مثل فاقص الماء ، وأخيراً الحكم الخاص للشعب عن القاعدة العامة ، في حالة بائع دابة حلوب ، لا يحلها قبل البيع ، ليوثر للمشتري بأنها تدبر لبناً أكثره وقد كثر الجدل في الماضي حول ما إذا كانت المعاملات في الشريعة الإسلامية قد تأثرت بالقوانين والحياة الاقتصادية للشعوب التي أُنشئت في الدولة الإسلامية ، ونستطيع الآن أن نرد على هذا التساؤل بالإيجاب (انظر Schach في « *Folkens XII Consenso* » رومة ، سنة ١٩٥٧ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، والمصادر المذكورة هناك)

وعقد البيع هو لب الالتزامات في الشريعة الإسلامية ، وقد طوأت لشكالك بأحق التفاصيل فيما يتصل بعقد البيع وغيره من عقود المعاوضة أو العقود الثنائية ، مثل الإجارة والكره (*U. rei, locatio conductio operarium*) ، بل إن عقود النكاح ، وإن كانت تعد نظاماً شرعياً من نوع خاص ولا يهبط إلى مستوى عقود البيع ، فإنها تفسر على غرار البيع ، وقد تعرف أحياناً بأنها أشكال

هذا التكوين الجاهل ، إذ يبدو أن مصطلح « إيجاب » نفسه يدل على صياغة أخرى للعقد ملزمة لجانب واحد (انظر *Orientalische Literaturzeitung: Schach*) في سنة ١٩٢٧ ، ص ٦٦٤ وما بعدها . ويضع القرآن الكريم القانون التجاري في اعتباره مباشرة في آيات الرضيب والرهيب ، لتأكيد أهمية الاتفاقات وإبرامها ، وذلك في الأمر بكتابة الديون إلى أجل مسمى (سورة البقرة آية ٢٨٢ وما بعدها ، وقد جرد هذا الأمر في الشريعة الإسلامية من صفته الملزمة) ، وفوق كل شيء التحريمين الواردين بشأن الربا ، والمبسر الذي يتطوى أليها على معاملات القرض (سورة البقرة ، آية ٢١٩ وآية ٢٧٥ وما بعدها) سورة الثالثة ، آية ٩٠ وما بعدها) ، وعلى التقيض من موقف الماصرين فإن البيع ، أي التجارة المشروعة ، يتعارض تماماً مع الربا ، وقد استفرغ ما تتضمنه أحكام هذه المحرمات في الشريعة الإسلامية إلى أقصى حده ؛ ويضم الحديث الشريف عدداً من المبادئ الخاصة بالتجارة ، بصفة عامة ، وما ينبغي أن يتمسك به التاجر الفالح ، والمقاب المستطر للتاجر الطالح (انظر مادة « تجارة ») ، وهو يشرح أيضاً تعاليم القرآن الكريم . ونذكر الأحكام الآتية ، وهي تظهر الآن لأول مرة : الاعتراف بحق الخيار غير المشروط وأثناء المساومة ، بشروط معينة ، إما أن يتفق عليها ، أو عموماً الشريعة بعد إبرام الاتفاق ؛ والقاعدة الشرعية التي تقول إن الخراج بالضمان ؛ والقاعدة التي تنص على أن الإنتاج للوجود وقت

ولكنه بعد فاسداً (انظر هذه المادة) فحسب في بعض الأحوال ، ويستعمل هذا المصطلح في المذاهب الأخرى مرادفاً لمصطلح باطل ، والبيع الفاسد لا يشرع إلا ملكاً حقيقياً ، وهو عرضة الفسخ إلى أن يعاد بيع الشيء ، حتى لو كان الطرفان قد وضعا اليد على المال : والشرط الذي يكون لصالح أحد الطرفين أو ضده غير صحيح ، ويجعل العقد فاسداً . ولا يجوز الاتفاق المشروط أو المأمول في هذا العقد . ويعد الشخص أهلاً لإبرام عقد بيع إذا كان حراً بالغاً عاقلاً ، وكذلك القاصر إذاذن من الوصي عليه ، والعبد إذاذن من مولاه ، ويستطيع المولى أن ينزل عبده سلطة إبرام عقد بيع فرعى أو أن يأذن له بالأشتغال بالتجارة بصفة عامة (ويسمى مثل هذا العبد المأذون) ، والوكالة جائزة ، والوكيل في هذه الحالة يعد طرفاً أصلياً في العقد بالنسبة للحقوق والالتزامات ، ولكن حتى الملكية ينتقل للموكل الأصل مباشرة ، وبشرك عقد البيع مع المقود الأخرى في أنه يتم بإيجاب وقبول ، ويجب أن يطابق كل منهما الآخر بالضبط ، وأن يتم ذلك في المجلس نفسه ، وإلى العصر الجاهلي يرجع إطلاق مصطلح صفقة على الاتمام من المساومة ، ولكن الشريعة الإسلامية لا تحفل بهذه الدلالة الرمزية ، وينتقل الملك عن طريق إبرام البيع ولكنه لا يتم إلا بالتسليم والقبض ، التي يستغنى عنه في حالة عقار حقيقي ، ومن جهة أخرى فإن وجود حتى اختيار أو خيار (انظر هذه المادة) يمنع نقل الملك حتى لو تم القبض ، وفي حالة الاستحقاق يكون البائع

من البيع ؟ والبيع ، معناه الضيق ، مادلة السلع أو المال ، ومن ثم فإنه يتضمن إلى جانب البيع ، بمعنى الكلمة ، المقايضة والصرف . وفيها يلي سرد موجز للنصوص الأساسية في الشريعة الإسلامية الخاصة طبقاً للمذهب الحنفى .

إن موضوع البيع يجب أن يكون سلعة أو مالا ، كما حددتهما الشريعة الإسلامية ، ويصم هذا المال حقوق الارتفاق على عقار عيني ولكنه يستبعد :

١ - الأشياء التي تخرج تماماً من دائرة التجارة المشروعة ، مثل الميتة والدم .

٢ - الأشياء التي لا يوجد لها مالك ، مثل الوقت (انظر هذه المادة) أو التي تعد مالا عاماً ، أو من المال العام إلخ ، والتي لا يوجد لها مالك خاص متعين .

٣ - الأرقاء الذين تكون ملكية رقابهم مقبلة وبخاصة أم الولد (انظر هذه المادة) .

٤ - الأشياء التي توجد قيود على التصرف فيها ، مثل الأشياء التي تعد نجسة بحكم الشرع كالخمر والخنزير والمال غير المتقوم .

٥ - الأشياء التي ليست في الحياة بالفعل ، مثل الأشياء المفقودة أو المنتصبة والعبد الآتقين ، وهنا لا يجوز التصرف في المال ، لتجنب المخاطرة ، والبيع الذي يتم بالنسبة لمال من هذا النوع غير صحيح أو غير جائز . ومهما يكن من أمر فإن الحنفية يقولون إن مثل هذا البيع ليس بالضرورة باطلاً كما هو الحكم في المذاهب ١ و ٢ و ٣ ،

وامم بيع العينة يقبح ذريعة لتجنب ربا محرم تتلوى عليه هذه المعاملة . ومن الصعب تمييز المقايضة من البيع بوجه عام، ولكن مبادلة مال بمال والتعامل في المادان الثمينة بصفة عامة يلقى حراسة مفصلة بسبب تحريم الربا ، وتعد هذه المعاملات بيع ثمن بثمن (انظر مادة «صرف») .

ولم تكن هذه القواعد النظرية من الشريعة الإسلامية تحكم الاشتغال بالتجارة في العصور الوسطى الإسلامية وإنما كان يحكمه عرف تجارى، دعت إليه مقتضيات الحياة التجارية العادية في المدن الإسلامية الكبرى ، ثم صاغه بإحكام المستشارون القانونيون للتجار ، وهم متخصصون متضلعون في الشريعة الإسلامية . ولم يقف هذا العرف موقف المعارضة المباشرة من الشريعة الإسلامية ، بل إنه - على النقيض من ذلك - قد حافظ على معاملها الرئيسية ، مثل تحريم الربا الذى لم يكن ثمة جراءة على تحديه ، على أية حال ، بل عمل على تجنبه ، كما تجنب أيضاً معظم أحكامها الدقيقة الصارمة ، وهو يمتاز بمرونة أكثر ، مع تحقيق ضمانات فعالة للمعاملة العادلة ، وهى التى أصبحت ضرورية بسبب الانقراض إلى إجازة رسمية . وهناك مصدر فريد لمعرفة هذا العرف التجارى في العراق حوالى عام ٤٠٠ هـ (١٠٠٠ م) هو ملخص لكتاب الحبل والخارج ، الذى ينسب زوراً للخفاف (طبعة شاخت Schacht ، هانوفر سنة ١٩٢٣ ، انظر أيضاً الكاتب نفسه في ZH ، سنة ١٩٢٦ ، ص ٢١٨ وما بعدها ، المصدر المذكور ، سنة ١٩٣٥ ،

مستولاً عن أى عيب في الملك بقدر الثمن المدفوع ، وهذا ما يسمى بالمثولية عن الدركة أو التبعة . أما فيما يخص بتحريم الربا فانظر مادة «ربا» : ويتضمن تحريم الفرر أن التزامات الطرفين لا بد أن تكون معلومة ، وبخاصة فيما يتعلق بموضوع البيع والتمن والشرط أو الشروط . والأمر الأول قاطع في حالة المال الذى يسرى عليه تحريم الربا ، وبذلك لا يجوز هنا الجزاف ، حتى لو تضمن على ثمن الوحدة . وثمة تحريم ثالث ، كانت له نتائج بعيدة المدى ، وهو تحريم بيع دين بدين آخر أو مبادلة دين بدين : ولما كان الثمن يتألف من أشياء غير معينة بالذات (من الذهب أو الفضة عادة) يبيها المال المباع هو شيء معين بالذات ، فإن القواعد التى تطبق عليهما غير متماثلة ، فعلا يجوز للبائع أن يصرف في الثمن (غير المدين بالذات) حتى قبل القبض . والواقع أن هناك فعلا شكلا من أشكال الشراء ، ولو أنه في رأى المشرعين المسلمين عقد من نوع خاص ، وذلك هو السلف (انظر هذه المادة) أو السلم ، وهو الأمر بتسلم مال قبا بعد ، مقابل ثمن يدفع في الحال ، ومصطلح رأخال الذى يستعمل هنا بلامن الثمن يبين المعنى الاقتصادى للمعاملة ، وهو تمويل العملاء لحركة تاجر صغير أو صانع حرفى . واقضى قرب السلم من موضوع تحريم الربا أن بلغت عتاية في تناول السلم وأصبح تبعاً لذلك يخضع لعدة قواعد خاصة : أما لتقابل له وهو السداد المؤجل لمال سلم فوراً فجائز ، ولكن هذا الشكل من البيع أقل شأنًا من الأشكال الأخرى المعروفة في الشريعة الإسلامية ،

طبعة شاخت J. Schächt ، ص ١٠٠ ، ٤٧
وما بعدها، ص ٦٠ وما بعدها، وص ٦٩ وما بعدها
(١٠) *Instituzioni* : Santillana ، ص ٢ ، ص
١١٢ وما بعدها (١١) O. Pesle : *La vente dans la*
doctrins Maliki ، الرباط سنة ١٩٤٠ (١٢)
Les conditions générales de la vente : Ch. Cardahi
en droit comparé occidental et oriental ، في
Annales de l'Ecole de Droit de Beyrouth سنة ١٩٤٥
(١٣) *Introduction* : L. Milliot ، ص ٦٤٨ وما بعدها
وانظر أيضاً مادة « عقد » .

د. برس [شاخت J. Schächt]

« البيعة » : ومعناها الصحيح المصنعة على
إيجاب البيع (لسان العرب، ج ٩، ص ٣٧) ومن ثم
جاء معناها بين الولاء يقسم بين يدي الخليفة عند
ولايته ، وهذه الشبهة عبارة عن وضع اليد في يد
الأمير المبسوطة دلالة على الخضوع ، وقد أعطانا
عمر صبيحة البيعة يوم السقيفة وهي « نقلت : أبسط
يلك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته » وهذا الفعل
رمز تقليد السلطة (ابن خلدون : المقدمة ، ج ١ ،
ص ١٧١) .

والبيعة عند النوروز تنقل على العين أو العهد
التي يرتبط به من يعتق معتقداً لهم . وقد خلط
ضالقوم هذه الكلمة بكلمة بيعة أي كنيسة النصارى
ورتبوا على هذا نتائج خاطئة .

ص ٢١٨ وما بعدها ، *R. Afr.* ، سنة ١٩٥٢ ،
ص ٢٣٢ وما بعدها . وحديث تطورات مائة
مستقلة برأسها في بلاد المغرب من حد (انظر
Le contrat de Safqa au Maroc : O. Pesle
الرباط سنة ١٩٣٢ ، J. Berque : *Essai sur la*
méthode juridique maghrébina ، الرباط سنة ١٩٤٤ ،
وأبحاث عديدة) . ولقد أثر هذا العرف التجاري
الإسلامي بلسوره في القانون التجاري لأوروبا في
بواكير المصور الوسطى .

المصادر :

(١) الهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ،
كلكتة سنة ١٨٥٤ وما بعدها ، انظر « بيع » (٧)
The Commercial Theological Terms : C. C. Torrey
in the Koran ، لندن سنة ١٨٩٢ (٣) Wensinck :
Handbook ، انظر مادة Barter (٤) F. Peltier
(ترجمة) : *Le Livre des ventes du Mouwatta de Malik*
ben Anas ، الجزائر ١٩١١ (٥) I. Dimitroff ، في
Mitteilungen des Seminars fuer Orientalische
Sprachen, Africainische Studien عدد ٢ ، سنة
١٩٠٨ ، ص ٩٩ وما بعدها (٦) عبد الرحمن
الجزيري : كتاب الفقه على المذاهب
الأربعة ، ص ٢ ، القاهرة سنة ١٩٣٣ ، ص ١٩٢
وما بعدها (٧) عمر نصوحى بيلمن : حقوق
إسلامية وإصطلاحات فقهية قاموسى ، ص ٥ ،
إستانبول سنة ١٩٥٢ ، ص ٥ وما بعدها (٨)
Handleiding : Juynboll ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٦٥
وما بعدها (٩) G. Bergstræmer : *Grundzüge* ،

المصادر :

اتفاق أوعقد) : وقد أطلق على الحركة البدنية لفظ بيعة لأن قوامها بالذقة حركة من اليد والذراع (الباع) . ولما كان اختيار أمير (والعهد بالخضوع لسلطانه) يعبر عنه بصفق اليدين فقد كان من الطبيعي أن يوصف باللفظ نفسه الدال على هذه الحركة .

وكان للبيعة هدفان رئيسيان ، مختلفان في مجالهما وطبيعتها ، أولهما هو الانضمام تحت لواء عقيدة والاعتراف بالسلطة التي رسخت من قبل للشخص الذي يدعو إليها . وهذا المعنى تمت البيعة في العلاقات بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أنصاره من المؤمنين الجدد (انظر القرآن الكريم ، سورة الفتح : آية ١٥ ، آية ١٨ ، سورة الممتحنة : آية ١٢) . واستعمل لفظ بيعة فحسب بالمعنى نفسه ، وإن كان ذلك لغرض أكثر تحديداً ، للاعتراف بسلطان رسخ من قبل لشخص والعهد بطاعته . وهذا هو الحال في البيعة التي كانت ثم خليفة جديد ، ثبت حقه في الخلافة بعهد صدر من سلفه .

والهدف الرئيسي للبيعة بمعناها الثاني هو اختيار شخص لمنصب القيادة ، وبخاصة اختيار خليفة ، عندما يقتضى الأمر وعداً بالطاعة . وهكذا ولّى الخلافة أبو بكر ، أول الخلفاء الراشدين بمقتضى البيعة التي تمت على يد جماعة السقيفة في ١٣ ربيع الأول عام ٨١١ (٨ يونيو عام ٦٣٢ م) : وطبق الإجراء نفسه بلا خلاف في جميع المناسبات التالية التي خلا فيها منصب الخلافة ، ولم يؤل خليفة

- (١) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ترجمة Ostrorog ، ج ١ ، ص ١١٠ ، تعليق ٢ (٢) *Exposé de la religion des Druzes* : S. de Sacy ج ٢ ، ص ٥٣ (٣) J. Khalil & Ronzevalle : *Mélanges de Beyrouth* في *L'Épître à Constantin* ، ج ٣ ، ص ٥٣٢ ، تعليق ٢ .

[انظر Ch. Huart]

+ البيعة : مصطلح عربي يدل ، بمعنى واسع جداً ، على الفعل الذي بمقتضاه يعترف عدد من الأشخاص ، يصلون منفردين أو مجتمعين ، بسلطان شخص آخر . ومن ثم أصبحت البيعة للخليفة هي الإجراء الذي بمقتضاه ينادى بشخص ويعترف به رئيساً لدولة إسلامية . وكلمة مبايعة تعبر مرادف لها (انظر القمل بايغ) .

- (١) الإضطاق : لفظ بيعة ، في رأى أصبح مأثوراً ، مشتق من الفعل باع ، فالبيعة مثل البيع تشمل معاملة : ويبدو أن هذا التفسير متكلف غاية التكلف : ويرى كاتب هذه المادة أن كلمة بيعة تدين باسمها للحركة البدنية نفسها ، التي كانت ترمز في العرف العربي القديم إلى إبرام اتفاق بين شخصين ، والتي كان قوامها صفق اليدين (انظر الاتفاق في القانون القديم لبعض البلاد العربية) : ثم إن عبارة « تبايع على الأمر » بمعناها غير الاصطلاحي ، تدل على الوصول إلى اتفاق في ذلك الأمر (انظر صفة ومعناها الحرفي = manumissio

ورأى يستلزم أن تصدر البيعة من كل الرجال الصالحين في الدولة بأسرها إلى رأى يكتفى بصوت فرد واحد . ومهما يكن من أمر فإن هيئة أهل الاختيار كانت تتألف من كبار القوم والأشراف في الدولة .

والبيعة إجراء لا يتم إلا بالاتفاق فحسب ، ولا يشترط في صحتها ، أو حتى يمد دليلاً عليها ، الحركة البنائية الدالة على الموافقة ولا تأكيدها بقسم ، ولا يفرض لإظهار الإرادة أى شكل له قنصلته ، ويكتفى التعبير عنها صراحة وبشكل قاطع .

ولا يختلف شكل البيعة في كل من الدورين ، بل قد يقوم بهما ، وهما دورها في الاختيار ودورها في الإيجاب البسيط بالولاء .

وإجراءات البيعة قد تشعب إلى مجلسين أو عدة مجالس : فمن ناحية اختيار الخلفاء تكون أول خطوة هي سبوجه عام - ما اصطلاح على تسميته « بيعة الخاصة » ، وفيها يشترك عدد جيد محمول من كبار رجال الدولة والحاشية ، ثم تليها بيعة العامة . ثم تعقد بعد ذلك مجالس رسمية لعرض البيعة في قطعات الولايات المختلفة .

وثمة بدعة أدخلت منذ عهد الأمويين وهي تجديد البيعة ، عندما يلجأ الخليفة أو السلطان إيمان حكمه ، إلى إجراء بيعة جديدة له أو لولي عهده ، وقد تتكرر هذه البيعة مرتين أو أكثر ، ويلجأ إليها للحاكم لتأكيد ولاه وعلاياه .

بوسائل أخرى : والحق إن مذهب أهل السنة يرى أن البيعة إجراء من إجراءات تولية الخليفة . أما مذهب الشيعة يرى أن البيعة لم تستطع قط أن يكون لها هذا الشأن ، لأن الشيعة لا يعرفون إلا بطريقة واحدة لتعيين الإمام ، وهي التعيين بالنص (أو الوصية) لوليد من أهل البيت . ومع ذلك فإن التولية ، وهم فرع من الشيعة ، يرون أن الإمامة إنما تكتسب بالاختيار من بين أبناء الأسرة العلوية ، وتمت البيعة منذ ذلك باعتبارها إجراء انتخابياً .

الصفة الشرعية : المبدأ في الشريعة أن البيعة اتفاق متعاقدي : في أحد الجانبين إرادة أهل الاختيار ، ويميز عنها بتسمية المرشح ، وتؤلف ركن الإيجاب ، وفي الجانب الآخر إرادة الشخص المختار ، وتؤلف ركن القبول . وقد يكون هذا التحليل مقبولاً ، بشرط ألا يصل إلى حد الخلط بين البيعة وبين العقود الشرعية العادية : ذلك لأن البيعة فعل إرادى « من نوعه » ، يستلزم وجود الجمهور ، ولابد من التأكيد مرة أخرى أن تحليل هذا المبدأ ، حتى ولو اعتبر هكذا ، لا يكون صحيحاً تماماً إلا بالنسبة للبيعة المقصود بها الاختيار ، وليس بالنسبة للبيعة المقصود بها مجرد إظهار الولاء ، لأن الانسواء في الحالة الأخيرة يصبح إلزامياً ، ولا يبقى مجالاً للحرية في اتخاذ قرار .

ولكن ما هو عدد أهل الاختيار اللازمين بصفة خاصة لصحة الإجراء بالنسبة للبيعة ؟ فقد تعددت الآراء في هذا الموضوع وتباينت تبايناً عظيماً ، وتراوح بين ولى متطرف وآخر يقابله - من

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، طبعة بيروت سنة ١٩٠٠ (الترجمة الإنكليزية التي قام بها F. Rosenthal ، نيويورك سنة ١٩٥٨ ، ص ١٠ ، وما بعدها)
(٥) Lane ، انظر مادة بيع (٦) للماوردي : الأحكام السلطانية ، القاهرة ، من غير تاريخ (٧)
Institutions du droit public Musulman : E. Tyan
باريس سنة ١٩٥٤ ، ص ١ ، ص ٣١٥ وما بعدها ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٨ ، ص ٦٠٥ و ١٢٩ وما بعدها (مع مصادر)
E. Tyan

« بيعة » : (انظر مادة « كنيسة ») .

« بيعة » : مقياس يستعمل في المئدة لقياس الأرض . وهو يساوي $\frac{1}{2}$ الفدان أي ، ٣٠٧٥ ياردة مربعة . وهذا هو مقلده المألوف كما حلهه الإمبراطور أكبر ، غير أن هذا المقلد يتغير تغيراً كبيراً باختلاف الأزمنة والبلدان (وانظر مادة « مساحة ») .

المصادر :

(١) أبو الفضل : آئين أكبرى ، ترجمة Jarret ، ص ٦١ - ٦٥ (٢)
Gleasony : H. H. Wilson ، مادة « بيعة » .

آثار البيعة : ثمة سؤال يتردد حول البيعة المقصود بها الاختيار ، وهو معرفة ما إذا كان لها أثر تحويل الحاكم السلطة أم أنها مجرد تأييد له . ويؤيد الفكرة الأخيرة أن القاعدة قد استقرت بوجه عام على أن الحاكم يتلقى التفويض بالحكم من الله جل وعلا ،

والذين يقومون بالبيعة ، ومعهم بقية الجماعة ، يصبحون مرتبطين بها ارتباطاً وثيقاً . وتدعم الصفة الدينية التي اكتسبتها البيعة ، منذ أوائل العصر العباسي ، هذا الأثر المزم بالارتباط ، وأدى تطور طبيعة السلطة من الناحية النظرية إلى أن الالتزامات نحو الحاكم ، تعد في الواقع - التزامات نحو الله ، يضاف إلى ذلك أن الجزاء الديني الوحيد حل النكت بالمهد ، وهو القتل - من حيث المبدأ - مفرق في القسرة ، والأثر المزم للبيعة شخصي ، ويستمر مدى الحياة ، ولحق إن فكرة البيعة لمدة محدودة غير معروفة .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الأثر محدود بنص الشريعة . لأن البيعة تم بشرط أن يظل من يقبلها فصلًا لأوامر الله ، وهذا يعني أن الحاكم ، إذا لم يظل مستمسكاً بهذه الأوامر ، فإن لمن يابعوه الحق في التحلل من التزاماتهم .

المصادر :

(١) Sappl. : Dozy ، انظر مادة بيع (٢) الترمذ : الأحكام السلطانية ، القاهرة ، من غير تاريخ (٣) التبريزي : القاموس المحيط ، انظر مادة بيع

صنعتا بإزالة حجر مسدود (ولاية التبودان باشا
أوكبير أمراء البحر للأسطول العثماني) وصنعتا
في ولاية ختلوندگار (بروسه) ، ثم من بعد ذلك
قضاء في متصرفك بيته (على أن المركز الإداري
له لم يكن بيته نفسها ، بل قلعه سلطانية أي جاتاق
قلعه) . وقد بلغ عدد سكان بيته سنة ١٩٤٥
حوالي ٨,١٥٠ نسمة .

المصادر :

- (١) حاجي خليفة : جهاننا ، إستانبول سنة
١١٤٥هـ = ١٧٣٢م ، ص ٦٦٧ (٢) أولياچلي :
سياحته ، ج ٥ ، إستانبول ، سنة ١٣١٥هـ
ص ٢٩٩-٣٠٠ (٣) P. A. von Tschendorf :
Das Lebenwesen in den muslimischen Staaten
ليسك سنة ١٨٧٢ ، ص ٧١ (٤) W.Thomasechek :
Zur historischen Topographie von Kleinasien im
Mittelalter في : Sitzung. Ak. Wien Phil.-Hist. Cl.
ج ١٢٤ ، فيينا سنة ١٨٩١ ، ص ١٤ ، ٩٤ (٥)
Das Anatolische Wegenetz nach : F. Taeschner
osmanischen Quellen (في : Türkische Bibliothek
ج ٢٣) ليسك سنة ١٩٢٦ ، ج ١ ، ص ١٥٨
ج ٢ ، ص ٧٠ (٦) عمر لطفي بارتان : قانونظر ،
ص ١٩-٤١ (بيته لوامي قانوني : سنة ١٩٢٧هـ =
١٥١٧م) (٧) La Turquie d'Asie : V.Quinet
ج ٣ ، باريس سنة ١٨٩٤ ، ص ٧٥٣ وما بعدها
(٨) Pauly-Wissowa : جلد ٧ ، ج ٢ (سنة
١٩١٢) مادة Graulikos ، عود ١٨١٤ - ١٨١٥
(٩) سامي : قاموس الاعلام ، ج ٢ ، إستانبول

« بيته » : وباليونانية بىكاي : مدينة بآسية
الصفري على بحر غرائيكوس ، ويعرفه الأتراك باسم جان
صو أوجان چاي ، وهو فرع من فروع نهر
قوجه چاي . وبيته على مسيرة أربعة عشر ميلا
من بحر مرمرة ، وهي عاصمة قضاء ، وعدد
سكانها خمسة آلاف نسمة . ويزعم كوينيه Quinet
في كتابه المذكور بمصادر هذه المادة (ج ٣ ، ص
٧١٣) أن عدد سكانها عشرة آلاف نسمة .
وتعرف الولاية الشمالية الغربية كلها في آسية الصفري
(أي متصرفك) باسم بيته أيضاً ، وإن كانت
حاضرتها ليست بيته بل « قلعه سلطانية » أوجاتاق
قلعه سي (الدردنيل) ، وتفر المدينة هي قره بيته
وبيته نك اسكله سي على مصب نهر قوجه چاي .

المصادر :

- (١) علي جواد : ممالك عثمانية نك تاريخ
جغرافية لطفى ، ص ٢٢٤ وما بعدها (٢)
La Turquie d'Asie : Quinet ، ج ٣ ، ص ٦٨٩
وما بعدها .

+ بيته : وباليونانية بىكاي) مدينة في الشمال
الغربي لآسية الصفري ، وهي الآن فصبة قضاء
في ولاية جاتاق قلعه ، وتقوم على نهر قوجه چاي
اللي كان يعرف قديماً باسم غرائيكوس ، على
مسيرة حوالي ١٥ ميلا من بحر مرمرة ، وتقوم
قره بيته (برياموس في العهد اليوناني والروماني) على
نهر قوجه چاي ، وهي ثغر (إسكله بيته) :
وكانت بيته في فترات مختلفة من العصر العثماني

أن هذا التفسير ليس له سند في أي مصدر من المصادر الأصلية . وقد عرف الأوروبيون بحيرة بيكال لأول مرة عقب اكتشاف هذه البلاد وفتحها على يد القوزاق من الروس في القرن السابع عشر الميلادي .

[بارتولد W. Barthold]

+ « بيگم » (بالهندية الفارسية : بيگم ، وبالتركية : بيگيم) : مؤنث « بك » (انظر هذه المادة) وكان استعمالها لقب تشريف في العصر المملوكي من تاريخ الهند مقصوراً على أميرات البيت المالك فحسب ، وكانت جهان آرا بيگم (انظر هذه المادة) ابنة شاه جهان (انظر هذه المادة) غير المتزوجة تحمل اللقب الرسمي « بادشاه بيگم » في عهد أبيها ، وظلت تحتفظ به حتى بعد خلع شاه جهان وزجه في السجن . وكان البيگماوات (الملكات والأميرات) يتلقين ما بين ١٠٢٨ ، ١٦١٠ روبية سنوياً لمصروفهن الخاص . فلما توفي جهانگیر منحت أرملته نورجهان ٢٠٠,٠٠٠ روبية في السنة على يد ابنها شاه جهان . وتناقصت ممتاز عمل زوجة شاه جهان ١,٠٠٠,٠٠٠ روبية سنوياً من بيت المال الإمبراطوري ، في حين كانت بادشاه بيگم تنعم براتب قدره ٦٠٠,٠٠٠ روبية في السنة نصفها نقداً ونصفها أراضي . وقد منح أورنگزيب بادشاه بيگم ١,٢٥٠,٠٠٠ روبية في السنة . وكانت السيدات المندليات المسلمات ذوات المحدث الكريم النبيل تلقين قبل قيام باكستان سنة ١٩٤٧ بـ لقب

سنة ١٩٠٦ ، ص ١٤٤١ (١٠) على حواد : تاريخ وجغرافيا لغافي ، إستانبول سنة ١٣١٣ - ١٣١٤ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ (١١) إسلام أنسيكلويدياسي ، مادة بيغه ، بقلم سيم دارقوت . عورفيد [پاری V. J. Parry]

« بيكال » : بحيرة كبيرة في سيبيريا ، وهي تابعة لمقاسم مياه ينيسى . ويلاحظ أن هذه البحيرة نفسها ظلت مجهولة لدى الجغرافيين المسلمين في العهد المغولي . ويطلق رشيد الدين على الأرض التي حول بيكال اسم يرقوجين أو يرقوجين توكوم ، ويخمس أهلها باسم يرقوت ، وحرف التاء التي ينتهي به « يرقوت » هو علامة الجمع عند المغول (انظر النص الفارسي في طبعة Berezin : *Tradi Vostochmago etdeljenija Archaeologicheskago obshchestva* ، الجزء الثالث عشر ، ص ١٨٠) . ومن الواضح أن الاسم الأول مازال يطلق على نهر من الأنهار هناك هو نهر بركوزين الذي يصب في بيكال من ناحية الشرق ، ويطلق على أهل هذه الناحية اسم بيسركو في النقوش التركية الأورخونية التي ترجع إلى القرن الثامن الميلادي . ويزعم هيرث (Hirth : *Nachweise zur Inschrift des Tongukuk* ، ص ٧) . أن بحيرة بيكال قد نسبت إلى هؤلاء القوم ، ولكن هذا الزعم مشكوك فيه إلى حد كبير . وإنما نجد في الوقت الحاضر أن اسم بيكال معناه البحر عند الياباقوت ، ويفسر الاسم تفسير آخر فيقال إنه يقابل في التركية : بئي كولي أي البحيرة الغنية ، غير .

في Supan. *Paternan's Geogr. mitt.* الملحق ١٣٥ ،
سنة ١٩٠١ ، ص ١٥) :

وموقع بيلان فريد ومناخها جميل ، فهي
تقتل وادباً عميقاً ينسبط من الشرق إلى الغرب بين
قره طاغ وسلسلة جبال موسى ، ولهذا فإن بعض
مساكنها الخشبية يقوم على شواطئ نهر بيلان الذي
يسمى أيضاً « دره ياغچه » والبعض الآخر يرتفع
درجات فوق السطح الشالي من التل . ويرجع
الاختلاف في تقدير ارتفاع بيلان عن سطح البحر إلى
وقوعها على منحدر من الأرض ، فيقول كل من
شافر Schaffer وبيدر Baedecker لها على ارتفاع
١٤٠٠ قدم، ويزعم هارتمان Hartmann ويانك Janke

أنها على ارتفاع ١٥٨٠ قدماً ، وكوينيه Quiney ١٦٥٠
قدماً ، وإينسورث Ainsworth ١٧٦٠ قدماً ، بينما ذهب
أبرهمر- زمرر Aberhumer Zimmerer إلى أنها على
ارتفاع ٢,٣٢٥ قدماً . ونباتات هذه المدينة ، ومن
بينها كثير من أشجار الفاكهة والأعشاب ، وفيرة
لأن الأراضي تروى بها عدة مجار جبلية : وهواء بيلان
صحي جداً بسبب ارتفاعها ، كما أن الصخور
المالية التي تنجح بمحاذاة الوادي تحميها من الرياح
الشديدة ، ولهذا فهي مكان محبوب بلجاً إليه تجار
مدينة الإسكندرية الذين يتباهون الحمى ، ويردد
عليها سكان مدينة حلب البعيدة عنها . وتراوح
تقديرات الرحالة منذ منتصف القرن التاسع عشر
لعدد سكان مدينة بيلان في الصيف بين ٢٠٠٠
و ٤٠٠٠ نسمة . فقد ذكر نيل Neale سنة ١٨٥٠ أن
عندهم ٣,٥٠٠ نسمة ، وكل من كوتشي Kotschy

بيكم . أما الآن فإن جميع السيدات المتزوجات في
باكستان - فبأعداد سيدات الطبقة الفقيرة - يلتصقن
بقلب « بيكم » المساوى لقلب خاتم . والكلمة بهذا
المعنى لا تكاد تعرف في البلاد التي تتحدث بالعربية
والفارسية ، وكثيراً ما يخاطب الأزواج في المدن
وفي غير المدن زوجاتهم بقلب بيكم متعاشين
عن قصد بخاطبتهم بأسمائهن . وقد جرت القاعدة
بأن يخاطب الخدم والأجراء سيداتهم في الهند
وباكستان بقلب بيكم . وجري العرف بأن تحمل
كل وليدة هذا القلب يردف باسمها ، ولكن هذه
العادة انحلت في الانتشار السريع .

المصادر :

(١) Hobson-Jobson ، مادة « بيكم » (٢) كسث
اللغات ، هذه المادة (٣) سيد أحمد : فرهنگ
آسفيه ، هذه المادة (٤) عبد الحميد لاهوري :
بادشاه نامه (المكتبة الهندية) ، ج ١ ، ص ٩٦ ،
والفهرس (٥) آئين أكبرى (الترجمة الإنكليزية)
ج ١ ، ص ٦١٥ .

مورخه [يزى أنصاري A.S. Bamee Ansari]

« بيلان » أو « بيلان أولين » : بلدة بجبال
أمانوس (الماطاغ) في شمال الشام على خط
طول ٣٦° ١٦' شرق غرينوتش وخط عرض
٣٦° ٣٠' شمالاً ، وقصبة قضاء في ولاية حلب . وهي
بطبيعة الحال مقر قائمقام ، وتبلغ مساحتها سبعة
ميل مربع وعدد سكانها ١٠,٨٠٠ نسمة (انظر

ص ٣٥٢) من أن بيلان مشتقة من الكلمتين التركيتين بيل وبيل . ومعناها ممر وقمة جبل ، وإن كان هذا التفسير مرضياً إلى حد كبير ، ويجوز بنا ألا ننقض من شأن ما زعمه ليك Leake وبيرمان H. Petermann من أن كلمة بيلان أو بيل التي ذكرها آنفاً هي صيغة محرفة للكلمة اليونانية بيلاي (انظر فيما يلي لبيلاي بيلاي) .

وتعود شهرة بيلان إلى موقعها الفريد على أهم طرق جبال « أمانوس » ، وتصل هذه الجبال إلى أقصى ارتفاع لها بالقرب من هذه المدينة ، أي على مسيرة ميل ونصف الميل من جنوبها ، ويقطع للمسافر هذه المسافة في ثلاثة أرباع الساعة . وبيلان صالحة بطبيعتها لأن تكون محط جميع القوافل الآتية من داخل بلاد الشام والجزيرة ، وبخاصة حلب وأنطاكية وعنتاب ، في طريقها إلى البحر أي إلى الإسكندرية بصفة خاصة . ولذلك ففيها خان كبيره وقد اختلف الناس في تقدير ارتفاع ممر بيلان اختلافاً كبيراً . وهذا التقدير يتراوح بين ٥٩٤ متراً (Murray) و ٥٩٩ متراً (Baedeker) على الأقل و ٨٧٠ متراً (Oberhammer Zimmerer) على الأكثر . وتذهب معظم المراجع إلى أن ارتفاعه يتراوح بين ٦٦٦ متراً و ٦٨٦ (انظر Janke كتابه المذكور ، ص ١٥٨ ، تعليق ٦٦) .

وليس ممر بيلان بللمر الوحيد الذي يحترق جبال أمانوس ، بل هناك على سبيل المثال ممران يسيران من سفح جبل العسقي (انظر هذه المادة) ومن بهل . أنطاكية إلى الإسكندرية

سنة ١٨٦٢ ووزترك Czernik سنة ١٨٧٥ أن عددهم ٢٠٠٠ نسمة ، وأبرهومي - زمرر سنة ١٨٩٦ أن عددهم ٢١٠٠ نسمة ، وشافر Schaffer سنة ١٩٠٢ أن عددهم ٤٠٠٠ نسمة ، ويانكه سنة ١٩٠٢ أن عددهم يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ نسمة . وذكر سويان Supan (كتابه السابق ، ص ٢٦) أن عددهم ٤٢٠٠ نسمة . ولو صح التقدير الأخير الذي قال به بيدكر Baedeker سنة ١٩١٠ ، وهو أن عددهم ٧٥٠٠ نسمة ، لئلا ذلك على أن المدينة قد اتسعت كثيراً خلال العشر السنوات الأخيرة . ومعظم أهل هذه المدينة مسلمون كما يقول بيدكر . ويقول الرحالة المتقدمون أمثال سميت Smith (١٨٤٨) وبيرمان Petermann (١٨٥٣) وأبرهومي - زمرر أن ثلثي السكان من الترك وثلث الباقي من الأرمن .

وعلى ما أعلم ، لم يذكر الكتاب المشارقة في المصور الوسطى مدينة بيلان . وما جاء في كتاب سالتانه عند الكلام عن ولاية حلب (١٣٠٠هـ = ١٨٨٢م ، ص ٨٨) وعن أذنة ٨١٣٠٨ = ١٨٩٠م ، ص ١٨٨) من أن بيلان قد بناها السلطان سليمان الثاني البناي (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) أمر بحمل جلد . ويقال إن هذه المدينة بنيت في مكان كان غير عامر من قبل يسمى « عين نيل » . ومن الواضح أن « نيل » قد حُرِفَ إلى « بَيْل » وأن بيلان قد اشتقت من الاسم القديم « عين بيل » . وليس لنا في هذه الحالة أن نأخذ بالتفسير الذي ذهب إليه سخاو Sitz.-Ber. der Berl. Akad. : Sachau سنة ١٨٩٢م ،

أزواجه في هاوية : وكان عمر بيلان ضمن منطقة الجبهة الحربية الشامية المسماة بالعواصم التي أنشئت لمواجهة بورنطة (*Palastine : G. le Strange* : *under the Moslems* ، ١٨٩٠ م ، ص ٣٧) ، وروى البلاخري أن الخليفة المعتصم الذي حكم من عام ٢١٨ - ٥٢٢٧ (٨٣٣ - ٨٤٢) ابنه حاكماً من الحجر يحيى به عمر بيلان (ص ١٦٧) .

ويذكر اسم بغراس بل أحياناً (انظر ما ذكرناه آنفاً عن بل) في العصر الحالى (*Ritter* ، الموضع نفسه ، ص ١٨٢٩) ولكنه يطلق عليه الآن عادة اسم بيلان بل أو كديك ، وهو مرادف لبل ، وذلك منذ ازدهار بيلان .

وكان لهذا الطريق الجبل شأن في التأريخ الحربي بين تركية وعهد علي ، إذ أنه قد شهد الواقعة الفاصلة التي حدثت في الثلاثين من شهر يولية ١٨٣٢ وفيها هزم إبراهيم باشا ولي عهد مصر الجيوش التركية هزيمة منكرة ، وكانت هذه الجيوش معسكرة في مواقع يسهل الدفاع عنها على المرتفع الذي يسيطر على الوادي . وقد أصبح إبراهيم باشا بفضل هذا النصر صاحب الكلمة العليا في الشام : وأطلق على هذا المر منذ ذلك الوقت اسم « طوب يول » أي طريق المدافع « أو طوب بوغاز » أي عمر المدافع »

ونسب الجزء من جبال أمانوس الذي يسير فيه عمر بيلان حتى هذا المر إلى بيلان فقبل بيلان داغ ، ويطلق على هذا الجزء أيضاً نولو داغ وكاؤو (جاور) داغ (انظر *M. Hartmann* : المصدر المذكور ، ص ٣٦ - ٣٧) .

(*M. Hartmann* : كتابه المذكور ، ص ١٠) ، ولكن هذه الممرات وجميع الممرات الأخرى ما هي إلا طرق ضيقة لا يمكن مقارنتها بممر بيلان بأية حال ، لأن هذا الممر يسير يصلح لسير المركبات . ولذلك كانت التجارة بين الشام وقيليقية تمر بهذا الطريق منذ أقدم المصور ، وكان هذا شأن الجيوش أيضاً : وعرف الأقدمون عمر بيلان باسم إينيباي ييلاي (*Portae Syriae* وباسم *Portae Amanii*) (*Portae Amanii* ، *Realzeit. der klass. : Pauly-Wissowa* ، *Altortunswiss* ، ج ٦ ، ص ١٥٤٧ ، الموضع نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٢٣) : وقد اخترق الإسكندر الأكبر الممرات الشامية في طريقه إلى النصر بإسوس عام ٣٣٣ قبل الميلاد ، واختربتها الجيوش الرومانية بعد ذلك عدة مرات .

وكانت بغراس (انظر هذه المادة) *Pagrae* في المصور القديمة الوسطى أهم مركز قريب من حافة عمر بيلان . ويلوح أن عمر بيلان كان يعرف في المصور الوسطى باسم بغراس (انظر البلاخري طبعة ده غويه ، ص ١٦٤ ، ١٦٧ ، والفقرات التي ذكرها هارتمان *M. Hartmann* ، الموضع المذكور ، ص ٨٨ ، تعليق ١) ويذكر أيضاً اسم « عقبه النساء » (البلاخري ، ص ١٦٧ = باقوت : المعجم ، طبعة شتيفلد ، ج ٣ ، ص ٦٩٢ ، تعليق ١٢) ، وهذه التسمية نسبة لحادث مشهور ، هو أنه بينما كان مسلمة ابن الخليفة عبد الملك يهجر عمر بيلان في حملته على عمورية ، إذ وقعت إحدى

المصادر :

١- وييلقان التي كانت في العصر العثماني قصبة قضاء

في ولاية حلب ، أصبحت الآن ناحية تابعة للقضاء
إسكندرون في ولاية هاتاي . وقد بلغ عدد سكان
قرية ييلقان عام ١٩٤٠ : ١,١٥٣ نسمة ، وبلغ
سكان الناحية كلها ٥,٣٧٥ . والحبوب والفاكهة
والحرير والخمر هي من أهم منتجات هذا الإقليم .

[ي. ج. پارى V. J. Parry]

« بيلدار » : كلمة فارسية معناها حامل المجرقة ،

وهو اسم يطلق على أولئك الرجال القرويين الذين
يشغلون في الحفريات ، وهم يستخدمون لذلك
مجرفة مستطيلة لها يد طويلة . وتشتمل هذه الآلة
كثيرا في الزراعة وتحمل على المهرث في الأراضي
المروية أو التربة الرطبة وخاصة في زراعة الخضراوات
والبطيخ . وقد اشتهر سكان إصفهان وفرس يزود
بمهارتهم في استعمال هذه الآلة .

المصادر :

(١) Persien : Polak ج ٢ ، ص ١٣١ (٢)

٤ Sarr, journal des fouilles : J. Dieulafoy
ص ٩٢ .

[أ. هوزر Cl. Huart]

١- « بيلقان » : مدينة قديمة في آران (ألبانيا)
جنوبي القوقاز ، ويقال إن الذي أسسها هو قبادة
(قبادة) الساساني ، وكانت ييلقان مسرح حوادث

(١) R. Pococke : Beschreib. des Morgenlandes

ج ٢ ، ص ١٧٩ ، ص ٢٥٢-٢٥٣ (٢) Chesney في

Journ. of the Roy. Geogr. Soc. سنة ١٨٣٧ ، ص ٤١٤-

٤١٥ (٣) Ritter : Erdkunde ، ج ١٧ ،

سنة ١٦٠٧ و ١٧٨٥-١٧٨٨ و ١٧٩٥ و ١٨٠٢ ،

و ١٨١١ و ١٨٢٦ ، و ١٨٤٧ - ١٨٤٩ (٤)

H. Petermann : Reisen im orient ، ليسك

سنة ١٨٦١ ، ص ٤ - ٥ (٥) Th. Kotschy في

Petermann's Geogr. Mitteil. ، ص ٣٤٠ وما بعدها

(٦) ibid., Erg.-Hft. : Czernik رقم ٤٥ سنة ١٨٧٣ ،

٣٣ - ٣٤ (٧) Sachau : Reise in Syrien und

Mesopotamien سنة ١٨٨٣ ، ص ٤٦٤ (٨) الكاتب

نفسه : Am Euphrat und Tigris ، ليسك سنة ١٩٠٠ ،

ص ١٤٩ وفي Sitz.-Ber. der. Berl. Akad. ، سنة

١٨٩٢ ، ص ٣٢٢ (٩) M. Hartmann في

Des Limes Haleb في Zeitschr. der Ges. f. Erdk. ،

سنة ١٨٩٤ ، ج ٢٩ ، ص ٧ و ١٠ و ١١ و ٢٦

و ٣٢ - ٣٧ و ٨٧-٨٨ (١٠) R. Oberhummer-

Durch Syrien und Kleinasien : Zimmerer برلين

سنة ١٨٩٦ ، ص ١٠٢ وما بعدها (١١) Schaffer :

Gilicia-Petermann's Mitteil., Erg.-Hft رقم ١٤١ ،

سنة ١٩٠٣ ، ص ٩٦ (١٢) Jauke : Auf alexanders

des Grossen Pfaden ، برلين سنة ١٩٠٤ ، ص ٦

و ٣٢ - ٣٤ و ١٥٨ - ١٦٠ (١٣) Baedeker :

Syrien u-Palastina سنة ١٩١٠ ، ص ٣٣٧-٣٣٨

و ٣٦٢ .

[مشترك M. Streck]

على هذا النحو : حين التحدث عن موضوعات ووقائع مختلفة تستخدم بعض التعابير الماثورة التي ليست لها إلا صلة غامضة بالنظرة المألوفة الطبيعية للأمور ، والتي يجب أن تكون معلومة قبل أن يدرك المعنى ، أي أنه ليس في الإمكان بصفة عامة أن يعبر على حل للفر باستخدام المرء لحكم المنطق ، فإذا أراد المرء أن يعمل للفر واجب عليه أولاً أن يفهم معنى الاصطلاح الخاص الذي فيه شيء من صفة الأمر المستقل على الأفهام . وما من صفة من هذه السمات خاصة بالألفاز الشعبية التركية . ولا تختلف ألفاز أى شعب معلوم عن ألفاز أى شعب آخر إلا في التفضيلات والشكل . والصفة التركية الغالبة على اليلمجه مرتبطة في جوهرها بالمكان الجغرافي والحياة الشعبية التركية . ويستطيع أن نقول إن الطابع الإسلامى بصفة عامة ثانوى قليل الشأن .

والألفاز في الوقت الحاضر هي في الغالب ذلك الفرع من الأدب الشعبي التركي الذي يخصص بالأطفال ؛ على أن بين أيدينا شواهد توحى بأن هذه الألفاز كان ينظر إليها في يوم من الأيام نظرة جديدة جده كما أنها كانت جزءاً من الفلسفة الشعبية : فنحن نجد حكايات تثار فيها مناظرات ملغزة ، إذ يسوق شخصي فيها شطرة من بيت ويردف خصمه بأخرى ، ويلقى المهزوم أحياناً جزاءً صارماً . ثم إن وجود ألفاز تتعلق بخلق الكون والجنس أيضاً تدل بوضوح على أن هذه الألفاز لم تتبدل أصلاً للأطفال . ولما نفي الشأن الاجتماعي للألفاز طرأ عليها تعديل كبير

في الحرب الثانية بين العرب والخرز ، وقد أحرز القائد المسلم سعيد بن عمرو النصر حتى انتصاراً هاماً على الخزر هناك سنة ١١٢ هـ (٧٣٠ م) .

المصادر :

(١) *History of the Jewish* : D. M. Dunlop

Khazars ، برنستون سنة ١٩٥٤ .

عبريه [دنلوب D. M. Dunlop]

« البيلكان » : هو المكان الأصلي لصنع السلاح المعروف « البيلانية » ويقال حيناً إنه في الهند ، وحيناً آخر إنه في اليمن (Schwarzlose : *Die waffen der alten Araber* ، ليهك سنة ١٨٨٦ ، ص ١٢٣) وانظر مادة « مجلس »

+ « بيلمجه » : الاسم الذي جرى إطلاقه على الألفاز الشعبية لدى الأتراك العثمانيين ، ويستعمل الأتراك الشاليون والشرقيون بدلاً منه كلمات مختلفة مأخوذة من الأصل « طاب » بمعنى يجد ، مثل « طابيشاق » و « طاباج » و « طابيش » و « طابيشاق » و « طابوشطور ماق » .

ويمكن تمييز ألفاز الشعب الحقيقية من الألفاز المصنوعة مثل « اللغز » و « المنمنمى » بصورتها الواضحة البساطة وتورياتها أو كلياتها المنيحة ، وبمظهرها المنافي للعقل أو المنطق . وهذه السمة الأخيرة للألفاز ، ونفى بها منافاتها للعقل ، تنضح

وانخلت معاني جديدة. والحق إن حل الألفاز عنصر قلب مانع فيها .

والألفاز في معظمها تكون في صورة مسألة قصيرة : ولينظر القارئ على سبيل المثال اللغز الذي عرف أنه يرجع إلى عهد متقدم قدم القرن الرابع عشر ولا يزال منشرا اليوم : « يراكنته ياغل قايش » « باطنها زلق كازيت » أي الحية . ومعظم الألفاز الشعبية من شعرين من قافية واحدة : الله يا بار بايشي — يهاق آجار قايشي » (الله يني بناها والسكين تفتح بابها) أي البطخة . والألفاز التي من هذا القبيل يتوسع فيها في كثير من الأحيان حتى تشمل الربايعات المنتظمة (ماني) وهي قالب مأثور في الشعر الثماني الشعبي . ويحصل هذا القالب بالجناس وأسماء الأصوات :

وتبين الدراسة المقارنة للمادة التي جمعت بهذا أن الفئات المختلفة التي يمكن أن تصنف بمقتضاها الألفاز كلها صيغ متفاوتة لبعض الأنماط الأولى : والحق إن التبدلات التي تطرأ عليها أثناء انتقالها شعريا من راج إلى كسر ، وتكييفها عن وعي لتتفق مع حلول جديدة ، تجعل الألفاز غاضمة للتعبير المستمر . وهذا يستتبع غالبا زيادة لاحدا في عدد رواياتها . ومع ذلك فإن هناك بعض الألفاز بقيت صورتها وحلولا قرونا ثابتة لا تتغير .

ونحن نجد في زمن متقدم يرجع إلى « ديوان لغات الترك » محمود الكاشغري (القرن الحادي عشر) ألفازا مسماة بالأسماء : « طابوز غونك » و « طابوز غوق » و « طابوز غ » . ولكن أقدم

الشواهد المعروفة من الألفاز الشعبية نجدها في المجموعة القومانية التي كانت موضوع كثير من المنشورات (*Caden Osmanicus* : G. Kunn) : « ديايست سنة ١٨٨٠ ، ص ١٤٣ — ١٥٧ ، ٢٣٦ » : W. Radloff : *Das Turkische Sprachmaterial des C. G.* : *Mém. de l'Acad. de St. Petersburg* : سنة ١٨٨٧ ، ج ٣٥ ، ص ٢ ، رقم ٦ : W. Bang : *Slavisch. Prass. Ak.*] *Ueber die Raststet des C.G.* : *Wiss.* سنة ١٩١٢ ، ج ٢١ ، ص ٢٣٤ — ٣٥٣ : *Zeitschr. der Die Raststet des C.G.* : J. Németh : *Deutsch. Marg. Gesells.* سنة ١٩١٣ القسم ج ٦٧ ، ص ٥٧٧ — ٦٠٨ : S.E. Malov : *K. istorii i kritike C.G.* : *Isr. Akad. Nauk SSSR* : القسم الأدبي ، سنة ١٩٣٠ ، ص ٣٤٨ — ٣٧٥ : *Korvoit*] *Zu den Raststet des C.G.* : J. Németh : *Cosmo Archivum* ج ٢ ، ص ٢٦٦ وما بعدها : وثمة أيضا مجموعات كثيرة من الألفاز سجلها العلماء المعاصرون ، ولكن هذه أبعد من أن تستنفد اللخيرة الوافرة الموجودة لدى الشعوب التركية .

المصادر :

(١) *Zemli Zakaspiyskikh* : A.N. Samoylovich : *Turkmenov* [*Sivorya Sterina*] سنة ١٩٠٩ : ص ٢٨ — ٣٢ . وقد نشر صوبلوفتش مصادر لدراسات الألفاز عند الشعوب التركية حتى سنة ١٩٣٢ : وقد أكمل هذه المصادر Malov (*Roznik Orientalistyczny*) : ج ٤ ، ص ٤ ، حتى سنة ١٩٢٦ : (٢) وانظر بشأن مصادر من

مسرح لسطورة الأمير فيلوفر والحكيم الشيخ أده
بالي ، ويشار إلى قبره هناك ،

المصادر :

(١) علي جواد : جغرافيه لغاني ، ص ٢٢٧

(٢) La Turquie d'Asie : Caneet (٧) ١٩٠٣

ص ١٢٩ وما بعدها (٣) V. d. Goltz

Anatolische Aufstuge ، ص ١٤٥ وما بعدها

+ يله جك : (هي «بلوكوما» في العصر
البيزنطي) : بلدة شمال غرب آسيا الصغرى
على نهر قره صو وهو فرع من نهر سكندريا . ويظن
أن موقع مدينة أكريليون Agrillon القديمة
(أكريلوم Agrillum) في لوحة بونتسكس بقوم غريميد
من يله جك . وقد انتزع العثمانيون يله جك من
البيزنطيين في عهد عثمان بك ، ودخلت يله جك
تحت الحكم العثماني في إيالة أناتولي ، ولكنها
أصبحت من بعد تعبئة صنجق أرطغرل في ولاية
عداوند كار (بروسة) . وهي الآن قاعدة ولاية يله
جك الحالية . وهذه المدينة التي اشتهرت بمدينة طويلة
بفسج الحرير ، قد عانت الأمرين أثناء الأحداث
إلى أعقبت الحرب العالمية الأولى من سنة ١٩١٤
إلى سنة ١٩١٨ ، واحتلتها القوات اليونانية سنة
١٩٢١ ولم يستعدها الاكبر الك آخر الأمر إلا في حريف
السنة التالية . وبلغ عدد سكان يله بك سنة
١٩٥٠ أقل قليلا من ٤٩٠٠ نسمة .

المصادر :

(١) حاجي خليفة : جهانيات ، إستانبول سنة

١١٤٥ هـ (١٧٣٢م) ص ٦٤٣ (٢) Pachymeres

الأناضول العثمانية مقال Kowalski : *Turkische*

Festschrift fuer (٣) *Volkstrantsel aus Nordbulgarien*

G. Jacob ، ص ١٣٠ وما بعدها (حتى سنة ١٩٣٢)

(٣) وثمة مجموعات هامة من الأناضول التركية في

Oszmanloevrok niphokeltési gyujtemény : L. Kunes

بودابست سنة ١٨٨٩ ، ج ٢ ، ص ١٤١ - ١٧٧

(٤) *Zagadki ludows turnskie* : T. Kowalski

كرالوفه سنة ١٩١٩ (٥) سعد الدين نزهت وأحمد

فريد : قونية ولايتي خطبات وحرياتي ، قونية

سنة ١٩٢٦ ، ص ٢٢٥ - ٢٣٣ (٦) هادي زاده

إحسان : ييلمج لـ (مقالات عن الأدب الشعبي

التركي) ج ٣ ، إستانبول سنة ١٩٣٠ (٧)

Turkische Volksantsel aus : T. Kowalski

ArO Kleinariam ، سنة ١٩٣٢ ، ج ٤ ، ص

٢٩٥ - ٢٣٤ .

مؤلفه [كرالسكي T. Kowalski]

«ييله جك» وبالبيزنطية بلوكوما Belokoma :

مدينة بآسية الصغرى على خط الأناضول الحالي
الذي يسير من حيدر باشا إلى إسكي شهر ، وهي
حاضرة صنجق أرطغرل من أعمال ولاية بروسه
(عداوند كار) وتشهر بقرل الحرير ونسجه ، وقد
بلغ عدد سكانها حوالي خمسة آلاف نسمة . وبها
عدة مساجد يقال إنه قد بناها السلطانان العثمانيان
الأولان عثمان وأورخان ، وبها أيضا مدرسة وتكية
وغير ذلك من المنشآت . وييله جك من أوائل
البلد التي فتحها العثمانيون عام ١٢٩٩م ، وهي

بمعنى مكان ، وتدل على المستثنى : والبيارستان
في الاصطلاح الحديث يطلق خاصة على مكان
ياوى المجانين .

١ - العصر الأول والشرق الإسلامى

يقول العرب أنفسهم (انظر المقرئى :
الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٠٥) إن أول مستثنى
الذى أقامها متاقوس ، وهو ملك أسطورى من
ملوك مصر ، أو أبقراط ، ويقال إن أبقراط قد أقام
للمرضى في حديقة بالقرب من داره : « إكسندوقيون »
ومعناها لغة « مأوى للغرباء » : وقد ذكر
ابن أبي أصيبعة (حيون الأنباء : طبعة ميلر Mueller
ج ١ ، ص ٢٦ - ٢٧) أن سند هذا القول هو
الكتاب الثالث من مصنف جالينوس : « فى
أخلاق النفس » (يرى إيثون) ، وهو مصنف لم
يصل إلينا باللغة اليونانية . ولم تكن البيارستانات
من سات الحلية فى أيام اليونان والرومان ، ومن ثم
فإن هذه الإشارات لاجل مسألة أصل البيارستانات ،
وينسب إلى الوليد بن عبد الملك الذى تولى الخلافة
من عام ٨٦ إلى ٨٩٦ م (٧٠٥ - ٧١٥ م) فضل
بناء أول بيارستان فى الإسلام وأقام له أطباء
وخصص لهم رواتب (المقرئى : كتابه المذكور) ،
ومع أن هذا قد ذكر بجبارات ماثلة (« بيارستانات
للمرضى ») رواها كاتب قديم جداً هو ابن
اللقبة حوالى سنة ٢٨٩ م (٩٠٢ م ، ص ١٠٦ -
١٠٧) فإن هذه المسألة ما زالت ماثلة شك ، ويروى
الطبرى (ج ٢ ، ص ١١٩٦) أن الوليد حظر على
المجلوبين الخروج بين الناس وأجرى عليهم رواتب ،
وهى رواية مختصرة زيد عليها فىقرة أخرى (ج ٢ ،

يون سنة ١٨٣٥ ، ج ٢ ، ص ٤١٣ (٣) Hammer
Gesch. d. Osman Reich. : Purgstall
سنة ١٨٢٧ ، ص ٤٥ ، ٤٨ وما بعدها (٤)
Anatolische Aufzuge : G. von der Goltz
برلين سنة ١٨٩٦ ، ص ١٤٥ وما بعدها (٥)
Konka : G. Huart ، باريس سنة ١٨٩٧ ، ص
٢٢ وما بعدها (٦) W. Ramsay The Historical
Geography of Asia Minor ، لندن سنة ١٨٩٠ ، ص
١٩٠ ، ٢٠٧ (٧) F. Taeschner Das Anatolische
Turkische) Wegenetz nach osmanischen Quellen
Bibliothek (ج ٢٣) ليسك سنة ١٩٢٦ ، ج ١ ، ص
٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٢٣ ، ج ٢ ص ٥٧ (٨)
La Turquie d'Asie : V. Guinet ، ج ٤ ، باريس
سنة ١٨٩٥ ، ص ١٦٨ وما بعدها (٩) ساي :
قاموس الأعلام ، ج ٢ ، إستانبول سنة ١٣٠٦ هـ ،
ص ١٤٤٤ (١٠) على جواد : تاريخ وجغرافيا
لغنى ، إستانبول سنة ١٣١٣ - ١٣١٤ هـ ، ص ٢٢٧
(١١) Pauly-Wissowa ، مجلد ١ ، ج ١ (سنة ١٨٩٣)
مادة Agrillon ، عود ١٨٩٤ (١٢) إسلام
أنيكوليدىاسى ، مادة يله جك بقلم بيم
دارقوت .

مردفیه [پارى V. J. Parry]

« يَبْلُو » : (انظر مادة « بلبوس ») .

+ « بيارستان » : وتختصر فى كثير من
الأحوال فيقال « مارستان » ، وهى مأخوذة من
الكلمة الفارسية « بيار » بمعنى مريض ، وإستان

ماسوييرلياً لببارستان الجديد من بعد (ابن القفطى : تاريخ الحكماء ، طبعة ليبير ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ، ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ١٧٤ - ١٧٥) . وكان ببارستان ببغداد الأصلى يقوم فى الحى الجنوبى الغربى على قناة كرخاباء وفيه اتبعت التقاليد المتحررة لجنديسابور فقد استجاب المندى منكه لطلب يحيى بن خالد البرمكى وترجم إلى القارسية الكتاب الطبى السنسكرىفى «سُسْرَتَا سَمِيهَتَا» (الفهرست ، ص ٣٠٣) ، وتقول بعض المصادر إن الرازى حاضر فى هذا الببارستان .

على أنه ليس من الواضح لدينا مدى استمرار ببارسان هارون فى العمل وحده بهذا الميدان ونحن نسمع منذ أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) — أو قبل ذلك بشفء من الزمن — بمشدد من المؤسسات الجديدة فى بغداد : الببارستان الذى أقامه بدر المعضدى غلام المعضدد (٢٧٩ - ٢٨٩ = ٨٩٢ - ٩٠٢ م) فى حى المَحْرَم على الضفة الشرقية للجلة (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٢١) ، وانظر ص ٢٢٤) ، والببارستان الذى أقيم فى حى الحربية شمالى مدينة المنصور ووقف عليه الوزير الصالح على بن عيسى مالاً سنة ٣٠٢هـ (٩١٤ م) وجعل الإشراف عليه هو وسائر ببارستانات بغداد ومكة والمدينة العالم أبى عثمان سعيد بن يعقوب الدمشق الذى عرف على خلاف ذلك بأنه مترجم (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٣٤) ، وببارستان السيدة على الضفة الشرقية ، وهو الذى افتتحه فى المحرم من سنة ٣٠٦ (يونية سنة ٩١٨) ستان بن ثابت ، والظاهر أن ستانا قد

ص ١٢٧١) ذكر فيها الطبرى أن الوليد أعطى الناس وأعطى المجتدين وقال : لانسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائلاً : « وأورد ابن الأثير (فى حوادث سنة ٨٨٨ = ٧٠٧ م) ملحوظة صغيرة فى هذا الصدد ، وأضاف الذهبى أن الخدم والقواد كانوا عبيداً (تاريخ الإسلام ، ج ٤ ص ٢٦) : وقد يبدو من ذلك أننا نتناول هنا مسألة خاصة بإجراءات عزل ، تشبه من بعض الوجوه ماحدث فى الأندلس من بعد ، حيث خصص حى يرمته فى قرطبة باسم «ربض المرضى» (انظر *Hist. Esp. Mus. : E. Lévi-Provençal* ، ج ٣ ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ ، ٤٣٤) .

وكانت إقامة أول ببارستان حقيقى فى الإسلام ثمرة للأثر المتصل الذى أحدثته المدرسة الطبية والمشتقى اللذان كانا قائمين فى جنديسابور من أعمال خوزستان ، فقد أنشئت هذه المدرسة والمشتقى فى ظل الساسانيين ، وأولست هذه المدرسة تقاليداً السريانية الساسانية والمهندية ثم الإغريقية أنشراً ، وأدخلها فى العصر العربى ، وأحدثت منذ انتقال قصبة الدولة إلى العراق أثراً عيباً فى تطور الطب العربى . أما من حيث المستشفيات فإن الاتصال بجنديسابور قد أثر ثمرة فى عهد هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ = ٧٨٦ - ٨٠٩ م) ، فقد وكل الرشيد إلى طبيب نصرانى من هذه المدرسة هو جبرائيل بن بختيشوع إنشاء ببارستان فى بغداد . وفى الوقت نفسه اعتمد صيدلايا بارعاً من جنديسابور إلى بغداد : وقد أصبح ابن هذا الرجل — وهو يوحنا (عيا) بن

رئيساً لبیارستان حوالى سنة ٨٣٢٠ م (٩٣٢ م ، انظر ابن القفطى ، ص ٢٧٢) ، والراجح أن بيارستان الرى كان قائماً قبل هذا التاريخ بمدة ، وقد زار المرء ماوى للمجانين بدير حرقل بن واسط وبغداد فى خلافة المتوكل أى بن منقى ٢٣٢ و٨٢٤٧ (٨٤٧ - ٨٦١ م) المسعودى: مروج الذهب ، ج ٧ ، ص ١٩٧ وما بعدها .

وفى زمن سنان بن ثابت الذى توفى سنة ٨٣٣١ (٩٤٢) ، انظر القهرست ، ص ٣٢ صبرت أوامر على بن عيسى الآنف ذكره بأن يزور الأطباء السجن يومياً ، كما كان المساجين المرضى يزودون بالأدوية والأشربة ، وكان يسمح للسيدات بالزيارة أيضاً ، ومن الواضح أن زيارتهن كانت تم بوصفهن ممرضات (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٢١) . وفى هذه المدة نفسها كان الأطباء للمارسون يرسلون للمرور بقرى السواد (أى العراق الأسفل) كما كانت ترسل إليها «خزائن للأدوية والأشربة» . ويظهر من المراسلات بين سنان والوزير بخصوص هذه الوحدة الطبية المتقلة أن غير المسلمين كانوا يعالجون فى البيارستانات لذلك العهد (ابن أبى أصيبعة ، الموضع المذكور) ،

وكان بعض بيارستانات بغداد على الأقل - وهى التى ذكرناها آنفاً - لا يزال فيها يرجع قائماً - حين أقام عضد الدولة البوسنى البيارستان العضدى الكبير عند ثنية دجلة فى غربى بغداد . وقد ذكر الرازى مراراً فيما يتعلق بهذا البيارستان الذى كان أشهر بيارستانات بغداد منذ افتتاحه سنة ٨٣٧٢

خلف أبا عثمان المشقى فى الإشراف العام على بيارستانات بغداد وغيرها من البلدان (ابن أبى أصيبعة ، ج ٩ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢) ، والبيارستان المقتدرى فى باب الشام الذى بنى حوالى هذا التاريخ (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٢٢) ، وبيارستان ابن الفرات ، فى حرب الفضل ، ويقال إن ثابت بن سنان قد ولي أمره سنة ٨٣١٣ (٩٢٥ م) ، انظر ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٢٤) . وكانت هذه البيارستانات تستمد مواردها من أوقاف حبسها عليها السراة من أهل السلطان . وكانت الأموال المحبوسة عليها فى أبداً نظار لم يكونوا دائماً حربصين على التوبى بمسؤوليتهم (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٢١) : ويمكن أن نكون فكرة عن حجم البيارستان من إنفاقه الشهري : فقد كان الإنفاق الشهري للبيارستان المقتدرى ٢٠٠ دينار فى الشهر ، وبيارستان السيدة ٦٠٠ دينار فى الشهر (المصدر المذكور) . وكانت بعض أسباب الراحة تكفل للمرضى بتزويدهم بالطباطين وفحم الخشب فى الجو البارد (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٢٢) ، وكانت الجهود التى تبذل فى هذا السبيل تتجاوز ذلك كثيراً فى بعض الأحيان (انظر مائلى)

أما معلوماتنا عن البيارستانات التى كانت قائمة فى الولايات فأقل من ذلك ، على أن بعضها كان موجوداً بلاشك قبل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . وكان بيارستان الرى مؤسسة كبيرة (ابن القفطى ، ص ٢٧٣) ، ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٣١٠ - ٣٣١) ، وهذا البيارستان قد ترأس عليه الرازى قبل قتلوه إلى بغداد حيث توفى

(القهرست ، ص ٢٩٧ ، بروكلمان ، ج ١ ، ص ٢٣٢) وقد حل محله آخر الأمر كتاب آخر بنفس العنوان لابن التلميذ ، وهو عميد (ساعور) انظر ماسبق) متأخر من عملاء البهارستان العسلى (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ٢٥٩) ولما زار ابن جبير بغداد سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤) كان موقع البهارستان شبيهاً بالحصن العظيم له مورد ماء يأخذ من دجلة ، وله جميع الملحقات التى تزود بها القصور الملكية (الرحلة ، طبعة ده غويه ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦) .

وثمة بهارستان آخر من البهارستانات الكبيرة فى الإسلام أيام القرون الوسطى ، وهو البهارستان الذى أقامه فى دمشق نور الدين بن زنكى (٥٤١-٥٦٩هـ=١١٤٦-١١٧٥م) ويقال إن البهارستان النورى قد بنى من القلعة التى أدامها ملك فرنجى لم يذكر اسمه (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٠٨) . ويصف ابن جبير (الرحلة ، ص ٢٨٣) كيف كانت هيئة المستشفى تحفظ بقوام بأسماء المرضى وكمية الأدوية والأغذية اللازمة لكل منهم ، وكانت مهام يوم قيامى فى حياة طبيب من أئمة أطباء البهارستان النورى تشتمل على : جولات لعيادة المرضى ، وكتابة وصفات من الدواء والعلاج ، وزياره المرضى المخصوصين ، ثم العودة إلى البهارستان مساءً للمحاضرة ثلاث ساعات فى موضوعات طبية (ابن أبى أصيبعة ، ج ٢ ، ص ١٥٥) . وكان ثمة بهارستان نورى فى حلب أيضاً (راغب الطباخ : تاريخ حلب ، ج ٢ ، ص ٧٧) .

(٩٨٢م) قبيل وفاة عضد الدولة (الذى : دول الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٧) . ويقال إن الرازى اختار موقع هذا البهارستان بأن عمد إلى تعليق قطعة من اللحم فى كل قسم من المدينة ، ثم اختار المكان الذى كانت قطعة اللحم فيه أقل تحللاً من القطع الأخرى ، كما يقال إن عضد الدولة اختار الرازى أول رئيس البهارستان (ويعرف باسم «ساعور» وهى مأخوذة من السريانية) من بين مائة طبيب (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠) . ولكن الرازى توفى قبل ذلك بضعين عاماً ، وتفسير هذه المفارقة قد لاحظته ابن أبى أصيبعة من قبل (للموضع المذكور) وربما كان السبب فيه التشابه فى الرسم بين البهارستان العسلى والبهارستان المعتضدى الذى أنشئ فى حياة الرازى (انظر ماسبق) .

وحين أنشئ البهارستان العسلى ، كان فيه أربعة وعشرون طبيباً (ابن القفطى ، ص ٢٣٥-٢٣٦) ، وقد ذكر أنه كان به عدة طوائف من المتخصصين : «طبائعيون» و«كحّالون» و«جراحيون» و«مجبرون» (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٣١٠) . وكان مرتب جبرائيل بن عبيد ، الذى كانت نوبته فى البهارستان يومين وليلتين فى الأسبوع ، ثلثاً فزهم فى الشهر (ابن القفطى ، ص ١٤٨) وكانت المحاضرات تلى فى البهارستان العسلى (ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٤) . ونحن نعلم بعض الكتب التى كانت تقرأ فى هذا السيل مثل «الأكراباذين» لسابور بن سهل الجتديسابورى

أما مصر فلم يكن فيها بهارستان حتى جاء أحمد ابن طولون فأقامها واحداً سنة ٢٥٩ - ٢٦١هـ (٨٧٢ - ٨٧٤م)؛ انظر للمقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ . وجرى القاعة فيه على ألا يسمح لجندى أجنبي بدخوله للعلاج . وقد وقف على هذا البهارستان أوقاف كثيرة وزود بيسيرات للرجال والنساء ؛ وقد أقام صلاح الدين البهارستان الناصري ، ولكن العمارة الكبيرة التي أنشأها للنصور قلاوون وتمت في أحد عشر شهراً سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) كانت أفخم بهارستان في مصر ، وربما كانت أوسع ماوة الإسلام في هذا الصدد ؛ ويقال إن المال الذي وقف عليه بلغ قرابة مليون من الدراهم في السنة (للمقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٠٦) ، وكان يسمح بالعلاج فيه للرجال والنساء ؛ ولم يكن يطرد منه أحد ، ولا يحدد مدة العلاج . أما البهارستان للنصورى الذي كان من قبل قسراً فاطمياً ، وهو مهبط ثمانية آلاف شخص ، فقد كانت فيه عناية للحبيات ، وأمراض الرمد ، والجراحات ، والدوسنطاريا إلخ ... ويعالج المرضى بها كل طائفة على حدة ، كما كان مزوداً بصيدلية ومستوصف ، وغازن ، وممرسين من الجنسين ، وهيئة إدارية كبيرة ، وترتيبات للمحاضرات ، وبيعة للصلاة ، ومكتبة ، أو قل خير ما كان يستطيع تدبيره في ذلك العهد من خبرة في علاج المرضى . وإننا لوصف الذي زودناه بالمقريزي (الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ - ٤٠٨) في هذه الشؤون لفضل أسدناه إلى علم المستشفيات في الإسلام أيام القرون الوسطى .

وثمة كتب ألفت في البهارستانات مثل : « كتاب في صفات البهارستان » للرازي (ابن أبي أصيبعة ، ج ١ ، ص ٣١٠) ؛ و « البهارستان » الأمل (انظر ابن القفطى ، ص ٢٧٢ - ابن جليل ، طبعة فؤاد السيد ، ص ٧٧) وهو الآن مفقود مثله مثل « كتاب البهارستانات » لزماد العلماء الفارقي الذي كان رأس بهارستان زاهر في الجزيرة في القرن الخامس الهجري للموافق الحادي عشر الميلادي (ابن أبي أصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٥٣) . وقد ذكر في هذا السيل - وإن اختلف بعض الاختلافات - « المقالة الأمنية في الأدوية البهارستانية » لابن التلميد ، و « المستور البهارستاني » لابن أبي البتيان ، وكلاهما في الأتراباذين ، وقد ذكرهما پول سبات Paul-Sabat (المهرست ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٢٨ ، ج ١ ، ص ١٠ ، ٧٥) الذي نشر الكتاب الأخير (Bulletin de l'Institut d'Egypte) ج ١٥ ، سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ ، ص ١٣ - ٧٨) .

المصادر :

(١) L. Leclerc : *Histoire de la Médecine* .
Arabe ، باريس سنة ١٨٧٦ ، ص ٥٥٧ - ٥٧٢ .
 (٢) *Arabic Medicine* : E.G. Browne ، كمبريدج سنة ١٩٢١ ، ص ٤٥ - ٤٦ ، ٤٦ ، ١٠١ - ١٠٢ .
 (٣) *Outline of Arabic* : Amin A. Khayr Allah .
Contributions to Medicine and Allied Sciences بروتست سنة ١٩٤٦ ، ٥٩ - ٧٣ (وفيهِ أخطاء قليلة) (٤) *Medical History of Persia and the* : C. Elgood *Eastern Caliphate* ، كمبريدج سنة ١٩٥١ ، الفهرس (وهو يزودنا أيضاً بعلومات من

مختلفة من إمبراطوريته ، بهارستانا المجانيين ،
وللمجنوبين وللميمان (القرطاس ، طبعة فاس سنة
١٣٠٥ هـ ، ص ١٥٤ ، ترجمة Beaumier
ص ٣٠٦) .

وقد حافظ السلاطين المربيون (انظر هذه
المادة) الكبار : أبو يوسف يعقوب وأبو الحسن
وأبو عثمان ، على هذه المؤسسات وأضافوا إليها
غيرها (انظر القرطاس ، طبعة فاس ، سنة ١٣٠٥ هـ
ص ٢١٤ ، النخبة السنية ، طبعة بن شيب ،
ص ١٠٠ ، ابن مرزوق : للسند ، طبعة لبي
بروفنساق في *Hesperis* ، ج ٥ ، سنة ١٩٢٥ ، ص
٣٦ ، ابن بطوطة : الرحلة ، طبعة دلمري وسانغويني
ج ٤ ، ص ٣٤٧) : وفي تاريخ متأخر عن ذلك
استأثر السلاطين الحاكمون بالموارد المخصصة لهذه
البهارستانات فأهملت ودرست .

المغرب الإسلامي (٥) *G. Le Strange* :
Baghdad during the Abbasid Caliphate ، أوكسفورد
سنة ١٩٠٠ ، طبعة جليدية سنة ١٩٢٤ ، ص ٦٢ ،
١٠٣-١٠٥ *Cairo Fifty Years* : E.W. Lane (٦)
Age ، لندن سنة ١٨٩٦ ، ص ٩٢ - ١٩٤ (انعطاف
شأن البهارستان المنصوري في القرن الماضي) (٧)
Arab Medical Surgery : M. W. Hilton-Simpson
أوكسفورد سنة ١٩٢٢ ، ص ١٣ (المستشفيات
القروية في الجزائر الحديثة) (٨) *Ahmed Isa Bey* :
Histoire des bimaristans à l'époque Islamique
(*Hôpitaux*) القاهرة ١٩٢٨ (٩) الكاتب نفسه :
تاريخ البهارستانات في الإسلام ، دمشق سنة ١٩٣٩
(١٠) *J. Sauvaget* : *Alah* ، المن ص ١٢٦ ،
تعلق ١ ، ومجموعة الصور ، لوحة ١ .
موربد [دنلوب D.M. Dunlop]

٢ - المغرب الإسلامي

إن أول بهارستان في شمال إفريقيا لبنا عنه
شاهد قد أقيم في مراکش على يد السلطان يعقوب
المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ - ١١٨٤ -
١١٩٩ م) قبل مائة سنة تقريباً من تأسيس بهارستان
القاهرة المشهور ، وكان هذا السلطان من مشجعي
العمارة الكبار ، وقد اجتنب إلى بلاطه أشهر
أطباء الأندلس في زمانه وهم ابن الطقيل وابن
وشد وابن رشد الحفيد وابنه ، ثم أقام في قصبة
ملكه للفرهاء أغنياء وقراء بهارستاناً ضخماً نجد
وصفاً له في عبد الواحد المراكشي (انظر المتعجب ،
طبعة محمد القاسم ، سنة ١٩٣٨ ، ص ١٧٦ -
١٧٧) ، وأنشأ السلطان نفسه أيضاً ، في أجزاء

وفي أوائل القرن العاشر الهجري (السادس
عشر الميلادي) وصف الحسن بن محمد الوزان
الزياني (ليون أفريكانوس) بهارستاناً في فاس فقال
إنه في حالة اضطحال كامل ، وكان يستخدم أصلاً
سجناً للمجانين الخطيرين ولا تزال هذه هي مهمته ،
كما أنه استخدم أيضاً سجناً للنساء (*Leo Africanus* :
Description de l'Afrique ، ترجمة Schefer ، ج ٢ ،
ص ٧٨ ، ترجمة Epaulard ، ج ١ ، ص ١٨٨ ،
Le Tourneau ، فاس ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨) .

والظاهر أن البهارستان الموحدي المشهور في
مراكش قد درس دون أن يترك أثراً ، وأصبح
البهارستان الذي أقامه هناك السلطان السعدي عبد الله

المأثر المجرى (السادس عشر الميلادي) السلطان
السمدي المنصور خارج باب ذكالة .

وفي تونس أقام السلطان الحفصي أبو فارس
أول بيارستان لقراء المسلمين أو غربائهم أو محتلبهم .
وقد تم هذا البيارستان سنة ٨١٢٣ (١٤٢٠ م) ،
انظر الزركشي : تاريخ الدولتين ، طبعة تونس
سنة ١٢٨٩ ، ص ١٠٢ . وفي غرناطة أقام
السلطان النصري محمد الخامس بيارستاناً فخماً
لمرضى المسلمين وقراءهم . وقد جاء في النقش الذي
على أسامه : « فاعرج به حصة لم يسبق إليها من
لدى دخل الإسلام هذه البلاد » ، ولربما كان هذا
مبالغة في القول ، لأنه كان ثمة بيارستانات أخرى
وفي غرناطة نفسها : ومنذ القرن السابع المجرى
(الثالث عشر الميلادي) ترجمت مجموعة مفردات

بالنسية (Valencia Vocabulista) ، كلمة hospitale
بمصطلحات طمجة ومن ثم حبة قليل بيارستان
ومكستان (انظر ابن الخطيب : الإحاطة ،
طبعة القاهرة سنة ١٣١٩ ، ج ٢ ، ص ٢٩ ،
Inscriptions arabes d'Espagne : Lévi-Provençal
ص ١٦٤ : L. Seco de Lucena :
Granada arabe ص ٥٣) ،

ويجب أن نذكر بين البيارستانات التي أنشئت
للمرضى والمجانين أو المانزل (المأوى البلية)
المخصصة للرحالة . وكانت مثل هذه الخانات في
للمغرب الإسلامي قام خارج أبواب المدن الكبيرة
على يد معظم السلاطين الذين أقاموا بيارستانات .
وقد سميت هذه الخانات باسم « الزاوية » (انظر

القالب باقة (٩٦٥ - ٩٨١ = ١٥٥٧ - ١٥٧٤ م)
سجناً للنساء (انظر الناصري : كتاب « صفاء »
الترجمة ، ج ٥ ، ص ٦٣) ،

وفي سنة ١٢٤٧ (١٨٣١ - ١٨٣٢ م)
أقام السلطان العلوي مولاي عبد الرحمن في سلا
بيارستاناً ملحفاً بفریح سبلى ابن عاشر . وهذا
البيارستان - الذي لا يزال مستعملاً - قد استخفى فيه
عن الأطباء واعتمد المرضى بدلاً منهم على بركة
هذا الولي . ولا تزال آثار البيارستانات القديمة - التي
اختفت أو بطل استعمالها بآلية في بعض مدن مراكش
كما هي الحال في الرباط والقصر (انظر Brunot :
Textes arabes de Rabat ، الحاشية ٢٠ ، ص ٧٥٣٢)
وكذلك في طنجة .

وكان المجلدون (الجمع الجلي أو تطلقا :
للمرضى) يسكنون في حى خاص يعرف بالحارة
خارج المدن : وقد أنزلوا في فاس خارج باب
الخوخة على طريق تلمسان . وتقلوا في النصف
الأول من القرن الثالث عشر إلى كهوف خارج
باب الشربة ، ثم أقاموا سنة ١٢٥٨ (١٢٦٠)
في كهوف أخرى خارج باب الجيسة . وكانوا
في أوائل القرن العاشر المجرى (السادس عشر
الميلادي) يعيشون في بلدة قرب سوق الخميس
(انظر القرباس ، طبعة الرباط سنة ١٩٣٦ ،
ج ١ ، ص ٥٣ - ٥٤ : Leo Africanus :
Description de l'Afrique ، ترجمة E. Paulard ،
ص ٢٢٩) وكانت الحارة مراكش في الأجل ،
بجارج باب آفجات . جى . نقلها في آخر القرن

٣ - تركية

وكان أول بهارستان سلجوقي (دار الشفاء) ومدرسة قد أقيمتا في قيصري سنة ٦٠٢هـ (١٢٠٦م) وقد أعقب هذا بناء بهارستانات أخرى في سيواس وديوريجي، وچانقيري، وقسطنطيني، وقونية، وتوقاد، وأرزيروم، وأرزنجان، وماردين وأماسية. وكانت مستشفيات الأناضول يطلق عليها وقتذاك - كما يطلق عليها اليوم - الأسماء: «بهارستان» و«مارستان» و«نيارخانه» و«دار الشفاء» أو «دار العافية». وكانت هذه البهارستانات مستشفيات عامة من حيث أنها كانت تقبل جميع حالات المرضى، وكان القائمون بالعمل فيها جراحين وأطباء وصيدلانية وكهناين. وكانت ترصد لها أموال مستقلة، وتنظم بحسب حجمها وأهيتها وحاجاتها الخاصة وموقعها.

وكان أول بهارستان عثماني أقيم في الأناضول هو «دار الشفاء» الذي أنشأه بلدرم في بروسة، وكانت بروسة قبل الفتح العثماني سنة ٨٧٢٦م (١٣٠٦م) خالية من بهارستان. وقد وسع السلاطين العثمانيون الأوائل: أورخان ومراد الأول وبايزيد بلدرم في رقعة المدينة وأقاموا فيها بعض المنشآت من بينها «دار الشفاء» التي أنشأها بلدرم وانتشحت سنة ٨٨٠٢م (١٣٩٩م) وقد أصلحت هذا الدار التي كانت قسماً من عمارة أقالمة بلدرم («بلدرم حمارة») وهي مركز خاص يشمل بهارستاناً وحماماً وئزلاً لراحة المسافرين إلخ) عدة مرات قبل أن تهجر في منتصف القرن التاسع عشر ونحل محلها مستشفى أحمد وفيق باشا، وهذه الدار خرابية الآن.

وله المادة: وانظر G. S. Collin : *La Zangya* : *Hesperis في mirasli d'Anasli, à Taza* سنة ١٩٥٣ ج٢، ص ١. و«الظاهر أن الخفاجي قدكرر خطأ قديماً بقوله إن أول بهارستان قد أنشئ على يد أبقراط ومياه «إخيشندوكيون» أي نزل الغرباء (انظر شفاء الغليل، طبعة القاهرة سنة ١٢٨٢م، ص ٥٩، وانظر ماسبق في قسم ١ من هذه المادة)». وكان المؤلف للراشدي لكتاب المعجب (انظر ماسبق يياته) الذي كان يكتب في بغداد سنة ٨٦٧١م (١٢٢٤م) هو المؤلف المغربي الوحيد الذي استعمل الرسم الاشتقائي الصحيح وهو «بهارستان» على حين يستعمل جميع الآخرين صيغة «مارستان» التي فقدت الحرف الفارسي. ولم تلبث الكلمة أن ظهرت مع اختصار الألف الأولى: وكان حرف لراء في اللهجات الأندلسية تعقبه الحركة (Vocalisate) : مرستان وملستان، وفي P. de Aceda : مرستين وقد أكد الخفاجي هذا التعلق في مصر أيام القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي، انظر الخفاجي: الشفاء، طبعة القاهرة سنة ١٢٨٢م، ص ٢٠٦) وتنطق الكلمة في لغة القاهرة الحالية «مرُستان» وفي اللهجات الحديثة بالمغرب يدخل في نطق الكلمة بعض الجنوح إلى الخارج الحلقية فيقال «مرُصطان»، ولعل السبب في هذا التغير في التعلق وجداني. وينطق بالكلمة في تطوان «مرصطران»، ومعنى الكلمة في كل الأنحاء هو «سجن المجانين المخطئين» (انظر *Textes arabes de W. Murešans* : *Tangu* ص ٤٦٥).

محمديه [كولان G.S. Collin]

في خطط هذه المنشأة التي أعدها في رحلة كبيرة
كيرلت C. Gurlitt (انظر Die : C. Gurlitt
Baukunst Konstantinopels ، برلين سنة ١٨٧٢ ،
في مجلدين) .

وفي القرن السادس عشر أقيمت ثلاثة بيارستانات
كبيرة في إستانبول وواحد في مغنيسيا ، وقد أقيمت
« بيارخانه » خاصكي سنة ٨٩٤٦ (١٥٣٩ م) في
إستانبول لحرم سلطان روجة سليمان القانوني . أما
« دار شفاء » سليمان ومدرسته الطبية فقد أقيمتا
سنة ٨٩٦٣ (١٥٥٥ م) في إستانبول باسم السلطان ،
وبنيت « دار شفاء » حافظه سلطان في مغنيسيا سنة
٩٤٦ (١٥٣٩ م) تكريماً لأم السلطان .
وأتى الحروب على أجزاء من « بيارخانه » خاصكي
بفعل الزلازل والحرائق ، إلا أنها أصلحت وتستخدم
الآن مركزاً صحياً . وظلت « بيارخانه » خاصكي
تعمل حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وقد
هجرت الآن .

وأقيم البيارستان الرابع « بيارخانه طوب
طاشي » سنة ٨٩٩١ (١٥٨٣ م) في إستانبول لنور
بانو سلطان أم مراد الثالث (٩٨٢ - ١٠٠٣ =
١٥٧٤ - ١٥٩٥ م) ، واستخدمت هذه المنشأة
مستشفى حتى سنة ١٩٢٧ ، وهناك أصبحت
مستودعاً للطابق .

وفي القرن السابع عشر عمل أحمد الأول
(١٠١٢ - ١٠٢٦ = ١٦٠٣ - ١٦١٧ م) على
إقامة مستشفى كبير خلف ميدان سباق الخيل

أما مستشفى الجذام الذي أقيم في أدرنة في
عهد مراد الثاني (٨٢٤ - ٨٥٥ = ١٤٢١ -
١٤٥١ م) فقد ظل يعمل حوالي قرنين . وكان
الأتراك قد بنوا ، قبل هذا المستشفى ، مستشفيات
أخرى في سيواس وقسطنطين ، وقيصري في
الأناضول .

وأما « دار شفاء » القابع التي افتتحت عام
٨٨٧٥ (١٤٧٠ م) فقد افتتحها محمد الثاني القابع
(٨٥٥ - ٨٨٦ = ١٤٥١ - ١٤٨١ م) ، وكانت
جزءاً من « كلية » . وهي الآن خربة من أثر علة
حرائق نزلت بها ، ومع ذلك فإن منشآت هذه
الدار ظلت تعمل حتى القرن الأخير . ويستدل
من وقفيتها على أنه كان ملتقفاً بها عدد كبير من
طلبة الطب علاوة على هيئة أطبائها ، وكانت هذه
هي الطريقة التقليدية لتدريب طلبة الطب في البيارستانات
الإسلامية .

وفي القرن نفسه أقام بايزيد الثاني (٨٨٦ -
٩١٨ = ١٤٨١ - ١٥١٢ م) عمارة أخرى في
أدرنة على ضفاف نهر طونجه . وكان جزء من هذه
العمارة بيارستاناً نسب إليه . وقد بدئ في إنشاء
المباني سنة ٨٩١ (١٤٨٦ م) وتمت في ثمان سنوات ،
ولكن الوقفية لم تقرر إلا سنة ٨٩٨ (١٤٩٣)
وهذه المنشأة « خربة الآن » ، إلا أن هيئةها الطبية
الكبيرة ظلت تخدم الجمهور حتى بداية هذا القرن.
ويقول أوليا جلبي إنه كان من بين الهيئة القائمة
بالعمل فيها عشرة موسيقيين كانوا ينفون للمرضى
بين الحين والحين . وكان ثمة كثير من الأخطاء

هؤلاء إلى الأناضول وأقاموا فيه مستشفيات حديثة ، واتخذت إجراءات للتحصين ضد مرضى الكلب والجديري هناك قرابة ذلك الوقت الذي بدأت فيه هذه الإجراءات في أوروبا . وكانت الحكومة العثمانية من الحكومات التي ساعدت على إنشاء معهد باستير ،

أما مستشفى شيشلي للأطفال الذي كان من أكبر المستشفيات في إستانبول فقد أقامه السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩١٦م (١٨٩٨م) .

وكانت هذه المستشفيات التي ذكرناها أهم المستشفيات في الإمبراطورية العثمانية ، وإن كان يوجد كثير غيرها في جميع أرجاء تركيا ، يغنيق المقام عن ذكرها ، وقد أقام الأتراك في خمسة قرون ما يقرب من سبعين مستشفى في إستانبول وحدها :

عورشيدي [شاه سوارأوغلي Bedi.N.Shehrwaroghlu]

« بين » : لقب عربي ، وهو منصوب الاسم

بين : ثم صار ظرفاً معناه التوسط ،

وبين بين طرفتي (١) معناه « بين الجيد والردى » ، والمهزمة التي بين بين « هي مهزمة بين المهزمة وبين حرف اللين (أي الألف) الذي منه حركتها ، (لسان العرب ، ج ١٦ ، ص ٢١٤) : ومعنى ذلك

البوزلطي القديم قرب مسجده المشهور ، وقد افتتح هذا المستشفى سنة ١٩٢٥م (١٦١٦م) ولم يدم إلا منذ عهد قريب فحصب لإنفاس للرجال لإقامة مدرسة جليلة .

وطراً الكماش على إقامة المنشآت العثمانية الصحية والاجتماعية للنفع العام في القرن الثامن عشر ، فلما جاء القرن التاسع عشر صبغت الخدمة العسكرية وطرز اللباس والتعليم وغير ذلك بالصيغة الحديثة في الإمبراطورية العثمانية ، وفي سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) أقيمت مستشفى الغرباء في إستانبول في أدنه قاضي بمدرسة مهرماه سلطان ، وبينما كان هذا المستشفى يصيغ بالصيغة الحديثة على يد بزم عالم والده سلطان أم للسلطان عبد المجيد ، كانت مستشفيات عسكرية حديثة جديدة ومدرسة طبية جديدة تقام ، وكان الغرض من هذه المنشآت الوفاء بالاحتياجات الطبية للجيش الجديد ، وأقيمت مدرسة جليلة للطب والجراحة في إستانبول سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) على يد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣ - ١٢٥٥هـ = ١٨٠٨ - ١٨٣٩م) ، وبدأت الدراسة فيها بالإيطالية ، ثم استبدلت بالإيطالية الفرنسية حين وفد إليها بعض أساتذة الطب الأكفاء من فرنسا سنة ١٨٣٩ : وقد وسع هذه المدرسة الطبية السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني ، ثم استحدثت فيها آخر الأمر معهد للكلب ومعهد لعلم الجراثيم ومركز للتطعيم . وتخرج في هذه المدرسة عدد من الأطباء ملعين باللغات الأوروبية وبالطرائق الطبية الحديثة . وقد مضى

(١) حرف مهم لا يبين معناه إلا بالاشتراك إلى اثنين فصاعداً أو ما يقوم مقام ذلك . قال صاني (مراد بين ذلك) فان جعلته اسماً لعريته . قال صاني في قرينة (لقد تقطع بينكم) .
عبد الحولي

المنية المشهورة التي عدها المحدثون (صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٣) وزودنا بوصفها في كتاب «الإكليل» (الكتاب الثامن ، طبعة ميلر ، ص ٤١ ، ٨٦ ، الكرمل : ص ٦٦ ، فارس ، ص ٥٤) . ويقال في الأساطير إن بينون بنها الجن سليمان ، كما بنوا غيبان (غن دن) وسكنين (س. ل. ح. ن) . جحيص . صنعا . ومارب (انظر هاتين اللادتين) . وقد جعل المحدثون بينون في أرض عتس (ابن عكاش) قبالة حرة كومان (على مسيرة ست ساعات من شمال الشمال الغربي على جبل إسييل) . وتقوم أطلالها عند «هيكوة» الحديث حيث جمر كايذر على عشرة نقوش . واشتهرت بينون بأفانها التي حفر في الصخر . وكان الملك الحميري أسعد تبّع (= أيكرب أسعد حوالي ٣٨٥ - ٤٢٠ م) يقيم في بينون حيناً ثم في ظفار (انظر هذه المادة) حيناً . وقد دمر الأجاش بقيادة أرياط حوالي سنة ٥٢٥ م بينون هي وغمدان وصلحون . ويجب أن نلتصق بينون في خريطة بطليموس (٨٤/٣٠ ١٤/١٥) في حضرموت (وادي دوعان [انظر هذه المادة]) ولكن لعل هذا خطأ صحته كينون .

المصادر :

- (١) المحدثون ، هذه المادة (٢) نشان ، طبعة عظيم الدين ، ص ١٠ ، ٦٧ (٣) ابن المجاور ، ص ١٠٢ ، طبعة عظيم الدين ، ص ١٠ ، ٦٧ (٤) ابن المجاور ، ص ١٠٢ (٥) ياقوت ، ج ١ ،

في لغتنا أنه عندما تأق الهزمة بين حركتين يسوغ فيها التخفيف في بعض اللغات كلفة قريش وأكثر أهل الحجاز (ابن يعيش ، ص ١٣٠٣ ، ص ٨) بيد أنه لا تنشأ حركة بين بين في الحروف المتحركة بالضم والكسرة كما أنه لا إدغام بين الألف والفتحة ، أو بعبارة أخرى أن هذا النوع من الهزمة ليس حركة وإنما هو - كما ذهب إلى ذلك سيفرز (Phonetik : Sievers) ، الطبعة الخامسة ، الفصل ٤٠٨ - انتقال غير محسوس أو غير مباشر من حركة إلى حركة وبينون أن ينشأ عنه حرف علة . وسبب هذا الوضع الثاني أن الأجداد العربية لا تجمع بين حركتين متتاليتين . وهذا النوع من الانتقال لم يقتصر على حالة كون الهزمة مسبوقه بكسرة أو ضمة (سيويه ، طبعة درنبرغ ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، ص ١ - ٩ ، الزمخشري : الفصل ، الطبعة الثانية ، ص ١٦٦ ، ١٠) وفي هذه الحالة يصبح الصوت الانتقالي حرفاً من نوع هذه الحركة (ياء أو واو) وخاصة إذا كان هناك تخفيف .

المصادر :

- (١) سيويه ، طبعة درنبرغ ، ج ٢ ، ص ١٦٨ - ١٧٦ (٢) الزمخشري : الفصل ، الطبعة الثانية ، ص ١٦٦ - ١٦٧ (٣) ابن يعيش ، ص ١٣٠٢ - ١٣١٠ (٤) انظر أيضاً مادة ألف في هذه النائرة .

[شاهد A. Schaeche]

+ «بينون» : حصن وبلدة قديمان في جنوبي جزيرة العرب ، وبينون من المقال (مخافد)

+ **بَيْهَقِي** : كانت قبا عبق اسم ناحية إلى الغرب من نيسابور في خراسان . وكانت تشمل في العصر الطاهري ٣٩٠ قرية ، وخرجها حوالي ٢٣٦,٠٠٠ درهم . وكانت حاضرتها سبزوار وخسروجيرد ، وقد سلمت بيهقي لجيش المسلمين بقيادة عبد الله ابن عامر سنة ٥٣٠ (٦٥٠ - ٦٥١ م) . وفي عام ٥٤٦ - ٥٤٨ (١١٥٣ - ١١٥٤ م) دمرها بتاتكين . ويقول حمد الله مستوفى إن أهلها كانوا من الشيعة الإثني عشرية . ومن المشاهير الذين خرجوا منها : وزير ألب أرسلان وملكشاه أبو الفضل محمد بن حسين بيهقي صاحب كتاب « تاريخ بيهقي » . وعبد الرزاق مؤسس الأسرة المريدانية . وكانت عجاير الرغام تستغل هناك .

المصادر :

(١) ابن قُندُق : تاريخ بيهقي (٢) المقدسي : ص ٣١٨ ، ٣٢٦ (٣) حمد الله مستوفى : التزهة ، ص ١٤٩ - ١٥٠ (٤) محمد حسن خان : مرآة البلدان ، ج ١ ، ص ٣٢٧ (٥) دولتشاه ، ص ٢٧٧ (٦) *Dictionnaire* : Barbier de Meynard
de la Perse ، ص ١٣٠ .

عورفي [لامتون A.K.S. Lambton]

ص ٨٠١ (٦) *Die alte Geographie* : Sprenger

ص ١٦٣ (٧) *H. von Wissmann*
Beitrage zur historischen Geographie : & Hoefner

ص ٤٠ ، ٩٩ (٨) *des voristan Suedarabien*

ص ١٧٨ ، *Storia d'Ethiopia* : Conti Rossi

عورفي [لوفكرن O. Loefgren]

« **الْبَيْهَقِيَّة** » : اسم فرقة من فرق الخوارج نسبت إلى صاحبها أبي بهس (انظر مادة «أويهس»)

« **بَيْهَقِي** » : ناحية من أعمال نيسابور في خراسان ، كانت حاضرتها أول الأمر خسروجيرد على مسيرة فرسخ (أربعة أميال) من سبزوار ، ثم أصبحت سبزوار قصبها بعد ذلك . ومن تفرق بيهقي «باشتين» موطن الأمير عبد الرزاق مؤسس أسرة «سربدار» ، وعرف أهلها بالتعصب للشيعة في جميع العصور . وكان بالناحية عجاير الرغام . وخرج من باشتين المحدث الشافعي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي .

المصادر :

(١) محمد حسن خان : مرآة البلدان ،

ج ١ ، ص ٣٢٧ (٢) المقدسي ، ص ٣١٨ ، ٣٢٦

(٣) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ٢٧٧ (٤)

Dictionnaire de la Perse : Barbier de Meynard

ص ١٣٠ .

[هيوار Cl. Huart]

و. **الْبَيْهَقِي** : إبراهيم بن محمد : مؤلف عرق لا تعرفه سوى أنه من زمرة ابن الجوزي . وقد كتب البيهقي كتاباً في الأدب اسمه «كتاب الحامض والمساوي» (طبعة شوال Schwally وكنيس Gissen سنة ١٩٠٢ م ، وأعيد طبعه في القاهرة عام ١٩٠٦ م)

في عهد الخليفة المنتصر الذي حكم من عام ٢٩٥هـ كتاب دلائل النبوة فانظر (K. Nylander : *Ueber die Upsalar. Hs. der Dala al-Nubuwat* der Abu Bekr Ahmed Al-Baihaqi : أسالاسنة ١٨٩١م) : إلى عام ٣٢٠هـ (٩٠٨ - ٩٣٧م) .

[بروكلمان C. Brockelmann]

«البيهقي» أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ابن موسى : مؤلف عربي وحجة في الحديث وفتح الشافعي . ولد في شعبان عام ٣٨٤ (سبتمبر سنة ٩٩٤) بخسروجد في ناحية بيق على مسيرة عشرين فرسحاً من نيسابور . ورحل البيهقي كثيراً، وحصل خلال رحلاته علماً واسعاً بالحديث والعقائد على مذهب الأشعري ، وما إن عاد إلى بلده حتى طلب لتدريس فقه الشافعي وفقاً للتصويع العظيمة التي جمعها لهذا الإمام (كتاب نصوص الإمام الشافعي في عشرة مجلدات^(١)) ، انظر *Bibliotheca Bodleiana* : *cod. mas. or. ost.* ج ١ ص ٨٧٨) . وتوفي بنيسابور في العاشر من جمادى الأولى سنة ٤٥٨ (٩ أبريل سنة ١٠٦٦م) . وهناك نسخة بخط البيهقي من مؤلفه العظيم في الحديث «كتاب السنن والآثار أو كتاب السنن الكبير»^(٢) محفوظة في القاهرة (فهرس دار الكتب المصرية ، ج ١ ، ص ٣٥٢) . وطبع لقد لهذا الكتاب ألفه علي بن عثمان بن الركناني بعنوان «الجوهر النقي في الرد على البيهقي» في مجلدين بمطبع آباء عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) . أما عن

و هناك مخطوطات من أهم كتبه في الأخلاق : والجامع المصنف في شعب الإيمان : في القاهرة (فهرس دار الكتب المصرية ج ١ ، ص ٣٢٤) ، وفي الإسكوريال (H. Derenbourg : *Les mss. arab. de l'Escorial* : ج ٢ ، ص ٧٤٣ ، ص ٢) وفي ليبسك (*Katalog der isl. u.s.w. Hss. : Vollers* : *Universitätsbibliothek zu Leipzig* : رقم ٣١٩) . وقد كتب گولدتسيهر عن عنوان هذا الكتاب في مقال له بمجلة (*Revue de l'Histoire des Religions* : ج ٢٦ ، ص ١٣٣ وما بعدها) وأورد السبكي في طبقاته رسائل البيهقي إلى عميد الملك والجوهر أبي إمام الحرمين (ج ١ ، ص ٢٧٢ وما بعدها) ج ٣ ، ص ٢١٠ وما بعدها^(٣) .

المصادر :

- (١) ابن خلكان ، رقم ٢٧ (٢) ياقوت : المعجم ، ص ٨٠٤ (٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٣ ، ص ٣ (٤) السيوطي : طبقات الحفاظ ، ج ١٤ ،

(١) وما طبع من مؤلفات البيهقي أيضا : كتاب (الاسماء والصفات) طبع بالهند سنة ١٢١٢ هـ بطبع بمصر أيضا الخ . وكتاب (القرابة خلف الإمام) طبع بالهند في سنة ١٢٢٥ هـ وهو جزء متروك في ١٦٠ صفحة . تصحيح المصادر ومصادر أخرى .

ترجمة البيهقي في ابن خلكان (ج ١ ، ص ٢٤ - ٢٥) طبع بولاق : طبقات الحفاظ للذهبي (ج ٢ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٧) طبع الهند : والبداءة والنهاية لابن كثير (ج ١٢ ، ص ٢٤) وشرحات المذهب لابن الصاد (ج ٣ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥) طبع أحمد سعيد شاك

(١) اسمه (اليسوط) قال ابن السبكي في الطبقات : « وما اليسوط في نصوص الشافعي لما صنف في ترميمه مظه » . (٢) كتاب السنن الكبير أو السنن الكبرى للبيهقي طبع بعد ذلك في حيدرآباد بالهند في سنتي ١٢٤٤ - ١٢٥٦ هـ في عشرة مجلدات فسخام وطبع منه ذيل له في كتاب (الجوهر النقي) في أسفل المصاحف .

ولا نستطيع أن نمتخرج من مصنفاته أو مصنفات غيره شيئاً عن سيرته . وحدث البیهقی عن أسرته فقال إن السلطان عمودا الفزنوی ووزیره أباالحسن المیمنی قد دعيا جلده أبا سلیان فندق من سیوار بالقرب من بست لیلی القضاء والإفتاء فيها (بقضا وفنوی دادن) وتخلی فیها بعد عن منصبه واشترى ضیعة فی ناحية بیهق . وإنا نعرف أيضاً أن أباه ولد فی غرة شوال عام ٤٤٧ (٢٤ ديسبر سنة ١٠٥٥) وتوفی فی الساج والعشیرین من جمادی الآخرة سنة ٥١٧ (٢٣ أغسطس سنة ١١٢٣) بعد أن قضی عشرين عاماً فی بخارى . وكان البیهقی نفسه فی بلاط السلطان سنجر فی صفر عام ٥٤٣ (٢١ یونیة - ١٩ یولیة سنة ١١٤٨ م) عندما وصل إلى هذا السلطان رسالة من الملك دیمتریوس الکرجی مکتوبة بالفتن العریة والسردایة یسفیه فیها عن بعض الأمور الدینیة . وוכל إلى البیهقی الإفتاء هذا الأمر هاتین الفتنین ، وكان توفیقه فی ذلك عظیماً (فهرس المخطوطات الشرقة بالمتحف البريطانی ، رقم ٣٥٨٧ ، الأوراق ١٩٤ - ب وما بعدها) .

وكتاب تاریخ بیهق یتضمن وصفاً مسهباً لجغرافیه ناحية بیهق ونظام الضرائب فیها وأخباراً عن أمرائها وولائها ومشاهیر الرجال الذین ولدوا فیها وبرزوا فی الأدب أو الذین وغیر ذلك . ولدينا من هذا الكتاب الصغیر عدة مخطوطات جیئة . ولذلك فهو يستأهل النشر . وقد أهمل هذا الكتاب حتی عصرنا إهمالاً کبیراً ولم یشر إلى أى جزء منه فی التصوص الأصلیة الخاصة بفقہ اللغة الإیرانیة .

ص ١٣ (٥) Wuestenfeld : *Geschichtsschreiber* ،
ص ٢٠٣ (٦) الکاتب نفسه : *Shoiten* ، ص ٤٠٧
(٧) Brockelmann : *Gesch. der arab. Lit.* ،
ج ١ ، ص ٣٣٣ .
[بروکلمان G. Brockelmann]

« البیهقی » أبو الحسن علی بن زید ظهیر الدین ویلقب أيضاً بابن فندق : مؤرخ لم یبق من مؤلفاته سوى « تاریخ بیهق » باللغة الفارسیة ، وهو تاریخ موطنه بیهق فی خراسان ، وقد فرغ من تألیفه فی الرابع من شوال (أوالخامس منه فی رواية دیو Rieu) عام ٥٦٣ الموافق ١٢ یولیة ١١٦٨ م (*Verzeichniss* : Peruch ، برلین ، ص ٥١٦ ، رقم ٥٣٥ ؛ Rieu : الملحق ، لندن ص ٦٠-٦١ ؛ *Persidskija arabskija i turekija* : B. Kahl ، *rukopist Turkestanskoi publicnoi biblioteki* ، رقم ١٩ ، ص ٨ - ٩) : ولم نعر بعد علی أى مخطوط لکتابه فی التاريخ العام ومشارب التجارب وغوارب الغراب ، الذی ألفه باللغة العریة وذكره حاجی خلیفة (ج ٥ ، ص ٥٤٤) . ونجد نقولاً منه فی ابن الأثیر (طبعة تورنبرغ ج ١١ ، ص ٢٤٩) وفی تاریخ جهان کشای الجوزی (Barthold : *Turkestan etc.* ج ٢ ، ص ٣٢) . ویزعم الجوزی أن هذا المؤلف هو ذیل تجارب الأمم لابن مسکویه . ومن المحقق أن عنوانه یشر إلى کتاب ابن مسکویه ، وإن كان البیهقی نفسه قد ذکر فی مصنفه « تاریخ بیهق » أن کتابة مشارب التجارب هو ذیل تاریخ بیهق المعنی .

أبو الحسن «). ولم يتيسر لأبي الحسن نفسه الاطلاع على المصنف الكبير برمته وإنما أطلع على بعض فقرات منه فقط. ووردت فقرات من المجلد الأول الخاص بعهد السلطان محمود في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) في كتاب حافظ أبرو (*Turkstan*: Barthold ج ١، ص ١٥٧ وما بعدها). ولم يصل إلى علمنا حتى الآن أن هناك أية فقرات نقلت من المجلدات الأخيرة الخاصة بخلفاء السلطان مسعود.

وحدث البيهقي عن نفسه فقال إنه كان في السادسة عشرة عام ٤٠٢ هـ (١٠١١ - ١٠١٢ م) وأنه بلغ الخامسة والستين (ص ٢٤٦) في ذى الحجة من عام ٤٠٢ هـ. وتستدل من ذلك على أنه ولد حوالي عام ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م). ويذكر أبو الحسن أن البيهقي ولد في قرية حارث آباد من أعمال بهق، وعظم تسعة عشر عاماً في ديوان الإنشاء (ديوان رسالت) على عهد الغزنويين تحت إشراف أستاذه أبي ناصر ميشكان (ص ٧٥٩) الذي توفي في بداية سنة ٤٣١ هـ (خريف ١٠٣٩ م)، وعلى هذا فإنه لا بد أن يكون البيهقي قد عظم الدولة الغزنوية منذ عام ٤١٢ هـ (١٠٢١ - ١٠٢٢ م) تقريباً. ولم يخلف البيهقي أباً نصر لحدائنه سبته، وكان أبو سهل الروزي - الذي فضل عليه - لا يعمل إليه، بل قيل إنه ألحق به فيما بعد ضرراً بليغاً. وبعث البيهقي باستقالته إلى السلطان مسعود، غير أن السلطان تعطف ولم يقبلها. وكان الحكام الذين أتوا بعد مولاهم لا يشعرون أيضاً بعنيل إلى البيهقي، وشاهد ذلك

ولودد بارتولد شواهد من هذا الكتاب في *Turkstan in epochu mongolskago nashestiia* ورسائله المرسومة: *Zur Geschichte der Saffarinus* (*Orientalische Studien, Festschrift zu Ehren von Th. Noldeke*، المجلد الأول، ص ١٧٥).

[بارتولد W. Barthold]

«البيهقي» أبو الفضل محمد بن حسين مؤرخ فارسي ألف تاريخاً للغزنويين في أكثر من ثلاثين مجلداً. ولم يبق من هذا المؤلف سوى جزء صغير (نهاية المجلد الخامس إلى المجلد التاسع، وبداية المجلد العاشر) يحوى تاريخ السلطان مسعود الأول الذي حكم من عام ٤٢١ إلى عام ٤٣٢ هـ (١٠٣٠ - ١٠٤١ م) ويعرف هذا المؤلف عادة باسم «تاريخ بهق». وقد نشره مورلي Morley لأول مرة بهذا العنوان في كلكتة عام ١٨٦٢ م في المكتبة المتحفية *Bibliotheca Indica* وطبع ثانياً مرة طبعة حجرية ب طهران عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ - ١٨٩٦ م). ولا نعرف هل كان البيهقي قد أطلق اسماً عاماً على جميع أجزاء هذا الكتاب أم لا. وذكر القسم الأول من المجلدات الباقية، وهو الخاص بعهد السلطان محمود، باسم «تاريخ بهق» (طبعة مورلي Morley، ص ١٥٨) أو باسم «مقامات محمودى» (ص ١٧٦). وهناك معلومات عن المؤلف ومصنفه وردت في كتاب «تاريخ بهق» لمؤلفه أبي الحسن البيهقي الذي عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). وهذه المعلومات لم تنشر بعد (انظر مادة «البيهقي»

وأما تاريخ البيهقي ليس بتاريخ مملكة أو بلاد بالمعنى
التيقيني لهذه العبارة وإنما هو خواطر حامل فارسي
عن حياة سلاطينه وبلاطهم وعن الشؤون الداخلية
والخارجية التي قام بها هذا البلاط : ويقول البيهقي
(ص ٤٢٨) إن مصنفه ليس تأريخاً بالمعنى الذي
درج عليه الناس من أن بعضهم قتل هذا أو أن
بعضهم قتل ذلك بل إن كل ما رآه قد وصفه وطولاه
وعرضاً (ص ١٠) : وعلى هذا فإن لدينا وصفاً
مفصلاً ديجو يراخ شاهد. عيان للحياة في بلاط
الغزنويين إبان حكم السلطان مسعود ولطرق الحكم
في الدولة التي أسسها سبكتكين وعمود : ولعله
ليس لدينا وصف شبيه بهذا لحياة أي بلاط شرقي
آخر في العصور الوسطى : ومؤلف البيهقي هذا
موجع هام عن تاريخ الأسر الحاكمة المتخلطة وبخاصة
الأسرة السامانية لما فيه من تلمذ عن اليهود المتخلطة.
وهذا الكتاب صعب التناول لعدم وجود فهرس
له في طبعة مورلي Morley ، وأورد إليوت Elliot
تغيرات من هذا الكتاب في مصنفه *History of India*
ج ٢ ، ص ٥٣ - ١٥٤ ، كما أورد كزمرسكي
A. Biberstein Kazimirski فقرات منه في مقدمة
طبعته لديوان منوجهرى (باريس سنة ١٨٨٧ ، ص
١٧ - ١٣١) .

والجزء الذي بقي من « تاريخ البيهقي » كتب
خلال عامي ٤٥٠ ، ٤٥١ هـ (١٠٥٨ - ١٠٥٩ م)
وكثيراً ما يقال إن هذا التأريخ يبدأ بمسئول حكم
هذه الأسرة ، وهو زعم قال به أبو الحسن البيهقي
أيضاً : غير أن البيهقي قد نص على أن تاريخه يبدأ

أما رواه من المصائب التي حلت به في ذلك الوقت
وظل يريزح تحتها عشرين عاماً أثناء اشتغاله بتصنيف
كتابه . ولاشك أنه قد بالغ بعض الشيء في تقديره
عدد هذه السنين .

ويعترف البيهقي بأنه لم يكن يريثاً كل البراءة
لما أخذ عليه ، ولكنه يزعم أنه عزل لصغر سنه
(ص ٧٥٤) وكانت سنة في ذلك الوقت ٤٥٥ عاماً (١) .
وقد خدم البيهقي الدولة بنشاط فيما بعد . فكان على
أس ديوان الإنشاء في عهد عبد الرشيد (١٠٤٤ -
١٠٥٣ م) ، ويزعم أبو الحسن أن قاضي خزانة حكم
عليه بالسجن حوالي نهاية حكم عبد الرشيد لأنه كان
يعفر الأنعام بما عاين في القانون (مهزني) واغتصب
طغرل الحكيم من هذه الأسرة بعد ذلك وسجن
عمال عليه عبد الرشيد : وأخر البيهقي من السجن
(زندان) الذي سجنه فيه القاضي وحسن في القلعة
(حسن قلعة) : ولم يزد حكم طغرل على سبعة
وخسين يوماً : ويزوال حكم هذا المنصب عادت
الأسرة القديمة إلى الحكم وأفرجت عن جميع
عمالها ومن بينهم البيهقي : ويروى أبو الحسن أن
البيهقي لم يعزل خاتمة الدولة إلا عند وفاة السلطان
فرخ زاد عام ٤٥١ هـ (١٠٩٥ م) ، وانقطع حينئذ
للتأليف : ومعظم ما بقي من تاريخه (حتى صفحة
٤٦٦) كتب في عهد فرخ زاد . وكان المرجع له
بعيش آتله بعيداً عن مناصب الدولة (ص ١٢١)
لأنه كان قد اعتزل العمل قبل ذلك بمدة . ويزعم
أبو الحسن أنه توفي في صفر من عام ٤٧٠ هـ (٢٤
أغسطس - ٢١ سبتمبر ١٠٧٧ م) .

بهم ٢٤٠٩ هـ (١٠١٨ - ١٠١٩) ، انظر ص ٣١٦)
ولهذا السبب نجد أن صليبه عموداً الورق قد ختم
تاريخه الكبير بهذه السنة ، وهذا التاريخ لا نعرف
هه شيئا . ونستدل من خطه الكتاب بأسره أنه لا يقبل
أن يستغرق ذلك العهد الطويل الذي يبدأ بعسل عهد
الأميرة إلى وفاة السلطان محمود أربعة مجلدات
ونصف مجلد فقط . ويروى أبو الحسن أن البهي قد
صنّف خلاوة على تاريخ رسالة لعمال الدولة بمصر
« زينة الكتاب » وأورد لنا فقرات طريفة منها . ومع
ذلك فإننا لانعرف شيئا آخر عن هذه الرسالة .
[يارنولد W. Barthold]

والبهي ، أحمد بن علي بوجعفر عكر : لغوي
عربي ولد عام ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) ودرس على
للبناني : وعاش ملازماً بيته لا يخرج منه إلا في
أوقات الصلاة إلى مسجد نيسابور العتيق ، لأنه
كان إمامه . وتوفي في ٢٠ رمضان عام ٥٤٤ الموافق
٣١ يناير ١١٥٠ . وبقي من مؤلفاته « تاج المصادر »
وعليه شروح باللغة الفارسية (A Catalogue of the Arab Mss. in the Library of the India Office
رقم ٩٩٤ - ٩٩٦ : Bibliotheca Bodleiana)
cod. mss. or. cat. : ١ هـ ، رقم ١٠٨٩ .
المصادر :

- (١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة دهغوبه :
- ١ هـ ، ص ٦٣ ، ٢ هـ ، ص ١٢٥ ، ١٢٧ هـ ،
- ٣ هـ ، ص ١٥٤ ، ٦ هـ ، ص ٢٥٣ (٢) ياقوت :
- المعجم ، ١ هـ ، ص ٧٧٢ وما بعدها (٣) أبو القلصام ،
- طبعة رينو Rainaud ، ص ٢٩ (٤) Le Strange :
- Palastine under the Moslems ، ص ٤٢٢ (٥)
- Beitrage zur Geographie des nordl. v. Kremer
- Strim ، ص ٢١ (٦) Ritter : Breikunde ، ص ١٧
- سنة ١٨٢٠ هـ ، سنة ١٨٤٠ هـ ، وما بعدها (٧)
- Stizungsher. der Wiener Akad. في Tomaschek
- Humann and (٨) ٧١ هـ ، ص ٩١ هـ ، ١٨٩١ م

- (١) ياقوت : إرشاد الأريب إلى معرفة
- الأديب ، طبعة ماركو ليوت ، ٢ هـ ، ص ٤١٤
- ٤١٦ هـ (٢) السيوطي : بقية الرواة ، القاهرة
- ١٣٢٦ هـ ، ص ١٥٠ (٣) Brockelmann :
- Gesch. der arab. Lit ، ١ هـ ، ص ٢٩٣ .
- [بروكلمان G. Brockelmann]

أعلى في أبلدة ، وذلك قبيل وفاته وبعد لقد المربة .
 وظلت بياسة قرابة قرن تابعة للموحدين ، وفي سنة
 ٨٦٠٩ (١٢١٢م) نقل الناصر مسكوه وهو في
 طريقه إلى « المقاب » من جيان إلى بياسة . وبعد
 أن حلت الغزوة بالمسيحيين فرأى أهل بياسة إلى أبلدة ،
 وفي ١٨ صفر سنة ٦٠٩ (٢٠ يولية سنة ١٢١٢)
 دخل المستصرون البلدة المهجورة وأحرقوها : ولما
 انسحب للمسيحيين أعيد بناء البلدة وعمرت .
 وفي السنة التالية حاصرها القونسل الثامن بمشقة في
 شتاء عام ١٢١٣ - ١٢١٤ . واضطر إلى الانسحاب
 دون أن يظفر بقاتل ،

ولاشك أنه قد عاش في بياسة وقتاً طويلاً
 ابن أخ لعمد النعم يدعى عبد الله ، وكان والرأى على
 بجاية وجزائر البليار وبلتسية ، ذلك أن أبنائه
 النشرة كانوا يلقبون بالبياسي ، وقد انقضض
 أكبرهم عبد الله في بياسة على الخليلتين العادل
 وعبد المؤمن ، وتحالف مع فرديناند الثالث وأمد
 بحامية قشتالية في قصبة بياسة . فلما قتله القرطبيون
 عام ٦٢٣ (١٢٢٦م) حاد أهل بياسة إلى هجرها
 واحتلها آخر الأمر فرديناند الثالث في ١٩ ذى الحجة
 سنة ٦٢٤ (٣٠ نوفمبر سنة ١٢٢٧) : وقد كان
 لبياسة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر شأن
 خطير في الصراعات التي نشبت بين بني نصر
 والمريتين أثناء إعادة فتح المسيحيين للأندلس ،
 وذلك بفضل كونها مقبلة له أهمية استراتيجية كبيرة
 لوقوعه على الحدود بين قشتالة ومملكة غرناطة .

Reisen in Kleinasien : Puchstein ، ص ١٦٠ -
 ١٦٣ (٩) M. Hartmann في Zeitschr. der Ges.
 fuer Erdkunde ، ص ٢٩ ، ١٧٤ (١٠) Guinet :
 La Turquie d'Asie ، ص ١٠٥ وما بعدها .
 [هارتمان R. Hartmann]

١- « بياسة » وبالأسمانية Baeza : بلدة في
 مديرية جيان ، على مسيرة ٤٨ كيلومتراً من
 العاصمة ، وقد بلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر
 ١٧,٠٠٠ نسمة ، وهي تقوم على تل تتحدر
 سفوحه إلى الوادي الكبير ووادي شوش . والبلدة
 أسسها الأيبريون ، ويقول بطليموس إنها كانت
 تسمى بياترا Biatra ؛ ويسمى بليناس أهلها
 البليسينيين Vincienais ، وقد جعلها القوط مقر
 أسقفية بياتنيس Biatensis . ولما سقطت في يد
 المسلمين سميت ببياسة . وفي رواية الإدريسي أن
 قمحها وشعرها كانا موضع التنازع ، على أنه لم
 يذكر إخراج زيتونها التي تغطي الآن نصف مساحتها ،
 وقد غزاها في عصر الخلافة الأموية ابن حفصون
 (انظر هذه المادة) ، بيد أن عبد الرحمن الثالث
 استردها سنة ٢١٧ (٩١٠) : وكانت البلدة
 سنة ٤١٢ (١٠٢١) تتبع هي وجيان وقلمة
 ربناح إقطاع زهير التقي العامري . واستولى عليها
 المرابطون الذين سلم ابن غانية نصيرهم الأخير في
 الأندلس البلدة سنة ٥٤١ (١١٤٦) للإمبراطور
 القونسل السابع ، واحتفظ القونسل هلمها حتى
 انحلالها سنة ٥٥٢ (١١٥٧م) في الوقت الذي

المصادر :

- (١) الإدريسي : نزهة المشتاق = Desc. ص ٢٠٣ من النص ٢٤٩ من الترجمة (٢) عبد المنعم الحيمري : الروض للمطار ، ص ٥٧ من المتن و ٧٢ من الترجمة (٣) Chronique : G. Ciroc ، ص ١١٥ (٤) latine des rois de Castille ، Notices y documentos : Fernando de Cozar ، para la historia de Baena ، سنة ١٨٨٤ (٥) Hist. Esp. Mus. : E. Lévi-Provençal ، الفهرس (٦) Hystoria : A. Huici Miranda ، del imperio almohada ، ص ٢٣٢ - ٤٣٦ .
مورديه [ميراندا A. Huici Miranda]

❦ بيانة ❧ ، وبالأسبانية. Baena : بلدة

محصنة في مديرية قرطبة ، على مسيرة ٥٩ كيلو متراً من العاصمة : وكانت في العصر الإسلامي تابعة لناحية قبة ، كما كانت هي والزهراء وإسنيجة واليسانة وقرطبة تكون إقليم القسبية (La Campinia) : وتقوم بيانة على تل في قسبية قرطبة ويروها نهر مَرَّة بِلَّة وهو فرع من وادي شوش ، وكانت تكتنفها الحدائق والكروم وأحراج الزيتون كما هو شأنها اليوم ، وتعم برخاء عظيم في العصر الأموي : وكان للبلدة قلعة مكيبة تقوم على منحدر يواجه الهر ، ومسجد جامع أقيم بأمر عبد الرحمن الثاني ، وأسواق وحمامات . وقد نجح ابن حفصون (انظر مله المادة) في فتح بيانة في عهد الأمير عبد الله ، ولكن بيانه فقدت الكثير من طنائيتها

الريفية بسقوط الخلافة وما تلا ذلك من اضطراب نشأ من الفتنة التي نشبت ، ويرجع موقعها الحال في العصر الإسلامي ، ذلك أنه لم يثر فيها على أية آثار رومانية ولا في الأرجاء المختلفة لأرباضها حتى جسر أنقرة Antiqua : وقلة من القوسو الجري بيانة في حملته المشهورة على الأندلس ، ولم يستمر عليها ، وكان ذلك قبل وقعة أريسون في صفر سنة ٥٢٠ (مارس سنة ١١٢٦ م) . ولما سقطت البلدة في يد فرديناند الثالث سنة ١٢٤٠ ، كان لها جبر مزدوج ، صور داخل يضم القسبة والمدينة ، وصور خارجي يضم أرباضها التي كان يسكنها المدينون وقد نقل المدجنون الذين بقوا في بيانة إلى كشتال سنة ١٥٧١ ، على أنه ضلزل مرسوم ملكي بأجر إقامتهم في قرطبة حتى طردوا الطرد الأخير . وأشهر من خرجوا من بيانة قاسم ابن أصبح بن محمد بن يوسف بن ناصر بن عطاء ، وهو عمدة وقيه لغوى ولد ببيانة سنة ٨٢٤٧ (٨٦٢ م) وتول بقرطبة سنة ٨٣٤٠ (٨٩١ م) .

المصادر :

- (١) الإدريسي : نزهة المشتاق = Desc. ص ٢٠٥ من المتن ، ٢٠٩ ، ٢٥٢ من الترجمة (٢) ياقوت ، ج ٢ ، ص ١٣ (٣) عبد المنعم الحيمري : الروض للمطار ، طبعة لبي دلاييدا ، ص ٥٩ من المتن ، ٦٤ من الترجمة .

مورديه [ميراندا A. Huici Miranda]

الدائن على الكاتب بمجرد إتمامه ، وتلك هي صيغة البينة التي ينظمها القرآن الكريم ، ولو أنها وردت فيه بإيجاز ، وهو ينص ، علاوة على ذلك ، على ضرورة الاستشهاد بضعف عدد الشهود (أربعة شهود بدلاً من اثنين كما هو المعتاد) ، دليلاً شرعياً لإثبات القاحلة (سورة النساء : الآية ١٥٩) ، سورة النور الآية ٤ ، ١٣) ، ولكنه في الحالة التي يعجز فيها الزوج عن تقديم هذا الدليل الصعب على إقرار زوجته جريمة الزنا ، ينص على إجراء استثنائي هو العان ، وهو أن يحلف كل من الزوجين أنه صادق وأن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . (سورة النور : الآيات ٦ - ٩) ، ومع أن هذا الإجراء لا يعد دليلاً بمعنى الكلمة ، فإن له آثاراً شرعية هامة . ومن جهة أخرى فإن الكتاب الكريم لا يورد شيئاً عن النظم البدائية الخاصة بالالتجاء إلى التعذيب البدني والأيمان بشرقة الساحة .

وقد خصت الشريعة الإسلامية المأثورة بالذكر سيادة الدليل بالشهادة التي تستلزم لصحتها أفراس شروط نظرية صارمة إلى حد لا بأس به (انظر مادة «فعل» ومادة «شهادة») . ولم تصبح الشهادة مقبولة بوجه عام ، وعلى نطاق واسع ، إلا بعد أن أمكن تفسير الدليل المكتوب على أنه « وثيقة الشهادة » Zeugenurkunde (انظر الوصية في القانون الروماني) ، على الرغم من أن هذا الموضوع لا يخلو من نقاش حاد وتحفظ حيطه حتى في حالة العقود الموثقة (انظر E. Tyan : *Le notariat et le régime de la preuve par écrit dans la pratique du droit musulman, Annales Ecole*

« البينة » : اسم السورة الثانية والتسعين من القرآن .

١- « البينة » : (والجمع بينات) ، وهي موث « بين » بمعنى « جلى ، واضح » وقد وردت بمعنى « الدليل الواضح » في آيات كثيرة من القرآن الكريم (سورة البينة، الآية رقم ١) ، ولذلك سميت السورة باسم سورة البينة) وتلك الكلمة في الاصطلاح الشرعي على الدليل القاطع ، ذلك الذي يثبت بالشهادة ، على الرغم من أن المصطلح أصبح منذ العصر القديم لا يطلق على الشهادة الشرعية فحسب ، بل على الشهود أنفسهم أيضاً ، وهناك ألفاظ غيرها تعبر عن وجوه أو درجات أخرى من مصطلح الدليل ، وبخاصة حجة (والجمع حجج) ودليل وريهان . وبهم القرآن الكريم ، في المجال الشرعي ، بالدليل في أمور مختلفة مدنية وجنائية ، والذي يبرز لأول وهله هو أن القرآن الكريم ينص على الالتجاء أساساً إلى الشهادة (انظر هذه المادة) ويوصي بالألا تم بعض الأمور الشرعية إلا بحضور شهود ، وهي الطلاق (سورة الطلاق : الآية ٢) ، والوصية (سورة المائدة ، الآيات ١٠٦ - ١٠٨) ، وحساب أموال اليتامى (سورة النساء ، الآية ٧) ، والتنازل بأجل تسمى (سورة البقرة ، الآية ٢٨٢) . وعلى الرغم من أن القرآن الكريم يؤيد في الحالة الأخيرة وجود دليل مكتوب فإن هذا الدليل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بشهود البين الذين يجلب عليهم الاعتراف بالدين الذي أملاه

française de droit de Beyrouth سنة ١٩٤٥، المجلد
والمجلد ٢) =

وفي آيات القرآن الكريم الخاصة بأحكام الرخصة
(سورة المائدة : الآيات ١٠٦-١٠٨) يطلب
من الشاهدين في حالة الريبة ، أو وجود شاهدين
آخرين يقومان مقامهما ، أن يحلفا بالله ، بيد أن
الرأي المتعارف عليه أن الحكم الوارد في هذه
الفقرة منسوخ ، وهو الحكم الوحيد في القرآن الكريم
الذي ينص على ضرورة وجود شاهدين
غير الأولين يثبت دليلهما بقسم : ويمكن تقديم
بعض الأمثلة التي حدثت من حين لآخر ، وبصفة
استثنائية في ظل الإسلام ، لقضاة طلبوا من شهود ،
أرتابوا فيهم أن يقسموا ، ومهما يكن من
أمر فإن العقيدة أنشأت فارقاً واضحاً قاطعاً فيها
يخص بالحجج الشرعية التي تنص عليها وتنظمها ،
بين الشهادة والقسم . وتنص القاعدة المشهورة
على أن « البيعة على من ادعى وإيمين على من أنكر »
وفي رواية أخرى « على المدعى عليه » : وينبغي أن
لذكر أن المدعى ، في حالة اتجاهه إلى الشرع ،
لا يكون بالضرورة المدعى الأصلي (ومن هنا
فإن عبء الإثبات قد يتأرجح) ، يضاف إلى هذا
أن بعض العلماء يرون أن الدليل إنما يمكن أن يقدم
في الغالب لإثبات الحقائق اليقينية .

والبيئة نفسها ، من حيث المبدأ ، لها حجية
قائمة بذاتها : فعندما تتوافر الشروط الشرعية للصحة
تكون ملازمة للقاضي ، وهذه قاعدة عامة . وقد
هلت عدة محاولات قديمة لتأييد الشهادة بقسم .

بحلقه للمدعي ، ولكن هذه المحاولات لم تنجح
بحال في التأثير على الشريعة الماثورة ، اللهم إلا
الحالات التي يغيب فيها المدعى عليه ، أو يعاني من
اللا أهلية (Origines : Schacht ص ١٨٧ - ١٨٨)
انظر ابن قدامة : المغني ، ٩ ، ص ٢٧٧ ،
وبالنسبة لرأي القاطمين المعارض انظر القاضي
التمحان : اقتصار ، دمشق سنة ١٩٥٧ ، ص ١٦٣)
وتمسك المنهج الحنفى تمسكاً تاماً بلفظ القاعدة
المذكورة آنفاً ، والحق إن هذا المنهج قد أسهم
في انتشار ألومها بله صياغتها ، لأنه يخالف للمذاهب
الأخرى في أنه لا يسمح للمدعي بأن يحلف لكي
يستكمل بقسمه بيعة ناقصة (شاهد واحد) في
المنازعات الخاصة بالمال ، ولا يسمح للمدعي عليه
بأن يحلف رداً على المدعي . وفي تبادل القسم ،
التي يتمسك به الحنفية هم وباقي المذاهب في
بعض الحالات التي توزعها البيعة ، يقف كل من
الطرفين أمام الآخر بموقف المدعى عليه ، وبالنسبة
لتطورات القسم الأخرى أمام القاضي انظر مادة
« عين » . ونلاحظ هنا لحسب أن القسم تيرة
الساحة المعروفة في الجاهلية ، يقع في الشريعة
الإسلامية وسيلة لإثبات في مجال حدود من الإجراء
الجنائي (انظر مادة « قسامة ») .

ومن الممكن ، خاصة فيما يتعلق بأدعاء
الملكية ، أن تعارض بينات أطراف الخصومة ،
ونهم نصوص الفقه بتعارض بينات وتحاول أن
تقضي على التراجع بإعلان أن أحد الأدلة أقوى
من غيره على أساس المقاييس التي تختلف اختلافاً
كبيراً بين المذاهب المتصدة ، وقد تؤدي إلى

المتخلّة في دليل تعرّف به الشريعة وشأن هذه الأدلة . وفي مجال هذا الدليل الشرعي يمكن ملاحظة اتجاهين : الرغبة في إثبات ما هو أرجح ، هل نحو إنسانى ، بوسائل تنظمها قواعد ، أكثر من السعى وراء الحقيقة الخالصة التى لا يعلمها على وجه اليقين غير الله ، واتجاه نحو العقلانية ، وهى ، وإن كانت لانقلب فى كل الظروف وفى كل ناحية ، فلها مع ذلك مضرة فيها يتمتع به القسم على تركة الساحة من مكانة ، وغياب الاحتكام إلى المحن فى أمرتهم بتعريضه للعذاب البدنى (على الرغم من الآثار التى لايزال يتشبث بها العرف الجارى بين المجتمعات القبلية حتى اليوم) .

المصادر :

نصوص الفقه والمواد المنشورة فى الطبعة الأولى من هذه الدائرة ، وهى التى أشير إليها فى صلب هذه المادة ، والدراسات الحديثة التى أشار إليها فى *Recueil de la Société Jean Bodin* مجلد *La Prætor* (نشر عام ١٩٦٠م) وكذلك مادة «حجة» (انظر هذه المادة) .

د. برونس [ر. برنشتيغ R. Brunschwig]

«اليَئِومة» : طريقة دينية صاحبها سينيعل ابن الحجازى بن محمد الذى ولد فى البَئِوم من أعمال مصر عام ١١٠٨هـ (١٦٩٦م) . وكان على هذا من أتباع الطريقة القادرية . وقد جدّد صاحب هذه الطريقة ، وهو مقدم الخلوئية ، شاعر البلوة وبعث فيها الحياة وجعلها أكثر صرامة وذلك بفرض

حلول متعارضة على خط مستقيم : وإذا تساوت الأدلة المذكورة فإن الحلول تختلف ، حتى فى حدود المذاهب نفسها ، بين التسخّ المتبادل والالتجاء إلى صيغة دليل إضافية حاسمة . وبين الحكم عليها بالقيمة الاسمية - التى تستلزم عندئذ إما تحميم للمال أو سحب النصبة .

ومع أن البيئة قد تكون لها الغلبة باعتبارها وسيلة إثبات فإن من الصعب أن نعدّها فى كل الظروف أقوى من الإقرار (انظر هذه المادة) أو من مصطلح أقل شيوعاً وهو الاعتراف . والمحق إن ابن حزم الظاهرى يذكر التقبض صراحةً فى كتابه المسجل ، (ص ٩٢٦) . ويقتضى المبدأ فى الإقرار أهلية أذى من الشهادة ، لأنه يفرض أساساً الصديق فى الشخص الذى يصدر الإقرار . ولكن المؤلفين يميزون عادة - وهم فى ذلك لا يبالغون - فى هذا المجال بين الإقرار الذى لا يكون له أثر مالمز إلا هل قسم من يصدره ، والإقرار الذى يؤثر فى حق الغير ، وتختلف قونهما الفاصلة وتناغمهما الشرعية اختلافاً كبيراً .

ولعل من المناسب فى موضوع البيئة أن يدخل فى الحكم عليها رأى الخبير الذى قد يطلبه القاضى ، وفضلاً عن ذلك فإنه إذا كان لأحد أن يحاول تكوين نظرية عامة عن الدليل فى الشريعة الإسلامية فإن من المناسب أن يعمل حساباً للجدل الذى دار حول علم القاضى الشخصى بمقتضى قضية ، لتأكيد الأهمية الكبيرة للافتراضات الشرعية وكثرتها ، ولتسجيل شأن بعض الأدلة المساعدة أو الخطوات الأولى

بالطرقات : على أن نفوذها كان قويا بحيث يرجع في معظمه إلى هياجه وجموده السرفين أثناء مزاولته للذكر . وقد حاول العلماء أن يمتنعوا جلسات الذكر التي كان يقبضها كل ثلاثة في المشهد الحسيني ولكن شيخ الأزهر الشراوى حال دون هذا ، وإن قراره في هذه المناسبة يناقض مسلكه مع الآخرين مناقضة ظاهرة (الجبري ، ج ١ ، ص ١٩٥) .

وتشمل آثار البيوي وسالتين عن المرادشية والبيومية وشرح الإتيان الكامل للجبل . والظاهر أن البيوي كان على دراية كبيرة بالحدث ، وقد درسه عندما دعاه الشراوى إلى القيام بذلك في المدرسة الطبرسية بالأزهر . وأقام مصطنق باشا والي مصر (الراجح أنه ولها بين هاشم ١٧٥٧ - ١٧٦٠ م) المسجد الذي دفن فيه البيوي حين أصبح - في قول الجبري - صليبا أعظم (الأصح أن ذلك كان في وقت ما بين سنتي ١٧٦٣ و ١٧٦٥) ، ولم يترك البيوي أي خليفة بارز ، ولكن ذكره كان لا يزال شاعرا في مولد النبي أيام لبن :

المصادر :

- (١) أضف إلى ما ذكره بروكليمان ، ج ٢ ، ص ٤٦٢ ، قسم ١ ، ص ٧٨٤ ، قسم ٢ ، ص ١٤٦ ، ٤٧٨ : « رسالة التزييه المطلق لمن له الوجود الكامل » (مخطوط في جيزة الكاتب) (٢) معجم سركيس ، ص ٦٢٢ (٣) الجبري ، ج ١ ، ص ٣٣٩ (٤) *Modern Egyptians* : Lane ، ص ٢٤٩ ، ٤٦١ ، عرشيته [خالد W.A.S. Khalidi]

عقوس مشددة ، وهناك زوايا لليومية في بلاد العرب (جدة ومكة) وفي وادي القرات والسند . والزاوية الأصلية في قرية قريبة من القاهرة . ويتلخص ذكر أصحاب هذه الطريقة في قولهم : « ما آله » مع إحناء رموسهم وضم ألبسهم على صلورهم ، وهم يتبعون ذلك برفع رؤوسهم والتصفيق بألبسهم .

المصادر :

- (١) *Conférences* : Depont & Coppelman ، ص ٣٣٦ (٢) *Modern religious Egyptians* ، ج ١ ، ص ٣٣٢ ، ج ٢ ، ص ٢٠٨

[إيوار Cl. Haart]

+ اليومية : طريقة مصرية أسسها علي بن الحجازي بن محمد البيوي الشافعي الذي ولد حوالي سنة ١١٠٨ هـ (١٦٩٦ م) وتوفي في القاهرة سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) . وانضم البيوي إلى الطريقة الأحمديّة ، ثم الطريقة الخلوتية (من طريق المرادشية) وأقام من بعد ذكره يتميز خاصة بصيحات مزقعة وتوكيد ، وأسس طريقة خاصة به مستقلة عن غيرها في الواقع . وثمة سمة أخرى من سمات الطريقة البيومية هي مخاطبتها لأفقر الطبقات وقطاع الطرق خاصة ، وقد ملا كثير من هؤلاء - بعد فترة من التطهر على يد البيوي - صفوف الحاشية الكبيرة للسلطة التي كانت تصحبه في ظهوره النادر

حرف ذ ۲ التاء

التاء - تابع

المصادر ،

- (١) أبو تمام : ديوان الحماسة ، ص ٣٣ وما بعدها ، ٢٤٤ وما بعدها ، ٣٨٢ وما بعدها
ترجمة Rueckert (٢) الأغاني ، ج ١٨ ، ص ٢٠٩
٢١٨ (٣) القزويني ، طبعة فستفلك ، ج ٢ ، ص ٣١ ، ٥٦ - ٥٨ ، ٦١ (٤) ابن قتيبة : كتاب الشعر ، ص ٢٧٤ وما بعدها ، ٤٢٢ وما بعدها ، ٤٣٧ (٥) الكريوس : غرصة العرب ص ٧٤ وما بعدها (٦) ديوان الهذليين ، طبعة كوسكارتن ، ص ٢٤ وما بعدها (٧) *Schol. zu Hariri de Sacy* (٨) *Feemmel* ص ٤١٦ ، الثيوان ص ٣٤٤ (٩) *Prem. lettr. sur l'histoire des Arabes* ، ص ٩٦ وما بعدها (١٠) *Carmen arab. : Freytag* ، كوتكن سنة ١٨١٤م (١١) *Noten zum os. Diwan : Goethe* (١٢) *La poésie arabe : Basset* ص ٧٣ (١٣) *Four Poems of Ta'abbata : Lyall* ص ٢٥ (١٤) *Journal of the Royal Asiatic Society in Sharra* سنة ١٩١٨ (١٥) *Zeitschr. Deutsch. Gustav Baur* ص ٧٤ وما بعدها (١٦) *Adorgeni. Gualdi* ، ج ١٠ ، ص ٧٤ وما بعدها
[H.H. Braue : برار]

«تابع» : لفظ عربي يجمع على تابعين ، معناه تابع أمير أو تلميذ شيخ أو محقق مذهب ، والفاعل «تابع» فيقال مثلاً «تابع» جالينوس أي اتقن أثره في الطب .

«تأء» . الحرف الثالث من حروف الهجاء في اللغة العربية ، وتبادل قيمته في حساب الجمل ٤٠٠ (انظر مادة «العرب ، جزيرة»)

«تأبط شرأ» لقب ثابت بن جابر بن سفيان ، وهو شاعر عربي قديم من بني فهم ، وبطل بدوي ذاع ذكره في القصص . وجاء في المصنفات تفسيرات مختلفة لهذا اللقب . في ديوان الحماسة أنه «تأبط شرأ» أي مكيناً ، وأورد صاحب الأغاني أنه تأبط كيشاً تيناً أنه غول ، أو تأبط جراباً مليئاً بالأفاعى السامة . وتذهب رواية لوردها فرستل *Presnel* أن أمه زنجية ، بينما يروي صاحب الأغاني أنها امرأة من قبيلة فهم اسمها أمينة تزوجت فلها بعد أب كبير الهذلي الذي حاول أن يقتل ابنها . وكان تأبط شرأ عدواً لبني هذيل وبني بجيلة وهلك في قتاله مع بني بجيلة في أرضهم على جبل سبار (بأقوت : المشترك ، ص ٤٢١) وجاء في رواية باور *Baur* (انظر المصادر) أن تأبط شرأ كان معاصراً لنوفل بن معاوية الذي قيل إنه عاش ستين سنة قبل الإسلام وبعده ؟ وتبدو روح الجاهلية في جميع أطوار حياته وفي كل ما نسب إليه من شعر . وقد خلع على هذا الشاعر كل الصفات المأثورة عن الفارس الأفاقي في الجاهلية . ورث تأبط شرأ الشغف بقصيدة ، وكان هذا الشاعر صاحبه في القتال هو وعمر بن البراق (الأغاني) . وأحسن قصائده وأطولها هي القصيدة التي رثى بها أحد أقربائه ، وكان قد سقط في حرمة الوضى . وقد تأثر كوتنه بهذه القصيدة في إحدى قصائده .

بعد ذلك عن لى أحداً من الصحابة ، ومنهم أيضاً الذين ولدوا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومات وهم أطفال لا يحون الرواية عنه ، وروايتهم كلها عن الصحابة .

(٢) هذا كلام غير واضح ولا محرز على قواعد العلم عند أهل الحديث . والحديث الذي يرويه التابعي فيسنده إلى رسول الله مباشرة من غير أن يذكر الصحابي الذي سمعه منه يسمى عندهم « الحديث المرسل » وقد اختلف في الاحتجاج به ، فذهب بعض العلماء إلى أنه حجة ، وذهب بعضهم إلى أنه حجة إذا كان التابعي من كبار التابعين الذين لقوا كثيراً من الصحابة وأن يكون الحديث مروياً عن غيره من التابعين أيضاً ، حتى يتضد به . وعن قال بذلك الإمام الشافعي في تفصيل ليس هذا موضعه ، وانظره في (كتاب الرسالة للشافعي بتحقيقنا ، في الفقرات ١٢٦٢ - ١٣٠٨) ، وخالفه في ذلك أكثر علماء الحديث واستقر رأيهم على أن المرسل ليس بحجة مطلقاً ، كما أوضحت ذلك في تعليق على (كتاب الرسالة) (ص ٤٦٥) ، وانظر أيضاً (كتاب علوم الحديث لابن الصلاح بشرح الحافظ العراقي ص ٥٥ - ٦٢) وشرحي على (اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٣٧ - ٤١) و (الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج ٢ ، ص ٢ - ٦) وغيرها من كتب المصطلح ، (٣) الحسن البصري تابعي مشهور ، وهو من أئمة القراء ، كما هو من أئمة الحديث والفقه والوحد . ولد سنة ٢١ ومات سنة ١١٠ وله ترجمة في طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ١ ص ١١٤ - ١٢٩) وحلية الأولياء لأبي نعيم (ج ٢ ص ١٣١ -

ولهذه الكلمة شأن خاص في الحديث ، إذ هي تعلّق على أولئك الذين جاءوا بعد أصحاب النبي ، والأصحاب هم الذين رآوا النبي ولقوه . أما التابعون فهم الرعيّل الثاني أو معاصرو النبي الذين لم يلقوه وإنما عرفوا أحد صحابته (١) . وتابعي التابعين هم الذين لقوا أحد التابعين ، وهكذا : وتختلف قيمة الأحاديث بالنسبة إلى قدم طبقة التابع الذي رواها وحداثتها ، كما ترجح قيمتها أيضاً إلى شهرة هذا التابع ومقداره . وعلى هذا فشهور الحديث هو المستند إلى تابع من الرعيّل الأول وأذاعه وتناقله جملة تابعين من الرعيّل الثاني ومن جاء بعدهم (٢) (انظر مادة «الحديث») : وهناك أيضاً طبقات من رواة الحديث الخاص بقراءة القرآن والخاص بالصوفية . والحسن البصري هو أشهر رواة الطبقة الأولى (٣) .

للمصادر :

- (١) انظر البخاري ومسلم وغيرها (٢)
 ' Les Penseurs de l'Islam : Carra de Vaux
 باريس سنة ١٩٢٣ ، مجلد ٣ ، ص ١٧٦ ، ٢٨٢
 وما بعدها (٣) المجزبي : كشف المحجوب .
 ترجمة نيكلسون R. A. Nicholson ، لندن -
 لندن سنة ١٩١١ .

[Carra de Vaux]

تعلق على مادة «تابع»

- (١) التابعون هم الطبقة الثانية بعد الصحابة ، ويقال لواحد منهم «تابع» أو «تابعي» . وهم طبقات كثيرة ، فمنهم من عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يروه ورأوا أصحابه ، ومنهم من

وجاء في ديوان لغة الترك الذي كتب عام ٤٦٦هـ الموافق ١٠٧٥م (ج ٢ ، ص ٢٢٤) أن كلمة تات معناها « الفارسي » عند جميع الأتراك ، وتطلقها قبيلتا يغما ونخشي بصفة خاصة على الأويغور . وهي تحمل في الحالين معنى الاحترام وشاهد ذلك المثالان الآتيان : « اغرب الفارسي على العين واقطع الشوك من الجذر » « ولا يكون الفارسي إلا بخالط الترك كما أنه لا يكون القلتسوة إلا أن يكون لما رأس توضع عليه .

وأصبح الترك الفانجون يطلقون بعد ذلك كلمة تات على القرس المظلوين على أمرهم ، بل إن جلال الدين الروي قد استعمل طط (هكلا) وطط جه في أشعاره التركية للدلالة على القرس ولغتهم (انظر *History of Ottoman Poetry*: Gibb) ج ١ ، ص ١٥٠ ، وانظر بصفة خاصة Martinovich: *opp.* ج ٢٤ ، سنة ١٩١٧ ، ص ٢٢١) . وقد لاحظ خانيكوف Khanykov أن بيترو دلا قاله Pietro della Valle الذي اشتغل ببحث المصطلحات التي كانت شائعة في عهد الصفويين قد قابل فيقرة غربية من مصنفه (الترجمة الفرنسية ، سنة ١٦٦٣ ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩) بين القزلباش وبين التات ، فقال عن الأول إنهم « جنس من الناس جليوا . . . مع الشاه إسماعيل الصفوي » وقال عن الآخرين إنهم « حطالة الناس ، ولكنهم انحدروا مباشرة من الجنس الفارسي القديم الخالص » . وتطلق قبيلة قشقائي التركية بفارس اسم تات على غير الأتراك

Parmi kashkai-tat, Shorn. muzgo : Romaakevich)

(١٦٦) وطبقات القراء لابن الجوزي (ج ١ ص ٣٥) . وفي التليسيواين خطكانو غيرها . والصوفية يرجعون بأساتيدهم في التصوف إليه ، إن صحت هذه الأسانيد وليست من الأسانيد التي يجمع بها علماء الحديث .

احمد محمد سامر

« تات » أو « تيمت » : كلمة تركية تطلق على العناصر الفرية التي تعيش في البلاد التركية (Thomsen). ١ - ولهذا الاصطلاح تاريخ يعقد بعض الشيء . وقد ورد في الكتابات الأورغونية في القرن الثامن ، وكان قاضي أول من لاحظ ذلك (*Noten zu d. alttürk. Inschriften : Vambéry*) في *Mém. Soc. Finno-Ougr.* ج ١٢ ، هلسنغفورت سنة ١٨٩٩ (ص ٩٨ - ٩٩) ورأى Thomsen (*Turcica*) الموضوع المذكور ، ج ٣٧ ، سنة ١٩١٦ ، ص ١٥) أن ترجم الكلمات « أون أوق أوغليكا تانيكه تافى » : « حتى أبناء السهام العشرة ، أي أتراك الغرب ، وتأنهم » أي رعاياهم من ذوي الأصل الأجنبي ، وتفاضى عن مسألة أصل هذا الاسم ، بينما ذهب كورش Korsch إلى أنه يلمح فيه أثر النقل من اسم « تنكت » (*Sivo baldak*) *« dolgota » turciskikh yazikakh, Zibava Starina* سنة ١٩٠٩ ، الكراسة ٢ - ٣ ، ص ١٥٦ - ١٦١) : ولعل الاسم نكت أوتنكت أوتوت - التي يطلقه الوغول Wogul والأوستياك Ostiak على نزل كيرتش - بعض الشأن في تاريخ اسم تات (Marquart : *Strifzings* ، ص ٤٤٩) .

ونبدأ بعد ذلك الكلام على يرليغ جاني بك كراي

الذين يرجع تاريخهم إلى عام ١٠٣٧ هـ الموافق ١٦٢٨م

(انظر : *Materialia dlia istorii Veliaminov- Zernov*)

Krim khañtan ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٦٤ ،

ص ٢٦) فنقول إننا نجد في لقب شانات القریم

إشارة رسمية هي « ثات ييله طوغاج نكك الخ

باشاهي » ويزعم بگدانوف (*Stoor : Bugdanov*)

ج ١ ، ص ٣٢٩) أن ثات يقصد بها في هذا الموضع

الجنوبيين من غير أن يبين لنا الأسباب التي يستند

إليها في هذا الزعم . ولا يزال معنى طوغاج - التي

وردت في هلا القتب - غامضاً . ونستدل من معلومات

استقيناها من صمويلوف شخصياً على أن ثر نوعي

في الوقت الحالي يطلقون اسم ثات على جميع المسلمين

الذين يعيشون على الساحل الجنوبي من شبه

الجزيرة وهم خليط مستترك من أمم مختلفة

(*Versuch eines Woerterbuches : Radloff*) ج ٣ ،

عمود ٨٩٩ ، ب ٥ .

وبما يجدر ذكره هنا أيضاً أن رهطاً من

اليونان (أي الأرثوذكس) الذين استقروا في

« ماريبول » عام ١٧٧٨ عرفوا باسم « ثات » ،

وهؤلاء الثات هاجروا من الساحل الجنوبي للقریم

وهم يتكلمون لهجة من لهجات اللغة اليونانية . ولا

يطلق اسم ثات على رهط الآخر من يونان ماريبول

الذين يتكلمون اللغة التركية ويكتبونها بالحروف

اليونانية والذين يلوح أنهم اغلغروا حقيقة

من قوط طوروس (*Origorprowtisch -Blan*)

Ueber die griechisch - turkische Mischbevöl

Anthrop pri Akademii nauk : ٢٦٥ ، ص ٢٨٧) .

ويلوح أن « أهل الحق » الذين يتكلمون التركية في

آذربيجان قد استعملوا كلمة ثات بالمعنى التي كانت

تدل عليه عند أسلافهم المزعومين ، وهم تركمان

القره قويونلي (*Minorsky* في *Rassu du Mondo*

Musulman : ٤٥ ، ٢٤٢) ، وانظر مادة « ماكو » :

أما تركمان ما وراء بحر قزوين فلهم يطلقون

كلمة ثات على التاجيك الإيرانيين ، وينسب

صمويلوفتش إلى أنهم كانوا يطلقونها أيضاً على أهل

خيوه . ويحق لنا هنا أن نتساءل عما إذا كان هذا الأمر

يلدركنا بسكان خوارزم من الإيرانيين القدماء انظر

Iranische Saetze, Islamica : A. Z. Walidi

٢ / ٣ ، سنة ١٩٢٧ ، ص ١٩٠ - ٢١٣) .

وقد أطلقت كلمة ثات أيضاً على أجناس

أخرى ، وشاهد ذلك مارواه شلدبرگر (*Schildberger*

(١٣٩٤ - ١٤٢٧) من أن الكفار »

يطلقون اسم « ثات » على سكان « كرككري » ،

ولعل كرككري هي قرق ير أي جفت قلمه في

الجبال التي إلى الجنوب الغربي من القریم . وهو

يزعم في فقرة أخرى أن إحدى اللغات التي يتكلم

بها أهل القریم تسمى « كوتيا » ويطلق « الكفار »

اسم ثات على هذه اللغة (*die sieben Sprachen heisst*

Kuthia sprach und die haiden heisstents That)

ويتضح من هذا أن اسم « ثات » قد أطلق في

لغة مسلمي القرن الخامس عشر من القبيحاق على

قوط طوروس الذين قضى المأزبون على ملكهم

عام ١٤٧٥ .

خضعت لحكم الأتراك : - وقد أخذ بارييه ده مينار
Barbier de Meynard في قاموسه بهذا التفسير
وذهب إلى أنه ينصب على تركستان .

وتذكر القواميس الجغتائية أيضاً المعاني الأخرى
لكلمة تات بقولها إنهم تلك « الطبقة من النامس
الخاضعين الذين يعيشون خارج البلد » (انظر زكي
وليلى) أو أنهم « الأفانيون » وما إلى ذلك (انظر
Slonar' djaghata-turetskii : Veliaminov Zernov
(أبوشقه) ، سانت بطرسبرغ ١٨٦٨)

Dictionnaire turc oriental : Pavet de Courteille
سنة ١٨٧٠ ، ص ١٩٤ ، Versuch:Radloff : ج ١ ، ص ١٢٩
عمود ٨٩٩ ، Zep:d. Medioranaky ، ج ١ ، ص ١٢٩
ص ٨٩٩ ، ص ١٥٤ - ١٥٨) ، وقد بين لنا
ميلورانسكى بفضل دراسته لهذه الكلمة دراسة
خاصة أن الشواهد المأخوذة من مؤلفات ميرعلى
شيرنوائى عن هذه المعاني مشكوك فيها إلى حد كبير .
٢ - وتطلق كلمة تات فى معنى من معانيها
الخاصة والفرعية بطبيعة الحال على جنس معين
من الأجناس الإيرانية كان الفرس أنفسهم يرون
أنه يختلف عنهم ، وهؤلاء الأرهاط من التات
يعيشون فى بلاد الفرس وفيما وراء القوقاز .

(١) وفى شمال فارس أرهاط من الناس
يتكلمون لهجات خاصة بهم ويطلق الفرس على
اللهجات الجنوبية فى فارس كلمة « تاجيكى » .
ولا يستعمل كلمة تات فى فارس سوى الترك
القشقائية (انظر ما أسلفنا بيانه) وحتى إذا استعملت
كلمة تات للدلالة على أولئك الذين يتكلمون

Zeitschrift der Erzung in Mariupol
Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft ج ٢٨ ،
سنة ١٨٧٤ ، ص ١٧٦ - ٥٨٣ ، ص ٥٦٢ - ٥٧٦ ،
Die Gothen in Taurien : Tomaschek
١٨٨١ ، ص ٤٨٠ ، MariupolskijeGork:Th.GBraun
Zinapa Starina ، سانت بطرسبرغ ، ١٢/١
سنة ١٨٩٠ ، ص ٧٨ - ٩٢ .
ويروي توماشك (كتابه المذكور ، ص ٤٥)
أن المجر يطلقون على السلوقاك اسم « توت »
(تات ؟) .

وورد المعنى الأول لكلمة تات ، أى غير
التركي أو الأجنبي ، فى قاموس اللغتين الجغتائية
والعثمانية للشيخ سليمان أفندى (طبعة Kuncs ، ص
١٨٤) فعرّفها بقوله إن التات هم الشعوب التى
حكمها الترك أى التاجيك [وذكر سليمان أفندى
فى صفحة ١٧٩ من هذا القاموس أن الناس الذين
من أصل أجنبي ويتكلمون التركية يعرفون بالتات
كما يعرف الذين يتكلمون منهم الفارسية بالتاجيك ،
ولا يهرب عن التات ما رواه زكى وليلى فى هذا
الصدر من أن كلمة تات أطلقت اصطلاحاً فى
التركستان (إبان القرن الرابع عشر) على جميع
عناصر السكان المقيمين بما فى ذلك الترك الذين
استقروا فى هذه البلاد قبل عجمي المنول] ويقول
أحمد وفيق (لهجه عثمانى ، إستانبول سنة ١٣٠٦ هـ
ص ٢٨٦) - الذى يلوح أنه تأثر فى تفسيره لهذه
الكلمة بالأحوال العثمانية المحلية - إن التات هم السكان
الترك (هكنا) والفرس الأول الولايات التى

زنجيان كانوا يتكلمون بها في القرن الرابع عشر.

ويروى راينو (Le Guilan : Rabino) في

Revue du Monde Musulman ، ج ٣٢ ، ص ٢١٠)

أن لهجات تأتي يتكلم بها في لأخيراً رسم آبادل

الضفة اليسرى لهر سقيد كما يتكلم أيضاً بالثالثة

والكردية . ويرسم هذا الكاتب نفسه أن هناك

ثلاث في « أشرف » و« سندن رستاق » ، ولا يعلم شيء

عن لغتهم (Rabino : Mazandaran und Astrabad)

Gibb Memorial Series ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٦٣ ، ٧٠)

ويأتوييجان وهطمن تات هرزن زين مرند وجلقه ،

ولقد ذكر ليان هويت (Armenien : Lehmann-Haupt)

ج ١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧) الكلمات الآتية في لهجة

« كزن قيا » : « دى ومعناها الثاني » ، « هرا ومعناها

ثلاثة » ، « سبه ومعناها كلب » ، « سبه بترو ومعناها

ألبحت الخيل . ويستفاد من المعلومات التي أمدنا

بها محمد خان قزويني أن إيزي في لهجة قرية هرزن

معناها هنا ، وإمرو ومعناها اليوم ، و« زير » معناها

أسس ، و« أنجمنوي » معناها الأجنم : والصيغ

« آمري » و« برند » و« شريند » وهي في الفارسية

« آمده » و« بوردند » و« شندن » مهمة بصفة خاصة

لأن القاعدة فيها أن يبدل حرف الدال (الدال)

بين حركتين واه (انظر ما سيأتي بيانه) . وتختلف

لهجة هرزن عن ثاني سيادهون اختلافاً تاماً . ومن

المحتمل أن يكون بأتوييجان أرواط من الثاني لم

يشق أمرهم بعد . فقد أثار الألب أنستاس Anastase

في مقاله عن النور (انظر مادة « لولي ») إشارة غامضة

إلى قبيلة تات في جبال أسكي ، وهي جبال في

اللهجات الشالية فإنما يقصد بها في اللغة الفارسية

لهجات خاصة في الشمال الغربي . مثال ذلك أننا

لم نجد هذه الكلمة مستعملة إلى الآن في إقليم كاشان .

وتعيش أهم الجماعات الثانية غربى قزوين وفي

جنوبه الغربي . ويعيش الثالث في قرى إشتارد وجال

واسيورين (إسفروين) وشادمان وسكري آباد

وإبراهيم آباد وخيارك و« دنساف » وسياهون .

وسياهون التي على مفرق الطريقين من قزوين

إلى همدان وزنجيان ، ألقايت ، ولا يمكن تمييز

الثالث في مظهرهم الخارجى من الفلاحين الآخرين

الذين يعيشون فياحول قزوين . ولا تعرف من لهجات

« ثاني » التي يتكلم بها في فارس إلا القليل . وقد دوس

كل من زوكوفسكى ومان (Zhukovsky & O. Mann)

لهجة سيادهون كما دوسا لهجتي كاشان وإصفهان :

وهناك بعض الكلمات البارزة : أسبه ومعناها كلب ،

بار ومعناها باب ، سو ومعناها ثلاثة ، أزميزنا

ومعناها أعلم ، « أما ميزنو » ومعناها نعلم ، أو آدمين

هاما ميزنندا « هؤلاء الناس كلهم يعلمون » ،

يشكس ومعناها انظر ، تامكو كاشي ومعناها أين

تريد أن تلعب ؟ وقد أمدنا زوكوفسكى (Materia

Isach. Pers. narechti ، ج ١ ، ص ٩) ببعض الحواشي

عن لغة إشتارد « إشتارد » (انظر أيضاً التعليقات

التي كتبها Reiss : Brugsch ، ج ١ ، ص

٣٣٧ عن لهجة كوشكه التي يتكلم بها في الطريق

من طهران إلى همدان) . ولعل لهذه المجموعة

من اللهجات صلة بالهوية الخالصة التي يزعم

صاحب كتاب نزهة القلوب (ص ٦٢) أن أهل

ومادة اللغة مليح بالكلمات المستعارة من التركية .
وخصائص ثاتى الهامة ليست ثابتة تمام الثبات
شأنها في ذلك شأن معظم اللهجات الفارسية . ونستطيع
أن نقول على وجه الإجمال إن لهجة ثاتى وسط
بين الفارسية الحديثة واللهجات القزوينية التى
يكثر فيها الإبدال أيضاً .

جنوبى تميز بنطق اسمها أسكو وأسكويه ، ولعل
لهجة كلید التى انتشرت الآن وكان يتكلم بها على الضفة
اليسرى لنهر الزمن قرب اردوبادى محققين لهجات
ثاتى آذربيجان (Sborn. mater. في Riti : Paskhalov
dia opisaniya Kavkaza ، تفلين ، ج ١٣ ،
سنة ١٨٩٢ ، ص ٣٣٤ - ٣٤٣) .

ويعيش معظم ثاتات المسلمين الذين يتألف
منهم جمهور المتكلمين بالثاتى في نواحى باكو
(انظر هذه المادة) وقبة (انظر هذه المادة) وشاخى
وكوكچای : ويعيش بعضهم في ولاية كنجهوى جنوبى
داغستان ، بنواحى قيتق تهران غربى دريئه مباشرة
(Pamiat knizhka Dagestan. oblasti : Kozubsky)
نمر خان شورا ، سنة ١٨٩٥ م ٣١٤) .
ومعظم ثاتات يعيشون على المحلوتين الذين
في الطرف الشرقى لجبال القوقاز وشبه جزيرة
أيشرن (آبشاران) ما عدا ناحيتها الجنوبية الشرقية ،
وجاء في الخريطة الخاصة بالأجناس البشرية التى
صورها ريتخ Rittich قبل عام ١٨٧٧ أن
عدد ثاتات جميعهم يبلغ ٦٤,٦٥٦ نسمة ، بينما
جاء في الخريطة الخاصة بالأجناس البشرية التى رسمها
كوندراتنكو Kondratenko وألحقت بالمجلد الثامن عشر
من Zapiski Kamk. Otd. Russ. Geogr. Otkh. أن
بناحية باكو (عام ١٨٨٦ م) ٥٨,٦٢١ من
الثات : وورد في دائرة المعارف الروسية الكبرى
ج ٢/٣٢ ، أن عدد الثات كلهم يبلغ ١٣٥,٠٠٠
(سنة ١٩٠١) : وقد تبين من التعداد الذى قام به
السوفيت عام ١٩٢٣ م أن عدد الثات من حيث

(ب) وتطلق كلمة ثات بالقوقاز على الأقوام
الإيرانية المسلمة التى تتكلم لهجة ثاتى . وتتكلم
بهذه اللهجة الخاصة أيضاً جماعات أخرى عدة
من اليهود والأرمن : وإلى جانب هذه الأقسام
الثلاثة الهامة التى تنقسم إليها هذه اللهجة فإن هناك
خلافات كثيرة لا نستطيع تمييزها في وضوح :

ويعود معظم الفضل في معرفتنا لثاتى القوقاز إلى
مصفقات ميلر Vaevod F. Miller . وأهم خصائصها
هو ذلك الإبدال (يزن وهى في الفارسية بودن :
ود ياره وهى في الفارسية ياد) الذى أسلفنا بيانه :
والشواهد الآتية تعطيان فكرة عن بعض خصائص
ثاتى الأخرى :

ثاتى . - الفارسية اللهجات الشمالية
دان . (يلم) دان وبالكردية زان
كل (ذمرة) كل وبالسمنانية قل
فرف . قهر (جلد) يرف وبالكردية وفر
ولا تستعمل الإضافة في لهجة ثاتى إلا نادراً ، ويستبدل
بها تركيب أصيل : خوبه خونه وهو في الفارسية
خانه خوب ، ذ : الخ : واللهجة غنية بأحرف الجر
(وإن معنى الخ) وأسماء الأفعال Gerandives :
(جيتن بايرتن ومنعنا) تكون الأشياء هكذا) ،

يتكلمون العربية فيما سبق ١. وسبب آخر أقرب من هذا هو أن هؤلاء اليهود كانوا يجاورون سكان داغستان الذين لم يستعملوا حرق العين والحاء فحسب بل عملوا دائماً إلى نشر معارف العرب وكانوا يرسلون حتى وقت قريب باللغة العربية. ويبي إلى جانب هذا أن لدى التات المسلمين حرق العين والحاء أيضاً. ولا يجهل بنا أن تبالغ بأية حال في تقدير أثر اللغة التركية في التات ٢. والحق إن مظاهر التراكيب بله التشابه الصوق في مقاطع الكلمة نفسها التي أزعج القاب عنها ميلر لشيء له نظائر في اللغة الفارسية الخالصة. ولا يقتصر تأثير الإيرانيين في هؤلاء اليهود على اللغة بل إن أثر الإيرانيين ظاهر أيضاً في تقاليدهم. (سرافي ومعناها إله المياه، أر دهای مار ومعناها تين الخ. ٣) وتتميز تات الأرمن في بلدة مزجي (ملوكة) وكفال وغيرهما بتخفيف الحركات (هـ) و (جـ) و (حـ) بحروف معينة.

وأقوام الترك وداغستان يحيطون الآن بتات القوقاز. إحاطة تامة. ولابد أن موطنهم الحالي كان منفصلاً على النوام عن جمهور الإيرانيين. ويلوح أن توزيعهم الجغرافي على طول السلسلة الشرقية لجبال القوقاز يوحي لنا بالفكرة التي حدثت إلى استيطانهم في هلم البقاع، ألا وهي الرغبة في تعزيز خط الدفاع الطبيعي بمستعمرات إيرانية تصد الغزوات الآتية من الشمال. ولعل هناك ما يجهلنا على القول بأن التات معهم إلا بقايا المستعمرات الإيرانية القديمة التي أنشئت في داغستان في الوقت

اللغة ٧٨٠٢٠ ومن حيث القومية ٧٨٠٧٠٥. ويشمل العدد الأول ٩٨٠ من تات ماوراءقوين، أي التاجيك الذين يطلق عليهم التركمان اسم «تات». أضف إلى ذلك أنه لابد أن يكون هناك بعض التات بين سكان جمهورية آذربيجان السوفيتية الذين يتكلمون الفارسية ويبلغ عددهم ١١٠٠٠٠ نسمة. ويمكننا أن نقول إن جميع من يتكلمون لغة تات في كل الأقطار يبلغ عددهم حوالي ٩٠٠٠٠٠ نسمة. ولعل نقصان عدد التات راجع إلى استراكتهم بمعنى الزمن،

ويبلغ عدد اليهود الذين يتكلمون التات، وهم يهود الجبال الذين يعرفون في التركية باسم داغ جيفي : ٢١٠٠٠٠ نسمة عام ١٨٨٦، عشرة آلاف منهم في القرى وأحد عشر ألفاً في المدن. وأكبر مستعمراتهم في القبة (٦٠٢٨٠ نفساً) ودريند وتمرخان شورا وكروزقي ونالچك، وهي ناحية جركسية من فواحي قرده، وهم يوجنون أيضاً في ناحية قوبان (انظر هذه المادة). وتمتاز لهجة هؤلاء اليهود بحروفها الخلقية. فنجد فيها حروف الحاء والعين والطاء والقضاد حتى في الكلمات الإيرانية الصميمة مثل حقد بمعنى سبعة وصب بمعنى حصان وضسد بمعنى علم وطر بمعنى مبل. وعلى هذا فإن ميلر V.B. Miller يصف التات اليهودية فيقول «إنها لهجة إيرانية يتكلم بها وقتاً فتنطق السامى» وقد عرفت بعض حروفها الصامتة وبعض تراكيبها على نعت اللغة التركية. ويمكن تشبیر ذلك من حيث النطق بأن اليهود كانوا

الحصون مطاعى وكما نرى وغيرهما ، ويقطعها الآن
الثالث .

ونستخلص من هذا أن وجود الثالث في
مطاعى وغيرها ينبع بحصول هجرة متأخرة عن
القرن الثامن الميلادى ، ولكن النص الواود في
كتاب دربندهنامة - الذى لم نثر على أصله الفارسمى
بعد - لا يؤكد لنا هذا الأمر (*Iran. Barthold*)
ج ١ لينبرغ سنة ١٩٢٦ ، ص ٤٢ - ٥٨) وجاء
في نسخة كلاپروث Klaproth أن ثلاثة أسرة
نزحت من تبسن ؟ واستقرت في مطاعى : وعلى
هذا فإن المصادر التاريخية التى بين أيدينا لا تبين لنا
سوى امتزاج الأجناس في المستعمرات التى أنشئت
في دربند . ومن جهة أخرى نجد أن تاتى هى لغة
حديثة لا يظهر في خصائصها العامة - بصرف النظر
عن إبدال حرف الراء - أى أثر من آثار القدم التى
كان من المنتظر أن نلاحظها فيها لو أن هذه اللهجة
بقيت منزلة أمناً طويلاً : أما مسألة هجرة تاتى
اليهودية فهى مسألة ثانوية لأنه لو كان اليهود قد
استقروا في داغستان قبل مجئ الثالث (انظر مقدمة
Miller ، سنة ١٨٩٢) لتكلموا بالتاتى بدلا من
لغتهم القديمة التى يقطن أنها اللغة العربية .

ولذا نظرنا إلى أوجه الشبه بين التاتى واللغات
الأخرى فلما نجد أن لإبدال حرف الراء في لهجاتها
بحرف آخر نظيراً بين أرهاط الإيرانيين الذين
يسكنون آذربيجان الفارسية في أيامنا هذه . ولدينا
شواهد على ذلك من إقليم أروديل ترجع إلى القرن
الرابع عشر (أحمد كمرى : آذرى ، زبان

الذى كان الساسانيون يحصنون فيه دربند ، ويرى
البلاوى (ص ١٩٤) أن أتوشروان الذى حكم
من عام ٥٣١ إلى ٥٧٩ قد أسكن ناحية دربند
شايران (انظر مادة « شروان ») قوماً من سكان
(الساسيين) . وكانت هذه الولاية على الضفة
اليسرى لنهر الرّوس ، أى ناحية قنجان ، بما
في ذلك الجبال المحيطة بها ، شالى آذربيجان مباشرة :
وقوم سكان نصارى ، غير أن لهم مركزاً خاصاً
في مملكة أرمينية من الوجهتين الغوية والسياسية .
وفي عام ٥٧١ اتس هؤلاء من الملك الساساني أن
يفصل ولايتهم عن أرمينية ويضمها إلى آذربيجان
(*Marquart : Eransahr* ، ص ١٢٠ - ١٢٢)
Die altarmen. Ortsnamen, Indog. : Hubschmann
Porsuchen ج ١ ، ص ١٩٠٤ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٦ ،
٣٤٧ - ٣٤٩) وجاء في كتاب دربندهنامة المتأخر
(طبعه كاظم بك *Adm. présentée à l'Académie*
des sciences par divers savants ج ٦ ، ص ٦٠)
بغير سر سنة ١٨٥١ ، ص ٤٦١) أن أتوشروان أسكن
للدن الجديدة التى في جوار دربند أناساً من آذربيجان
وفارس . كما أسكن المدن التى إلى الجنوب من دربند ،
أى إقليم شايران مشكور (انظر مادة « قبة ») أناساً
من أهل العراق وفارس . وورد في هذا الكتاب
أيضاً (ص ٥٣٠) أن الحصون التى حول دربند
قد بنيت في عهد الخليفة المنصور العباسى الذى
حكم من عام ٧٥٤ إلى ٧٧٥ م وسكنها في هذه
المرّة عرباً من الموصل والشام . ونذكر من هذه

وهو خاص بالنحو في لغة التات (٢) أما عن المواد التي ساقها Dorn فانظر مؤلفه Caspi ، الطبعة الروسية ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧٥ ، ص ٤١ ، ٢٠٣ و ٣٥٣ ، ٩٤٣ ، وخاصة ميلر Miller سنة ١٩٠٧ (٣) *Materiali dlia : Vsevolod F. Miller* *izuceniya georaisko-tatskogo yazika* سنة ١٨٩٢ (٤) *Armiano-tatskiya teksti, Sbornik* ، نفليس سنة ١٨٩٤ ، ج ٢/١ ، ص ٢٥ - ٣٢ (٥) *Die kaspiischen Dialecte, Grund. d. iran.* : Geiger *Phil.* ، ج ٢/١ ، ص ٤٣٥ - ٣٧٣ (٦) *Ocherk fonetiki yevro-tat. naraciya.* : V.F. Miller *Trudi po vostok. Lazar. Instituta* ، ج ٣ ، موسكو سنة ١٩٠٠ (٧) الكاتب نفسه : *Ocherk morfologii yevro-tat narac.* ، ج ٧ ، سنة ١٩٠١ (٨) الكاتب نفسه : *Tatskiye studi* : القسم الأول ، ج ٢٤ ، سنة ١٩٠٥ ، ص ١ - ٢٩ : أحد عشر تاريخاً بلهجة التات المسلمين في لاهيج ، ص ٣٣ - ٧٩ : كلمات تاتية روسية ، القسم الثاني : ج ٢٦ ، سنة ١٩٠٧ في النحو (٩) الكاتب نفسه : *Yevro-tat mani. Zap.* ، ج ٢١ ، الكرامنة الرابعة ، ص ١٧ - ٢٩ (١٠) *Slodi dialect. vhoticiema v srednepers.* : Korsch *yazike Dramosti vostoc.* ، ج ٣/٢٢ ، موسكو سنة ١٩٠٣ ، ص ١ - ١٠ ، وانظر عن تات القوقاز (١١) Erbert *Der Kaukasus und seine* : Voelker *liesk* سنة ١٨٨٧ ، ص ٢٢٠ (١٢)

بستان آذربيجان ، طهران سنة ١٣٠٤ هـ = ١٩١٧م ، وتستدل من الكلمات الأولى التي استعارها الأرمين من الإيرانيين - مثل : مرّ وهي في الأرمينية مادة وسبرت وهي في الأرمينية سبادبت على وجود هذه اللبنة عند جيران الأرمين من الإيرانيين (Branscher : Marquart) ص ١٧٤ ، تعليق ٦ ، *Indogerm. Forsch.* : Bartholomae ، ملحق المجلد ١٩ ، سنة ١٩٠٦ ، ص ٤٣ ، تعليق ١) . والقاهرة العجيبة الأخرى هي اسم مدينة لاهيج عند منابع نهر كوك جاي التي يسكنها التات ، ولعله قد ورد ذكرها في التاريخ للكرجي (Brosset) ، ج ١ ، ص ٣٦٤ في حوادث عام ١١٢٠ (ولدته أو وليجك) . ويعتقد السكان أنفسهم أنهم أتوا من لاهيجان (انظر هذه المادة) وقد أظهرت أعمال الكشف التي قام بها ميلر V.F. Miller في هذا المكان عام ١٩٢٨ أن لهجة اللاهيج خصائص معينة : ومن المحتمل أن بعض مستعمرات التات كانت فيها وراء القوقاز في زمن متأخر عن المستعمرات الأخرى ، وأن لهجة الجماعة الرئيسية من التات قد أثرت في اللهجات المجاورة بمقدار ما أثرت هذه فيها : وحاء في كتاب كلسستان لدم لمؤلفه باكيخانوف (باكوف سنة ١٩٢٨ ، ص ١٤) أن سكان باكيخانوف في ناحية سمرقند تزحوا من أستراليا في عهد طهماسب الأول ،

المصادر :

Recherches sur les dialectes : Bérézine (١) *portans* قازان سنة ١٨٥٣ ، ص ٢ - ٢٤

Studien über die persischen Fremdwörter im klassischen Arabisch، كوتكن سنة ١٩١٩، ص ٧٤ ، ٨٤ : *Fräenkel* : *aramaischen Die* : *Fremdwörter im Arabischen* ، ليدن سنة ١٨٨٦، ص ٦٧، والتاج نفسه - كاسمه - فارسي قديم، ولم تكن أشكال تيجان ملوك القرس القلحاء ، التي نعرفها من سكهم بصفة خاصة ، مجهولة عند مؤلفي العرب ، فيروى المسمى مثلاً أنه شاهد كتاباً قديماً على بصورة ملونة الملوك القرس وعلى رؤوسهم التيجان ، وقد نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية نزولاً على رغبة الخليفة الأموي هشام ابن عبد الملك بن مروان (المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوبه ، ج ٨ ، ص ١٠٦) : ويلوح لنا أن مجموعة من المؤلفات - كتاب سير الملوك وكتاب التاج وغيرها من الكتب خواتم العناوين المشابهة - كان مضمونها كذلك ، وهذه الكتب فقدت (انظر عن الكتاب الثاني مقالة أحمد زكي باشا لطبعته لكتاب التاج للمحقق ، القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) ، ولعل ما روى عن التاج الفارسي في كتاب تأريخ سني ملوك الأرض والأنياء مؤلفه حمزة الإصفهاني (برلين مطبعة كاوياني ، ص ١٧ ، ٢٤ وما بعدها ، ٣٢ ، ٣٥ وما بعدها) وفي الكتاب الفارسي « جمل التواريخ » الذي نقل عنه ، وكذلك في الطبري ، أقوال من هذا القبيل تعتمد على مثل هذه المصنفات (انظر بحث تولدكه عن العلاقة بين هذه المصادر في *Geschichte der Perser und Araber* ليدن ١٨٧٩ م ، للمقالة :

Onaridiceschem bite Talor, Irastija : *Kowalewski* ، *Obosh. Librit. jastatyonamiya* ، موسكو سنة ١٨٨٨ ، ج ٤ ، الكراسة الثانية ، ص ٤٢ - ٩ (١٣) عمل حسن أفنديو : *Shorn. mater.* ، ج ٢٩ ، قليس ، وانظر عن يهود الجبال (١٤) للمصادر التي أوردتها ميلر *Jewisch Encyclop.* في *Rosenthal* و *Miller* ، ج ٣ ، سنة ١٩٠٢ ، ص ٦٢٨ - ٣١ (١٥) *Gorkiye Tawri Daghestana, Russi.* : *Kurdov* ، *antroppl. Journal* ، موسكو سنة ١٩٠٥ ، الكرستان الرابعة والخامسة ، ص ٥٧ - ٨٨ (١٦) (الكتاب نفسه : *Gork. yewrei Shernakh uyeda* ، سنة ١٩١٢ ، الكرستان الثانية والثالثة ، ص ٨٧ - ١٠٥٠ (١٧) الكاتب نفسه : *Tati Daghestana* ، سنة ١٩٠٧ ، الكرستان الثالثة والرابعة ، ص ٥٦ - ٦٦ ، وقد أوضح المؤلف أن تات القرى السبع في غربي دربند يختلفون في سجعهم وتركيبهم الجسدي اختلافًا تاماً عن تات بانكو وعن القرس ، وهم قريبو الشبه من الأتراك [مينورسكي *V. Minorsky*]

« تاج » لفظ فارسي مغرب ، وهو بالفارسية القديمة « تك » (انظر الكلمة الأرمنية « عتك » ، والكلمة الآرامية « تاك ») ، وصيغ منها في العربية جميع التكسير تيجان ، والفعل توج (الوزن الثاني) وتوج (الوزن الخامس) ويقال أيضاً « تاج » تاج توج *Gründriss der neupersischen Etymologie* (Horn) ، سنراسبورغ سنة ١٨٩٣ ، ص ٨٩ : *Siddiqui* :

Ephemeris ج ٢ ، ص ٣٥ ، ص ٣٧٥ : وعن
الفرق بين الإكليل والتاج أيضاً ؛ ويلوح أن
التاج إكليل بسيط (وللتعمان الثالث النخعي
Die Dynastie Der Lakhmiden in Al-: Rothstein)
Hiro ، برلين سنة ١٨٩٩ ، ص ١٢٨ ،
ولدى التاج هودنة بن حل ، والتاج الذي منع لوال
الجماعة النصراني في زمن النبي ، ويقال إن النبي قد
بعث إلى هذا الولد أيضاً كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام
(ابن هشام ، طبعة فستفيلد ، ص ٩٧١ ، القلقشندي ،
ج ٦ ، ص ٣٧٩ ، Fraenkel ، ص ٦٢ ، الطبري ،
ج ١ ، ص ٩٨٥ ، Noeldeke : *Gesch. d. Persen*
Araber « ص ٢٥٨) .

وقد وجد الشعراء التيجان وأصحاب التيجان
(انظر صديقي ص ٨٤ ، الميرد : الكامل ، ص
٢٨٩ وما بعدها ، وقد جاء فيه أن التاج من
خصائص اليمن ولعله من بقايا الصلوات القديمة
التي كانت بين اليمن والأحياء ، انظر فيما يخص
التاج عند الأحياء : Noeldeke : *Geschichte*
ص ٣٢٥ ، ٢٣٣) .

وكان تاج كسرى الثاني المشهور من بين غنائم
العرب التي غنموها قيس بن عيلان (*L'Empire*: Christensen)
ص ١٠٩ ، غير أن التاج ظل غريباً على العرب قلماً
يلبسونه ، وهناك حديث نصه « العمامة تيجان
العرب » وجاء في لسان العرب وفي غيره تفسيراً
لذلك : أن « العمامة للعرب بمنزلة التيجان للملوك ،
لأنهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفين الرؤوس »

وانظر نفس البحث فيما يخص التاج عند القروس ،
صفحات ٩٥ ، ٣٠٤ ، ٢٢١ ، ٣٨٥ ، ٤٥٣ بصفة
خاصة : *L'Empire des Sasanides* : A. Christensen
كوبنهاغن سنة ١٩٠٧ ، ص ١٤ ، ٨٩ وما بعدها ،
١٠٦ ، الكاتب نفسه : *Le Règne du Roi Kavadh I et*
Le Communisme mazdakite ، كوبنهاغن سنة ١٩٢٥ ،
ص ٢٢ وما بعدها . وجاء في مؤلفات الأواطل من العرب
أن « أول من لبس التاج الضحك » (القلقشندي :
صبح الأعشى ، القاهرة سنة ١٣٣١ م للواقعة سنة
١٩١٣ م ، ج ١ ، ص ٤١٥) .

ويبدو ملوك القروس القلعة في المنمنمات
الإسلامية لابسين تيجاناً ، غير أننا لا نستطيع
بطبيعة الحال أن نجزم بصحة أشكال هذه التيجان ،
ويظهر الملاحظة أيضاً في هذه المنمنمات على دروسهم
التيجان وبخاصة التي محمد (صلعم) والبراق في
المراجع (انظر المنمنمة الموجودة في طبعة *Paves*
Courteille ، لمراجع تامة الأوريفورية ، باريس
سنة ١٨٨٢) .

وعرف العرب التيجان لأول مرة قبل الإسلام ،
إذ كان ملوك القروس في بعض الأحيان يمنحون
أتباعهم من ملوك العرب تيجاناً تنويعاً بمرتبتهم ،
مثال ذلك التيجان التي منحت لأمري القيس
للخمس المتوفى عام ٣٢٨ م (*Clermont-Ganneau* :
Recueil d'Archéol. Or. ، ج ٦ ، ص ٣٠٧ ،
Le Roi de "sous les arabes" ، ج ٧ ، ص ١٧٦
وما بعدها ، *Le Tadj-dér Iman's Qais at la*
Lidsbareki « royauté générale des Arabes »

مسالك الأبحار ، وقد طبع منه حسن حسنى
عبد الوهاب وصف إفريقية والأندلس ، تونس
سنة ١٩٢٢ ، ص ٢٣ ، تعليق ٢ .

وكان التاج من بين الكسى التى نخلعها الخليفة
أوالسلطان على عماله أو سفرائه وغيرهم . ويرى
القلقشنلى (ج ٨ ، ص ٣٧٥ وما بعدها) أن
الخليفة كان يلبس تاجاً مرصعاً عند اعتلائه العرش
(Statthalter : Wuestenfeld ، ج ٣ ، ص ٣٨)
ويلوح أنه كان هناك تاج يشبه هذا رسمه أمراء
الماليك على سلاحهم شعاراً لهم .

وكان لباس سلاطين آل عثمان يسمى بالتاج
أيضاً . وشاهد ذلك أن لباس رأس السلطان عثمان
الأول نفسه كان يعرف بـ «تاج خراسانى» (d'Ohsson ؛
ج ٢ ، ص ١٣٥) ونحن نعلم علم اليقين شكل لباس
رأس فاتح القسطنطينية من الصور التى رسمها
بلى Bellini . فقد كان هذا السلطان يضع على
رأسه عمامة كبيرة وتاجاً : وكانت سكة (١) العمامة
على شكل الخروط الناقص ، لونها أحمر فى الغالب ،
وهى موجهة ، ولعل بها ثنيات غميطة . ويلف حول
هذه السكة العمامة نفسها (صاريق) وهى من
القماش الرفيع . وشكل عمامة الفاتح التى وجدناها
فى الصور يبدو أيضاً فى الأنواط : وعندما نجد
على الوجه الآخر من النوط ثلاثة تيجان الواحد منها
فوق الآخر فإن التفسير الغالب لذلك هو أن الذى
رسم هذا النوط وصنعه فنان أوروبى : ويعتقد أن
هذه التيجان الثلاثة ترمز إلى ممالك أسبانية واليونان

أو بالقلانس ، والعمائم قهيم قليلة ، (انظر مادة
«قلنسوة»).

ولا يعرف الإسلام التاج الملكى ولا التتويج كما
نفهمه رمزاً لسلطان الملك . فإذا ذكرت التيجان
فإنما يقصد بها تيجان الملوك النصارى وغيرهم .
ويقال أيضاً تاج البابا وتاج الأسقف . ويلوح أنه
لم يصبح لأمبر المسلمين تاج إلا فى الوقت الذى
ورد فيه ذكر «تاج الخليفة» . ولم يظهر هذا التاج
الذى هو من شعائر الملكية إلا فى عهد العباسيين ،
ويظن أن هؤلاء قد أخذوا بالتقاليد الفارسية فى هذا
الشأن لتمييزوا عن الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية
(Gashichte : Noeldeke ، ص ٤٥٣) . وكان الخليفة يلبس
التاج فى المراكب أيام الأعياد الكبرى . ويصف
القلقشنلى (ج ٣ ، ص ٤٧٧ ، ٤٨٤ ، وطبعة
مستقلة Wuestenfeld بعنوان Calcaschandi ، ص ١٧٧ ،
١٨٢) تاج الخلفاء الفاطميين فى مصر : ويتضح
من هذا الوصف أنه لم يكن تاجاً بمعنى
الكلمة ، وإنما كان عمامة مرصعة بالجواهر لونها
أبيض وهو شعار الفاطميين ، ولها جوهر عظيمة
تعرف باليخمة زنتها سبعة دراهم ، وكان يتولى شد
التاج الشريف موظف خاص ، وهذا الشاد بمثابة
الحفاف فى الصور المتأخرة (The : Inostrancev
‘Ceremonial procession of the Fatimid Caliphs
وهو بالروسية ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٥ ،
ص ٦٤ ، ابن الصيرنى : قانون ديوان الرسائل ،
طبعة ميجت ، ص ٢٧) . وكان سلطان الحفصيين
يلبس أيضاً تاجاً فى المراكب (ابن فضل الله :

وأطرازيذة المتحدة تحت لواء الميادين

(G.F. Hill في *Nuzimatic Chronicle* ، سنة ١٩٢٦ ، ص ٢٨٧ - ٢٩٨ لوحة ١٤) وقد فصل

الشائعة في جميع أنحاء العالم ، وهي استعمال التيجان للرؤس ، معروفة أيضاً في العالم الإسلامي للمسلمين

كاراباسك Karabacek الكلام عن تاج ملاطين

(*The Thousand and one Nights* : Lane ج ١ ، ص ٤٢٤ ، *Arabes mirati Nachrichten* ... : Lagarde

آل عثمان ، وهو يزعم أن تاج القرس والأترك

كوتنكن سنة ١٨٩١ ، ص ١٦٠ وابعدها ، ومن

يقابل الطرطور في البلاد التي تتكلم بالعربية ،

شواهد ذلك أيضاً اسم القاموس المعروف «تاج

والطرطور قلنسة مرتفعة بعض الشيء ، وقد

العروس » ، أما عن التركستان الشرقية فانظر ،

وجد له رسم في ورقة من ورق البردي يرجع تاريخها

العروس » ، أما عن التركستان الشرقية فانظر ،

إلى القرن السابع بعد الميلاد ، وتغير شكل هذا

في *Aria Major* بروكلمان ج ٢ ، ص ١٢٢ ،

الطرطور عرور الزمن . ولنا لنجد أن لباس رأس

فناء فرنسا وأسبانيا في القرون الرابع عشر والخامس

عشر والسادس عشر - ويعرف « هنتين »

وقد أصبح للتاج شأن ديني خاص عند ما

Hen(n)in - يشبه التيجان الفارسية التركية إلى حد

اتخذ الدوايش لباساً للرأس . وليس التاج من

كبير - ويرى كاراباسك أن هذا اللباس مأخوذ

أهم أركان حلة ربط الخزام (انظر مادة وشبهه) ،

هو واسمه من الشرق ، وشاهد ذلك أن الاسم

ولكل طريقة من طرق الدوايش تاج له لونه

العربي هو حتى . وقد بقيت أنواع معينة من هذا

وشكله الخاص كما أن له التي عشر سجاناً (ترك)

اللباس يضعها النساء إلى الآن على رؤوسهن كما هو

بعد الأئمة ، وقد يكون له تسعة صنف أو سبعة

التي هو حتى . وقد بقيت أنواع معينة من هذا

إلخ . ولله الأرقام أسماء عدة ودلالات رمزية

للحفاة كما توضع العمامة في حالة ما إذا كان المتوفى

(أحيد رفعت : مرآة المقاصد ، إستانبول سنة

وجلا *Manners and Customs of Modern Egyptians* ، ذيل رقم ١ ، Lane : *Arabists Society*

١٢٩٣ هـ ، ص ٢١٢ - ٢١٥ ، *The : Brown*

بالقرص ، وهو من أدوات الزينة له شكل الطبق ،

أوردتها *Dervishes* ، ص ١٤٨ وابعدها ، الصور التي

ويصنع من صفحة من الذهب مربعة بالأحجار

أوردتها *d'Ohsson* ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ ، وهناك

الكرمة تحاط في قمة قلنسة مرتفعة بعض الارتفاع ،

جريدة كبيرة ملونة بالأربع عشرة الطريقة الهامة

وقد يقل وزنها بعض الشيء أحياناً . ويوضع

من طرق الدوايش ، وبها صور تيجانهم وذكر

هذا القرس في بعض الأوقات على شاهد قبر المرأة

للسلسلة فومسي هذه الطرق ، طبع في مطبعة

للحفاة كما توضع العمامة في حالة ما إذا كان المتوفى

إستانبول لصاحبها محمود بك ونشرها ضياء بك في

وجلا *Manners and Customs of Modern Egyptians* ، ذيل رقم ١ ، Lane : *Arabists Society*

« صنائع نفيسة . رسمها تسمى » بتاريخ ١٥ شعبان

وجلا *Manners and Customs of Modern Egyptians* ، ذيل رقم ١ ، Lane : *Arabists Society*

١١٣١٤ هـ ، وتجيد أن التاج الصوفي أصبح بمثابة

وجلا *Manners and Customs of Modern Egyptians* ، ذيل رقم ١ ، Lane : *Arabists Society*

لباس للرؤس في فارس على عهد الشيخ جليل

وجلا *Manners and Customs of Modern Egyptians* ، ذيل رقم ١ ، Lane : *Arabists Society*

أيضاً بالجزءاء [والجزءاء هنا غير جزءاء تلك
البروج] :

ويقال أيضاً تاج العمود أي رأسه (Sarre-Hersfeld
Archaeol Reise ج ٢ ص ١٨٥) : والتاج
يطلق أيضاً على عرف الديك وما شابه من الطيور
وهو الاسم العربي لهر تاجه^(١) Tagus بالأندلس
وكان هناك قصر مشهور تخلفاه بغداد يعرف
بقصر التاج ، وقد شيد في عهد المعتضد والمكتفي
واسمحل في بناءه أنقاض قصر للدائن أحد عجائب
الدنيا السبع التي دمره حريق نجم عن البرق ،
وأعيد بناء قصر التاج ، غير أن هذا البناء لم يتم
وغرب من آخره عام ٥٧٤ (ياقوت ج ١ ص
٨٠٦ - ٨٠٩ ، والترجمة في Zeitschrift der
Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft ج ١٨ ص
٤٠٣ - ٤٠٦ ، Sacy : Chrestomathie ج ١ ص
٧٤ ، Kulturgeschichte : v. Kremer ج ١ ص
٧٠ ، Sarre-Hersfeld ج ١ ص ٩٢ ج ٢ ص ١٤٨ ،
في القاهرة منظره تعرف بمنظرة التاج شبهها
بدر الجمال (انظر هذه المادة) وكانت أنقاضاً
في عهد القرقيزي (القرقيزي ج ١ ص ٤٨١
ج ٢ ص ١٢٩ ، ياقوت ، الملاحق ج ١ ص
٢٢٤ ، ٢٢٨) .

(انظر هذه المادة ، ومن ثم قبل « تاج حيدري »)
والشاه إسماعيل (انظر هذه المادة) بلبسه الملك
ورجال البلاط ورجال الجيش والموظفون ، ويمتخ
في حفل خاص ، ولعل هذا التاج قد استعمل في
فارس قبل هلمين الملكين (Karabacek : كتابه المذكور
ص ٨٧ ، Babinger : Islam ج ١١ ص ٨٤ ،
مادة قول باش) :

ولكلمة تاج استعمالات مجازية مختلفة ؛ فقد
ذاعت ألقاب التشريف المتضمنة هذه الكلمة في
العهد المتأخرة وعلى الأخص في عهد المماليك ؛
واكتفى في أول الأمر بالألقاب البسيطة مثل
تاج الدين وتاج الدولة ، فأطلق لقب الأول على
رجال الجيش والثاني على كتاب السر من التتاري
(القلقيشندى ج ٥ ص ٤٨٨ ، ج ٥ ص
٤٨٧) ، ثم استعملت بعد ذلك الألقاب المزودة :
عضد الدولة وتاج الملة (ج ٥ ص ٤٩٢) وتاج
العلماء والحكام ، وقد لقب به القضاة (ج ٦ ص
٤١ وما بعدها) إلخ ؛ وأطلقت أنواع
أخرى من الألقاب على ملوك الكفر مثل « بقية
أبناء التتوخ والتيجان » (ج ٦ ص ٨٥) و« حوك
التتوخ والتيجان » (ج ٦ ص ١٧٥) و« ولورث الأسيرة
والتيجان » (ج ٦ ص ١٧٧) ؛ ويتصل بهذا عادة
إطلاق كلمة تاج مع المضاف إليه على عناوين الكتب
ولبنا على هذا آلاف الشواهد .

و« تاج سلطان » في علم الهيئة هو زحل ؛ وتاج
الجبار نجم قريب من كوكبة الجبار Octon المعروف

(١) قول كاتب المادة أن « تاج » هو الاسم العربي لهر
تاجه خطأ صوابه ورد في التعليق على مادة « تاج » في هذه
الدائرة .

المصادر :

قدفت مؤقتاً في زين آباد من ضاحية برهانپور .

غير أن زوجها الذي كان لا يكتف عن الهكاه حزناً عليها عقد النية على أن يخلد حبها بإنشاء ضريح جدير بتخليد هذا الحب. ومن ثم نقل جثمانها إلى آگرا حيث دفنها مرة أخرى دفناً مؤقتاً في بقعة من الأرض ابتاعها من الراجا جاي سنغ ، وعلى هذه البقعة شاد بناء التاج الذي استغرق مع ما يتبعه من الأبنية الأخرى اثنتين وعشرين سنة كان يزاول العمل فيها من غير انقطاع عشرون ألف عامل . وكان قد عقد مجلساً من أساطين علماء الهندسة وفحول فن العمارة في الدولة وطرح على أنظارهم التصميمات الهندسية المختلفة لآواز الوابها بحثاً وتمحيصاً حتى استقر رأيهم بالموافقة على التصميم الذي وضعه للمهندس المعروف بالأساذ عيسى الذي اختلف في أصله وجنسه ، فقليل إنه فارسي من شرار أومن إحدى بلاد تركية ، أما الرواية المنسوبة إلى الأب منريك Manrique من آباء الطائفة الأغسطينية الدينية ، وهي الرواية التي عصلها أن المهندس صاحب التصميم إنما هو كبرونيمو ثرونو Geromino Veronco فليس هناك من الأسانيد ما يعززها لا في سجل الحوادث المحلية ولا فيما دونه كل من الرحالين تافرنيه Tavernier وبورنيه Bornier وThvenot في الرحلات التي صنفوها ، وهو لاء قد توافقت آراؤهم على أن الضريح قد شيد بالمرمر الأبيض المجلوب من جدهپور على مصطبة مفروشة السطح بالمرمر الأبيض كذلك في ارتفاع ثمان عشرة قدماً فوق ما مسطحة ٣١٣ قدماً مربعة ، وأقيمت

علاوة على المصادر المذكورة في صلب المادة انظر (١) Dictionnaires des 6lements : Dory
انظر مادة تاج (٧) Hasting's Encyclopaedia of
Religion and Ethics ، مادة تاج (٣) Karabaceck
Abendlaendische Kuenstler in Konstantinopel im 15
u. 19. Jahrhundert, I. Italienische Kuenstler am
Hofe Muhammads II. des Eroberers 1451-1481
Denkschriften d. k. Akad. d. Wiss. Wien ٦٢
لقالة الأولى ، سنة ١٩١٨ .

[بيوركمان W. Bjorkman]

« تاج الدولة » : (انظر مادة « تلش ») .

« تاج الدين » : (انظر مادة « السبكي ») .

« تاج محل » : ضريح عجيب الصنع أتيق

الهندسة أقامه في مدينة آگرا . الملك شاه جهان (انظر هذه المادة) ليضم رفات زوجته أرجمند بالويكيم التي كان متعلماً في عشقها . وكلمة تاج محل محرقة من الاسم الذي كانت تحمله هذه الأميرة وهو « ممتاز محل » وهي ابنة آصف خان . أنى لورجهان المشهور (انظر هذه المادة) : وكان زواج الملك شاه جهان منها في العاشر من مايو سنة ١٦١٢ إذ كانت تبلغ التاسعة عشرة من عمرها ، وقد زوّجت منه أربعة عشر ولداً ثم توفيت في يونيو سنة ١٦٣١ بمدينة برهانپور على أثر ولادتها بنتاً ،

من الزخارف الجميلة بالحروف العربية يزيد في حصبها وجمالها زخارف أخرى تالية لها في الحجر الصلب . وماخذ العقود والزوايا والنقوش الضخمية المهمة مرصعة كلها بالأحجار الكريمة كحجر العقيق وحجر الشب وحجر الدم وحجر العقيق السلياني وغيرها مما تضافر اللون السليم والحلقة البالغة على تنسيقه في شكل عقود من الأغصان ملتوية تارة وفي الوضع المسمى بشوك اليهود تارة أخرى ، وفي كل ذلك تتسجم الرسوم مع الألوان خير انسجام . وينقل الضوء من خلال حواجز زوجية منحوتة في المرمر الناصع البياض على شكل مصبغات يزيد بها حسن النسق وجمال الترتيب رونقاً ورواء ، إذ يواجه أحد الحاجزين الجانب الخارجى من الجدران بينما يواجه الآخر جانبها الداخلى ، وفيما يلي بداية الضريح ومصطبة جناحان أحدهما مسجد لطيف الشكل متنق البتاء ، ومن مجموعة هذه المباني يتألف أحد أضلاع صحن فسح نسقت فيه تماثيل الزهر ، وبسطح هذا الصحن ٨٨٠ قدماً ، وفيما يلي صحن آخر خارجى مماثلة في العرض ولكنه لا يزيد على نصفه طولاً . ولقد جهد بعض الماجنين الأديعاء في مسائل الفن أنفسهم في الجهر بأرائهم عن تاج محل وحكمهم الفني عليه بمقتضى أصول الهندسة اليونانية والتوطية فذكروا في مقارناتهم ما يقتضى مع سلامة اللون ويتعارض مع استقامة المنطق . ولقد أصاب فرغوسون Ferguson حيث قال في هذا الصدد :

« إن التوفيق بين تلك الجوانب الباهرة — أى عاين تاج محل — وحسن التأق ، في إحكام الرباط

عند كل زاوية من زوايا المصطبة مثثة متناسقة الأجزاء ارتفاعها ١٣٣ قدماً يحيط بدائر كل مثثة ثلاث شرافات تنتهى بقطرى (چنرى) مفتوح ذى قمة . وفي وسط المصطبة يرتفع الضريح في شكل رباعى مسطحه ١٨٦ قدماً مربعة وزوايا مقطوعة في مدى ٣٣ قدماً ٩٠ إيهامات . أما واجهة الضريح فتبلغ من العلو فوق سطح المصطبة ٩٢ قدماً ٣٠ إيهامات ، وأما القبة الرئيسية فتشغل الجزء الأوسط من البناية في مدى دائرة قطرها ٥٨ قدماً وتضرب في العلو فوق السقف إلى ارتفاع ٧٤ قدماً أو فوق مستوى سطح المصطبة ١٩١ قدماً ، ولكل من واجهات البناية الأربع مدخل عال مغطى بقبة ، وفوق كل مدخل حجرة صغيرة ذات قمة ، تحتوى طابقين ينتهى كل طابق في أعلاه بقطر ذى قمة وفي كل وجه من وجوه الثلاثة الخارجية ستة محاريب معقودة ومنسقة في صفين متطابقين ، وينفذ الضوء إليها من نافذات ذات مصبغات . وهذه المحاريب مع المداخل الكبيرة كالعقود في شكلها ، وتحت القبة الكبرى التى تعلو وسط البناية ضريح ممتاز عمل وإلى جانبه ضريح زوجها وكلاهما مزخرف بالنقوش الكتابية . وفي أسفل الضريحين مباشرة اللحدان اللذان يحتويان رفات الزوجين وموضعهما هل مستوى وجه الأرض ، والزخارف فيما أقل منها في الضريحين : ومحيط بهلين الضريحين حاجز منحوت في المرمر الأبيض على شكل مصبغات ، وتعد صناعته من أدق نجف الفن الهندى وأجملها ، كما يحيط بالمداخل الأربعة طارات

ويقول جغرافيو العرب إن تاجه نهر هام ،
وهم يتحدثون عنه في كلامهم عن طليعة ولشبونة
بصفة خاصة ، ويدكرون أيضاً الجسر الروماني
الشهير (الداموس) الذي بنى عند القنطرة بالحجر
الجرانيت عام ١٠٥٠م نزولا على رغبة الإمبراطور
تريانونس : وقد عرف العرب مدينة القنطرة باسم
« قنطرة السيف » (انظر مواد القنطرة ، ولشبونة
وطليعة) .

المصادر :

(١) الإدريسي : صفة الأندلس ، ص ١٨٧
من النص ، ٢٢٨ من الترجمة (٢) E. Fagnan
Extraits inédits relatifs au Maghreb ، الجزائر سنة
١٩٢٤ ، القاهرة .

(ليني بروفنسال E. Lévi-Provençal)

تعليق على مادة « تاجه »

تلقى العرب باسم هذا النهر كما كان يطلق
به الأسبان ، فهم يسمون « تاجه » بضم
الجيـم وسكون الهاء ، والاسم الأسباني هو Tago
مشتق من اللطينية Tagus فمن الخطأ إذن ما جرى
محررو الصحف العربية عليه في غضون الثورة
الأسبانية من تسمية ذلك النهر بنهر أو وادي التاج
بجراة لاسمه الفرنسي Le Tage الذي يقلب في
الوهم أنه منطوق كلمة التاج العربية بمعناها المعروفة
وأنه مأخوذ عنها .

ونهر تاجه من الأنهار الكبيرة في أسبانيا ، إذ
يشطر فيه جزيرتا شطرين يكادان يكونان متساويين ،
لأن الشطر الأعلى أكبر بقليل من الشطر الأدنى .

بين أجزائها من الأعمال التي تعدل دليلاً برهناً ،

المصادر :

(١) عبد الحميد لاهوري : بادشاه نامہ
النص ، كلكتة سنة ١٨٧٢ (٢) E.B. Havell
A Handbook to Agra and the Taj لندن سنة ١٩١٢
(٣) محمد معين الدين : The History of the Taj
آگرا سنة ١٩٠٥ (٤) James Fergusson
History of Indian and Eastern Architecture ، طبعه
James Burgess & Pheme Splers ، لندن
سنة ١٩١٠ (٥) H. Yule & A.G. Bernell
Hobson — Johnson ، طبعه Wm. Crooke
لندن سنة ١٩٠٣

[هيك T. W. Haig]

« تاج الملوك » (انظر مادة « بوري »)

« تاجه » وادي ، وباللاتينية Tagus
وبالأسبانية Tago وبالبرتغالية Tejo : أطول
نهر في شبه جزيرة أيبيرية ، وهو يبلغ من
جبال كونكة Serrania de Oueuca على ارتفاع
١٨٠٠ متر تقريباً ، ويبلغ طوله حتى مصبه في
لشبونة ٨٨٠ كيلومتراً منها ٣٠٠ كيلومتر في
الأراضي البرتغالية ، ونذكر من البلدان الكثيرة
التي على ضفتيه من منبعه إلى مصبه : أراغوز
والجنور وطليطة وطليعة الملكة ، وهذه من
أعمال الأندلس : وأبراتيس وشترين ولشبونة
من أعمال البرتغال .

كيلومترات منها ٧٥١ كيلومتراً في أسبانيا و٢٥٥ في البرتغال :

وأضيف إلى ما تقدم أن العرب كانوا يسمون جبال كوناكة أوفونكة بجبال ابن رزين كما كانوا يسمون نهر تاجه نجاها طليطة بنهر طليطة .

محمد محمود

« تاجيك » وهناك صيغة أقدم هي تازيك أوتازيك (ورسها عمود كاشغري في كتابه ، ج ١ ، ص ٣٧٤ : ترك) : والتاجيك اسم قوم ، وكان يستعمل في الأصل للدلالة على العرب ، وانحصر هذا المعنى بعد ذلك في صيغة تازي فحسب . وأطلق بعد ذلك على الإيرانيين تمييزاً لهم عن الترك . وكلمة تاجيك مشتقة من اسم القبيلة العربية طيية . وهي أقرب قبيلة عربية للإيرانيين ، ولذلك ، أطلق هذا الاسم على العرب أجمعين : وفي أوائل القرن الثالث ذكر رجل من مدينة الرها أن طيية والعرب يمثلون جميع البلو (انظر Cureton : Spicil. Syr. ص ١٦ ، Noeldeke Z.D.M.G. ج ٦٩ ، ص ٧١٣) . ويرادف لفظ « حرب » لفظ تاجيك في القهولية وبالآرامية تيجك (انظر Grundr. d'iran Phil. ج ١ ، ص ٣ ، ١٨٧) وبالصينية تشي . ويولح أن السكان الإيرانيين في أواسط آسيا كانوا يعرفون الغزاة المسلمين بهذا الاسم ، لأن الرأي الذي كان سائداً وقتذاك هو أن الإيراني الذي يعتنق الإسلام يصبح عربياً (انظر الطبري ، ج ٢ ، ص ١٥٠٨ ، ص ١٣) . وعرف الترك هذه الكلمة

ومباهه تشتق من يتابع جبال كورة كوناكة أوفونكة Cuenca من جبال مركز « ابن رزين » Albarracine أحد المراكز التي كان والياً عليها ثم استقل بها أيومروان ابن رزين ، فلما استتب له الأمر فيها كما استتب في غيرها لغيره من ملوك الطوائف أضاف للمملكة إلى اسمه واسمى عاصمتها التي كانت معروفة بمدينة ششمريه Santa Marie بششمريه ابن رزين « أو أبناء رزين Sainte Marie, d'Albarracine » وكانت مملكة أبناء رزين تمتد فيما يلي نهر بالنسية إلى أول أعمال طليطة ، وكانت تشمل قسماً كبيراً من المقاطعة المعروفة الآن باسم أرغون Aragon : ويتصل نهر تاجه بعد اشتقاقه من تلك الجبال بمجملته مدن منها القلعة Alcala والوقت Alpuente قبل أن يمر مع النهر في بلاد قشتالة إلى مدينة طليطة التي يبلغ اتساعها فيها ستة أميال فيكون كالبحيرة الكبيرة التي يدخلها المد والجزر . ومن بعد طليطة يمر بمدينة طليبة الملكة Talavera de la Reina وبلدة الخاضة Al-Ballah ثم ببلدة القنطرة المعروفة بقنطرة السيف Alcantara فقنيطرة عمود Alcantarilla وينبعث من بعد ذلك في بلاد البرتغال فيقطعها عرضاً في انحراف شديد نحو الجنوب الغربي حتى يبلغ لشبونة وعندما يصعب في المحيط الأطلسي المعروف بالبحر المظلم وبحر الظلمات وبحر أقيانس ، وقد وهم كاتب المادة حين قال إن طول نهر تاجه من منبعه إلى مصبه ٨٨٠ كيلومتراً منها ٣٠٠ كيلو متر في الأراضي البرتغالية ، إذ المجمع عليه في كتب تخطيط البلدان أن ذلك الطول هو ١٠٠٦

(Kurbekiy) أنه كان يحيط بقلمه قازان ومختق الترك
(*stschickij von tadjikij*) وفُسرَت كلمة ترك بأن
معناها تاجر : (انظر Karatzin *Int. ges. Tour.*
٨ ، ص ١١٠ ، P. Zarinsky *otark.* : P. Zarinsky
drenay Kazani سنة ١٨٧٧ ، ص ٨) .

ويطلق اليوم اسم تاجيك أحياناً على الإيرانيين
الشرقيين تمييزاً لهم عن القرمي الخُصص : ويقال
إن المنطقة الضيقة بين أسراباذ (انظر هذه المادة)
ويزد هي الحد الغربي لمساكن التاجيك : وطرد
التاجيك تدريجياً في التركستان من السهول إلى الجبال
وخاصة في عهد الأزابكة : ويطلق الروس اسم
تاجيك على جميع الشعوب الإيرانية في التركستان ،
أي على التاجيك الخُصص الذين يتحدثون بالتاجيكي
وسكان المناطق الجبلية على نهر الهنچ (انظر مادة
«جيجون») والمجرى الأعلى لنهر زوفشان :
وهؤلاء يتحدثون لهجة خاصة : وإذا أُخذنا بمُدلول
كلمة تاجيك فإن جمهورية تاجيكستان المستقلة
استقلالاً ذاتياً تكون قد تأسست سنة ١٩٢٤
وعاصمتها دوشنبه على المجرى الأعلى لنهر كافورنهان :

ويبلغ عددالتاجيك - وفقاً لتعداد الذي تم في تلك
السنة ١٩٢٧، ٨٧١،٥٣٧ نسمة : ويستعمل هذا الشعب
نفسه كلمة تاجيك في دلالات مختلفة : فالسكان
الذين يقطنون بعض المناطق الجبلية مثل شُغنان
ووروش يطلقون على أنفسهم اسم تاجيك بينما
يصفون جيرانهم في دَوُونز الذين يتحدثون بالتاجيكي
بأنهم قوم يتحدثون بالقلاومية «فارسي كوي» وعلى
العكس من ذلك نجد أن سكان لوفشان الأعلى الذين

يعنى الرجل الذى أتى من بلاد الإسلام : ولا كانوا
يعلمون أن معظم المسلمين من الإيرانيين فقد أصبحت
كلمة تَجِك بالتركية تدل على الإيراني . ويفسر محمود
كاشغري (كتابه المذكور سابقاً) كلمة ترك بكلمة
القارمى : ويميز صاحب كتاب «قوتادغويلك»
المعاصر للتجيك من العرب بأنهم من القرمي (انظر
Versuch eines Wörterbuches der Turke : Radloff
Dialects ج٢، ص ٧٤٦) . ولا يزال الإيرانيون يطلقون
على أنفسهم «تازيك» لينمازوا عن حكامهم من
الترك (انظر البيهقي طبعة مودل Morley ص ٧٤٦)
والخلاف بين الترك والتاجيك يظهر في كثير من
الأحيان ، ويقال في لهجة التوكيد إن الصلات بين
التركي والتاجيكي كثيراً ما انتهى على أسوأ حال :
فالتاجيكي لا يمكنه أن يتحدث على التركي قط :
(انظر ظهير الدين مرعشى : طبعة دورن Dorn
ص ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، وما بعدها) ويمكن الرجوع
إلى مقال «سارت» فيما يخص بالعلاقة بين كلمة
تاجيك وكلمة سارت : ويبدو لنا جلياً من استعمال
هاتين الكلمتين قيمة الإيرانيين بوصف أنهم شعب
يشغل بالتجارة : وكلمة سارت استعملت بادئ
الأمر في التركية بمعنى تاجر ثم استعملت بعد ذلك
للدلالة على الإيرانيين الذين كان ينظر إليهم في
الأصل على أنهم جنس يشغل بالتجارة والعكس
بالعكس : فإن كلمة تاجيك (ترك) أصبحت تستعمل
بعد ذلك - أو على الأقل بين قَرَن نهر إندل - بمعنى
تاجر : وجاء في أحد المصادر الأصلية عن فتح
الروس لقازان سنة ١٥٥٢ (كتاب الأمير كوريمكي

بهذا الوصف ، ومع مراعاة اللوق الأدنى القارمى
واللهجات المختلفة ، اللغة الرسمية ولغة رجال
الأممال فى بخارى فى عهد الأزابكة (انظر مادة
« بخارى ») وظلت على ذلك إلى ما بعد الثورة التى
قامت فى سنة ١٩٢٠ هـ وأصبحت التاجيكي منذ
سنة ١٩٢٤ م بصورة فى جمهورية تاجيكستان
المستقلة استقلالاً ذاتياً والتي أنشئت فى ذلك العام
هنا وقد ترك أناس فى بعض البلاد التى كانت
تتحدث التاجيكي هذه اللغة واتخذوا التركية لغة لهم
فى القرون القليلة الماضية ، فى حين زاد انتشارها فى
للمناطق الجبلية على حساب بعض اللهجات الأخرى
مثل لهجة البقوى ويمكن الرجوع فى شأن
مقام التاجيكي وخصائصها إلى *Grand. in. Phil.*
ج ٢ ، ص ١٠٧ ، وما بعدها ، وإلى الملاحظات
التي أبلغها فريمان A. Freiman على بحث أنلريث
في *Tadzikistan* من Andreyev (طشقند ، سنة ١٩٢٥)
ص (١٦٢) ،

[يارتولك W. Barthold]

« تادلا » : أو تادلا (١) ، وقد عرفها الحسن بن
محمد الوزان الذى يأتى باسم « تادلا » : تاجية بمراكش
تشمل الهضاب التى تمتد إلى الغرب من وادى أم
الربيع للمرتفع كما تشمل للسحدرات الغربية لجبال
الأطلس الوسطى ، من وادى العيد إلى منابع ملوية ،
وكان ينسب إلى تادلا فى العصور القديمة يقال
تادلا ، غير أن هذا الاسم لا يطلق الآن إلا على شرفاء
التاجية ، والقبيلة الشافعية هى تادلاوى .

[١] شريطا معجم البلدان لياقوت تادلا يلعب الشأن والاعمال

يصطوبون [حتى اللهجات القارمية يطلقون على
أنفسهم اسم تاجيك ، فيما يطلقون على القوم الذين
يسكنون حوض نهر يفتخرب ويتخاطبون بلهجة
خاصة اسم ككجه ، ويلوح أيضاً أن هؤلاء القوم
يميزون لغتهم البقوى عن لغة التاجيك]

ويجب أن نطرح جانباً الرأى القديم القائل
باشتقاق كلمة تاجيك من لباس الرأس « التاج »
إذ لا تؤيده الشواهد اللغوية أو التاريخية ، ولا يزال
هذا الرأى مذكوراً فى كتاب (*Grundr.* ج ٢ ، ص

٤٠٢)

المصادر :

Memoire sur : N. de Khanikof (١)

Péhinographie de la Perie باريس سنة ١٨٦٦

(*A. Rouail de voyages et de memoires*)

Tadziki Etnograficheskoye : A. Shishov (٢)

antropologicheskoye issledovaniye طشقند سنة ١٩١١

(*Srednaya Aziya*) (٣) W. Barthold

Tadzikistan Tadziki Istoricheskij Ocher طشقند

سنة ١٩٢٥ ، ص ٩٣ - ٢١٢ (٤) Andreyev

Po etnograficheskii tadzikikov Nikolaiyev srednaya

(*Tadzikistan* ص ١٥١ - ٢٧٧)

[يارتولك W. Barthold]

« تاجيكي » : هى لغة التاجيك (انظر هذه
المادة) وهى بوضوح كونها لغة أدب تشابه أو تبعده
عن اللغة الفارسية المحلية وذلك على قدر ثقافة
الشخص الذى يكتبها أو يتحدث بها : وكانت التاجيكي

ووصف الحسن بن محمد الوزان الترابي الذي كان في تادلا في أوائل القرن السادس عشر مستعمرات اليهود الكبيرة هناك . فقد كان في تافرة حاضرة الإقليم على عهده مائتا بيت من بيوت اليهود وكل هؤلاء كانوا من التجار والصناع ذوي الثراء . ولا يزال عدد كبير من اليهود يعيش إلى الآن في بوجد وفي قصبة بني ملال : وكانت مدينة أدای القديمة تقوم في مكان هذه القصبة ، والاسم مدينة أدای عربي بربري معناه فيها يظهر مدينة اليهود : وتادلا هي إحدى الولايات التي انقسمها أبناء إدريس الثاني ، ويلعب صاحب كتاب روض القرطاس إلى أن هذه المدينة كانت من نصيب أحمد ، بينما يزعم اليكزي أن دای حاضرة الإقليم كانت تابعة لبيحي ، وكانت تادلا في وقت من الأوقات ضمن إمبراطورية بني يقرن ، وهم من شال (من القرن العاشر إلى القرن الحادي عشر) وفي عام ١٤٤٩ (١٠٥٧ - ١٠٥٨) غزا المرابطون أغمات فسمى صاحبها لقوط بن يوسف إلى الغرب والتجأ إلى بني يقرن في تادلا . فتبعه عبد الله بن ياسين قائد المرابطين وفتح هذا الإقليم . وهناك قصة يرويها أهل هذه البلاد تزعم أن مدينة دای دحرها السلطان يوسف بن تاشفين المرابطي وأبقى عوضاً عنها مدينة تاقرات ، ولا تزال أطلالها باقية في جوار هذا المكان . ويمكننا أن نرد هذه الحادثة التي لم يلبثها التاريخ إلى الوقت الذي كان يغير فيه يوسف بن تاشفين على حصون قرناز ، وهو إقليم مجاور لتادلا من ناحية الشمال .

وفي عام ٥٢٦ (١١٣١ - ١١٣٢) استولى

ويقتل إقليم المضارب صت قبائل على شيء من البدانة أصلها عربي وهي : أرذيفة ، وبوخيزان ، وبنو زهور ، وساعلة ، وبنو عامر ، وبنو موسى ، وتميش في واد زيم وبوجد أو بيجعد ، واسمه القصبيح أبو الجعد ، ودار ولد زيلوح .

واستقر قوم يعرفون باسم « آيت ريوخ » في الإقليم الأوسط لوادى أم الربيع ، واسمه القديم وادى والنيسن ، وهؤلاء القوم قبائل جملها مستقر ، وهم خليط من أصل عربي وبربري ، وهذه القبائل هي كسطاية وسينكتستو بنو ميلال ، وأهم بلادهم قصبة تادلا وقصبة بني ملال .

وهناك قبائل بربرية تعيش على المحتلرات الغربية لجبال الأطلس الوسطى ، وهي من الشمال إلى الجنوب : آيت مري ، وآيت عطفا ، وآيت يزيد ، وآيت حياط ، وآيت عتاب .

ويقيم بربر الجبال إلى قوم زناكة أي مباحجة . وكان يقطن السهول أول الأمر الزناتة وهم ناس من البربر عاشوا معيشة البدو بين مكناس وأم الربيع ثم أتى بهم الزناتة أي زنالة . وأقدم القبائل الغربية التي سكنت هذا الإقليم هي قبيلة جشم (بنو جابر ووزارة) ثم جاء بهم الخبط . وكان بنو سعد هم الذين استقموا قبائل من قوم مقل .

ويظهر أنه كان يعيش في تادلا منذ عهد بعيد أناس يختلفون عظمهم من النصرانية واليهودية . ويزعم صاحب كتاب روض القرطاس أن إدريس الثاني عندما غزا هذه المدينة عام ١٧٧ (٧٨٩ م) وجد بها مسلمين قلائل وعدداً كثيراً من النصراني واليهود .

التصور تادلا في عهد أبيه . وفي منتصف هذا القرن أزاحت تادلا عن كاهلها سلطان السعدين وأضحت جزءاً من إمارته زناكة ، وهم من زاوية دلاء ، وقد تمكن محمد بن الحاج ، وهو واحد منهم ، أن يهزم السلطان محمد الشيخ السعدي عند غناضة أبي عقبة عام ١٠٥٠هـ (١٦٦٨-١٦٦٩) ،

وفي عام ١٠٨٤هـ (١٦٧٣-١٦٧٤م) هزم السلطان إسماعيل العلوي ابن أخيه أحمد بن بن حمز عند أبي عقبة ، وكان قد انتقض عليه .

وفي عام ١٠٨٨هـ (١٦٧٧-١٦٧٨م) واجه مولاي إسماعيل فتنة خطيرة قام بها زناكة تادلا بتحريض أحمد بن عبد الله الدلائي . وفي عام ١٠٩٩هـ (١٦٧٧-١٦٧٨م) اضطر إلى إنفاذ حملة أخرى انتهت ببناء قصبة في كل من أدخسان بالقرب من خنيفرة وتادلا ودلاء : وقسمت ولايات مراكش عام ١١١١هـ (١٦٩٩-١٧٠٠م) فكانت تادلا من نصيب مولاي أحمد بن مولاي إسماعيل ، وقد أقام مولاي أحمد في القصبة التي بناها أبوه وتعرف بقصبة تادلا على نهر أم الربيع .

وفي عام ١١٤٢هـ (١٧٢٩-١٧٣٠م) اضطر السلطان مولاي عبد الله إلى امتشاق الحسام ثانية في تادلا فقاتل آيت يحمور وهزمهم هزيمة منكرة . وفي عام ١١٧٩هـ (١٧٦٥-١٧٦٦م) لم يجد السلطان محمد بن عبد الله بدءاً من إبعادهم مدة من الزمن إلى جبل سيلطاط بالقرب من قاس : وأسكن مكانهم بصفة مؤقتة كطاية وسمكت وميجناط الدين أرسلوا فيما بعد إلى الغرب . وفي عام ١١٩٩هـ (١٧٨٤-١٧٨٥م) اضطر السلطان نفسه إلى

السلطان عبد المؤمن الموحدي على تادلا وأصبح الإقليم الذي في وسط المسافة بين قاس ومراكش على الطريق المباشر الذي يصل بينهما مسرحاً لقتال الأسر المتنافسة . وتاريخ هذا الإقليم عبارة عن ذلك النضال والفن المستمرة التي كانت تقوم بها القبائل العربية والبربرية التي تعيش فيه .

وفي عام ١٦٦٠هـ (١٢٦١-١٢٦٢م) أقبل الزعيم المريني يعقوب بن عبد الحق لغزو مراكش ، فأفند السلطان المرتضى الموحدي ابن عمه أبا ديتوس لقتاله : وانهزمت الجيوش المرينية المجتمعة على أم الربيع في مكان يعرف بأفم الرجولين ، ولعلها الآن تلك الغناضة الصغيرة المعروفة بأفم الرجيلات .

وفي عام ١٦٦٦هـ (١٢٦٧-١٢٦٨م) غزا السلطان يعقوب المريني تادلا وعاث فيها فساداً . وأثار على الخلط وهم قبيلة عربية من جشم كانت حليفة للموحدين ، فأنبرى هؤلاء للأخذ بناصريهم غير أنهم هزموا لأن حلفاء العرب بنى جابريغتلوا عنهم خلال الوقعة : وفي عام ١٧٦١هـ (١٣٥٩-١٣٦٠م) انتفض الوزير الحسن بن عمر ولى مراكش من قبل السلطان سالم إبراهيم المريني على هؤلاء ، والتجأ إلى تادلا فأحسن بنو جابري استقباله . ثم إن جيش المرينيين شهد التكبير عليه فاضطر إلى الحرب إلى زناكة الجبال ، وهؤلاء سلموه آخر الأمر إلى مطاردية : وقد تلت تادلا أن تشهد القتال لثاني مرة عند مقدم السعديين ، إذ حاققت بالمرينيين هزيمة منكرة في الوقعة الفاصلة التي حدثت عند غناضة أبي عقبة بوادي العيد في صفر من عام ٩٤٣ (يولية ١٥٣٦م) . وفي القرن السابع عشر حكم زينب بن السلطان

شفر Schefer ١٦٥ ، ص ٢٨٩ - ٣١٠ (٧)
Bull. Soc. Géogr. في *Tadla* : Cap. Peyronnet
Alger ، سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ (٣) J. Gauthier
Revue du Monde في *Noticia sur Bon Djad*
Musulman ، سنة ١٩١٣ ، ج ٢٤ ، ص ٢٧٧ -
 ٢٨٩ (٤) E. F. Gantier *Médinat-Ou-d-Dai*
 في *Hesperis* ، ج ٦ ، سنة ١٩٢٦ ، ص ٢٥٥ -
 [كولان G.S. Colin]

« تارم » : إقليم على نهر قزل أوزن (انظر مادة
 « مفيد رود ») .

الاسم :

يطلق العرب على هذا الإقليم اسم تارم أو طرم
 (كما جاء في شعر المتنبي) أو طرم بتخفيف الطاء
 المكسورة (انظر المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٦ ،
 ص ٤٠٤ ، ٤٠٨) وذكره باقوت في مناسبتين في
 مادتي طرم وتارم . ولورد المستوفي الاسم العربي
 المتنبي « طارميتين » والنطق الفارسي الحديث لهذه
 الكلمة هو « تارم » . ولقطة تارم تطلق اليوم على
 الإقليم ، ولكن هناك أيضاً مدينة صغيرة تسمى
 تارم على الضفة اليمنى لنهر قزل أوزن بين ونيسرا
 وككج ، كما توجد قرية أخرى اسمها تارم أصغر
 من المدينة السابقة عن يمين الطريق الرئيسي من أوردليل
 إلى ميانة خارج إقليم تارم .

هذا ولم يتم حتى اليوم كشف إقليم تارم ، شأنه
 في ذلك شأن إقليم خنكسكال المجهول له .

تخريب زاوية بوجد ، وحبس رئيسها محمد العربي
 الشرقاوي . وأخذ السلطان مولاي سليمان عام
 ١٢٢٢هـ (١٨٠٧ - ١٨٠٨م) حملة على بني سوس
 وآيت عتاب ورفائقة لتأديبهم . وفي عام ١٢٢٤هـ
 (١٨٠٩ - ١٨١٠) أفلت حملة أخرى على تادلا
 (آيت سري) وثالثة على حرب أودية . والسلطان
 مولاي سليمان هذا هو الذي بنى مسجد بوجد
 والجسر الذي على نهر أم الربيع .

وفي عام ١٢٦٩هـ (١٨٥٢ - ١٨٥٣م) اقتصر
 السلطان عبد الرحمن بن هشام من بني موسى لقبتهم
 واليهم أحمد بن زيدوح . وفي عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢ -
 ١٨٧٣م) أخذ السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن
 حملة على قبائل تادلا وبني موسى العربية ، وهم
 الساعلة وبني زمور وبني عمير ، لانتقامهم على
 واليهم .

ولم يجد السلطان مولاي الحسن مناصاً من الإغارة
 على بني عمير وبني موسى كي يستتب الأمن في
 البلاد ، واقتصر في العام التالي من آيت عتاب . وتوفي
 هذا السلطان في تادلا على نهر أم الربيع عام ١٣١١هـ
 (يونية ١٨٩٤م) .

وأعظم مركز ديني في الإقليم هو زاوية بوجد
 التي شيدها محمد الشرقي بن بني زمور في القرن
 السادس عشر . وأحفاده هم مربي الشراوة
 (انظر هذه المادة) .

المصادر :

(١) الحسن بن محمد الوزان الزباني =

Description de l'Afrique : Leo Africanus طبعه

رود الكبير الذى ينبع من طلكمان وينصب في قول أوزن من ضفته اليمنى غربى منجبل . ويقع وادى نهر قول أوزن أسفل هذا الممر حتى يبلغ ستين ميلا حيث يقوم عدد من القرى على ضفتيه ، وتضيق الصخور بالقرب من دربند من مجرى مياه النهر ، ولكن الوادى يأخذ في الاتساع ثانية إلى ما قبل منجبل ، واتساع الوادى في هذا الموضع بين ١٢ و ١٣ ميلا .

ويبدأ إقليم تارم الأصيل عندما يترك قول أوزن مجراه الضيق الذى يقسمه عند دربند إلى قسمين : قسم علوى وآخر سفلى . والكلام مفصل عن نواحي تارم في كتاب « نزهة القلوب » (١٣٤٠) ولكن أسماء القرى قد أصابها التحريف في المخطوطات المختلفة .

(١) ويشمل القسم العلوى التواحي التالية :

١ - دزآباد سفلى وبها خمس وعشرون قرية ، وهى تقوم على جانبي قول أوزن عند مدخل الممر وتصلحها القرى المعروفة باسم تسهيل وكول چين وكلاستر ولعلها كلها . ومن الملاحظ أيضاً أن القسم العلوى من هذه الناحية « دزآباد عليا » انظر نزهة القلوب ، ص ٦٦) يقع عادة مدينة كاغذكتان وهى غونج القديمة ، ولم يعين بعد على وجه التحقيق مكان هذه المدينة .

٢ - ناحية « تارم عليا » تقع على وجه التحديد على ضفتى نهر قول أوزن وبها مائة قرية ، ويعين موقع هذه الناحية قرى قلات التى لا تزال باقية حتى اليوم . (انظر ياقوت مادة « قلاطه ») وهى على الضفة اليمنى لنهر قول أوزن وإلى يمين

ويصل نهر قول أوزن إلى أقصى حدوده الشمالية بالقرب من جسر پردليس أسفل مدينة ميانة . (انظر هذه المادة) ويتجه من تلك النقطة حتى يلتقى بنهر شاه رود الكبير . (انظر هذه المادة) وهى مسافة تقرب من مائة ميل ، من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، ويقع إقليم تارم بوجه التحريف في القسم الأوسط من هذا النهر .

وتصل جبال جبله خانه وغيرها في الجنوب إقليم تارم عن زنجان (انظر هذه المادة) ويحد تارم من ناحية الشرق قضاء نهر شاه رود الكبير بنهر قول أوزن فوق جسر منجبل . وتصل جبال جيلان حوض نهر قول أوزن عن حوض نهر مسولا (جيلان) من ناحية الشمال الشرقى ، ويتصل إقليم تارم بإقليم خلخال من ناحية الشمال والشرق .

ويتأخذ هذا الإقليم من ناحية الجنوب الشرقى الأقاليم التابعة لزنجان وخاصة ولاية كاغذكتان القديمة .

ويشق نهر قول أوزن لنفسه عند ثقبته الشمالية طريقاً خلال جمر ضيق وعرة لا يمكن سلوكه يتراوح عمقه بين ٢٠٠ و ٧٠٠ قدم ، وتقوم القرى وتمتد الأراضي الزراعية في إقليم خلخال على المضارب المرتفعة التى على جوانب هذا الممر ، ويتراوح ارتفاع هذه المضارب بين ٢٠٠ و ٦٠٠ قدم . ويمتد بطول الوادى مسيرة ستين ميلا حتى يصل إلى مباتسرا حيث يلتقى نهر قول أوزن في ضفته اليسرى عياه نهر شاه رود الصغير . وهذا النهر هو غير نهر شاه

الطريق من زنجيان مارا بأخ كندك وقرى دَرَام على الضفة اليسرى .

٣ - وناحية نسيار؟ يريدون (؟) ولم يتضح لنا موقع هذه الناحية الأهم إلا إذا كان اللفظ الأول من اسمها يفتق والاسم يسار؟ وهى المنطقة التى على الضفة اليسرى من نهر قزل أوزن كما جاء فى المصور الجغرافى الروسى ، وهى بالقرب من أوير التى ذكرها رولتسون Rawlston ، وقد ذكر هذا أنه تارم العليا-مولعها تارم خلخال؟ - عبارة عن مساحة ضيقة من الأرض بمحاذاة الضفة اليمنى من النهر ، بينما تسمى الضفة اليسرى بشت كوه (أى الجبل الخلقى ولربما تشير إلى جيلان ١) ، ونستدل من كتاب « نزهة القلوب » وما ذكره فورتسكين Fortescue أن إقليم تارم كان يضم بعض القرى على ضفتى نهر قزل أوزن ، ويجد من جهة أخرى أن تلك المساحة الضيقة من الأرض التى على الضفة اليمنى من النهر ليست من الضيق بالقدر الذى سبق يانه ، وتتخلو من الجبال عدة مجار مائية شديدة الانسحاق .

فصل إقليم تارم من زنجيان ، وهذه المجارى تنساب إلى قنوات الرى قبل وصولها إلى نهر قزل أوزن .

(ب) أما نواحى الإقليم السفلى فهى : ٤ - النواحى التى تشرف عليها قلعة شميران وبها حصون قرية ، وهى على ضفتى نهر قزل أوزن ، ولا تزال قرية كنج على الضفة اليمنى للنهر وهى التى ورد ذكرها فى كتاب « نزهة القلوب » ، ولابد أن تكون قرية ألون هى التى كُشِىَ إلى نهر صغير

من نهيرات الضفة اليمنى لنهر قزل أوزن (انظر كتاب مرآة البلدان والمصور الروسى) * - ناحية قلعة فردوس وبها عشرون قرية ، ويعين موقعها قرية سَرْدَان التى على نهر صغير فى الضفة اليمنى فوق ألتن كُشِىَ : ووردت قلعة أخرى فى كتاب نزهة القلوب (ص ٢١٧) تضيف ناحية سادسة إلى نواحى إقليم تارم هى بَرَه التى يلتقى عندها نهر شاه رود الكبير بنهر قزل أوزن ، ويستدل أيضاً من قلعة وردت فى كتاب « عالم آراء » (ص ٣٣٥) على أن منجیل وختر زویل التى إلى الشرق من شاه رود كانتا تابعتين لإقليم تارم : وتبلغ اليوم مدينة منجیل الهامة إقليم جيلان ، وربما كانت هذه المدينة هى التى عرفت قديماً باسم هَرَكَام (انظر ياقوت ، ج ٤ ، ص ٩٦٣) وهى تسطر على مدخل جيلان بإشرافها على وادى سفيد رود (انظر Rabino ، *Roue du Monde Musulman* ، ج ٣٢ ، ص ٢٥٩) ، كما يستدل مما ورد فى كتاب نزهة القلوب (ص ٦٧) على أن دخل النواحى ٧ - تبرك (؟) مَرَجَمَتَان (؟) وأندجان (انظر ياقوت مادة « أندجان ») كان يقسم بين إقليمى تارم وقزوین ، ولابد أن تكون هذه النواحى عند منبع نهر يوزباشى چای (خائق ملاعلى) الذى يصب فى نهر شاه رود من ناحية ضفته اليسرى : ويجد فى المصور الجغرافى الروسى قرى مَرَجَمَتَان وأنداه فى هذا الموضع .

خلخال : لا تعرف إلا القليل من حدود تارم من ناحية إقليم تارم خلخال ، وكان إقليم تارم داخلًا بوجه عام ضمن نواحى « العراق العجمى » (انظر Schwarz ، ص ٧٤٦ ، نزهة القلوب ص ٩٥ وما

أحد أفرع هذا النهر من الشمال أى من مر قزل
 بوقرش على الطريق بين أردبيل وهرديس ثم
 يسير إلى مابعد قرية سنججوه (انظر ياقوت ،
 ج ٣ ، ص ١٦٠ : سنججيك أو سنجاباذ ، نزهة
 القلوب ، طبعة Le Strange ص ١٨٠ ، ٢٢٣ :
 سنجيه ... إلخ ؛ Olearius [١٦٦٣] ، ص
 ٤٧٢ : سنجوا Sengon) ، أما النهر الآخر فينبع
 من الشمال الشرقى ، أى من المنحدرات الغربية
 لجبال تالش بالقرب من مدينة هرو Herow عاصمة
 خلخال الحالية وهى أصغر من مدينة هير آباد . وصلى
 هذا النهر باسم مدينة كوتى (انظر نزهة القلوب ،
 طبعة Le Strange ، ص ٢٢٣ وقد ورد به لفظ ككيو
 ولفظ ككيو ، ولكن ورد لفظ كوتى في صفحة
 ٨٤ من هذا الكتاب) ، ويلتقى هذان النهران
 بالقرب من قرية قيق ، ونصب أنصرا في نهر
 قزل أوزن من ناحية ضفته اليسرى نهر آخر يجرى
 من مدينة خلخال القديمة ، وتوجد حلة قرى الآن
 في وادى هذا النهر تسمى كل منها باسم خلخال ،
 وهذا النهر يلتقى بنزل أوزن أسفل جسر يردليس
 بقليل (انظر نزهة القلوب ، ص ٨١ إذ ورد به
 لفظ يردليز) ، أما في صفحة ١٨٠ فقد ورد بها
 لفظ يرولاز) ، وينحى نهر كوتى انحناء شديدة
 من الشرق إلى الغرب ، ويوجد إلى الجنوب من
 مدينة هرو جبل أخداغ الذى تفصل صغوره بين
 وادى كوتى ووادى تارم ، وينبع نهر شاه رود
 الصغير من السفح الجنوبي لجبل سجره أوبير تدق إلى
 الجنوب من مدينة هرو مباشرة (انظر نزهة القلوب ،

بعدها) : أما إقليم خلخال فكان جزءاً من آذربيجان
 أو على وجه الدقة جزءاً من «تومان» أوردبيل (انظر
 نزهة القلوب ، ص ٨١) . ولم يرد اسم خلخال قبل
 عهد ياقوت (المعجم ، ج ٢ ، ص ٤٥٩) .

ولابد أن يكون اسم خلخال آذربيجان له صلة
 باسم مدينة خلخال القديمة من أعمال إقليم أوفى uti
 فيما وراء القوقاز (انظر مادة «شيكى») . وقد قال
 عنها كتاب الروم والأرمن فيما بين القرنين الثانى والخامس
 إنها مشق ملوك أرمينية ثم مشق ملوك ألبانيا
 (أوزان) من بعدهم (انظر Krusshahr : Marquat :
 ص ١٩٦) ، ومن المحتمل أن يكون الإقليم كله الذى
 بين أردبيل ونهر قزل أوزن قد عرف في العصور
 الأولى من العهد الإسلامى باسم البسر ، ولا يعرف
 التعلق المحقق لهذا الاسم (انظر Noeldke : Geschichte :
 ص ٤٨١) . وكثيراً ما كان يستعمل هذا الاسم
 القديم جنباً إلى جنب مع كلمة طيلسان وهى حين
 كلمة تالش (انظر البلاغرى ، ص ٣١٨ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٧ ، ابن خردادبه ، ص ٥٧ ، ١١٩ ، قدامة
 ص ٢٤٥ ، ٢٦١ ، الدينورى ، ص ١٩٧ ،
 المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٨٧)
 ونهر قزل أوزن عقبة كأداء في سبيل المواصلات ،
 ولذلك فهو أحد إدارى ملائم بين آذربيجان والعراق
 العجمى . ولشقت خلخال اسمه من المدينة التى تسمى
 بهذا الاسم والى أصبحت العاصمة بعد أن اندثرت
 القصبة القديمة فيروزان ومكانها اليوم مدينة قتيخ ،
 ويتفق مكان خلخال مع وادى النهر الذى يصب
 في نهر قزل أوزن من ناحية ضفته اليسرى ، وينبع

هناك - وكانت حضاب خلخال المرتفعة لا تزال في بداية القرن التاسع بمثابة المغزن الذى كان يأخذ منه عباس ميرزا ما يحتاجه من الغلال .

وقد شاهد رولنسون Rawlinson في تارم كثيراً من الحدايق ، ولكن هذا الإقليم كان فقيراً عند مازاره فورتسكيو Fortescue عام ١٩٢١ . وجاء في كتاب «مرآة البلدان» أنه يوجد في تارم مناجم للرصاص والنحاس والزاج .

المدن والقرى :

ورد في كتاب تركة القلوب (ص ٦٥) أن عاصمة تارم كانت أول الأمر مدينة فيروزآباد في القسم السفلى ، وهى خير فيروزآباد في إقليم خلخال ، ثم حلت محلها مدينة أُنْدَر في القسم العلوى وذلك في العهد المغولى ، ويذكر رولنسون أن عاصمة تارم هى مدينة ونسارد Wenisard التى على الضفة اليمنى من نهر قزل أوزن ، وقد وردت هذه المدينة في المصور الجغرافى الروسى باسم فينسارا Venisara بينما يلحظ فورتسكيو إلى أن العاصمة هى مدينة بَسْرَى التى على الضفة اليسرى من هذا النهر ، ويظهر أن السواصم الجديلة لهذا الإقليم كانت تتجه ناحية الطريق بين أُرديبل وهر ووزنجان .

وكان قلعة سَمِيران (شيران) شأن أى شأن ، وقد زارها كل من مسمر بن الملهل وناصر جيسرو وياقوت ، ولم يكشف بعد عن مكان هذه القلعة ، ولكن ماكتبه ناصر خسرو في رحلته يسمع لنا بأن نعين موقعها على وجه التحقيق : إن المباني

ص ٢٢٢ ، وقد ورد بها : شال رود المشرق اسمه من اسم مدينة شال التى لا تزال باقية) وهذا النهر يصب في قزل أوزن من ناحية ضفته اليسرى بالقرب من میان سرا وهى البقعة التى يترك فيها نهر قزل أوزن واديه الضيق ، ويذكر صاحب كتاب تركة القلوب (ص ٨٢) وادى نهر شاه رود الصنبر وقراء الثلاثين بن نولسى أُرديبل ، ويذكر كذلك قسماً كبيراً من داروزين به مائة قرية لم يتحقق موضعه بعد ، ومهما يكن من الأمر فإن أقاليم خلخال ودارمرزين وشاه رود لا تترك لنولسى تارم إلا مساحة صغيرة على الضفة اليسرى لنهر قزل أوزن .

المواصلات والمصولات : يصل الطريق الرئيسى

بين أُرديبل ووزنجان إلى غرب تارم عن طريق خلخال ، وهذا الطريق يمر بجسر يردليز القديم عند متصفت وادى نهر قزل أوزن الضيق ، وتسير القوافل في طريق أقصر إلى تارم حابرة نهر قزل أوزن في قوارب تسمى «كلك» ، وهذا الطريق يمر بأُرديبل وهر و بَرَنْدَق وقلاط وأُغ كَنوك ووزنجان ، والتجارة بين أُرديبل ووزنجان غير مهمة ، وقد أثبت إبان الحكم الهولوى مسألة ربط مدينة فومين من أعمال جيلان بوزنجان بطريق يمر بتارم .

ويقول ياقوت في معجمه إن بلاد تارم جبلية ولكنها مشبهة : كما يذكر أن إقليم تارم قد اشتهر بزراعة القطن ، ولابد أن القطن الذى كانت تصنعه المصانع في كاغذكُنان (أى المكان الذى يصنع فيه الورق) كان يجلب من ولاية دزآباد . وصناعة القطن لم تكن توجد فولا وجود القطن

العالم ؟ ، وكان هذا المؤلف لا يزال يطلق على كل ذلك الإقليم في القرن الحادي عشر (٢) اسم قادوسستان (٣) . ولقد كان لإقليم تارم خلخال البعيد للوحش وعاصمته هيران شان تاريخي في عهد الأسرة السافرية (انظر هذه المادة) ، إذ دانت له آذربيجان وأركان وجيلان والبلاد الأخرى حتى كاي Kaly . وكان سلاز بن أسوار سيد هيران في عام ٨٣١٦ م (٩٢٨ م) ، انظر ابن الأثير ج ٨ ، ص ١٤٢) : ويذكر مسعر بن مهلهل المتوفى سنة ٣٣٠ - كما جاء في رواية ياقوت - أنه كان سميران ٢٨٥٠ بناء ما بين كبير وصغير : ويستدل بالخطاب العام الذي كتبه صاحب بن عباد التلقاني الوزير البوسني ، وهو الخطاب الذي ذكره ياقوت في مجمله ، (انظر مادة سميران) ، أن إقليم تارم كان في أول عهده تابعاً لقزوين ثم فصله عنه محمد بن مسافر لما رآه من مناعة القلعة التي به : ويعظم صاحب من شأن هذه القلعة بسبب مناعتها وهو يسميها «أخت قلعة أَلْمُوت» (انظر المقدسي ، ص ٣٦٠) وهو يصف نقوش قلعة سميروم (كلدا!) بأنها على شكل سباع من الذهب وعلى شكل الشمس والقمر ، واستولى البويهيون في عام ٣٧٩ على قلعة هيران بطريق التحالف الذي أسسه للصامرية .

وبعد وفاة فخر الدولة استولى إبراهيم على زنجان وأبهر وسرجهان ، وهو إقليم إلى الشمال من أبهر وبالقرن من «صان قلعة» التي كانت تعرف قديماً باسم قهود كما استولى على شهرزور . ولنا تعرف القرامقاص لصحبة لهذا الاسم ، ولكن

الآتي من قزوين يصل إلى خَرْزَوِيل أسفل منجیل ومن هناك يصل إلى بَرْزَجِير ؟ وهي ناحية من نواحي تارم ، وذلك بعد مسيرة ثلاثة فراسخ ، ثم يصل بعد ذلك إلى قرية خَشْدَان على نهر شاه رود بالقرب من مصبه : وكان أمير تارم يأخذ من المسافرين عند خشدان ضريبة عبور (باج) ويقدر ناصر خسرو المسافة من خشدان إلى هيران بثلاثة فراسخ . والواقع أن المسافة بين خَرْزَوِيل وشاه رود في خط مستقيم لا تزيد على خمسة أميال ، ومسافة ثلاثة فراسخ تعدل في الإقليم المتسع الذي إلى الغرب مسافة أطول من ذلك إذا قيست بالأميال . ويقول ياقوت إن سميران على نهر عظيم : وهذه التفاصيل كلها تسمح لنا بأن نعين موضع قلعة هيران بالقرب من دربند .

وذكر رولنسون أنه يوجد في تلك الجهة أطلال حصن كبير منيع على مسيرة ثلاثة أميال جنوب كيلوان ، وبين المصور الجغرافي الروسي أطلال قلعة على الصخور التي على الضفة اليسرى لنهر قزل أوزن وهي على بعد خمسة أميال أعلى مصب نهر شاه رود : وتعود أهمية قلعة هيران من الوجهة الحربية إلى أنها تشرف على مدخل إقليم تارم عند أميق مواضعه بواسطة وادي نهر قزل ، بينما يشرف حصن قلات على مدخل تارم من ناحية زنجان ،

تاريخه :

لا تعرف من هم سكان إقليم تارم الأولين ، ولكن رولنسون يذكر أن هذا الجزء من قزل أوزن كان يسكنه شعب كَدَّ Caddas القديم معتمداً في ذلك على ما ذكره الجياني في كتابه «أشكال

التاريخ على ميرزا علي ولكن دون جلوي : ويمكن دده بك قائد الآق قويونلي (٨٩٧ - ٩٠٢) بجيش عدته عشرة آلاف مقاتل من استعادة قلعة تارم في عهد رسم بك ، ولكن أفلح ميرزا علي قائد كاركيا في تخليص تارم من الحكم التركي (انظر مرآة البلدان ، ص ٢٣٦) في أثناء القتال بين ألوند الآق قويونلي والمحمدي (٩٠٥ - ٩٠٦)

وكانت تارم في عهد إسماعيل الأول على أصلح الطرق بين بلاد كاركيا- حيث كان يختبئ الحاكم الشاب- وبين أردبيل موطن آبائه. وقد سلك إسماعيل في غزواته الشهيرة سنة ٩٠٥ الطريق الذي يمر بكل من تارم وبرتلق ونساز وكوتو وحفظ آباد وأبرق وأردبيل (انظر *The Early Years of Shah Ismail*) في المجلة الآسيوية الملكية، سنة ١٨٩٥، ص ٣٣٢) وورد ذكر تارم عدة مرات في كتاب «تاريخ عالم آراء» على أنها المكان الذي أمضى فيه الصفويون شتاء عام ٩٢١ وخرجوا إليه للصيد في عاى ١٠٠٢ و ١٠٠٣ ومنه أرسلوا حملاتهم على جيلان .

وقد امتصت العناصر التركية بالتدريج العناصر الإيرانية (الدبلي والجيلاني) .

وابتقر الكرد العمرو في عهد نادر في منجبل ويشت كوه من أعمال تارم . وكان هؤلاء الكرد- كما يقول رولسون- من قبيلة لولو ، ولا تزال بقايا هذه القبيلة في الشام العليا (له كولكوش Qoqush) وأوبالقرب من نطهران [بروكش Brughach] وغيرها ، ولكن هؤلاء الكرد كانوا في عهده قد اصطبغوا بالصيغة التركية . ويميز راينو Rabino مع ذلك (انظر *Revue du Monde Musulman* ، ٣٢، ص ٣٢٢)

لا بد أن يكون هذا المكان هو عين شَرُزُورْد أو شروزر الذي ورد ذكره في كتاب تركة القلوب (ص ٦٥) بين نواحى تارم السفلى : ولم تذكر شميران صراحة بين هذه النواحى، ولكن ناصر خسرو وجد في شميران (شميران) سنة ٤٣٨هـ (١٠٤٦م) أميراً مسافراً وحامياً من ألف رجل : ويقول هذا الرحالة إن قلعة شميران على صخرة تشرف على القنطرة وكان يحيط بها ثلاثة أسوار ، كما كان بها نفق (كاريز) واصل إلى التهر تسير فيه المياه إلى القلعة . وذكر باقوت أن الإسماعيلية خربوا هذه القلعة في ظروف لا تزال مجهلة ، وكانت قلاط في زمن باقوت في حوزة صاحب السُّمُوت :

وأصبح لإقليم تارم شأن في عهد المغول، وخاصة عندما نقلت العاصمة إلى سلطانية (انظر هذه المادة) ووبرود صاحب كتاب تركة القلوب (٨٧٤٠ - ١٣٤٠م) شاعداً لما كان عليه علم الناس في ذلك الوقت بهذا الإقليم ، وكان يحكم تارم في عهد ألبانتر أمير بدعى شحنه كراى (٢) وذكر أن هذا الأمير أنفذ حملة على جيلان عام ٨٧٠٠ (١٣٠٧ م) انظر *Auszugs : Dorn* (ص ١٣٩) .

وقد كان لحانات خلخال (انظر مادة تبريز حوادث سنة ٨٧٨٧ = ١٣٨٥ م) وتارم (الشيخ زاهد التاريخ : انظر *Auszugs : Dorn* ص ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٣٨٢) - شأن عظيم في عهدى تيمور : ولا بد أنه قد أعيد بناء شميران لأن مؤرخى جيلان يذكرون كيف استولى الآق قويونلي (سنة ٨٩٦) وكاركيا ميرزا على القلعة بخدعة خفية : وذلك بعد وفاة يقوب . وقد ثار من بعد مير زين العابدين

١٧٩٤ هـ ، ج ١ ، ص ٣٣٤ - ٣٣٧ (٤) Olearius :

Moscomitische und persan. Reisebeschreibungen

شلزويك ١٦٦٣ ، الفصل ٢٨ ، ص ٤٧١ - ٤٧٥ بزن

— سنكوا [= منجوا] پردليز (٥) Morier :

A Second Journey لندن سنة ١٨١٨ ، ص ٢٥٦ -

٢٥٨ : أردبيل - هرو - يرس - عمو - أقي -

كند - زنجان (٦) Jaubert : *Voyage en Arménie*

باريس سنة ١٨٢١ ، ص ١٩٥ : أردبيل - هرو

« غنجيا ؟ » - خلخال - زنجان (٧) Montelith :

Journal of a Tour through Azerbaijan مجلة

الجمعية الجغرافية الملكية ، سنة ١٨٨٣ ، ج ٣ ،

ص ١٠ - ١٢ : ميانة - منجيل على الضفة

اليسرى لهر قول أوزن . وبهذا البحث بعض

الليس (٨) Rawlinson : *Notes on a Journey from*

Tabriz مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ، سنة ١٨٤٠ ،

ج ١٠ : زنجان - أقي داغ - قشلق - درام -

كو كند - أوبر - دروند - منجيل (٩) Sarre :

Reise v. Ardabil nach Zendschan. Pet. Adlig.

سنة ١٨٩٩ ، ج ٤٥ ، ص ٢١٥ - ٢١٧ : كرم -

منجوا - چاي - فوجي - أفقر - پردليز (١٠)

Etudes géographiques : de Morgan ، ج ١ ،

سنة ١٨٩٤ ، لوحة رقم ١٩٤ ، ج ٦١ ، ص ٥٧

وفيه نقرأ كلمة *Pont de Lois* پردليز (١١)

The Lands of the East. Caliphate : Le Strange

ص ١٧٠ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وبهذا الكتاب عدة أخطاء (١٢)

The Western Elburz and Persien : Fortescue

مجلة الجمعية الجغرافية الملكية أبريل سنة

١٩٢٤ ، ص ٣٠١ - ٣١٨ ، منجيل - بزي -

٢٦١) بن الكر دارشوله السلطنة التي أتوهم حباس

الأول بالقرب من منجيل وبين الترك العمرو

الذين وفدوا في عهد نادر . ومهما يكن من الأمر

فإن سكان تارم اليوم هم من الترك . ويقول فر تسكيو

— تتلاعن كلوان — إن الفلاحين لا يفهمون اللغة الفارسية .

ونجد كذلك أن أسماء الأماكن والبقاع في ذلك

الإقليم قد غلبت عليها الصبغة التركية فحجبت

بالتدريج الأسماء الإيرانية القديمة مثل پردليز [مأخوذة

من برد ومعناها جسر] نمل ، نياب ، كلجين

وغربها . ولم تم إلى اليوم دراسة الأسماء الإيرانية

القديمة لأسماء الأماكن والبقاع في آذربيجان ، ولكن

من الواضح أن اللهجات المحلية هي من مجموعة

اللهجات المعروفة باسم « الشمالية الغربية » (انظر

مادة تات)

وجاء في كتاب مرآة البلدان (ص ٣٣٥)

أن القاجار جعلوا من تارم إقليماً منفصلاً أو أعطوه

محمد خان دولو وولده الله يارخان أصبف الدولة

وغيرهما .

وأرسلت حملة تأديبية إلى خلخال بعد أن اعتلى

العرش رضا شاه وشقت هذه الحملة كثيراً من

الحانات المحليين مثل رشيد الممالك وغيره ،

المصادر :

انظر ماتفى سفيد رود وشاه رود ، ويجب

لتصحيح موضع ولاية برة في المادة الثانية :

(١) حمد الله مستوفى : تركة القلوب ، طبعة

Le Strange ، ص ١٨٠ ، ٨١ ، ٦٥ ، ٢٢٣ (٢) حاجي

خليفة : جهان نما ، ص ٢٩٧ (٣) محمد حسن

خان صنيع الدولة : مرآة البلدان ، طهران سنة

« تارودانت : قاعة [قلم السوس في جنوبي
مراكش على الجانب الأيمن من وادي السوس وعلى
مسيرة مائة ميل في الجنوب الغربي من مراكش
وهو ميلاً شرقاً كادير على المحيط الأطلسي. ويمكن
الوصول إلى هاتين المدينتين من تارودانت في طريق
ممهدة للمركبات. وهي بلدة صغيرة يبلغ أهلها نحو
٧,٠٠٠ نسمة، وفي مادة السوس الأقصى تفصيلات
أو في عن البلدة وتاريخها .

[ليبي پروفنسال E. Lévi-Provençal]

« تاريخ : أولاً بمعنى التاريخ العام أي
تسجيل أهم حوادث الأمم ، وبمعنى الخوليات أي
تدوين الحوادث عاماً عاماً ، وبمعنى الأخبار مرتبة
بحسب العصور .

وقد وردت كلمة التأريخ بهذه المعاني عنواناً
لمصنفات تاريخية مثل (تكملة تأريخ الطبري)
و« تأريخ بغداد » و« مكة » وغيرها ، و« تأريخ
الأندلس » . وأطلقت كلمة التأريخ أيضاً على طائفة
أخرى من مصنفات تبين في موضوعها المصنفات
الآتفة مثل « تأريخ الهند » التي ألّفها أبو الرّيحان
البيروني فزّنه إلى مصنف في البحوث العقلية أقرب
منه إلى مصنف في التأريخ . وكتاب تأريخ الحكماء
المعروف بـ « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » لابن
القَيْفِي فزّنه أشبه بمعجم يتضمن أخبار العلماء
للمتقدمين ومن حذا حلومهم من العرب الذين حافظوا
على التقاليد اليونانية في العلم مقرونة بسرد ما أقرته
فراغهم من المصنفات الكثيرة ، منه مصنف في
التأريخ .

ير نلق - نهل - قه نلق - يدلية - مائة (١٣)
Iran im Mittelalter : Schwarz سنة ١٩٢٦ ،
ص ٧٣٦ - ٧٣٩ ، وقد استغل في هذا الكتاب
المصادر العربية : وإذا أراد القارئ تفصيلات
أو في عن خلخال فليرجع إلى Adap of : Khanikov
Zeitschrift d. Allgem. Geographie in Azerbaijan
سنة ١٨٦٣ ، ج ١٤ .

٧ - تارم مدينة في فارس (ياقوت : طرم :
فارسانه ، طبعة Le Strange : تارم وهي في الشرق
الأقصى من الإقليم الذي في جانب كرمان ويظهر
أن هذه المدينة هي عين مدينة تارفا في بلاد يوتيا
[انظر بهستان ، ج ٣ ، ص ٧] : وتارم اليوم
ناحية من نواحى « بلوك سبعة » (انظر حسن نسائي :
فارس نامه تاهرى ، طهران ، سنة ١٣١٤ هـ ،
ص ٢١٧ - ٢١٨) وانظر :

(١) Voyage en Perse : Dupré ، ج ١ ، ص ٣٧٢ -
٣٧٦ (٢) Erskands : Ritter ، ج ٨ ، ص ٧٤٣ (٣)
صنيع النولة : مرآة البلدان ، ص ٣٣٨ (٤) Preoce :
Journey from Shiraz to Fashk Supp. Papert,
Proceed. R. Geogr. Soc. سنة ١٨٨٥ ، ج ١ ،
ج ٢ ، ص ٤٠٣ - ٤٣٧ (٥) The: Le Strange
Lands... ، ص ٢٩٧ - ٢٩٥ (٦) Iran : Schwarz
ج ٣ ، سنة ١٩١٠ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ (٧)
Altiran Woerterbuch : Bartholomae ،
سنة ١٨٥٤ ، ٩٠٨ ، ٨٨٨ .

[مينورسكي V. Minorovsky]

وكذا تأريخ مختصر الأول اعتمد عليه بطليموس
القائدى فى كتابه «المجسطى» كما اعتمد على
تصحيح الأدوار الزمنية لقائس^(١).

ومثله تأريخ « فيلقس أربيوس Phillip
Arrhidacus » أبى الإسكندر أخيه « ثاون الإسكندرى
Theon » فى قانونه ، وكذا تأريخ الإسكندر المبني
على الأشهر اليونانية ويعرف بتأريخ السلوقيين يبدأ
من دخول « سلوق نيقاطور Seleucus Nicator »
مدينة بابل بعد وفاة الإسكندر بالتى عشرة سنة ،
وقد أخذ به السريان واليهود ويعرف عندهم بتأريخ
العقود « Ere des contracts » كما أخذ به الروم
بفوارق طفيفة . ويعتقضى هذا التأريخ يكون مولد
عبد (صلى الله عليه وسلم) فى سنة ٨٨٧ للإسكندر .

وهناك أيضاً تأريخ يقصر أنطونيوس الذى
اعتمد عليه بطليموس القائدى فى تصحيحاته
لمواقع النجوم .

وكذا تأريخ دقلطيانوس المعروف بتأريخ
الشهداء ويتلئ بالسنه الأولى من حكمه الموافقة
لسنة ٥٩٦ من تأريخ الإسكندر ، وهذا التأريخ هو
الذى عليه التقبط إلى يومنا .

وقد أخذ القرس وأصحاب زرادشت بتأريخين
ليز دجر الثالث يبدأ أحدهما من يوم احتلاله عرش
الملك والثانى من يوم وفاته .

وفى عهد الحكم الإسلامى بفارس أدخل الخليفة
المعتضد على التقويم القارى تعديلًا رجح بيوم
النبروز ، الذى هو رأس السنة الفارسية ، إلى أوان

ثانياً : بمعنى تحديد بداية الأخبار الخاصة
ببصر من العصور ، وبمعنى حساب الأزمان
وحصرها ، وبمعنى تحديد زمن وقوع الحوادث
محددًا دقيقاً ،

وقد وقف المسلمون فضلاً عن تأريخ الهجرة
الذى هو خاص بهم (انظر مادة « الهجرة ») على
طائفة من تواريخ عصور أخرى كتأريخ العالم
الذى إنما هو حصر مشكوك فى صحته لسنه الفوارق
فيها يتعلق بتاريخ اليهود والنصارى والمجوس .
فالبروتى وأبو الفرج اللطى المسيحى العقيلة يتعيان
على اليهود ما أتوه من إقصاء عدد السنين عن المدة
التي انقضت منذ الخليقة على وجه جعل تأريخ
ميلاد المسيح غير متفق مع النبوءات الخاصة بظهوره .
ومما يعياه عليهم أيضاً أنهم أخذوا مولد شيث بن
آدم من مواعيد الصحيح بمائة سنة ، وجروا على
هذه الطريقة بالنسبة لغيره من الزعماء والشيخ الذين
تعاقبوا إلى عهد إبراهيم بحيث إذا حسب مدى
ما بين الخليقة إلى ظهور المسيح كان ٤,٢١٠ سنين
بدلاً من ٥,٥٨٦ سنة تقريباً وهى المدة التى نصر
عليها العهد القديم .

ويقول أبو الريحان البروتى أن اليهود كانوا
يرقبون ظهور المسيح فى أخريات سنة ١٣٣٥ من
تأريخ الإسكندر ، بينما المسيح قد ولد بحسبما أجمعت
الآراء عليه فى سنة ٣١١ من هذا التاريخ .

وتأريخ الطوفان من ناحيته مازال موضع
خلاف فى رأى بين اليهود والنصارى . وقد أخذ
به أبو مشر الفلكى فى قانونه .

وهي الطريقة التي ترى أحياناً في التصوص المتصلة بالأدب ، فإن المقصود منها إثبات التأريخ بواسطة الحروف التي تتألف منها الكلمات إذ تجمع دلالاتها الرقمية فتثبت ذلك التأريخ : وعلى هذا المنوال يكون حساب الجمل لعبارة « نجمة الخلق من الكثر بمحمد » هو ١٣٣٥ . وهذا المثل منقول عن البيروني »

المصادر :

(١) البيروني : الآثار الباقية ، طبعة و ترجمة Sachau ، لندن سنة ١٧٨٩ ، الفصل الثالث وغير ذلك من اللواضع (٢) أبو الفرج : تاريخ مختصر الدول ، طبعة صالحاني ، بيروت ١٨٩٠ م (٣) *Table de concordance des dates des* E. Lacoine
Calendriers arabe, copte, grégorien, israelite, etc.
باريس سنة ١٨٩١ »

[كرا ' ده لو B. Carra De Vaux]

تعلق على مادة « تاريخ »

(١) الدور الزمني لكاليس Calippe الفلكي الحاسب اليوناني هو التصحيح للدور الذي استنبطه ماطن Métôn الفلكي اليوناني. الأتيق المشهور في سنة ٤٣٢ قبل الميلاد ونسب إلى اسمه أو أضيفت إليه قليل الدور الماطني أو دور ماطن ، وكان هذا الدور يتألف من ٦٩٤٠ يوماً أي عدد أيام الدور القمري البالغ ١٩ سنة قمسية والتي في نهايته ترجع تواريخ ميلاد القمر إلى مثل مواقعها التاريخية من الأشهر - غير أنه ثبت فيما بعد أن ذلك العدد من الأيام التي يتألف منها الدور القمري عند ماطن

أكثر ملاحظة لمواسم الزراعة بعد أن تعلم هذا الأثران في مجرى الزمن على أثر الإضافات المتوالية لأيام السنة . »

وهناك إصلاح آخر قام بإدخاله على التقويم بنفسه السلطان ملك شاه السلجوقي وأضح التاريخ الجلال (٣) في غرة رجب عام ٧١٠ م :

وأدخل غازان محمود تاريخ الإيلخانية في أول رجب سنة ٧٠٩ .

وفي أول مارس سنة ١٦٧٦ (بحساب التقويم القديم) اعتمد الممانيون التقويم الشمسي القائم على التقويم الهوليوسي وأسموه « التقويم للمالي العالي » .

وإذا كانت السنة الهوليوسية تزيد على السنة القمرية بأحد عشر يوماً فقد ظلت لتواريخ التقويم مخالفة لتواريخ التقويم المجري .

وفي السنة الثلاثين من حكم السلطان أكبر وضع هذا السلطان التقويم الموصوف بالإلهي وهو يبدأ من يوم ٥ ربيع الثاني سنة ٩٦٣ (١٩ فبراير سنة ١٥٥٩) تأريخ جلوسه على العرش وسنواته قمسية .

وفي عصرنا الحاضر قدم الغازي أحمد مختار باشا تقويمياً آخر على جانب كبير من الضبط والدقة لأن الخطأ فيه (أي الفرق) لا يتجاوز ٢٨ . من اليوم لكل مائة قرن : وفي عام ١٩٢٦ م تزيد الأثران لكساليون التقويم القمري الإسلامي وأحلوا حله التقويم الأوربي .

ومعنى بنا ، ونحن بسبيل الكلام على التواريخ ، أن نشير هنا إلى طريقة الترميم المعروفة بحساب الجمل

بالزرياب (ماء النعب) في تقاويمهم ماثلة في نقت
الأنظار إليه .

ومع ما ظهر من فوائد الإصلاح القالبسى للنور
الماطنى على الوجه السابق فإن الضبط لم يكن ضبطاً
مطلقاً ، إذ ظهر عند تطبيقه أنه يودى إلى فرق
يوم كامل في كل ٣٥٣ سنة شمسية .

(٢) صح ما ذكره مؤلف المادة من أن مولد
النبي محمد عليه الصلاة والسلام كان في سنة ٨٨٢
من عهد ذى القرنين الموافقة سنة ٥٧١ من التاريخ
المسيحى وسنة ٢١٦ من التاريخ العربى (الجاهلى)
الذى أشهره هى أشهر التاريخ المجرى الحاضر
بأسمائها وترتيبها سنة ٤٠ من ملك كسرى أنوشروان،
كما توافق الأيام التى تلت قران السيارين زحل
والمشتري في برج العقرب وهو القران المعروف
بـ «قران ملة الإسلام» أو «قران الملة» فحسب ،
على ما ورد في كتاب «مثنى الإدراك في تقاسيم
الأفلاك» إذ قال : «ولد النبي صلى الله عليه وسلم
في السنة الأولى من القران الدال على ملة الإسلام»
وقد حدد يحيى بن محمد بن أبى شكر المغربى الأندلسى
على وجه الضرب موضع المولد الشريف من تلك
السنة فقال : إن سنة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم
اتفقت مع سنة ٨٨٢ للإسكندر وفيها كان قران بين
زحل والمشتري في برج العقرب -- قبل الولادة
بقليل » .

وقد ثبت بالحساب الفلكى الدقيق أن هذا القران
حدث سنة ٥٧١ م . كما جاء في كتاب «الكاظم في

يزيد بقلو تسع ساعات ونصف ساعة على المدى
الحقيقى للدور القمرى المؤلف من مدته ١٩ سنة
شمسية كما يزيد بقلو سبع ساعات ونصف ساعة
على مجموع المدد المتعاقبة بين كل ميلاد للقمر والميلاد
الذى يليه مكرراً ٢٣٥ مرة ، أى شهراً قمرياً ، فحدث
بعد ذلك بقرن من الزمان أن جاء فلكى يونانى آخر
وهو قالبس فاقترح إصلاح النور الماطنى بأن
ضاعف مدته أربع مرات إذ جعله ٧٦ سنة على
أن يحلف من آخر هذه المدة يوم واحد باعتبار
أحد الأشهر القمرية ذات الثلاثين يوماً شهراً قمرياً
فا ٢٩ يوماً ، وقد نسب هذا الدور إليه إذ سمي
بالدور القالبسى وهو -- كما يؤخذ مما تقدم -- ألف من
أربعة أدوار ماطنية في كل دور من الثلاثة الأولى
١٩٤٠ يوماً وفي الدور الرابع الأخير ٦٩٣٩ يوماً
وثلاثة أرباع اليوم : وعلى هذا التعديل أصفى
الفلكيون الحاسبون وعملوا به لأن الدور القمرى
الرابع المؤلف من ٦٩٣٩ وثلاثة أرباع اليوم جاء
منطبقاً تماماً للانطباق على أسلوب النسيء في
التقويم البوليسى . وغير عسير على المتأمل أن يلحظ
مزايا هذا التعديل الحسابى وفوائده الجماء إذ حسبه
أن يعرف تواريخ مولد القمر كل سنة من سنة هذا
الدور ليقف فوراً على هذه التواريخ بينها في أية
سنة كانت متى عرف مكانها من سلسلة سنوات
الدور : والعدد الذى عليه الاصطلاح للدلالة على
كل سنة من سنوات الدور القمرى يسمى بالعدد
الذهبي ، إما لأن اليونان كانوا ينقشونه بحروف
الذهب في جدران معابدهم وإما لأنه كان يكتب

في هذه الدار سنة ١٨٥٨ ميلادية تحت عنوان
*Mémoire Sur le calendrier arabe avant
 l'Islamisme et sur la naissance du Prophète
 Mohammed, par Mahmoud effendi, astro-
 nome égyptien.*

فتأدى به التحقيق الدقيق والتحصيص العميق إلى
 تحرير الحقيقة الآتية وهي : أن مولد النبي صلى الله
 عليه وسلم كان في ليلة الاثنين الموافق ٩ من ربيع
 الأول سنة ٢١٦ من تاريخ العرب : وقد ساق في
 ساق التلليل على صواب تحقيقه هذا اثني عشر
 وجهاً تاريخياً وفلكياً تخلص منها إلى أن التاريخ
 اختلف فيها لمولده عليه السلام وهي ٨ ، ١٠ ،
 ١٢ من ربيع الأول ليس منها ما يطابق وقوعه يوم
 الاثنين : وأن الاثنين إنما كان يوم ٩ ربيع الأول
 للموافق ٢٠ أبريل سنة ٥٧١ من الميلاد المسيحي .

(٣) هذا التاريخ وضعه عمر الخيام وعبد الرحمن
 الحارثي : وهو تاريخ شمسي بدأ بالعاشر من رمضان
 سنة ٤٧١ هجرية : وأسمى بالتاريخ الجلال نسبة
 إلى السلطان جلال الدين السلجوقي ، واتخذ له أسماء
 الأشهر القديمة مع التمييز بينها والجديدة قليل : شهر
 فروردين قديم وفروردين الجلال وشهر أردبشت
 القديم وأردبشت الجلال ، وجعل رأس السنة
 يوم نوروز السلطان الذي تحمل الشمس فيه برج
 الحمل واعتبرت كل سنة من ثلاث سنين متوالية
 ٣٦٥ يوماً والسنة الرابعة بعدها ٣٦٦ يوماً ، وبالنظر
 لاعتبار وقوع رأس السنة يوم الاعتدال الربيعي
 (يوم حلول الشمس في برج الحمل وهو في الآن

أمرار النجوم) وكتاب «القرانات» لأحمد بن
 عبد الجليل وكلاهما من مخطوطات دار الكتب
 الأهلية بباريس ، وهذا دليل على أنه صلوات الله
 عليه ولد في تلك السنة وفي فصل الربيع منها في
 الأيام أو الأسابيع القليلة التالية لشهر مارس في
 شهر نيسان (أفريل) .

ولكن في أي يوم من هذا الشهر كان مولده
 صلى الله عليه وسلم ، وما هو مقابلهم للتاريخ العربي ؟
 الجواب : إن الذي عليه الإجماع في مولده عليه
 السلام هو أنه كان لثني عشرة ليلة من شهر ربيع
 الأول وأنه كان عند إظهار النهار — أي وسطه — في قول
 وحسن طلوع القمر في قول جده عبد المطلب : ولد لي
 الليلة مولود مع الصبح غير أن هذا الإجماع على
 تاريخ مولده لم يكن سوى ما أحله الناس بالتواتر
 وأصلحوا عليه اجتهاباً . إذ الحقيقة أن تاريخ
 مولده صلى الله عليه وسلم يختلف فيه بفروق أيام
 قليلة. فقد قيل إنه كان لثلاث ليال مضت من ربيع
 الأول : وذهب المحافظ للميل إلى أنه كان
 لسبع عشرة ليلة علت منه : وقال ابن دحية : إنه
 كان ثمان مضت منه وأنه هو الذي لا يصح غيره
 لأن عليه إجماع أهل التاريخ .

وقد تناول المغفور له محمود حمدي باشا
 الفلكي المصري — الذي شرف مصر ورفع
 رأسها حالياً بين علماء أوروبا في مستهل النصف
 الثاني من القرن الماضي ببحوثه ومصفاته التي طبع
 كلها في دار الطباعة الإمبراطورية بباريس — تناول
 الاختلاف بالتحقيق والتحصيص ورسائله التي طبع

الشهر : وعن ثم يرى أن هذه النظرية تتصل بالقصة التي رواها عدة مؤرخين وهي ترد لأهل المسلمين بتاريخ الهجرة تقوياً لهم إلى نصيحة الموزان للخليفة عمر (البروني ، الكتاب المذكور) .

وقد نقلت أسماء الأشهر العربية القديمة المذكورة في مادة زمان عن البروني من الجلولي الذي في صفحة ٦٩ من طبعة سخاو : ووردت هذه الأسماء باختلاف يسير ، ولكنه ملحوظ ، في الجلولي والأبيات التي في الصفحات ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ من هذا الكتاب .

زد على هذا أن البروني يذكر في صفحة ٦٣ أشهر تعود إلى جانب منظومة أبي سهل حسي بن يحيى المسيحي التي تبين على استدكار هذه الأشهر (انظر عن أبي سهل مقدمة سخاو لكتاب البروني ص ٣٢ ، ابن أبي أصيبعة ، طبعة ميلر Mueller ، ج ١ ، ص ٣٠٧ وما بعدها Gesch. : Brockelmann d. arab. Litt. ج ١ ، ص ٢٣٨) : ولأبام معينة من الشهر أسماء أوردتها البروني في صفحة ٦٤ .

ويمكن الرجوع إلى مقال فيشر Fischer فيما يخص بالأسماء العربية القديمة لأبام الأسبوع (Fischer في Zeitschrift des Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٦) ويطبق على وحدة الزمن التي تتألف من أربع وعشرين ساعة لفظ : «يوم» ، تغييراً له عن النهار ، ويوم يسبق ليلة في الاصطلاح «يوم وليلة» ، ولكن النهار يذكر بعد الليل . وقد انتهى فيشر

نفسه يوم التبروز) كان التاريخ الجليلي من أضبط تواريخ الأمم للماضية لأن سنواته حقيقية وأشهره اصطلاحية .

محمد مسعود

تاريخ : لفظ عربي معني العهد أو الحساب أو التوقيت ، أي تحديد الوقت . وقد استكمل المادة السابقة على وجه مرض بفضل المادة الباحثة في مادة زمان : ومن ثم أصبحت الاستفادة منها غير ميسورة إلا بالرجوع إلى تلك المادة ، وفيما يلي تلخيص للمادتين يكمل ما فيها من قصص مع الاعتماد على المصادر الأصلية الماسة بالموضوع كلما دعت الحاجة إلى ذلك :

إن أصل كلمة تاريخ هو الأصل السامي العام لكلمة «ورخ» التي تمثل على سبيل المثال في كلمتي «باريخ» العبرية التي معناها القمر و«يرخ» التي معناها الشهرة ، وعلى هذا القياس يكون معنى كلمة تاريخ هو التوقيت أي تحديد الشهر ، ثم اتسع نطاق هذا اللفظ فشمّل من جهة معنى تحديد عهد حادث ما ، ومعنى التاريخ : أي رواية هذا الحادث ، ومن جهة أخرى معنى تحديد الوقت أو العصر أو التأريخ الملون حسب السنين : وما يلفت النظر ما أوردته البروني في ص ٢٩ من كتاب الآثار الباقية (طبعة سخاو Sachau) وذكره الخوازمي أيضاً في مصنفه مفاتيح العلوم (طبعة فان فلونز ، ص ٧٩) بالفتنيد والتخطئة من أن كلمة تاريخ فارسية معربة وأن أصلها الفارسي هو «ماه روز» التي تدعو إلى الشعور شعوراً لامرأ فيبيان المرافاة منه تبين به

ص ١٩٦) ، وقد أخذ ماير J. Mayer ما ذهب إليه بابنكر Babinger (انظر *Die Geschichtschreiber der Osmanen und ihre Werke* Zur Osmanischen Geschichte ، ج ٢ ، ص ٢٦٩) من أن يوم ١٥ يولية سنة ٦٢٢ هو اليوم الأول للتاريخ الهجري . ونشأت بعد هذا صعوبات فلكية ، ولم يحاول تقرير يوم من أيام التسيء للتعليق على هذه الصعوبات وإنما حول اليوم إلى ١٦ يولية . وقد أبلى بابنكر في تعليق له أنه قد أخذ بيوم ١٥ حتى عهد السلطان سليم الأول كما يستفاد من إشارة عاشق پاشا زاده إلى يوم «الخنيس» . عاشق پاشا زاده ، ص ٢٧٣ ، س ٩ : ثم جرى الحساب بعد فتح مصر اعتباراً من ١٦ يوليوز غير أنه لا شواهد هناك تؤيد ذلك ، وهذا مستفاد ومالر (Vergleichstabellen : Wuestenfeld-Mahler) يوم ١٦ ، وهو ما جهر مالر بعدم صحته (انظر مقدمة الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦) ، وانظر مادة «زمان» : وعلى كل حال فيما ينبغي ألا يغيب عنا أن تاريخاً إسلامياً لا يمكن تحليده تحديداً لاهراء فيه إلا إذا عرف اليوم الذي بدأ فيه هذا التاريخ من أيام الأسبوع . ومن الثابت أن يوم ١٥ يولية سنة ٦٢٢ كان يوم خميس ويوم ١٦ منه كان يوم جمعة (للتوسع في هذه المسألة انظر Ginzell ، ج ١ ، ص ٢٥٨ وما بعدها) .

وقد دخل بعض التحوير على أسماء الشهور الإسلامية (انظر مادة «زمان») في مراکش وفي الأرخيل الهندي الشرقي بعضه من الوجهة المجازية

سنة ١٩٠٩ إلى حلة ذلك ، وهي أن النهار يرجع إلى الحساب الساي الأول الذي كان يجعل اليوم من الغروب إلى الغروب ، بينما يرجع الليل إلى التقويم المتأخر الذي يجعل اليوم من المساء إلى المساء مما له صلة بالسنة القمرية . وقد شعر العرب بأن اليوم اصطلاح شامل تقدموه وأخروا النهار لأنهم أحركوا أنه تعبير عام على الزمن لا يصبح يوماً إلا إذا ضم إليه الليل . وهذا هو الوضع الصحيح الذي ارتأوه (Fischer : "Tag und Nacht" im Arabischen und die semit. Tagesberechnung ، Abb. Phil.-hist. Kl. d. Saechs. Ges. d. Wiss. ، ج ٢٧ ، رقم ٦١) .

وأيام الفجر ليست هي أيام الفجر وإنما هي أيام القتال في الشهر الحرام (انظر مادة فجار) وأبو الريحان البيروني يسمي أحد هذه الأيام بيوم الفجر (ص ٣٤ ، س ٨ وفي Ginzell Handbuch der Chronologie ، ج ١ ، ص ٢٥١) ، غير أن الإشارة إلى في هذا الكتاب غير واضحة ، وقد حدث هذا الفجر في روايته (س ١٠) قبل عام الفيل : وكان موقع الحادث الذي أئروا تسميته بالفجار في سنى الشباب من عمر النبي ،

أما عن الهجرة واتخاذ المسلمين إياها بداية لتاريخهم فانظر مادتي «هجرة» و«تسيء» . ولم نصل بعد إلى حل لمسألة اليوم الذي يوافق أول الحرام من العام الأول للهجرة (١) . وكذلك لم يتقدم

بنا بول خطوة في هذا السيل (Das Leben: Buhl) ، ترجمة H.H. Schaefer ، سنة ١٩٣٠

(١) دارج الحاشية رقم (١) من هذه المادة فيها ما يبعد للتقريب استخراج تاريخ اليوم الأول للهجرة من التاريخ المسيحي

وست وثلاثون سنة ؛ ولكن ورد في الجدول أن
بين كون الطوفان وبين أول ملك مختصر ١٧٣، ٨٦٠
يوماً ؛ وظن تبعاً لهذا أن ٢٦٠٤ سنة حبت على
الأرجح من لدن القران ، وحده أبو معشر الفلكي
تأريخ الطوفان في وقت قران جميع الكواكب في
آخر برج الحوت وأول برج الحمل ، وأن بين
ذلك الوقت وبين أول تأريخ الإسكندر ألفين
وسبعمائة وتسعين سنة كيسة (أى شمسية) وسبعة
أشهر وستة وعشرين يوماً ، وذكر البيروني في
صفحة ٢٥ الخلاف بين هذين الحسابين ؛ وحساب
٢٦٠٤ سنة التي أسلفنا ذكرها من لدن قران
زحل والمشتري (أى تأريخ الطوفان ٢٦٠٤ -
٢٢٩ = ٢٣٧٥ سنة قبل مختصر) يوصلنا إلى نفس
النتائج تقريباً .

وشهور تأريخ مختصر المعروف بالتأريخ القبطي
القديم مصرية (كشف اصطلاحات الفنون ، رقم
١٧ ، ملته ١٥٩،٢٠ ، وفي رواية البيروني ١٥٩،١٠١
وفي سخرم Schram ١٥٩،٤٣٦ قبل التأريخ السلوقي
[أى ٢٦ فبراير سنة ٧٤٧ ق م كما ذكر كترل ،
ج ١ ، ص ١٤٣] وهو ما يفتق وال ٤٣٦ سنة
المذكورة آنفاً) . وسنوه اثنا عشر شهراً كل منها
ثلاثون يوماً ، ويضاف إلى ذلك خمسة أيام النسيء .
وبين تأريخ ييلبس وهذا التأريخ مماثلة ، وغاية ما في
الأمر أن بين مختصر وييلبس ٢٤ سنة صحتها في
رواية البيروني ١٥٤،٧٦٠ يوماً (ص ١٣٧) ، وانظر
Ginzell ج ١ ، ص ١٤٧ (أى أنه كان في ١٢
نوفمبر سنة ٣٢٤ ق م .

والبعض الآخر من وجهة التسمية (انظر Ginzell
ج ١ ، ص ٢٥٣ [مراكش] ، ص ٤١٧ [جاوة] ،
ص ٤٢٧ [الجزر الأخرى]) ؛ وفي جزيرة مدغشقر
يستعملون أسماء صور فلك البروج الإثني عشر ،
ويتخلون أحياناً الأسماء السنسكريتية للشهور (انظر
مادة « مدغشقر ») ؛ أما عن بقية البلاد فانظر للمواد
القائمة بذاتها عن أسماء الشهور .

ولا يمكن أن يتعاقب أكثر من أربعة أشهر
ذات ثلاثين يوماً تعاقباً متصلاً ولا أكثر من ثلاثة
أشهر ذات تسعة وعشرين يوماً تعاقباً متصلاً أيضاً
كما جاء في كشف اصطلاحات الفنون طبعه
شبرنكر . مادة تأريخ ، لأن تحديد بداية الشهر
مرتبطة بروية الهلال ، وفيها يخص بمحاولة إدخال
السنة الشمسية لأغراض الخراج يمكن الرجوع إلى
Ginzell (ج ١ ، ص ٦٤ وما بعدها ، البيروني ،
ص ٣١ وما بعدها ، ص ٦٨ ، A.V. Gutschmid ؛
Kl. Schr. ج ٢ ، سنة ١٨٩٠ ، ص ٤٦٥ ،
٥١٣ ، ٧٥٧) .

أما عن تأريخ الطوفان فانظر البيروني ، ص ٢٣
وما بعدها والجدول الذي في صفحة ١٣٧ (انظر
أيضاً المادة السابقة) فقد قال إن أصحاب النجوم
حددوا بداية ذلك التأريخ ، أى القران ، من لدن
القران الأول لرُحل والمشتري الذي اتفق وقوعه قبل
الطوفان بمائتين وتسع وعشرين سنة ومائة وثمانية
أيام ؛ وبين كون الطوفان وبين أول ملك مختصر
الأول ألفاً سنة وسبعمائة وأربع سنين . وبين مختصر
وبين الإسكندر ، أى التأريخ السلوقي ، أوليها ؟

بأنه فيه لإطلاق الأخبار ذلك ثم عند معنى كل ألف سنة من لدن موسى . (انظر Ginzler ج ١ ، ص ١٧٦ ، ٢٦٣ ، أما عن التهجيز فانظر للمواد التي أفردت لذلك) .

أما أهل فارس فأسلوبهم في الحساب لم يوضع توضيحاً كافياً في نواحيه الرئيسية . والثابت أن السنة الفارسية القديمة كانت سنة شمسية شهورها اثنا عشر شهراً كل منها ٣٠ يوماً ، ويضاف إلى ذلك خمسة أيام للنسب أي أنها كانت ٣٦٥ يوماً . وأيام الشهر لها أسماء ذكر كتر في صيغها الفهلوية والزندانية (ج ١ ، ص ٢٨١) وذكر البيروني في صفحة ٤٣ صيغها الفارسية الحديثة . واليوم الثامن والخامس عشر والثالث والعشرون من الشهر تسمى باسم واحد (انظر مائلي ، وكان هذا شأن تلك الأيام عند السعد وأهل خوارزم ، انظر Ginzler ، ج ١ ، ص ١٧٦ وما بعدها فيها رواه عن البيروني ص ٤٦ وما بعدها انظر عن تاريخ خوارزم مادة خوارزم) .

وأسماء هذه الأشهر (في أوضاعها الواردة عناوين المواد كل مادة خاصة بحالة معينة) هي كما يلي :

- | | |
|-----------------|------------------|
| • فرووردين (١٩) | • مهر (١٦) |
| • أردبشست (٣) | • آبان (١٠) |
| • خرداد (٦) | • آذر (٩) |
| • تير (١٣) | • دي (٢٣، ١٥، ٨) |
| • مرداد (٧) | • بهمن (٢) |
| • شهرير (٤) | • اسفندارمذ (٥) |

وتاريخ الإسكندر الذي يسمى أيضاً التاريخ القبطي الجديد يبدأ في الحقيقة من لدن الإمبراطور أغسطس (انظر Ginzler ، ج ١ ، ص ٢٢٤ وما بعدها) ويوافق ١٤ فبراير سنة ٢٧ ق م (كشفت اصطلاحات القنون رقم ٣ ، للدة ٢١٧٢٩١ . وفي رواية البيروني ، ص ١٣٧ : ٢١٩،٢٤٢ ، وفي التضمين ، ورقة ١٧٤ : ٢١٧،٤١٥ ، وفي رواية سخرم Schram ، ٢١٧،٣٧١ يوماً بعد التاريخ السلوقي في زمن دقلطيانوس أي في تاريخ كترل Ginzler للدقلطيانوس ، انظر Chronologie ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ومده ٢٩ أغسطس عام ٢٨٤ م) .

والتاريخ السلوقي يبدأ يوم الاثنين بعد وفاة الإسكندر (٣٢٣) بالثاني عشرة سنة شمسية (كشفت اصطلاحات القنون ، رقم ٢ ، مدة ٣٤،٧٠٠ . وفي رواية البيروني ٣٤،٧٠١ وفي رواية Schram ٣٤،٧٣١ يوماً قبل الهجرة ، وفي رواية كترل ، ج ٣ ، ص ٤١ ، في أول أكتوبر سنة ٣١٢ ق م . ويضع سخرم أنه في أول سبتمبر سنة ٣١١ ق م ، انظر ما أسلفنا بيانه) ويضع آخرون أنه يبدأ في أول ملكه . وقد شاع الخلط في هذا المقام بين الإسكندر الأكبر وبين الإسكندر الرابع Aigon ويرى البيروني في صفحة ٢٨ أن الإسكندر لما خرج وهو ابن ست وعشرين سنة متجهراً لقتال دارا ووديت المقدس واليهود ساكنوه فأمرهم بترك تاريخ موسى وداود والتحول إلى تاريخه واستعمال تلك السنة أوله ، وهي السنة السابعة والعشرون من ميلاده ، فاجازوه إلى ذلك واتمروا

المكبوسة من السنة في آخرها : وحل هذا أصبح شهر فروردین من سنة ١٢١ للمثقلة بحکم הכبس الأول معادلاً لشهر فروردین الثاني المكبوس من الشهر في كلتا السنين ، وظل متخلفاً خلال المائة والعشرين السنة التالية عن اسفندارمذ من السنة الثابتة الموافق شهر فروردین من السنة المتحركة التالية . وبعدمضي الدور الثاني المؤلف من ١٢٠ سنة وافق الشهر المكبوس شهر أردیبهشت من السنة ٢٤١ للمثقلة ، وسعى لذلك شهر أردیبهشت الثاني . ثم تلت الأيام للمكبوسة شهر أردیبهشت من السنة المتحركة وظل في دور المائة والعشرين سنة التالية حافظاً لمكانه بعد أردیبهشت من السنة المثقلة ، بحيث وافق في كل مرة شهر اسفندارمذ من السنة السابقة ، وبذا كان الشهر للمكبوس والأيام للمكبوسة تأتي دائماً في نهاية السنة الثابتة ولا تتغير مواضعها إلا في السنة المثقلة كما أسلفنا بيانه . وبما أنه حدث في عهد أنوشروان كبس جعل موضع الأيام للمكبوسة بمقتضاه بعد شهر آبان (سنة ٣٥٠ م = ١٢٠٧٨ = ٩٦٠ سنة) فيكون قد انقضى حوالى سنة ٥٣٠ م بمعد הכبس الأول ، (ولتوسع في هذه المسألة انظر Ginzell ، ج ١ ، ص ٢٩٧) .

وعليه فيحتمل أن يكون الكبس الذي تلا الكبس الواقع في عهد أنوشروان قد حل حوالى عام ٥٦٠ من الیباد ، ولكن بلاد فارس في ذلك العهد أصبحت بلداً إسلامياً ، ولما لم يكن في هذه البلاد تاريخ ثابت وإنما كان التاريخ يتغير بتغير عهد كل ملك ، وأن سلسلة تعاقب ملوك فارس قد انتهت

وقد أورد گنزل Ginzell معاني هذه الأسماء في كتابه ، ج ١ ، ص ٢٧٨ وما بعدها .

ووردت أسماء الأشهر كلها بمثابة أسماء الأيام . وقد وضعنا بين قوسين رقم اليوم الذي يشترك مع الشهر في الاسم . وللتمييز بينهما يضاف لفظ (ماه) إذا كان المقصود به الشهر ، وروز إذا كان المقصود به اليوم . ويحصل باليوم الذي يحىء متفقاً في الاسم مع الشهر (انظر Ginzell ، ج ١ ، ص ٢٨٩ وما بعدها) .

وقتل السنة البالغ عديد أيامها ٣٦٥ مستجابات عن السنة المدنية ، ولذلك فإنه لا يمكن جعل صلها بالقصول ثابتة إلا بكبس يوم كل أربع سنين ، أوكبس شهر كل مائة وعشرين سنة . ومن المأثور (Ginzell ، ج ١ ، القصول من ٧٦ - ٧٨) أن الطريقة الثانية كانت مستعملة ، إلا أنها لم تكن مرعية بدقة ، وقد شرح گشميد (A.V. Gutschmid : *Ueber das iranische Jahr* ، *Abh. Schr.* ، ج ٣ ، ص ٢٠٥) ، وما بعدها ، شرحاً مبيناً ما ذكرته الكتب من أن الشهر للمكبوس والأيام للمكبوسة خلال دور يبلغ ١٤٤٠ سنة قد ألحقت في موضعها من الشهر التالى في سياق الأشهر بحيث لا يشرف هذا الدور على التمام حتى تكبر السنة قد جبرت : ويسمى الشهر المكبوس باسم الشهر الذي ألحق به مع إضافة رقم التالى : وآية ذلك أنهم في كل ١٢٠ سنة حسبوا السنة ستين ثم حسبوا سنة مثقلة وأخرى ثابتة تكبس بإضافة شهر إليها . وعندما حصل الكبس لأول مرة كلف موقع الأيام

من التقويم الجديد هـ وهذا التاريخ يوافق ١٥ رمضان عام ٤٧١ (١٥ مارس سنة ١٠٧٩ هـ) انظر Ginzel ج ١ ، فصل ٧٠) ومن هذا الحين أخذوا يكسبون يوماً سادساً كل أربع سنوات مع إغفال سنة بين آن وآخر (انظر مادة «نوروز»)

وقد أدخل الإيلخان غازان محمود (انظر هذه المادة) على هذا التقويم إصلاحاً جديداً : ويرى كترل (Ginzel) ج ١ ، ص ٣٠٤ أن الفضل في معرفة بداية التقويم الإيلخاني ، وهو يوم الخميس ١٣ رجب من عام ٧٠١ (١٣ مارس سنة ١٣٠٢) يرجع إلى حمد الله مستوى القزويني : وهذا التاريخان يتفقان إذا اعتبرنا — خلافاً لما قرره فستفلك ومطالعة — أن بداية التاريخ المجرى هو ١٥ يولية سنة ٦٢٢ و

ولكن اسم يوم الأسبوع لا يتسق مطلقاً مع هذا التحديد : لأنه إذا كان أول رجب من عام ٨٧٠١ يقع في يوم خميس أو يوم جمعة فلا بد أن يكون يوم ١٣ إما يوم ثلاثاً أو يوم أربعاء. وقد زادطين هذا الخلط بل أن كشف اصطلاحات القنون (Diet. of Techn. Terms) رقم ٦٤ جعل يوم الاثنين اليوم الأول من ذلك التاريخ على اعتبار أنه مسئول السنة ٢٢٤ من التقويم الجلال ، وهذا يرجع بنألى عام ١٣٠٢ م. على أن هذا التاريخ الذي لم يقم له وزن بعد ذلك ما يرحح عاصفاً بالغموض والإيهام حتى الآن .

وفيما يتصل بالإصلاح الذي أدخله على التقويم السلطان أكبر ، انظر (Ginzel) ج ١ ، الفصول من ١٠٨ إلى ١٠٩ : أما فيما يتصل بتاريخ الترك الأعظمين وأخبارهم

حلقاتها يزجدر الثالث فقد استمر حساب السنين من عهد هذا الملك (٦٣٢ م) ونشأ عن هذا تاريخ يزجدر الذي سمي باسم هذا الملك الذي دالت في عهده دولة فارس .

ويبدأ هذا التاريخ يوم الثلاثاء ١٦ يولية سنة ٦٣٢ الموافق لليوم ١٦٠٦٣٠٠٦٣٢ من التقويم اليوليوسي في رواية سخرم Schram واليوم ٣٠٦٢٣٢ أو ٣٠٦٢٤ من الهجرة (انظر Ginzel ج ١ ، الفصل ٦٩ ، الكشف ، تاريخ يزجدر ، رقم ٤) ، وإذا لم يكن هناك كبس في القرون الأولى من تاريخ يزجدر فقد ظلت أيام التسمية تلحق في موضعها قبل شهر آبان من السنة المتقلة . وينبغي توصلنا إلى حساب التواريخ بمقتضى هذا التقويم أن تعرف ما هو للموضع الذي أخرج المؤلف فيه أيام التسمية : وقد جاء الكبس في كتاب سخرم Schram للوسوم : *Kalendar graphisch Tafeln* تألياً شهر إسفنداباد كما جاء تألياً شهر آبان .

وقد نتج عما ذكرناه من العلل من الكبس أن اليوم الأول من السنة الجديدة لتاريخ يزجدر ظل على الدوام في تأخر ، ولهذا أمر السلطان جلال الدين ملكشاه بن آلپ أرسلان بإصلاح هذا التقويم (انظر في هذا الشأن مادة «جلال») وبناء على ماورد في كشف اصطلاحات القنون (Diet. of Techn. Terms) رقم ٥) يكون هذا التاريخ موافقاً ليوم الجمعة ١٨ فرودين من التقويم القديم ، وهو يوافق اليوم ١٦٣٠١٧٣١١ من تاريخ يزجدر ، وقد حسب ذلك فوجد أنه يوافق فرودين الأول

سنة كريمة فقط في كل ٥٧٠ سنة : ويتفق أسماء
الأشهر إلى ذكرها المؤلف وأسماء الأشهر
التي نقلها كترل عن ألغ بك (Ginzel) ، ج ١ ،
ص ٥٠٣ . وقد ظل الترك يكسبون على طريقة
أهل الصين (Ginzel) ، ج ١ ، ص ٤٦٧ وما بعدها
فإن السنة عندهم أربعة وعشرون قمساً (تسوكي)
من الأقسام الصيفية : قسماً منها يقمان في الشهر
الواحد . وإذا وقع ثاني القسمين في الشهر التالي فهذا
الشهر يعد كقسماً أو زائداً ، وفي لغتهم «شون آي» أي
صوم الصينيين (انظر Ginzel) ، ج ١ ، ص ٤٧٤)
وهو ما يؤخذ منه أن الشهر الكيس لامكان له ثابتاً
في القويم . إن بداية السنة في الدرجة السادسة
عشرة من برج الدلو Aquarii فهي أيضاً من وضع
الصينيين (Ginzel) ، ج ١ ، ص ٤٧٠ وما بعدها)
وقد قلروا مدة السنة بـ ٣٦٥,٢٤٣٦ يوماً
(١٠,٠٠١ يوم = ٨,٦٤ ثوان = ١ فنك) أي
٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٦,٩٨ ثانية : وهذا
التقدير الخاطئ إلى أقصى حد لا يرجع إلى تحريف
ما في النص بل دليل ثبوت هذا الخطأ بما تبين
فيا بعد من أن السنة قسمت إلى أربعة
وعشرين قمساً كل قسم خمسة عشر يوماً و ١,١٥٤
فنك . أما الأشهر فأشهر حقيقة أي قرانية مقررة
تبداً بالقران (انظر مادة القمر) : ويمكن معرفة
موقع السنة من دور الكيس بطرح ٦٣٢ من السنة
للمواقة لها من تأريخ بـ دجرد ، لأن السنة قد حسبت
أبامها بـ ٣٦٥ يوماً ، وقسمه فرق السنين على ثلاثين ،
فإذا نقص باقي القسمة عن ثلاثين فإنه يدل على أن

قد وردت في كشاف اصطلاحات الفنون (Dict. of
Tech. Terms ، رقم ٨) بيانات مستفيضة من شأنها أن
توسع نطاق معلوماتنا في نواح مختلفة من هذا
التاريخ : من ذلك أنه إذا قال صاحب هذا الكشف
إن السنين عند الترك كانت سنين حقيقية (انظر مادة
سنين ، Dict. of Tech. Terms ، مادة «سنه») أي
سنين شمسية مدارية فهو إنما كان يقصد إلى السنين
القمرية الشمسية ، أي سنين مكونة من اثني عشر
شهرًا قمرياً أي من ٣٥٤ و ٣٥٥ يوماً حصل
توقعها أي تطبيقها على السنة الشمسية بإضافة أشهر
تكميلية إليها طبقاً لنظام موضوع وقاعدة معينة .
وإذا كانت السنوات الكريمة في كل دور من الزمن
مقداره ثلاثون سنة يبلغ عددها إحدى عشرة سنة
كما كان الحال عند العرب قبل الإسلام ، فلأن
يكون الفرض الذي روى إليه بفكره هو اليوم
الخامس والخمسون بعد الثالثة من السنة الإسلامية ،
على حين أن حقيقة الواقع هي أن الشهر الكيس
كان يكسب في الواقع سبع مرات من كل دور
مؤلف من تسع عشرة سنة كما هو عند الصينيين
الذين تلقى الترك الأولون عنهم تقييمهم (Ginzel) ،
ج ١ ، الفصل ١٣٦ عن التأريخ الركني القديم الولود
في النقوش : Altmarkische Inschriften: Thomsen ،
aus der Mongolei في Zeitschr. der Deutsch.
Morgent. Gesells. ، ج ٧٨ ، ص ١٣٢) وعند
اليهود أيضاً . والنتيجة واحدة ، لأنه إذا كانت إحدى
عشرة سنة كريمة تحمل كل ثلاثين سنة وسبع سنين
كريمة . كل تسع عشرة سنة فإن الخلاف يكون

السنة سنة كبيرة وذلك. إذا كان هذا الباقي واحداً من الأرقام التالية وهي : ٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، وطريقة هذا الحساب الذي لا ينسحب على الشهر الكبيس بل على اليوم الخامس والخمسين بعد الثلاثة لم يبدأ العمل به إلا في سنة ٦٢٢ من تأريخ يزجرد الموافق سنة ١٠٢٦٤ م.

وقد ألم المؤلف أيضاً بما كان قدماء الترك يعملون به من تقسيم اليوم ، كما كان عند الصينيين إلى ساعات مضاعفة (جاخ) انظر Redhouse مادة جاخ ، وبالصينية تشي ، انظر Ginzell ج ١ ، ٤٦٥) ، وقسمت الساعة المضاعفة هذه إلى ثمانية أقسام كل قسم يسمى كهن (كهنا) ويعرفه الصينيون باسم (ككو) انظر Ginzell ؛ للمادة نفسها وذكر المؤلف كذلك دوراً صينياً ستيانياً يكون من دور واحد عشري ودور آخر عشري كما ذكر كذلك أسماء الحيوانات الشائعة مطلقة على سبيل الدور العشري (Ginzell ج ١ ، ص ٤٥٢) وهناك دور يتألف من اثني عشر يوماً لكل يوم ثون خاص ، والفرض منه مسألة اختيار الأيام (اختيار) انظر مادة التنجيم ، علم) .

ويبدو الخليفة بدأ التاريخ ، وبينها سنة ٨٦٠ من تأريخ يزجرد ٨٨٦٣ قرناً ، وقد انقضى منذ ذلك البدء حتى الآن ٩٩٦٥ سنة ، وسيعيش العلم ٣٠٠٠٠٠ قرن كل منها ١٠٠٠٠ سنة .

ويمكن الرجوع إلى مادة « سالتام » فيما يخص بالتقاويم المعمول بها في تركيا ، وتاريخ توقيت الأحداث

في الإسلام يطابق إلى حد كبير علم الهيئة (انظر هذا للمادة) . هذا العلم بالآثار الطبيعية على مقتضى ماورد في الآيات القرآنية لم يكن حتى الآن موضوع بحث مستقل ، فإن الآيات التي تضمنت الإشارة إلى علم الهيئة والبحث في التقاويم قد حثي بجمعها نالينو Nallino في كتابه الموسوم بـ « علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى » ، رومية سنة ١٩١٩ م ص ٨٤ ، ١٠٤ - ١١٢ (انظر أيضاً مادة المنازل ومادة نسي ، Plessner في Jd. ج ٢١ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨) . وهناك ما عدا بنا إلى الكلام على هذه النقطة ، فإن كتاب الآثار الباقية للبروني (انظر أيضاً الترجمة الإنكليزية بعنوان Chronology of Ancient Nations ، لندن سنة ١٨٧٩) ، يعد ابتكاراً صحيحاً في التأليف العلمي لأنه يعتبر أول محاولة لجمع كل تواريخ الأمم المعروفة ودراستها دراسة مبنية على النقد من الناحية العقلية والمقارنة بينها من الناحية التاريخية ، وقد أوجز البروني هذا الكتاب في مؤلفه ، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم (The Book of Instruction in the Elements of the Art of Astrology) وهو منقول عن المخطوط المحفوظ في المتحف البريطاني بين المخطوطات الشرقية تحت رقم ١٨٣٤٩ وقد قام بترجمة هذا الكتاب R. Ramsay Wright لندن سنة ١٩٢٤ ، ووضع الترجمة : نجاه النص) في الأوراق من ٦٦١ - ٩٦٣ ، وفيه بعض الخلفات في الحساب ، كما سبق أن بينا .

وهناك بعض المعلومات في مقدمات التواريخ العامة مثل تاريخ الطبري ، ج ١ ، ص ٣ .

Phil. ج ٢ ، ص ٦٧٥ - ٦٧٨ ، وقصة هذا المقال تنحصر في مراجعته الوافية ،

[بلنسر M. Plessner]

«تأريخ» : (علم التأريخ) ينطبق - باعتباره مصطلحاً من مصطلحات الثقافة العلمية - على تدوين الحوادث الحولية ، كما ينطبق على تراجم الرجال وسيرهم لا على تاريخ شامل للثقافة العقلية بصفة عامة ، والتأريخ على هذا الاعتبار يتلخص تطوره عند العرب والفرس في أربع مراحل :

- (أ) من البداية إلى القرن الثالث للهجرة .
 - (ب) من القرن الثالث إلى القرن السادس ،
 - (ج) من نهاية القرن السادس إلى بداية القرن العاشر .
 - (د) من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر .
- أما عن مصادر التأريخ عند الأتراك العثمانيين فيُرجع إلى المادة للعقودة على «الأتراك» ، وعما كتب عن بلاد الملايو ، يُرجع إلى المادة للمكتوبة عن جزر الملايو .

(أ) إن مسألة مصادر تدوين التأريخ عند العرب لم تحل حلاً نهائياً بعد الفارق العظيم الذي لم ننته حتى الآن إلى إدراك كنهه بين الأساطير الشعبية المنقولة بالتواتر عن العرب في العصر الجاهلي وبين الأخبار التاريخية التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة مسيرة بعض المسيرة للعلم وما يقتضيه من الدقة وال ضبط ، وهناك رأى لطافه من الكتاب المحدثين يخلع على هذا التطور تأثيراً قاطعاً كما يؤخذ من كتاب الملوك المصنف بالقارسية (انظر الفقرة

وما بعدها ، وهي أكثر اقتضاباً في ابن الأثير ج ١ ، ص ٩ وما بعدها . فقد جاء في هذه المقدمات أن اليهود قلدوا اللغة التي غيّرت منذ بدء الخلق بـ ٤٣٤٢ سنة ، وهو أمر لا يتفق والتقوم العربي . ويقال إن الروم حسبوا اللغة من بدء الخليقة حتى الهجرة بـ ٩٩٢ سنة وشهر ، وذهب المجوس إلى أنها منذ عهد كيومرث إلى الهجرة ٣١٣٩ سنة .

وفي كتب علم الفلك أحاديث كثيرة في هذا الشأن منها كتاب صحائب المخلوقات للقرظيني (طبعة فستفد ، ص ٦٢ - ٨٧) ، وفي نهاية الأرب لتويري كثير من القوائد الأدبية (ج ١ ، ص ١٥٧ - ١٩٥) في صفحتي ١٦٧ و ١٦٨ مثلاً جدول بالسنوات التي بين ٩٤٥٨ للهجرة والتي سميت بأسماء خاصة لمناسبات معينة . وفي رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا معلومات فلكية لحساب الزمن وبخاصة فصول السنة ، (ج ١ ، ص ٥٦ وما بعدها ، ج ٢ ، ص ١٦ وما بعدها) .

المصادر :

- (١) للمراجع المذكورة في صلب المادة
- (٢) المواد الفلكية وما شابهها (٣) Barton :
- Introduction to the History of Science ، ١٩٢٧
- وما بعدها في المواد الخاصة بكل فلكي (٤) اليتاني :
- Opus astronomicum ، الطبعة اللاتينية ، البيت رقم
- (٥) C.A. Nallino ، سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٧
- (٦) Handbook : Wensinck ، مادة تقويم
- (٧) Gray في Grundr. der. Iran. Calendes

الرابعة الآتية بعد) ، إلا أنه يبدو من المرجح أن التأريخ عند العرب نشأ من إجماع مصنفات تاريخية أوشبه تاريخية مختلفة الاتجاهات والمقاصد رأينا أن من الأصلح معالجتها هنا ، كل منها على حدة .

١ - التأريخ المأثور عن العصر الجاهلي :

لعله كان من المتوقع أن يوجد في بلاد اليمن ضرب من التأريخ المأثور بالكتابة ، فقد كانت هذه البلاد مركز حضارة استقرت دعائمها عهداً طويلاً وحفظت آثارها بالتقوش المعينية والسيثية والخميرية ، وكل ما وصل إلينا من هذا القبيل يحمل طابع التأريخ المنقول بالسباع كبضعة أساء للملوك القدماء وقصص غامضة لحملها وسداها بالمبالغة والتهويل عن عصور عبرت وذكريات قد تكون في الغالب أكثر من تلك دقة إلا أنها أكثر منها شموساً واستغلاًفاً عن حوادث وقعت في القرن السابق لظهور الإسلام (انظر مادتي «سبأ» و«أبرهة») . وفي خلال القرن الأول للهجرة أفسح الخيال المجال للتأريخ المأثور بالسباع حتى تألفت مجموعتين الأناصيص والأساطير زعم أصحابها أنها تاريخ وافي لبلاد العرب في العصور القديمة اقرنت به أسماء رجال من طراز وهب بن منبه (انظر هذه المادة) وعبيد بن شريم : وما ضعه الاثنان في هذا الموضوع دليل وافي على أن العرب الأقدمين كانت تقصصهم الملوك التاريخية والتفوذ إلى الحقائق حتى في أخص ما يتصل منها بحوادث عصرهم (انظر F. Krenkow :

أما عرب الشمال فقد كان الحال عندهم مبنياً لا تقدم بعض التباين ، إذ كان لكل قبيلة تاريخ مأثور يعلوه في حالات معينة على مستوى إدراك القبيلة ، فانطوى بذلك على ناحية خاصة بفكرة أنساب قبائل العرب (كما عرفها العرب بعد ذلك) غير أنه لا يوجد هناك ما يرشح للإلحاح إلى وجود تأريخ مأثور لشمال بلاد العرب بحيث يعم هذه البلاد ، ثم إن للآلالب الذي تكيف به تاريخ القبيلة أهميته ومكانته ، إذ أنه يتناول رواية أغلب حوادث « الأيام » التي في عضونها حاربت القبيلة أعضاها (انظر مادة « أيام العرب ») وجرت العادة بأن يتخلل كل رواية للحوادث بعض أبيات من الشعر ، وهذا وليست النسبة بين العناصر الثرية والعناصر الشعرية واحدة ، ففي بعض الأحيان يكون الشعر

في *The Two Oldest Books on Arabic Folklore* Islamic Culture المجلد الثاني) ومع ذلك فقد قبلت

وفي القرن الثاني من الهجرة غزا علماء لغة الميادين رواية القبيلة التي كانت حتى ذلك الوقت جمالا خاصاً بنشاط الرواة والسامعين ، وذلك لتحقيق ما تزعموا إليه من الإحاطة بكل ما تبقى من آثار الشعر القديم مع إرضاح غوامضه ، فأدوا للتاريخ خدمة جليلة إذ جمعوا شتات هذه المجموعة من المواد التاريخية وعنوا بترتيبها وتنسيقها بعد تمييزها بعضها عن بعض ٥

وكان أبو عبيدة (١١٠-٢٠٩=٧٢٨-٨٧٤م) وانظر هذه المادة) أحد الموالى الذين يمتحنون إلى العراق بمائة الأصل ، وهو من المثل البارزة في ذلك النشاط ، فإنه لم يحمل اسمه أي بحث من مائتي بحث المسبوبة إليه ، غير أن بعض هذه البحوث وردت مجهرها في مصنفات ألفت فيها بعد أخلت بأطراف الرواية فيما يختص بشمال بلاد العرب ومنسقة في صورة سهلة التناول كروايات القبائل المستقلة وبطون القبائل فيما يرتبط بـ «الأيام» وتسحب أيضاً حتى على الروايات التالية لظهور الإسلام وعلى الروايات التي اسوت شرح فتوحات الأقاليم المنقسمة بعضها على بعض ، والحوادث الهامة ووقائع الحروب بل أخبار الجماعات «كقضاء» البصرة و«الخوارج» و«الموالى» . وكان أبو عبيدة متهماً بمحاولة الطعن في العرب لصالح الشعوبية ، ولكن يستشف من تحقيق هذه التهم وجوب حسابها صحيحاً على النوايا المجردة من شوب الغرض والتحيز لا على التحيز المقصود لذاته ٥

ضرباً من ضروب الارتجال وفي بعضها الآخر تكون الرواية الثرية شرحاً للتصديعة الشعرية ، وفي كلتا الحالتين يكون الشعر هو الذي حافظ على تناقل الرواية وانتشارها حتى أنه لما نسيت الأشعار اندثرت الروايات القديمة باندثارها ، على حين أن أشعاراً جديدة كانت تنظم للتبويه بما جد من الفعل الجديدة في تاريخ القبيلة ، ومثل هذه الرواية ، وإن تكن مصبوغة بصيغة الغرض والتحيز ومجهولة زمن الحدث ومغالى فيها من الناحية الخيالية ، إلا أنها كانت مع ذلك على جانب من الحقيقة والصواب ، وهذا قد حولت الفتحوات الإسلامية مجرى الروايات الماثورة عن القبيلة دون تغير في خصياتها بينما حافظت الروايات الجديدة بحفاظة واسعة النطاق على الاتصال القديم بين الشعر والنثر إلى جانب المبالغة وعلم الدقة المعهودين في الكتابات القديمة ، وهذا أيضاً كان من شأنه التأثير في التاريخ الإسلامي من حيث إن تلك الروايات الماثورة هيأت المواد التي استقى منها المؤرخون المحدثون في تلوين تاريخ الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية (انظر الفقرة الثالثة) ٥

أما المنصر الآخر في التاريخ الماثور للقبيلة فهو حفظ أسباب القبائل ، ومع هذا فقد ازداد نشاط علماء الأنساب في عهد بني أمية القديم بإنشاء «الدواوين» إلى جانب مصالح ذوى المصيبات من العرب المتناقصين ، وأدى ذلك إلى وقوع الخلط في نواحي علم الأنساب (انظر كتاب كولدنيسير: «دراسات إسلامية» ، ج ١ ، ص ١٧٧ - ١٧٩) ٥

الأحاديث النبوية (انظر مادة «الحديث») ومخاصمة الأحاديث المتصلة بغزوات النبي (ومن ثم اصطلاح «المغازي» أو الغزوات الذي أطلق على المصنفات الأولى التي ألّفت في السير) . وكانت المدينة المنورة موطن هذه الدراسة ومهدها ؛ ولم يختص أحد بالتأليف في المغازي قبل القرن الثاني للهجرة في مواطن أخرى غير المدينة ؛ وذلك الارتباط بالأحاديث التي ترك أثرًا لا يمحى في أسلوب التأليف التاريخي بالاحتماد على الإسناد يفسر التغيير البالغ الذي ظهر منذ ذلك الحين في الصفات المميزة لرواية حوادث التاريخ وتمحيصها عند العرب ؛

وإننا نشعر أول وهلة أننا نضئد إلى أساس علمي وثيق حتى ولو سلمنا في الوقت ذاته بوجود بعض العناصر المربية في الأثر الذي تناول العهد الملكي ؛ والعهد المملوكي من حياة الرسول (انظر مادة «السير») إذا أردت التوسع في هذا الموضوع ؛

وقد أدى الجيل الثاني من المسلمين إلى هذا التقدم ما هو أعلق بالمصادر والمراجع منه مجموعات سبق تكوينها ؛ ومع هذا فإن اثنين منهم وهما أبيان ابن عياد وعروة بن الزبير ورد ذكرهما على اعتبارهما مصنفان في المغازي ؛ ولكن مصنفاتهما لم تذكر قط على لسان المصنفين الذين جاءوا بعدهما ؛ وفي الجيل التالي اشتهر بعض المحدّثين بمجموعتهم الشاملة لأحاديث المغازي ومخاصمة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ؛ الذي دوّن بالكتابة مواد الحديث نزولا على أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز أو الخليفة هشام بن

ولقد كان عمل هشام بن محمد الكلبي المتوفى حوالي سنة ٢٠٤ (٨١٩ م) شبيهاً بعض الشبه بعمل أبي عبيدة في اتجاهه ومتاحيه (انظر مادة «الكلبي» ومقدمة سخاو لطيفات ابن سعد ، مجلد ٣) إذ نظم المجموعات التي عن والده المتوفى سنة ١٤٦ (٧٦٣ م) بحسبها وقام بتوسيع نطاقها. كما نظم مجموعات خزانة وأبي مخنف ؛ وتناول رسائله في الأغلب الغرض الذي ترمى إليه بحيث أتى إليه بحوث أبي عبيدة ، غير أن مرجع الفضل إليه في حياته بتكوين الأخبار التاريخية الخاصة بمدينة الحيرة وأسرته المالكة مستندة إلى المصادر والوثائق المكتوبة ، وقد خطا هذا العمل المقول باستناده إلى الوثائق المحفوظة في كتائب الحيرة والأسانيد القارسية التي ترجمت له خطوات واسعة نحو التأليف التاريخي القائم على أساس العلم ؛ ومع أنه لم يفته إلينا من ذلك المصنف سوى مقتبسات محدودة العدد فقد أثبتت التحقيقات الحديثة صحة روايته في مجموعه ؛ ويقال عن هشام إنه سيج هذا النسخ في مصنفاته الأخرى بإضافته على الكتابات والمواد المكتوبة التي كانت تحت يده . ولكنه لم يكن مع ذلك بمنجاة من المظان العنيفة التي كالمها له العلماء المحافظون على التقاليد متهمين بإياد بالتزوير وكتب الرواية ؛

٢ - صدر الإسلام

إذا استثنينا ما استعان به هشام الكلبي من المواد الخاصة بالحيرة فإن بداية تأليف التاريخ العلمي باللغة العربية ترتبط بالبحث في حياة النبي وأعماله ، وهو ما يستتبع رجوع أهل هذا التنظيم إلى مجموعة

لها لاصطباغها بضيفة الكذب والافتراء ، وقد عرفت أن هناك أحاديث دخل عليها كما هو معروف - بعض التحوير والتعديل ، غير أنه بما يدعو إلى الأسف أن ما اعتمد عليه منها الجامعون المتأخرون من العراقيين كان خيراً ما فيها بلا ارباب (انظر الخطيب البغدادي) وقد تناوله يد الضياع فتمهلت السبل بذلك إلى ظهور موجز مشوه بعض التشويه جمعه المصنف المصري عبد الملك بن هشام التوفى سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) وانظر هذه المادة) : وما هو

جدير بالذكر أن جميع المؤرخين في المغازي كانوا من « الموالى » وإن يكن هذا التعبير لا يستتبع حتماً حتى في ذلك العهد رجوعه إلى أصل غير عربي ، فقد كان ابن إسحاق عراقي الأصل حقاً لأن جده يساراً أسر في العراق سنة ١٢هـ (٦٣٣م) ولكن بما يتفق مع الصواب أن تطلب في التزعة الفكرية التي بعث ابن إسحاق على وضع مصنفه مؤثرات فارسية حتى ولو جاءت عن طريق غير مباشر ، إذ أن الصلات بين تلك التزعة والاتجاه الذي اتجه إليه وهب بن منبه من جهة ثم بينها ومذهب أهل الحديث للمدنيين من جهة أخرى تثبت أن تلك التزعة الفكرية كانت بلاشك من وسى العرب كما كانت متصلة بضوابط علم الحديث العربي الصحيح . وقد كان من نصيب الجيل التالي أن شهد أفق الدراسات والبحوث التاريخية ينفسح مداه . فقد عزى إلى ابن إسحاق تأليف تاريخ للخلفاء ، وإنما يظهر أن هذا التأليف كان ضيق النطاق يقتصر العبارة ،

وألّف محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧هـ)

= ٧٤٧ - ٨٢٣م) الذي خلف ابن إسحاق كتاباً

عهد الملك ، وقد أودعت هذه المواد خزانة النبوة التي سجل بها القضاء فيما بعد ،

ويعزى إليه الفضل في أنه كان أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر لإدماجها في حديث واحد (قارن ذلك بحديث الإلك) وهذه خطوة إلى الأمام في العرض التاريخي ، غير أنها فتحت الباب على مصراعيه لعيب المحدثين غير اللوئق بروايتهم :

وقد كانت الأحاديث التي رواها أثيري أساساً للكذب المولفة في المغازي ، وجمعها ثلاثة من كتاب الجيل التالي ، إلا أن اثنين من هذه الكتب قدما كما فقد كتابان آخران غيرهما « وإنما بقيت من هذه الكتب أجزاء متفرقة : أما الكتاب الثالث وهو السيرة المشهورة التي ألفها محمد بن إسحاق ابن يسار المتوفى سنة ١٥١هـ (٧٦٨م) فقد كان ثمرة تفكير أبعد أفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقه ومعاصره ، لأنه تزع فيه لا إلى تدوين تاريخ النبي لحسب بل إلى تأريخ النبوة بلباتها أيضاً . وكان في هذا الأسلوب المبتكر يشمل أقساماً ثلاثة : المبتدأ وهو تاريخ العصر الجاهلي منذ الخليقة ، وقد استمد أكثره من وهب بن منبه ومن المصادر البيرية ، ثم « المبتدأ » وهو تاريخ حياة النبي حتى السنة الأولى للهجرة ، ثم « المغازي » وتناول هذا التاريخ إلى وفاة النبي . وقد غدا هذا الكتاب المرجع الرئيسي لتاريخ العصر الجاهلي والصدر الأول من الإسلام وذلك على الرغم من أنه كان هدفاً للنقد الصارم بما تطرق إليه من الأحاديث والمقتضيات الشعرية التي لا وزن

عناصر الحديث الصحيح في اتجاه آخر من رواية الأحاديث (كما رأينا في ابن إسحاق) لك أن تلتصقه في فن القصص (انظر مادة «القصبة») ويصور لنا العودة إلى صنف من صنوف الأدب الشعبي يمت بصلة إلى مصنفات وهب بن منبه ، وبنو الاتجاه الجديد الذي نهجته السيرة والذي اتجه إليه كذلك جميع المتأخرين من مؤرخي السيرة النبوية يتضح لنا جلياً أن نصيبه من الأسلوب التاريخي قد أشرف على النهاية .

٣ - تاريخ الخلافة :

أتينا في الفصلين السابقين على وصف لبداية تدوين الحوادث التي أعقبت وفاة النبي في رسائل متفرقة ، وما يجدر ذكره أن هذا النشاط كان مقصوراً على العراق ، فلم تثر أية رسالة من هذا القبيل إلى عالم ما من علماء الشام أو بلاد العرب أو مصر خلال القرنين الأولين للهجرة ، ومن ثم تبوأ العراق ورواية حوادثه المحل الأول بين المؤلفات التاريخية التي وصفت فيما بعد : بيد أن للأثر من حديث المدينة قد أمدنا أيضاً ، فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين ، بمادة أفادت بعض المؤلفين (كالواقدي) من ناحية اتصالها بأهل الحديث المدنيين (نسبة إلى المدينة) : وما يبرح في مجال الشك وجود وثائق مخطوطة في المدينة كانت في ذلك العهد من المراجع التي يرجع إليها ، ومع هذا فإن الدقة التي تتسم بها الأخبار التاريخية الواردة في الحديث المدني تدعو إلى الاحتياط بوجود مواد من هذا القبيل فيها . وقد توافرت الدلائل على وجود وثائق في العصر الأموي بدمشق والعراق معاً (انظر خاصة ا. كرويان

لم يقتصر فيه على غزوات النبي بل تناول كثيراً من وقائع تاريخ اليهود الإسلامية التالية كما ألفت تاريخاً جامعاً تناول فيه الكلام إلى عهد خلافة هارون الرشيد ، وبناءً على علم التاريخ القائم على الحديث من المادة التاريخية التي جمعها فقهاء اللغة مع الاحتفاظ بأسلوبه الخاص في إيراد الأحاديث ، وتاريخ «الغازي» الواقدي هو وحده الذي حفظ كيانه بوضعه الأصلي ، ولكن كاتبه محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ (٨٤٤ - ٨٤٥م) اعتمد على الكثير من المواد التي جمعها ذلك المؤلف في مصنفه «كتاب الطبقات» في سيرة النبي وصحبه والتابعين .

وفكرة تصنيف معجم للتراجم كهذا تدل بلباسها على تطور جديد في فن التاريخ ، وتوثيد الارتباط الوثيق بينه وبين علم الحديث ، إذ أن هذه المواد جمعت في الأصل بقصد نقد الأحاديث وتجميعها .

هذا ، ولذلك الجزء من كتاب ابن سعد في قاله الأخير الذي صاغه فيه ، أي كتاب سيرة النبي (المجلدان الأول والثاني من الكتاب المطبوع) أهمية من وجهين : الأول أن تاريخ الغازي له تكملة تتضمن أوامر النبي ونواهي وكتبه ، وقد قال الواقدي إن ابن سعد استمد بكل ما وقعت عليه يده من الوثائق والأسانيد ، وأظهر حجة مما تقدم على ذلك أن تلك الأجزاء التي أضيفت لأول مرة من صفة أخلاق النبي وعلامات النبوة كانت مهيأة لما أنشئ بعد ذلك من الكتب في شمائل النبي والدلائل .

ويخطو هذا التطور بنا خطوة أخرى نحو توجيه

وهناك أجزاء متفرقة من روايات قبلية أخرى قد ظهر أمرها بين اللأ منها رواية باهلة المتصلة بحروب قتيبة بن مسلم ، فلها بتفاصيلها الجلية الشائقة وبالمجال الذي أفسحه للوقائع والحوادث البارزة تختلف اختلافاً بيناً عن اللدونات الشاملة للحوادث المربة على مقتضى السنين مما ألف في العصور التالية وفي هذا العصر : وهذه الروايات القبلية — على ما احتوته من روح التحيز وفي كونها لا تلزم غير صاحبها — لا يمكن القول بأن قيمتها التاريخية لا يقام لها وزن خصوصاً فيما تنطوي عليه من الإيضاح والتوير للعوامل والمؤثرات الداخلية التي سيطرت على أحوال القرن الأول من التاريخ الإسلامي : ثم إنه مما لا يجرى إغفاله أن تلك المجاميع تتصل بعلم الحديث من ناحية الشكل ومن ناحية المحافظة الدقيقة على مبدأ « الإسناد » وبداية هذا النشاط كانت تقرر باسم الشعبي أشهر هدى الكوفة (انظر هذه المادة) المتوفى حوالي سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) وليس فيها ما يدل على أثر مؤثر خارجي لاشكلا ولا موضوعاً .

وفي أوائل القرن الثالث اضطرد التقدم من جديد في طريق التأليف بوجه عام بفضل اتساع نطاق الحضارة المادية اتساعاً متوالياً وبفضل ظهور استعمال الورق الذي أسس أول مصنع له ببغداد سنة ١٧٨ هـ (٧٩٤ - ٧٩٥) فإن المخطوطات القديمة المصنوعة الأثنية واللغوية التي صُنفت منذ هذا العهد قد وصلت إلينا :

« Allgemeine Einführung in die arabischen Papyri »

فيما سنة ١٩٢٤ ، ص ٢٧ - ٣٠) ، ولذا كان محتملاً أن يكون المصنفون المتأخرون قد احتملوا على مواد من هذا القبيل في ترتيب مجموعة دقيقة للحوادث بحسب تسلسل الزمن ترتيباً تناول ذكر أسماء الولاة والحكام وأمرأه الحج وما جرى هذا المجرى عاماً فعاماً .

ولاستيفاء مثل هذا البيان الجامع لجأ المؤلفون إلى مواد روعى في جمعها التوثيق بين مناهج الرواة وقهاء اللغة . وقد كانت المنزلة الأولى بين تلك المواد للروايات الخاصة بالقبائل العربية في العراق ، وطائفة منها هي الروايات الخاصة بقبائل أزد التي جنمها هي وروايات أخرى أبو مخنف (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ١٥٧ هـ (٧٧٤ م) وقد تولى نقلها هشام الكلي (انظر فيما تقدم) ، وهي عبارة عن رواية الكوفة لجانب على ضد أهل الشام ، أما رواية كلب التي يوردها « عوانة بن الحكم » المتوفى سنة ١٤٧ هـ (٧٦٤ م) والتي نقلها هشام الكلي أيضاً فهي نزع ظاهرة ضد على لجانب أهل الشام (انظر فيما يتعلق بهذه المصادر : Wellhausen :

« Das arabische Reich Einleitung » وهناك رواية ثالثة لقبيلة عجم ، وقد تولى إذاعتها في الأفاق « سيف ابن عمر » (انظر هذه المادة) المتوفى حوالي سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) في صورة قصة تاريخية عن الغزوات تقوم إلى حد كبير على منظومات اتصلها بالقصة يشبه كثيراً ذلك الاتصال الذي نلاحظه في المنظومات الواردة فيما روى عن أيام العرب ،

فقد كان التأريخ من وجهة النظر الدينية ، مظهراً لتدبير إلهي غاية حكم الجنس البشري ؛ وبينما كانت الغاية من التأريخ ، في رأى الأجيال المتقدمة ، مقصورة على تدوين حوادثه خلال تعاقب الأديان الذين كان خاتمهم محمد ، إذا بجميع المذاهب الإسلامية قد اتفقت على أن الغاية من التأريخ لا تقتف عند هذا الحد . ففي مذاهب أهل السنة أن الأمة الإسلامية ، أى أمة الله ، هى التى يرتبط بها استمرار النظام الإلهي على الأرض ؛ لذا كانت دراسة تأريخ هذه الأمة تكملة ضرورية لدراسة الوحي الإلهي في القرآن والحديث ، أضفت إلى ذلك أن مذهب الاستمرار التاريخي كان أحد الأسس التى قامت عليها الفكرة السياسية الدينية عند أهل السنة ؛ وفق مذهب الشيعة ، أن الحكم الإلهي يستمر في سلسلة الأئمة ، وقد برهن الراوية الشيعي الوحيد بين الذين ذكروا حتى الآن ، وهو أبوحنيفة ، على أثر هذا الشاغل الديني بفرغه لكتابة تأريخ الحركات الشيعية في الكوفة . وأقوى من هذا دلالة على مكانة التأريخ من النظر الديني أن التقوى العمياء والجدل الديني كانا قد فصحا الباب لالروح التحيز والنقاش فحسب ، بل للأضاليل السافنة . ومن الأمثلة الملمحة على ذلك ما أورده سيف بن عمر في كتابه الثاني عن مقتل عثمان . ومن ثم غدا علم التأريخ جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية ، ففي البلاد الواقعة على البحر المتوسط أبدلت الروايات التاريخية القديمة بغيرها أو صيغت من جديد وفقاً للروح الإسلامية . وقد أعقب استقرار الإسلام في هذه

ولكن هذا الابتكار لم يقص من فوره على عادة تناقل مجموعات المواد بواسطة الرواة ، تلك الطريقة التى ظلت مرعية إلى نهاية القرن ، لذلك يشك في أن الشطر الأدنى من المائتين والثلاثين الرسالة المنسوبة إلى علي بن محمد المدائني (انظر هذه المادة) البصري المتوفى سنة ٢٢٥هـ (٨٤٠م) كتب في حياته فعلاً ؛ وما لاشك فيه أن قسماً كبيراً من هذه الرسائل لم يكن مجرد نسخ منقولة عن مجموعات أبي عبيدة ؛ على أن الأهم من ذلك هو مؤلفاته الكبيرة في تأريخ الخلافة ، ورسائله في تأريخ البصرة وغراسان ؛ ولما كان المدائني قد تناول جميع الروايات العراقية بأساليب النقد السليم الذى يمتشى ومذاهب أهل المدينة فقد اشتهر مصنفه بصدق الرواية ، وغدا بذلك المرجع الأول لمصنفات العصر التالي ، وقد أبدت التحقيقات الحديثة دقة هذا المرجع بوجه عام .

ويؤخذ من استعراض التطورات السالفة أن الحدث البارز فيها هو أن الأمة الإسلامية قد اكتسبت النزعة التاريخية ، وذلك على الرغم من عداء طائفة من رجال الدين المتقدمين للروايات التاريخية . ولا مراء في أن الحجة التاريخية الواردة في القرآن ، والزهر الذى ابتنته الفتوح الإسلامية الواسعة والمتناسات بين قبائل العرب ، كل أولئك قد ساعد على خلق تلك النزعة . ولكن الظاهرة البارزة التى قوامها أن جامعي الرواية التاريخية ، ما خلا الغويين منهم ، كانوا رجال دين وعلماء فحسب ، تحمل على الاعتقاد بوجود سبب أعنى لذلك الحدث ،

إلى العربية قبل ابن المقفع (انظر هذه المادة) المتوفى
حوالى سنة ١١٣٩هـ (٧٥٦م) يقرن وليفت ؟ وقد
أوضحنا فيما تقدم أن للمواد المستمدة من القصص
اليهودى والمسيحى كانت منذ أمد بعيد ، وقد وجدت
سبيلها إلى التاريخ العربى تحت ستار تفسير القرآن ،
وهو لم لم يكن فى صالحه تماماً ، كذلك كان أثر
الرواية الفارسية فيه شيئاً ، ذلك أنه عندما كان
هذا التاريخ تابياً لعلم الحديث كانت سرعة التصديق
الطبيعية عند الناس وما كان للذكريات العربية القديمة
من روعة فى نفوسهم قد أخضعنا لنوع من الاعياد على
التجربة واحترام أصول النقد ، وهما الشرطان
الجوهريان لأى تدوين صحيح للتاريخ ، ولكن لم يكد
التاريخ بما واز الميدان الإسلامى حتى عادت الصعوبة
القديمة فى التمييز بين العناصر الخرافية وشبه الخرافية
والتأريخية ، إلى الظهور ، يصاحبها الميل إلى تصديق
كل موضوع فى متناول الحاضر ، وهذا الميل قد
أذكاه طابع المصادر التى استمد منها المصنفون العرب
موادهم لتدوين التاريخ القديم لفارس وغيرها من
البلدان ، بل إن وخذائى نامه ، ذاتها كانت تشتمل
فى أقدم أجزائها على قصص تتناول أشخاصاً
خيالية (أسطورية) وعلى تأملات كهنوتية ،
وخرافات أبستاقية ، وذكريات عن قصة الإسكندر ،
وكثيراً ما كانت النزعة القصصية والبلاغية تطفئ
على الرواية الصحيحة فى الحديث عن ملوك آل سامان [

Das Iranische Nationalpos : Nooldelke ، الطبعة
الثانية سنة ١٩٢٠) وقد انتشرت الفهراسات اليونانية
بفضل نقل المؤلفات التى كتبت بجهل اللغة إلى

الأقطار الشرقية المتخفة التى لم يكن لديها تاريخ مكتوب
وكلنا فى إفريقيا القطرية التى لم تعرف التأليف
إطلافاً ، ظهور مؤلفات فى التأريخ ،

٤ - إن بداية التأليف التاريخى بمعناه الأعم ،
أى التوفيق بين المواد المستمدة من السيرة ، والرسائل
المتقدمة الذكر ، ومصادر أخرى بقية لإدماجها فى
رواية تأريخية متماسكة ، إنما ترجع إلى منتصف
القرن الثالث ، وأقدم مؤلف سار على هذا النهج
القديم هو أحمد بن يحيى البلاغى (انظر هذه
المادة) المتوفى عام ٢٧٩هـ (٨٩٢م) ، ولقد تلمذ
البلاغى على ابن مبعود والمدائنى ، وكتابه الكبيران
يشقان عن أثر هذين الأستاذين فى نفسه ، وعن
مزاج النقد فى عصره على أكمل وجه ، على أن
أسلوب التأليف الذى يتميز به ذلك العصر هو تاريخ
العالم الذى يبدأ بالحقيقة ويلخص تاريخ العالم فى إيجاز
أو إسهاب جاعلا هذا الملخص مقدمة للتاريخ
الإسلامى ذاته ، وليست هذه الفكرة جديدة ،
بل يرجع أن تكون توسعاً فى الفكرة التى ينطوى
عليها مؤلف ابن إسحاق وإلى ترى إلى ضم الشئ
الكثير من التاريخ الجاهلى إلى تاريخ الأمة الإسلامية ،
يبد أن تاريخ العالم ليس تاريخاً للكون بأصدق
معانى الكلمة ، فما إن يبدأ عصر ظهور الإسلام
حتى يفتى كل اهتمام للمؤلف بتاريخ الأمم الأخرى .

وفى هذه الآونة سارت الرواية الفارسية لأول
مرة (إلا فى كتاب هشام الكلبى) فى الاتجاه الرئيسى
لكتابة التاريخ العربى ، وذلك على الرغم من أن
كتاب الملوك (وخذائى نامه) الفارسمى كان قد نقل

من الجغرافيين أيضاً ، وقد حصلوا معارفهم الجغرافية من الرحلات البعيدة بوجه خاص ، ولا مزاء في أننا واجدوني في هذا التطور أثر ذلك التراث من الثقافة الهيلينية المتأخرة التي تغلغلت في جميع مناحي النشاط العقلي في الإسلام خلال القرنين الثاني والثالث . وقد كان لهذه الثقافة أثر أبعد من هذا بقليل في كتابة التاريخ . ولكن الصلة التي نشأت بين التأريخ وبين تقويم البلدان قد أبقي عليها مؤلفون متعاقبون إلى العصر الممالي (انظر مادة « جغرافيا ») .

عل أن هذه المواد الدخيلة لاجود لها — إذا استثنينا التأريخ القاموسي — في المؤلف الذي تبلغ فيه الرواية التاريخية القديمة أوجها ، ألا وهو « تأريخ الأمم والملوك » الشهير لمحمد بن جرير الطبري (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٢٣١٠هـ (٩٢٣م) ، ذلك أن الطبري كان يادئ ذي بدء محدثاً ، وقد روى في تأريخه إلى تكميل تفسيره للقرآن ، وذلك بعرضه الروايات التاريخية الإسلامية بنفس الإفاضة والتقدم التزيه للذين توخاها في مؤلفه السابق . والكتاب ، كما وصل إلينا ، واضح الإنجاز بالنسبة إلى مشروعه الأصلي الواسع النطاق ، وبينما يبدي المؤلف انتقاداته في الضمير صراحة نراه في التأريخ يشير إليها تلميحاً ، وكانت مواطن الضعف عنده هي ما يتوقع من محدث مثله — مثال ذلك إثارة لمصنف « سيف » للتحول للتأريخ على مصنف « الواقعي » بسبب ملحام حول الواقعي من شبهة بين المحدثين ، ولكن يتعين علينا — في أعاد هذه المواطن — أن ننوه براحته الفائقة

السريانية ، وأثار هذا الالتماش في الوقت نفسه اهتماماً بالتراث اليهودي والمسيحي واليوناني ، ولم يجد هذا الاهتمام متصرفاً إلا بالرجوع إلى مصادر لم تكن أعلى شأنًا من خطاي نامه ، مثل المصنف السرياني الموسوم بمغارة الكثر (معارف كثر) ومن هذه المصادر استمدت المواد التي نقلها إلى صلب التاريخ الإسلامي مصنفون مثل أبي حنيفة الدينوري (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٢٨٢هـ (٨٩٥م) وابن واضح اليقوي (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م) ومع ذلك فكتاب اليقوي من الإفاضة بحيث يشمل سكان الشمال وأهل الصين ، ولذلك فهو إلى موسوعة في التأريخ أقرب منه إلى كتاب في التأريخ العام . ومن هذا القبيل كتاب المعارف لرواية ابن قتيبة (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) وما وصل إلينا من المؤلفات القرن الثاني في التاريخ لحزمة الإصنهاني المتوفى حوالى عام ٣٦٠هـ (٩٧٠م) والمسعودي (انظر هذه المادة) المتوفى حوالى عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) . والحق إن المسعودي من أكبر مؤرخي العرب ، ولكن فقدان أكبر مصنفاته — التي ليست كتبه الباقية إلا تنقاً منها — يجعل من التمكن تكوين فكرة صادقة عن النهج الذي اتبعه فيها .

ويتضح جلياً من مثل هذه المؤلفات أن مادة عقلية جديدة قد دخلت على التأريخ العربي ، وفي وسعنا أن نقول إن هذه المادة هي الرغبة في المعرفة لذاتها ، وما له دلالة أن كتاباً مثل اليقوي والمسعودي لم يكونوا مؤرخين فحسب بل كانوا

المصنف يحتوي على نفس المواد المميزة للتواريخ العامة المتقدمة الذكر ، ولكنه يفتقر إلى ما فيها من النقد الصحيح ، ويحشد أخبار الفترات على رواية أهل المدينة والروايات المحلية التي لا يوثق بها ، أما للمدخل إلى الكتاب فليس مستمداً من مواد مصرية أصلية بل هو على الأخص مستمد من مصادر يهودية وروايات منقولة عن أهل المدينة ، ويلاحظ ذلك للزج الخاطئ من التقديس السير الشراعية وبين روايات صحيحة نوعاً ما في تاريخ الأندلس المنسوب إلى عبد الملك بن حبيب (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٨٢٣٨ (٨٥٣ م) وفي الكتاب الجامع لأخبار اليمن الموسم بالإكليل للهملاني (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٨٣٣ (٩٤٥-٩٤٦ م) ، وربما كانت التواريخ المحلية التي ألفت عن بعض المدن خلال القرن الثالث أكثر اتزاناً ودقة ، ولم يبق منها سوى مجلد واحد في تاريخ بغداد (انظر ابن أبي طاهر طيفور) ، وفي القرون التالية ظهر عدد كبير من هذه التواريخ ، وكانت تتجه عادة وجهتين تبعاً لاهتمام المؤلف ، فلما إلى السير وإما إلى الحوادث التاريخية (انظر بقرة ، في أسفها) ، والمصنفات التي وصلت إلينا من هذا النوع الأخير لا تخلو دوماً من العناصر الخيالية ، غير أن فيها كثيراً من المواد القيمة التي استبعدت من التواريخ الجامعة ، ومن هنا نشأت أهميتها الكبيرة (انظر على سبيل المثال: الرششي ، وابن القوطية ، وعمارة ، وابن إسفنديار) . ولما كانت هذه التواريخ في مجملها تتمشى من حيث الإنشاء وطريقة الأداء مع

فيما بقي من الكتاب الذي كان ، مما امتاز به من حجبية وإفاضة ، رمزاً لختم عصر من عصور التأريخ : ولم يكن أحد من المصنفين المتأخرين بأن يجمع ويحقق من جديد المواد المتصلة بالتأريخ الإسلامي القديم ، وإنما كانت هذه المواد تلخص عن الطبري ويزاد عليها أحياناً من البلاذري ، أو يبدأ بها من حيث انتهى الطبري ،

وقد لفت ضعف القسم الأخير من تأريخ الطبري الأنظار إلى أن معالجة التأريخ بالاحتماد على الرواية وحدها لا تكفي . وقد جعل نظام النواوين العمل ورجال البلاط في مقدمة من يرجع إليهم في تدوين التأريخ السياسي ، ونحى رجال الدين إلى المرتبة الثانية ، ولهذا السبب أيضاً يمد القرن الثالث خامسة طور خاص في كتابة التأريخ العربي (ب) وما إن اعتبر التأريخ طملاً مستقلاً حتى نعد ينمو بسرعة ، وكثرت المؤلفات التاريخية بين القرنين الثالث والسادس كثرة يستحيل معها أن نلم بها في إسهاب ، ولذلك فسكتني بتلخيص أهم إنجازاتها ،

١ - كان علماء كل إقليم قد شرحوا منذ القرن الثالث في جميع الروايات التاريخية التي تتصل بتاريخهم ، وإذا استثنينا كتاباً في تأريخ مكة (انظر الأزرقي) تمت في جوهره إلى ما ألف في السيرة ، فإن أقدم تأريخ لقطر من الأقطار هو تأريخ مصر وفتوح المغرب الذي ألقه عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم (انظر هذه المادة) المتوفى ٨٢٥٧ (٨٧١ م) ، وما هو خليف بالذكر أن هذا

ما هو مأروف في الإقليم الذي تحدث عنه وفي الزمان الذي كتبت فيه فإنه ينبغي لنا ألا نتناولها بأكثر من ذلك في هذا المقام ، وحسبنا أن ننوه بأنها توفت قسماً هاماً من أقسام التأريخ الإسلامى سواء أكان مكتوباً بالعربية أم بالفارسية .

٢ - هل أنه من المتعذر أن تميز بين التاريخ العام والتاريخ الإقليمى بعد منتصف القرن الرابع ؟ ومن ثم كانت الصفة الغالبة على التصنيف التاريخى البحث هي كتابة الحوليات المعاصرة مع التقديم لها في الغالب بموجز في التأريخ العام . ولم يصبح في وسع مؤلف هذه الحوليات أن يجعل أغراضه ورواياته عالمية ، فكل مؤلف مقيد بحدود النظام السياسى الذى يعيش في كنفه ، ويندر أن يوفق إلى معالجة حوادث تجرى في أقاليم بعيدة عنه . ولكن إلى أى حد يمكننا أن نعتبر هذا التقييد مقابلاً في الحياة العقلية لفقدان الوحدة السياسية عند المسلمين ؟ الحق إنها مسألة مازالت مثاراً للجدل ؟ إلا أن هناك عاملاً أهم من ذلك في نظرنا ألا وهو أن تدوين التأريخ السياسى قد انتقل في الغالب إلى أيدي العمال ورجال البلاط ، وقد أثر هذا التغير في أسلوبه ومادته وروحه ، وقد كان تدوين الحوادث الجارية ميسوراً لدى الكتاب المنكبين ولائماً لطبيعتهم ، وكانت المصادر التى يستقون منها معلوماتهم هي الوثائق الرسمية والصلات الشخصية وما يدور بين العمال وفي دوائر البلاط من أحاديث ، ولهذا السبب اختصر الإسناد إلى حد الاكتفاء بإشارة موجزة لهذا المصدر ، بل إن بعض المصنفين المتأخرين قد

استغنوا عنه كلية في كثير من الأحيان . ولكن لم يكن هناك مناص من أن يبدو في روايتهم الحوادث ما عرف عن طبقهم من التحيز والنظر إلى المسائل الاجتماعية والسياسية والدينية نظرة ضيقة ، ويحل المؤلفون جانباً تلك الفكرة الدينية القديمة التى أضفت على التأريخ رحيته وروحه ، وأدخلت الحوليات تمنحج إلى الاختصار على ذكر ما يفعله الأمير وما تقوم به حاشيته . ونجد من جهة أخرى أن ما يصنفه الكتاب عن الحوادث السياسية الظاهرة موثوق به - على الجملة - مع مراعاة ما يقيد به كاتب في ختمه . أمير : فالتأريخ المعاصرة لابن مسكويه (انظر هذه المادة) للمتوفى عام ٥٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ولجلال الصائغ (انظر مادة « الصائغ ») المتوفى عام ٥٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) فيها أثر ينسب بأن هذين الكاتبين قد لحكما الأخذ بمعيار الثقة ونحوهما - إلى أحد ما - من سلطان التحيز السياسى : وما يثبت أن الكتاب كافة قد أدخلوا بهذا المعيار ما بقى لنا من مثل كتابي تأريخ مصر والأندلس اللذين ألفهما هيبند الله ابن أحمد المسمى المتوفى عام ٥٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) وابن حبان القرطبي المتوفى عام ٥٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م) -

١٠٧٧ م)

وكان لضيق التأريخ بالصيغة المدنية أثر آخر خطير . فقد استعاض المؤرخون عن المبررات الدينية القديمة بالدعوة إلى القيمة الأخلاقية للرسالة التأريخية ، فهو عندهم يرد ذكر الفعل الطيبة ويبسطها أمثالا نافعة في تربية الأجيال القادمة (انظر مقدمة كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه)

للقديمة بعد تحويله إلى حواريات عن البيوت المألكة ،
 لأن سير العلماء «ورقة النبي» كانت في نظر
 المتعلمين أصدق تعبيراً عن التأريخ الحق لأمة الله
 على الأرض من النظم السياسية الزائلة التي تشوبها
 الوثنية في بعض الأحيان ، وكانت المواد المتعلقة
 بالشخصيات البارزة موضوعاً منذ القدم لمجموعات
 قائمة بذاتها إلى جانب طبقات المحدثين والفقهاء
 المنتمين إلى هذا المذهب أو ذلك ، وهذه الطبقات
 تقوم على عمل في وينظر أن تأخذ سمته السير في
 معناها الصحيح ، ومن أقدم ما وصل إلينا من هذه
 المصنفات سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز التي
 ألفها نحو ابن عبد الحكم المتقدم الذكر ، ومن
 الواضح أنها تستند في بعض أجزائها إلى وثائق
 مكتوبة وفي أجزائها الأخرى إلى رواية أهل التقوى
 ولاسيما في المدينة ، بيد أن هذه المصنفات تتناول
 سفي أغلب الأحيان سفيرياً أوطبقه بأسرها من الناس ،
 ففي المقامات الصوفية - على سبيل المثال - وضعت
 مصنفات كثيرة في سير الأولياء وأخصها المؤلف
 الكبير «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني المتوفى
 سنة ٥٤٣٠هـ (١١٠٣٨م) ، أما عند الشيعة فلم يقتصر
 الأمر على الكتب الموضوعة عن فقهاء الشيعة
 ومصنفاتهم (انظر الطوسي) وإنما وجدت كتب
 كثيرة أخرى عن الاستشهاد في بيت علي . وبما يميز
 هذه الحقبة معاجم تراجم العلماء ومشاهير الرجال
 اللذين خرجوا من مدينة أو إقليم واحد ، والمؤلف
 أن تكون هذه المعاجم كبيرة ضخمة يؤلفها علماء
 من نفس المدينة أو الإقليم ، ومن هذا القبيل معجم

ومقدمة كتاب الوزراء لجلال الصانم : وقد صادفت
 هذه الدعوة قبولاً تاماً لدى جبهة علماء الأخلاق
 ورجال الأدب ، لأنه إذا كان التأريخ فرعاً من
 فروع الأخلاق وليس علماً من العلوم فإنه لا ينبغي
 للمؤرخين أن يرددوا في تكييف أمثالهم التاريخية
 بما يوائم أغراضهم : وقد ذهبت كتب الأدب
 ومرايا الأمراء الطافحة بمثل هذه الضلالات
 مدى بعيداً في إفساد ذوق الجمهور ومملكة الحكم
 عنده ، بل إن بعض المؤرخين والإخباريين لم
 يسلموا دائماً من هذه الدوى .

٣ - ولندكر في هذا المقام تلك الأنساب
 التاريخية العديدة التي أثبتت في هذا العهد أو في
 تأريخ متأخر عنه : ولم يكن جل هذه المقتريات
 هيض اختلاق بل كان يستند إلى أساس من الرواية
 الصحيحة مزج بصنوف الروايات الشعبية والقصص
 الخيالي وموارد الدعاة والحزبية ، وكان يرى في
 الغالب إلى هدف سياسي أوديني معين (انظر على
 سبيل المثال مواد ابن أعم وابن قتيبة والمرغني
 والأشرف والواقدي) شأنه في كل ذلك شأن
 مؤلفات سيف بن عمر المتقدمة الذكر (فقرة ١٣) ،
 أعلاها ،

٤ - على الرغم من أن الفقه والحديث قد
 تبعيا أعمال الديوان من مكانهما في تلوين التأريخ
 السياسي فقد ظلّا مستأثرين بكتابة السير التي هي
 أوسع مجالاً من ذلك التأريخ . وكانت كتابة السير
 - كما قلنا - ضرباً من الرواية القديمة ، ولا شك
 في أن التأريخ السياسي كان أكثر إخلاصاً لفكرة

وكل هذه الكتب التي وضعت في التراجم تتميز هي والتراجم الإسلامية المتأخرة بخصائص مشتركة . فهي تعنى في الغالب بطريقة الإسناد ، وتؤرخ الحوادث - ولاسيما تأريخ الوفاة - بدقة فائقة ، وتورد أهم ما يكتنف حياة المُرجم له في إنجازها ولا تخرج الإشارات المختصرة عن هذه الخصائص مضافاً إليها بيانات بأسماء المؤلفات إذا كان للمُرجم له كاتِباً ، ومقتطفات من الشعر إذا كان شاعراً ، وجل مادة التراجم نوارد لم يراع في ترتيبها التأريخ أو الموضوع ، وليراز شخصية المُرجم على هذا النمط يترك في الأذهان أثراً واضحاً في غالب الأحيان ، إلا أنه يكون في بعضها مضطرباً وبخاصة إذا لم يوجد ما يؤيد صحة هذه النوارد . ومع ذلك فإن هذا الصنف من التأليف - رغم كل ما يري به من اطمئنان للأقوال وعدم السير على قاعده ما - يعتبر مكملاً قيماً للحوليات السياسية مصححاً لها بحكم قربه من حياة الناس :

• - ولقد امتزج التأريخ بالتراجم في عهد متقدم ، وشاهد ذلك تلك التواريخ التي تقوم على السير . وكان هذا الأسلوب في التأليف ملائماً كل الملاصقة لأولئك الذين كتبوا تواريخ الوزراء مثل محمد بن عبدوس الجهنيشياري المتوفى سنة ٨٣٣١ هـ (٩٤٧-٩٤٣ م) وهلال الصائفي المتوفى عام ٨٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) وقد سبق أن تحدثنا عنه ، وعلى ابن منجيب الصيرفي المتوفى عام ٨٥٤٧ هـ (١١٤٧ - ١١٤٨ م) وهو الذي حدثنا عن وزراء الخلفاء الفاطميين ، كما كان ملائماً لأولئك الذين صنفوا تواريخ القضاة ، ومن أقدم التواريخ التي من هذا

النحيط البغدادي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) الذي يقع في أربعة عشر مجلداً ، ومعظم هذه المؤلفات لم يبق منه شيء إلا التأريخ الكبير لممشق الذي وضعه ابن حساكر (انظر هذه المادة) للمتوفى عام ٨٥٧١ هـ (١١٧٦ م) وسلسلة من التراجم الأندلسية (انظر ابن القزويني وابن بشكوك وابن الأثير) وبعض للمعاجم المختصرة ، ولعل تأريخ دمشق هو أكمل المؤلفات العربية للجامعة التي من نوعه :

وكانت كتب التراجم تستقى من مراجع أخرى أيضاً ، وهذه الكتب غزيرة المادة كما كان متوقفاً ، وهي تتزود من فقه اللغة عنه الضيق ومن فروعه الأخرى التي تنجح إلى الأدب ، ومن للصفحة الأول ما أنتجه الكتاب من طبقات النحاة وتراجم أكابر الفقهاء ، ومن الصنف الثاني ما ألقه المصنفون من كتب جامعة عن الشعراء ورجال الأدب (انظر ابن كتيبة والعمالي) ، وقد أفردت مصنفات من هذا القبيل لأصحاب الحرف الأخرى كالأطباء والفلكيين . وكان فن الموسيقى باعثاً على تصنيف أعظم مؤلف عربي في التراجم في القرون الأولى ألا وهو كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصصهاني (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٨٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) ، ويبدو من جهة أخرى أنه لم يكن هناك إقبال من الكتاب على أن يترجموا لأنفسهم . ولم يبق من آثار ذلك العهد سوى رسالتين للمؤيد في الدين (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٨٤٧٠ هـ (١٠٨٧ م) وأسامة بن مرشد بن منقل (انظر هذه المادة) لمتوفى سنة ٨٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) .

التي كانت في ذلك الوقت آخذة في الظهور (انظر دقيقى والقردوسى) ، ولئن أمكن تبرة مولقى التاريخ الرسمية من الكذب المتعمد أو من أكثر لأدواء شيوعاً - ونفى بذلك الخضوع وإخفاء الحقائق - فإننا لانتمى أن نتجاهم الطعنة وانقارهم إلى الحكم السليم بترك آثاراً سبباً في النفس : ومن سوء الطالع أن ما كان لبعض هذه التواريخ من صيت بعيد في أوساط الأدباء وتوالى صدور مثل هذه التواريخ قد أدبنا إلى اعتبارها عودجاً للتأريخ الإسلامى بوجه عام . غير أن هذه النظرة لاتنصف تماماً ذلك العلم الذى أقامته الأجيال الأولى من علماء المسلمين في صبر وجلد :

٦ - وفي هذه الظروف غير الملائمة شرع في كتابة المصنفات التأريخية من جديد باللغة الفارسية . وما تجلر ملاحظته أن كثيراً من أقدم ما ظهر من المصنفات كان منقولا من الكتب العربية أو موجزاً لها . وأول هذه المصنفات ذلك التلخيص المشوب بالتسفس الذى أعده الوزير أبو على البلىعى (انظر هذه المادة) عام ٣٥٢ هـ لتأريخ الطبرى ، وهذا الموجز لا يخلو من زيادات هامة في كثير من الأحيان (انظر الكرديزى) ، ولم يصل إلينا سوى بعض التواريخ المحلية وتواريخ البيوت الحاكمة التى كتبت بالفارسية في ذلك العهد ، وليس في هذه التواريخ من السمات التى تميزها عن المؤلفات العربية المعاصرة في ولايات المشرق إلا القليل . ويلاحظ أن كثيراً من الكتاب مثل التسوسى (انظر هذه المادة) كانوا يجارون الظروف فيكتبون حيناً بالعربية وحيناً آخر

القبيل ماكتبه محمد بن يوسف الكندلى المتوفى عام ٨٣٥ هـ (٩٦١ م) عن قضاة مصر ، وما كتب محمد ابن الحارث الخششى المتوفى عام ٨٣٦ هـ (٩٧٠ - ٩٧١ م) عن قضاة قرطبة .

وقد نهج الصولى المتوفى سنة ٨٣٥ هـ (٩٤٦ م) نهجاً خاصاً في « كتاب الأوداق » الذى ألفه في تأريخ العباسيين ، إذ جمع بين الرأى السياسية والرأى الأدبية . ولما قامت البيوت الحاكمة في مختلف الأقاليم طبقت عليها هذه الطريقة حتى حلت الخواريات الخاصة بهذه البيوت في القرنين الخامس والسادس محل الخواريات القائمة على الرواية ، وذلك في ولايات المشرق على الأقل . وكانت هذه الخطوة بالغة الضرر ، لأن تعظيم العنصر الشخصى قد زاد من أهمية العوامل الشخصية ولاسيما عندما شرع الحكام أنفسهم يتحكمون في كتابة تواريخ عصرهم ويشرفون عليها . وبذلك أضحت التأريخ عملاً يسوده التلفيق ، وحل أسلوب رسائل الكتاب (انظر مادة سجع) القائم على البلاغة والتعقيد على الأسلوب السهل البسيط . ويظهر أن لإبراهيم الصبائى (انظر مادة « صبائى ») المتوفى عام ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) هو أول من اتبع النهج الجديد في مصنفه المفقود الذى ألفه في تأريخ البريين ويعرف بالتلجى ، وقد عمم العتبى (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) هذا النهج في المصنف المشابه لهذا ألا وهو « البهى » في تأريخ سبكتكين وعمود الغزنوى . ولعل لهذا صلة ببهضة اللغة الفارسية والرواية التاريخية الفارسية (انظر فقرة ١ ، أعلاها) في المشرق ، بل ربما كان هناك أثر للملحة الفارسية

الأثار القديمة أظهر من ميله إلى التأريخ بمعناه الدقيق . إذ هو قد اقتصار على الكلام على مساكن القبائل العربية في أوطانها الجديدة : ومن الحل أن هذا التأليف الموسوم بالخطط قد ظهر في العراق ، وأهم كتاب في الخطط قد فقد ، وهو للهيم بن عدي المتوفى عام ٢٠٧ هـ (٨٢٢ - ٨٢٣ م) ، وقد لقي هذا الصنف من التأليف عناية خاصة لدى كتاب مصر .

ثم نذكر أخيراً أن انتشار اللغة العربية بين جماعات النصارى في المشرق قد أدى إلى تأليف كتب عربية في تاريخ الكنائس النصرانية ، وهذه الكتب تشتمل أحياناً على تاريخ البيزنطيين والعرب وأشهر من ألف كتباً من هذا القبيل البطريق الملكاني يوتخيوس (انظر هذه المادة) والأسقف اليعقوبي أبو البشر (Severus ساويرس) ابن المنفع (انظر هذه المادة) : وهناك مؤلف صحيح في هذا الميدان ألا وهو تاريخ الديارات النصرانية في مصر وغربي آسية الذي ألفه الكاتب المسلم علي بن محمد الشافعي المتوفى عام ٣٣٨ هـ (٩٩٨ م) ، ج - ويزداد التباعد بين التأريخ العربي

والفارسي ابتداء من القرن السادس الهجري الموافق الثاني عشر الميلادي ، وتمت بفتح المغول الخطوة النهائية في سبيل حلول اللغة الفارسية محل اللغة العربية في ميدان الثقافة الفارسية التركية ، وقد انتشرت هذه الثقافة في الوقت نفسه نتيجة للتوسع الإسلامي في جميع هذه الأقاليم . ومع ذلك فقد زابد الإنتاج في التأريخ العربي ، ولم يعد في وسعنا إزاء هذه الكثرة

بالفارسية : هير أن هناك مثلاً بارزاً خرج على المألوف في هذه المصنفات وهو تلك اليوميات الكاملة الخالية من الموى الخزي التي ألفها أبو الفضل البيهقي المتوفى عام ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) ، وهذا الكتاب نسيج وحده بين ما وصل إلينا من المؤلفات التي ترجع إلى ما قبل العهد المغولي . وقد نهضت اللغة الفارسية وبدأت تصبح لغة أدب في عهد الأسر التي حكمت فارس في القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي ، ومعظم الفضل راجع إلى أحكام الأتراك في القرون التالية ، الذين كانوا لا يعرفون اللغة العربية بوجه عام ، وقد نقلوا اللغة الفارسية إلى البلاد التي غزوها ، وكانت فتوحاتهم تمتد غرباً إلى الأناضول وشرقاً إلى الهند ، وما إن وافي القرن السادس على التمام (القرن الثاني عشر الميلادي) حتى بدأت التواريخ الفارسية تدون في هذه البلاد ، فكان في آسية الصغرى محمد بن الراوندي حوالي عام ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) وفي الهند فخر الدين مبارك شاه المتوفى بعد عام ٦٠٢ هـ (١٢٠٦ م) وهو جد ذلك الفرع الطويل من المؤرخين الهند القرس .

٧ - وينبغي لنا قبل أن ننقل إلى الحقبة التالية أن نشير في إيجاز إلى فرعين آخرين من فروع التأليف المتصل بالتاريخ . فقد استغلخت العلوم الرياضية والفلكية في تأريخ الحوادث ، ونجد شواهد ذلك في عديمات قديمة : وخلقت لنا هذه الطريقة أثراً بارزاً هو كتاب « الآثار الباقية » لأبي الریحان البيروني (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) ، أما الفرع الآخر فيله إلى

واللهي وابن دقاق) تغطي أخبار الرويات على الحوادث السياسية حتى لتتبادل هذه وتقتصر في الغالب على جعل قليلة مقتضبة: والأمر على عكس ذلك في تاريخ الكامل المشهور الذي ألفه عز الدين ابن الأثير (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م) : ويتميز هذا الكتاب بما يملكه المؤلف من محاولة سرد التاريخ بأسلوب يجعله أقرب إلى الحياة منه إلى الجمود : وآية ذلك أنه حشد الحوادث في روايات وأدخلها جميعاً في إطار من الحوادث : ولئن كشف القميص القيق عن أن هناك عيوباً في طريقة تناول ابن الأثير لمواد كتابه فإن رشاقة هذا الكتاب وما امتاز به من إشراق قد أكسبها شهرة باكورة ، وجعلنا منه ذلك المرجع العبداء الذي استقى منه المصنفون المتأخرون .

وقد يجعل بنا أن نذهب إلى أن إحياء فكرة الخلافة على الناس كافة كانت من بين الأسباب التي أوحى بهذا الاتجاه العالمي ، ولكن جمهرة من المؤرخين المتأخرين بالغوا في احتذاء هذا المثل ، وأكثر هؤلاء يعتمد اعتماداً كبيراً على ابن الأثير (انظر ابن واصل ، وسبط ابن الخوزي ، وابن العبري ، وأبي الفداء ، ويبرس بن التصوري ، وابن كثير ، والياقبي) ولو أنهم كانوا يكملون مقتضايتهم بمواد علمية وأخرى أحدث عهداً . وقد أبدى بعض المؤلفين شيئاً من الاستقلال ، وشاهد ذلك تلك الحوليات التي ألفها صاحب الموسوعة للمصري شهاب الدين التويري (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) وابن القرات (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) ،

البالغة في المواد إلا أن تعالج التاريخ العربي (١) والنفارسي (٢) كلا على حدة .

١ - ولقد اختلفت جل المؤلفات التاريخية في ذلك العهد نفس السبل التي توجهت إليها من قبل ، وهي تتميز في الوقت نفسه بمجماع من المبادئ الجديدة ، وأبرز هذه التغيرات ما طرأ على العلاقات بين التراجم والأخبار السياسية من جهة وما انتاب مادة التواريخ العامة من جهة أخرى . أما العوامل الكامنة التي أفضت إلى هذا التطور فهي ظهور العالم المؤرخ ثانية إلى جانب المؤرخ الرسمي فيما يخص بالأولى ، وانتقال مركز النشاط في التاريخ العربي من العراق إلى الشام ثم إلى مصر فيما يخص بالثانية .

٢ - وأهم ظواهر العهد الجديد في كتابة الحوليات عودة المصنفين إلى التأليف في التاريخ العام الذي يبدأ بخلق العالم أو التأليف في التاريخ العام الذي يبدأ بظهور الإسلام ، وهو الأغلب ، وبذلك انتعشت تلك النظرة القديمة الإنسانية التي تقوم على أن التاريخ هو حوليات عن البشر ، ولو أنه لم يتم بأي تحقيق جديد لتاريخ القرون الأولى . زد على هذا أن اتجاه العالم يبدى في ذلك الجهد الذي أُنفق في سبيل الجمع بين الحوليات السياسية والحوليات القائمة على التراجم ، وهو أمر مشاهد في الأخبار المحلية المتقدمة مثل تاريخ دمشق لابن القلانسي (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) . ولا شك في أن الحيز النسبي الذي يفرده المؤلف لهذه الحوليات أو تلك يتبع هواه . ففي بعض التواريخ (انظر ابن الخوزي

التأريخ في تركية حيث ترجمت المقدمة في القرن السابع الهجري الموافق الثامن عشر الميلادي .

٢ - وقد ظهر إلى جانب التأريخ العامة عدد كبير من التأريخ المكتوبة عن الأقاليم أو عن الأسر المملوكة أو في التراجم ، وجل هذه المؤلفات كتبها أولئك الذين صنفوا التأريخ العامة ، وذهبت فتوحات المغول بريح الثقافة العربية في فارس والعراق ولم يبق من آثارها - بعد أن ظهر تأريخ العباسيين المفقود الذي ألفه تاج الدين بن الساعي المتوفى عام ٨٦٧٤هـ (١٢٧٥م) - سوى مصنفات قليلة تتطوى على بعض تأريخ وغتصرات ضئيلة القيمة (انظر ابن الطقطقي) ، ومع هذا فإن مركز التأريخ العربي كان قد انتقل قبل ذلك إلى الشام حيث كان قيام دولتي بني زنكي وبني أيوب قد حفر المهمل إلى تأليف سلسلة من التأريخ ، وكان ممن اجتلبهم إلى هذا اللون من التصنيف عماد الدين الإصفهاني (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٥٩٧هـ (١٢٠١م) وهو آخر من يمثل مدرسة فارس والعراق التي تؤثر الكتابة المسجوعة . غير أن الشاكسين نبهوا ذلك الأسلوب المثلثور المنقذ وفضلوا عليه نثرأ أكثر استقامة وقرباً من الطبيعة ، وهو أمر عاد على التأريخ العربي فيها بعد بأجزل التواليد ، وإن ما صنفه بهاء الدين بن شلداد (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٨٦٣٧هـ (١٢٣٤م) وأبو شامة (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٦٦هـ (١٢٦٨م) في التراجم ليقوق ما صنفه عماد الدين في نفس الموضوع بمراحل .

وقد سار جرجيس المكي النصراني (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٦٧٢هـ (١٢٧٣م) على نهج يوليقيوس (انظر فقرة ب ٧) ومع ذلك فإن أهم التأريخ العامة المتأخرة من جهة علم تدوين التأريخ هي ما كتب في الأندلس والمغرب : وإذا قارنا المؤرخين في المغرب بما صنفهم في المشرق ألقينا أن تصور أولئك للتأريخ أوسع أمقاً ونظرتهم له أقل هوى : ولم يبق من التأريخ العديدة التي صنفها ابن سعيد المغربي (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٦٧٣هـ (١٢٧٤م) سوى أجزاء متفرقة لكنها كافية للدلالة على أنه احمد فيها على نسخ كثيرة موثوق بها من عدة مؤلفات قديمة ، وكان ابن سعيد هذا وجلاً كبير الرحلة لا بكل دؤوباً على البحث لا يتصور عزيمته ومن .

وليس في مقدورنا أن نوفي في هذا المقام الكلام على تأريخ عبد الرحمن بن خلدون (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٠٨هـ (١٤٠٦م) الذي ذاع صيته في الخلفين ، وهو راوية للأخبار لا ترضى عن روايته في بعض الأحيان ، ولم تقل بعد الكلمة الأخيرة عن مكانته بين الفلاسفة المؤرخين على الرغم من وفرة ما كتب في هذا الصدد ، وهناك مسألة ما زالت مستغلفة من وجهة نظر علم تدوين التأريخ عند المسلمين ، وهذه المسألة هي أنه لا يوجد ما يدل على أن أحداً من خلفاء ابن خلدون قد درس أو طبق المبادئ التي أفاضها على الرغم من تألق نجم مدرسة المؤرخين المصريين في القرون التالية وانصراف المهمل إلى

وما إن واثى القرن الأخير من حكم المالك حتى ظهرت مدونة مصرية متميزة من المؤرخين تخرج فيها نخبة ممتازة من الكتاب إلا أنها لم تلبث أن انهار صرحها فجأة ، وتبدأ هذه النخبة بتقويض الدين القريزي (انظر هذه المادة) صاحب التصانيف الكثيرة المتوفى عام ٨٤٥ هـ (١٤٤٢ م) ومنافسه العيني (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) ثم يأتي بعدهما تلميذ القريزي أبو الحسن بن تفرى (تري) برى (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) ومنافسه على بن داود الجوهري المتوفى عام ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ - ١٤٩٥ م) وخمس الدين السخاوي المتوفى عام ٩٠٢ هـ (١٤٩٧ م) والكتاب المتفق في علوم جملة جلال الدين السيوطي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) وتلميذه ابن رياس (انظر هذه المادة) المتوفى حوالى عام ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) .

وظهر في القرن التالي مؤرخ آخر الفتح العناني هو أحمد بن زُنَيْكَل المتوفى بعد عام ٩٥١ هـ (١٥٤٤ م) إلا أنه كان يبيع ملحقاً في الرواية مختلطاً ، وعلى الرغم من أن هؤلاء الكتاب قد وقعوا في كثير من الأخطاء التي وقع فيها أولئك الذين ألفوا الحوليات السياسية الأولى إلا أن الخرافات السالمة ورجل البلاط في زمرتهم وتناوبها على التصنيف قد جعل هذه التواريخ أوسع أفقاً وأصح حكماً ، وباعد بينها وبين المديح كثيراً . وأظهر ما في مؤلفاتهم أنها تقتصر على مصر إلى حد أن أولئك الذين صاغوا مؤلفاتهم على

والحق إن التواريخ المسجوعة كانت تعود إلى الظهور بين الحين والحين ، بل إن الكاتب المصري ابن عبد الظاهر (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٩٩٢ هـ (١٢٩٣ م) قد ابتدع أسلوباً جديداً بتأليفه تاريخ السلطان يبرس شعراً ، غير أنه من الواضح أن هذا التطور لا يعزى إلى أي مؤثر خارجي ، شأنه في ذلك شأن استخدام المشقشق بلر الدين بن حبيب (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٣٧ م) المسجع في تاريخه ، ولكن السيرة المسجوعة المشهورة التي نظمها ابن عريشة دمشق (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م) في مجاهد تيمور هي بلون ريب متأثرة بالكتابات القارسية المعاصرة (انظر قرة ٢) ٢ أسفله) ، ونجد من جهة أخرى أن تاريخ البلاغة على عهد الفاطميين الذي ألفه الداعي أبي عماد الدين لإدريس بن الحسن المتوفى عام ٨٦٢ هـ (١٤٦٧ م) ومياه حيون الأخبار هو كتاب يشمر قارئوه شعوراً عجيباً بأنه يشبه أن يكون صدى متأخراً للرواية الساسانية القديمة (انظر قرة ١) ٤ ، وقد صلو المالك سيرة أسلافهم الأيوبيين وشملوا برعايتهم كتاب التاريخ ، وظلت دمشق وحلب مقرين لرواة بعيدى الهمة ، وإن كانت الثانية لا تستطيع أن تجارى الأولى في هذا المضمار ، وعلى الرغم من أنه كانت هناك بعض الصلة المتبادلة بين رواية القاهرة ورواية هاتين للمبتدئين فإن هذه الرواية كانت تتميز بشيء من الاستقلال وخاصة في باب العراج (انظر قرة ٣ في آخرها)

ابن الخطيب إن لم يبقه في مضمار التاريخ اتقام على التقدير ، وهذا الحكم مبنى على المؤلفات التي بقيت في أيدينا لكليهما .

٣ - على الرغم من أن هم الكتاب قد انصرفت انصرافاً عظيماً إلى التاريخ السياسي فإن نبوغ العرب الحقيقي في علم تدوين التاريخ يتجلى في كتابة السير أكثر من تجليه في رواية الأخبار . ولقد كان الجمع بين التراجيم وبين الحوليات السياسية - سواء أكانت عامة أم عليية - عملاً كاد ينسقد عليه إجماع مؤرخي العرب في ذلك العهد كما سبق أن بيناه وبقى علينا الآن أن نبعث في تلك الطاقة الكبيرة من المؤلفات الموقوفة على ما لا يدخل في باب التراجيم السياسية :

في خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي بلغ الميل إلى التخصص الذي ظهر في العهد السابق (انظر فقرة ب ، ٤) أقصاه بتأليف طائفة من المجموعات في التراجيم لها شأن خاص . فقد ألم ياقوت الروي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٥٦٦ هـ (١٢٢٩ م) بسنة قرون مرت على الأدب العربي في كتابه « إرشاد الأريب » . وقد صور لنا ابن القفطي المصري (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٥٩٤ هـ (١٢٤٨ م) وابن أبي أصيبعة الدمشقي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٥٦٨ هـ (١٢٧٠ م) في مجيئهما كل ما أتفق المسلمون الأولون من جهد في الطب والعلوم . ولم ينقطع التأليف في تراجيم من خرجوا من إقليم واحد ، وشاهد ذلك تأريخ حلب الذي ألّفه القاضي كمال الدين (انظر هذه المادة) ابن العديم

نسق التواريخ العامة قد جعلوها ضمن إطار مصري صميم . وأبرز كاتب جرى هذا المجرى هو المقرئى . ولا ترجع مكانته إلى دفته التي لم تكن معصومة من الزلل بقدر ما ترجع إلى دأبه ومثابرته وتشعب أغراضه وعنايته بوجوه التاريخ التي تتجنى إلى الاجتناع والإحصاء .

وتختلف كتابات المؤرخين اللذين كتبوا عن الأقاليم عن مؤلفات هؤلاء من حيث النطاق أكثر من اختلافها معها في المنهج أو فيما تقوم عليه شخصية الكاتب . فالمصنفات اليمنية التي ألفها ابن وهّاس الخورجى المتوفى عام ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) وابن الدبيّح (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٩٤٤ هـ (١٥٣٧ م) تشبه في مادتها التواريخ المصرية شيئاً كبيراً وإن كانت أصمق نطاقاً :

وما يقال في هذه المصنفات اليمنية ينطبق على تواريخ الأسر الحاكمة والتواريخ المحلية التي كتبت في المغرب والأندلس ، وهناك بعض كتاب يفوقون غيرهم من مؤرخي المغرب في المادة وفي طريقة الأداء مثل عبد الواحد المراكشي (انظر هذه المادة) الذي عاش في القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي ، وابن أبي زرع (انظر هذه المادة) الذي عاش في القرن الثامن الهجري الموافق الرابع عشر الميلادي ، إلا أن الوزير الفرغاني لسان الدين بن الخطيب (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) يتميز عليهم جميعاً لأنه بلغ من الكمال مرتبة تصل إلى حدود البقرية .

ولعل ابن عسكاري (انظر هذه المادة) يضارع

الرواية الأصلية بحيث تولف عملاً مستقلاً . وإن فكرة سلك التراجم في عدد من الترون تعود إلى البيروني (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٠٧٢م (١٠٣٩م) وكان معاصراً للذهبي : وقد بدأت هذه الطريقة بداية حسنة بظهور السور الكامنة لابن حجر العسقلاني (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١١٨٥م (١٤٤٩م) لأن هذا الكاتب قد جمع في مصنفه مشاهير الرجال والنساء في القرن الثامن الهجري ورتبهم ترتيباً أبجدياً ، وفي هذا المصنف آخر أثر لنظام الوفيات الذي يرد كل شخص إلى القرن الذي مات فيه ، والمعجم الذي يقابل هذا في القرن التاسع الهجري اسمه « الضوء اللامع » وهو من تأليف تلميذ لابن حجر يدعى السخاوي ، وقد تقدم ذكره ، وهو من وفيات عام ٨٩٠٢م (١٤٩٧م) وسارت الأجيال المتأخرة بهذه السلسلة من المعاجم حتى القرن الثاني عشر الهجري (انظر الفقرة د ، (١) (٢)) .

(٢) - ١ : وهناك ركن من الأركان العامة في بناء الرواية الخاصة بالتأريخ الإسلامي العام يقوم وسط الملهاب المتباعدة التي أخذ بها القرض في علم تدوين التأريخ . من القرن السابع الهجري إلى القرن العاشر : غير أن أقدار المؤلفين القرض وأصابتهم تقاس بمقدار استقلالهم في تشييد بناتهم على هذا الأساس : والتواريخ العامة العديدة المكتوبة في فارس أو في الهند ما هي إلا نقول من المصادر القديمة زيد عليها من المواد ما يصل بها إلى الزمن الذي كتبت فيه ، وشأنها في التقليد ونهاية القيمة

المتوفى عام ٨٦٦٠م (١٢٦٢م) وتأريخ غرناطة للذي ألفه ابن الخطيب وغير ذلك من المجموعات التي تكمل هذه التواريخ عادة ، ويضاف إلى هذه المصنفات كتب طبقات (انظر هذه المادة) الفقهاء وغيرهم المالوفة ، وبحوث في آثار القدماء ، ومثال ذلك المعجم الذي ألفه المؤرخ ابن الأثير في الصحابة وسواه وأسند الغابة : .

وظهر إلى جانب هذه المؤلفات القائمة على التخصص نوعان جديداً من المعاجم الشاملة في التراجم ، وانتشر هذا الصنف من التأليف وبخاصة في الشام : وقد ابتدع ابن خلكان (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٦٨١م (١٢٨٢م) النوع الأول ، أي العام ، والحق إن دقة ومزاجه يبرزان مالا يشك كتابه من ذبوع الصحة ، غير أن المعجم الذي ألفه خليل بن أبيك الصفدي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٧٦٤م (١٣٦٣م) يفوق معجم ابن خلكان حجماً ومدى حتى لو ضمنا إلى هذا الدليل الذي صنعه ابن شاذان الكشي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٧٦٤م (١٣٦٣م) ، وقد حال كبر حجم مؤلف الصفدي دون طبعه إلى الآن ، ولهذا المؤلف أيضاً ذيل ألفه المؤرخ أبو المحاسن وسماه « المهمل الصانع » .

أما النوع الثاني من هذه المعاجم فبعد القرض ، إلا أنه يقتصر على مدة محدودة من الزمن : ولعل لهذا النوع في التأليف صلة بالتأريخ العام للذهبي (انظر فقرة ج ، ١ في أعلاها) التي وتب مواد التراجم وقسمها إلى طبقات حتى نهاية القرن السابع الهجري ، ويمكن استخلاص هذه المواد من

وبحري الجزء الثاني إشارات في تأريخ الهند والصين وأوربة ، وهو يتفق في هذا الشأن وذلك الفرع من التأريخ العربي اللتى انصرف عنه الكتاب أمداً طويلاً ، وتنعى به الموسوعات ، ويختلف عنه في أن مواده مستقاة من رواة معاصرين ، وبماثلة في أن تصور الكاتب لمؤلفه خبر من حقيقة المؤلف نفسه ، ومع ذلك فإن هذا لا ينقص من شأنه ، ثم إن هذا الجزء قد اشتهر برصانة أسلوبه وتحريه للإسهاب أكثر من اشتهاره بالأخذ بأمسياب الجمال ، ولا يعتنى كثيراً أن يكون مرجع الفضل في هذا إلى رشيد الدين أو إلى صيد الله بن على القاشاني ، وإنما اللتى يستوقف نظرنا هو أنه على الرغم من ذبوع صيت كتاب رشيد الدين في الخلفين فإنه قد ارتكس فجأة ، وبند جديج الكتاب المتعين إلى هذه المدرسة طريقته نبلاً تاماً ، مع أنهم كانوا موضع رعايته ، ولم يشك عن ذلك سوى اثنين من أصحاب المختصرات هما بئناكى (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٥٧٣٠ (١٣٢٩ - ١٣٣٠م) وحمد الله مستوفى التزوينى (انظر هذه المادة) المتوفى بعد عام ٨٧٥٠ (١٣٤٩م) ، ويجل هؤلاء - بما فهمم التزوينى نفسه - قد استمضوا عن ذلك بمحاولة التوفيق على القردوسى بتأليف تواريخ في صورة الملاحم الطويلة القائمة على ذلك الوزن الشعرى اللتى انتهجه .

وليس هناك مؤلف هام آخر مما كتب بالنثر سوى ذلك التأريخ البليغ الأسلوب اللذى صنفه عبد الله بن فضل الله المتوفى بعد عام ٨٧١٢ (١٣١٢م)

شأن مثيلاتها في العربية ، إن لم تكن دونها بصرأ بالنقد .

وهذه المؤلفات ، ومنها على قبيل المثال الكتاب اللذى ألفه منهاج الدين الجوزجاني (انظر هذه المادة) المتوفى بعد عام ٥٦٦٤ (١٢٦٥م) لها قيمة خاصة بوصفها تواريخ محلية ، أما قيمتها في نظر علم التأريخ فلا مساوى شيئاً كثيراً ، وحل هذا فسوجه جل هنا في هذا المقام إلى ما أنتجه المذاهب المختلفة اللتى كانت تزدهر من وقت إلى آخر في أنحاء شتى بفارس والهند والى أثمرت نوعاً متميزاً من المؤلفات التاريخية .

٢ - وكانت نشأة إمبراطورية المغول غربى كسبة الحافظ الأول اللذى دفع الكتاب إلى تأليف مثل هذه المجموعة المتميزة من المؤلفات اللتى استهلت بالتأريخ المبكر القائم بلباته اللذى ألفه علاء الدين عطاء ملك الجوينى (انظر هذه المادة) المتوفى سنة ٦٨١هـ (١٢٨٣م) وإن لهذا التأريخ - على الرغم من ذلك - صلة بذلك الصنف من التواريخ اللذى توافر عليه الكتاب ، وهو ماسبق أن وصفنا (بقرة ب ، ٢ في أملاها) ، وتبدأ المدرسة المغولية الحقبة بالمجموعة الثلاثة اللصيت اللتى ألّفها الوزير فضل الله رشيد الدين طييب (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٧١٨هـ (١٣١٨م) وهذه المجموعة هى الأثر المباشر لدخول الإيلخانية في الإسلام ، وكان رشيد الدين يؤلف كتبه أجزاء باللغتين العربية والفارسية ، فجعل الجزء الأول خاصاً بالأسر المالكة واعتمد فيه على الرواية المغولية اعتماداً كبيراً ثم ذيله بتاريخ الجايو .

« أولوس » الذى آتاه السلطان ألغ بك (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٨٥٣ (١٤٤٩ م) ، ولم يبق من هذا المصنف سوى مختصر له : وكان هذا السلطان واسع المعرفة مفتتاً فى علوم جمة : ونحن لا نستطيع أن نخرج من كتابة التاريخ ذلك الأسلوب الرشيق المرصع الذى أشاعه كتاب من أمثال حسين كاشفى (انظر هذه المادة) : واستجابات جمهرة المؤلفين النحويين فضل هذا الأسلوب ، وأعلنت المؤلفات المتأخرة فتسبح فى البلاغة والطنطنة . ولم يستطع عبد الرزاق السمرقنى (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٨٧ هـ (١٤٩٧ م) — بأسلوبه الأخذ بقسط واخر من الاعتدال — أن ينافس ذلك الأسلوب المرصع الذى كتبت به « روضة الصفاء » ليرخوانده (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٩٠٣ هـ (١٤٩٨ م) لأن هذا الأسلوب المنمق صادف هوى فى نفوس الناس . وقد نقل خواندمير حفيد ميرخواند رواية هراة فى صورتها المتأخرة إلى الهند حيث وجدت فى هذه البلاد أيضاً تربة صالحة :

٣ — سبق أن أشرنا إلى أن بداية تصليح التواريخ بالفارسية فى الهند كانت أثراً من آثار الفتح الفورى وقيام سلطنة دهل (انظر فقرة ب ، ٦) وأن قوام الحوليات الهندية الفارسية مرتبط بهذه الرواية . وأهم مؤلف بعد « تاج المآثر » لحسن نظامى (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) هو الذيل الذى كتبه ضياء الدين يرنى (انظر هذه المادة) المتوفى بعد عام ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م) لتاريخ الجوزجاني ، ولم يؤثر إلى جانب هذا الذيل سوى تراجم قليلة تمتح إلى الملح فى المادة

والملقب بوصفات ، وهو منمق نحو الخط القديم المعروف بالتأريخ الرسمى (انظر فقرة ب ، ٥) ، وقد أصبح هذا التاريخ عمدة ، وكان من شأنه أن أغرى الأجيال اللاحقة من مؤرخى القرس بالضرب فى بيداى البلاغة .

وتعدر التأريخ فى الفترة بين انحلال المدرسة المغولية وقيام نيحور . وكان هذا الفاتح يضم إلى حاشيته جماعة من الكتاب وقههم على تدوين تأريخ حملاته وقراءة ما يكتبونه بين يديه . وعلى هذا الخط خلد ذكر حكمه بتاريخ منظوم باللغة التركية اسمه « تأريخ خافى » وأخر بالفارسية كتبه نظام الدين شامى ، وقد حذر نظام الدين من الركون إلى البلاغة والطنطنة . وعلى الرغم من ذلك هذا النسيان على مصغه الموسوم بـ « ظفرنامه » ونبه ذكر للمصنف المنمق الذى آتاه شرف الدين (انظر هذه المادة) على يزدى المتوفى عام ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) وسماه بالاسم نفسه ، وغدا منذ ذلك الوقت نموذجاً لرشاقة الأسلوب . وقد بلغ هذا النشاط فى كتابة التاريخ غايته فى عهد خلفاء نيحور ، وبخاصة فى منسوخ هراة التى أحيت رواية رشيد الدين فى ظل رعائهم ووكل شاهرخ إلى حافظ أبرو (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٨٣ هـ (١٤٣٠ م) أن يعيد نشر « جامع التواريخ » ويبدله ، وقد قام هذا الكاتب نفسه بتأليف تأريخ عام لولد شاهرخ بايسنفر ، وهذا التأريخ قليل الخط من الابتكار إلا أن أسلوبه سهل رصين . وتلمح هذه الرصانة نفسها فى المجلد الذى آتاه فصيح الخوافى حوالى عام ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) ولعلها بادية فى الأربعة

والترصيع في الأسلوب ؛ وعلى هذا فإن هناك دلالات على وجود رواية وطنية في إقليم السند ترجع إلى عهد الفتح العربي في القرن الأول للهجرة (القرن الثامن الميلادي) ، وإنا لنكاد نلمح هذه الرواية في زوايا القصة التاريخية التي أذيعت في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) باسم « جاج نامه » ، على حين أن التاريخ الخلفي في كمجرات وفي الجنوب كان في الوقت نفسه أكثر اتصالاً بالتأريخ في فارس .

٥ - من أبرز التواريخ التي بين التواريخين الفارسي والعربي ندرة التراجم التاريخية في أولهما . أما التراجم الأدبية فقد كانت بطيئة الحلال وافترة ، وتشمل بعض التواريخ العامة إشارات عن الوفيات بالطريقة المألوفة ، أو فصول عن الأعيان وبخاصة الوزراء والشعراء والكتاب . ثم يأتي بعد ذلك سير الأولياء والصوفية ، وبعضها خاص بأفراد ، وأهم شاهد على ذلك سيرة الشيخ صفي الدين التي كتبها توكل بن بترلز (انظر هذه المادة) حوالي عام ٨٧٥٠ (١٣٤٩ م) ، وبعضها الآخر يتحدث عن جماعات خاصة أو عامة (انظر مواد « العطار » و « جامع » و « مولوي ») . وهناك مصنفان في تراجم الوزراء صنفهما كاتبان من مدرسة هراة أحدهما « آثار الوزراء » وقد ألفه سيف الدين فضل عام ٨٨٣ (١٤٧٨ م) ، والآخر « دستور الوزراء » وقد ألفه خواندمير عام ٩١٥ (١٥٠٩ م) ، ولكن لم تكتب بالفارسية مؤلفات جديدة بأن تقارن بمعاجم التراجم العربية المعاصرة إلا في القرن الثاني . وواضح أن هذا يرد إلى الصلة الوثيقة بين التراجم والبحوث الدينية : ومن الميسور أن نهتدي إلى علة خلو اللغة الفارسية من التراجم إذا تذكرنا أن اللغة العربية ظلت إلى العصر الصفوي لغة الدين والعلم . حتى في إيران والمند ، وأن اللغة الفارسية كادت تقتصر على الأدب . ويصعب علينا

٤ - ظلت الرواية الفارسية الأدبية سائدة في الولايات التركية والعثمانية طوال هذا العهد . ولم تكن المصنفات التي كتبت ثراً أو الملاحم التي تتحدث عن سلاجة الأناضول (انظر مادتي « ابن يني » و « الأثرالك ») بذات قيمة أدبية ، وإنما ترجع أهميتها إلى أنها كانت نموذجاً سار على نهجه التاريخ التركي الناشئ ، وتلمس هنا مرة أخرى أنه على الرغم من أن الكتاب لم يتصرفوا إنصرافاً تاماً عن الأسلوب البسيط فإن الأسلوب المنمق قد رجح عند الناس أكثر الأمر ، هذا الأسلوب الذي بلغ الغاية من الترصيع والمبالغة في كتاب « هشت بهشت » الذي ألفه ثرأ إدريس بن علي البديلي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٩٢٦ (١٥٢٠ م) نزولاً على رغبة بايزيد الثاني : وإنه لمن إلقاء القول على عوامه أن نهون من شأن مؤلف لأنه يمنح إلى التهويل ، وآية ذلك أن وواء الحشو واللغو اللذين يغنيهما مصنف البديلي - كما يغنيهما تأريخ

مصر والشام والعراق وبلاد العرب حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) مقصوراً على عدد قليل من التأريخ العامة الضعيفة للمادة (انظر البكري والدياربيكري والجناني) وعلى بعض تواريخ عمليّة أوسير متقلوبة في القيمة . ووصلت الرواية التاريخية العربية القديمة أثنى إلى خاتمتها على يد كاتبين كبيرين أحدهما نشأ بمصر وهو عبد الرحمن الجبرتي (انظر هذه المادة) للتوفى عام ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م) والآخر نشأ ببلدان وهو حيدر أحمد الشهابي المتوفى عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) . وبقيت هذه الرواية في أواسط بلاد العرب وشرقها وجنوبها إلى نهاية القرن (انظر مادة «دحلان») . وأثرت في المغرب تقيضت لنا كتاباً حقيقاً بأن ينعت بآثر السلف الصالح ، ألا وهو الناصري السلاوي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) . وكان مجيئه عقب سلسلة مشابهة من المؤرخين الخاملين لم يقطعها سوى تلك الشخصية البارزة شخصية المقرئ (انظر هذه المادة) التلمساني المتوفى عام ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) الذي تعتبر حوارياته في تأريخ الأندلس وسيرته لابن الخطيب خير ممدد لرواية الأندلس الزاهرة .

ولقد اتجه بعض الكتاب في تركيا إلى الرواية العربية التاريخية فألف منجم باشي (انظر هذه المادة) للمتوفى عام ١١١٣ هـ (١٧٠٢ م) مؤلفه القيم في التأريخ العام بالاعتداد عليها ، وانتشرت هذه الرواية أيضاً في كثير من الأقاليم القاصية التي كانت أحدث عهداً بالإسلام وبخاصة غربي إفريقيا ، فكان

أن نبين لماذا لم تكتب ، ولو بالعربية ، تراجم متصل بالأقاليم القاصية والتركية .

د - شهد الربع الأول من القرن العاشر الهجري (الخامس عشر الميلادي) إعادة توزيع القوى في العالم الإسلامي ، وكاد هذا الأمر يشمل من أقصاه إلى أقصاه ، فقد وطد الأتراك العثمانيون سلطانهم في غربي آسيا وشمال إفريقيا حتى حدود مراکش ، وأنشأ الصوفيون في إيران دولة شيعية كاثنة بلديها ، وأقام الشيبانيون دويلات أوزبكية في أواسط آسيا ، وظهر في الهند بيت المغل ، وهب بيت شريف يبلغ عدوان الأسيان والبرتغال عن مراکش ، وحصل زنج النيجر على نظام إسلامي أكثر وضوحاً في عهد السفوي . وكان لابد أن تقرن هذه الحركات بترتيب جديد للثقافات وتوجيه آثر للأموار مما خلف آثاراً في جميع ألوان الأدب وبخاصة في التأريخ . والحق إن التأريخ العربي هو الذي تأثر أبغ الأثر بذلك ، أما التأريخ القاصي فقد قاسى من جراء تلك العزلة الملحية التي كانت عليها فارس ، بيد أنه ظهرت بالتركية في ذلك الحين تواريخ تنبض بالقوة والحياة . وعلى الرغم من أن هذه التأريخ ترتبط بما سبقها فلها تقوم - إلى حد ما - على نهج مبتكر .

(١) ١ - وقد أدى إخضاع الولايات العربية الوسطى للحكم العثماني إلى حرمان التأريخ العربي من البواعث المحلية التي كان وجوده مرتبطاً بها ، فانحط انحطاطاً يكاد يكون تاماً . وكان كل ما ألفه الكتاب من المصنفات التاريخية المحض في

في هذا بعض ما يعرض انحطاطها في مهادهما الأصلية .
ومن شواهد انتشار الرواية العربية في غرب إفريقيا وجود بعض التواريخ المحلية ومن أهمها تأريخ صفوى لعبد الرحمن السعدي (انظر هذه المادة) المتوفى بعد عام ١١٠٦هـ (١٦٥٦م) وتواريخ ماي لإدريس صاحب برنو الذي حكم من عام ٩١٠ إلى عام ١١٣٢هـ (١٥٠٤-١٥٢٦م) وقد ألفها الإمام أحمد هـ ويقي في إفريقيا الشرقية تأريخ قديم لكلوة وتاريخ لحروب أحمد كران في الحبشة كتبها شهاب الدين عرب فقيه ، وتواريخ أخرى أحدث عهداً ندرت من هذين . وكتبها مؤرخون على ملهيب الإباضية في عمان هـ وكان من شأن العلاقات الوثيقة بين بلاد العرب وبين الشاطئ الغربي للهند أن أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في هذا الشاطئ وبخاصة في الجنوب (ارجع إلى الوثائق التي نشرها بواوذه سوزا João de Sousa في لبته عام ١٧٩٠) وعلى هذا فلا يدهشنا أن نجد تاريخاً عربياً للحروب البرتغالية كتبه زين الدين المغربي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٨٩٧هـ (١٥٧٩م) وإذا انجهدنا في هذا الشاطئ صوب الشمال لقينا تنافساً بين العربية والفارسية حتى إنه لم يبق من المؤلفات العربية التي على شيء من الحجم سوى تأريخ عربي واحد كتبه محمد بن عمر الفخاني الكجراتي المتوفى بعد عام ١٠١٤هـ (١٦٠٥م) ، واستقى أكثر مادته من المؤلفات الفارسية . ولم يكتب في فارس نفسها بالعربية سوى تأريخ أو تأريخين قصيرين ،

٢ - واحفظت الرواية الثاقبة على التراجم بقوتها ولا سيما في الشام ، لأنها كانت - على عكس الرواية التاريخية - لا تعتمد كثير على التقلبات السياسية هـ وآية ذلك أن علماء دمشق واصلوا تأليف المعاجم في أعيان القرن العاشر والحادي عشر والقرن الثالث عشر (انظر مواد «البورني» و«المهي» و«المراعي» هـ) وهناك مؤلفات أخرى خللت ذكر العلماء الذين خرجوا من مدينة واحدة أو إقليم واحد . وهناك إلى جانب هذا نوع من السير متفق مستقل كتب بالشعر المشهور ، وإن صلبه بهذه المؤلفات القريبة جداً من الصلة التي بين التواريخ المكتوبة بهذا النمط وبين التواريخ ذات الأسلوب المستقيم البسيط هـ وغير من يمثل هذا النوع من التأليف ب«عشبات الدين الخفاجي المصري» (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١١٦٩هـ (١٦٥٩م) هـ ولا أدل على شيوع مصنفات هذا الكاتب من أن علي خان بن معصوم (انظر هذه المادة) قد ألف ذيلاً له في الهند عام ١١٨٢هـ (١٦٧١م) وقد روى المهدي المتوفى عام ١١١١هـ (١٦٩٩م) عن هذا الذيل ، وألف أيضاً ذيلاً آخر هـ

ولقد بلغ الأمر أن ألقت في المناطق الفارسية والتركية تراجم باللغة العربية . وإن كتاب «الشقائق النعمانية» الذي ألفه قاضي إستانبول أحمد بن مصطفى طاشكيري زاده (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١١٦٨هـ (١٥٦١م) لمن الكتب المصنعة في تأريخ الإسلام بتركية ، وقد ذيل هذا للكتاب باللغتين العربية والتركية ، وبدأ أثر الصلات

تقبل من الشعر العادى والأسلوب المصريح الملقى
بالتور . وطبيعى أن هناك من لا ينطبق عليه هذا القول ،
وهو أمر مشاهد بصفة خاصة فى المؤلفين العديدين
الذين صنفوا للتواريخ العامة ، غير أن هؤلاء
كانوا من أولئك على طرفى قتيض ، إذ هم قد
جثوا إلى الجفاف والافتصاب ، وإن النظرة
العامة إلى ما صنف من التواريخ بفارس والمند
فى هذه الحقبة تفصح عن سلسلة ممل من التواريخ
العامة والتواريخ المحلية أو الخاصة بالأسر الحاكمة ،
ويتخلل هذه السلسلة ثغرات نشط فيها الكتاب والقوا
ما يشبه التراجم يداخ من أصحاب التيجان . وكان
بعض هذه المؤلفات على شيء كبير من
القيمة ، إلا أن أصحابها كانوا يعتبرون التأريخ
فرعاً من الأدب ، وهو ميل تأمل فى نفوسهم .
١ - كان جل التواريخ العامة - سواء ما كانت
مكتوبة فى المند أم فى فارس - قليل التفسير ضئيل
الحظ من الإبداع ، وكل ما فيه أن قيمته تنحصر
فى روايته لحوادث مصر الذى دون فيه . والتجريب
حسب الأمر المالكة هو الشائع فى هذه التواريخ ،
وهى تزحف أحياناً بذيل فى تقويم البلدان ، ومن
بين التواريخ التى ليست أيضاً بذات أهمية تأريخ
نظام شامى (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٩٧٢هـ
(١٥٦٥م) و«تأريخ آلئ» وهو مؤلف متعدد
الأجزاء كتب بأمر من أكبر إحياء الذكرى انقضاء
ألف سنة على الهجرة ، وه صحيح صادق ، الذى
ألفه كاتب الوقائع (واقعه نوس) محمد صادق
آزادانى المتوفى عام ١٠٦١هـ (١٦٥٢م) ، و«خلد
يرين» الذى كتبه محمد يوسف وآله عام ١٠٥٨هـ

الذى توثقت بين الجماعات الشيعية العربية وبين
نظائرها فى فارس والمند فى عدة معاجم شيعية ،
ولم يقتصر تأليف هذه المعاجم على العرب وحدهم
(انظر الحوامل) بل تعلمهم إلى الفرس والهنود ،
وشاهد ذلك ما صنفه محمد باقر موسى خراسانى
الفارسى ومعاصره المندى سيد إصجاز حسين
القتورى المتوفى عام ١٢٨٦هـ (١٨٦٩) ، وكتبت
بالمند أيضاً عدة تراجم فى أهل السنة .

وانشرت الرواية العربية القائمة على التراجم
من المغرب حيث ظلت العناية بها موصولة (انظر
الوفرات) إلى غربي السودان قتيض لما فيه
تصير لابه الذكر هو أحمد بابا (انظر هذه المادة)
التبكي المتوفى عام ١٠٣٦هـ (١٦٢٧ م)
وكان هذا هو حال السودان الشرق أيضاً إذ خرج
منه محمد واد ضيقت الله المتوفى عام ١٢٢٤هـ
(١٨٠٩ - ١٨١٠م) و«خلد ذكر الصالحين والفقهاء
فى مملكة لنج بكتابه المعروف بالطبقات»

٢ - لم تنقطع الصلات العقلية بين فارس وبين
الدولة العثمانية والمند انقطاعاً تاماً عند ما انحلت
الدولة الأولى التشيع ملجأ رسمياً لها ،
ولم يكن لهذا الانقلاب الدينى من أثر سوى إبعاد
الشفقة بين التأريخ فى كل من فارس والمند
وثمة ظاهرة أهم من هذه نشاهدنا فى تدوين
التأريخ بهذين القطرين ، وهى أن الكتاب كادوا
يشردون بالتأليف فيه . ويندر أن تصادف عالماً
على شيء من الاستقلال فى الرأى أو البعد عن
الموى ، قد خلا الميدان لذلك الكاتب الخاضع الذى
يطمس مجرى التفاصيل سديدها وأجرها يشاء

أستراياني (انظر هذه المادة) المتوفى بعد عام ١١٧٣ هـ (١٧٦٠ م) . وثانيهما المعروف بـ « حرّ » نادري ، وهو تقليد لوصاف باعتبار المولف ، وتأريخ ثالث كبير في ثلاثة مجلدات كتبه محمد كاظم ، كما خلد ذكر هذا الشاه أيضاً في التأريخ العام الذي ألّفه محمد عمن وسياه « مستوفى » . أما فتح علي شاه الذي حكم من عام ١٢١٢ إلى عام ١٢٥٠ هـ (١٧٩٧ - ١٨٣٤ م) فقد كتب بأمره مالا يقل عن ثلاثة تواريخ في الأسر الحاكمة وتأريخ عام ، وهذه المؤلفات لاستوعب مجال كل ما كتب بفارس في هذا العهد من تواريخ الأسر الحاكمة والتواريخ المحلية ، وبعض هذه التواريخ المحلية يمتاز بصفحة خاصة بما يحدثا به من فرائد جليلة عن البلد أو الإقليم الذي تحدثت عنه ويختم أصحاحها إلى الأسلوب البسيط المألوف ، غير أننا إذا نظرنا إلى هذه التواريخ نظرة عامة لألفيتها أن قيمتها لاتناسب وحجمها ، وأن الهند ترجحها كثيراً في هذا الشأن .

٣ - وكانت الهند في مستهل العهد المظفر متفقاً روايات ثلاث : الأولى الرواية الهندية المحلية القائمة الى ظلت متصلة منذ العهد السابق (انظر فقرة ج ٣) والثانية رواية مدرسة هراة (انظر فقرة ٧) والثالثة هي ذلك اللون الجديد الذي أدخله أباطرة المظفر أنفسهم (انظر الفقرة التالية) ، وقد نشأ من اتحاد هذه الروايات الثلاث رواية تأريخية هندية متميزة ، ولو أن قليلاً من المؤرخين قد تأثروا بما أنتجه معاصروهم في فارس ، وقد ظهر منذ نهاية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن

١٦٤٨ م) ، ومؤلفات محمد بقاء سبانبوري (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٠٩٤ هـ (١٦٨٣ م) و« تحفة الكريم » الذي ألّفه مير علي شير قاني المتوفى بعد عام ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧ م) وفيه ذيل عن السند ، وثلاثة مؤلفات فارسية ترجع إلى القرن الأخير (انظر رضا قلي خان وسپهر ومحمد حسن خان) ، أما كتاب « مرآت الأدوار » الذي ألّفه مصلح الدين لاري فترجع أهميته إلى أنه آخر تأريخ عام كتب عن الدولة العنانية باللغة الفارسية ، كما ترجع أهمية التأريخ الذي كتبه حميد بن علي الرازي (انظر هذه المادة) عام ١٠٢٨ هـ (١٩١٩ م) إلى ما في توبيه من إبداع وما يتميز به من بعد عن الصيغة الرسمية .

وقد استعملت اللغة الفارسية أيضاً في كتابة تواريخ البلاط بلديات التركمان في أواسط آسيا وبقى من هذه التواريخ عدد كبير (انظر مادة « أبرالخيرة ») .

٢ - وقد دعا قيام بيت الصفويين الكتاب إلى تأليف سلسلة من التواريخ الخاصة بالأسر الحاكمة أهمها « أحسن التواريخ » الذي ألّفه مؤلفه حسن روملو عام ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) وهذا الكتاب عمود النطاق بعض الشيء ، وتأريخان في عهد عباسي الأول الذي حكم من عام ٩٩٥ إلى عام ١٠٣٧ هـ (١٥٨٧ - ١٦٢٧ م) ، و« تأريخ عباسي » لمحمد منجم يزدي ، والمؤلف الكثير الإسهاب الموسوم بـ « تأريخ علم آراي عباسي » لإسكندر بك منشي (انظر هذه المادة) وقد خلد ذكر نادر شاه بتأريخين ألفهما مهدي خان

وكانت تكتب إلى جانب هذه المؤلفات تأريخ
عن عهد الحكام كل منها خاص بملك . وأول
هذه المؤلفات عن عهد أكبر . وسنكتفي هنا بذكر أهمها :

يشتهر مصنف « أكبر نامه » لأبي الفضل علائي

(انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٠١١هـ (١٦٠٢م)

بجزءه الثالث بصفة خاصة . وهذا الجزء موسوم

بـ « آئين أكبرى » وهو يفصل الكلام على نظام

الإدارة في عهد أكبر . وأرخ عهد جهانگیر في

مصنفه « توزك » ، (انظر الفقرة التالية) وفي

مصنف وزيره مستعد خان (انظر هذه المادة) المتوفى

عام ١٠٤٩هـ (١٦٣٩م) وأرخ محمد كاظم

(انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٠٩٢هـ (١٦٨١م)

ومحمد سامي مستعد خان (انظر هذه المادة) المتوفى

١١٣٦هـ (١٧٢٤م) عهد أورتك زيب . وقد وصف

غلام حسين خان (انظر هذه المادة) المتوفى عام

١١٩٥هـ (١٧٨١م) اضطهاد بيت المفل ونشأة

سلطان الإنكليز ، وكتب خير الدين محمد إله آبادي -

المتوفى بعد عام ١٢١١هـ (١٧٩٦م) تأريخ شاه عالم

الثاني . وأقرب هذه المصنفات إلى فن التأريخ هو

تأريخ آل تيمور محمد هاشم خوافي خان (انظر

هذه المادة) المتوفى عام ١١٤٥هـ (١٧٣٢م)

والمصنف المعروف بـ « سوانح أكبرى » الذي كتبه

أمير حيدر حسيني بلگرامي حوالى عام ١٢٠٠هـ

(١٧٨٥م) بالاعتماد على المصادر الأصلية وتناول

فيه بالتفصيل عهد أكبر .

وكان لكل بيت مستقل أو شبه مستقل من بيوت

الحكم ، ولكل ولاية في الهند من البطال إلى جبال

عشر (الملبدي) موثر أكثر مبعث أولئك العلماء
والمعترفون المقيمون في الهند ، إلا أن التغير
الذي أصاب منهج التأريخ على يدهم لم يظهر
دفعة واحدة .

وأول من أفصح عن الرواية الهندية إقصاء

مبينا : نظام الدين أحمد (انظر هذه المادة)

وعبد القادر بدماوني (انظر هذه المادة) المتوفيان

عام ١١٠٤هـ (١٥٩٥ - ١٥٩٦م) وذلك في

كتابهما في التأريخ العام اللذين تناولوا فيها الكلام

على الهند الإسلامية منذ عهد الفرتونين . ومن

الواضح أن هذا قد حدث في عهد أكبر الذي حكم

من عام ٩٦٦ إلى عام ١٠١٤هـ (١٥٥٦ - ١٦٠٥م) ،

ومن حق البدماوني علينا ألا ننوه في هذا المقام

بتأريخه توبياً خاصاً ، فقد أبدى فيه إبداعاً وبصراً

بالتفصيل ، وهو يمتاز فوق هذا ببره من الصبغة

الرسمية وباتصرافه إلى الترجمة الهندية انصرافه

إلى الحوليات السياسية ، أما الكتاب الذي صنفه

عطفه محمد فرشته (انظر هذه المادة) فأوسع في

مهدان تأريخ الهند الإسلامية مجالا ، إلا أنه دون تأريخ

البدماوني بصراً بالتفصيل ، وما إن انقضى قرن من

الزمان حتى وصلت الرواية الهندية التاريخية إلى أقصى

مراحلها ، إذ أخذ الكتاب المنود يوثقون في التأريخ

الهندي الفارسي (انظر سنجان راي) مما أدى إلى

تواضع الهند الهندوسية منذ البداية والهند الإسلامية ،

وقد نيسر ما بين من هذا الأمر بفضل ما نقل إلى

اللغة الفارسية من عيون الكتب السنسكريتية نزولا

على أمر أكبر وغيره من أباطرة الملل .

المادة) المتروكة عام ١١٠١هـ (١٦٠٣م) بمذكراتها التي كتبها نزولا على رغبة أكبر . وتعتبر مذكرات كلبين من أهم المصنفات التي تلمس العلاقات الشخصية في التأريخ الإسلامي . وكذلك ألف جهانكير المتوفى عام ١١٠٣هـ (١٦٢٧م) مذكرة عن السبع عشرة السنة الأولى من حكمه بعنوان «توزك جهانكيرى» : وأعاد خلقه نشرها بعد أن صححها ولحقها . ويظهر أن المذكرات المصنوعة الموسومة بـ «توزكات تيمورى» - والتي تدولت في الهند على اعتبار أنها الرسائل الموثوق في نسبتها إلى تيمور - ترجع إلى هذا العهد .

ولم ينفرد أعضاء البيت المالكة بكتابة مثل هذه المذكرات : بل إن كثيراً من الأفراد قد رويوا في لغة بسيطة خطية من التصنع ما شهدوه من الحوادث عياناً : وأشهر هذه المذكرات «تذكرة الأحوال» للشيخ محمد علي حزين (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١١٣٠هـ (١٧٦٦م) ، وعبرت نامه ، التي كتبها ميرزا محمد بن ميمند خان حوالي عام ١١٣١هـ (١٧٦٧م) ، أما بقية هذه المذكرات فوصفت لرحلات ليس فيه من المواد التاريخية العامة إلا القليل ،

٥ - تقدمت كتب التراجم الفارسية في هذا العهد عن العهد السابق وكان لها الصدارة كما كان حالها في الماضي بفضل المؤلفات التي اقتصرت على شعراء فارس والهند ، وكانت التراجم التاريخية قليلة أشهرها «مآثر الأمراء» لمير عبد الرزاق الأورنگ آبادي المتوفى عام ١١٧١هـ (١٧٥٨م) .

الكرنات : سلسلة من التواريخ تلمس ما أسلفنا ونقل عنها في الحجم ، وهي تنقسم في الغالب بسبب التأريخ المغلى : ولعلنا بحاجة إلى ذكر كل هذه التواريخ ولنكتف بالتاريخين اللذين ألفهما عن الأفغان نعمت الله بن حبيب الله المروى (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٠٢١هـ (١٦١٢م) وإمام الدين حسيني المتوفى عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) : وقد اعتمد عليهما محمد عبد الكريم (انظر هذه المادة) المتوفى بعد عام ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) في تأليف تأريخه المتأخر ضمها في الزمن : وروى تأريخ أفغانستان في ناحيتها الشمالية على يد عبد الكريم البخاري (انظر هذه المادة) المتوفى بعد عام ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) : وقد كتب تأريخه لخانات آسية الوسطى في إستانبول .

٤ - وأهم ما يصف به التأريخ الهندى الفارسي من الصفات الأصيلة وفرة المذكرات التي كتبت في هذا العهد ، وبين هذه المذكرات وبين التاريخ المؤلف ثباين واضح قوى : ويظهر أن التيموريين هم الذين أوسعوا بهذا الاتجاه ، وأقدم الشواهد على ذلك مذكرات الإمبراطور بابر . (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٩٣٧هـ (١٥٣٠م) وقد كتبت بالتركية ، ومذكرات ابن عمه ميرزا حيدر دوغان (انظر مادة «حيدر ميرزا») المضمومة إلى تأريخ الجغتائية المتأخرين الموسوم بـ «تأريخ وشيدى» وقد كتبت بالفارسية : ثم مذكرات همايون المتوفى عام ٩٦٣هـ (١٥٥٦م) التي كتبها سابقه (آفتابجى) جوهر . وقد برز أخيه من أبيه كلبين بيگم (انظر هذه

٨٩٤٢ (١٥٣٥-١٥٣٦م) و «أنخبار الأخبار»
 لعبد الحق البخاري (انظر هذه المادة) المتوفى عام
 ٨١٠٥٢ (١٦٤٢م) ، وللمصنف الضخم «مرآة
 الأسرار» ومن أهم الكتب المختصرة التي تتحدث
 عن الصوفية في جميع العصور «سنية الأولياء»
 للأمر المظلي المنكود الطالع دارا شكوه (انظر هذه
 المادة) المتوفى عام ٨١٠٦٩ (١٦٥٩م) ،

وأشمل التراجم الفارسية «هفت إقليم» التي
 أتم تأليفه أمين أحمد الرازي عام ١٠٢٨هـ (١٩١٩م)
 وهو مقسم - كما يبدو من عنوانه - إلى سبعة أقسام
 كل قسم خاص بولاية من ولايات إيران السبع . وفي
 نهاية القرن الثاني عشر الهجري صنف مرتضى
 حسين بلگرامي كتاباً يشبه هذا ضمنه إشارات
 خاصة عن الهند وسياها «حديقة الأقاليم» .

المصادر :

Geschichte der : G. Brockelmann (١)
Arabisches Litteratur ، ج ١ ، قبار Weimar سنة
 ١٨٩٨ ، ج ٢ ، طبعة برلين سنة ١٩٠٢ ، للمحق ،
 طبعة لينن سنة ١٩٣٦ وما بعدها (٢) F.Wuestenfeld ؛
Die Geschichtschreiber der Araber
 سنة ١٨٨٢ : D.S. Margolouth (٣) *Lectures on*
Arabic Historians ، كلكتة سنة ١٩٣٠ م (٤)
Ensayo Bio-bibliografico su : Pons-Boigues
 « *los Historiadores y Geografos Arabigo Espanoles*
 مجريط سنة ١٨٩٨ (٥) J.A. Storey
Literature, A. Biographical Survey ، القسم الثاني ،
 لندن سنة ١٩٣٥ وما بعدها (٦) E.G. Browne ؛
A Literary History of Persia ، كامبردج سنة
 ١٩٣٠ (٧) Sir H. Elliot & J. Dowson ؛
The History of India as told by its Historians
 لندن سنة ١٨٦٧ - ١٨٧٧ (٨) هرس مجموعات
 المخطوطات الشرقية المهمة (٩) وهناك بيان بالرسائل
 التي كتبت عن أشخاص المؤرخين في كل مادة

وليس هنالك من جهة أخرى أى معاجم شاملة
 في التراجم على نسق ما ألف في اللغة العربية ،
 وأقرب المعاجم شهاً ما كتب باللغة الفارسية من
 المؤلفات المقصورة على الشيعة وعلمائهم من جهة
 وعلى الأولياء والصوفية من جهة أخرى ، أما عن
 الطائفة الأولى فإن مصنف «مجالس المؤمنين» الذي
 كتبه بالهند نور الله بن شريف المرعشي (انظر
 هذه المادة) المتوفى عام ٨١٠١٩ (١٦١٠م) قد
 اعتمد على الرواية العربية الخاصة بتراجم الشيعة ،
 في حين أن كتاب «نجوم السباه» الذي ألفه محمد
 ابن صادق بن مهدي عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) قد
 تناول الكلام على علماء الشيعة في القرون الحادي عشر
 والثاني عشر والثالث عشر ، أما التراجم الخاصة
 بالأولياء والصوفية فقد كتبت كما كان متوقفاً
 بالهند فقط ، وهي تحي بصفة خاصة بأولئك الذين
 خرجوا من هذه البلاد أو الذين يمتنون إليها بسبب
 ومن أهم المؤلفات العديدة التي تتحدث عن
 أشخاص الأولياء وعن الطوائف والجماعات «سير
 العارفين» لحامد بن فضل الله (جمالی) المتوفى عام

قره قوروم على حدود الهند : وورد في تاريخ تيمور (نظر تامه ، كلكته ، سنة ١٨٨٧ - ١٨٨٨ ، ج ٢ ص ٢١٩) ذكر مكان يدعى تاريخ بالقرب من باي وكوشان (كجا) : وقال محمد حيدر في كتابه « تاريخ وشيلى » (ترجمة روس Ross ، ص ٦٧) إن تاريخ إقليم بين أقاليم طورغان ولوب وكنتك : ولم يذكر اسم النهر في هذه المصادر ، وورد في كتاب تاريخ ريشلى (ص ١١) أن مدينة « لوب - كنتك » أو مدينتي لوب وكنتك قد دمرتهما العاصفة الرملية في القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) : وقد بقيت حتى اليوم ، كما أكد سفين هدن Sven Hedin في كتابه (Through Asia) لندن ١٨٩٨ ، ص ٨٥٠) الأساطير التي حيكت حول تدمير مدينة كنتك (شهر كنتك أو شهر كنتك) وإن لم ير أحد أطلال هذه المدينة . ويوجد فرع من نهر تاريخ اسمه كيتك - تاريخ (Kashgariya: Kornilow طشقند سنة ١٩٠٧ ، ص ١٦٤) يخرج من مجراه الأدنى . ومن الواضح أن الإسلام لم يكن قد انتشر بعد في الهجرى الأدنى لنهر تاريخ في عهد محمود الكاشغرى . ويصف ماركو بولو القوم الذين يسكنون مدينة لوب والصحراء المسماة بهذا الاسم بأنهم مسلمون (انظر الفصل ٥٧ من رحلة ماركو بولو) .

ويرتك نهر يار كند الجبال ثم يجرى في السهل عند قرية قروچون ويلقى به في ضفته اليسرى نهر قول صو أو كاشغر . دريا ونهر آق صو أو آق صو دريا ونهر موژوت أو شاه يار دريا ونهر

من المواد القائمة بلديها ، وقد تناول هوروفتر Horovitz طائفة خاصة منها في مقاله للموسم بـ *The Earliest Biographies of the Prophet Islamic Culture* ، حيدر آباد سنة ١٩٢٨ م ، وكذلك فعل E. Levi-Provençal في *Les Historians des Chorfa* : باريس ١٩٢٢ م . [كج H.A.R. Gibb]

« تاريخ » : أهم أنهار التركستان الصينية الحديثة ، ويبلغ طوله حوالى ١٢٠٠ ميل ، وينطلق الترك من أهل هذا الإقليم تريم : ومن الواضح أن يكون هذا النهر هو الذى ذكره بطليموس باسم أوغندريس (ج ٦ ، ص ١٦) : وذكر الرحالة الصينى حيوان شوانغ Huan-Guang في القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) هذا النهر باسم سى - تو ، وهو بالسانسكريتية سيتا Sita : وذكر محمود الكاشغرى (ج ١ ، ص ١١٦) في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) نهر « أوسى تاريخ » وقال عنه إنه ينبع من بلاد الإسلام ويجرى في بلاد الأوزبوق وهناك يفيض في الرمال : وجاء هذا المصدر نفسه (ص ٣٣٢) أن « أوسى تاريخ » موضع بالقرب من كجا على حدود بلاد الأوزبوق التي يسير هذا النهر بمحاذاتها . ومن الواضح أن اسم تاريخ كان يطلق على المجرى الأدنى لهذا النهر . أما المجرى الأعلى فيعرف بنهر يار كند وهي عاصمة التركستان الصينية . وكثيراً ما يطلق هذا الاسم على النهر كله حتى مصبه . وينبع نهر يار كند من راسم كند دريا في جبال

وقامت عدة بعثات في العصر الحديث بدراسة الأحوال الجغرافية والبقايا الأثرية في المجرى الأدنى لنهر تاريم ، كما بدلت محاولات عدة لإيجاد الصلة بين الأماكن الحديثة في تلك المنطقة وبين ماورد في المصادر العلمية وخاصة الصينية منها . ويستدل من أعمال الكشف الحديثة التي قام بها السير أورل شتين Sir Aurel Stein في سنة ١٩١٤ على أنه كان من المرجح وجود دلتا كبيرة في المنطقة الجافة التي يجري فيها نهر لوب ، وإن كان من الحق أن المنطق لم يكن بها بحيرة كبيرة في العصور التاريخية (انظر Geogr. Journ. لندن أغسطس وسبتمبر سنة ١٩١٦).

ويغطي الجليد نهر تاريم ثلاثة أشهر تقريباً في السنة على الرغم من موقعه الجنوبي، وسبب ذلك أن مناخ الإقليم الذي يجري فيه النهر قارى . ويصيد الأهالي (لوئليق) السمك من المجرى الأدنى لنهر تاريم في قوارب خاصة . وقد كشف سفن هذين إقليم لوب نور في قارب من هذه القوارب . ولم تكن هناك قط حركة ملاحية بمعنى الكلمة في نهر تاريم . وغاضت مياه هذا النهر في الصحراء قبل دخولها البحيرة كما حدث في عهد محمود الكاشغري، ويصف هذين قرية «كوم جناب» التي يشتغل أهلها بصيد السمك بأنها مدخل مقبرة تاريم (انظر كتاب هذين السابق ، ص ٨٨٤) .

المصادر :

يوجد بيان كامل بأسماء أهم المصادر في كتابه Kornilow : كاشغرية ، طشقند ، سنة ١٩٠٣ ، ص ١٥٧ وقد اعتمدت إلى هذه المصادر أثناء قيامه بأبحاثه

٦ كونه دريا : كما يلتقي به في ضفته اليمنى نهر تيزاب ونهر ختن - دريا ونهر كيرتية دريا . ولا يلتقي التهيرات التي تصب في نهر تاريم في ضفته اليمنى إلا عندما تفيض بالمياه . ويبلغ اتساع نهر تاريم أسفل مصب آق صو حوالى أربع مائة ياردة : والنهر في هذه المنطقة ينقسم إلى جملة أفرع أهمها : ٧ أوگين دريا ويبلغ اتساعه عند ترك ، وهي البقعة التي عبر عندها سفن هذين Seven Hedun هذا النهر ، ١٧٠ ياردة (انظر Through Asia ، ص ٤٨٧) أما التهرات المنفضلة فإنها تفيض في حوض نهر لوب أولوب نور (بالغولية بحيرة لوب) الذي يصب فيه أيضاً جرجن دريا : كما يصب نهر سو - لي - هو في هذا النهر من الناحية الشرقية . ويقول سفن هذين إن لب أولوب هو الاسم الذي يطلق الآن على جميع الإقليم الممتد من مصب نهر لوب لكن دريا ونهر تاريم في الشمال إلى قرية جر خلق (جنوبي جرجن دريا) في الجنوب . ويفترض Pelliot (المجلة الأسبوعية ، للمجموعة الحادية عشرة ، ج ٧ ، ص ١١٩) أن لبو - لان Leon-lan هو الذي أذاع استعمال كلمة لوب في اللغة الصينية في بداية عصرنا الحاضر .

وتستدل من الألفاظ لوب - نور وتاريم ككل (كل بالغولية معناها نهر ، وقد وردت في المصدر الجغرافي الذي رسمه كلاپروث Klaproth سنة ١٨٢٩) على أن العلماء الأوروبيين استقوا معلوماتهم الأولى عن حوض البحيرة والمجرى الأدنى لنهر تاريم من المصادر المغولية (القلموق)

الخاصة كما استقى ما ذكره Przewalski

و Hedin و Kozlov و Pievzow وغيرهم .

[بارتولد W. Barthold]

« تازا » : مدينة في مراکش الشرقية على بعد

ستين ميلاً في شرق الشمال الشرق لفاس، وهي في غور عظيم يسمى « حوض تازا » ويفصل هذا الغور بين الويف وبين الأطرآت الشمالية لجبال أطلس الوسطى. ويرى بعض مصنعي القرون الوسطى - مثل المراكشي في كتابه « الاستبصار » - أن تازا هي الحد بين المغربين الأقصى والأوسط . وقد كانت الأهمية الكبيرة للطريق الصيني الممتد من الشرق إلى الغرب عبر الوادئ والمرايا العسكرية والاقتصادية التي يتمتع بها كل من يحتل هذا المكان الذي يحيط به ميل الوادي منذ القدم، باعثين على قيام علة على شيء من القيمة في تازا . واكتشفت آثار مساكن يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ وتبور لم يعرف عصرها على وجه التحقيق في الصخور التي شيدت للمدينة عليها .

وكانت تازا في بداية القرون الوسطى (من القرن الثامن إلى العاشر ليلاند المسيح) أهم علة في الإقليم الذي تسكنه إحدى بطون مكتنسة من البربر التبتيين . ويذهب ابن خلدون إلى أن هؤلاء هم الذين أنشأوا رباط تازا . بيد أن إيرادوايه على هذه الصورة بعيد عن الصحة . فلم تكن تازا وقتذاك ورابطاً ، ولا بد أنه كان لها شأن هام في مناصرة فاطمي القيروان ضد الأحرسة ثم في مناصرتها

لأموي قرطبة ضد القاطميين . ولم تصبح تازا ورابطاً ومدينة حصينة بالمعنى الصحيح إلا في عهد الموحدين ، ففي عام ٥٢٨ هـ (١١٣٣ م) وصل عبد المؤمن إلى غور تازا بعد أن غلب على الأطلس العليا والأطلس الوسطى . وكان يلوح بادئ نبي بدء أن هذا القانع ما إن وصل إلى هذا الموضع حتى توقف عن التقدم . ولم يهاجم جبال الويف إلا مؤخرًا ، كما أنه لم يكن يحاول وقتذاك أن يهبط إلى السهول الملاصقة لجيش المرابطيين . وكانما شعر بأهمية الاحتفاظ بهذا الموضع المهم من الوجهة العسكرية فشد حصناً زوده بالجنود . وكان الذين يحتلون مواقع الموحدين الأمامية تابعين لرجال الأربطة (ونحن نعلم أن حروب الموحدين كان لها من الوقع في النفوس بالجهاد في سبيل الله) ومن الطبيعي والحال هذه أن يكونوا قد أطلقوا اسم « رباط » على الحصن لإكسابه الصفة الدينية ، والواقع أن تازا لم يكن لها شأن ديني باعتبارها ورابطاً ، وظلت - كما كانت قبلاً - موقعاً حربيًا يؤمن الطريق الناهب إلى فاس . ويظهر أنه قد بنى جانب كبير من الحصون التي شيدوها عبد المؤمن، وهي عبارة عن حاجز من الأنقاض تتخلله بروج غنقة المجموع مع أطلال سور خارجي في بعض الموضع أمام الحاجز المذكور .

ولم تقاوم تازا للوحدة المرينية لقلة المدافع فيها من الموحدين : فاستولى عليها المرينيون عام ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) ، وعنى هؤلاء أيضاً بتحصينها ورموا مسجدها الجامع وأنشأوا به المدلس

على قاس ، وعام ١٦٧٣م عندما تحصن بها أحمد بن عزز في وجه عمه السلطان مولاي إسماعيل ، وعام ١٩٠٢ عندما اغتلبها أبو حنيفة عاصمة له في كفاحه مع عبد العزيز ، وقد احتلها الجيوش الفرنسية في العاشر من مايو عام ١٩١٤ .

المصادر :

- (١) الكبرى : كتاب المسالك والممالك ، طبعة الجزائر عام ١٩١١ ، ص ١١٨ ، ١٤٢ ، ترجمة ده بلان ١٩١٣ ، ص ٢٣١ ، ٢٧٢ (٢) كتاب الامتياز ، ترجمة E. Fagnan في *Recueil de la Soc. Archéol. de Constantine* ، سنة ١٨٩٩ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ (٣) عبد الواحد المراكشي : تاريخ الموحدين ، طبعة دوزي ، ص ١٨٤ ، ٢٦٠ ، ترجمة فانيان ، ص ٢٢١ ، ٣٠٦ (٤) ابن خلدون : العبر ، ترجمة ده بلان ، ج ١ ، ص ٢٦٦ وفي مواضع أخرى (٥) ابن أبي زرع : القوط ، وفي مواضع أخرى (٦) الحسن بن محمد الوزان الزياتي : *Leo Africanus* طبعة Ramusio ، البندقية سنة ١٨٣٧ ، ص ١٠٠ ، طبعة شيفر Schefer ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ (٧) *Description General de l'Afrique* : Maromol غرناطة سنة ١٥٧٣ ، ج ٢ ، ورقة ١٦١ وما بعدها (٨) *Relation d'un voyage* : Roland Frejus ، باريس سنة ١٦٧٠ ، ص ١٢٣ وما بعدها (٩) *Lieutenant Campardon* ، *Bull. de la Soc. de la Nécropole de Taza* ، *Géogr. d'Oran* ، ج ٢٧ سنة ١٩١٧ (١٠)

مرتين ، الأولى عام ١٢٩٤ والثانية عام ١٣٥٣م . وقامت تازا في عهدهم بواجبها - مرة واحدة على الأقل - فحمت المرعنتما هاجمه أبو حنيفة الثاني سلطان تلمسان الذي حاصرها عام ٧٨٤هـ (١٣٨٢م) أسبراً ثم اضطر إلى التكويس على حقيقه .

وبين أديتنا وصف تازا يرجع عهده إلى بداية القرن السادس عشر كتبه الحسن بن محمد الوزان الزياتي (*Leo Africanus*) قال فيه إنها ثالثة مدن المملكة ، واعتبرت بمثابة إقطاع منح لثاني أبناء سلطان فاس من بني وعاس : وكان سكانها - الذين يبلغون خمسة آلاف عائل بينهم عدد كبير من اليهود - يعيشون في خوف دائم من سكان الجبال المحيطة بالمدينة .

وقد أمدها شريف من المسلمين - لعله أحمد المنصور سيدي بيطيون - لكي يتحكم في العيون التي تستق منها المدينة وليحمي نفسه من هجمات أتراك الجزائر ، ولا يزال هذا « البيطيون » قائماً في الركن الشمالي الشرقي من الحصن .

ويجدر أن نذكر مع هذا أن حصن تازا لم ينفذ قط لها جميع من الشرق ، بل أكثر من هذا أصبح « قلعة في يد كل خارج يثور في تلك البقاع على « الخزن » الذي شيده (H. Basset & Campardon) ، وكان هذا حاله عام ١٥٩٦م عندما انتفض التاصر على عمه السلطان المنصور ، واتخذ من تازا قاعدة لحركاته العسكرية ، وعام ١٦٦٤م عندما جعل منها الرشيد - أول سلاطين العلويين - مركزاً لقيادته في هجومه

« تافيلالت » ويسب إليها فيقال فيلال : اسم

يطلق على الإقليم الذي في الجنوب الشرقي من مراکش ، وقد تكون هذا الإقليم من اتساع وادي نهر زيز ، وهو عبارة عن سهل طبعي طوله اثنا عشر ميلا وعرضه عشرة أميال ينتثر فيه مائة قصر ، والقصر

مسكن حصن من الصلصال ، ويحيط بهذه المساكن الحدائق والحقول المزروعة : والأرض شديدة الخصوبة في الجهات التي يمكن ربيها بالآبار ، وأهم حاصلات تافيلالت التخليل كما أن أهم مصنوجاتها دباغة جلود الماعز باستعمال لحاء أشجار السنط التي يتخذ منها مادة المعصر اللازم للدباغة : وللمجلد

التفيلالت شهرة واسعة : وقبل الناس عليه في جميع جهات إفريقيا الشمالية : ويزدحم السكان في تلك المنطقة ، إذ قدر عددهم في قصور تافيلالت سنة ١٩٢٠ بين ١٥٠ ألف و ٢٠٠ ألف نسمة : وكانت سجلماسة هي العاصمة التاريخية لهذا الإقليم . ويمكن

الرجوع إلى مادة سجلماسة فيما يخص بالتأريخ السياسي لتافيلالت . وحينئذ أن نذكر في هذا الموضع أن هذا الإقليم كان مهد أسرة العلويين

الأشراف في مراکش ، وهو يسمى أيضاً باسم « فيلال الأشراف » ولا تزال هذه الأسرة تحكم هناك إلى اليوم . واستمر كثير من هؤلاء الأشراف يعيشون في تافيلالت أو أنهم حاولوا للاستقرار فيها بعد أن تسلمت هذه الأسرة مقاليد الحكم ، ويعلمون بالآلاف في هذا الإقليم . وهناك خليفة لسلطان مراکش يمثل سلطة « المخزن » بينهم وفي وادي زيزه وتذكر إلى جانب مدينة سجلماسة التي لم يبق منها

Le Bastion de : Campardon et H. Rasset

: Ricard (١١) ١٩١٩ *Archives Berbères* في Taza

: G. Marçais (١٢) *Le Maroc (Guide bleu)*

: *Manuel d'Art Musulman* ص ٣٥١ ، ٤٧٦

وما بعدها ، ص ٧٢٨ وما بعدها

[مارسيه G. Marçais]

« تاشفين » ين على : من ملوك المرابطين

(انظر هذه المادة)

« تافته » (لفظ فارسي معناه المجلد) :

لوع من الحرير Tafetta ، وقد عثر عليه كلالينو سفر هنري الثالث أمير قشتالة في أسواق تبريز وسلطانية وسمرقند ، وينسج القماش المعروف بالتافته في الإقليم نفسه

وقد ازداد شيوع هذا الصنعت في المغرب في لواخر القرون الوسطى ،

المصادر :

Dict. des mots français : M. Deric (١)

: *d'origine orientale* ص ٢١٤ (٢) Clavijo

: *Narrative* ص ١٠٩ ، ١٧٤ ، ١٩٠ (٣)

: *Hist. du commerce du Levant : W. Heyd*

الطبعة الفرنسية لراينر Raynaud ، لينسك

سنة ١٨٨٦ ، القهرس :

[انوار Cl. Huart]

جزيرة الأندلس والمعروفة الآن باسم «سيرانيا دي روندا» Serrania de Ronda ، وما من شك في أن هذا الاسم هو المنطوق البربري مع التشديد لكلمة «تاكرنة» التي كثيراً ما ترد ضمن الأسماء الشائعة في إفريقيا الشمالية . وكثيرون هم الكتاب الذين يخطئون في ضبط هذا الاسم اختلاطهم في رسمه ، وقد جمع كل من مارسيه Margais وعبد الرحمن كويك هـ صور هذه الكلمة ورسموها المختلفة تبعاً لوجه استعمالها في تونس وعلقا عليها تعليقات قيمة (في كتاب *Textes arabes de Tokronna* ج ١ ، باريس سنة ١٩٢٥ ، ص ٨ ، تعليق رقم ١ ، وانظر كذلك معجم ياقوت في مادة «شريس» ، ابن بشكوال : الصلة ، طبعة قديرة Oudera المكتبة الأندلسية العربية B.A.H. ص ١٨٥ ، ١٣٠٢ ، ابن عبد المنعم الحميري : الروض المطار) :

وحاول دوزي Dossy تفسير ذلك الاسم بأنه لفظ مركب من المقطع البربري «تا» والكلمة اللاتينية «كورونا» Corona ، ولكنه عدل علولا صائباً عن هذا التفسير الاشتقائي ، إذ من الصعب تبريره (انظر *Hist. des mus. d'Alg.* ج ١ ، ص ٣٤٢ ، تعليق رقم ٢ ، ج ٤ ، ص ٣٣٩ ، وانظر *Korouba* ج ٢ ، ص ٤٣ ، تعليق رقم ١) ، ولا يتفق هؤلاء المؤلفون بأي اشتقاق من الاشتقاقات التي افترضت في أصل هذه الكلمة ، ورواية هي عاصمة دولة بني إيفران إلى أن ألحقت بمملكة إشبيلية ، وفي مادة «رنة» موجز تأريخي لإقليم تاكرنا إبان الحكم الإسلامي فارجع إليه :

[لبي بروفسال Lévi-Provençal]

سوى أطلال مدن أخرى صغيرة مثل قصر بوعام في تافيلالت ، وهي مركز الأعمال في هذا الإقليم ، ومدينة تيفغرت التي أمر السلطان مولاي الحسن بتحصينها في نهاية القرن التاسع عشر .

المصادر :

(١) انظر مادة سجلداسة : وهناك وصف عام ومصور جغرافي في كتاب (٢) Ricard : Maroc - Les Guides Bleus ، باريس سنة ١٩١٩ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٨ :

[لبي بروفسال Lévi-Provençal]

«تاكرُنا» (١) : أطلق مسلمو الأندلس هذا الاسم على المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي شبه

(١) ان دسم كلمة تاكرنا وحيطها عما كما أورده مؤلف المادة : فقد ذكرها ياقوت في معجمه إذ قال في التفسير بمدينة «رنة» (بضم الراء) : «مقل حميين من أمثال تاكرنا» وقلنا ضبط هذه الكلمة الأخيرة بضم الالف والراء ولون جديدة ، ثم إنه عاد فوسم كلمة تاكرنا في مكانها الطبيعي من معجمه على فر هذا الوجه إذ قال : «تاكرني» بفتح الالف وسكون الراء ، وأصل هذا وجه من وجود رسمها «وهو رسم خاطئ لأن الصحيح لقال : «وحيطه السمعي بضم الالف والراء وتشدده الثزن وهو الصحيح» ثم قال في التفسير بتاكرنا : «وهي كورة كبيرة بالأندلس ذات جبل حسيمة Serrania يخرج منها عدة أنهار ولها رنة» إلى أن قال : «والى تاكرنا ينسب جماعة منهم أبو حسان محمد بن سعد التاتركني الكاتب الأندلسي ، كان من الشعراء المبلغاء ذكره ابن مالك من الصفيدي عن ابن حبان بن شيبة» - فالرسم الصحيح والصحيحان تلك الكلمة عما كما تقدم في كلام ياقوت وشواهدا التي نصحتها بقوله في مادة «شريس» بصر الدين ولحق الراء : «شريس حسن حصين ومقل معين بالأندلس من أمثال تاكرنا» برسمه وحيطه .

أما كلمة Serrania التي قال مؤلف المادة أن بها سميت المنطقة الجبلية المتصلة بمدينة رنة فمتاهة في اللغة الإسبانية للمنطقة أو الرنة أو الجهة الكثيرة الجبال .

محمد مسعود

خان ، وكان مثله مغنياً في بلاط أكبر ، وبلباس
الذى كان زوج ابنته لال خان من خير المغنين في
بلاط شاه جهان .

واشتهرت كواليار بموسيقيتها ، وقد أخرجت
مالاً يقل عن أحد عشر مغنياً من الثمانية عشر مغنياً
الذين كانوا في بلاط أكبر .

المصادر :

(١) شيخ أبو الفضل : أكبر تاهه، نشرت
النص وترجمته H. Beveridge (٢) آئين أكبرى،
نشر النص وترجمه Blochmann & Jarrett
(٣) عبد الحميد لاهورى : بادشاه تاهه ، النص،
وكل هذه المصادر في المكتبة الهندية التي تصدرها
الجمعية الآسيوية للبنغال .

مورده [هيكت T.W. Haig]

« تاهرت » ويقال أيضاً تهرت : مدينة
بالجزائر يرجع عهدها إلى العصور الوسطى ، وهي
على الحد للشرق لمركز وهران الحالي ، ويروى
الإيريسى أن هناك مدينتين تعرفان بهذا الاسم :
إحداهما تاهرت القديمة ، وهي موضع رومان
لهذه كان حاضرة أسرة من أهل البلاد أومن
الأمراء الذين يدينون بالولاء للبيزنطيين أومن
حلفاء هؤلاء (Gaul)، ثم إن هذا البلد نهض من بين
الأطلال في العصور الحديثة وأضحى حاضرة
تياوت . والثانية تاهرت الجديدة ، وهي على
مسيرة ستة أميال غرب الجنوب الغربي لتياوت

« تامول » أو تينبل ، ويعرفها القرنية باسم

Betel : هي أوراق النبات المسعى تامول أو تينبل
Piper betel ، وهي أوراق ملقحة حول ثمر القوغل
Areca Catechu المسعى جوز التامول ، ويستعمل
في المضغ ، وينبت في الجنوب الشرق من آسية .
ولفظ تامول أو تينبل هندي نقل إلى اللغتين العربية
والفارسية .

المصادر :

(١) ابن بطوطة ، طبعة باريس ، ج ٢ ، ص
٢٠٤ وما بعدها (٢) L. Lewin : Ueber
Areca Catechu, Chama Betle und das Betelkauen

« تانسين » : وهو الذى قال عنه الشيخ
أبو الفضل : لم يصانفنى الملتصق مثله ألف سنة .
وقد خرج تانسين من كواليار ، وعلم أول أمره
رام چند البغله راجانبا ، ويقال إن هذا الراجا
منحه في مناسبة من المناسبات عشرة ملايين
تكة . وقد حاول إبراهيم سور أن يفرقه بالقلوم
إلى أكرا فلم يفلح ، إلا أن أكبر أرسل عام ١٥٦٢
بنة إلى رام چند في كالتجر لإغراء تانسين بالقلوم
إلى بلاطه ، ولم يجر رام چند على رفض هذا
الرجاء فبث به هو وآلاته للموسيقية وطائفة من
المطابا إلى البلاط الإمبراطورى ، وقد منحه أكبر
في أول مناسبة غنى فيها ٢٠٠,٠٠٠ روبية . ومعظم
لحانه قد دوت باسم أكبر ، ولا تزال أغانيه العذاب
شائعة في هندوستان . وكان لتانسين ابنان : تانيرنگ

شهر بعيد من تأقلمت التي كانت من أمنع بلاد الأمير عبد القادر (انظر هذه المادة) . وليس بها الآن إلا آثار مطموسة. لما كانت عليه في الماضي من عظمة ٥

وقد استولى الداعي الشيبي أبو عبد الله على تاهرت عام ٥٢٩٦ (٩٠٨م) وخربها تخريباً تاماً ، ومن ثم لم يكن لها إلا شأن ضئيل في تاريخ البربر ، وورثت تيارت نصيباً من رخاء تاهرت الاقتصادي. وكما كان رخاء تاهرت في القرن التاسع واجماً إلى أنها مثقل الثيابي فكذا يرجع رخاء ذلك المركز الجزائري إلى هذا السبب . وقد زاد رخاء هذا المركز منذ أن أصبحت هضبة مرسو التي تصل به مركزاً هاماً من مراكز الاستعمار ٥

المصادر :

- (١) البقولي ، طبعة ده غويه ، ص ١٤ ، الترجمة ص ١٠٠-١٠٧ (٢) البكري : الجزائر ، سنة ١٩١١ ، ص ٦٦ - ٦٩ ، ترجمة ده سلان سنة ١٩١٣ ، ص ١٣٨-١٤٠ (٣) الإدريسي ، طبعة حوزي وده غويه ، الترجمة ص ١٠٠-١٠١ (٤) ابن عداري : البيان المغرب ، طبعة دوزي ، ص ١٦٠ ، ص ٢٠٣ وما بعدها ، ترجمة فالتيان ، ص ١٦٠ ، ص ٢٨٣ وما بعدها (٥) تاريخ ابن صغير ، ترجمة C. Motylinski المنشورة في أصدره الموثمر الرابع عشر للمستشرقين ، باريس سنة ١٩٠٢ (٦) Geel : Atlas Archaeologique de l'Algérie ، ورقة ٣٣ ، رقم ١٤ ،

وظلت تاهرت الجذبة قصبة الأئمة الإباضية (انظر هذه المادة) من بيت رسم زهاء ١٤٧ عاماً. وقد فر عبد الرحمن بن رسم من القبروان بعد عودة الجيوش العربية بقيادة ابن الأشعث ومحت من مكان يلتجئ إليه أهل الجزء من أواسط المغرب حيث يكثر الخوارج ، وأسس تاهرت عام ١٤٤٤ (٧٩١م) وقد أحسن اختيار موقعها ، وعلى الرغم من قسوة جوها الذي جعل البكري يزوي لنا قصصاً كثيراً عن بردها فإنه يمكن رى أرواضها ، وهي تنتج فاكهة طيبة ، وجل لروة تاهرت من نجاحها ، وقد قدر لها أن تصبح سوقاً عظيمة شأن وتيارت الحديثة بفضل موقعها عند سفح جبل كزوك في نهاية التل الذي على الحد الشمالي للسووب المتاخمة لأرض البلو والحضر ، مما جعل البلو يؤمنونها زوافات ، وتقاطر عليها الأجانب وخاصة الفرس سدافع الأمل في الربح أو للدخول في مناهب الخوارج . وكان لمولاه الأجانب مساكن جميلة وأسواق ، ولذلك سميت تاهرت «الوراق الصغيرة» ونحن نعلم إلى أي حد من الشدة بلغت الحياة الدينية في تاهرت حاضرة تلك المملكة القائمة على الدين ، ولدينا أخبار عن الحياة العقلية للأئمة وعن أتباعهم ، ولم يعد في مقلودنا أن نعرف ما كان عليه شكل المدينة وبيوتها . ولعل هذه

وكثير من وجوه استعمال التأويل يمكن - كما أشار كولد تيسير - أن ترد إلى تأثير إشباع الأفلاطونية الجبلية وخاصة « فيلون » وقد كان هذا الأسلوب نفسه النتيجة المباشرة لضرورة توطيد مكانة الآراء الجبلية بتفسير مستحدث لألفاظ الوحي التي وصلت إلينا . والتأويل الرمزي يمكن اعتباره في جوهره إسلامي الأصل والنشأة .

المصادر :

- (١) لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٣٤ وما بعدها
- (٢) تاج المروس ، ج ٧ ، ص ٢١٥ (٣)
- وما بعدها (٤) السيوطي : الإتقان ، ج ٢ ، القاهرة سنة ١٢٨٧ هـ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦
- (٥) *Die Richtungen der Islamischen : Goldziher*
- Veroff entlickungen) Koranauslegung der*
- De Goje-Stiftung* « رقم ٦ » ، ليندن سنة ١٩٢٠
- Streitschrift des Gazali : Goldziher* (٦)
- Veroffentl der (De) gegen die Batinsija-Sekte*
- Goje Stiftung* « ، رقم ٣ » ليندن ١٩١٦ ، ص ٥٠ وما بعدها ، والنص العربي رقم ١٠ : [ياربي R. Parei]

تعليل على مادة « التأويل »

أصل مادة « تأويل » من المعنى الغوي « أن يؤول أولاً » أي : رجع إلى أصله ، ثم استعمل في كلام العرب وفي القرآن خاصة بمعنى التفسير ، أو بشيء قريب من معناه ، فالنفسير والتأويل :

« التأويل » : التأويل في الأصل معناه - بوجه عام - التفسير والشرح ، وفي بعض آيات القرآن التي ترد فيها هذه اللفظة تراها تشير إشارة واضحة إلى الوحي الذي ينزل على النبي محمد . وقد صار استعمال لفظ التأويل بعد ذلك مقصوراً على هذا المعنى الخاص ، وكانت من ثم تعني شرح معاني القرآن ، وصارت حينئذ مرادفة لفظ تفسير ، ثم اكتسبت اللفظة نصيباً أوفر من التخصص ولو أنها لم تقتصر على هذا المعنى وحده ، وصارت اصطلاحاً يطلق على تفسير مادة القرآن ، والتأويل في هذا المعنى الأخير يكون جزءاً إضافياً هاماً للشرح اللفظي الظاهري للقرآن الذي صار يسمى بالتفسير ، ولم يجد علماء السنة مسوغاً لإنكاره مادام لا يناقض المعنى الظاهر الخرفي للقرآن أو السنة ، ولكن للسألة تغيرت عندما أصبح التأويل لا تراعى فيه هذه الشروط والصوفيون وإخوان الصفاء والشيعية والمدارس الفكرية التي لم تحرق من الإسلام ولكنها انحرفت إلى حد ما عن طريق السنة وجعلوا جميعهم في التأويل أداة صالحة لجعل آرائهم متفقة مع المعنى الخرفي للقرآن بل ذهبوا إلى حد استنباط آرائهم من نصوصه ، وإلى جانب التفسير الخرفي لنصوص القرآن نشأ تفسير رمزي التزعة وجد في ثنايا القرآن أفكاراً بعيدة عن المألوف ، وقد صارت للمدارس المتطرفة ترى في هذا النقل والتحويل المعنى الظاهر السيل الوحيد لتفهم القرآن ، ويلتزم أهلوا التفسير التقليدي بل صارت أحكام القرآن في رأي أصحابها غير واجبة الإتياع .

تم دخل على المسلمين ناس اتبعوا التشابه في مثل هذا وأكثروا من القول في القرآن بغير علم ، حتى ادعوا أن له ظاهرًا وباطنًا . وأن الباطن لا يعلمه هؤلاء إلا بشيء يزعمونه نحو الإلهام ، وهم لم يفقهوا ظاهر القرآن ولم يعرفوا شيئًا من السنة ، أو عرفوا وأعرضوا عنه لما وقر في نفوسهم من حب الإغراب ، أو من آراء تنافي الإسلام فأرادوا أن يلصقوها به . وعن ذلك نشأت تأويلات الصوفية وغيرهم ممن أشار إليهم كتاب المادة ، وهذه التأويلات لا تمت إلى الإسلام بصلة ، وإن كان قائلوها يسمون بأسماء إسلامية ، ويدكرون في تاريخ الإسلام ، وتذكر أئمتهم وآرأؤهم مع آراء علماء الإسلام . الإسلام دين واضح سهل ، لا رموز فيه ولا ألغاز ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك المسلمين على المحجة الواضحة ، ليلها كهارها . فكل من حاد عن هذه السبيل ، فإثمًا أعرض عن الصراط المستقيم ، وتفرقت به السبل ، حتى خرج بعضهم عن كل طريق من طرق الإسلام ، أو من الطرق التي تشبه أن تتصل بالإسلام ممن وصفهم كتاب المادة بقوله (بل صارت أحكام القرآن في رأى أصحابها غير واجبة الاتباع) . ومن ذهب هذا المنحرف أو قريبا منه فلا يمكن أن يعد من المسلمين ، ولأن ينسب قوله إلى أقوال أهل الإسلام ؟

كشف المراد عن الشيء المشكل . وفرق بعض العلماء بينهما ، فكثر استعمال التفسير فيما يتعلق بشرح المفردات والألفاظ ، والتأويل فيما يتعلق بالمعاني والجمال . واصطلح الفقهاء وغيرهم على معنى آخر للتأويل هو تفسير الآية أو الحديث بمعنى غير ما يفهم من ظاهر اللفظ ، ولذلك يقول العلماء كثيرا في عباراتهم مثلا : إن هذا الحديث أو هذه الآية من الصريح الذي لا يحتمل التأويل ، أى لا يحتمل معنى آخر يخرج عن المراد الظاهر من لفظه ، فالمعنى الظاهر من الكلام لا يخرج عن المفسر والمؤول إلا بدليل أو قرينة ، لأنه يكون شيئا بالمعنى المجازي ، وقد ورد لفظ « التأويل » في آيات من القرآن على المعنى اللغوي الأصلي ، ولكن بعض العلماء والمفسرين ظنوا مما يدخل في « التأويل » الاصطلاحي ، فنشأ عن ذلك اختلاف واضطراب في آرائهم . ولحق إن ذلك على المعنى اللغوي الواضح ، في لسان العرب (١٣ : ٢٥) : « وأما قول الله عز وجل : هل ينظرون إلا تأويله . يوم يأتى تأويله » قال أبو إسحاق : معناه : هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث . قال : وهذا التأويل هو قوله تعالى : وما يعلم تأويله إلا الله . أى : لا يعلم معنى يكون أمر البعث ، وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون : آتينا به ، أى : آتينا بالبعث والله أعلم . قال ابن منصور : وهذا حينئذ : وأقول : بل هو الصواب الذي لا يفهم من القرآن غيره .

تقبل وحقول حنطة : ويصفها ابن خردادبه ما يشبه هذا (المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة دهغوبه ج ٦ ، ص ١٣٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، وانظر الحمداني ، ص ٢٥٨ ، ١١٦ ، ١٨٠ عن الرى فيها ، والحمداني ص ٢٥٨ عن وفرة التخييل بها ، والأزرقي طبعة قسنطينة ، ص ٢٦٢ ، ويمكن أن نلین خصوبتها بما ذكره البكري ، طبعة قسنطينة ، ص ١٩١ ،

وقد وصف الحمداني في صفحة ٢٥٨ مالحق تباله بعد ذلك من الضرع على يد الربير ، ويقول الإدريسي في نفس الموضوع من كتابه إن تباله فختت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وكان شأنا ضئيلا في نظر فاتحها ، ولم يجد الحجاج عندئذ على أنها تستأهل أن يمضى إليها ، ومن ثم ضرب المثل هـ أهون من تباله على الحجاج ، (انظر توفية ذلك في باقوت ، ج ١ ، ص ٨١٦ ، *Proverbia : Proptag* ، ج ٢ ، ص ٩٨١ ، لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ٨٠ وما بعدها ، التاج ج ٧ ، ص ٢٣٩ وما بعدها) ويزعم الإدريسي أن تباله على مسيرة أربعة أيام من مكة وثلاثة أيام من سوق عكاظ : وجاء في وصفه للطريق من مكة إلى صنعاء (انظر Jaubert : كتابه المذكور آنفاً ، ص ١٤٣ رقم ٦ ، *Erkunde : Ritter* ، ج ١٢ ، ص ١٦٨ وما بعدها ، ص ١٩٧) أن تباله هي المحطة السادسة من مكة وأنها في منخفض واد متسع يبدأ عند سفح جبال الطائف : والماء هناك وافر ، ويضم هذا المنخفض مدينتي تربة وبيشة (يقطان ، انظر *Das Leben und die Lehre des : Sprenger* *Mohammed* ج ٣ ، ص ٢٩٧) .

مصادر أخرى (كليات أنى البقاء ص ١٨٧ طبعة الأستانة سنة ١٢٨٧) ، (كشاف اصطلاحات الفنون ص ١١١٦ - ١١١٧ طبعة الهند) ، (لسان العرب ١٢ : ٣٤ - ٣٥) ، (حقائق التأويل للشراف المرتضى ص ٧ - ١٤ طبعة بغداد سنة ١٣٥٥) وكتب أخرى في التفسير وغيره ،

«تباله» : مكان في الغرب من شمال اليمن داخل بلاد حسير وعلى مسيرة سبعة أيام من جنوبي شرق مكة ، كانت خصوبته مضرب المثل بين العرب . واشتهر حوض تباله وتربة باسم «الأخضر» (الحمداني : صفة جزيرة العرب ، طبعة S.H. Mueller ، لندن سنة ١٨٨٤ ، ص ١٦٥ ، ياقوت : المعجم ، طبعة قسنطينة ، ج ١ ، ص ١٩٤) ، وقد وصفت بورخارت طرق الحجيج للذهاب من مكة إلى صنعاء عبرة الأراضي التي على حدود الحجاز في مصنفه *Travels in Arabia* (لندن سنة ١٨٢٩ ، ج ١ ، ص ٤٤٥) وأثبت هذا الوصف بالمصورات الجغرافية منذ أن ألف برغافوس Berghaus كتابه *Arabia und das Niland* (كوتاسنة ١٨٣٥ ، ص ٦٩ بصفة خاصة) ، وانظر أيضاً خريطة رثر Ritter سنة ١٨٥٢ ، طبعة كيرت HL Kiepers من الجزء من الأرض الممتد من مكة إلى تباله ، وتباله هي المحطة السادسة عشرة في البلاد التي يقطنها الشمران . ويرى الإدريسي (انظر *Géographie d'Edrisi : Jaubert* ، باريس سنة ١٨٣٦ ، ج ١ ، ص ١٤٨) إنها مكان حصين من أعمال مكة مأوّه وافر لا يقطع ، وبه

على الطريق الرئيسي الممتد من الطائف إلى الجنوب ماراً ببيهر الغزال ، هو والطريق الذي يبدأ من الجنوب الغربي ، من السليمة وحليبة ، وهو يبدأ أيضاً من الطائف ثم يعمل نحو الجنوب ،

وقد خُصَّ شيرنكر (Die Alto : Sprenger) وبن سنة ١٨٧٥ ، ص ٤٧) من مقارنته بين فقرات من كتاب الهمداني التي ورد فيها ذكر وادي يتش أو ييشة إلى أن الهمداني يظن أن وادي ييشة - التي يخالط دائماً بيش - يروى أيضاً ترج وتباله : غير أننا لا نستطيع أن نأخذ بما وصل إليه شيرنكر ولا بما ذهب إليه الكتاب الذين أتوا بعده من أن تباله في وادي ييشة : ويصعب وادي تباله الذي ورد فيها رواه الهمداني عن طبرقة (ص ١٧٣ ، ولم يرد ذلك في ديوان هذا الشاعر ، انظر طبعة D.H. Mueller للهمداني ، ج ٢ ، ص ١٨٣) في وادي ييشة : ويذكر الهمداني تباله مقرونة ببيشة وترج في الفقرات التي يصف فيها طبيعة الأرض (ص ٢٧ ، ٤٩ ، ٨٤ ، ١٢٧) فيها تردد في الشعر من ذكر أسد تباله : انظر شيرنكر : كتابه المذكور ، ص ١٦٥ ، ٢٥٧ ، ياقوت : كتابه المذكور ، ج ١ ، ص ٧٩١ ، ٨٣٥ ، ج ٤ ، ص ١٠٠٦ ، ابن حوقل : المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، البكري : وفي بيان الهمداني للمسافات : ص ١٨٧ ، ١٨٩ ، وفيها رواه عن الشعراء ، ص ١٧٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢٥٨) ويضم الهمداني عَرَم (ياقوت : للجمع ، ج ٢ ، ص ٩١٨) وزاوية إلى تباله ، ويذكر بعض

وزعم الإدريسي أيضاً أن ييشة (مقطان) هي المدينة التالية لتباله من بين المدن التسع التي بين تباله وصنعاء . ويؤيد شيرنكر Sprenger أنها ييشة بطمان (انظر الهمداني ، كتابه المذكور ، ص ١١٨ ، ١٢٧) ووصفه للطريق من مكة إلى صنعاء ص ١٧٨ ، ص ١٦٥ ، ابن خرداذبه : كتابه المذكور ، ص ١٣٤) لا كما رسمها من قبل في مقال له بمجلة Zeitschr. der Deutsch. Morgent. Gesells. (سنة ١٨٨٨ ، ج ٤٢ ، ص ٣٢١) ، وهو يزعم أيضاً أن تباله نفسها على مسيرة ثمانى عطات شمالي المطة الرابعة عشرة المعروفة باسم مهبجرة ، وفيها الشجرة المعروفة بطلحة الملك التي تعتبر الحد بين أرض مكة واليمن (ابن خرداذبه : كتابه المذكور ، ج ٦ ، ص ١٢٥) ، ويذكر الكتاب المخطون طريقاً آخر من مكة إلى رانية ماراً بالطائف (وقد ذكر الإدريسي بدلا عنها «الروية» وفي رواية بورخارت «الرهيثة» وفي رواية الكتاب المتأخرين «رهيشة») وتباله ، ويؤمنون أنه طريق رئيسي (انظر Burchardt : كتابه المذكور ، ص ٤٥١ ، Ritter : كتابه المذكور ، ص ٢٠٠) ، وتبدو طبيعة الأرض التي فيها تباله بجلاء على المصور الجغرافي الكبير للساحل الجنوبي الغربي لبلاد العرب الذي وضع على أساس مسح الأرض في عام ١٩١٧ ليفيد منها المشتغلون بالقسم الجغرافي (Geographical Section General Staff) ورقة ٧ عن وادي ييشة) وموقع تباله مبين على هذه الخريطة على خط عرض ١٩° ٥٣' شمالاً وخط طول ٤٧° ٣١' شرقي غرينوتش. وهي في وادي تباله الذي يكون الحد الشمالي لأرض بني بوالقرن ،

العمود (١٣٢٨) : ولا صحة أيضاً لا الفرضه
شبرنكر (ص ٢٥٣) من أن تبالة تقع فيما كان
يعرف في الأصل بأرض معين، وتعيده لموطن أهل
معين خطأ محض (انظر *Realencycl.* ، العمود
١٣١٦ وما بعده)

ولا قيمة لا أثر من أن اسم المدينة (تبال في
جهانها لحاجي خليفه ، ص ٥٢٠) مشتق من اسم
امراة من العائلة تعرف بتبالة ، وعلى الرغم
من هذا فإنه يمكن أن نفرض أن هذه المدينة
بليت في عهد قديم جداً : (ياقوت : كتابه المذكور ،
ج ١ ، ص ٨١٦) : وكان بتبالة أيام الجاهلية
صم اسمه ذوالفخصة أو غلص يميده الناس ، وكان
هذا الصم حجراً أبيض ، وقد حطمه النبي محمد (ابن
هشام : السيرة ، ج ١ ، وفيها ورد ذكر بني خثعم
من بين الذين يعملون هذا الصم ، وقد ذكرهم
الهمداني وحدهم في صفحة ١١٩ ، وكذلك فعل
ياقوت ، ج ٢ ، ص ٤٦١ وما بعدها ، ٦٠٨ ،
٨٥٠ ، عند حديثه عن تبالة) : وهناك أبيات من
الشعر وردت في هذه الكتب وتضمنت شيئاً من
عبادة هذا الصم الذي كانوا يقرعون عليه بالسهام :
وقد نسب ابن هشام هذه الأبيات خطأ إلى امرئ
القيس (انظر ماجمعة اللسان ، ج ٨ ، ص ٢٩٥
عن هذا الصم ، التاج ، ج ٤ ، ص ٣٨٩ ، أما
عن تبالة بوصف كونها مقر هذه العبادة الوثنية
فانظر *Arabischen Heidentum* : Wellhausen
ص ٤٥ وما بعدها) . وبني خثعم الذين أجمل ابن
رسته (المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غوة :

الكتاب رائية بدلاً من زائية) انظر شبرنكر : كتابه
المذكور ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ . ويمكن الرجوع
إلى خريطة شبرنكر لهذا الإقليم وقد اعتمد فيها
على ما ذكره الهمداني : ويذكر الهمداني في صفحة
١٦٥ تبالة مع رائية : ويشك في الرسم الذي جاء في
طبعة Mueller وهو رائية : ولا تضبط الخطوط
الحركات في تلك الفقرة : ويجمع ياقوت (كتابه
المذكور ، ج ٢ ، ص ٨٢٩) والمقدمي (المكتبة
الجغرافية العربية ، ج ٣ ، ص ١١٢) والبكري
على « رائية » كما ضبطها الهمداني (كتابه المذكور ،
ص ٢١٥ ، ٢٥٩ : انظر D.H. Mueller ، ج ٢ ،
ص ٣٢ : Sprenger : كتابه المذكور ، ص ٢٤٠ ،
وما جاء في *Zeitch. der. Deutsch. Morgenl. Gesells.*
للموضع المذكور ، وما أورده الجغرافيون المحدثون)

ولا صحة لا ذهب إليه شبرنكر (ممثل المذكور ، ص
١٥٦ ، ٢٥٣) من أن فقط « ثوعا » الوارد في
بطليموس (ج ٦ ، ص ٧ ، س ٢٣) خطأ صحته
« ثوعالا » وهو عين « تمالة » التي ذكرها بليناس
(*Hist. Nat.* : Pliny ، ج ٦ ، ص ١٥٤) ولما قرره من
أن « تمالة ما هي إلا لغة في تبالة أو تبالة كما
ينطقها أولئك الذين على قسط والمر من التلميح »
وهذا الزعم الذي أخذ به هارتمان أيضاً (*Hartmann* :
Die arabische Frage ، ليسك سنة ١٩٠٩ ، ص
٤٢٠) لا يؤيده تفسير شبرنكر لرواية الهمداني
(ص ١٨٨) عن طرق الحجيج القديمة التي تلتقي في
تبالة طبقاً لتخطيطه : ويرى بليناس أن تمالة هي
بلد السبائين (انظر Pauly-Wissowa ، مادة سبأ ،

والإدريسي اللين ورد ذكرهم في هله للمادة (٧)
Jahrbucher der : J. v. Hammer-Purgstall
Litteratur ، قينا سنة ١٨٤٠ ج ٩٢ ، ص ٥٥
 (عن وصف الرحلة من صنعاء إلى مكة في
 جهاننا) ، ج ٩٤ ، ص ٩٤ (٣) Sprenger :
Abhandl. d. Post-und Reiservonten des Orients
f. d. Kunde des Morgenl ، ليسك سنة ١٨٦٤
 ج ٣ ، عدد ٣ ، ص ١٢٥ وما بعدها ، ١٣٨
 وما بعدها (عن وصف الطريق في الهنداني) ص
 ١٢٨ وما بعدها (عن أوصاف الطريق الواردة في
 قدامة وابن خرداذبه وابن مجاور)

[تكتج J. Thatsch]

« التَّبِت » : قطر إلى الجنوب من الصين ،

وقد ذكر ياقوت هذا الاسم بضم التاء وفتح الباء
 المشددة تَبِتْ ، وبكسر الباء المشددة تَبِيتْ ويفتح
 التاء وضم الباء المشددة تَبِيتْ وإن كان يفضل
 الرسم الأول : ولعل أقدم ما ذكره العرب عن
 التبت وملكتها مأخوذ عن مصادر تركية ، ويلقب
 حاكم التبت بالخالقان ، وعرفت الاميان تَبِيتْ *Tapi*
 وتَبِيتْ قَبِيتْ من عهد الكتابات الأوروغوية : وقد
 أدى ما قام في بعض الأذهان من وجود تشابه
 بين تَبِيتْ وبين الاسمين « ثابت » « وتُبِع » إلى
 نشوء عدة قصص ترجع ملكة التبت إلى أصل معنى
 (انظر الطبري ، ج ١ ، ص ٦٨٦ في أملاها ،
 الكرنيزي في *Altste Feizdke* : Barthold.
Strasburg Azijn ص ٨٧ وما بعدها) وفي

ج ٧ ، ص ٣١٦ ، ٣٢٠ في وصلهم قال (هم
 سكان تَبَالَة ، هم في الواقع أهل تربة وبيشة والبلاد
 التي خلف تَبَالَة : أما أهل تَبَالَة فهم بنو مازن
Die Wohnsitze und Wanderungen : Wuestenfeld)
der arabischen Staemne ، ج ١٤ من
Abhandl. d. koen. Gesellsch. d. Wissensch
 كوتكن سنة ١٨٦٨ ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، وقد
 أعيد لتستغلل بما رواه البكري) ويروي قدامة
 (انظر المصادر) أنه كانت هناك مضارب لبني قيس
 حول تَبَالَة (انظر ابن خرداذبه ، المكتبة الجغرافية
 العربية ، ص ١٨٨) ويلقب ابن خلدون (طيبة
 Ray ، حديثه عن اليمن ، ص ١٢٩ وما بعدها) إلى أن
 تَبَالَة هي أرض بني تَهْمَد. وقد أغرب نيلسن *D. Nielsen* :
Handbuch der altarabischen Altertumskunde
 كرنهاغن - باريس - ليسك سنة ١٩٢٧ ، ص
 ٢٣٢ ، ٢٣٤) في ذهابه إلى أن ذا الخلصة ما هو
 إلا أسلوب عرق في عبادة الإلهة فينوس ، وغدت
 تَبَالَة سوقاً يحكم أمها مكان بعيد فيه : ويتحدث
 الهنداني عن تجارها (ص ٢٥٧) : وتعد تَبَالَة في
 التأريخ الإسلامي من بين المدن السابقة إلى هذا الدين ،
 ولذلك فقد احتفظت باستقلالها (*Gollins* في
Alfraganus Elementa Astronomica ، أستردام
 سنة ١٦٦٩ ، ص ٨٥)

المصادر :

(١) برتلغات Sprenger و. Burckhardt و
 Ritter و. Wollhausen والبغرافيين وأصحاب
 المعاني من العرب أمثال الهنداني وياقوت والبكري

(انظر *On the Knowledge : Bretschneider*)
 'possessed by the Ancient Chinese of the Arabs'
 لندن سنة ١٨٧١ ، ص ١٠) . ولانجد في المصادر
 العربية ما يشير إلى وجود تحالف أو وحدة بين
 العرب وأهل التبت . ويذكر الطبري أن الهباطلة
 أو الهباطلة وأهل التبت والترك أغاروا على الثائر
 العربي موسى بن عبد الله بن خازم أثناء حكمه في
 ترمذ ، فرد عنوانهم : وورد أيضاً في الطبري أن
 مدة حكمه كانت خمسة عشر عاماً انتهت في عام
 ٨٨٥ الموافق ٣٧٤م (انظر الطبري ، ج ٢ ، ص
 ١١٦٠) .

ولم يذكر البلاذري أهل التبت عند روايته
 لهذا الخبر (البلاذري ، ص ٤١٨) . وقال اليعقوبي
 (ج ٢ ، ص ٣٦٢) ، المكتبة الجغرافية العربية ،
 ج ٧ ، ص ٣٠١) إنه في عهد عمر بن عبد العزيز
 (٧١٧ - ٧٢٠م) أرسلت التبت وفداً إلى الجراح
 ابن عبد الله وإلى خراسان تلتبس منه أن يبعث
 إليهم من يفقههم الدين الإسلامي ، ويقال إنه أرسل
 لهم سكيك بن عبد الله الحنفي . وذكر في نفس هذا
 المصدر (ص ٤٧٩) ملك التبت بين الملوك الذين
 دانوا بالولاء للخليفة المهدي (١٥٨ - ١٦٩م = ٧٧٥ -
 ٧٨٥م) . وفي السنوات الأخيرة من حكم هارون
 الرشيد (١٧٠ - ١٩٣م = ٧٨٦ - ٨٠٩م) استعان
 الثائر رافع بن الليث في فتنة التي قام بها في سمرقند
 ببعض الجنود من أهل التبت (المصدر المذكور ،
 ص ٥٢٨) . ويقال إن ملك التبت دخل في الإسلام
 (١٩٨ - ٨٢٤م = ٨١٣ - ٨٣٣م) وأنه أرسل

إشارات العرب عن التبت من الأساطير التي
 الكثير . فان خرداذبه (المكتبة الجغرافية العربية ،
 ج ٦ ، ص ١٧٠) هو أول من يذكر قصة المرح
 الذي لا تفسير له والرغبة في الضحك التي غلبت قلب
 كل غريب يحل بالتبت . ثم شاعت هذه القصة
 بين مؤلفي العرب الذين نقلوها عنه (انظر نظاي :
 سكتلرنامه ، طبعة كونيور ، سنة ١٣٢٠م ، ص
 ٢٢٦) . وورد أيضاً في أحسن ما كتب من المصنفات
 عن التبت ذكر للمدينة الحسا ، وكان أول من ذكرها
 صاحب كتاب « حدود العالم » الذي لا تعرف اسمه
 (انظر النص في *Comptes Rendus de l'Acad. de*
Russie سنة ١٩٢٤ ، ص ٧٣) . ويقال إنه كان
 بهذه المدينة مسجد ، وإن كان بها جماعة من
 المسلمين قليل عددهم .

ولم تكن التبت قد بلغت أوج قوتها أوحازت
 انتصاراتها ضد الصين في عهد فتوح العرب في
 أواسط آسيا . وكثيراً ما جاء في الحوليات الصينية
 أن العرب هم أحلاف أهل التبت أو أعلاؤهم :
 وأجمل شافان Chavannes العلاقات بين العرب وأهل
 التبت في هذه العبارة « إن الملوحة التي بلطا أهل
 التبت للعرب في وادي سيحون » *Yaxartes* « قد
 عرفها العرب لهم في كاشغرة » (انظر *Documents sur les turcs* ،
Toukine (Turcs) occidentaux ، سانت بطرسبرغ ، سنة
 ١٩٠٣ ، ص ٢٩١) . ولم يبدأ العرب قتالهم مع التبت
 إلا في عهد جن يوان (٧٨٥ - ٨٠٥م) : ومن ثم
 اضطر التبت إلى أن يرسلوا الجيوش ناحية الغرب
 فضقت وطأنهم على الأقاليم الصينية التي على الحدود

في هذا الكتاب أيضاً ذكر القرية الكبيرة سمرفنداق (ومن المحتمل أن يكون معناها سمرفند الصغرى) على أنها حصن على الحدود في بلاد ما وراء النهر. وكان يعيش في هذه القرية أناس من الهنود وأهل التبت وأهل وخان (الوخيان) وبعض المسلمين. وكان المسك يصدر من التبت إلى العالم الإسلامي عن هذا الطريق (انظر المكتبة الجغرافية العربية، ج ١، ص ٢٨٠، ٢٩٧). وقد ذكر اليعقوبي أن أحداً لم يشن الغارة على التبت فتناقص بذلك المؤرخين (ج ١، ص ٢٠٤) كما ناقض نفسه في الرواية التي ذكرها عن الحصون التي على الحدود بين التبت والصين (ج ١، ص ٢٠٨).

ولعل أول غارة شنها حاكم مسلم على بلاد التبت هي الغارة التي قام بها محمد بن تغلق خلجي سلطان البنغال (انظر هذه المادة) حوالي نهاية القرن السادس الهجري (الثالث عشر للميلاد) ولا يمكن أن تكون سنة ١٦٤١ الموافقة سنة ١٢٤٣ - ١٢٤٤م والوالودفق النص صحيحة لأنه جاء في ذلك المصدر ذاته أن هذا الحاكم توفي سنة ١٦٠٧ الموافقة ١٢٠٥ - ١٢٠٦م وتقدمت هذه الغارة في كتاب «طبقات فاصري» لمهاج الدين الجوزجاني (طبعة Nashan-Irany) والمؤلفين خادم حسين وعبد الحى ص ٥٥٣، وترجمة وألفه Raverty ص ٥٦٠ وما بعدها، وانظر History of India: Elliot ج ٢، ص ٣١٠ وما بعدها.

ومن المراجع أن يكون اسم تبت (Tibet Thabet) على صكوك

إلى خراسان صمته الذهبي فوق عرش من الذهب ليكون شاهداً على إسلامه. وقد أرسل المأمون هذا الصم إلى مكة (المصدر المذكور، ص ٥٥٠) وضرب الولي يزيد بن الحزوي من هذا الصم سكة ذهبية أثناء الفتنة التي قامت على عهده (المصدر نفسه ص ٥٤٤). وذكر الطبري في حوادث عام ١٩٥هـ (٨١٠ - ٨١١م) الخاقان ملك التبت على أنه واحد من خصوم المأمون، وقد اضطر المأمون إلى مصافاته قبل أن يهاجم أنحاء الأيمن. وفي عام ١٩٦هـ (٨١١ - ٨١٢م) ولي الفضل بن سهل (انظر هذه المادة) على الأقاليم الشرقية من همدان إلى التبت (الطبري، ج ٣، ص ٨٤١).

ويظهر أن جغرافيين العرب قد فهموا - بوجه عام - أن التبت هي بلاد التبت الصغرى أو تبتستان (انظر هذه المادة)، وكانت هناك طرق موصلة إليها مع خق (انظر هذه المادة) ويكخشان (انظر هذه المادة) عن طريق وخان، وتشير القصة التي أودعها كل من البيروني (الآثار الباقية، طبعة Sachau ص ٢٧١، ص ٨، حيث يجب أن تقرأ تبت بدلاً من بيت) والكرديزي نقلاً عن الجيهاني إلى الطريق بين ختن وتبت، وهي القصة التي تدور حول المرض الذي ينجم عن الجبال، ويمكن الرجوع فيها شخص «جيرم» من أعمال بلخشان يوصف كونها محطة على الحدود وعلى الطريق إلى تبت إلى المكتبة الجغرافية العربية (ج ٧، ص ٢٨٨). وجاء في كتاب «جلود العالم» (ص ٢٥) إشارات مستفادة عن الطريق عبر وخان. وورد

وما إن أصبح للإسلام الكلمة العليا بأسية الوسطى في شتاء الهند في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) حتى غزا الحكام المسلمون التبت، وبخاصة التبت الصغرى، باسم الجهاد، وحوال نهاية القرن التاسع الهجري أنضغ مير ولي - قائد والى كاشغر من بيت دوغلات، ويدعى أبابكر - جميع بلاد بلخ (كافغانستان) أنظر هذه المادة) والتبت قبا بين بلخشان وكشمير (انظر هذه المادة) وانظر تأريخ رشيدى، ترجمة روس Ross، ص ٧٢٠، ٤٠٣ :

ولما تغلب سيد خان على أبى بكر عام ١٥١٤ هـ هجرت القلاع التى بنيت فى لدخ من أعمال التبت واستولى أهل التبت على ما بها من خثام : وفى عهد سيد خان (١٥١٤ - ١٥٣٣م) أغاز مير مزيدايم ١٥١٧ على التبت ولدخ والبلاد المجاورة ثم أغاز عليها الخان نفسه وفى صحبته المؤرخ حيدر ميزا (انظر هذه المادة) والكتاب المذكور ص ٤١٧ وما بعدها)

وحاول حيدر سنة ١٥٣٣ أن يصل إلى الحدا، ويسمى أرستنگ، وبها أكبر المعابد، ولكنه اضطر أن يعود أدراجه إلى أسكارتوك (ص ٤١٤) وهى على مسيرة أسبوع من الحدا. ومن المحتمل أن تكون أرستنگ هى كرساتك التى ورد ذكرها فى كتاب حدود العالم، حيث كان بها معابد كثيرة للأصنام. وإن ذكر كرساتك دون ذكر الحدا معها لا ينفى دليلا على أنها غير أرستنگ. والكتاب أن كتاب حدود العالم قد جمع بأكماله من

مأذهب إليه برتشneider (Medieval : Bretschneider Researches، ج ٢، ص ٢١) قد وصل إلى أوروبا عن طريق الرحالة الأوربيين فى العصر المغولى دون أن يكون للعرب شأن فى ذلك، وإن كانت كلمة تبت (تبت) قد ذكرها بنيامين التطيلي (ترجمة أدلر Adler، ص ٥٩)، ولكن من المحتمل أن روايته لم تكن قد عرفت فى أوروبا فى ذلك الوقت. ويظن الآن أن بنيامين لم يصل إلى أبعد من بغداد (انظر K. Wright : Geographical Lore of the time of the Crusades، نيويورك سنة ١٩٢٨، ص ٢٨٧). ولم يذكر هنا الرحالة إلا بعض الأخبار المضطربة التى اقتطعها من البلاد الإسلامية، ولعله استقفاها من الهند. فهو يقول مثلا إن المسافر يقطع المسافة من سمرقند إلى تبت فى أربعة أيام.

وهناك بعض الإشارات عن التبت فى المصنف العظيم الذى كتب رشيد الدين عن إمبراطورية المغول، أما الاسم يورى تبت (رشيد الدين Tradit. Post. arab. Obach، ١٣٠، النص ص ٢٣٧) الذى لم يذكره أحد من الكتاب المسلمين فقد ذكره بلانوكاريني (Bianco Carpi) كما ورد ذكره فى المصادر الصينية (انظر الإشارات الواردة فى كتاب Bretschneider السابق ذكره). واحتق أهل التبت البوذية فى القرن السابع الميلادى. وأصبح هذه البلاد منذ عهد المغول شأن، لأن البوذية كانت تنتشر بها. ويقرر رشيد الدين (طبعة بلوشيه Blocha، ص ٥٤٠) أن كهان التبت كانوا أعظم كهان البوذية مكانة.

بكتوبة ، ولذلك فإن الاسم الواحد كثيراً ما يرد مرتين بصيغ مختلفة تقلل عن المصادر المختلفة . وأغار حيلر مرزاً سنة ١٥٤٨ على لدغ وبلتستان بعد أن أصبح ملكاً على كشمير (بعد سنة ١٥٤١) ، ونستدل من كل ذلك على أن بلتستان كانت في القرن العاشر الهجري ضمن بلاد التبت التي لم تكن بعد قد أصبحت دولة إسلامية ؛ وبذلك صاحب كتاب « تاريخ ريشلي » (ص ٤٣٦) أن بلتستان بين التبت وبكُر . ويجب أن نطرح جانباً الرأي الذي ذهب إليه كنيكهام Cunningham والكتاب المتأخرون ومن بينهم فرانك A. Francke (A History of Western Tibet ص ٩٠) من أن صاحب كشمير « سكندر » قد أدخل هذه البلاد في الإسلام فيما بين عامي ١٣٨٠ و ١٤٠٠ م (جاء في كتاب Zambaur : سنة ١٩٢٧ ، ص ٢٩٣ ، أن ذلك حدث فيما بين عامي ٧٨٨ - ٨١٣ هـ = ١٣٨٦ - ١٤١٠ م) وأصبح الإسلام منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر قوة سياسية في التبت الصغرى . فقد أفلح على ميرشير خان حاكم كابول Kapul في توحيد بلاد بلتستان وجعلها تحت حكمه ، وطهر البلاد من الأصنام والآثار البوذية الأخرى . وأفلح بعد ذلك في الاستيلاء على بلاد لوج وبلتة في حوزته وقتاً ما ، كما أنشأ مدينة سكارود Skardو عاصمة بلتستان ، وورد في كتاب تاريخ ريشلي (ص ٤٠٥) لفظ إسكارود ، وأطلق على نمر في الطريق من كشمير لم يبق له وجود اليوم . وظلت

بلتستان وحدها البلاد الإسلامية التي يمكنها التبت ، وكانت تحت سلطان كشمير منذ عام ١٨٤١ . ويقال إن هناك مؤلفات تاريخية كتبت بلغة أهل بلتستان ويستخدم أهل تلك البلاد الأبجدية خاصة بهم يظن أن تاريخها يرجع إلى عهد دخولهم في الإسلام : ومن المرجح أن تكون حروف هذه الأبجدية من أصل تبتى ، وإن كانت قد تأثرت بالأبجدية العربية ، وهم يكتبونها من اليسار إلى اليمين (انظر Linguistic Survey of India: Grierson ، ص ٢٣ ، ص ٣٢ وما بعدها ، Francke : كتابه المذكور ، ص ٨٩ وما بعدها) . وأهل بلتستان شيعية منذ بادئ الأمر ، ولكننا نستدل من كتاب محمود ابن ولي (النص في « هجر ج ١٥ ، ص ٢٣٥) أن السنيق كانت لهم الغلبة هناك في السنوات الأولى من القرن السابع عشر وإن كان ذلك لم يستمر طويلاً . والملك الذي اعتنق الإسلام على مله أهل السنة ، والذي لم يصل إلينا اسمه ، قد ذبح أبوه وإخوته بتهمة الوثنية . وكان الفقهاء من أهل السنة يقتلون إلى تلك البلاد من كاشغر . وقد وصلت أخبار هذه الحوادث إلى بلغ بمذلك بتلاين سنة أي عام ١٠٤٤ هـ (١٦٣٤ - ١٦٣٥ م) على يد رجل يدعى حسن خان كانت تربطه بالأسرة الحاكمة صلة قرابة .

وفي حوالي سنة ١٦٨٢ ، أي عندما كانت التبت الوسطى تحت حكم القالوق (انظر هذه المادة) ذهب غواجه أبق للشهور - الذي لا يزال قبره موضع إجلال الناس في كاشغر - إلى الحسا ، ويسمى مدينة جو « جو شيري » نسبة لصم كبير

على قبيلة في حكومة أورنبرغ : وكثيراً ما وودت كلمة تبت في الوثائق الروسية التي يرجع تأريخها إلى القرن الثامن عشر مع كلمة بوبل bobli بمعنى القلاح الذي لا أرض له أو الأسرة ، ولم يرد اسمها لقبيلة ما . ويلهب كرمزين Karazin (ج ١ ، تعليق رقم ٧٣) إلى أن التبت اسم شعب خليط يتألف من الجرمنش والقوترياك والجرشاش والتت الذين فروا إلى البشكير (انظر مادة باشغرد) في القرن السادس عشر بعد سقوط مملكة قازان (انظر هذه المادة) : ويلهب أصحاب الآراء الحديثة إلى أن التبت شعب خليط يغلب فيه عنصر البشكير وفيه إلى جانب ذلك عناصر أخرى من الناس الذين يعيشون في حوض نهر إرتيل (القلجا) ومنطقة أورال وهم يتكلمون لغة البشكير . ولم يشترك التبت في ثورة البشكير الكبرى التي قاموا بها في سنة ١٧٥٥ . ويعيش التبت اليوم بصفة خاصة في دولة أورنبرغ وكذلك في دولتي أوبا Ufa وبرم Perm السابقتين ، وتقع بلادهم جمهورية بشكير المستقلة استقلالاً ذاتياً . وهم يشتغلون بالفلاحة وبترية التحل ولا يزال عددهم قريباً من ٣٠٠ ألف نسمة ، وهو الرقم الذي جاء في المصادر القديمة . ويقول فامبري إنه يوجد إلى جانب المسلمين من أفراد هذا الشعب وثيون وعدة من المسيحيين ، وهم أحدث عهداً بهذه البلاد . والتبت جميعاً في الوقت الحاضر من أهل السنة .

ليوذا : وقد تنازع خواجه أبني مع الخان إسماعيل (١٦٧٠ - ١٦٨٢ م) وقد منحه اللالاي لاما إجابة (ورد هذا الاسم في مخطوط تركي بصيغة الجمع أي دلابلاملر Dablamalar) لطلبه خطاباً يوصي به كسلطان ، كتبت Goldan Boshoktu خان القلموق ، فخرج الخان على رأس جيش يضم خواجه وأغار به على كاشغرية وأخذ إسماعيل خان أسيراً وولى مكانه خواجه (انظر Der-Hartmann *Islamische Orient* ، ج ١ ، ص ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ج ١٥ ، ص ٢٥٠) .

ولم يكن بين بلاد التبت والعالم الإسلامي اتصال كبير خلال القرون القليلة الأخيرة ، وإن كان المسلمون قد ذهبوا إلى الحسا في الفترة التي أخرج فيها الأوروبيون منها : فقد كان يصل إليها كل ثلاث سنوات وقد يحمل الهدايا من كشمير : ونجد في خطة الحسا التي وضعها وادل Waddell (*Lhasa and its Mysteries* ١٩٠٥) مسجداً وعسكرة لمسلمي كشمير وخاناً لمسلمي الصين :

المصادر المذكورة في صلب المادة .

[يارتولد W. Barthold]

تبتتور : شعب تركي يسمى باسم تبت أو باشغورد ويلهب فامبري Vambery إلى أن هذا الاسم مشتق من الفعل تبت أي يحول وبذلك يكون معناه « الجوالون » : ولم يذكر هذا الفعل في كتاب رادلويف (*Wörterbuch* : Radloff ، ج ٣ ، ص ١١١٤) إنما وود فيه الاسم تبت للدلالة

ويبلغ ارتفاعها ستة آلاف قدم : وهي حلقة اتصال بين سلسلة جبال قره جه داغ في الشمال وفي الشمال الشرق وبين الأطناف الخارجية لجبل سهند الذي يبلغ ارتفاع قممه ١١,٥٠٠ قدم ، وتقع هذه القمم على بعد ثلاثين ميلاً تقريباً جنوب المدينة . ولما كان إقليم قره جه داغ جبلياً قفراً ، وكان جبل سهند الكبير يشغل كل المساحة التي بين تبريز ومراغة فقد أصبحت تبريز الطريق الوحيد الذي يصلح للمواصلات بين الشرق (من أستانة على بحر الخزر إلى أوديل وتبريز وطهران وقزوین وميانه ثم تبريز) وبين الغرب (من أطراننده إلى أوزن الروم وغوى إلى تبريز) وفي الشمال (من تفليس إلى إيزوان - جلفا - مرند - تبريز) : أضف إلى ذلك أن الأطناف الخارجية لجبل سهند قد جعلت للممر ضيقاً جداً على طول الشاطئ الشرقي لبحيرة أومية فاستتبع ذلك أن المواصلات بين الشمال (بلاد القوقاز وقره جه داغ) وبين الجنوب (مراغة وكردستان) يجب أن تمر عن طريق تبريز .

وقد أصبحت تبريز - بفضل موقعها الجغرافي للموافاة هنا مقبلة الإقليم الخصيب المترامي الأطراف الواقع بين تركيا وبلاد القوقاز الروسية (السوفيتية) كما أصبحت إحدى البلاد المهمة الواقعة بين إستانبول والمند لا يشاركها في ذلك غير تفليس وطهران وإصفهان وبغداد : وقد بلغ عدد سكان تبريز حوالي ٢٠٠,٠٠٠ نسمة ، [ويبلغ في تعداد سنة ١٩٥٠ : ٢١٤,٠٠٠ نسمة] .

(١) Vambéry : *Das Turkenvolk in seinen ethnologischen und ethnographischen Beziehungen*

ليسك سنة ١٨٨٥ ، ص ٥٢٠ وما بعدها (٢)

Spisak narodnosti Soynza Sov. : I. Zarubin

Soc. Respublik ، لينغراد سنة ١٩٢٧ ، ص ٢٩ ، رقم ١٤٤ .

[بارتولد W. Barthold]

« تبريز » : هي عاصمة الإقليم الفارسي آذربيجان (انظر هذه المادة) .

موقعها الجغرافي :

تقع تبريز في الزاوية الشرقية من السهل الغربي الذي تبلغ مساحته ٢٠×٣٠ ميلاً مربعاً ، وهذا السهل يتحدر انحداراً رقيقاً ناحية الشاطئ الشمالي الشرقي لبحيرة أومية ، ويروى هذه أنهار أهمها آجي جاي (النهر المر) وينبع من الجهة الغربية الجنوبية لجبل سولان (سبلان) ثم يسير بمحاذاة قره جه داغ الذي يكون الجبل الجنوبي لتبريز ، ثم يدخل السهل ويسير حول الضواحي الشمالية الغربية للمدينة : أما واقع آجي جاي الأيسر « مهران رود » (ويسمى الآن ميدان جاي) فيخترق المدينة ، ويتراوح ارتفاع جهات تبريز المختلفة بين ٤,٠٠٠ و ٥,٠٠٠ قدم طبقاً للمصور الجغرافي الروسي . وفي هذه الناحية الشمالية الشرقية من المدينة تظهر فجأة مرفعات عيشل زيشل - سألزيارت في رواية حون بن علي وزيد بن علي -

الذي يطلق عليه اسم القلعة ويشمل لواحي جاورمار
وسرخاب ودوه جي وويجويه (وارجي بالعامة)
ومهادمين (مير - مير - بالعامة) ونوتر
ومقصودية إلخ لم يعد منفصلا عن الجزء الآخر
المسمى بالجدران الإضافية extra muros الذي
يشمل أهراب وليل آباد (ليلقه بالعامة) وچرنداب
وخيايان وباغ ميشه إلخ . وقد ألحقت القباوحي
القديمة بالجانب الغربي من المدينة ، وتلك القباوحي
هي أمير خيز وچوست فوزان وحكم آباد
(هكسور بالعامة) وقره ملك وقره آفاج وأخون
وكوچاباغ وخطيب ، كما ألحقت به مرلان التي إلى
الجنوب الشرقي . وتوسع المدينة ناحية الغرب
والجنوب الغربي .

وتبريز هي المركز الإداري والاقتصادي
لإقليم آذربيجان للرأى الأطراف ، وأقسام هذا
الإقليم الحالية هي : أردبيل ومعها أستانا ومغان إلخ ،
وقره جه داغ وعاصمتها أهر ، ومرند ومعها جلفاء
وكركر وخوي وماكو وسكاس وأرميتومعها أشنوا ،
وإقليم مكري وعاصمته سوج - بلاق . وإصان
قلعه ومراخه وهشروود وكرمرود وعاصمتها ميانة
وسراب ثم الناحية الرئيسية من تبريز .

وقسم حمد الله (انظر أولا ، ج ٢ ، ص ٢٥٧)
في القرن الرابع عشر هذا القسم الأخير (تومان)
كالتالي : قهرالاولاد شرق المدينة ، ويسرودوه
في الجنوب الغربي من المدينة ، وبوتيل رود (٢٩)
وهي جنوبي الناحية السابقة وتشمل قرى خسروشا
وأسكويه وميلان ، وأروتن وتشمل قرى شبيستر

وشنواها قارص البرد تتساقط الثلوج فيه بكثرة ،
وصيفها لطيف لقرىها من جبل سيند ولكثرة
الحدايق حولها ، ومناخها صحي بوجه عام ، الأهم
إلا الكوليرا والتيفوس ، ويعزى تشبهها هناك إلى
الحالة غير الصحية التي عليها المدينة .

ومن المظاهر الطبيعية في تبريز كثرة وقوع
الزلازل بها ، وأشدّها ما حدث في عام ٢٤٤ هـ
(٨٥٨ م) وعام ٤٣٤ هـ (١٠٤٢ م) وهي التي
ذكرها ناصر خسرو في كتابه « سفر نامه » وكان قد
تنبأ بها الفلكي أبو طاهر شيرازي ، وفي عام ١٦٤١ م
(انظر Arabel of Tabriz ، ص ٤٩٦) وفي
عام ١٧٢٧ م وعام ١٧٨٠ م (انظر Ousely :
ج ٣ ، ص ٤٣٦ ، Ritter : ج ٩ ص ٨٥٤)
أما الزلازل الآن للبلدان حدثا في ٢٢ - ٢٣ سبتمبر عام
١٨٥٤ م وفي ٣٠ أكتوبر عام ١٨٥٩ م وقد وصفهما
خانيكوف Khanikow وصف شامد حيان في
Bull. Hist. Phil. de l'Academie de St. Pétersbourg
سنة ١٨٥٥ ، ص ٢٥١ ، وفي عام ١٨٥٨ م
ص ٣٣٧ - ٣٥٢)

وتحدث هزات زلزالية في تبريز كل يوم
تقريباً ، ويعزى ذلك إلى النشاط البركاني لجبل
سيند . ولكن خانيكوف يرى أن سبب هذه الهزات
يعود في الغالب إلى اختلاف طبقات الأرض .

وفي عهد ناصر الدين شاه أزيلت حصون
تبريز حتى لم يبق منها شيء . (انظر مرآة البلدان
ج ١ ، ص ٣٤٣) وعلى ذلك فالجزء من المدينة

« هذا للانتماء » (انظر *Hist. of : Chamchan Armenia* ، طبعة البندقية ، سنة ١٧٨٤ ، ج ١ ، ص ٣٦٥ : *Armenian gramm. : Huebschmann*)
 ج ١ ، ص ٤٢ ، الكاتب نفسه : *Pars. Stud.* :
 ١٧٩) وفي القرن الخامس (وقد يكون الرابع)
 للميلاد تأيدت التسمية الأرمنية هكذا فثريز
 Tavrez والقارسية هكذا . فثريز Tavrez
 (Huebschmann) : وهم يشتقون تبريز في
 اللغة القارسية الشعبية من جملة قارسية دارجة
 معناها « إكراه الحمى على العدو » أى حل الاختفاء
 (أوليا جلى : ستمه دو كوجو) ومن المحتمل أن
 يكون معنى هذه التسمية « ذلك الذى يجعل الحرارة
 تختفى » لا هناك من صلة بين هذا المعنى وبين النشاط
 البركاني لجبل « سهند » انظر أيضاً الممر الموجود
 بين بايزيد ووانوهو تبريز : وبين الخط الأرمنى
 خصائص اللهجة البهلوية الشمالية (*reb < tep*) وعلى
 الخصوص « ريز » *reb* بدلا من « ريج » *reoh*)
 وهذا ما يرجع أن تلك التسمية قد ترجع إلى عهد
 قديم جداً قبل العهد الساساني وربما قبل العهد
 الأشكاني (انظر مادة تات فيما يخص بالفتريات
 اللغوية التى حدثت في آذربيجان نتيجة الفتوحات
 التركية) .

تأريخها :

قد أثار البحث عما إذا كان اسم تبريز هو عين
 مدينة من مدن بلاد الجبال كثيراً من الجدل . (انظر
 ملخص ذلك الجدل في : Ritter : ج ٩ ، ص
 ٧٧٠ - ٧٧٩) ويتجلى الميعة الأرمنية إلى

وصولييان إلغ وتقع في الشمال الشرقى لبحيرة أرمية .
 ثم رودقاب (؟) وخام آباد (؟) ويكنوستان (؟)
 وتقع ثلاثها شمالى المدينة ، ولم تتميز حدود هذا التومان
 الرئيسى القديم حتى القرن العشرين ؛

اسمها :

ينطق اسم هذه المدينة كما ورد في معجم ياقوت
 (ج ١ ، ص ٨٢٢) تبريز . ويستند ياقوت في هذه
 التسمية إلى ابن ذكрия التبريزى تلميذ أبى العلاء
 المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) الذى نعرف أنه كان
 يتكلم اللهجة الإيرانية المحلية (انظر السمعاى :
 الأنساب ، مجموعة كتب التذكارية ، مادة التنوخى ،
 سيد أحمد كسروى تبريزى : آخرى يازيان باستان
 آنوپايگان ، طهران سنة ١٣٠٤ هـ ، ص ١١) ونطق
 تبريز بكسر التاء هو إحدى خصائص هذه اللهجة
 للتسوية إلى أهل النور ؛

أما النطق الحالي الذى لا يوجد غيره فهو
 كبريز بفتح التاء ؛ وقد ينطق بها مقlosure تبريز ، وفقاً
 للهجة التركية السائدة في كل آذربيجان ، وتؤيد
 المصادر الأرمنية نطقها بفتح التاء ، فقد كتبها فوستس
 البرزنطى *Faustus of Byzantium* في القرن
 الرابع هكذا فثريز *Thavrez* فثريش
Thavresh ، وكتبها أسوليك *Azolik* في القرن
 الحادى عشر الميلادى فثرو *Thavrez* ، وكتبها
 فرجان *Gardjan* في القرنين الرابع عشر فثريز
Thavrez ، فثريز *Davrez* ، ومن الواضح أن
 التسمية الأخيرة قد اشتقت من لغة أرمنية دارجة :
 وأصل الكلمة جا - نى - فثريز *Da i vrez* ومعناها

وسك الكتاب الفارسية في تبريز ؟ ولا يزال أمامنا أن نبحث فيها إذا كان اسم تبرميس لا يلتبس باسم تفريز ، أما تبرميس هذه فهي المدينة التي أحرقتها وأحرق معبدها الإمبراطور هرقل بعد أن خرب كثرته ، وكانت تبرميس في شرق كثرته وكان الكتاب المتأخرون يسمونها برميس Bitharmaies أو برثميس Berthemaies أو برميس Bermaies (انظر Theophrastus طبعة de Boor ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، ج ٢ ص ١٩٠ ، ص ٦١٩) .

الحكم العربي :

كان اهتمام العرب أثناء فتحهم لإقليم آذربيجان سنة ٨٢٢ (٦٤٢) موجها نحو أروندبيل ، ولم تذكر تبريز بين المدن التي جمع منها الرزبان الفارسي كتابه (البلاغري ، ص ٣٢٦) ولابد أن تكون قد أصبحت قرية بعد ما حل بها من الخراب التي ذكره فلوستس (انظرياقوت) ، أما الرواية الأخرى التي وردت في كتاب « فزرة القلوب » (٨٧٣٠ للموافق ١٣٤٠ م) عن بناء زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد للمدينة تبريز عام ٨١٧٥ (٧٩١ م) فربما كانت تقوم على أن زبيدة منحت مدينة وركان من أعمال آذربيجان على نهر الرس بعد احتجاز أملاك الأمويين ، وجاء في كتاب البلاغري (ص ٣٣١) وابن الفقيه (ص ٢٥٨) وياقوت (ج ١ ، ص ٨٢٢) أن إعادة تشييد تبريز كان من أعمال أسرة الرواد الأزدى وأبنائهم خاصة مثل الوجنا وغيره ممن قاموا ببناء الأسوار حولها . ويذكر الطبري (ص ١١٧١ من الجزء الثالث) وابن الأثير

ذكرت أنفا أصبح القول بأن كلمة تبريز هي عين الكلمة اليونانية كاريبريس (المتأخوذة من كاريبريس) التي أوردتها بطليموس في الفصل الثاني من الجزء السادس أقل احتمالا . وقد أوضح رولنسون Rawlinson بصيغة قاطعة ذلك الالتباس بين كلمة تبريز وكثرة وهي مدينة الشيز وذلك في مقالته *Memoir on the site of the Atropatensian Ecbatana* المنشورة في (J. R. G. S.) سنة ١٨٤٠ ، ج ١٠ ، ص ١٠٧-١١١) ، وفرق فلوستس البيوزنطي بين كثرته شهبستان وبين تفريز في اللغة الأرمينية . ويقول فردان Vardan المؤرخ الأرمي الذي عاش في القرن الرابع عشر إن تبريز قد أنشئت على الأراضي الفارسية وإن منشأها هو حصرو الأشكان الأرمي (٢١٧ - ٢٣٣) وذلك انتقلا من أردشير أول ملوك آل ساسان (٢٢٤ - ٢٤١) لقتله أوطبانوس آخر ملوك القرثيين (انظر St. Martin : *Mémoires sur l'Arménie* ، ج ١ ، ص ٤٢٣) ولم ترد هذه القصة في أي مصدر قديم .

ومن المرجح أن يكون مصدرها الاشتقاق الشائع الذي ذكرناه من قبل . ولا نجد في كتاب فلوستس البيوزنطي (ترجمة لاور Lavar ، ج ٤ ، فصل ٢٥ و ٣٩ ، ج ٥ ، فصل ٢) إلا أنه في أثناء حكم أرشك الثالث لأرمينية (٣٥١-٣٦٧) هاجم وسك القائد الأرمي سابور الثالث الساساني (٣٠٩ - ٣٧٩) الذي كان يمسك في تفريز ثم ذبح وسك القائد الفارسي بويكان وأحرق القصر الملكي ورشق تحتال الملك هناك بسهم ، وبعد ذلك هزم مشغ بن

تدخلهم في شئون تبريز (Min. des Aff. ext. : Defrémery) *La Famille des Saïdides* مجلة الأسبوعية ، عام ١٨٤٧) . وكانت مراعاة عاصمة هذه الأسرة أول الأمر ثم نقلت بعد ذلك إلى أردبيل (انظر المصدر المذكور ص ٢٥ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٧) ،

وبعد اختفاء أسرة الساجين أصبحت آذربيجان ميداناً لعدة منازعات ، ففي عام ١٢٢٦ امتلك هلا الإقليم يشكري بن مردى أحد حكام مردابج الزيارى ، ولكن ديسم الكردى (انظر مادة الكرد) طرده منها ، وسرعان ما اشترك ديسم مع الدبلوماسية السافيرية (انظر هذه المادة) ، ودعا أهل تبريز ديسم لزيارة مدينتهم ، وما كاد يلى هذه الدعوة حتى حاصرها بالمرزبان السافرى ، فترك ديسم تبريز وتوذى بالمرزبان حاكماً على جميع مدن آذربيجان عام ١٢٣٠ هـ . لما نهاية الأسرة السافيرية فغير واضح تمام الوضع ، فليوار Huaré يقول في كتابه الذى أهله إلى E.G. Browne المسمى *Les Musafirides de FAdharbaidjan* المطبوع في كمبرج إن سنة ٤٣٨ هـ هي آخر تأريخ ذكر فيه حكم هذه الأسرة في قارم ، ولكن السير روس في كتابه *Muhama. Dynasties* المطبوع سنة ١٩٢٥ يربط بين السافيرية وأسرة الروادى الى يمكن تتبعها في تبريز حتى سنة ٤٤٦ هـ ومن المحتمل والحالة كما رأينا أن يكون هؤلاء الرواديون من نسل الرواد الأزدى والد ذلك الشخص الذى أعاد تشيد تبريز ، وليست لم أية صلة بالسافيرية للدبلوماسية اللهم إلا ما كان من إصهار بعضهم إلى بعض .

(ص ٣١٥ من الجزء السادس) عند الكلام على فترة بابل من عام ٢٠١ إلى ٢٢٠ هـ أنه كان من بين المنتصرين عليه رجل يدعى محمد بن بغيث صاحب الحصنين : شاهی الذى استولى عليه من الوجة ، وتبريز (ولم يفصل الكلام عنه) ، وكان حصن شاهی أقوى من حصن تبريز وكان عرضه فرسخين (٩) (انظر اسم شبه جزيرة شاهر أو شاهی على بحيرة أرمية إلى الجنوب الغربى من تبريز : بيد أن البلاذرى - ص ٣٣٠ - يذكر أن إقطاع بيت كان مرند) :

وكانت تبريز في الوقت الذى كتب فيه ابن خرداذبه مصنفه عام ٢٣٢ هـ (٨٤٠ م) تابعة لمحمد بن الرواد (ابن خرداذبه ، ص ١١٩) ، وفى سنة ٢٤٤ هـ حمرت الزلازل هذه المدينة ولكن أحمد بناؤها قبل نهاية حكم المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) ، ويظهر أن تبريز قد تغير حكمها عدة مرات والدليل على ذلك مقاله الإصطخرى (حوالى سنة ٣٤٠ هـ ص ١٨١ من كتابه) من أن شقة الأرض التى كانت تشمل تبريز وبيشهر وان (ده - خمرقان) وأشنوه (انظر هذه المادة) كانت تحمل اسم القبيلة الحاكمة بنى رُدىتى التى لم يعد لها وجود أيام ابن حوقل نحوالى سنة ٣٦٧ هـ (انظر كتاب ابن حوقل ص ٢٨٩) .

ويظهر أن أصحاب هذه المقاطعة في حكمهم إنما كانوا مستقلين من الوجهة العملية لأن تأريخ الساجين وهم حكام آذربيجان من عام ٢٧٦ هـ إلى عام ٣١٧ هـ خال عن كل إشارة تدل على

وفي سنة ٤٣٨ هـ كانت تبريز تشغل مساحة قدرها ١٤٠٠ × ١٤٠٠ خطوة أى حوالى ميل مربع كما ذكر ناصر خسرو :
 العهد السلجوقى :

قلما ذكرت تبريز في عهد السلاجقة الكبار ، وقد احتفل طغرل بزواجه من بنت الخليفة بالقرب من هذه المدينة (راحة الصلور ص ١١١) - وفي سنة ٤٩٤ هـ ارتد السلطان بركيارق إلى المنطقة الجبلية جنوبي تبريز في نزاعه مع أخيه محمد ، ولما تصالح الأخوان كانت تبريز من نصيب محمد ، فعين سعد الملك وزيراً عليها سنة ٤٩٨ هـ ، وذكر الأمير سقان القطبي في سنة ٥٠٥ هـ على أنه صاحب تبريز ، أى مؤسس أسرة الشاه أرمنية (شاه أرمن) التى حكمت في انحلاط من سنة ٤٩٣ هـ إلى ٦٠٤ هـ ، وقد

كان لأذربيجان شأن هام في عهد فرخ سلاجقة العراق الذين انقلبوها هلمن عاصمة لهم ، وفي سنة ٥١٤ هـ قضى السلطان محمود بعض الوقت في تبريز ليلئى من روع سكانها الذين أزعجهم غارات الكرج ، وكان أتاكك أذربيجان في هذا الوقت شخصاً يدعى كن طوغدى ، وبعد وفاته في سنة ٥١٥ هـ حاول آق سنقر أحمدبلى أمير مراغة أن يتبرع تبريز من طغرل أخى السلطان ولكنه لم يفلح في ذلك ، وإمام السلاجقة حمزة أمير جيوش الموصل واليا على أذربيجان ولكنه قتل عند باب تبريز سنة ٥١٦ هـ ، وبعد وفاة محمود في سنة ٥٢٥ هـ احتل أخوه مسعود مدينة تبريز ، ولكن داود ابن السلطان محمود حاصره هناك فاضطر لإخلائها

وتذكر فيما يلى بعض الأحداث التى تحصل بأمره الروادى : في سنة ٤٢٧ هـ قتل وهذان بن مهتلان (ملان ؟) جمعاً كثيراً من رؤساء الفرز بمدينة تبريز (ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢٧١) - وفي سنة ٤٣٤ هـ صمدت الزلازل تبريز ونهب أميرها ، وقد يكون هو الأمير وهسودان [وهذان] إلى بعض قلاعه الأخرى خوفاً من توجه الفرز السلجوقية إليه (ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢٥١) - وفي سنة ٤٣٨ هـ وجد ناصر خسرو في تبريز ملكاً اسمه سيف الدولة وشرف الملة أبا منصور وهسودان [وهذان] ابن محمد (ملان ؟) مولى أمير المؤمنين - وفي سنة ٤٤٦ هـ قدم صاحب تبريز الأمير أبو منصور وهذان ابن محمد الروادى خضوعه لطغرل بك (ابن الأثير ج ٩ ، ص ٤١٠)

تبريز في صدر الإسلام :

ينما يذكر ابن خرداذبه (ص ١١٩) والبلانزى (ص ٣١) والطبرى (ج ٣ ، ص ١١٧١) وابن الفقيه (ص ٢٨٥) والإصطخرى (ص ١٨١) ، مدينة تبريز باعتبارها إحدى البلاد الصخرية في أذربيجان إذا بالتمسقى ببنى عداشها وإذا بآبن حوقل (حوالى سنة ٣٦٧ - ٩٧٨ م) يعتبرها أكثر بلاد أذربيجان ازدهاراً وبها حركة تجارية رائجة وتصنع بها الأقمشة المعروفة بالأومى ، ويقول ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ الموافقة ١٠٣٠ م عن تبريز إنها مدينة جبلية ذات سور متين تحيط بها أحرار ويسانين ، ويصف أهلها بأنهم سرة شجعان يحبون الحرب .

التاريخية للكرج الواقعة بين سنتي ١٢٠٨ و ١٢١٠ م (٦٠٥ - ٦٠٧) هـ فقد اخترق إوان وزخاري قائدا الملكة ثمر فارس الشمالية كلها حتى وصلوا جرجان أثناء قيامها بحملة كبيرة بقصد السلب والتهب : وجمعت الكتاب الكرجية الجزية من سكان تبريز ولكنها لم تعمر صفو السلام هناك ، وقد تركت حامية صغيرة في المدينة ترقب حودتها من حملاتها الأخرى . ولم تذكر تلك الأخبار في المصادر الإسلامية ولكن سياق القصة وتفصيلها يوحيان إلينا بالثقة في صحتها (انظر B. Brosset : *Hist. de la Géorgie* ج ١ ، ص ٤٧٠) ،

المغول :

ظهر المغول أمام أسوار تبريز في شتاء عام ٦١٧ هـ ولكن الأتابك العاجز الضعيف أوزبك ابن بهلوان صرفهم بعد أن أدى لهم فدية كبيرة ، وعاد المغول في العام التالي ففر الأتابك إلى قعجوان ، ولكن الشجاع شمس الدين الطغراني قاومهم فحولوا عنها بعد أن استولوا أيضاً على فدية أخرى ، وعاد أوزبك إلى تبريز بعد ذلك . وفي عام ٦٢١ هـ وفد قوم رحل آخرون من منغوليا وطلبوا من أوزبك أن يسلمهم جميع الخوارزميين في تبريز فأصرع أوزبك إلى تلبية طلبهم ،

جلال الدين :

ما إن وصل خوارزم شاه من مراغة حتى دخل المدينة في رجب عام ٦٢٢ قهر منها أوزبك مرة أخرى ، وسر سكان تبريز إذ وجدوا في شخص

واثقها داود مقر حكمه يشرف منها على منطقة كبيرة تشمل آذربيجان وأران وأرمينية . واستمر ذلك من سنة ٥٢٦ إلى سنة ٥٣٣ هـ ، ثم وكل أمر آذربيجان للأتابك قره سنقر المملوك القديم للطغرل الأول ، ويظهر أنه اتخذ أردبيل عاصمة له (ابن الأثير ، ج ١١ ، ص ٥٢) . وبعد وفاته سنة ٥٣٥ خلفه الأمير جاوزي (جولي) الطغرلي ولكن سرعان ما نجح إيلدگيز مؤسس أسرة الأتابكة التي حكمت هذا الإقليم حتى سنة ٦٢٢ هـ يستولي على آذربيجان ، وكان مركز نفوذ أسرة إيلدگيز بادئ الأمر في الشمال الغربي من آذربيجان بينما صارت تبريز جزءاً من ممتلكات أمراء مراغة الأحمديلية ، إذ أن الأتابك بهلوان بن إيلدگيز لم يكن في سنة ٥٧٨ هـ قد انتزع بعد تبريز من يدى فلك الدين حفيد آق سنقر بن أحمديل وأعطاها لأخيه قول أرسلان ، ومنذ أن صار قول أرسلان أتابكاً (٥٨٢ هـ - ٥٨٧ هـ) أصبحت تبريز نهائياً عاصمة لآذربيجان ، وفي سنة ٦٠٢ حاول الأمير قره سنقر حلاء الدين أحمديل يستعطفه مع أتابك أردبيل - استرداد تبريز من أي يكر الطروب خليفة قول أرسلان ولكنه فشل في محاولته وفقد مدينة مراغة في الوقت نفسه ،

وعاشت أسرة إيلدگيز في رغد ورفاهية من الجيش ودليلاً على ذلك القصائد التي نظمها الشعراء في مدحهم مثل الشاعر نظامي والشاعر خاقاني ، ولكننا لا نعرف عن أبياتهم شيئاً إلا بقايا (قعجوان) قعجوان (انظر هذه المادة) : أما ضعف مركزهم السياسي فتؤيده الأخبار المذكورة في الحوادث

(انظر هذه المادة) . وفي عام ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م) رجع إلى تبريز بعد أن هزمته كتابات بركاي في القوقاز الشمالية وفيها فلك بالتجار الذين ينتمون إلى أصل قفقاسي . وفي عام ٦٧٢ هـ (١٢٦٤ م) ، عند إعادة توزيع الإقطاعيات ، أيد هولاكو صلح الدين في ولايته على إقليم تبريز . وصارت تبريز العاصمة الرسمية أثناء حكم أباقا من عام ٦٦٣ إلى ٦٨٠ هـ واحتفظت بهذا المركز في عهد من بعده حتى عهد ألبكاتو .

وفي سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) ، أي في عهد أرغون ، أقام الوزير اليهودي سعد الدولة ابن عمه أبا منصور على تبريز . وقد دخل تبريز في عهد كيكخاتو بنائين وثمانين : وفي سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م) كانت تبريز مسرحاً للفتنة التي شبت بسبب إدخال نظام التعامل بالورق النقدي (چار) ؛ وبلغت تبريز أقصى درجات البلاء والروقة في عهد غازان خان ، وقد دخل هذا الملك تبريز سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) واتخذ مقامه في القصر الذي شيده أرغون في قرية شام الواقعة في غرب المدينة على الشاطئ الأسفل لهر آجي چاي . وكلمة شام فارسية معناها قبة ؛ وكانت تنطق شَكَب قبل ذلك . ويقول عنها كاترمير Quatrezembre (ج ٤ ، ص ٣١) إنها « بناء بطوله قبة » ولكن هذا الاسم كان ينطق شام في القرن الرابع عشر (انظر تزهة القلوب) ثم أصطلبت الأوامر المشددة لتخريب معابد الأوثان والكنائس ومعابد اليهود والمناذج المقدسة ، ويقال إن هذه الأوامر أُلغيت في السنة التالية عندما استجار القوي

جلال الدين رجلاً شجاعاً يلود عنهم وخاصة عندما أسرع جلال الدين فأظهر نشاطاً في تدبير حملة ضد تقيس وأوقع العقاب الصارم بقطاع الطرق والركمانين الذين ينتمون لقبيلة آيتوا (الأيوالية) . واستمرت تبريز ست سنوات في حوزة جلال الدين الذي تزوج من الملكة زوجة أوزبك السابقة . وعند نهاية هذه السنة أصبح مركزه مؤزراً لسوء سيرته وقبح تدبيره (ابن الأثير ج ١٢ ، ص ٣٢٣) . وما إن جاء عام ٦٩٧ حتى كان لزعم قبيلة قشش - " يكتوه التركاني (٩) وزهم روين دز (بالقرب من مراغة) الجراة على سلب ضواحي تبريز ونهبها ؛ وفي عام ٦٩٨ ترك جلال الدين آذربيجان ، وغزا المغول كل الإقليم بما فيه ملحقة تبريز « التي هي أصل بلاد آذربيجان ومرج الجميع إليها وإلى من جا » (ابن الأثير ج ١٢ ص ٣٧٨) ؛ ودعا ملك المغول جرمغن لوين أشراف المدينة فلبوا دعوته ، ولم يتخلف عن الحضور سوى شمس الدين الطغرائي ، وأخذ من أهل المدينة غرامة كبيرة وأمر الغزاليين بصنع الثياب الخطائي للملكهم الأعظم « أوكدای » وفرض عليهم جزية سنوية مينة ؛ ومنذ عهد جيوك كان حكم أران وآذربيجان القفل في يدي الملك صدر الدين ، وقد كان حليفاً فارسياً للمغول (انظر جهان كشا ، طبعة محمد قزويني ، مجموعة كتب التذكارية ، ج ٢ ، ص ٢٥٥) .

المغول الإيلخانية ؟

ذهب هولاكو بعد أن استولى على بغداد عام ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) إلى آذربيجان واستقر في مراغة

رشيد الدين ، ومن ثم عرف الحى باسم ريشلى
(تزه القلوب ، ص ٧٦) ولدينا خطاب من
رشيد الدين الى ولده يسأله فيه أن يرسل إليه أربعين
شاباً وقتاً من الروم لإسكانهم إحدى قرى الحى
الجليل (انظر *A Hist. of Pers. Lit. : Browne* ج ٣ ، ص ٨٢) وما يؤكد لنا أن تبريز كانت
قضية الإمبراطورية الممتدة من نهر جيحون إلى
مصر ما نعلمه من أن العملة المحلية والقضية ،
وكللك للقائيس والكليل وكيه وكره كانت تبر
تبعاً لعارات تبريز نفسها (انظر *D'Ossmon* : ج ٤ ،
ص ١٤٤ ، ٢٧١ - ٢٧٧ ، ٣٥٠ ، ٤٤٦ - ٤٦٩) ،

وفى عام ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) دفن غازان خان
باحفال عظيم فى ضريح شام ، وفكر خليفته ألجايو
عام ٧٠٥ هـ (١٣٠٧ م) فى إنشاء عاصمة جديدة
فى مدينة سلطانية (انظر هذه المادة) غير أنه لم يكن
من السهل أن يغفل إليها سكان تبريز ، فلما نجد فى
سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) أن سفير أزابكة الفقهاق
مازال يسلك طريق تبريز بدلاً من الطريق المختصر
وهو طريق مغان - أورديل - سلطانية ؛ وما يستحق
الذكر أيضاً أن الوزير تاج الدين على شاه (الوزير
من عام ٧١١ هـ = ١٣١٢ م) قد شرع فى تشييد
مسجد عظيم فى تبريز خارج حى مهاده ميهن . وفى
عام ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) ، أى فى عهد أبى سعيد ،
ذهب الوزير رشيد الدين - الذى كان قد احتل الحكم
- إلى تبريز ، ولكنه تركها فى السنة التالية ليلج
قضاة المحرم ، وقد صودرت أملاكه ونهب ريع
ورشلى (*Browne* : ج ٣ ، ص ٧١) ثم أعقبه

بالمك الأرمي هشوم . وفى عام ٦٩٩ هـ بدأ غازان
فى تشييد طائفة من البيوت بمد عودته من حملة على
سورية ، وعقد الحزم على أن يتخذ شام التى سبق
ذكرها مقراً لراحته الأبدية فشيد فيها بناء أكثر
ارتفاعاً من « الكنبد » الذى ابتناه السلطان سنجر
فى مرو وكان يعتبر حينئذ أكثر الأبنية ارتفاعاً فى
العالم الإسلامى ؛ وكان يوجد - غير هذا الضريح - فى
القبة - مسجد ومدستان إحداها شافعية والأخرى
حنفية ، وخان للأشراف « دار السيادة » ،
وبارستان ، وممرصد كالوجود فى مراغة ، ومكتبة ،
وبيت للديوان ، وبناء يسكن فيه المشرفون على هذه
المنشآت وصهرج لشرب الماء ، وحمامات مزودة
بالماء الساخن ؛ وحسب أوقاف تبلغ غلها مائة تومان
من الذهب للإتفاق منها على هذه المنشآت ؛ وشيد
عند كل باب من أبواب المدينة الجديدة خان
للقوافل وسوق وحمامات ، وجلبت المدينة أشجار
الفاكهة من البلاد النائية .

وأدخلت كذلك تحسينات كبيرة على مدينة تبريز
ففسها ، وكان يبلغ طول سورها « بارو » حينئذ
٦٠٠٠ گام (گام معناها «خطوة» ، وفى جهان نما
كلمة « قولاچ » بدلان گام ومعناها باع) وأقام
غازان حول المدينة سوراً جديداً يبلغ طوله ٢٥٠٠٠
گام (أربعة فراسخ ونصف القرسخ) وضم إلى
للمدينة كل الحدائق وأسياء كوه وليانوسنجران
وأقيم عند السور الموجود على منحدرات كوه وليان
(اسمها الحالى كوه سرنخاب أو عيشنلى زينلى)
مجموعة من الأبنية الجميلة شيدها الوزير المشهور

أثارت اختصاصاته وقصوته جاني بك خان وهم
القبيلة الزرقاء (القيقاق الشرقية) فتدخل بدافع
الإنسانية وهزم أشرف عند خوى ومرد وطن
وأسمه على باب أسد مساجد تبريز عام ٧٥٦ هـ
(١٣٥٥)

ووجد الوزير أخجوق الذي تركه جاني بك
في آذربيجان أن سلطته قلقة من عدة نواح ، فله
كان يحتل تبريز احتلالاً مؤقتاً أويس بن حسن
بزرگ الجلجاري الذي جاء من بغداد ، وما كاد
يطرده منها أخجوق حتى وصل من شيراز مبارز
الدين محمد أحمد المظفرى القارسي وذلك لمرآة
نشب بينه وبين جاني بك عندما طلب منه أن يترك
بسيادته ، فهزم أخجوق في ميانة واستولى على
تبريز عام ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م)

وبعد حامين تهقر أخجوق أمام أويس
(انظر تاريخ كزنده ، مجموعة كتب التذكارية :
ص ٦٧٧ - ٦٧٩ ، ص ٧١٥ - ٧١٧) الذي
نمرحان ما احتل تبريز مرة أخرى وقتل أخجوق ،
وعندما وصلت أنباء وفاة السلطان أويس إلى بغداد
عام ٧٧٦ هـ (١٣٧٧ م) خرج شاه شجاع الذي
أعقب مبارز الدين من شيراز بقصد الاستيلاء على
تبريز وهزم حسين بن أويس واحتل تبريز ،
وبعد شهر قليلة قامت فتنة في أوجان اعطون
شجاعاً إلى ترك المدينة ، فعاد حسين لاحتلالها فون
بحرب أو زال . ويظهر أن سلطانية كانت تتجدد
أعمالك المظفرية في الشمال الغربي (تاريخ كزنده :
ص ٧٢٣ - ٧٢٥) . وفي عام ٧٨٤ هـ (١٣٨٢)

ابنه غياث الدين الذي استدعاه أبو سعيد نفسه لتولى
السلطة فاستمر في توسيع ريع رشيدى وظلت
سلطانية العاصمة بدليل أن أبا سعيد قد دفن هناك
في ضريح كان قد أمره نفسه بتشيدده (d'Othman :
ج ٤ ، ص ٧٢٠) ، وفي عام ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م)
عندما هزم خلفه أربا في معركة تفتو (تقرأ بتفتو)
قتل وزيره غياث على يد المتصمر على بادشاه
أويرات واستولى أهل تبريز على ممتلكات أسرة
رشيد الدين . وفي خلال تلك الحوادث اختفت
مجموعات عمية وكتب قيمة .

الجلجارية والجلوياتية

ظهرت الأمرة الجلجارية الإلخانية وسط
النوضى التي أخفيت هذه الحوادث وقد ارتبط حظها
برباط وثيق بحظ تبريز . ففي عام ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م)
أقام حسن بزرگ جلجار تلمبه سلطان محمداً على
عرش تبريز ، وتبين لنا هذه الرواية ، بالرغم من
ورودها عرضاً ، عودة العاصمة القديمة إلى
مكانتها الأولى : وسرعان ما ظهر حسن كوجك
الجوياني وتلاميذه على مسرح الحوادث ،
فقد ارتد حسن بزرگ إلى بغداد ، ونصب
حسن كوجك في عام ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) سليمان
خان على العرش وأضاف إليه حكم العراق السجى
وآذربيجان وأران ومغان وبلاذ الكرج . وفي
عام ٧٤٤ هـ (١٣٤٤ م) قام أشرف خليفة حسن
كوجك وأخوه بمباينة أنوشروان الضعيف وأبعد
إلى سلطانية ، بينما أقام هو في تبريز حاكماً
فعلياً ومد من نفوذه وسلطانه حتى فارس . وقد

السابق الذي طرده تيمور (انظر مادة تيمور) ه
وسلب خان خلسال أهل تبريز وأخذ منهم عدداً من
الأسرى بما فيهم الشاعر كمال خجندی ثم عاد إلى
دريند (انظر نامه ج ١ ص ٣٩٢ ؛ Browne ؛
Hist. Pers. Lit. ج ٣ ص ٣٢١) ه

وما كاد السلطان أحمد جلالتو يستعيد تبريز حتى
طرده منها تيمور مرة أخرى عام ٨٧٨٨ هـ ، وكان قد
جاء إليها بحجة حراية المسلمين ؛ وعسكر تيمور في شام
غازان وفرض غرامة (مال أمان) على أهل تبريز
(انظر ظفر نامه ج ١ ص ٣٢٦) هـ وقد كان العيني
أكثر قوة على تيمور (انظر Catalogue : Markow
ص ٢٧) هـ

وفي سنة ٨٧٩٥ هـ (١٣٩٢ م) منحت مقاطعة
هولاكو (تحت هولاكو) إلى ميران شاه (المصلو
للمذكور ، ج ٢ ص ٦٢٣) وكانت هذه المقاطعة
تشمل آذربيجان والري وجيلان وشيروان ودريند
وأراضي آسية الصغرى هـ وأصبحت تبريز عاصمة
هذه المقاطعة هـ وبعد ثلاثة أعوام حين هذا الأمير
وارتكب عدة حوادث تكل على انهيار قاعدته
(الآبرياء وغرب الألبية (نفس المصلو ، ج ٣ ص
٢٠٠ ؛ Browne ؛ ج ٣ ص ٧١) هـ

وعند عودة تيمور من الهند سنة ٨٠٢ هـ انطلق فوراً
إلى آذربيجان وأعدم كل من اشترك مع ميران شاه
في قتاله هـ وفي سنة ٨٠٦ هـ نصب ميرزا عمر بن
ميران شاه على ملك هولاكو والأرض التي فتحها
تيمور في الغرب هـ ووضع أبوه ميران شاه في أرن
وأخوه أبو بكر في العراق تحت سيطرته ونفوذ هـ

فتح حسين جلالتو في تبريز فخلقه أخوه سلطان
أحمد في آذربيجان هـ ولكنه لم يحكم طويلاً لأن
تيمور مرغان ما ظهر على مسرح الحوادث هـ

وعلى الرغم من الأحداث التي وقعت إبان
حكم الجلالتية فلمهم حازوا عطف أهل تبريز
واعتراف أشراف شيروان والقره قويونلي بحقوقهم ؛
ونذكر من بين أبنتهم في تبريز ضريح دمشقية
والبناء العظيم الذي شيده السلطان هـ وهو يحوى
على ٢٠,٠٠٠ حجرة كما يذكر كلافيجو Clavijo
(طبعة Sreznowski ص ١٦٩) هـ وكان هذا
البناء يسمى دولتخانه (la casa de la Tolbatgana
؛ انظر Katalog Djalaïr. Monet ; Markow venture
طبعة سانت بطرسبرغ عام ١٨٩٧ هـ ص ٤١-١) هـ
تاريخ الجلالتية) وقد ضرب الجلالتية سكتهم في
تبريز في السنوات الآتية : باسم بزرك في سنة ٧٥٧ هـ
وباسم أويس في السنوات ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ هـ
٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٩ هـ ، ٧٧٠ هـ وباسم حسين في
السنوات ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ هـ ، ٧٨٠ هـ ، ٧٨١ هـ
وباسم أحمد في سنتي ٧٨٥ هـ ، ٨١٠ هـ

عهد تيمور :

استولى تيمور أثناء غزوه الأولى لقارس عام
٨٧٨٦ هـ على سلطانية ثم عاد إلى سمرقند . وفي عام
٨٧٨ هـ (١٣٨٥) أسرع خصمه الأكبر تقيش
خان زعيم القبيلة الذهبية بإيقاد حملة إلى آذربيجان
موت بطريق دريند هـ واستولى النزاة على تبريز
إلى أساء الدفاع عنها الأمير ولي صاحب جرجان

شاطئ نهر الرمن - أبا بكر الذي ترك تبريز عرضة
للسلب والنهب عند قهقره ، ولم ينج شيء من جشع
جيشه (مطلع السعدين ، ص ١١٠) .

وتقدم قره يوسف حتى وصل إلى سلطانية
ونقل سكان هذه المدينة إلى تبريز وأردبيل ومراغة ،
وعاد أبو بكر مسرعاً إلى آذربيجان ، ولكن قره
يوسف تمكن بمساعدة بسطام من هزيمته عند
مرحردود على مسيرة خمسة أيام جنوبي تبريز ،
وسقط ميران شاه في هذه الواقعة ودفن في تبريز
بمقبرة سرخاب ،

ولما تكرر قره يوسف اتفاه مع السلطان أحمد
على إعادة توزيع الملكات - وذلك عندما كانا في
المنفى بمصر - عهد إلى الحيلة بأن نصب ولده بربداغ
على تبريز في حفل عظيم ، وكان يز هذا يعتبر ولد
السلطان أحمد بالتبني . وجاء في كتاب مطلع السعدين
أن قره يوسف لم يمنح لقب خان لبر بنداغ إلا سنة
٨١٤ : وتظاهر أحمد بالموافقة على هذا ، ولكن
لما تغيب قره يوسف في أرمينية احتل هو تبريز ،
وهزم السلطان أحمد نهائياً في وقعة أسد (؟) على
بعد فرسخين من تبريز ، وذلك في الثامن والعشرين
من ربيع الثاني سنة ٨١٣ هـ (١٤١٠ م) وأعلمه
قره يوسف ودفنه في مقبرة دمشقية بجانب أبيه
وأمه . وهكذا كان هوى أهل تبريز مرة أخرى مع
آخر السلاطين من الأسرة الجلائرية (انظر مقال
La fin de la dynastie des Ilkhanians : Huart
النشور في مجلة الآسيوية ، أكتوبر سنة ١٨٧٦ ،
ص ٣١٦ - ٣١٢)

وبعد وفاة تيمور بدأ نزاع طويل بين عمر وأبي بكر ،
وأفزع أبو بكر في فرض جزية على أهل تبريز قدرها
مائتا تومان عراقي وذلك سنة ٨٠٨ هـ . ورجع عمر
إلى تبريز ، ولكن الركبان المتبعين إليه ضايقوا أهل
تبريز فعاد أبو بكر واستولى عليها . وما كاد يترك
تبريز حتى دخلها التأثير التركي بسطام جاكيز ولكن
سرعان ما قهقر عند اقتراب الشيخ لإبراهيم من
شبروان (انظر هذه المادة) . وفي سنة ٨٠٩ سلم
الشيخ لإبراهيم تبريز إلى السلطان أحمد الجلائري
بصفته ملكها الحقيقي ، وأظهر أهل تبريز فرحهم
العظيم بهذا الحادث : (انظر مطلع السعدين ترجمة
كاترمير Quatremere ج ١٤ ، ص ١٠٩) .
وفي الثامن من ربيع الأول كان أبو بكر جند
شام غازان مرة أخرى ولكنه لم يجرؤ على دخولها
ففضى مرض الطاعون فيها :
وقبل هذه الحوادث الأخيرة بوقت قليل قضى
كلافيو Clavijo سفير هنري الثالث صاحب
قشتالة بعض الوقت في تبريز (١١ - ٢٠ يونية سنة
١٤٠٤ وفترات متقطعة : ٢٨ فبراير ٢٢ أغسطس
سنة ١٤٠٥ أى من آخر سنة ٨٠٦ إلى أوائل سنة
٨٠٨ للهجرة) :

وكانت المدينة في حركة دائمة وتجارة واسعة
بالرغم من الحزن إلى أصابها : ويحدثنا كلافيو Clavijo
حديثاً شامها عن طرقات تبريز وأسواقها وأبيتها ،
القره قروبنلي :

في أول جمادى الأولى سنة ٨٠٩ هـ هزم قره
يوسف - أحد تركان القره قروبنلي المستوطنين

ولى جهانشاه على العرش ، وهكذا بدأت سيرة الأمير الذى جعل من تبريز حاضرة لمملكة تمتد من آسية الصغرى إلى الخليج الفارسمى وهراة ، وأعظم بناء أقامه جهانشاه فى تبريز هو الجامع الأزرق (كوك مسجد) ولو أن برزین Berezin يقول إن زوجه بيگم خاتون هى التى قامت ببنائه ، ومن المحتمل أن يكون بده ظهور أتباع فرقة أهل الحق (انظر كلمة سلطان إسحاق) فى حى سرخاب وجر تداب من أحياء تبريز قد حدث فى عهد جهانشاه ، ويمكن الرجوع فيها شخص بزندقة جهانشاه إلى (منجم بائى ، ج ٣ ، ص ١٥٤) .

الآق قويونلى :

فى الثانى عشر من ربيع الثانى عام ٨٧٢ هـ (١٠ نوفمبر عام ١٤٦٧) أخذ جهانشاه على غرة أثناء وجوده فى أرمينية وذبحه أوزون حسن باينورى زعيم التركمان الآق قويونلى ، ونادت ابنتا إسكندر بأخيهما اللويش حسين على على تبريز ولكن بيگم خاتون أرملة جهانشاه أحبطت هذا التبرير ، ومع ذلك فقد احتل حسين على تبريز - وهواين مجنون لجهانشاه من زوجة أخرى - فقتل بيگم خاتون وقربائهما (انظر منجم بائى) .

وهو حسين على بمدينة مرند وذلك على الرغم من المساعدة التى بلها له أبو سعيد التيمورى ، وتعاقبت بعد ذلك حوادث أدت إلى موت أفى سعيد نفسه . وفى عام ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) استولى أوزون حسن على تبريز وجعلها عاصمة له معلناً

وتذكر تبريز باطراد على أنها القاعدة التى كان يوجه منها قره يوسف حملاته . وقد جرد شاهرخ التيمورى أولى حملاته على قره يوسف عام ٨١٧ هـ خوفاً من امتداد نفوذه ، ولكنه لم يتقدم أكثر من مدينة الرى (مطلع السعدين ، ص ٢٣٨ ، ٢٥٠) ، ولا حاول شاهرخ إعادة الكرة عام ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) جمه نبأ وفاة قره يوسف وذلك فى اليوم السابع من ذى القعدة عام ٨٢٣ هـ (١٢ نوفمبر عام ١٤٢٠) ونفشت القوضى فى المعسكر التركمانى ، وبعد أسبوع احتل ميرزا بايسنقر تبريز (انظر Chronological : Price Retrospect of the Events of Moham. History سنة ١٨٢١ ، ج ٣ ، ص ٥٤١ نقلا عن كتابى : روضة الصفا ، وخلاصة الأخبار) ثم وصل شاهرخ إلى هناك فى صيف عام ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) بعد أن هزم أبناء قره يوسف فى أرمينية . وفى عام ٨٢٢ هـ استولى إسكندر بن قره يوسف على سلطانية ، ورجع شاهرخ ثانية إلى شام غازان على رأس جيش هزم به القره قويونلى فى سلماس . وفى شتاء عام ٨٢٣ هـ أعطيت آذربيجان لأفى سعيد بن قره يوسف الذى جاء ليقدم خضوعه لشاهرخ ، وفى السنة التالية ذبحه أخوه إسكندر . وفى شتاء عام ٨٢٨ هـ (١٤٣٤ م) جاء شاهرخ إلى آذربيجان مرة ثالثة . ورأى إسكندر أن من أصالة رأى أن يرجع أمله ، ولكن أخاه جهانشاه أسرع بالانضمام إلى شاهرخ : وقضى شاهرخ صيف عام ٨٣٩ هـ (١٤٣٦ م) فى تبريز . وعند اقتراب فصل الشتاء

امراة وميدان واسع ومسجد وبهارستان سمع ألف ...
مريض (انظر أيضاً أوليا ، ج ٢ ، ص ٢٤٩) .

الصفويون والحروب التركية الفارسية :

استولى إسماعيل الأول على تبريز عام ٩٠٦ هـ
(١٥٠٠ م) بعد انتصاره في شرور على ميرزا
ألوند الآق قويونلى ، وكان ثلثا سكان تبريز -
ويتراوح عددهم بين ٢٠٠ و ٣٠٠ ألف نسمة -
يعتبرون من أهل السنة . ولكن الحاكم الجديد لم
يتوان عن فرض المذهب الشيعى عليهم واستعمل
التسوة مع كل من كانت تحمده فسمه بالمعارضة
(عالم آراء ، ص ٣١) . وكان إسماعيل يكره الآق
قويونلى فسلقه هذا إلى نيشن جش أسلانه وإخراها
(انظر G.M. Angiolello ، مؤرخ يعقوب ، ورقة
رقم ٢٠٦) ويروى التاجر البنفى آباء اليأس الذى
انتاب الأسر النيلية من جراء المؤبقات التى كان
يرتكبها الأمير الصغير ، وحصل إسماعيل آفريجاء :
إثر ألوند ، ولكن ألوند أطلع فى العودة إلى تبريز
باضطهاد الأغنياء أثناء إقامته القصيرة فيها (عالم آراء
ص ٣١) .

وفضحت معركة جالديران التى وقعت فى الآلى
من وجيه سنة ٩٢٠ هـ (١٢ أغسطس ١٥١٤)
للغالبية الطريق إلى تبريز ، فبعد تسعة أيام احتل
الوزير "عوكين" أوغلى والبطريرك "يرى" . وفى
اليوم الجليل من سجنهم دخلها السلطان سليم فحول
الطائر المنتصر ، وسار الترك فى المدينة سيرا رفعا

معتلا (Pers. lit. in Mod. Times : Browne)
ص ٧٧) ولكنهم استولوا على الكنوز التى كان

ذلك فى خطاب أرسله إلى السلطان العثمانى (انظر
فريدون بك : منشآت) .

وللمصادر البنفلية قيمة كبيرة فى دراسة عهد
لوزون حسن . وقد كان ماركوده مولينو Marco
de Molino أول قنصل بنفى فى تبريز عام
١٣٢٤ . ويصف جيوسافا بربارو Giozafa Barbaro
مبعوث الجمهورية البنفلية فى عام ١٤٧٤ الحياة
البيضة فى تبريز التى كان يؤمها السرفاء من جميع
الجهات ، واستقبل بربارو Barbaro فى أحد
أبناء القصر الضخم الذى كان يسميه « أبتيسى » Aptissi :
لما التاجر المجهول الذى زار تبريز عام ١٥١٤ فيتكلم
عن عهد لوزون حسن الزاهى ، وأنه لم يوجد بمشعل
له فى فارس بأسرها . ومات لوزون حسن عام
٧٥٢ هـ (١٤٧٧ م) ودفن فى مدرسة النصرى التى
بناها ، واتى استعملت فيها بعد ملغتها لابنه يعقوب :
وعطلت الآتى عهدها من حكمه - السلمى بالنسبة إلى
عزته - (٨٨٣ إلى ٨٩٦ هـ) قرب منه كثيرا من رجال
الأعب ، وكان إيريس المؤرخ الكردى كاتب سره :
وفى عام ٨٨٨ بنى فى حليقة صاحب عباد قصر
مشت بهشت (انظر تاريخ يعقوب الذى وضعه
لفعل الله بن روزجان ، وهو مخطوط وحيد فى
المكتبة الأهلية بباريس وعده أوزاقه ١٠٥ وموجوده
تحت رقم ١٠١) . وقد وصف التاجر المجهول هذا
القصر أيضا « أستيسى » Astibisti . وكان
منقوشا على سقف جهوه الكبير صور كل معارك
فارس العظيمة وسفرائها وغير ذلك . وكان يوجد
بجانب قصر بهشت حريم تأوى إليه ألف

مبنى الجوز من ناحية الشرق



المهاجم ، قاضى الجوع الترك إلى التقهقر ثانية ، وجاء في « هفت إقليم » أن السلطان سليمان حرم سلب المدينة للمقهورة ثلاثة أيام ، ولكن على الرغم من ذلك استمر سكانها يذبحون الترك خفية . ورفض سليمان اقتراح القاص ميرزا بأن يقتل أهل المدينة جميعاً أو يأسرهم . ولقد كان دارامون D'Armon سفير فرنسوا الأول شاهد عيان لاحتلال تبريز وهو يشهد بجهود سليمان في حمايتها (Voyages ص ٨٣) ، وفى عام ٩٦٧ هـ (٢٩ مايو ١٥٥٥) وقّع في أماسية أول معاهدة بين تركية وفارس . وظلت هذه المعاهدة قائمة حوالى ثلاثين عاماً (Hammer : ج ٢ ص ١١٢ ، ١٢٠ ، ٢٦٩ ، عالم آراء ، ص ٤٩ - ٥٩) .

وفى عام ٩٩٣ هـ (١٥٨٥) شرع أوزمير زاده عثمان باشا - وهو الصدر الأعظم لمراد الثالث - فى الاستيلاء على تبريز مرة أخرى ، وكان يقود أربعين ألف مقاتل واشترك معه جغاله زاده عامل وان بستة آلاف ، ووصل الترك أمام شام غازان متخليين چالديران وصوفيان طريقهم إليها . وفى أثناء الليل تقهقر الحاكم القارسى على قلى خان بعد دفاع مجيد قتل فيه من جنود جغاله زاده ثلاثة آلاف . وفى سبتمبر احتل الترك تبريز واستمروا ثلاثة أيام ينهبون أهلها وقتلونهم عقاباً لهم على قتلهم عدداً كبيراً من الجنود الترك ، ولكن حمزة ميرزا كبير وزراء القرس كبد الكنايب التركية خسائر فادحة فى مناوشاته التى قام بها حول المدينة كلها واتته القرصة ، وقد شيد عثمان باشا زاده قلعة مريضة لرد العوادي

قد جمعها ملوك القرس ونقلوا ألفاً من مهرة الصناعات إلى الآستانة . وقضى السلطان أسبوعاً واحداً فقط فى تبريز لأنه اضطر إلى العودة إلى بلاده من جراء رفض الإنكشارية الاستمرار فى الحرب (انظر G.O.R. : Hammer ج ١ ص ٨٢٠) .

وكانت حوادث سنة ١٥٩٤ تدير شؤون على القرس ، فى عهد طهماسب الأول نقلت العاصمة إلى جهة أكثر بعداً شرق بحر الخزر . ويقول السفير البندقى الساندري Alessandri إن طهماسب لم يكن محبوباً فى عاصمة الآق قويونلى القديمة ليهله ، ولحتت تبريز كتاب سليمان الأول تحت إمرة الوزير إبراهيم باشا بمشورة علماء قبيلة تكة التركمانية ، وكان ذلك عام ٩٤١ هـ (١٣ يوليو ١٥٣٤) ، ثم ذهبت هذه الكنايب إلى المسكر الصينى فى أصد آباد (سعيد آباد) وشرع إبراهيم باشا فى بناء حصن عند شام غاران وألقى عقابيد الحكيم فى آترييجان إلى العلماء الذين قاموا بمثل ذلك الأمر فى عهد طهماسب . وفى ٢٧ سبتمبر وصل السلطان سليمان نفسه إلى تبريز ثم انطلق إلى سلطانية واحتل بغداد . ولما عاد إلى تبريز قضى أربعة عشر يوماً فى تدبير شئون الحكيم . وأجبر البرد الجيش التركى على التراجع ، فضلمت الكنايب الفارسية حتى وصلت مدينة وان . وفى عام ٩٥٥ هـ (٢٨ يوليو سنة ١٥٤٨) احتل سليمان تبريز مرة أخرى بإغراء القاضي ميرزا أبهى الشاه طهماسب ومكث بها خمسة أيام . وكانت فزون للحرب الفارسية تقضى بإتلاف وسائل تموين الجيش

تكتنار الذي كان في تبريز (وتذاك) ولكن أهل المدينة أنفسهم ، وقد أتهم المتصب الشيخي ، فتكروا بعدد كبير من الترك في المدينة وما جاورها ولم يرعوا حرمة القرابة أو الصداقة التي توثقت عراها بينهم في المشرين علماً التي احتل الترك فيها تبريز . ودعا عباس الأول قومه نحو كل أثر من آثار الحكم العثماني ، « وفي أيام قلائل أصبحت القلعة التي شيدوها كما أصبحت أبيئهم ومنازلهم ومساكنهم أثراً بعد عين ، كما حووا أثر الخان المد لتجار والحوانيت والحمامات ، إلخ . . » (عالم آراء ، ص ٤٤١ ، ٤٥١) . وفي عام ١٠١٩ هـ (١٦١٠ م) ، أي في عهد السلطان الضعيف أحمد الثالث ، حاول الترك أن يعاودوا الهجوم ، فظهر الصدر الأعظم مراد پاشا ومعه جيشه على حين خرة أمام تبريز ، ولكن عباس الأول كان عنده من الوقت ما يفيق له الاستعداد ، فقاط أمر الدفاع عن المدينة بحاكمها پريدق خان ، « في حين جعل الشاه قاعدته شمالي السرخاب ، ولم يحدث قتال ، إلا أن الترك عانوا كثيراً لحبيبتهم إلى الزاد في ذلك الإقليم الذي خربه الفرس ، وبعد خمسة أيام عاد الجيش التركي على أعقابهم في حين ظل الشاه عباس ومراد پاشا يتبادلان الولود . وكان الغزو التركي باعثاً على التصجيل بتشديد حصن جليلد لمدينة تبريز . ولم يجد الفرس مكان القلعة القديمة صالحاً للغرض لتعرضه لفيضانات مهتران رود . وبقي الحصن الجليلد بالقرب من سرخاب في حي ريع وشيدى ، وأخذت مواد بنائه من الحراب القديمة . وعلى الأخص في شام غازان (عالم آراء ، ص

عن تبريز ، وكان طول أسوارها ١٢٠٧٠٠ ذراع (أوليا : معمارى مكى أرشونى) وبنيته هذه القلعة في ٣٦ يوماً ، وكانت في داخل المدينة في مكان دولتخانه القديمة كما ورد في عالم آراء ، أو حول خيابان الشاه كما ورد في كتاب أوليا . وكانت حاميها ٤٥٠٠٠ رجل ،

وعين النحصى جعفر پاشا حاكماً على تبريز ، وفي ٢٩ أكتوبر عام ١٥٨٥ م توفى عيان پاشا وكان قد عين وهو على فواش الموت جفاله زاده قائداً للكاتب التركية ، ونجح جفاله زاده في الانتصار على الفرس ، ولكنهم سرعان ما تمكنوا من محاصرة الترك داخل المدينة . وبعد ثمانية وأربعين اشتباكاً انصرف فرهاد پاشا عن حصار الحامية نهائياً (انظر Hammer : ج ٢ ، ص ٣٥٤) وتخلّى شاه عباس بمقتضى صلح عام ٨٩٩٨ (١٥٩٠ م) - الذي كان شوماً على الفرس - عما فتحه هؤلاء في بلاد القوقاز وفي غرب فارس ، ومن ثم وسخت أقدام الترك في تبريز بالفعل . وعداد أوليا مياهين وخاصة تلك التي شيدتها جعفر پاشا في تبريز وما جاورها ، ولكن الفرس لم تغمض عيونهم عن حاضرتهم القديمة .

أظهرت الفتن التي قام بها السهاى في أوائل عام ١٦٠٣ ضعف السلطان محمد الثالث ، ففى الخريف ترك الشاه عباس لإصفهان فجأة ، ودخل تبريز بعد اثني عشر يوماً ، وهزم على پاشا عند حاجى جبرائى على بعد فرسخين من المدينة ، ثم سلمت القلعة بعد تلك الميزة . وترفق حامل الشاه عباس في معاملته عنوه المهترم وأكرمه (انظر شهادة

أريوان : ويعتضى معاهدة عام ١٠٤٩هـ (١٦٣٩م) ضمن القوس لأنفسهم حدودهم التي ما زالت إلى الآن .

ويقول حاجي خليفة - الذي شهد بعينه وقعة عام ١٠٤٥هـ - إن الحصون القديمة قد اختفت تماماً بعد التخریب الذي قام به مراد الرابع « وما كان يرى غير آثار من أبنية قديمة مبعثرة هنا وهناك » (جهان نما ، ص ٣٨١) وكذلك لم تنج غارن نفسها من التخریب . والشيء الوحيد الذي لم يمس هو مسجد أوزون ، بل إن الجنود حاولوا اقتلاع أشجارها كلها ولكنهم لم يتمكنوا من انتزاع عشرين نظراً لقلعة صدهم ، وهكذا كانت حال المدينة وقتذاك . ولما زارها رحط من الجوانب بعد سنوات قليلة من هذه الحوادث قالوا إنها ازدهرت وتقدمت ،

وفي عهد عباس الثاني عام ١٠٥٧هـ (١٦٤٧م) أورد أوليا چلبی إحصاءات مفصلة عن تبريز ، فهو يقول إنه كان بها ٤٧ مدرسة و ٤٠٠ مكتب و ٢٠٠ خان لإيواء التجار و ١٠٧٠ منزلاً من منازل الأعيان و ١٦٠ تكية للدررايش و ٤٧٠٠٠ بستان وبها منارة مهمة . ويقول تافرنيه Tavernier في الوقت نفسه إنه على الرغم من التخریب الذي قام به مراد الرابع « فإن المدينة قد أعيد بناؤها على أتم حال » . وفي عام ١٧٢٣ ، أي في أيام الشاه سليمان الأول ، يقول چاردان Chardin (ج ٢ ، ص ٣٢٨) إنه كان بمدينة تبريز ٥٥٠٠٠٠ من السكان - ويلاحظ أن هذا العدد مبالغ فيه - و ١٥٠٠٠ منزل و ١٥٠٠٠ حانوت . والحق إنها

٥٨٤ ، ٦٠١) . وأيدت غزوة مراد ناشأ الخالية من ناحية أخرى إلى إبرام معاهدة عام ١٠٧٢هـ (١٦٦٢م) التي مكنت القروس من إعادة الحال إلى ما كانت عليه في عهد الشاه طهماسب والسلطان سليمان (عالم آراء ، ص ٦٠ ، ٦١١ ؛ Hammer : ج ٢ ، ص ٧٣٦ ، ٧٤٥) غير أنه قامت عقبات اعترضت التوحيد الحالي .

وفي سنة ١٠٧٧هـ (١٦٦٨م) غزت آذربيجان فجأة كتائب وان التركية البالغ عددها ٦٠٠٠٠ رجل وذلك بتحريض بعض رؤساء التتر في القرم ، وأخل القروس تبريز وأردبيل . وموت الأتراك أنفسهم مرة أخرى عند تبريز إذ كانوا في حاجة شديدة إلى اللون ، ثم تقدموا إلى سرخاب حيث انتصر عليهم قرققاي خان سباه سالار تبريز انتصاراً بارهاً ، وأبرمت معاهدة أخرى أبدت شروط معادة سنة ١٠٧٢هـ (عالم آراء ، ص ٦٥٦-٦٦١ ؛ Hammer : ج ٢ ، ص ٧٧٣) .

وبعد وفاة عباس الأول اشتد النزاع بين الأتراك والقروس ، ففي عهد خلفه الشاه صفی ، غزا مراد الرابع آذربيجان سنة ١٠٤٥هـ (١٦٣٥م) ودخل تبريز في ١٢ سبتمبر من السنة نفسها . وكانت هذه الغزوة ترى إلى التخریب أكثر مما ترى إلى الفتح ، فقد أمر مراد جنوده أن يلعروا المدينة ، وبهذه الطريقة وصلت تبريز إلى الحضيض . وأسرع مراد بالرجوع إلى وان لقرب حلول فصل الشتاء ولم يمكث في تبريز غير ثلاثة أيام . وفي الربيع التالي عاد القروس إلى الاستيلاء على ممتلكاتهم حتى

وقد الترك ٢٠.٠٠٠ ، وانسحبت بقبة الحامية
الفارسية بسرعة إلى أردبيل ولم يبق بها سوى
٧.٠٠٠ رجل فحسب (على حزين : طبعة Balfour
ص ١٥٣ + Hanway : ج ٢ ، ص ٢٢٩) .

وأيدت معاهدة عام ١١٤٠ هـ (١٧٢٧ م)
التي أبرمها أفغان أشرف امتلاك العثمانيين للجزء
الشمالي الغربي من فارس حتى سلطانية وأهر. وبعد
حامد هزم فادر جيش مصطفى باشا عند سهيلان
(أوسولان أوستخ كوبريو بالعامية) بالقرب من تبريز ،
ودخل هذه المدينة في الثامن من المحرم عام ١١٤٢ هـ
(١٧٢٩ م) وأخذ رسم باشا حاكم همدان أسيراً ،
وأراد الشاه طهمااسب أن ينهب فرصة الفتن الداخلية
في تركيا فعاد الهجوم ، ولكنه فقد معركة قمرجان
بالقرب من همدان ، وعاد السر عسكر على باشا إلى
تبريز في شتاء عام ١١٤٤ هـ (١٧٣١ م) وهناك
شيد مسجداً ومدرسة : ونزل القرم للباب العالي
بمقتضى المعاهدة التي أبرمت بعد ذلك بقليل (أي
في ١٦ يناير عام ١٧٣٢) عن الأراضي الواقعة
شمال نهر الرس ، ولكنهم احتفظوا بتبريز والإقليم
الغربي . ولما كانت تبريز محنة فعلا فجنود على باشا
فقد وافق الباب العالي بعد تردد كثير على إعادتها
لفارس ، وكان التوقيع على هذه المعاهدة سبباً في
حول الصلح الأعظم (Hammer : ج ٤ ، ص ٧٨١) :
وكان التنازل عن أقاليم بلاد القوقاز من ناحية أخرى
ذريعة تلجأ بها فادر تلخ طهمااسب الثاني .

واستولى رسم باشا على تبريز مرة أخرى بعد
أن أوقف نادياً بالقرب من بغداد . وفي عام ١٧٣٤

كانت مدينة كبيرة مهمة فيها الكثير من ضروريات
الحياة حتى إن الإنسان يستطيع أن يعيش فيها عيشة
واضحة بالقليل من النفقة ، وكان يوجد بها دير
للكاثوليك كان الحكام يشملونه بالعطف . وكان
خاتمة قارص وأرمينية ومراغة وأردبيل وعشرون
من السلاطين ، أي الحكام المحليين ، يرزخون تحت
سلطان البكرليك ونفوذهم في تبريز .

نهاية الصفويين وفادر :

كان مآل غزوة الأفغان لفارس إلى الفوضى
القائمة ، فقد وصل إلى تبريز وارث العرش طهمااسب
الذي كان قد فر من إصفهان ، وهناك في تبريز نودي
به ملكاً عام ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) ، ولما تحلى طهمااسب
الثاني عن بلاد الخزر لروسيا بمقتضى معاهدة ١٢
سبتمبر عام ١٧٢٣ أعلنت تركيا أنها مضطرة لاحتلال
الجنود بين تبريز وإريوان وذلك على سبيل الحيلة
والحل .

وبعد سقوط إريوان ونقجوان ومرند وصل
الترك أمام تبريز في خريف عام ١١٣٧ هـ (١٧٢٤ م)
وكانوا تحت قيادة المر عسكر عبدالله باشا كوبرلي .
واحتل الترك حبيبي دوه جي وسرخاب في الموضع
الذي عسكر فيه سليم الأول ، وجعل الفرس من
شام غازان قاعدة حربية لهم وقاوموا الغزو التركي .
وأحرز الترك بعض النجاح ، ولكن قلوب فصل
الشتاء اضطرهم للانسحاب قبل نهاية الشهر . وفي
الربيع التالي عاد كوبرلي على رأس ٧٠.٠٠٠ رجل ،
ولم يستمر الحصار غير أربعة أيام ، بيد أنهم كانوا
يقاتلون قتال اليأس . وقد الفرس ٣٠.٠٠٠ رجل ،



من آذربيجان (Hist. of Persia : Malcolm) :
وأحدث زلزال عام ١٨٧٠ م خسائر كبيرة بتبريز «
القاجارية :

انطلق آغا محمد مؤسس الأسرة القاجارية حوالى
نهاية عام ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) قاصداً احتلال
آذربيجان ، وكان بين الحكام الذين جاؤوا لمقاتلته
حسين خان دمبلى صاحب خوى (انظر مادة
« كرد ») . وضم آغا محمد تبريز إلى ممتلكاته : وفى
عام ١٢١٠ هـ (١٧٩٦ م) ثارت الفتن فى آذربيجان
عقب اغتيال أول شاه قاجازى : وحاول صادق
خان من قبيلة شىقانى (انظر هذه المادة) أن يجمع
السلطة كلها فى يده فنصب أخاه محمد على سلطاناً
على تبريز ولكن الحكام من أبناء دمبلى اشتركوا
بصفة فعالة فى إخماد تلك الفتنة . وقد ثبت فتح
على شاه - اصترافاً منه بمجملهم - جعفر على خان دمبلى
على تبريز وخوى . وما كاد يصل هذا الأخير إلى
تبريز فى عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) حتى فقد
حلفاء مع صادق خان الذى أقام نفسه مرة أخرى على
سراب ومع آشاور خان صاحب أرمية ليضلع
« من تلك التبعة التى كانت قليلة الأثر حتى لثمتبر
فى الحقيقة استقلالاً تاماً » ، وطرده عنى الشاه من
تبريز . وأرسلت الكتائب لمحاربة جعفر خان فقاومها
فى خوى بعض الوقت بمساعدة الأكراد (انظر
طبعة The Dynasty of Kojars : H. J. Brydgen
لندن سنة ١٨٣٣ ، ص ٥٠ ، ٨٤) . وفى عام
١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) نصب عباس ميرزا وارث
عرش فارس نفسه على تبريز ومعه أحمد خان
مقدم المراتى يكرر بك له «

انطلق نادر قاصداً تبريز وكانت نتيجة الاتصالات
التي أحرزها فى بلاد القوقاز أن أبرمت معاهدة
عام ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) التى أعادت الحال إلى
ماكانت عليه عام ١٠٤٩ هـ (١٦٣٩ م) قرب نهاية
عهد نادر وبداية شوب الفتنة من جديد . وانحاز
سكان تبريز لجانب دعى مجهول يسمى سام ميرزا :
وكانت وفاة نادر عام ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م)
فرصة الباب العالى أتاحت له التدخل فى الشؤون
القارسية ، وخاصة عند ما جاء رضا خان بن فتح على
خان « ديوان بكى تبريز » إلى أرزن الروم ليطلب
معاونة الترك لأحد المطالبين بالعرش ، وهو أحد
بنى نادر (Hammer ، ج ٤ ، ص ٤٧٤) ولكن
تركية احتفظت بالحياد التام . وترك نادر شاه
آذربيجان ودعية فى يد ابن عمه الشجاع الأمير
أرسلان خان ، وكان تحت إمرته ثلاثون ألف رجل :
وبعد وفاة نادر ساعد هذا القائد إبراهيم خان ابن أخى
نادر على هزيمة أخيه عادل شاه (سلطان على شاه)
ولكن إبراهيم قلب ظهر الحش فجأة لحليفه فقتله ،
وبعد أن جمع ١٢٠ ألف رجل قضى ستة أشهر
فى تبريز نادى فيها بنفسه ملكاً فى السابع من دى
القمعة عام ١١٦٠ هـ (تأريخ بعد نادرية : طبعة
O. Mann ، ص ٣٦ ، ٣٧) وسرعان ما قتله شاهرخ
خفيد نادر . وما زلنا لا نعرف غير القليل عن تأريخ
آذربيجان خلال حكم أسرة كريم خان زند ، فقد
كان أفتان آزاد خان أول الأمر سيد الإقليم ولكن
محمد حسين خان قاجار اغتصبه منه عام ١٢٧٠ هـ
(١٧٥٦ م) . وفى السنة التالية هزم كريم خان فتح
على خان آشاور صاحب أرمية وفتح الجزء الأكبر

ألفاً قط ، أما موريه Morier الرحالة فقد أمرو في تقديره لما زارها للمرة الأولى عام ١٨٠٩ ، إذ قدر عدد منازلها خمسين ألفاً ، وبها من السكان ٢٥٠,٠٠٠ نسمة ، بيد أنه لما عاد في رحلته الثانية اقتصد في تقديره بقوله إن فخامة تبريز لم تبلغ عشر ما كانت عليه وإنه لا يوجد بها منشآت عامة تستحق الذكر .

واستمرت الحروب الروسية القارسية حتى عام ١٨٢٨ ، وفي أثناء المعارك التي نشبت عام ١٨٢٧ دخل تبريز القائد الأمير إريستوف Bristow في الثالث من ربيع الثاني عام ١٢٤٣ ، وكان على رأس جيش يبلغ ثلاثة آلاف مقاتل . وقد ساعده على دخول المدينة بعض الناقمين من الحكام ، وكان عباس ميرزا غائباً وقتذاك . وتضاربت الآراء في المدينة ، وكان من رأى الله يارخان أصف الدولة أن يستمر في النضال ، ولكن الإمام ميرزا فتحاح ، وهو من كبار رجال الدين ، أصر على التسليم . وفتح أبواب المدينة للروس ، فاضطر ميرزا فتحاح أن يهاجر فارس بعد إبرام الصلح ، ويلجأ إلى بلاد القوقاز . وعند ذلك جاء تبريز القائد العام الكونت سكشينش Paskewich وقابل عباس ميرزا في ذه خرقان ووقع الهدنة ، ولكن بلاط طهران رفض شروطها ، فعاد الروس إلى الهجوم واستولوا على أرمينية ومراغة وأردبيل ، وانتهى الاحتلال الروسي آخر الأمر بصلح تركمان چاي في الخامس من شعبان عام ١٢٤٣ (٢٢ فبراير عام ١٨٢٨) الذي عين الحلود على نهر الرس . وللتوسع في دراسة هذه الحوادث يرجع إلى : مرآة البلدان ج ١ ، ص ٤٠٤ - ٤١٠ .

وبحث جعفر خان عن مأوى له في روسيا (انظر مادة «شكى») ولكن أشخاصاً آخرين من أسرة دمبلى استمروا في حكم تبريز بعض الوقت . وفي عام ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) أعاد نجف قلى خان دمبلى تشييد قلعة تبريز (مرآة البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٣ ، S. Wilson ص ٣٢٥) وحفر عباس ميرزا الخنادق حولها عام ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م) . وبعد انضمام الكرج إلى روسيا عام ١٨٠١م تعقدت الأمور تدريجاً بين روسيا وفارس وصارت تبريز المركز الرئيسي للنشاط القارسى . وأخذ عباس ميرزا على نفسه أن يدرب الجيش القارسى على الخط الأوروبى ، واتخذت بهمة إنكليزية هامة مدينة تبريز مركزاً للقيادة ، وكانت تضم بين أعضائها عدداً من المستكشفين المشهورين ببلاد فارس (Ouseley ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ ، Ritter : ج ٩ ، ص ٨٧٦ - ٨٨٠) ، وجاءت البعثتان السياسيتان الإنكليزية والروسية إلى بلاط عباس ميرزا ، وكان الكاتب المشهور كريبودوف Griboyedow كاتب سر البعثة الروسية ثم رئيسها بعد ذلك . وشيد ولى العهد البعيد المهمة دوراً للأسلحة ومصانع للمدافع ومخازن وحوائث . ولكن على الرغم من هذه الجهود التى بلها فإن المدينة لم تكن سوى ظل من تلك المدينة الزاهرة أيام چاردان Chardin . وفي عام ١٨٠٧م قدر تنكوانى Tancoigne عدد سكانها بين الخمسين والستين ألفاً يدخل في ذلك الكثير من الأمر الأرمينية . ويقدرهم دوبريه Dupre بأربعين ألفاً بينهم خمسون أسرة أرمينية . ويقدر كينير Kinneir عدد سكان تبريز - وهى من أتمس المدن - بثلاثين

« شمليتان ») فأقيمت الأبواب بين الأحياء بعضها وبعض لتتفقد سداً في وجوههم عند الضرورة ، ولكن الأكراد لم يتعلموا « بناب » . ووطدت قوة القاجاريين القلابة السلام في آذربيجان ثم انحلت تبريز تتمش تدريجاً . وعلى الرغم من فتل الهواء الأصفر والطاعون بالأهل عام ١٨٣٠ - ١٨٣١ فإن إحصاء عام ١٨٤٧ سجل تسعة آلاف امرأة ، أى من مائة ألف إلى مائة وعشرين ألف نسمة ، (إحصاء Berezin) : وفي عام ١٨٩٥ قدر عدد السكان من مائة وخمسين ألفاً إلى مائتي ألف من بينهم ثلاثة آلاف أرمني (Persian Life : Wilson ص ٥٣) : وبعد ذلك بعشرين عاماً بلغ عدد السكان أكثر من مائتي ألف نسمة . وعلى الرغم من أن حركة التنظيم كانت مرتجلة فإن المدينة تعلمت في كل ناحية من نواحيها ، ولوقت وانتشرت تجارتها وخاصة بين عامي ١٨٣٣ و ١٨٣٦ بعد فترة من الكساد ولكن الزيادة الفائلة في الواردات سببت أزمة شديدة عام ١٨٣٧ .

وكان افتتاح الطريق المار ببلاد القوقاز سبباً في قيام المنافسة بينه وبين الطريق الموازي له ، وهو طريق أطرانزندة [أطرايزون] - تبريز . وفي عام ١٨٨٣ أثقلت الحكومة الروسية الطريق الذي يمتد في بلاد القوقاز ، وبذلك راجت التجارة في الأسواق الفارسية البشائية ، ولكن حركة الصانع المارة بطريق أطرانزندة - تبريز ، وهو الطريق الوحيد للغرب ، ازدادت أيضاً .

القرن العشرون :

كان تاريخ تبريز منذ عام ١٩٠٤ مضطرباً غاية

بطرسيبرغ عام ١٨٧٤ ، ١٨٧٦ ، ص ٧٤٣ - ٧٤٧ « *Détails sur ce qui s'est passé à Tauris du 24 Octobre au 5 Novembre 1827* المنشورة في *Nouve. Annales de Voyages* ، باريس سنة ١٨٢٨ ، ج ١ ، ص ٣٢٥ : *Kartini : P. Zubov voyais Persiye* عام ١٨٣٤ ، الكاتب نفسه : *Persidskaya vina* : سانت بطرسبرغ عام ١٨٢٦ - ١٨٢٧ : *Ostensenken Administration de l'Adharbaidjan pendant la guerre persane de 1827-1828* وهو مكتوب بالروسية في *Russki Iusvalid* ، سنة ١٨٦١ ، رقم ٧٩ .

وكانت تبريز منذ عهد عباس ميرزا المقر الرسمي لولي العهد ، وكانت البعثات البريطانية والروسية لقضايا معظم وقتها في تبريز إلى أن احتل المرش محمد شاه عام ١٢٥٠ هـ الموافق ١٨٣٤ م (Fraser : *Travels in Koordistan* ج ٢ ، ص ٢٤٧) ونظمت انتقال هاتين البعثتين إلى طهران أن القاجارية قلوا عاصمتها نهائياً إلى تلك المدينة .

ولا يعرف إلا القليل عن الحياة في تبريز حتى أواخر القرن التاسع عشر ، ففي ٢٧ شعبان عام ١٢٨٦ (٨ يوليو عام ١٨٥٠) أحدم الباب (النظر هذه المادة) في تبريز عند مدخل دار السلاح « جبهانه » (انظر تفاصيل تلك الحادثة في Wilson : *Persian Life* ص ٦٢) . وفي عام ١٨٨٠ دب القزح والرب في قلوب أهل تبريز من اقتراب الأكراد تحت قيادة الشيخ عبيد الله (انظر مادة

فرقة روسية تحت قيادة فوروبانوف Voropanov وصلت في ليلة رأس السنة الجديدة ، وقضت المحكمة العسكرية الروسية بالإعدام في قضايا متعددة، وكان من بين الذين أعدموا أحد الأعضاء البارزين في ملهب الشيخة وهو ثقة الإسلام . وفي أكتوبر عام ١٩١٢ استدعيت الفصائل التركية التي كانت تحتل الأقسام المتنازع عليها الواقعة غربي آذربيجان ، غير أنه لم يبت حتى ذلك الوقت في مسألة الحدود الروسية التركية ، وعلى ذلك بقيت الكاثبات الروسية بآذربيجان حتى عام ١٩١٤ وهناك اندلعت تيران الحرب العالمية .

وفي أوائل ديسمبر تحركت الفصائل الكردية غير المنظمة تحت قيادة الضباط الميثاقين من ساج يولاق قاصلة مراغة وتبريز ، وهددت في الوقت نفسه الجيش التركي في القوقاز بإغارة أنزو . باشا على صاري قاميش الواقعة جنوبي قارص ، وصلوت الأوامر بإخلاء آذربيجان ، وفي الملة الواقعة بين ١٧ ديسمبر عام ١٩١٤ و ٦ يناير عام ١٩١٥ تركت الكاثبات الروسية تبريز وتبهاكل السكان المسيحيين ، وفي ٨ يناير دخل المدينة أحمد غنار بك ضخم على رأس جماعة من الأكراد ، وتغير الموقف فجأة فعاد الروس في ٣١ يناير بجيش واستولوا مرة ثانية على تبريز (انظر تفصيل ذلك في الكتاب اللثي وخمسة متصل ألمانيا السابق في تبريز I.W. Litten و Pörrische Plätterwochen برلين سنة ١٩٢٥ ص ٨ - ١٢٧)

وكان قد أنشئ منذ عام ١٩٠٦ طريق مرموق يصل تبريز بالحدود الروسية (خلفا . وهي آخر

الاضطراب ، فقد كان لأثر اك تبريز - وهم السلافة الناشئة من تراجق القرس والتر والمغول والتركمان . إلخ المعروفين بمخيمهم وعنفهم - شأن هام في الحركة الثورية الوطنية الفارسية : ففي يوم ٢٣ يونية عام ١٩٠٨ نشبت الثورة في المدينة ، وفي هذا اليوم نفسه أطلقت القنابل على دار النيابة في طهران . ونحن إذا ذكرنا الدفاع المجيد عن تبريز ، فإنه يجب علينا أن نذكر معه اسمى سلطانخان وشريكه باقرخان . وقد كان الأول في مبدأ أمره تاجر خيل ثم صار زعيما لحى الأمير خير . بيد أنه كانت هناك نواح غامضة في نشاطهما لم تكتب براون E.G. Browne فأما التام عنها في كتابه (The Pers. Revolution ص ٤٩١ - ٤٩٢) : وحافظت كاثبات الحكومة تحت قيادة الأمير عين الدولة بالمدينة : وفي أوائل فبراير عام ١٩٠٩ حاصرتها حصارا كاملا ، وفي ٢٠ أبريل وافق مجلسا وزراء لندن وسانت بطرسبرغ على إرسال قوة روسية إلى تبريز « تسهلا لدخول المون الضرورية إلى المدينة ، وسجاية القناصل والرحايا الأجانب ومساعدة لمن يريد ترك المدينة » . وفي ٣٠ أبريل عام ١٩٠٩ دخلت الكاثبات الروسية تحت إمرة القائد ستاروسكى Snarski ، تبريز (Browne : The Pers. Revolution ص ٢٧٤) : واستمرت المفاوضات الخاصة بانسحابهم حتى عام ١٩١١ ، وهناك آثار الإندثار النهائي الروسي الموجه لطرهان في ٢٩ نوفمبر اضطراباً جديداً في الإقليم : وفي ٢١ ديسمبر هاجم القديثيون في تبريز القصبلة الروسية الضعيفة المفرقة في المدينة وكنهوها خيافر فادحة ، وكانت النتيجة المباشرة لذلك أن أرسلت إلى تبريز

يستتب الأمر إلا في زمن رضا خان الذي صار وزيراً للحرب أول الأمر ثم حاكماً لقارس بعد ذلك .

وتركت الحكومة السوفييتية بمقتضى معاهدة ٢٦ فبراير عام ١٩٢١ من امتيازاتها القديمة في قارس وفي السكة الحديدية للمبتلة من تبريز إلى جلفا التي أنشئت على نفقة الحكومة الروسية . وبذلك صارت من ممتلكات الحكومة الفارسية .

آثار تبريز :

يرجع تاريخ أقدم الآثار في تبريز إلى عهد المغول ابتداء من القرن الرابع عشر . بيد أنه لا توجد دواصة منظمة لها . ويرجع السبب في اختفاء هذه الآثار إلى عاملين مهمين : أولهما الزلازل ، وثانيهما عدم اهتمام الشبهة بما شيدته أسلافهم ونصوبهم من أهل السنة ، ولو أن آثاراً من تلك الآثار ما زالت قائمة إلى الآن . وقد انحضت أبنية غازان الفخمة التي كانت مقامة في قرية شنب شام (وهي الآن ضاحية قره ملك) : وفي عام ١٦١١ نجد الشام عباساً يستعمل أنقاض شام غازان لبنى بها حصناً ، وقد كان زلزال ٥ فبراير عام ١٦٤١ سبباً في تخريب المدينة وتدميرها (Azakel of Tabriz ، ص ٤٩٦) ويذكر أوليا جلبي (ج ٢ ، ص ٢٦٥) أنه ما زال يرى خرائب البرج الضريح قائمة وهي تذكره ببرج غلطة ، وقد أبدت هذه الملاحظة نفسها في جهان نما ، وزارات أيضاً السيدة ديولافوي Mme Dieulafoy ومعها ساربه Sarre التل الذي كان عبارة عن بقايا شام غازان ، وما زال يوجد هناك بعض الأواني الخزفية :

محطة السكك الحديدية الروسية) وقد مدت هذا الطريق شركة روسية رسمية كانت حصلت على الامتياز من الحكومة الفارسية ، وعجل بتغيير هذا الطريق إلى سكة حديد وفتح للتجارة في أوائل مايو عام ١٩١٦ ، وكانت السكة الحديدية أول ما مدت عند الحدود الفارسية وكان طولها ثمانين ميلاً وبها خط فرعي يبدأ من صوفيان وينتهي عند بحيرة أرمية وطوله ٢٥ ميلاً : وكان الجيش الروسي المرابط على الحدود الفارسية قد دبت فيه الفوضى وقت اندلاع ثورة عام ١٩١٧ فأعلنت أذربيجان في أوائل عام ١٩١٨ ، ولم يقادر ممثل الحكومة المركزية الفارسية أمكنتهم طوال هذه المدة ، بل إن ولي العهد نفسه ظل حيث هو ، ولكن لما غادرت تبريز آخر فصيلة روسية في ٢٨ فبراير عام ١٩١٨ انتقلت السلطة الفعلية إلى أيدي اللجنة المحلية للحزب الديمقراطي الذي يرأسه إسمايل نوبيري :

وفي تلك الأثناء نقض الأتراك عن أنفسهم واثمهم وتكاسلهم فأمرعوا باحتلال الحدود إلى أخلاها الروس ، وفي ١٨ يولية عام ١٩١٨ دخل الحرس الأول العثماني مدينة تبريز : وفي ٨ يوليو وصل القائد علي إحسان باشا ، وفي ٢٥ أغسطس جامعاً كاظم قره بكير باشا الذي كان يقود كتائب الجيش : ونفت السلطات العثمانية نوبرى وأبدت تعين مجد السلطنة حاكماً على أذربيجان ، واستمر هذا الموقف المضطرب أكثر من عام ، ولم تعد الأمور إلى مجراها الطبيعي إلا عند وصول الحاكم العام الجديد ضياء سالار إلى تبريز في يولية عام ١٩١٩ ولم

دراسة مستبضة ، وهذا المسجد في حالة من التهدم والإنهيار ، ومن المحتمل أن يكون السبب في إهماله هذا راجعاً إلى نزعات الرندقة التي اتهم بها الآق قويونلي مشيلوه . ويتحسناً أولياً چليى لمسجد السلطان حسن الزخرف بحجارة مستوردة من النجف وبنقوش دمجها يراعة الخطاط باقوت المستعصى . وكان على جانبي المحراب عمودان من الأحجار النادرة كالكهرمان ، وكان هذا المسجد المعروف باسم استاد شاگرد (أى المعلم للتعليم) من تصميم حسن كوجك چوبانى المتوفى عام ٧٤١ هـ الموافق ١٣٤٠ م (زينة الخالص في مرآة البلدان ، ص ٣٤١ Chardin) ويقول ولن S. Wilson إن المسجد الجديد المعروف بهذا الاسم (للمقام في مكان المسجد القديم) يقوم بالقرب من سوق الصوف ، ويظهر أن هذا المسجد يختلف عن مسجد أوزون حسن الذى لا تعرف عنه إلا القليل جداً .

ويقول أولياً إن مسجد الشاه عباس كان في مواجهة استاد شاگرد ، ويرجع إنشاء عمر الشاه صنى المسى خيابان إلى عهد الصفويين (انظر أولياً) أما مقر الحاكم العام ألا قايى - وهو المسىء الباب الأحمر - فيرجع إلى عهد القاجارية ، وهذا هو حال الخانات الغناء في باء شال (الخانات الشمالية ولو أنها تقع في جنوب المدينة) وسرادق شاه كولى (بحيرة الشاه) على بعد خمسة أميال جنوبى المدينة (Berezin ، ص ٨٠) وغير ذلك . ويوجد بيان مفصل بأثار تبريز في كتاب رحلات أولياً چليى .

أما صورة تبريز التي رسمها چاردان Chardin في مصوره الجغرافى والى تبين المبانى العامة فلها

ووصف ذلك البناء العجيب بلر الدين الحقى المتوفى عام ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) في كتابه « عقد الجحان » وقد استفاد من البيان الذى وضعته سفارة ملوك سلطان الناصرى في عهد الإيلخان أبى سعيد (وقد ترجم النص البارون تيسهاوزن Tiesenhausen : ١١٤ ، ج ١ ، عام ١٨٨٦ ، ص ١١٤ - ١١٨) وقيل إن المسجد قد شيد ليتنافس قصر خسرو في طيسفون . ويقول حمد الله (١٣٤٠ م) إن المسجد بنى في صجلة شديدة أدت إلى إنباهه (فروود آمد) ويتكلم التاجر البنىقى عام ١٥١٤ في حفاة عن أطلاله ، ولكن چاردان Chardin (ج ٢ ، ص ٢٢٣) وجد الجزء الأسفل فقط (وقد جلد) وكذلك البرج . وينطق اسم طاق على شاه في الوقت الحاضر على البناء العظيم التهدم المبني بالآبن والتقام وسط المدينة عند مدخل حى مهادهمين القديم أو مير مير (انظر Berezin) ومن المحتمل أن يكون هناك بعض اللبس بين المسجد القديم الذى اندثر الآن وبين القلعة المجاورة له التى يتفق وصفها وما نعلمه من وصف المسجد . ولا يعرف شىء دقيق عن تاريخ الإيوان [أو الحصن] فقد يكون هو بنفسه دولتخاناه القميحة التى يتكلم عنها كلايفيو Clavijo والمذكورة في علم آرا (انظر ما ذكر آقا) . وقد حول عباس ميرزا هذا الإيوان إلى مصنع للأسلحة ، وما زال أعظم الأبنية وأروعها في تبريز .

أما مسجد جهانشاه - وهو المسجد الأزرق الذى وصفه كل من Chardin و Tavernier - فقد درسه كل من تكسييه Texier ومدام ديلافوى Mme. Dieulafoy والأستاذ Prof. Sarrea

القارسي رقم ٧٨٧ ، ورقة رقم ٥٦ ، وهو عبارة عن وصف تبريز وفقاً لكتاب نزهة القلوب وعند أوراقه ١٢٠ ، انظر أسرة إيلدگيز (٦) أحمد رازي : « هفت إقليم » سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٤م) الورقات من ٤٦٤ - ٤٧٩ من مخطوط رقم ٣٥٦ بالملحق القارسي ، وهو محفوظ بال مكتبة الأهلية بباريس وبه تعداد مفصل لأحيان تبريز الشهورين (٧) حاجي خليفة : « جهان نما » ص ٣٨٠ - ٣٨٣ (٨) إسكنر منشي : « عالم آرا » سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٥م) طهران سنة ١٣١٤ هـ ، ص ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٩ - ٥٠ ، ٤٤٤ هـ ، ٤٨ وبه تواريخ مهمة عيليلة (٩) *Lime d' Histories : Arakel of Tabriz* وهو تأريخ أرمسي للسنوات من ١٥٧٤ إلى ١٦٦٥ الترجمة الفرنسية التي قام بها Bromet وهي محفوظة في *Coll. d. Historiens arméniens* ، سانت بطرسبرغ عام ١٨٧٤ ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، ٢٥٤ ، ٣١٢ ، ٤٩٦ ، ٥٧٢ وغيرها (١٠) أوليا جلبي عام ١٠٥٧ هـ (١٦٤٧ م) ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ - ٢٧٦ وبه أخبار هامة مفيدة (١١) محمود لبيح : « تحفة اللبيب » عام ١١٣٨ هـ = ١٧٢٥ م (١٢) وهناك مؤلف لم يكشف عنه بعد عن مقابر وجال تبريز المشهورين (*G.O. R. : Hammer*) ، ص ٥٢٥ (١٣) *Die Geschichtsschreiber der : Babinger* *Osmanen* ، ليسك عام ١٩٢٧ ، ص ٢٣٧ (١٤) زين العابدين شرواني : « حقائق السياحات » وهو مخطوط محفوظ بال مكتبة الأهلية بباريس ، انظر الملحق القارسي رقم ١٣٠٥ ، ورقة رقم ٨٦ (١٥) الكاتب نفسه : « بستان السياحات » كتب عام ١٢٤٧ هـ

قائمة هامة في دراسة خطاطها . وهناك تفصيلات لها أهميتها مشورة في الصفحات من ٣٤٦ - ٣٤٨ من الجزء الأول من كتاب مرآة البلدان ، وفي مؤلف Wilson المبشر الأمريكي . وقد جهز طلبة المدرسة الحربية بتبريز رسماً لها في عام ١٨٨٠ بمقياس ١ : ٨٨٢٠ ونشرت في عام ١٨٩٤ (انظر *Gangr. Journ. : Houtum-Schindler* عام ١٨٩٥ ، ص ١٠٤) وفي ص ٥٢ بعلى برزين *Berezin* وصفاً مختصراً لأحياء المدينة ، ويوجد رسم فارسي مقول في كتاب براون (*The Persian : Browne* *Revolution* ص ٢٨٤) ، وفي عام ١٩١٢ نشر بتفليس رسم مفصل جداً لمدينة تبريز .

المصادر :

انظر مادة آذربيجان ، ويمكن الرجوع إلى المصادر الموجودة في صلب هذه المادة لها عتص بالمؤلفين القلماء .

(١) ياقوت ، ج ١ ، ص ٨٢٢ (٢) ذكريا القزويني « آثار البلاد » طبعة فستفلد *Wuestenfeld* ص ٢٣٧ ، وبه قليل من التفاصيل (٣) حمد الله مستوفى : « نزهة القلوب » سنة ١٧٤٠ هـ (١٣٤٠م) طبعة *Le Strange* في مجموعة كتب التذكارية ، ص ٧٥ - ٧٩ ، وبه وصف هام شائق أخذته المؤلفون المتأخرون (٤) ابن بطوطة ، طبعة *Defremery* ، ج ١ ، ص ١٧١ ، ج ٢ ، ص ٧١ ، ص ١٢٧ - ١٣١ (٥) القاضي أحمد غفاري : « نكارستان » سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢) - وهو مخطوط محفوظ بال مكتبة الأهلية بباريس ، الملحق

باريس ١٦٧٩، ج ١، ص ٥٦ - ٦٣ (٢٦)
 ' *Nouvelles relations du Levant* : A. Poulet
 باريس عام ١٦٦٣، ص ١٦١-١٦٤ وبه وصف
 للمسجلين (٢٧) Pétis de la Croix (سنة ١٦٧٠):
Extrait des voyages وهي مقالة ملخصة بكتاب
Relation de Dourry Effendi، باريس عام ١٨١٠،
 ص ١٤١-١٤٥ (٢٨) Chardin سنة ١٦٧٣:
Voyages : Langlès، ج ٢، ص ٣١٩ - ١٤٥
 ولوحة رقم ١١ من الأطلس وهي عبارة عن
 منظر للمدينة مأخوذ من عين على (٢٩) John Bell
 سنة ١٧١٦ : *Travels from St. Petersburg*، وقام
 بترجمته إلى الفرنسية Jean Bell de Antermony:
Voyages depuis St. Pétersbourg عام ١٧٦٦،
 ج ٣، ص ٩٩ - ١٠٧ (٣٠) P. Villote:
Voyage d'un missionnaire de la compagnie de
Jésus en Turquie, en Perse etc.، باريس عام
 ١٧٣٠، ص ١٧٦ - ١٧٧ (٣١) Hanway:
The Revolution of Persia، لندن عام ١٧٥٤،
 ج ٢، ص ٢٣٧ (٢٢) Jaubert:
Voyage en Arménie (١٨٠٥)، باريس عام ١٨٢١، ص ١٥٥، ١٦٤،
 ٣٥٨ (٣٣) P. Tancoigne (سنة ١٨٠٧-١٨٠٨):
Lettres sur la Perse، باريس عام ١٨١٩، ج ١،
 ص ١٢١ (٣٤) G. P. Morier:
A Journey through Persia (١٨٠٩)، لندن عام ١٨١٢، ص
 ٢٧٥ - ٣٩١ (٣٥) A. Drupé (١٨٠٩):
Voyage en Perse، باريس عام ١٨١٩، ج ٢، ص
 ٢٢٠ - ٢٤٠ (٣٦) M. Kinnear:
A. geogr.، لندن عام ١٨١٣، ص

وهو نسخة آثم من الكتاب السابق كتبت بطهران عام
 ١٣١٥ هـ، ص ١٨٢ - ١٨٨ (١٦) محمد حسن
 خان صليح اللولة: «مرآة البلدان» طهران عام
 ١٣٩٤ هـ، ج ١ ص ٢٣٧ - ٤١٩ وهو مصنف
 استمد من مصادر لم تنشر بعد (١٧) Marco Polo:
 فصل رقم: *Toris, Tauris, Tauriz, Theris, etc.*
 ومن المحتمل أن يكون دير *Bairzans* الذي ذكره
 Ramusius في منطقة تبريز هو دير St. Barthelemy
 الموجود بماكو (انظر هذه المادة) (١٨) Clavijo:
Vida y hazanas del gran Tamerlán (١٤٠٥ -
 ١٤٠٦) لإشيبليه عام ١٥٨٢ فصل ٨٢، ١٤٤
 طبعة Sreznewski صانت بطرسبرغ عام ١٨٨١،
 ص ١٦٧، ١٧٢، ٣٥٨ - ٣٧٦ (١٩) تقارير
 الرحالة البائدة أمثال 'Clontarin'، 'Barbaro'
 'Cl. Zeno'، 'Angiolello'، و'التاجر المجهول'
 v. Alessandri وقد جمعت في كتاب نشره
 Q. Grayfor في The Hakluyt Society لندن عام
 ١٨٧٣ (٢٠) *Lettres de Barbaro*: G. Cornet:
 فينا عام ١٨٥٢ (٢١) G. Berchet:
La repubblica di Venezia et la Perse (٢٢)
 'La Voyage de M. d'Aranon': G. Chesneau
 عام ١٥٤٧ طبعة Schefer باريس عام ١٨٨٧،
 ص ٢٨٢، ٢٨٣ (٢٣) Kakasoh de Zalonenkeny:
 (وكان تكتنار كاتب سره) *Not persien*:
 (سنة ١٦٠٣) طبعة Schefer باريس عام ١٨٧٧، ص
 ٤٧ - ٩١ (٢٤) Olearius (١٦٣٦-١٦٣٧):
Ami: *Frühliche Beschreibung etc.* ١٦٦٥، ج ٥، فصل ٢
 (٢٥) Tavernier سنة ١٦٢٨: *Les six voyages*

٢٦٩ (٥٠) Heyd : *Gesch. des Lananhandels* :
 شتوتگارت عام ١٨١٧، الترجمة الفرنسية المطبوعة
 في لپسك عام ١٨٧٩ ، ج ٢ ص ١٠٧-١٤٠ وفي
 غيرها من الصفحات (٥١) *Persia* : Curzon
 لندن عام ١٨٩٢ ، ج ١ ص ٥١٨-٥٢٢ والقهرس
 (٥٢) *Nouveau dict. de Géographie* : St. Martin
Universelle ، باريس عام ١٨٩٤ ، ج ٦ (٥٣) :
La Perse : Mme. Dieulafoy ، باريس عام ١٨٨٧ ،
 ص ٤٤-٦٧ : الجامع الأزرق ، زيارة إلى شام
 غازان ، (٥٤) *Mission, Etude* : De Morgan
Géographique ، باريس عام ١٨٩٤ ، ج ١ ص
 ٣٢٠-٣٣٤ (٥٥) *Perian Life* : S. G. Wilson
 and Customs ، لندن عام ١٨٩٦ ، ص ٥٦-٧٠ ،
 ٣٢٣-٣٢٥ وغيرها وبه تفصيلات شائعة (٥٦) :
 Lehmann-Haupt (سنة ١٨٩٨) : *Armenien einst und
 jetzt* ، برلين عام ١٩١٠ ، ج ١ ص ١٨٩-١٩٩ .
 (٥٧) *Inter-Geog. obgen Iran* : Barthold
 بخر سبرغ عام ١٩٠٣ ، ص ١٤٤-١٤٨ (٥٨)
 'The Lands of the Eastern Caliphate: Le Strange'
 لندن عام ١٩٠٥ ، ص ١٥٩-١٦٣ (٥٩) :
Altpatakan: Frengian (مكتوب بالآرمينية) بفرانس
 عام ١٩٠٥ ، ص ٦٠-٦٥ (٦٠) *A.V.W. Jackson* :
Persia Past and Present تبريز عام ١٩٠٦ ،
 ص ٣٩-٥٦ (٦١) *Denkmaeler* : Sairre
persischer Baukunst برلين عام ١٩١٠ ، ص ٥
 -٧ ، ص ٢٥-٣٢ ، لوحات ٢٣-٢٩ (٦٢)
British Asia On Coins ، ج ١ ، ص ١٢٣

١٥٠-١٥٢ ، ص ٣٧١-٣٧٢ (٣٧) *J. P. Morier* :
 (سنة ١٨١٠-١٨١٦) *A Second Journey through Persia*
 ، لندن عام ١٨١٨ ، ص ٢١١-٢٢٣ ،
 ٣٩١ صحيفة رقم ٢٢٥ وبها منظر لتبريز (٣٨)
Travels in Georgia (١٨١٩) : Key Porter
 سنة ١٨٢٢ ، ج ٢ ص ٥٠٦ (٣٩) *J. B. Fraser* :
Travels in Kurdistan لا يعرف تأريخه ولا عل
 طبعه ، ج ١ ، ص ١-٤٥ ، ج ٢ ، ص ٣١٢ (٤٠)
W.K. Stuart (سنة ١٧٣٥) : *Journey of a Residence
 in Northern Persia* ، لندن سنة ١٨٥٤ (٤١) *Texier* :
 سنة ١٨٣٩ : *Description de l'Arménie* ، باريس
 عام ١٨٥٢ ، ج ١ ، لوحة رقم ٤١ منظر عام ،
 ٤٢-٥٢ عن الجامع الأزرق ، ج ٢ ، ص ٤٣ -
 ٥٩ (٤٢) *Wilbraham* : *Travels in the Trans-
 caucasian Provinces* ، لندن عام ١٨٣٩ (٤٣) *Ritter* :
Erkunde (سنة ١٨٤٠) ج ٩ ، ص ٧٧٠-٧٧٩ ،
 ص ٨٥٢-٨٨٤ (٤٤) *Berezin* ، سنة ١٨٤٢ :
Puteshestviye po sever. Persii قازان عام ١٨٥٤ ،
 ص ٥٥-٩٦ (٤٥) *Voyage en Persie* : Flandin
 باريس عام ١٨٥١ ، ج ١ ص ١٤٦-١٨١ (٤٦)
Lycklama a Nijeholt (سنة ١٨٦٩) : *Voyage en
 Russie* ، باريس عام ١٨٧٣ ، ج ٢ ، ص ٤٠-٧٩
 (٤٧) *Trois ans en Asie* : Gobineau ، باريس
 عام ١٨٥٩ ، ص ٥٠٨-٥٠٩ (٤٨) *Von Thielmann* :
 (سنة ١٨٨٢) : *Sinifzengo im Kaukasus* لپسك عام
 ١٨٧٥ : ص ١٧٩-١٩٨ (٤٩) *Ocherk* : Bakulin
torgovli Adharbaidjana ١87٠-١87١ West Stormit
 سانت بطرسبرغ عام ١٨٧٧ ، ج ١ ، ص ٥٠٥ -

— ١٣٤ هـ نفس المتحفة : *Shaks of Persia* ،
ص ٢٩٣ — ٢٩٤ هـ

[في ميتروفسكى V. Minorovsky] .

ابن من أبناء جلال الدين : على أن هذه الروايات لا تؤيدها المصادر الموثوق بها مثل « مشنويات » سلطان ولد ، و « رساله سپاه سالار » لفریدون ابن أحمد ، وهي رسالة في أخبار جلال الدين وخلفائه كتبت بالفارسية حوالي عام ٧٢٠ .

ويلعب بعض العلماء المحدثين إلى أن شمس تبریزی لم يوجد قط إلا في غية الشاعر أعنى أنه كان « من وحي عبقرية » (انظر رضا توفيق في *Textes Houroufite* مجموعة كتب التذكارية ، ج ٩ ، ص ٢٧٠ ، تعليق رقم ١) على أننا إذا اعتبرنا أن التواريخ وتفاصيل الحوادث التي ذكرها كتاب السير كلها من قبيل الخيال ، فإن هذا لا يحول دون القول بأن هذا الرأي لا يستند إلى أساس متين ، فإنه من المحال أن نعتبر حالة تبریزی فريدة في نوعها لأن ألفاظ التالیه التي وجهها الشاعر إليه في ديوان شمس تبریزی تشابه تمام الشبه ألفاظ بعض أناشيد وجهها في المتنوى لحسام الدين ولصديق آخر هو صلاح الدين زرکوب . ويستدل من هذا الشاهد اللغوي على أن هؤلاء الأشخاص الثلاثة الذين اهتموا جلال الدين أشعاره وأناشيده إما أن يكونوا قد وجعلوا حقيقة ، وإما أنه لم يكن لهم وجود هم الثلاثة معاً . ويمكن أن تفسر هذا الشاهد اللغوي تفسيراً آخر أقرب إلى العقل . فإنه ليس بالمستغرب لدى قراء شعر دانتي *Dante* أن يكون هذا للتصوف الفارسي الكبير قد أخذ صلاته الروحية الوثيقة وعواطفه الشخصية في كلمات تم من الآراء الفلسفية في وحلة الوجود .

« تبریزی » ويطلق عليه عادة اسم شمس تبریزی : وهو شمس الدين محمد بن علي بن ملكشاد تبریزی : ويروى جاي في كتابه « نفحات الأنس » (طبعة ليس *Lees* ، ص ٥٣٥) أنه كان صوفياً وأنه كان مرشداً لجلال الدين الرومي الذي نظم باسمه الجزء الأكبر من قصائده الصوفية المعروفة باسم « ديوان شمس تبریزی » : ولد تبریزی في مدينة تبریز (انظر هذه المادة) حيث كان أبوه قاشاً ، ويقال إنه درس التصوف على الشيخ أبي بكر زينيل باف (سلكه باف) والشيخ ركن الدين سينجاسي ، وبابا كمال جندى . وغدا بعد ذلك درويشاً ينتقل من مكان إلى آخر ، وانتهى به المطاف عام ٦٤٢ إلى مدينة قونية . وكان لشخصيته القوية أثر كبير في جلال الدين حتى أن مريدی جلال الدين أنكروا ما رأوه من تعلق أستاذهم الشديد بصفيه المحبوب ومرشده . ولا رأى ذلك شمس تبریزی رحل عن المدينة . ويقال إنه عاد إلى قونية بعد أن قضى زمناً في دمشق صحبة شاه الدين سلطان ولد بن الشاعر جلال الدين الذي كان قد أرسل للبحث عنه : ويكتنف الغموض اختفاء تبریزی في شهر شوال عام ٦٤٣ . وتلعب بعض الروايات إلى أن عمال الحكومة قتلوه ، بينما تزعم أخرى أنه ذهب ضحية عصابة من المتمردين بينهم

المصادر :

ابن الفطی (انظر هذه المادة) فيها رواه عنه ابن خلکان باحاط من كتابه المقفود الموسوم بأخبار النحاة أنه رأى بعض مجلدات هذا الكتاب في مكتبة الوقف ببغداد ، وكانما كانت في الملاء . وعين درس عليهم التبریزی وأخذ عنهم أبو القاسم عبيد الله ابن علي الرقي المتوفى عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وأبو محمد (وهكذا كنيته في ابن خلکان : وجاء في ياقوت أنه الحسن بن رجاء) بن الدهان المتوفى عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) وأبو الفتح سليم (وفي رواية سليمان) ويذكره ياقوت وآخرون باسم سليم بن أيوب الرازي (وهو فقيه شافعي من أهل صور ، انظر ابن خلکان ، رقم ٢٦٨) وأبو القاسم عبد الكريم بن محمد السيارى - ويقروها ده سلان (انظر المصادر) السارى لا السيارى شأنه في ذلك شأن ياقوت ، ويزعم ده سلان أيضاً أنها قرأ السيارى - والبغدادى وابن برهان والمفضل القصبانى وعبد القاهر الجرجاني (*Gech. d. Arab. Lit.* ، ج ١ ، ص ٢٨٧) والقاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري (انظر السمعاني ، ١٣٦٧ ، فصل ٢١ وما بعده) وأبو الحسن التنوخي (انظر المصدر المذكور ، ١١٠ ب ، الباب ٤٢) ، ودرس التبریزی في صور ودمشق كما درس في المصرة ، وقرح إلى القاهرة في صباه ودرس فيها لابن بابشاذ (*Brockelmann* : *Gech. d. Arab. Lit.* ، ج ١ ، ص ٣٠١) ثم رحل إلى بغداد حيث أصبح قاضياً (وقاضى هي القراءة الصحيحة لكلمة قاطن الواردة في الجزء العشرين من مجموعة كتب التذكارية ، في غلط

(١) فريدون بن أحمد : رساله سياه سالار ، كوفبور سنة ١٩٠١ ، ص ٦٣ وما بعدها ، ص ١٦٤ من الترجمة التركية التي قام باملحها جارى حصارى ، الأستاذة سنة ١٩١٣ (٢) أفلاكى : مناقب العارفين ، ترجمة ليوار Huart في *Les saints des derriehes* *tourneurs* باريس سنة ١٩١٧ و *W. Redhouse* في الكتاب الأول ، لندن سنة ١٨٨١ (٣) *Selected Poems from* : R. A. Nicholson *Diman-i-Shams-i Tabriz* : كمردج سنة ١٨٩٨ . [نيكلسون R.A. Nicholson]

«التبريزى» ، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد ابن الحسن (وزاد ياقوت بن محمد بن موسى) ابن بسطام الشيباني الخطيب : من العلماء المشهورين في لغة العربية ، ولد سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) وأشهر من أخذ عنهم الشاعر المعروف أبو العلاء المرعى (انظر هذه المادة) . وقد وقع إلى التبريزى نسخة من كتاب التلخيص في اللغة لأبي منصور الأزهري (*Gech. d. Arab. Lit.* : *Brockelmann*) ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، وانظر أيضاً *Bergstræmer* : *Zeitschrift fuer semitistik* ، ج ٢ ، ١٨٩ ، رقم ٢٤) فاحتاج إلى من يشرحه له ، فأوصى به المرعى خيراً ، فجعل مجلدات الكتاب في محلاة وحملها بنفسه من تبريز إلى المصرة ، لأنه لم يكن لديه ما يتفق في الركوب ، وتصيب عرقه على المحلاة فخلت رطوبة بأوراق الكتاب . ويذكر

السمعاني المحفوظ بمكتبة كوبرلي باستانبول تحت رقم ١٠١٠) ودرس الأدهب وقام على خزانة الكتب في النظامية إلى أن توفي يوم الثلاثاء ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٥٠٢ (٢ فبراير سنة ١١٠٩) في رواية ابن خلكان وياقوت في كتابه الأول، غير أن هذا التاريخ خطأ كما يتبين من اسم اليوم. وقبره عند باب أبرّز وجاء في كثير من المراجع أن الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد كان من بين تلاميذه (Gesch. d. Arab. Lit.: Brockelmann) ج ١ ص ٣٠٩) إلا أن هذه الرواية التي تستند إلى السمعاني ويؤيدها ياقوت (المعجم) انظر المصادر) وابن خلكان قائمة على الخطأ لأن الخطيب البغدادي كان يكبر التبريزي بثلاثين سنة. وأحال ابن خلكان في حديثه عن التبريزي القاري إلى ترجمته للخطيب البغدادي قائلا إنه وفقى فيها الكلام من العلاقة بين هذين الشخصين. ولكن ليس في هذه الفقرة بيان عن أيهما تصروف إليه الإشارة (رقم ٣٣) :

ومن جهة أخرى نجد ياقوت قد جاء في ترجمته للخطيب البغدادي الواردة في كتاب إرشاد الأريب برواية يرتفع إسنادها إلى التبريزي، ولم يرد في كلامه ذكر للنسبة (التبريزي) غير أنه لاشك أن المترجم له هو المصنوع بأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب اللغوي لا سيما أن الذي يصل بين سلسلة هذا النسب هو أبو الفضل ناصر السلاوي؛ وظاهر أن أبا الفضل هذا هو والد أبي الفضل عمدين ناصر السلاوي تلميذ التبريزي، ولعل هذا خطأ والمراد ابنه، لأنه فضلا عن أن محمد بن ناصر هو تلميذ

التبريزي فقد عرف أيضاً بأنه شيخ السمعاني (انظر Zeitschrift fuer Semitistik: Bergstrasser ج ٢، ص ٢٠٥ رقم ١٥٤) بينما أن أباه مجهول تماماً، ويعيد أن يكون قد كنى بأبي الفضل من جهة ولأن قعر الراوي الذي يبدو من حيث إلى آخر في القصة يتفق وقعر التبريزي الذي نعلمه من خبر رحلته إلى المرة من جهة أخرى. وعلى هذا فلا بد أن يكون التبريزي قد حضر إلى دمشق عام ٤٥٦ ودرس الأدب على الخطيب البغدادي. وقد رويت قصة ظمته إلى المعرفة بالتفصيل. وعاش بمنارة المسجد الكبير، وهذا الأمر يشهد أيضاً على فقره. وقد زاره الخطيب البغدادي مرة في مسكنه هذا وتحدث معه ساعة من الزمان. وأعطاه قبل أن يتركه مباشرة شيئاً ملفوفاً في ورقة هدية منه وطلب إليه أن يشتري بها أقلاماً. ولما فُض التبريزي الورقة وجد بها خمسة دنانير مصرية. وزاره الخطيب مرة أخرى وأعطاه من المال قدر المرة السالفة أو يزيد وطلب إليه أن يشتري بهذا المال أوراقاً. ولاشك أن هذه القصة التي رواها ياقوت في حديثه عن التبريزي في كتابه إرشاد الأريب أصح مما رواه في المعجم، وهذا يعني بأن الخطيب البغدادي كان شيخاً للتبريزي حقيقة، وإلا خصه البغدادي بترجمة في كتابه تاريخ بغداد. وتلاميذ التبريزي هم: أبو الفضل محمد بن ناصر السلاوي (٤٦٧-٥٥٠هـ=١١٧٤-١١٥٥م) انظر ما سلف) وأبو الحسن سعد الخير ابن محمد ابن سهل (توفي المرقري) ج ٢ ص ٨٩٥: سمعني والأنصاري الأنجلبي تلميذ القرطبي

السمعاني المحفوظ بمكتبة كوبرلي باستانبول تحت رقم ١٠١٠) ودرس الأدهب وقام على خزانة الكتب في النظامية إلى أن توفي يوم الثلاثاء ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٥٠٢ (٢ فبراير سنة ١١٠٩) في رواية ابن خلكان وياقوت في كتابه الأول، غير أن هذا التاريخ خطأ كما يتبين من اسم اليوم. وقبره عند باب أبرّز وجاء في كثير من المراجع أن الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد كان من بين تلاميذه (Gesch. d. Arab. Lit.: Brockelmann) ج ١ ص ٣٠٩) إلا أن هذه الرواية التي تستند إلى السمعاني ويؤيدها ياقوت (المعجم) انظر المصادر) وابن خلكان قائمة على الخطأ لأن الخطيب البغدادي كان يكبر التبريزي بثلاثين سنة. وأحال ابن خلكان في حديثه عن التبريزي القاري إلى ترجمته للخطيب البغدادي قائلا إنه وفقى فيها الكلام من العلاقة بين هذين الشخصين. ولكن ليس في هذه الفقرة بيان عن أيهما تصروف إليه الإشارة (رقم ٣٣) :

ومن جهة أخرى نجد ياقوت قد جاء في ترجمته للخطيب البغدادي الواردة في كتاب إرشاد الأريب برواية يرتفع إسنادها إلى التبريزي، ولم يرد في كلامه ذكر للنسبة (التبريزي) غير أنه لاشك أن المترجم له هو المصنوع بأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب اللغوي لا سيما أن الذي يصل بين سلسلة هذا النسب هو أبو الفضل ناصر السلاوي؛ وظاهر أن أبا الفضل هذا هو والد أبي الفضل عمدين ناصر السلاوي تلميذ التبريزي، ولعل هذا خطأ والمراد ابنه، لأنه فضلا عن أن محمد بن ناصر هو تلميذ

هذه المادة) ويرى حاجي خليفة أنه شرح كتاب نهاية الوصول إلى علم الأصول لكاتب لا تعرف شخصيته هو أحمد بن علي بن الساعاتي البغدادي (وفي بروكلمان أن هذا المؤلف عاش بعد التبريزي، انظر ج ١ ، ص ٣٨٢) كما فسر القرآن . ويزعم حاجي خليفة أنه نشر كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت (انظر هذه المادة) بعد أن صححه وسماه التلبيب (مخطوط باستانبول : مكتبة عاطف، رقم ٢٧١٦، انظر Rescher في *M. P. O. Beyrouth*) بروت سنة ١٩١٢ ، ص ٤٩٥) وقد طبع التلبيب هذا بالقاهرة طبعة ليس عليها تاريخ، وشرح التبريزي كتاب الألفاظ لابن السكيت ، وطبع هذا الشرح في بروت عام ١٨٩٥ وما بعدها : ولعل مقتطفات من الكافي في علم الروض والقوافي قد ظهرت ضمن محتويات المجموعة الموسومة بمجموع من مهمات المتون المطبوعة بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ ص ٥٥٠ وما بعدها . ولم يذكر أي اسم من أسماء مصنفى هذه المجموعة ، غير أن بروكلمان يزعم (انظر مادة كافي ، الفهرس) أن هنالك مصنفين آخرين على الأقل قد صنفوا هذه المجموعة ، وقد نبه رشر الأذهان (Rescher : *A. J.* ، ج ٢٧ ، ص ١٥٦) إلى رسالة أخرى في العروض موسومة برسالة في العروض (وهي مخطوطة في المكتبة الحليمية باستانبول ، رقم ١١٢٧) ، ويلاحظ أنها ليست واحدة من الراسيتين اللتين ذكرهما بروكلمان ، وقد ذكر ريشر مخطوطاً لشرح التبريزي لديوان امرئ القيس (Rescher في *Zeitschr. d. Deutsch.*

المترقى سداد عام ٥٤١ هـ الموافق ١١٤٦ م ، وأبو طاهر محمد بن محمد بن عبد الله السنجي (٥٤٨-٥٦٢ هـ) ، وقد عاش في مرو) والجواليقي (انظر هذه المادة) الذي خلقه في النظامية . ويقال إن التبريزي لم يكن على شيء كثير من حسن الخلق ، فقد روى أنه كان يشرب الخمر ويلبس الحرير ويضع على رأسه عمامة مزخرفة باللحج ، وهذا ينفي بآته أصبح موسراً فلما بعد . أما أنه كان حجة في العلم فأمر لا ينازع فيه أحد .

ومؤلفات التبريزي التي تعرف عناوينها تشهد بصحتها العلمية ، ولو أن ابن خلكان يروى له بيتين وقصيدة وجهها إليه الهادي الفايض ورده عليها ، وفيها بل مصنفاته ، وتذكر من بين مصنفاته التي أوردتها بروكلمان في (*Gesch. d. Arab. Litt.* ، ج ١ ، ص ٢٧٩) تلك التي يمكننا أن نضيف عنها بعض المعلومات :

كتب التبريزي ثلاثة شروح لديوان الحماسة الذي ألفه أبو تمام أولها شرح قصير لكل بيت ، ثم شرح وافي للقصيد . ونشر الشرح الثاني فريتاغ Freytag (انظر مقدمة فريتاغ عن المراجع التي استقى منها) وكان عند ياقوت نسخة بخط التبريزي من شرحه للمعلقات . وقد شرح التبريزي أيضاً ديوان المتنبي (*Gesch. d. Arab. Litt.* ، ج ١ ، ص ٨٨) والمفضليات وقصيدة بانت سعاد (انظر عن هذه النسخة مادة ، « كعب بن زهير ») ومقصودة ابن دريد (انظر هذه المادة) وقصيدة السمح في النحو لابن جني (انظر

«التبريزي» (انظر ص ١٠٤: حسين بن خلف) :

«تيسة» : مدينة بالجزاير على مسبة ١٠٦ أميال من جنوبي شرق قسنطينة و ١٢ ميلا من تخوم تونس . وهي على خط عرض ٣٥° ٢٥ شمالا وخط طول ٨° ٥ شرقا كـر بنو قيش . وقد بلغ عدد سكانها ١٠,٣٩٩ نسمة منهم ١٦١٤ أوروبيا .

وتيسة حاضرة مركز مخطط مساحته ٤٢٥ ميلا مربعا ، وهو يشغل الأرض التي كان يقطنها حلف التماسكة فيما سبق ، وعدد سكانه ٥٦,٩٩١ منهم ٥٦,٩٦٣ من أهل البلاد .

وتيسة وسط هضبة متوسط ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم ، ومجدها جبل أسمر وجبل دُكَّان وهي امتداد لجبال أوراس ناحية الشرق ، وماء هذه الهضبة واغر إذ تروى بها أنهار آتية من الجبال . وكان هذا الإقليم مغطى بالغابات الكثيفة في وقت ما ، غير أن الأشجار قد قطعت في معظمه اللهم إلا في ضواحي المدينة التي تحيط بها الحدائق من كل جانب . وأرض هذه الضواحي صالحة لزراعة الحبوب ، ويقوم عليها الأهليون والأوروبيون ، وقد أصبحت هذه المدينة سوقا هامة بفضل هذه الظروف وبفضل موقعها عند ملتقى الطرق الآتية من هضاب نويمديا (بلاد الجريد) إلى أواسط بلاد تونس وجنوبها ، وزاد نشاط هذا البلد في القرن العشرين بالنظر إلى القوسبات التي يستخرج في جوارها وينقل بالسكة الحديدية جنوبا إلى سوق آهراس .

Morg. Garhe. ج ٦٨ ، ص ٦٣) لكن المرجع لا تذكر شيئا عن هذا الشرح . ومن الكتب التي نسبها ابن الأباري وياقوت إلى التبريزي ولا نعرف عنها الآن شيئا كتاب القربان ، ويذكر له ابن خلكان تهليل غريب الحديث ، ويذكر له ياقوت مقنة في النحو .

المصادر :

سوى ما ورد في صلب المادة (١) السماعي :
الإنساب ، طبعة ماركو ليوث ، ١٩١٢ م مجموعة
كتب التذكارية ، ج ٢٠ ، ورقة رقم ١٠٣ (٢) أبو
البركات بن الأباري : تهذه الألباء في طبقات
الأدباء ، القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ ، ص ٤٤٣ -
٤٤٨ (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبعة
لستفلك ، رقم ٨١٠ (٤) الترجمة الإنكليزية
لوفيات الأعيان ، ترجمة ده سلان ج ٤ ، سنة
١٨٧١ ص ٧٨ وما بعدها ، وفيها تعليقات قيمة
(٥) ياقوت : المعجم طبعة لستفلك ، ج ١ ،
ص ٨٢٢ وما بعدها (٦) ياقوت : إرشاد الأريب
طبعة ماركو ليوث ، مجموعة كتب التذكارية ج ١/٦
ص ٢٥٤ وما بعدها ، ج ٧/٦ ص ٢٨٦ وما
بعدها (٧) سركيس : فهرس المطبوعات العربية ،
ص ٦٢٥ وما بعدها .

[بلستر M. Picaner]

وكانت تبسة في ذلك الوقت مكونة من المدينة نفسها يحيط بها الأسواق البوزنطية ومن قرية الراوية التي كان يقطنها أحفاد سبيد عبد الرحمن المرابط والعبيد السود للعبيد ؟

وسكان المدينة خليط من مختلف الأعناس ، فيها أمر أصلها من البلدين الصغيرين المجاورين وهما لوكس وبيكارية وفيها مهاجرون من بلاد تونس وبلاد الجريد وفيها كلغالية وهم الذين نشأوا من زواج جند الحامية بنسوة من أهل البلاد ، وقد تغلب النصر الأخير في النهاية وفرض للمذهب الحنفي على معظم السكان ، وعربت الحامية التركية بعد استيلاء الفرنسيين على المدينة عام ١٨٣٧ ، وأصبحت المدينة مكتوفة ولا من يرد عنها عادية البلو : ولأولاد بعض سراها أن يصفوا حداً لهذا الأمر فدخلوا إلى الفرنسيين ، وظهرت الجنود الفرنسية أمام تبسة عام ١٨٤٢ ثم عام ١٨٤٦ : وأقيمت في المدينة حامية ثانية عام ١٨٥١ وأخذت مستعمرة أوربية تقوم حول مضارب الجنود ،

المصادر :

(١) البكري : المسالك، الترجمة، ألفه ر س (٢)
الحسن بن محمد الوزان الزياتي : وصف أفريقيا،
Description de l'Afrique ، ترجمة شيفر Schefer
ج ٣ ، ص ١٣ (٣) Castel ، *Histoire de Tébessa* ،
at description d'un territoire algerien ، باريس
سنة ١٩٠٥ (٤) Péraud ، *Noties sur Tébessa*
في *Revue Africaine* ، سنة ١٨٧٤ (٥)

وتبسة هي عين تبستا Thevesta التي جعلها أغسطس المعسكر الرئيسي للواء أغسطس الثالث سنة ٢٥ قبل الميلاد . واتسعت رقعة المدينة حول هذا المعسكر فوصل عدد سكانه في عهد تربيان إلى ٣٠,٠٠٠ . ورفع سبتيموس سفروس مرتبتها فجعلها مستعمرة واعتبرت في ذلك الوقت أكثر بلاد إفريقية الرومانية ازدهاماً بالسكان بعد قرطاجنة ، وقد قدر بعض الكتاب عدد سكانها بأكثر من ألف نسمة واضمحلت المدينة بعد ذلك وقامت كثيراً من جراء الاضطرابات الدينية والاجتماعية التي حدثت في القرن الرابع ، ثم استولى عليها الوندال في القرن الخامس ونهبوها . واستعادها البيزنطيون وأصلحها سليمان Solomon . وبني حولها الحصون وأخذ بعض مادة البناء من المنشآت القديمة وبذلك جعل منها حصناً منيعاً . وعلى الرغم من ذلك سقطت في أيدي البربر عام ٩٧٧ ثم فتحها العرب عام ٦٨٢ (٨٤٥) بعد وقعة خلد ذكرها كتاب فتوح إفريقية ، ومنذ ذلك الوقت ارتبط مصير تبسة بمصير هذا الجزء من إفريقية ، فقد استولى عليها الأغالية ثم القباطم واتزحها أبو يزيد من هؤلاء وظلت في حوزته فترة ، ثم غلب عليها بنو زيري ثم الموحدون . وغزاها ابن غانية في مناسبتين مختلفتين ، غير أنه لم يستطع الإبقاء عليها طويلاً . وسقطت نهائياً في قبضة الحفصيين واحتفظوا بها قروناً ، إلا أن حكمهم لما كان مقللاً طوال هذه المدة . واستولى عليها الترك ، ولعل ذلك كان في أواخر القرن السادس عشر ، وأقاموا بها حامية لمراقبة الحالة في الأراضي التي على تخم تونس إذ كان يتنازعها الحلفان القويان : لخنانشة والغانشة

وقد هرب سكان المدينة من الروم وعاملة وتلهم وجذام عند وصوله إليها . وانصرف إلى عن مزبده في الوصول إلى الأراضي التي يسكنها العرب شمالها لأن شدة الحر أضفت من مزبده جنده . ولم يحس بها سوى عشرة أيام قبل أن يعود أفراسه ولكنه استمر هذا الوقت في مفاوضة أهل ايلة واحرج ومقاها أدى إلى إخضاعهم .

المصادر :

- (١) ياقوت : المعجم : طبعة فيسلفلد ، ج ١ ، ص ٨٢٤ وما بعدها (٢) ابن هشام ، طبعة فيسلفلد ص ٩٠٢ وما بعدها (٣) الطبري : طبعة ده غويه ، ج ١ ، ص ١٦٩٢ وما بعدها (٤) الرازي : ترجمة فلهوزن ، ص ٣٩٠ وما بعدها (٥) البلاذري ، طبعة ده غويه ، ص ٥٩ (٦) Doughty : *Travels in Arabia Deserta* سنة ١٩٢٣ ، ج ١ ص ١٧٢ وما بعدها (٧) Euting : *Tagebuch einer Reise in Innerarabien* سنة ١٩١٤ ، ج ٢ ، ص ١٨٠ - ٨٥ (٨) Jaussen et Savignac : *Mission archéologique en Arabie* ، ج ١ ، ص ٥٧ - ٧٠ .

[بول : Fr. Buhl]

Document, historiques sur Fawâs: Masquercay
في *Revue Africaine* ، ١٨٧ ، *Les*
في *Revue Africaine* ، ١٨٧ ،
[يقر : G. Yver]

« تَبُوكْ » : بلدة في طريق الحج وعلى السكة الحديدية الممتدة من دمشق إلى المدينة (ويقول ياقوت إنها على مسافة أربعة أيام من الحِمَير والتي حشر يوماً من المدينة) وهي واقعة على نثر في سهل وعلى ويا نثر ضالع ، ومن الراجح أن يكون هو الواردة ذكره في قصص العرب، وأهم مبانها هو حصن الحُجْجَاج المبنى عام ١٠٦٤ هـ (١٦٥٤ م) كما ورد في الكتابات المنقوشة عليه ويمكن بسهولة تمييز أقدم أجزاءه من الأخرى التي بنيت بعد ذلك . ويقوم إلى جانبه مسجد جديد شيد من أسجار جميلة محوطة . وقد وجد يوتنك Euting المكان خالياً إلا من خامية تتألف من خمسة رجال . ويتحدث كوسان وسافنيك عن نحو أربعين منزلاً يحيطانها من الآن أنحف في الشمس وسقوفها من أخضران الشجر المغطاة بالديش . وكانت أشجار الفاكهة مهملة إجمالاً تماماً .

وكانت تبوك أيام النبي على الحدود الشمالية لبلاد العرب وتبدأ بعدها حدود الدولة البونظية (دولة الروم) وأصبحت تبوك من الأمكنة المشهورة في التاريخ لحدوث الغزوة العظيمة التي قام بها النبي فيها لإخضاع عرب الشمال في السنة التاسعة الهجرية ،

« تَتَر » . وتكتب تاتار وتتر : اسم شعب

يختلف مدلوله باختلاف المصور . وقد ورد في الكتابات الأورخوية التركية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي ذكر طائفتين من القبائل

لا نعرف مؤلفه (٥٧٠ هـ = ١١٢٦ م) بين
 جريدة ألقاب الحكام *Turkstan : Barthold*
 ج ١ ، ص ٢٠ اسم ملك تترى هو سيمون يوي
 (أويوي ؟) جبار لم يرد ذكره في أى كتاب آخره
 وجاء في أخبار حروب السلطان محمد بن تكلين
 (انظر مادة « خوارزم شاه ») ضد القفجاق (انظر
 هذه المادة) ذكر جملة قام بها سيمون في سنة
 ٦١٥ هـ (١٢١٨ - ١٢١٩ م) ضد قادرخان
 ابن يوسف التترى (انظر طبقات ناصرى ، ترجمة
 رافرق Raverty ، سنة ١٨٨١ ج ١ ، ص ٢٦٧) ،
 وجاء في أخبار الغزوات المغولية التى تمت في
 القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) أن
 الغزاة كانوا يعرفون في كل جهة (في الصين ،
 والعالم الإسلامى والروسيا وغرب أوربا) باسم التتر
 (بالصينية تاتا) . وأطلق ابن الأثير (طبعة تورنبيرغ
 ج ١٢ ، ص ١٧٨ وما بعدها ، ٢٣٦ وما بعدها)
 هذا الاسم على اسلاف جنكيزخان وهم التيان تحت
 زعامة كوجلولك (انظر مادة « قره خطاي ») وهو
 يقول عنهم في كتابه (ج ١٢ ، ص ٢٣٧) إنهم
 التتر ، أما رشيد الدين الذى يظهر أنه لم يكن يعرف
 شيئاً عن استعمال ومدلول كلمة تتر قبل العهد
 المغول فهو يتحدث عن التتر كما لو كانوا شعباً
 متصلاً متميزاً عن المغول موطنه الرئيسى البلاد
 التى على نهر يوير نور إلى الجنوب الشرقى من
 كرون . ويلهب رشيد الدين إلى أن كثيراً من
 الشعوب التى خضعت لجنكيز خان قد سميت
 باسم المغول . وكان التتر فيما سبق أقباء كالمغول

التتية هما « التتر الثلاثون » و « التتر التسعة » .
 ويلهب طومسون Thomsen إلى أن الاسم تتر
 كان يطلق حتى في ذلك العهد على المغول أو فريق
 منهم وليس على الشعب التركى (انظر *Inscriptions*
de Pothoon هلينكى سنة ١٨٩٦ ، ص ١٤٠) .
 وهو يقول إن هؤلاء التتر كانوا يعيشون على وجه
 التقريب في الجنوب الغربى من بحيرة بيكال حتى
 كرولين *Kerulen* . ولما قامت إمبراطورية القره
 خطاي (انظر هذه المادة) أخرج الترك من منغوليا
 الحديثة وحلت القبائل المغولية محلهم . وقال عمود
 الكاشغرى (ج ١ ، ص ١٢٣) إن إقليم أوتوكان كان
 في عهده (منتصف القرن الخامس الهجرى = القرن
 الحادى عشر الميلادى) في بلاد التار وإن كان قد
 ذكر دائماً في الكتابات الأوروبية على أنه مسكن
 الترك .

وأحد عمود الكاشغرى (ج ١ ، ص ٣٠)
 اختلاف اللغة التتية عن اللغة التركية . وقد صحبت
 بعض العشائر التتية الشعوب التركية وسارت متجهة
 نحو الغرب ، وجاء في كتاب حدود العالم الذى لا
 نعرف مؤلفه (انظر *روح* ، ج ١٠ ، ص ١٢١ وما
 بعدها) أن التتر من التترغز (انظر مادة « غز »)
 وانظر *Olat o poizdkis* : W. Barthold
Srednyaya azija سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩٧ ،
 ص ٣٤) ، ووصفهم الكردىزى (كتابه المذكور
 ص ٨٢ وما بعدها) أنهم من القبايق . انظر هذه
 المادة) يقطنون حوض نهر إيرتيش (انظر هذه
 المادة) . وورد في كتاب « مجمل التواريخ » الذى

التي تتحدث بالتركية في القرم لم يكن يطلق عليها
العثمانيون والروس اسم نثر فحسب بل كانوا هم
يطلقون على أنفسهم أيضاً اسم نثر .

وأرسل بعض الجند إلى آسية الصخرى في زمن
الفتح المغولي وكان يطلق على سلالة هؤلاء المغول
الذين امتزجوا بالترك اسم التتر السود (قره نثر) :
وكان هؤلاء التتر أثناء غزوة تيمور يعيشون عيشة
البدو الرحل فيما بين أماسية (انظر هذه المادة)

وقيسارية (انظر هذه المادة) ويتراوح عددهم بين
ثلاثين ألف وأربعين ألف أسرة (انظر ظفر ناهه

الطبعة المئتمنة ، كلكتة سنة ١٨٨٨ ، ج ٢ ، ص ٥٠٢
وما بعدها) . ويروي ابن عربشاه (طبعة مانجر

Manger ج ٢ ، ص ٣٣٨) أن تيمور أجبر هؤلاء
التتر على التروح إلى أواسط آسية عشيرة السلطان

بايزيد وأتهم منحوا بعض المساكن في كاشغر في
جزيرة لا أثر لها الآن في بحيرة إيسيك كول (انظر

هذه المادة) وفي خوارزم . وأفلح فريق من هؤلاء
التتر في الهروب إلى بلاد القبيلة الذهبية . وعاد

التتر السود بعد وفاة تيمور إلى آسية الصغرى . وفي
عام ١٤١٩ نقل هؤلاء التتر أو فريق منهم إلى البلقان

واستقروا إلى الغرب من مدينة فيليب Philippopolis
واشتقت مدينة نثر بازار حتى اسمها من هؤلاء

التتر (انظر G. O. R. : J. von Hammer
سنة ١٨٣٤ ، ج ١ ، ص ٢٩٢) ،

وتجدهم بعد ذلك أن الامم نثر كثيراً ما كان يطلق
في الروميا وفي أوروبا الغربية على جميع الشعوب

التركية ما عدا العثمانيين : ولا يزال رادلف Radloff

وقد تضمنت عدة شعوب باسم التتر في خطاى
والهندوستان وچين وماچين وبين القرغيز وفي
كلار (بولندا) وباشقرد (الخزر) وفي سهوب
(دشت) القفجاق وفي البلاد الشمالية بين البلو وفي
الشام ومصر والمغرب : ولا يزال يطلق على جميع
الشعوب التركية حتى اليوم اسم التار (انظر النص
في Tradit. Vase, Old, Arkha. Oshko., ج ٧ ، ص
٦٤)

ويظهر أن الشعوب التي انحدرت من أصل
مغولي وتتحدث بالمغولية كانت تسمى نفسها دائماً

باسم التتر : ولكن حل هذا الاسم بعد عهد
چنكيز خان في منغوليا وآسية الوسطى الاسم «مغول»

وهو الاسم الذي استعمله رسمياً چنكيز خان :
وورد هذا الاسم في المصادر الإسلامية «مغل»

و «مغول» وكذلك ينطق سلالة المغول في أفغانستان
الذين احتفظوا بلغتهم حتى اليوم بهذا الاسم «مغل» :

ولم يشع استعمال اسم مغول في الأطراف الغربية
من إمبراطورية المغول ، ولو أن هذا الاسم قد أدخل

هناك أيضاً رسمياً كما نستدل على ذلك مما ذكره
الرحالان الأوربيان يوحنايان الكاريني ووليم الربرمسي

John of Pian de Carpini and William of
Rubruck (انظر Hakt. Soc. ١٩٠٥ تحت مادي

مغول ونثر) . وكان يطلق دائماً على أمالي مملكة
القبيلة الذهبية (انظر مادي « باتوخان » و « البركة »)

وأما الممالك الأخرى الصغيرة التي تقطن نفس
هذه المنطقة اسم نثر : ويستدل من الوثائق الكثيرة

الخفوفة في المكتبة العامة في لينغراد أن الشعوب

لا يوثرون أن يطلق عليهم اسم ترك، بل إسم أكثر من ذلك كانوا في السنة الأخيرة التي سبقت الثورة عندما أصبح مبدأ القومية له المكانة الأولى، يتناقشون هل يطلقون على أنفسهم اسم ترك أم نثر (انظر *Islam*، ج ١، سنة ١٩١٢، ص ٢٧٠ وما بعدها) وقد ذاع اليوم استعمال اسم نثر. ويوجد منذ سنة ١٩٢٠ جمهورية مستقلة استقلالاً ذاتياً هي جمهورية الاتحاد السوفيتي الاشتراكي النثرى وعاصمتها قازان (انظر هذه المادة) ويبلغ عدد سكان هذه الجمهورية ٢,٧٨٠,٠٠٠ نسمة أقل من نصفهم أي ٢٩٢, ١,٣٠٦ نسمة من النثر. انظر الصفحة الخاصة بوصف الشعوب التي كتبها الأستاذ زولوتارف *Zolotarev* في كتاب الرحلات المسمى *Bovolgy* سنة ١٩٢٦، ص ٩٩ وما بعدها (والرسوم موضحة في ص ١٢٣، ١٢٦)،

المصادر :

مذكورة في صلب المادة :

[يارتولد W. Barthold]

وتنش بن ألب أرسلان الملقب بـ «تاج الدولة» هو أحد أمراء السلاجقة، حكم الشام من عام ٤٧١ إلى عام ٤٨٨ هـ (١٠٧٩ إلى عام ١٠٩٥ م) وتفصيل ذلك أن تنش وضع يده على دمشق عام ٤٧١ هـ أو عام ٤٧٢ في رواية ابن عساكر بعد أن منحه أخوه السلطان ملكشاه حكم الشام. وكان عليه في الواقع أن يفتح هذه الولاية بأبيه نثي بنده، ذلك لأن أئمة (انظر هذه المادة) أمير التركان كان قد انتزع من

بطلق هذا الاسم هذا المعنى في كتابه *ans Sibirian* (ليسك سنة ١٨٨٤ في مواضع مختلفة).
واتسع مدلول كلمة نثر كما حدث في الصين فأصبح يطلق على المغول وخاصة على المانشو Manchus (انظر *Tatar town* في *Peking*) ولا يطلق اسم نثر باعتباره اسم شعب معين على الشعب الذي يتكلم التركية في حوض نهر لابل (القلجا) من قازان حتى أسراخان وفي القرم وجزء من سيريا. وجاء في البيان للطبوع (*apisek*) لسنة ١٩٢٧ عن شعوب الاتحاد السوفيتي نثر القرم ونهر لابل ونهر كاسيموف *Kasimow* (انظر هذه المادة) ونهر توبولسك *Tobolsk* على أنهم شعوب منفصلة إلى جانب نثر روسيا البيضاء الذين نقل أسلافهم أسرى من القرم إلى بولتة. وقد تحدث هؤلاء بلغة الروس البيض ولكنهم ظلوا على الإسلام. ويتكرر أهل القرم لهذا الاسم الآن، ونستدل من الأبحاث الحديثة على أن الشعب الذي يتحدث بالتركية في أسراخان ينتمي إلى عشيرة النوغاي،

وجرى العرف على أن المسيحيين المعروفين باسم كرشين (من الكلمة الروسية كرشين *Kreshcheniy* ومعناها تعمّد) يطلقون اسم النوغاي على جيرانهم من النثر الذين يقطنون في أقصى الأوسط لنهر لابل (انظر *Radloff Wörterbuch* : ج ٣، ص ١٠١ وما بعدها). وهم يفضلون أن يعرفوا «بالمسلمين» من أن يطلق عليهم اسم النثر، ذلك الذي كان ألقب بأسلافهم الوثنيين مثلهم في ذلك مثل الهنانيين الذين ظلوا مدة طويلة

إلى أفسقر وبوزان التي متحده ملكشاه مدينة الزهاه
وفي عام ٤٨٥ هـ الموافق ١٠٩٢ م قاما بعدة غزوات
ذات شأن في بلاد الشام كحمص وأمانية وغيرها ،
ولكنهما لما وصلا إلى طرابلس الشام وجدا عاملها
ابن عمار من القوة بحيث يستطيع أن يتغلب عليهما ،
لذلك تجنب أفسقر منازلته ورجع بمجنوده إلى بلاده ،
فصنفه تشش على ذلك ، وحذا بوزان حلوه فاضطر
تتش هو الآخر إلى الانسحاب ، بيد أن موت
ملكشاه المفاجيء سرعان ما غير الموقف كله بالنظر
إلى ما كان يحيط وراثته عرشه من الشك مما حمل
الأميرين التركيين على موالة تشش المطالب بسلطنة
أخيه ، وشدد لؤده في حروبه بالشرق وأجبرت
نصبيين وآمد وميافارقين والموصل على التسليم ،
وأحدث تشش في المدينة الأولى ملحة كبرى : ولما
شاع أن بركياروق أخذ بتقديم بصفته الوارث
الشرعي لعرش أبيه انقضض الأميران من حول تشش
الذين لم يجد بدا من الارتداد إلى الشام وصمم تصميماً
قاعداً على الانتقام ، وانضموا إلى بركياروق وشرع
تتش يجمع قوات جديدة يحاربها بها كما شرعا من
جانبا في ذلك يساعدهما كربوقا من قبل بركياروق
والتقى الجمعان عام ٤٨٧ هـ الموافق ١٠٩٤ م عند
تل السلطان على مسيرة ستة فراسخ جنوبى حلب
فانتصر تشش ووقع أفسقر أسيراً في يده فقتله ،
وفر كربوقا وبوزان إلى حلب ، ولكنهما اضطرا
آخر الأمر إلى التسليم ، فأمر تشش ببوزان فقتل
وأرسل رأسه إلى مدينة الزهاه لكي يخيف أهلها
ويجبرهم على الدخول في طاعته : وهكذا دان
الجميع للظافر فدخل العراق بجيشه ثراً ووصل

الفاطمين قبل ذلك بستوات قليلة بيت المقدس
وفلسطين بأسرها ، ولم يتمتع عليه إلا القليل من
حصونها ولم يكتف الفاطميون عن محاربتهم لاستعادتها ،
فلقى أفسقر صعوبة كبيرة في المحافظة عليها ، وطلب
العون من تشش الذي كان وقتذاك صيباً حدثاً لم
يتجاوز الرابعة عشرة (لأنه ولد عام ٤٥٨ هـ)
عندما حاصره الفاطميون في العام نفسه في دمشق
فاستجاب له ثم عاد فأمر بالأسر للمسكين قتل وأخذ
للمدينة لنفسه ووجه همه إلى حلب فحاصرها ولكن
بلا جدوى ، ثم ارتد عنها وأخذ يفتح ما جاورها
من البلدان (بركة ، والبيرة ، إلخ) وطلب
الحلييون بعد انصراف تشش عن مدينتهم العون من
مسلم بن قریش الذي نجح في طرد بيت مرداس
الحاكم فيها وجعل ملكشاه (انظر هذه المادة) يعرف
به حاكماً عليها ، ولم يكن هذا بطبيعة الحال ما يرغب
فيه تشش ، لذلك أسرع إلى محاربة العقيلي فأكان من
العقيلي إلا أن حاصره في دمشق نفسها عام ٤٧٦ هـ
الموافق ١٠٨٣ م ، ولم يخلصه من هذا العدو إلا
انشغاله في العام التالي بمحاربة سليمان سلجوق الروم
ولما كان كل من سليمان وتتش يريد مدينة
حلب لنفسه ، فقد تكاثرت الحرب بينهما
إلا بمصرع سليمان أثناء القتال ، وكان ذلك عام
٤٧٩ هـ الموافق ١٠٨٩ م ، ومع هذا لم ينجح تشش
في الحصول على المدينة ، ذلك لأنه ملكشاه سار في
جند كثير لكي يعيد النظام بنفسه إلى تلك الربوع ،
وما عمن أن أعطى حلب لمدينته أفسقر (انظر
هذه المادة) وعجزته انسحب تشش ، ووقع بالانضمام

«التجارة» لفظ عربي : وهو مصلو تجر ، وتجّر فعل أخذ من الاسم تاجر ، وتاجر مثل كثير غيرها من مصطلحات العرب في التجارة كلمة آرامية قديمة يستعاره (انظر القطن السرياني تحتها) معنى تاجر وهما مشتقان من الفعل **أصغته** وأصلهما **أصغ** بمعنى **أجر** استعملت في الجاهلية . وبصرف النظر عن أن الأصل تاجر نقل مشتقاته في اللغة العربية بشكل يسرعى الانتباه ، فإن كلمة تاجر كانت تدل في أول الأمر على معنى محدود هو « بائع الخمر » ، وهذا يعمل على الظن بأنها أصحمة الأصل ، ولابد أن التجار الآراميين الأولين اللذين اتصل بهم العرب كانوا تجار خمر ، وما إن دخلت هذه الكلمة في العربية حتى اتسع مدلولها شيئاً فشيئاً ودخل أى تاجر من التجار ، وعلم التيقن من الصيغة التي تجمع عليها بئنة أخرى على أصلها الأصحى ، فإن الأثر يورد في كتابه النهاية إلى جانب صيغ الجمع التي تجري على القواعد وهي **تجّار** و**تجار**

صينه تجار (1) Fraenkel : *Die Aramaischen*
Grundwörter im Arabischen ص ١٨١ وما بعدها

(١) ليس فيما قاله كاتب المادة ما يدل أو يشير إلى صحة الكلمة ، بل هي عربية أصيلة ، لاستعمال القرآن أصل المادة (تجارة) وليس في القرآن كلمة أصحمة إلا من الأعلام - وهذا هو الصحيح الذي ذهب إليه الأمام الشافعي في كتاب الرسالة (الفرق بشرحنا ص ٤ - ٥) وطائفة بعض الكلمات في إرامية أو غيرها للعرب البصري أو مقابرتها إياه ليس دليلاً على نقل العرب من الآرامية ، لأن قبيح الاحتالين أن العربية أقدم اللغات السامية (وانظر تعليقنا على مادة « بيطك » في هذه الدائرة) والفرق إرمان التشكيك في عربية الكلمة ما اخترعه كاتب المادة من فكرة جبروت كلمة « تاجر » مما ساء هو « علم التأكد من الصيغة التي تجمع عليها »

ومن الواضح البديهي أن أغلب الكلمات العربية يكون لها بصيغتان أو ثلاثة أو أكثر »

أحمد محمد شاذلي

هذان ، أما بركياروق ، وكان تحت إمرته جيش صغير ، فلم ير بدأ من القرار إلى إصفهان وهناك أصيب بالجدري ، وتروى أمراء هذه المدينة من الترك في الانقياد لتشش حتى إذا ما برء بركياروق أشاروا عليه بأن التراجع على العرش بينه وبين عمه لا يحل إلا السيف ، وأمد بركياروق بالجد من كل مكان فتمكن من مهاجمة تشش عند موضع يقال له ديشلو بالقرب من الري في السابع عشر من صفر عام ٤٨٨ هـ الموافق ٢٦ فبراير عام ١٠٩٥ م ، وعلى الرغم من انقضاء جنود تشش عنه فقد استسلم في القتال ، ويقال إنه سقط في يد واحد من وجال أنسقر فقتله انقلماً لمولاه ، وبعوه انقل ، حكم الشام إلى ولديه رضوان (انظر هذه المادة) ودقاق .

المصادر :

نقص بالذكر من المراجع الواردة في مادة السلاجقة

ما صنفه مؤرخو دمشق مثل (١) ابن القلائسي ،

طبعة أمبروز Amedron ، الفهرس (٢) ومؤرخي

حلب مثل كمال الدين : « زبدة الطلب » و« بنية

الطلب » وخاصة التفريات التي أخلت منها وضعت

كتاب : *Historiens Orientaux des Croisades* ،

ج ٣ ، ص ٧٠٣ - ٧٠٦ ، ترجمة آق سقر

(٣) ابن خلكان : طبعة بولاق ، سنة ١٢٩٩ هـ ،

ج ١ ، ص ١٦٨ وما بعدها .

١. M. The Houtman

الآية ٢٨٤) : وقد تفرقت نظرة النبي بعد ذلك تغيراً معيناً يجب أن نرده إلى العهد المكي ، ولو أنه ليس في القرآن شواهد على ذلك إلا في سور العهد المدني ، إذ تحولت نظراته إلى التجارة بفعل آراء الزهاد من النصارى . وهو لم يحرمها ، وإنما رأى فيها ما قد يعوق المؤمنين عن عادة الله ، ويصرفهم عن الصلاة . ويظهر هذا بأجلى بيان في وصف الصوامع الذي ورد في سورة النور المدنية ، الآية ٣٧ « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » . ومهما يكن من شيء فإن المحصل من هذه الآية أن النبي كان يدرك إدراكاً تاماً ما للتجارة من آثار سيئة في الحياة الدينية ،

وكان من نتيجة تسلسل هذه الأفكار أن التجارة قد حُرمت في السور المدنية تحريماً باتاً إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة . وشاهد ذلك سورة الجمعة ، الآيات من ٩ إلى ١١ « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وإذا رأوا تجارة أو هواً انفضوا إليها وتركوا قائماً ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين » ومن جهة أخرى أحل الرسول في أواخر العهد المدني البيع إيان الحج (سورة البقرة ، الآية ٣٩٧) ،

ومع هذا فإنه يعود في الوقت نفسه إلى التأكيد بأن الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة

وليس المقام مقام الحديث عن تاريخ التجارة في بلاد الإسلام ، لأسباب أن المخلل الضروري إلى هذا التاريخ لم يعرض له الكتاب إلا فياً ندر (انظر على قبيل المثال ، *Die Renaissance des Islams* : Mez ، هيدلبرغ سنة ١٩٢٢ ، ص ٤٤١ وما بعدها) ، ولستأ محاولين وصف ماهيتها عند المسلمين ولا ضروب ممارستها لها ، وإنما سنوجه هنا إلى نظرة الدين الإسلامي إلى التجارة ، وكيف عبر الحديث بصفة خاصة عن هذه النظرة ، وكذلك كتب الأخلاق . ويمكن الرجوع إلى مادة « بيع » فيا شخص بالنواحي الأخرى المسألة بأسرها .

١ - أما أن محمداً ، وهو من طائفة التجار ، كان يؤثر التجارة فأمر طبيعي في جمهورية تجارية كالمدينة يقوم رعاؤها كله على التجارة ، أو قل إن هذا على الأقل هو ما ينبغي أن نفسر به سورة من أقدم سور العهد المكي الأول ، وهي سورة قريش التي نزلت في الأيام التي سبقت نزاع النبي مع أشراف مكة « لإيلاف قريش ، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليجئوا رب هذا البيت ... » (أي الكعبة) ، لكن محمداً قد رفع حتى في هذا الوقت نفسه صوته علماً من الشرور التي بدأت تفتن بالتجارة ، فقال : إن التجارة ينبغي أن تكون على مقتضى الشرع والعدل . وقد جاء في سورة المطففين « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون » (انظر سورة الرحمن ، الآيات من ٧ إلى ٩ ، ومن العهد المكي الثالث سورة الأنعام ، الآية ١٥٢ ، سورة الأعراف ،

Griffini ، رقم ٥٣٩ ، وانظر رقم ٥٤٤)
 « الاكتساب من الحلال جهاد . وإضافك إياه
 على عيالك وأقاربك صلبة . ولتدوم حلال من
 تجارة أفضل من عشرة حلال من غيره . » (١) ،
 ومن المأمور في التجارة أن تكون سخياً مسماً ،
 ويجب أن توفى الكيل والميزان . والتجارة مستحبة
 في البكور على وجه خاص ، لأنه يجلب الركة ويدبر
 الربح . وينبغي للإنسان أن يكون حريصاً على
 تجنب الغش والخداع ، فهما مذهبان للبركة التي
 تحل بالتجارة ، وعلى التاجر أن يبين للمشتري
 عيوب بضاعته « من باع عيماً لم يبيته لم يزل في
 مقت الله ولم يزل الملائكة تلعنه » (ابن ماجه :
 التجارات ، باب ٤٥) وإذا وقع التاجر في مثل
 هذه الذنوب فله أن يكفر عنها بالصدقة ، ثم يقال
 إن النبي قد ذم من يفسد البضاعة ، وغشابة الطعام ،
 ويجب أن تكون التجارة بالاتفاق لا بالإكراه ،
 فلا يضرك المتبايعان عن بيع إلا عن تراض (أحمد
 ابن حنبل ، ج ٢ ، ص ٩٣٦) وإذا اشتري بيع
 فلا يباع حتى يقبض (وهو قبض أو استيقاض ،
 ولا يبيع الحديث في هذا الصدد سوى الطعام ،
 ولكن المقربين يمتنعون أن الطعام اتخذ شامداً فقط ،
 والحق إن هناك حديثاً يتكلم عن البيع في صيغة عامة
 جداً [أحمد بن حنبل ، ج ٣ ص ٤٠٢] : وإذا
 تنازع الطرفان المتعاقدان ولم يستطع كلاهما أن يدعم
 حجيته فلما أن يظل البيع صحيحاً ويأخذ بحجة البائع

والأموال المقترفة والتجارة ليست أحب إلى المؤمنين
 من الله ورسوله (سورة براءة ، الآية ٢٤) . وفي
 هذا العهد المتأخر تزلت أيضاً أحكام القرآن المعروفة
 في كتابة المواثيق (سورة البقرة ، الآية ١٨١
 وما بعدها) .

ب - وهذه النظرة الموالية بوجه عام
 للتجارة هي نظرة الحديث أيضاً ، وإن كان قد
 اشتد في ذم الاحتكار والمعاملات الأخرى المنافية
 للأمانة . والتجارة - في اعتباره - كالعمل اليدوي
 شرفاً وريحاً وأكثر منه رزقاً (كثر العمال ، ج ٢ ،
 رقم ٢٤١١ ، ٤٢٢٨ ، ٤٧٤٢) : وللتاجر
 الشريف مقام كبير ، فقد جاء في الحديث « التاجر
 الأمين الصدوق المسلم مع الشهاد يوم القيامة »
 (ابن ماجه : التجارات ، باب ١) وهو يدخل
 الجنة . وقد جاء في حديث آخر أن على التاجر
 الفاجر أن ينتظر العقاب « يامعشر التجار ، إن
 التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى
 التقوى وصدق » (ابن ماجه : التجارات ، باب ٣)
 وهناك حديث آخر من أحاديث الأحاديث يشهد بأجل
 بيان على تحمل بعض جماعات من الأتقياء على
 طائفة التجار « قال رسول الله : إن التجار هم
 القجار . قيل : يا رسول الله ، أوليس قد أحل الله البيع ؟
 قال بلى ولكنهم يحدثون فيكذبون ويخلفون ويأثرون »
 (أحمد بن حنبل ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ ، ٤٤٤) ومن
 جهة أخرى نجد أنهم كانوا يجتنبون أن مما يرضى
 الله أن يربح المرء من التجارة ليعزل أسرته . وفي
 حديث أوزده زيد في مجموع الفقه (طبعة كرفيني

(١) هذا ليس حديثاً بل هو أثر مروى عن علي ابن أبي طالب
 في مسند الإمام زيد المسمى « المجموع الفقهي » (ص ١٠٢ - طبعة
 المنار ، مصر ، ١٣٦٠ هـ) .

الأسعار (التجشّي). واحتكار الطعام (احتكار، انظر عن هذا الاصطلاح Fraenkel ، كتابه المذكور ، ص ١٨٩) وكل من احتكر طعاماً ليخفيه فهو «خاطي» (أحمد بن حنبل ، ج ٢ ص ٢٥١) «من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجنم والإفلاس» (ابن ماجه : التجارات ، باب ٦) ، «الاحتكر ملعون» (انظر ابن ماجه ، نفس الموضوع). وفي أحاديث أخرى «كان حقاً على الله أن يلقه في معظم من النار يوم القيامة» (الطحاوي رقم ٩٧٨) . ويقال من جهة أخرى إن النبي أحجم عن تسعير الطعام في وقت العوز وهذا ذلك منافياً للعدل (ابن ماجه: التجارات ، باب ٢٧ وما بعده) ولستطيع أن أقول على وجه الإجمال إنه ذم حكرة الطعام بأى وجه . وقد حرم أن تشتري أو تباع جملته دون تحديد الموالين والمقاييس (جيزاف) : ولا يجوز أن يعاد بيع الطعام كما اشترى في المكان عنه وإنما ينبغي أن يباع في السوق المخصصة لذلك . ولا يجوز أيضاً الخروج لتلقى القوافل وشراء البضائع : وليس لسكان المدينة أن يبتاع من رجل الصحراء لبيع في المدينة ثانية بربح . وعلى ذلك فإن المسار معلوم .

ونذكر أخيراً طوائف كاملة من ضروب المعاملات والعادات التي هي منها الحديث :

١ - هي الحديث أولاً عن صفتين في صفقة واحدة ، كان يبيع الرجل البيع فيقول هو

وإذا أن يتنازل كلامهما عن الصفقة : وإذا ادعى اثنان الشراء كان أولهما هو المشتري الحقيقي :

ولم يلم الحديث بوجه عام بيع التسيئة . ولا يجوز الرباذة أو التعميل في الدين المؤجل (مالك : البيوع ، حديث رقم ٨١) ومن الجائز أن تأخذ شيئاً في مقابل رهن ، وآية ذلك أن النبي اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل معلوم وأرسل منه درهماً من حديثه.

وقد نسي الحديث التجار في كثير من المواضع من أن يلجئوا للحلف في التذليل على جودة بضاعتهم ، فبما في حديث «الحلف بمنفعة السلعة محقة للبركة» (البخاري : البيوع ، باب ٢٦) وفي حديث آخر أن الآية ٧١ من سورة آل عمران قد نزلت في هذه المناسبة . على أن هذه الآية ليس لها شأن بالحلف وقت البيع ، ولم تنزل في هذه المناسبة وإنما نزلت في شأن ديني محض .

وقد نسي الحديث عن بيع كثير من السلع وشراؤها . وهذه السلع هي : (١) ما لا يملكه البائع (أحمد بن حنبل : ج ٢ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠) (٢) طائفة من السلع التي حرم استعمالها أو التي تعتبر نجسة كالخمر والخزير والكلاب والقطط والأصنام والميتة (انظر هذه المادة : والماء) وفي حديث أن الماء من بين أشياء ثلاثة يشترك فيها الكافة ، وثمته حرام (ابن ماجه ، الرهن ، باب ١٦) .

ويشتد الحديث في ذم عادة شائعة في المشرق ألا وهي المماحكة أو المساومة : ولا ينبغي للبائع أن يتريد على إخوانه . ويندم الحديث أيضاً رفع

فساء بكلها ، وكلها وهو يقصد بكلها وكلها (أحمد بن حنبل ، ج ١ ، ص ٣٩٨) .

٢ - بيع العُربان : وهو ضرب من البيع يدفع المشتري بمقتضاه عربوناً (عربان أو عربون أو كايون باليونانية) يرضه إليه إذا لم تم الصفقة (ومع هذا فإن أحمد بن حنبل يجهز بيع العربون ، انظر ابن الأثير : النهاية ، مادة عربون) .

٣ - بيع المزاينة : وهو مباح في حالات كثيرة ، إذا كان المرء مملوكاً أو مريضاً أو غارلاً في الدين

٤ - بيع المُنَابَذَةِ (ويطلق أحياناً أيضاً من أصل رأى انظر Braquel ، ص ١٨٩) وهو أن يتبع بضاعتان غير ورن أو خياس أو غديسعة أخرى ، ذات مفاص ووزن وعنده هلمه . ومن قبل ذلك أن يبيع الرطب في دلوين النخل بقلو معين من التمر أو أن يبيع البدر بقلو معلوم من الطعام .

وقد تنبه الحديث إلى أنه ما في هذا البيع من مجازفة ومخاطرة للواقع ينحصر في أن الثمرة التي لم يتمكن المشتري من تقويمها بعد قد تأنى عما يزيد أو يقل عن الثمن الذي دفعه فيها (أحمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص ٦٤) . وهذه القاعدة تنهج إلى تحريم الربا . ولكن هناك جانباً واحداً استثنى بيع الغرابا .

وعلقه ابن تيمية في الرجل الغدير الذي لا يمكن له أن يأخذ أسراً بالرطب ، ولذلك بأن يشتري التمر في دلوين النخل بالتمر على أن يوزن هذه بمثلين أن هذا يقصود على الأحوال التي لا يزيد فيها التمر على خمسين أو مائة ، في حين أن عبد الله بن عمرو بن

المصنف قد روى حديثاً حرم فيه الشيء ذلك (أحمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص ١٨٣) .^(١)

٥ - بيع المعاينة : هو أن يتنازع عاجلاً تمر تخل ستين أو ثلاثين ، وهو بيع أشياء لا وجود لها وقت عقد الصفقة .

٦ - بيع المُنَابَذَةِ : وهو أن يعقد الطرفان البيع من غير قصص ويتبادلان البضائع دون أن يرضاها أو يعاينها من قبل . وهناك ضرب آخر من ضروب هذه المعاملة وهو بيع الحصاة (انظر ابن الأثير : النهاية ، تحت هذه المادة) أو بيع إلقاء الحجر (أحمد بن حنبل ، ج ٣ ، ص ٥٩ ، ٦٨ ، ٧١) وهو أن يرمز إلى إتمام الصفقة بتسليم حجر صغير بدلاً من البضائع (المطرزي : المبشور ، مادة نبد) .

٧ - بيع الملامسة : وتبرم هذه الصفقة دون أن تنظر البضائع أو تامين من قبل ، ويكتفى بلمس البضائع المغطاة باليد .

٨ - بيع العَرَر : وقد ساق الحديث شواهد كثيرة من هذا الضرب من المعاملة ، ومن قبيل ذلك ما في ضروع الأنعام والعيد الأبق والمغانم قبل أن تقسم والسلم في الماء . . . إلخ . (انظر

(١) ليس في الحديث شيء من النهي عن بيع الغرابا . والحديث الذي يشير إليه كاتب المدة في المسند (من عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيع للبرهان) وهو البيع للمهر أمير الله فيما على يترام ؟ ولكن كلمة (البرهان) وقع فيه خطأ مطبعي في المسند لكتبت (البرهان) فلم كاتب المدة أنها جميع (مربة) وهو ظن بغيره ، وسرايه ما لفتاه . والحديث في الموطأ (ج ٢ ص ١١٨) باللفظ (البرهان) .

٢ وتحصيل المعاش يجلب السعادة في نظره ، لأن الدنيا مزروعة للأخرة . ولكنه لا يعتبر أن التجارة أفضل مطلقاً من أى وسيلة أخرى من وسائل كسب المعاش . وقد قال : « لكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو البروة والريادة على الكفاية » . وهو يلزم الاستكثار من المال لا ليصرف إلى الخيرات والصناعات . وطلب التاجر الريادة كفاية لنفسه وأولاده أفضل على كل حال من السؤال . وترك الكسب أفضل لأربعة : العابد والصوفي والعالم والمشتغل بمصالح المسلمين . ثم يأخذ الغزالي في بسط آرائه في آداب التجارة . ولا يسمح المقام هنا إلا بإجمال ما قاله ،

وقد تجرى المعاملة على وجه صحيح لابنائى الشرع ، ولكنها تشتمل على ما يعيب الآخرين ويضرهم ، إذ ليس كل شئ يقتضى فساد النقد . ثم يقسم الغزالي ذلك قسمين : ما يعم ضرره ، وما يخص المعامل . ويلحق بالنوع الأول احتكار الطعام وبخاصة الخنطة ثم ترويح الزيف من الدراهم في أثناء النقد . وعلى التاجر أن يعلم أن في الزيف أموراً : الأول أنه إذا رد عليه شئ منه فينبغى أن يطرحه في برء ، الثاني أنه يجب على التاجر تعلم النقد المستعمل في بلده ، الثالث أنه إن أسلم وعرف المعامل أنه زيف لا يخرج عن الإثم لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ، الرابع أن يأخذ الزيف ليندين أحداً بالفضل فلا يدخل في البركة التي يجلبها الشعور الطيب في التجارة ، إلا إن حزم على طرحه في برء .

على النثيل أحمد بن حنبل ج ١ ، ٣٠٢ ، ٣٨٨ ، ج ٣ ، ٤٢) . وأكثر الشواهد شيوعاً هو تلك الحالة الشديدة التعقيد المعروفة ببيع حبلى الحبيكة ، وهو أن تباع الناقة الحلي للبيع مع اعتبار أنها قد تلد أنثى وهذه تلد بغيرها صغاراً .

وقد ذم الحديث كل هذه الصفقات لا فيها من حامل المجازفة . أما عن الصرف وتحريم الربا فانظر هاتين المادتين . وكل هذه الصفقات واردة في مجموعات الحديث القديمة . وقد تضمنت مجموعات الأحاديث المتأخرة طائفة أكبر من هذه الصفقات ، وأسهمت في تفصيلها إسهاماً كبيراً . ومن قبيل ذلك كتاب « كنز العمال » (انظر Ritter في الجزء ٧ ، ج ٧ ، سنة ١٩١٧ ، ص ٢٨ وما بعدها ، حيث قد ترجم طائفة من هذه الأحاديث)

ج - وفي مآثور القرون الثلاثة الأولى أن المعاملة تقتضى من التاجر أن يكون شريفاً بادية النية بمعامل صاحبه معاملته لأخيه ، وأن يتورع عن غشه بجميع الوسائل . ولهذا فقد ذم الحديث المعاملة التي تنطوى على أى عامل من عوامل المجازفة أو التي للصدقة فيها أى شأن دافعاً للنصر أن يلحق بأحد .

وقد وجدت هذه المبادئ الأساسية لآداب التجارة عند المسلمين من يعبر عنها من القناعات في شخص الغزالي (إحياء علوم الدين ، القاهرة سنة ١٣٢٦هـ ، ج ٢ ، ص ٤٨ وما بعدها) فهو يقول إن على المرء أن يسعى في طلب الرزق والآخرة مقصده .

الحق ولا يكلفه أن عشي إليه بتقاضاه ، الخامس أن يقبل راعيا عن البيع بعد إتمام الصفقة ، السادس أن يقصد في معاملة جماعة الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطلوهم إن لم تظهر لهم ميسرة ، أو إنه لا يثبت اسم الفقير في دفتر الحساب أصلا وإنما يقول له خذ ما تريد فإن يسر لك فاقض وإلا فأنت في حل منه وسعة .

ويبقى للتاجر ألا يشغله سعيه للربح عن الشفقة على دينه ونفسه، وإنما يتم ذلك بمراعاة سبعة أمور: الأول حسن النية واليقظة في ابتداء التجارة ، الثاني : أن يقصد القيام في تجارته بفرض من فروض الكفايات ، فإن التجارات بعض من انتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ، الثالث أن لا يمتعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة ، أى عن أن يؤم للمسجد ويؤدى الصلاة ، الرابع أن يذكر الله إذا ما دخل السوق وأن يشتغل بالتسبيح وهو فيه ، الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكرهان ، السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يبقى مواقع الشبهات ومطان الربى ، وإذا حملت إليه سلعة سأل عن أصلها ، ويجب عليه أن ينظر إلى من يعامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله ، السابع : ينبغي أن يراقب جميع مجارى معاملته مع كل واحد من معامليه فإنه يراقب وعاسب ، فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل صلة وقولة .

ثم يتحدث الغزالي عما يستضر به المعامل في المعاملة ، وإنما الضابط الكل في التجارة أن لاضر للمرء بأخيه المسلم وأن لا يجب لأخيه إلا ما يجب لنفسه، ولهذا ينبئ البائع (١) : ترك التئاء على السلعة وتوكيد أقواله بالخلف ، وليس له إلا أن يثنى على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره ، كما يصفه من أخلاق العبيد والجواري مثلا (٢) أن يظهر جميع عيوب المبيع ، ولا ينبغي له مثلا أن يظهر الجوانب الحسنه من السلعة أو يعرضها في المواضع المظلمة إلخ . لأن التاجر إن فعل ذلك كان غاشيا تاركا للنصح في المعاملة الذى يجب عليه أن يبذله لأخيه ، وعلى التاجر أن يعتقد بأمرين: الأول أن تليسه العيوب وتروجبه السلع لا يزيد في رزقه بل يحقه ويلهب بركته ، والثاني أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا ، وإن فوائده أموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها (٣) أن يوفى الكيل والميزان (٤) أن يصدق في سمر الوقت ،

ثم تكلم الغزالي عن الإحسان في المعاملة وآداب التجارة ، ومن أمثلة هذا الإحسان فعل ما ننصح به المعامل وهو غير واجب عليه . وتتل رتبة الإحسان بواحد من ست أمور : الأول إذا امتنع البائع عن قبول ما يبذله المشتري زيادة على الربح المعتاد ، الثاني أن يرضى المشتري بالعين إذا كان البائع فقيرا ، الثالث في استيفاء الثمن وسائر الدين والإحسان به مرة محط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ، الرابع في توفية الدين . ومن الإحسان فيه أن يمشى إلى صاحب

يتجر في الأراضي أن يجتزأ من بيع الأعان الموقدة
(طبعة Myhrmann ص ٢٥٥ : ترجمه رشر ،
ص ١٥٠ وما بعدها) .

د - وهناك خلال يزيد نصبها من الأكرة
حلها الكتاب الذي نشره وترجمه رتر Ritter
وهو « كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة » لأبي
القفل جعفر بن علي النمشي الذي عاش في القرنين
الخامس والسادس الهجريين : الواقفين للقرنين
الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين . وهذا الكتاب
مقسم قسمين أحدهما خاص بالتاجر ، والآخر خاص
ببضاعته ، وقد كتب في موضوع السلع مؤلفات
أخرى كثيرة بعضها قائم بذاته وبعضها داخل في
المطلوبات الإسلامية المشورة التي يمكن الرجوع
في شأنها إلى رشر (كتابه المذكور ، ص ١٧ وما
بعدها) ، والذي يمتينا في هذا المقام بوجه خاص هو
الأقسام الخاصة بالتاجر ، وقد ميز النمشي بين
أصناف التجار فذكر أولا البغزان أى تاجر الجملة
وهو الذى يحاول أن يشتري ببضاعته في أشد الظروف
ملائمة كي يبيعها عند ما تندر ويرتفع ثمنها ، ولذلك
فهو أخوج الناس إلى تقديم المرفة بأحوال البضائع
في أماكنها وبلادها ، وانقطاع الطريق أو أمنها ، وذلك
باستطلاع الأخبار حتى لا تقوته خسر الأوقات
للشراء والبيع ، ويجب على الخزان إذا استقر في
نفسه أن يشتري بضاعة بقدر كثير أن يحصر ويقسم
هذا الشراء فيجعل في أربع دفعات ، وبين كل
شربة إلى الأخرى خمسة عشر يوماً . وملك يتجنب
الحسارة التي تتجم من تغير فجاء في السعر

ويذهب الغزالي إلى أن السوق ساحة جهاد
التاجر يجاهد فيها نفسه في معاملته لإخواته . والتجارة
في نظره ذريعة إلى الماد ومرجعة إلى الآخرة ،
ولذلك فهو نبذ مثل الزهاد الأعلى الذي يقضى
بأن يفر الإنسان القاني من العالم فواره من الكفاح .
وهناك آراء مماثلة لهذا في كتب الأخلاق
والآداب لكنها لاتبلغ دائماً ما بلغته آراء الغزالي
من سمو القيمة الأخلاقية . ومثال ذلك أن تاج
الدين السبكي صاحب طبقات الشافعية المتوفى عام
٥٧٧١ (١١٣٧٠ م) قد تحدث عن التاجر في قربات
عديدة من كتابه « معيد النعم » ولاشك أنه تناول في
هذه الفقرات الأحوال التي تختص شواهد على عصره ،
وعلى هذا فإنه ينفى للوراق أن يؤثر إعطاء الورق
لأولئك الذين يتناوون من أجل تحضير كتب العلم ،
ويجب عليه من جهة أخرى ألا يبيع لأولئك الذين
يشبه في أنهم سيستخدمونه في تحضير الكتب الماركة
من الدين أو الصكوك المزيفة أو في زيادة الضرائب إلخ
(طبعة ميهمان Myhrmann ، لندن سنة ١٩٠٨ ، ص
١٨٨ ، ترجمة رشر Rescher ، الأمانة عام ١٩٢٥ ،
ص ١٣٨) وليس للوراق أن يبيع كتب الدين
إلى الذين يتلقونها أو ينفقونها ولا ينبغي له أن يتاجر
بكتب المارقين أو أصحاب النجوم ولا بالمؤلفات
الخرافية كسيرة عتر : كما أنه يجب عليه ألا يبيع
نسخ القرآن أو كتب الحديث والفقهاء للكفار وعلى
هذا ينظر كتاب الأم للشافعي ، ج ٤ ، ص ١٣٢
و Fremdenrecht : Heffening ، ص ٤٩ ، تعليق ٥
حيث يجب أن تحذف كلمة « keine » السابقة
« hanaf. Werke » ، وأخيراً يجب على الذي

أن يكون على علم تام به ، ولم يبحث بعد إلى أى حد
تتصل كل هذه الأمور بنظران التقدم في الاقتصاد

وقد أدلى ابن خلدون برأيه في عبارات مماثلة
لهذه وذلك في الفصول التي خص بها التجارة من
مقدمته (القاهرة سنة ١٣١٧ هـ ، ص ٤٤١) وقد

ترجمت هذه الفصول في *Notices et Extraits des*

Manuscripts de la Bibliothèque du Roi

ج ٢٠ ، سنة ١٨٦٥ ، ص ٣٤٨ وما بعدها) ، وهو

يصنف ملاحظاته ويضعها تحت عنوان الخزان

والركاش ويغل المجهز ، ويصف التجارة بأنها

عائلة الكسب بتنمية المال لشراء السلع بالرخص

وبيعها بالغلاء ، ويتوسل التاجر في ذلك إما بأن

يختزن السلعة ويتحين لها تحول الأسواق من الرخص

إلى الغلاء ، وإما بأن ينقلها إل بلد آخر تنفق فيه

تلك السلعة أكثر من البلد الذي اشتراها فيه . ورأى

ابن خلدون في التجارة مهم على الجملة ، وآية ذلك

أن التجارة تقتضي من التاجر أن يكون كيساً يأخذ

علامه بالمناحكة والدعاء ، وبكل حواضر هذه

الحرفة التي تؤثر في شعوره بالشرف والعدل ومحط

من أخلاقه . والتاجر الصغير هو الذي يخضع سريعاً

لهذه المؤثرات ، لأنه مضطر إلى معاملة زبائنه طول

النهار . والآمر على عكس هذا بالنسبة للتاجر الذي

أثرى بفعل بعض الظروف المؤاتية فأكسبه ثروته

جاءها ومقاماً ، وهو بذلك يبعد عن تلك الخلقة البعيد

عن الأعمال المقتضية لها ويترك ممارسة المعاملة

لوكالاته . وما عليه إلا أن يشرف على أحواله

ووجههم توجهاً عاماً

أو من أي حادث آخر لم يكن في الحسبان . وما
يجب عليه تأمله أحوال السلطان الذي هو في كنفه
وهل هو عادل قوى أم عادل ضعيف أو جائر ،
والصنف الثاني هو الركاش أي التاجر المتجول ،
ويجب عليه أن ينظر فيما يتناعه فحفاظ فيه ، إذ
رعا تأخر مسيره إلى البلد الذي يقصده أو عطل
لإحدى العوائق كخوف الطريق ، فيقاسى يمه في
البلد الذي اشترى فيه ويتحمل خصائص كبيرة ، ثم
يستحب له أن يستصحب معه رقعة بأسعار جميع
البضائع في البلد الذي يريد العودة إليه مما يجلب
من تلك الجهة ، وأن يعرف المكوس وإلا فقد ضيع
رغمه قبل أن يشتري من بلد غريب عن بلده . ويجب
عليه أيضاً إذا دخل بلدة لم يعرفها أن يكون قد قضى
عن الوكيل المأمون والموضع الحريز . والصنف
الثالث من التجار هو المجهز أي التاجر المصنر ،
ولا يفوتنا في هذا المقام أن نتكلم عن الوكالات .

ويجب على المجهز أن يتصحب به في الموضع الذي
يجهز إليه وكبلاً مأموناً يقبض البضائع التي يصدرها
إليه ، ثم لا ينفذ بضاعة إلا مع الأصحاب الثقات
الذين يرفعونها ، ويتولى هذا القابض بيعها وشراء
الأغراض عنها وله حصص في الربح .

ولم يكن التمشق بما بلده للتاجر زيادة على
ذلك من نصائح كثيرة وما أوصاه به من التحرز من
المبرطين والمخترقين الموهين والمنتمنين ، بل إنه
يناقش مسائل الاقتصاد النظرية كتحديد أسعار
السوق ومتوسط السعر ، وهو أمر يتطلب من التاجر

في كل معاملاته : ونفى أن تخضع المعاملة نفسها لأحكام هذا الدين ، ولا يكون لها وضع خاص وآداب تتفرد بها .

وعلى الرغم من كل هذا فإنه في مقنور المسلمين أن يصطنعوا الوسائل الحديثة في المعاملة . وقد أظهر الإسلام في الماضي مساهمة للظروف وقدرته على التطور : وأدخلت عدة بلاد إسلامية - كتركيا ومصر - تسير في الوقت الحالي في سبيل إصلاح كل ما سبق لها أن أهملته في مختلف المناحي . وهناك شخصيات تعد بمثابة معالم في طريق هذا التقدم ، مثل ضياء كوك ألب ومحمد عبده .

المصادر :

تزيد على المصادر التي ذكرناها في صلب المادة ما يلي (١) أبواب البيوع أو التجارات في كتب الحديث (٢) المصادر التي أوردتها Wensinck في *A. Handbook of Early Muhammedan Tradition* ،
لين سنة ١٩٢٧ مادة Ritter (٣) *barter* :
Ein arabisches Handbuch der Handelswissen-
schaft في *Isl.* ، ج ١٧ ، سنة ١٩١٧ ، ص ١
وما بعدها (٤) ترجمة مقال بارتولد إلى الألمانية في *Die Welt des Islams* ، ج ١ ، سنة ١٩١٣ ،
ص ١٣٨ وما بعدها (٥) *C. H. Becker* :
Archiv. f. Wirtschaft- u. Islam and Wirtschaft
forschung in Orient ، ج ١ ، سنة ١٩١٦ ، ص
٦٦ وما بعدها [= *Islamstudien*] ، ج ١ ، سنة
١٩٢٤ ص ٥٤ وما بعدها (٦) *Junge* : *Das*

والسؤال الذي أثرتاه في مستقبل هذه المادة عن نظر الإسلام إلى التجارة هو أحد وجوه هذه المسألة التي تتناول احتمالات تطور البلاد الإسلامية تطوراً اقتصادياً ، وقد درست هذه المسألة عدة مرات في السنوات القريبة . وكان من المتكور إلى ما قبل الحرب العظمى أنه في الإمكان حدوث هذا التطور ، وما زال هذا الإنكار شاملاً في أوساط المبعوثين ، وبارتولد W. Bartholdy هو أول من بين أن هذا الرأي لا يصمد للأسناد التاريخية ، وذلك في مقاله الذي قدم به مجلة *Der Islama* ، وقد اهتدى بيكر C.H. Becker يونك B. Junge ثم من بعدهم بول Alfred Buhl بما جاء في دراسات ماكس وبر Max Weber الاجتماعية والبنية وعالجوا هذه المسألة فأنهوا إلى أن الإسلام لم يقف قط موقفاً معادياً من التطور الاقتصادي ، ولكن المشاركة بذهيين في التفكير في السائل الاقتصادية مذهباً يخالف مذهب الغربيين أشد الخالفة ، ومرجع هذا إلى الظروف الخاصة التي تكتنف الحياة في المشرق ، وبخاصة الصفات المعينة التي تتصف بها أجناسه والمناخ الجاف الذي يكاد يسود جميع بلاده ، أضف إلى هذا ما لمسألة التزود بالمال من شأن خطير . وقد وثقت كل هذه الظروف الرباط بين القرد والجماعة ، فأصبح السائد هو التعاون لا التنافس . ونستطيع أن نتبين من هذه الظروف القاعدة الأساسية التي تقوم عليها آداب التجارة عند المسلمين وأن نفهم لماذا يجب على التاجر أن يعمل عملاء معاملته لإخوته . ولا يقتصر الأمر على شعور القرد شعوراً واضحاً بأنه عضو في جماعة ، بل يضاف إلى هذا الدين الذي هو المصدر الذي يستهديه المسلم

ص ٥١ ، إلا أن التوركشى لقنه نابن إبراهيم ، وتختلف المراجع أيضاً في حركات المقطع الأول من النسبة في اسمه :

على أن هناك قريبتين يصبح لنا معهما أن تقطع بأن المصنفين اللذين بلغا إلينا منسوين إلى التجاني هما لكاتب واحد . فقد أخبر التوركشى ، وهو الآخذ بالاسم الوارد في « التحنة » ، وابن الخطيب ، وهو الآخذ بالاسم الوارد في « الرحلة » ، فضلاً عن رواية « الرحلة » نفسها ، أن التجاني كان له شأن مع أحد أمراء آل حفص أبي يحيى زكريا بن أبي العباس أحمد اللحياني (٧١١ - ٨٧١٧ = ١٣١١ - ١٣١٧ م) ثم إن المؤلفين اللذين جاء ذكرهم في « التحنة » والمؤلفات التي وردت بها جميعاً يرجع تاريخهم إلى عصر بلغاهما مما يجيز القول بأن صاحب التحنة قد كتب ما كتب في مشتل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) :

أما حياته فلا نعرف عنها إلا أنه رحل مع مولاه الأمير إلى إفريقية الشمالية ، وهذه الرحلة هي التي وضمها في كتابه المنعوت بـ « الرحلة » . وتبدأ الرحلة من تونس في أواخر جيلادى الأول عام ٧٠٦ هـ (أول ديسمبر ١٣٠٦ م) في ركب الحج ، إلا أن التجاني اضطر في أول محرم عام ٧٠٩ هـ (يونيو ١٣٠٩ م) إلى التخلف عن الركب لمرض ألزمه العودة ، وكان الركب لم يتجاوز بعد طرابلس ، ومع ذلك فقد طال مقامه في كل موضع من مواضع هذا السفر ، فواته ذلك كل المواثاة على كتاب وصف الرحلة ، ولقد استطاع المؤلف أن يفيض وصفاً وبياناً لكل طريق يلتفت

Wirtschaftsproblem des nahen Orients في *Archiv. f. Wirtschaftsforschungen im Orient* ، ج ١ ، سنة ١٩١٦ ، ص ١ وما بعدها (V) R. Junge : *Das Problem der Europaisierung orientalischer Wirtschaft* ثيار ١٩١٥ ، ص ١٠٨ وما بعدها ، ٢٦٠ وما بعدها وهو يتكلم عن التركستان الروسية (٨) *Vom Wirtschaftsgeist im Orient* : Alfred Buchl ليسك سنة ١٩٢٥ ، وهو يتحدث عن الجزائر (٩) *Die Krisis des Islam* : R. Hartmann ليسك سنة ١٩٢٨ (*Morgenland* ، الجزء ١٥٠) : [هفتنگ]

« التجاني » : كاتب عربى من أهل تونس لا نعرف عن حياته إلا التراسيس ، ويمكن القول إن اسمه لم يرد على صورة واحدة فيما أثر من الروايات ، ومخطوطات رحلته (راجع مصنفاته التي أوردناها فيما يلي روسو وبل رول (Rousseau and Bel) شاهدة بوجه عام على أن اسمه « أبو محمد عبد الله » وبه يلقبه ابن الخطيب بن قنفذ تاريخ الأديب العربي لبروكلمان ، الجزء الثانى ، ص ٢٤١) في كتابه « القارسية في مبادئ الدولة الحفصية » (شربوتو في المحلة الأسبوية ، المجلد الرابع ، الجزء السابع عشر ، سنة ١٨٥١ ، ص ٥٣ ، الترجمة ص ٦٤) إلا أن اسمه الوارد في عنوان كتابه « تحفة العروس ونزهة النفوس » هو أبو عبد الله محمد بن أحمد وكذلك ذكره الحاجى خليفة تحت رقم ٢٦٢٣ ، والتوركشى في « تاريخ المؤلفين المرحلية والحفصية » ، طبعة تونس عام ١٢٨٩ هـ

تحققها بالرجوع إلى بعض النصوص الواردة في
البر لابن خلدون .

والكتاب الآخر للتجاني هو رسالة موجزة
جامعة في الحب والزواج ، والكتاب في خمسون وعشرين باباً
يبدل فيها المشورة والرأى في شأن اختيار الزوجة
مع توصيف مفصل لمعلم الجمال وشارحه مرتبة حل
حسب أجزاء الجسم ، ثم يرشد إلى وجه الرأى في
معاملة المرأة ، ويدل بتفصيلات عن الحياة الزوجية ،
ويذهب إلى تعيين ما يزيد في متاعها . وهذا جميعه
في سياق من الأحاديث المأثورة وشواهد من المؤلفين
يوردها مرتبة على حسب زمانهم ، وهو يكثر من
الاستشهاد بأقوال المشايخ والفقهاء ، والكتاب أدخل
في الأخلاق منه في الفقه ، وبيان التبسخ الخطيئة من
هذا الكتاب وعلمانه في بروكلمان : تاريخ الأدب
العربي ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٥٧ .

المصادر :

- (١) انظر المصادر الواردة في صلب المادة
(٢) *Stori Mundumani de Steilia* : M. Azami
١٩٠٤ ، سنة ١٨٥٤ ، ص ٧ ، والمراجع التي ذكرها
بل في الكتاب المشار إليه آنفاً ،

[باستر E. Plessner]

(والتجانية) (وترد أيضاً صحتها التجاني
والتنجي) : وهي اسم طريقة صوفية أنشأها
أبو العباس أحمد بن محمد بن الغفار بن سالم التجاني
(١١٥٠ - ١٢٣٠ = ١٧٣٧ - ١٨١٥ م)

النظر في بلاد تمد ياتقياس إلى غيرها خبيثة الرقة
محدودة الأطراف . فكان كتاب الرحلة معبأً قياضاً
يزخر بالمعلومات الجغرافية ، ومباحث الأجناس
البشرية والتاريخ الطبيعي ، وبخاصة الأخبار التاريخية
عن البلاد التي اجتازها . وكذلك ينطوي الكتاب
على نيل منقولة عن مؤلفين علة تعتبر مؤلفاتهم في
حكم الضالمة ، كما يشتمل بوجه الخصوص على صور
أحكام ووثائق .

ولما أن ولي الأمير الحكم صار التجاني من وجوه
الدولة . وتاريخ وفاق التجاني - مثل تاريخ مولانا غفر
محقق .

ولا وجود للرحلة في طبعة كاملة حتى اليوم ،
وتوجد أجزاء هامة منها أوردها أماري M. Azami في
مجموعته المعروفة باسم المكتبة الصقلية *Bibliotheca
Arabo-sicula* سنة ١٨٧٥ في الباب الخامس
والأربعين . وقد نشر بل A. Bel تيلة قصيرة من
الرحلة مشفوعة بالترجمة بعنوان « بنو غانية »
Les Benou ghanya (مطبوعات مدرسة الآداب
بالجزائر ، المجلد ٢٧ ، سنة ١٩٠٥ ، التذليل) . وأخرج
أروسو ترجمة مختارات من الرحلة كلها في الجريدة
الأسبوعية ، المجلد الرابع ، الجزء العشرين ، سنة
١٨٥٢ ص ٥٧ وما بعدها ، والمجلد الخامس ،
الجزء الأول ، سنة ١٨٥٣ ص ١٠١ وما بعدها .
وصفحة ٣٥٤ وما بعدها .

ولكن اختيار هذه اختارات جاء معتقفاً
وتسقيفاً غير واف ، والترجمة لا يمكن الاعتماد عليها
إلا مع الكثير من الحذر والتحفظ ، وفي الإمكان

ديون Depont وكوبلاني Coppnani (ص ٤١٧) واخص ما يدينون به الولاة للحكومة القائمة ، ومن ثم كانوا على صلات طيبة بالسلطات الفرنسية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر .

٣ - تاريخ الطريقة : ولما مات منشي الطريقة عام ١٢٣٠ هـ ترك ابنه محمداً الكبير ومحمداً الصغير في كفالة عمودين أحمد التونسي ، وقد خلفه في الوصاية عليهما الحاج علي بن عيسى شيخ زاوية تجانية في خمسين اللي ورحله منشي الطريقة شيخاً لها ، ولما احتل الأمير الجديد يزيد بن إبراهيم قصر أبيهما في فاس أخذها الحاج علي بن عيسى إلى عين ماضي ، وتركهما مدة من الزمن يشرفان على الزاوية فيها ، وعاد إلى خمسين : ويلوح أنه قد حدث خلاف بين أتباع الطريقة وأن هذا الخلاف ظهر في حياة منشي الأول نفسه . فقد طرد الذين عرفوا بالتجانية من عين ماضي : وفي عام ١٣٢٥ هـ (١٨٢٠ م) طلب هؤلاء مساعدة حسن باي وهران فحاصر عين ماضي ولكنه أغرى بمبلغ كبير من المال وفشل فيها حاول من هجوم ، فارتد عن القرية ، وبعد ذلك بطمان هاجم باي تبرى ، عين ماضي بلا جنوى . وقد شجعت هذه المحاولات ابني منشي الطريقة على مهاجمة الترك في مسكرة ، ولكنهما فشلوا في عام ١٢٤١ هـ (١٨٢٦ م) و ١٢٤٢ هـ (١٨٢٧ م) وقتل في هذه المحاولة الأخيرة محمد الكبير وشرع محمد الصغير - الذي كان يتولى بمفرده شئون عين ماضي - في الدعوة إلى الطريقة ، وخاصة في الصحراء والسودان

١ - ترجمة منشي الطريقة : ولد في عين ماضي ، وهي قرية على مسيرة ٧٢ كيلو متراً غربي الأغواط و ٢٨٨ كيلو متراً شرق تهموت وهو من أولاد سيدى شيخ محمد ، وقد مات أبواه بطاعون عام ١١٦٦ هـ (١٧٥٣ م) . وتلقى التجاني علومه الأولى في مسقط رأسه ثم رحل إلى أبيض وأقام فيها خمس سنين . وفي عام ١١٨١ هـ (١٧٦٨ م) رحل إلى تلمسان ثم إلى مكة والمدينة عام ١١٨٦ هـ (١٧٧٣ م) ومنها إلى القاهرة ، وقد أخذ في هذه البلاد على عدد من الشيوخ وأنشأ في القاهرة - بمشورة رجل يدعى محمود الكردي - طريقة صوفية جديدة ، بعد أن كان قد اغترط في القادرية والطيبة والخلوتية ، وتعتبر طريقته فرعاً من الخلوتية . ثم عاد إلى بلاد المغرب وزار فاس وتلمسان ومنها إلى بوسمغون في الصحراء عام ١١٩٦ هـ (١٨٨٢ م) وهي واحة جنوبي كريفيل « Greyville » حيث اعتقد أنه مبعوث النبي في الدعوة إلى طريقته . وأشار عليه تلميذه على حرازيم أن يعود إلى فاس فجاءها عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) وأعطى القصر المعروف بحوش المراتب . وقضى الشطر الأكبر من حياته في الرحلة لتنظيم شئون طريقته ، وظلت مدينة فاس مقره الرئيسي حتى وفاته ودفن بزاويته فيها .

٢ - ملاباب أصحاب الطريقة ورياضاتهم : يسمى أصحاب الطريقة بالأحابيب وقد حرم عليهم الانغراط في طريقة أخرى ، ويقوم الذكر عندهم حافة على ترديد عبارات بعضها (مائة مرة في العادة) في أوقات معينة من اليوم . وقد ترجم هذه العبارات

ولدين صغيرين هما أحمد والبشر، فكفلهما رجل يدعى ريان المشرى الذى أراد فصل زاوية عين ماضى عن تماسين، مما أدى إلى الشقاق بين الزاويتين وإن لم ينته إلى قطعة حساسة. وفى عام ١٨٦٩ م أتهم الولدان بعدم موالاته الفرنسيين، فقبض عليهما وأرسلتا إلى الجزائر. بيد أنهما نجحا فى مهادنة السلطات الفرنسية، ومنذ ذلك الحين احتفظ شيوخ الطريقة بصداقة الفرنسيين،

٤ - انتشار الطريقة : وعلى الرغم من أن دعاء الطريقة أيام ازدهارها وجدوا تربة صالحة فى مصر وجزيرة العرب وبعض أجزاء آسيا فإن التوسع الحقيقى كان فى إفريقيا الفرنسية. ولقد زار محمد الحافظ بن مختار بن الحبيب الملقب بالبدى منشئ الطريقة فى فاس حوالى عام ١٧٨٠ م، وتلقى منه الأمر بنشر الدعوة بين البدو المقيمين فى الجنوب الأقصى من مراكش، وفى عودته إلى بلده عن طريق شنشيط وتيمكجة قام بدعوة ناشطة جداً للتجانية، حتى إذا كان عام ١٨٣٠ - وكانت وفاته تحول هذا التاريخ - اطمان باله بانضمام قبيلة « إدة أو على » بأسرها إلى الطريقة (Rous du : Paul Marty Monde Musulman ، العدد ٣١ ، ص ٢٣٩) ،

وكثر دخول الناس فيها أيام خلفه المتوفى عام ١٨٠٧ م. وكان أفراد الطريقة يقومون بفريضة الحج إلى مكة لا يردهم ضئ عائق، فأضافوا الحج إلى فاس لزيارة قبر المثنى، وكانوا يقومون بذلك عادة قبل توجههم إلى مكة. وانتشرت الطريقة فى غيابة الفرنسية على يد الحاج عمر بعد عودته من مكة إلى

إبراهيم على بن عيسى الذى بنى فى تماسين، وكللت هذه الجهود بالنجاح، وعلى الرغم من أن قوة الجماعة واثروها كانتا فى ازدياد إلا أن كلا من على وعمر لم يمسرا على القيام بأى محاولة حرية، ومن ثم رفض التجانية المعونة التى طلبها منهم المقدم الدركاوى للجهاد عقب الفتح الفرنسى للجزائر. وفى عام ١٢٥١ - ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) حاول الأمير عبد القادر - الذى كان يرمى إلى طرد الفرنسيين - أن يضم التجانية إليه، ولكن شيخ التجانية أكر أن يحيا حياة دينية واحدة. واستمرت المراسلة بينهما زمناً طويلاً فى غير طائل، فتقدم الأمير عام ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) على رأس جيش إلى أسوار عين ماضى وطلب التسليم من شيخ التجانية فأبى : وعلى الرغم من الصفات فى العهد بين القوتين استمر شيخ التجانية فى المقاومة ثمانية أشهر، وقام الأمير بعدة حملات لإخضاع عين ماضى منيت بالفشل لدهاء الشيخ وأصحاب مشورته : ولا رأى التجانى أن المكان لا يقوى على المقاومة طويلاً لجأ إلى الأخطاء : وذاعت شهرة الطريقة لطول ما أبداه أفرادها من المقاومة : وفى العام التالى (سنة ١٨٤٠) قدم التجانى مساعده المادية والمعنوية إلى المارشال فاليه ضد الأمير عبد القادر : وسكت كذلك على بن عيسى - الذى ظل فى تماسين - عن مناهضة الفرنسيين، وبموته عام ١٨٤٤ م تركت مقاليد الطريقة لابن منثنى الباقي على قيد الحياة الذى توفى عام ١٨٥٣، وخلفه محمد العائد حفيد على بن عيسى :

ومات محمد العائد ثالث شيوخ الطريقة عن

« التجنيس » أو الجناس : كلمة عربية
(Paronomasia) وهى اصطلاح بلاغى فى البليغ
يقوم على المحسنات اللفظية بأن يؤتى فى الجملة الواحدة
بكلمتين تتشابهان أو تكادان تتشابهان فى اللفظ
وتختلفان فى المعنى مثال ذلك العبارة اللاتينية :
Amantes sunt Amantes

(١) والجناس التام هو أن تتفق الكلمتان فى
أنواع الحروف وأعدادها وهياتها وترتيبها .

«أ» فإن كان من نوع واحد كاسمين أو فعلين
أو حرفين سمي « بمثالا » نحو قوله تعالى « ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة »
سورة الروم الآيات ٥٤ ، ٥٥ .

«ب» وإن كانا من نوعين كاسم وفعل ، أو اسم
وحرف ، أو فعل وحرف ، سمي « مستثنوق » نحو
قول أبى تمام :

من مات من حدث الزمان فإنه

نجيا لدى يحيى بن عبد الله

(أبو تمام ، الديوان ، بيروت سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٤١)

(٢) فإن كان أحد لفظيه مركباً والآخر بسيطاً
سمى « جناس التركيب » :

«١» ثم إن اتفق اللفظان المركب والبسيط فى
الخط سمي الجناس متشابهاً كقول أبى الفتح البستي :

إذا ملكك لم يكن ذا هبة

فدعه فذلكه ذاهبه

دِكْرِ اِى الى أصبحت من أم المذ القلمة فى هذه
المنطقة . وحلت عقائد التجانبة على القادرية حيناً
تكون . (المصدر المذكور : العدد ٣٦ ، ص ٢٠٢) .

٥ - مصنفات الطريقة : وأهم كتاب يجمع
ملاهم ورياضهم هو « جواهر المعاني وبلوغ
الأمانى فى فيض الشيخ التجانى المعروف كذلك
بالكنشاش » (القاهرة عام ١٣٤٥) ويقال إن هذا
المصنف من إملاء مشي الطريقة على حرّازم وهو
أهم مرجع عن سيرته . وقد أسحق ديون وكوبولانى
المصنفات الأخرى (ص ١٨ التعليق) وكذلك فعل

لئى پروفنسال (Les Historiens : Lévi Provençal
de shofa ، باريس سنة ١٩٢٢ ، ص ٣٧٧) :

وهناك مجسم يضم أحيان الطريقة عنوانه
« كشف الخجاب عن من تلقى مع التجانى من
الأصحاب » صنفه أبو العباس أحمد بن أحمد
البيضاوى سكتيبرج ، (فاس سنة ١٣٢٥ ، ١٣٣٢)
المصادر :

- (١) Rous Afric ، عام ١٨٦١ ، ١٨٦٤ (المواد
الى كتبها أرنود Arnaud) (٧) L. Rina
Marabouts et Khonans ، ص ٤١٦ - ٤٥١ (٣)
Confréries: Depont et Coppolani ، ص ٤١٣ - ٤٤١
Les Sociétés Secrètes : L'Abbé Rouquette (٤)
chez Les Mawlsmans ، سنة ١٨٩٩ ، ص ٣١١ - ٣٧٢
P. Marty ، فى R. M. M. (المذكور آنفاً)
Histoire Générale de l'Al-: Henri Garrot (٦)
الجزائر سنة ١٩١٠ ،

[ماركوليوت D.S. Margoliouth]

« د » وقد غفلنا زيادة أكثر من حرف
في أحدهما كقول الخفاء :

إن الكاء هو الشفا

« من الجوى بين الجوانح

« ب » وإن اختلفا سمي « مفروقاً » كقول أبي
القحح أيضاً :

كلكم قد أخط الجا م ولا جام لنا

ما الذى غير مدير ال جام لو جامكتنا

(ديوان الخفاء طبعة بيروت سنة ١٨٩٦)

« ص ٢٥ » ودعا سمي هذا الضرب « مكبلاً »

٣ - وإن اختلفا في أنواع الحروف

اشتراط الألف في الاختلاف بأكثر من حرف

(١) ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين

سمى الجناس « مضارعاً » وهو على ثلاثة أوجه ١

« أ » أن يكون الحرفان المختلفان في الأول

كقول الحريري « بينى وبين كنى كبل داس

وطريق طامس » (مقامات الحريري طبعة

ده ساسي ، لقامة ١٦ ، ١٨٥)

« ب » أو يكونان في الوسط كقوله تعالى

« وهم يهتفون عنه ويهتفون عنه » (سورة الأنعام ،

آية ٢٦)

« ج » أو أن يكونا في الآخر كقول النجاشي

« الخيل مقود في لواصها الخمر » (وهذا

الحديث في البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه)

(٢) وإن كانا غير متقاربين سمي الجناس

« لاحقاً » وله ثلاثة أنواع :

« أ » أن يكونا في الأول كقوله تعالى « ويل لكل

همزة حمزة » (سورة المزة ، آية ١)

٢ - (١) وإن اختلفا في هئات

المحروف سمي « محرفاً » لاخراف كل منهما عن

الآخر كالبرد والبرد في قولم جبة البرد وجبة البرد

« وكسفرط ومكسفرط في قولك « الجاهل (١) إما

مكسفرط أو مقسط « ويلاحظ أنه لم يلتفت إلى التشديد ،

كقولهم « البلدة شريك الشريك »

(٢) وإن اختلفا في أعداد الحروف

فقط بأن زاد أحدهما عن الآخر حرفاً أو حرفين

سمى الجناس « ناقصاً »

« أ » وهو إما زيادة حرف واحد في الأول

كقوله تعالى : « والفت الساق بالساق إلى ربك

يوئمل المساق » (سورة القيامة ، آية ٢٩)

« ب » أو زيادة حرف في الوسط كقولهم

« جندى جهلى »

« ج » أو بزيادة حرف في الآخر كقول

أبي تمام :

يعلن من أيدى عواضير عراصم

تصول بأسيات قواضير قواضيب

وقد يسمى هذا بالجناس المطرف

(١) في التوضيح للقرطبي ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، طبعة القاهرة ؛

« الجوهول » بدلاً من « الجاهل »

٦ - ولجناس شرطان :

(١) أن يجمع اللفظان الاشتقاق كقوله تعالى « فأنم وجهك للدين القيم » (سورة الروم ، آية ٤٢) فاللفظان « أنم » و « القيم » مشتقان من قام يقوم ،

(٢) أو يجمعهما المشابة وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به ، كقوله تعالى « قال إنى لعلمكم من القالين » (سورة الشعراء ، آية ١٦٨) « قال » و « قالين » لا يجمعهما اشتقاق واحد .

ب « أو في الوسط كقول البحري (ديوانه ، طبعة القاهرة ، عام ١٩١١ ، ج ٢ ، ص ١٠٨) :

لست عن ثروة بلغت مداها

غير أنى امرؤ كفى كفاى

ج « أو في الآخر كقوله تعالى « وإذا جامهم أمر من الأمن أو الخوف . . . » (سورة النساء ، آية ٨٥)

وقد أنشأ أبو القتض البسي « التجنيس الأليس البليغ التأسيس » وهو مجموعة حكم أو جمل نحوى ألقاظاً متشابهة أو تكاد ، ولكنها تختلف في المعنى ، وقد أورد فقرات منها طاشكبرى زادة في مصنفه « مفتاح السعادة » (ج ٢ ، ص ٢٢٩)

المصادر

(١) محمد علي بن علي البهائى : كشاف اصطلاحات الفنون ، الآستانة سنة ١٣١٧ هـ ص ٢٤٨ (٢) فخر الدين محمد بن عمر الرازى : نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز ، القاهرة سنة ١٣١٧ هـ ، ص ٢٨ (٣) صلاح الدين الصفدى : جنان الجناس ، الآستانة سنة ١٢٩٩ هـ (٤) الجرجاني : المعريفات ، الآستانة ، ص ٣٥ (٥) الشريفي :

شرح المقامات ، بولاق سنة ١٣٠٠ هـ ، ج ١ ، ص ٣٦٩ (٦) أبو القتض نصر الله بن محمد ابن عبد الكريم الموصلى : المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ، القاهرة ، سنة ١٣١٢ هـ

٤ - وإن اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمي « جناس القلب » كقولهم « حكامه فتح لأوليائه حلف لأعدائه » . وهو ضربان :

(١) قلب الكل إذا كان الاختلاف في ترتيب جميع الحروف ، كما جاء في الخبر « اللهم أسر عوداتنا وآمن روعاتنا »

(٢) وقلب البعض عند ما يكون الاختلاف مقصوراً على ترتيب بعض الحروف ، فإن وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي « مقولوباً مجتسماً » كقول بعضهم : « لاح أنوار الهدى من كفه في كل حال »

ج « وإذا ولي أحد المتجانسين الآخر سمي الجناس مزدوجاً ومكرراً ومردداً كقوله تعالى « وجعلك من صباً نبياً يقين » (سورة النحل ، آية ٢٢)

- ص ٩٨ (٧) أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري :
 كتاب الصنائع ، الآستانة سنة ١٣٢٠ هـ ،
 ص ٢٤٩ (٨) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم
 العلوي البجلي : كتاب الطراز ، القاهرة سنة
 ١٣٢٢ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ (٩) أبو يعقوب
 يوسف السكاكي : مفتاح العلوم ، القاهرة سنة
 ١٣١٨ هـ ، ص ١٨١ - جناس ، تجويد -
 (١٠) طاشكبرى زاده : مفتاح السعادة ، حيدر آباد
 سنة ١٣٢٩ هـ ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ج ٢ ، ص ٣٣٩
 (١١) عبد الهادي نجا الأياري : سعود المطالع ،
 بولال سنة ١٢٨٧ هـ ، ج ١ ، ص ٣٠١ (١٢) ابن رشيقي :
 العملة ، القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، ١٩٠٧ ، ج ١ ،
 ص ٣٠ (١٣) أبو منصور التماري : فقه اللغة
 وأسرار العربية ، القاهرة سنة ١٣١٧ هـ ، ج ٢ ،
 ص ٣١٤ (١٤) قاسم البكرجي الحلبي : حلية
 البديع في مدح النبي الشريف ، حلب سنة ١٢٩٣ هـ ،
 ص ١٤ (١٥) عبد الحميد قدس بن محمد علي
 ابن الخطيب : طالع السعد الرفيع في شرح
 نور البديع على نظم البديع ، القاهرة سنة ١٣٢١ هـ ،
 ص ١٢ (١٦) ابن حجة الحموي : خزانة الأدب ،
 سنة ١٣٠٤ هـ ، ص ٢٠ (١٧) عبد الله النابلسي :
 نفحات الأزهار على نسيات الأسفار ، بولاق
 سنة ١٢٩٩ هـ ، ص ١٢ (١٨) جلال الدين
 القزويني الخطيب : تلخيص المفاتيح مع تعليقات
 لمحمد الرحمن البرقوق ، القاهرة ١٣٢٢ هـ ، ١٩٠٤ ،
 ص ٣٨٧ (١٩) سعد الدين الفتازاني : مختصر
 الحافى ، الآستانة سنة ١٣١٨ هـ ، ص ١٩٣
 (٢٠) الكاتب نفسه : المطول ، سنة ١٣٠٤ هـ ،
- ص ٤٤٥ (٢١) سعد الدين الفتازاني : مختصر
 على تلخيص الفتاح (٢٢) ابن يعقوب المغربي :
 مواهب الفتاح في شرح تلخيص الفتاح (٢٣) بهاء
 الدين السبكي : عروس الأفراح في شرح تلخيص
 الفتاح بالمأش (٢٤) الخطيب القزويني : الإيضاح
 (٢٥) اللسوي : حاشية على مختصر الفتازاني ،
 بولاق سنة ١٣١٧ هـ ، ج ٤ ، ص ٣٢٢ (٢٦) شمس
 الدين محمد بن قيس الرازي : المعجم في معابر
 أشعار الأعجام ، لبنان سنة ١٣٢٧ هـ ، ١٩٠٩ م
 ص ٣٠٩ (٢٧) عبد الرحيم بن عبد الرحمن
 ابن أحمد العياشي : معاهد التنصيص في شرح
 شواهد التلخيص ، القاهرة سنة ١٣١٦ هـ ، ج ٢ ،
 ص ٦٩ - ٨٢ (٢٨) Garoin de Tassy :
Rhetorique et prosodie des langues de l'Orient
musulman : باريس سنة ١٨٧٣ ص ١٢٠ وما بعدها
 (٢٩) *Les sciences de Hariri* : de Sacy :
 سنة ١٨٤٧ - ١٨٥٣ ، ص ٨٠ ، ٢٦٨
- [محمد بن شنب]
- « التجويد » : كلمة عربية تطلق على فن
 قراءة القرآن بإعطاء الحروف حقوقها لكي
 ينطق بها في غير عسر أو إفراط أو قوة أو ضعف
 أو لين أو إمالة أو تضخم أو ترقيق . وكيفيات
 التجويد ثلاث إحداها « الترتيل » وهو القراءة
 في توبة ، وثانيها « الحذر » وهو سرعة القراءة ،
 والثالثة « التلوين » وهو التوسط بين المقامين
 و « التجويد حلية القراءة » وهو يقتضي علم

الوقوع في الحن ما عند قامة آى الذكر الحكيم .
ويتطلب التجويد إلى سباب دراسة خارج الحروف
معرفة قواعد الوقف والإمالة والإدغام . والحروف
على ضربين :

١ - « المستعيلة » وسميت كذلك لأن

اللسان عند النطق بها يرفع إلى أعلى الحنك ، وعده
الحروف هي : الحاء والصاد والضماد والطاء والظاء
والعين والقاف . وكلها مقحمة ، وإن كانت
الصاد والضماد والطاء والظاء أفخم من الأخرى .

٢ - « المستعيلة » وسميت كذلك لأنها للسان

عند النطق بها يترل إلى أسفل الحنك . ويطلق عليها
أيضاً الحروف البسطة ، لأنها كلها مرفقة لا يجوز
تفخيمها إلا الراء واللام في الأحوال الآتية : تفخم
الراء المضمومة أو المفتوحة ، ولا تفخم المكسورة
بكسرة أصلية أو عارضية ، أو كانت ساكنة
مسيبقة بكسرة أصلية ، أو كانت الراء والكسرة
في كلمة واحدة ولم تكن قبل حرف من الحروف
المستعيلة . أما اللام فلا تفخم إلا في « الله » و « اللهم »
بعد فتحة أو ضمة في نحو « قال الله أو قال اللهم
أو يقول الله أو يقول اللهم » والنون والتونين
إذا كانا متطرفين وأعقبهما حرف من حروف
الحلق فلأنهما تحتفظان عقهما في النطق . وحروف
الحلق الستة هي : الحاء والحاء والعين والظاء والهمزة
والهمزة . وتقلب النون والتونين إلى حرف مائل
لحرف الذى يأتى بعدهما إذا كان هذا الحرف
نونا أو واواً أو ميا أو واء أو ياء بفتحة لإمالة الراء ،
لما إذا كانت الكلمة التى تتأثر بهما منبهة بحرف

آخر فلا تنطق بالنون والتونين على أصلهما ،
وهما يدعمان إدغاماً خفيفاً ، وكذلك الشأن مع
الميم الساكنة التى تدغم في الميم بعدها . وتخفف
إذا أعقبها ياء متحركة . أما في الحالات الأخرى
فتأخذ حقوقها في النطق

والإدغام على ضربين :

١ - « كبير » إذا كان الحرفان متحركين
نحو « ماسلككم » (سورة المدثر، الآية ٢٣) ، فلها
تنطق « ماسلككم » .

٢ - « صغير » إذا كان الحرف الأول
ساكناً والثانى متحركاً .

ووجب ألا يغيب عن الال أيضاً أن لام
التعريف تقلب إلى حرف مائل لا بعدها وتلغم
فيه إذا كان هذا الحرف شمسياً ، وتعد الحركة
إذا كان في الكلمة ألف أو واو أو ياء مسبوبة
بحركة من نوعها ، أما إذا سبقت الواو أو الياء
فتدخه فلأنهما تصبحان حرفي لين ، ويجوز إظهار
الهمزة أو إخفاؤها في الحالة الأخيرة ، وتقل
حركاتها إلى الساكنين قبلها ، فإذا كانت الهمزة
ساكنة ، لا عن ترشيم ، فيجوز أن تقلب إلى
حرف مد من نوعها . وتلأن الهمزة ليناً غير كامل
إذا لم تكن مسبوبة همزة متحركة . وتشبه حركة
الهمزة الثانية السكون والواو إذا كانت مسبوبة
بضممة « أوْتَيْسَكُم » ، والياء إذا كانت مسبوبة
بكسرة نحو « أَيْلَا » ، والألف إذا كانت مسبوبة
بفتحة نحو « أَأْتِ » : وتسقط الهمزة الثانية إذا كانتا

المقدمة الجزرية لوكربا الأنصارى ، القاهرة ،
سنة ١٣٤٣ هـ (٤) سليمان الجسّورى : فتح الأفعال
بشرح تحفة الأطفال ، وإليه كتاب فتح الرحمن
في تجويد القرآن ، القاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (٥) الشيخ
طاهر الجزائري : تدريب اللسان على تجويد البيان ،
تم عام ١٣٢١ هـ ، بيروت في تاريخ غير معلوم
(٦) الشيخ متولى : فتح المعطى وغنية المقرئ
في شرح مقدمة ورش المصرى ، القاهرة سنة
١٣٠٩ هـ (٧) أبو ريمّة : هداية المستفيد في أحكام
التجويد ، القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ (٨) الجرجاني :
التعريفات ، مادة ترتيل (٩) البستاني : محيط المحيط ،
مادة تجويد ، ج ١ ، ص ٣١٤ (١٠) عبد النبي
ابن عبد الرسول : جامع العلوم ، حيدر آباد
سنة ١٣٢٩ هـ ، ج ١ ، ص ٢٧٤ (١١) ابن القاصح
مرآة القارئ المبتلى وتذكّار القارئ النسي ،
شرح حرز الأمانى ووجه الهانى الشاطي ، القاهرة
سنة ١٣٤٢ هـ ، ص ٣٦ - ١٢٠ بصفة خاصة .
[محمد بن شنب]

«تجيب» ، بنو : أسرة عربية برز حلة
أفرادها إبان حكم المسلمين للأندلس في عهد ملوك
الطوائف وفي عهد الخلفاء الأمويين . وقد تفرعت
منها هذه الأسرة فخرج من بنو هاشم ومقرهم قرطبة ،
وبنو صنادج ومقرهم المرسية . وقد استقرت أسرة
بنو نجيب في أرغون عند الفتح . وكان على رأسها
في عهد الأمير محمد الأول البلى حكم من عام
٢٣٩ هـ إلى عام ٢٧٣ هـ . (٨٥٢ - ٨٨٦ م)

متحركين بحركة من نوع واحد وكانتا في كلمتين
نحو « جاء أجلكم » . ومع أن المصاحف فيها
علامات تميز الآى بعضها من بعض فإنه لا يوقف
عندها : ولا يحدث الوقف إلا إذا كان معنى
الآية أو الآيات تاماً . وقد جرت القاعدة في المصاحف
الجيدة أن تبين فيها المواضع التي لا يجوز الوقف
عليها : لا (أى لا وقف) فإذا وقف على كلمات
مثل « هن » ، « ميم » ، « حَم » ، زيدت هاء ساكنة (تسمى
الهاء الصامتة) : وبعض القراء يعيد الياء المتطرفة
في نحو هاء ، « واق » : إلخ : في حين يغلف آخرون
التنوين والحركة ويقولون « هاد » ، « واق » : إلخ :
وإذا كانت الكلمة الموقوف عليها منتهية بهزة
مسبوقة بياء أو واو قلبت الهزة إلى حرف مماثل
وأحدثت فيه فيقال مثلاً « يرى » : بدلاً من « يرى »
ونخاصة بعد هزة : والفتحة المنونة في المفعول
تقلب ألفاً ، وتقلب تاء التانيث عند الوقف إلى هاء
ساكنة : وتختلف الحركة في الكلمة المنتهية بحرف
متحرك أو تضعف بالروم أو تنطق مثل الله الفرنسية ،
وهذا هو الإشمام : ومع ذلك فالإشمام لا يجوز
في الكلمات المنتهية بالكسرة ، ويقول بعضهم إن
الروم والإشمام لا يحدثان إلا مع الضمة

المصادر :

- (١) السيوطي : الإتقان ، القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ ،
ج ١ ، ص ٨٧ - ١٠٥ (٢) البهائى : كشاف
اصطلاحات القرآن ، الآستانة ، ج ١ ، ص ٢١٦
(٣) حلى بن سلطان القارئ : المنح الفكرية على
من الجزرية وعلى هامشه الدقائق المحكمة في شرح

فيها بقية عمره حيث عاش مدفوناً هو وأبنائه من بعده .

المصادر :

(١) فصل دوزى الكلام عن تاريخ بني نجيب ،

انظر *Essai sur l'histoire des Todjibides* : Dozy

les Beni-Hachem de Saragosse et les Beni Gomadik

Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Almohade

de l'Espagne pendant le moyen-âge ، باريس - لندن

سنة ١٨٨١ ، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢٨١ (٢) ابن

خلار : البيان المغرب ، طبعة ليثي بروفنسال ،

باريس سنة ١٩٣٠ ، ج ٢ ، وفي مواضع أخرى (٣)

باريس سنة ١٩٢٦ ، ص ٤٣ - ٤٥ ، ٦١ - ٦٢ (٤)

سنة ١٩٢٦ ، ص ٤٣ - ٤٥ ، ٦١ - ٦٢ (٤)

Histoire des Musulmans d'Espagne : R. Dozy

لندن سنة ١٨٦١ ، وفي مواضع أخرى ؛

[ليثي بروفنسال E. Lévi-Provençal]

« التحريف » (١) تغيير المكتوب تغييراً

يبين الملوك الأصل (٢) . ولهذا التغيير وجوه

ثلاثة ، فقد يكون تغييراً مباشراً لصيغة مكتوبة ،

وقد يكون بالتصرف تصرفاً تصفياً في ثلاثة

صيغة صحيحة في ذاتها ، إما بحذف أجزاء

أو بإدخال الحشو عليها أو بتفسيرها تفسيراً يخرجها

عن أصل ملولها ، والذي حدث بالملسين إلى

الاشتغال بهذه الفكرة هو ما جاء بالقرآن من آيات

اتهم فيها محمد اليهود بتغيير ما أنزل إليهم من

عهد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي ، الذي

اعترف صاحب قرطبة بسلاطنته على قومه محاولاً

بذلك أن يقضى على سلطان أسرة بني قسي ،

وهي أسرة تلمبي في الأصل إلى القوط الغربيين

ومقرها أرغون . وليرجع القارئ إلى مادة

سرقسطة إذا أراد الوقوف على طرف من اختيار

بني نجيب الذين أصبحوا بعد ذلك أصحاب

قرطبة ، وعن بني هاشم الذين كانوا في ذلك الوقت

سكاناً مستقرين لسرقسطة وظلوا كذلك إلى أن

انتزع منهم البرش وأعطى ليثي هود .

أما الفرع التجيبي الآخر وهو بنو صباح

فقد طردهم أحفاد عبد الرحمن التجيبي من أرغون

من زمن متقدم . وفي النصف الأول من القرن

الثامن الهجري نجح أبو الأصبع معن (انظر

هذه المادة) بن محمد بن أحمد بن صباح التجيبي

رأس الفرع الآخر للأسرة في الاستحواذ على

إمارة المرية الصغيرة التي أسسها عام ١٠٢٩ الثاني

من الصغالة ما خيران وزير . وتوفي أبو الأصبع

عام ٤٤٣ هـ (١٠٥٢ م) خلفه ابنه أبو يحيى محمد

وتلقب بالمعصم ، وكانت سنة وفاته أربع عشرة

سنة ، وظل عمه صباح بن محمد وصياً عليه ثلاث

سنوات ، وحكم أبو يحيى المرية إلى أن توفي عام

٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) وكان عهده الطويل في إيجاز

عم فيه الرخاء ، إذا أخذنا ما رواه مؤرخو العرب .

وخلفه ابنه أحمد ممر الدولة ، غير أنه سرعان

ما اعتزل العرش لقدم المرابطين . ولما غزا

المرابطون إشبيلية ذهب أحمد إلى بجاية وأبقى

كلياته ، ولعل فكرة مخلوقة عن هذا التغيير لم تكن عنده ، فقد كان معنياً بالوقائع ذاتها أكثر من عنايته بكيفية حدوثها (١٢) . وقد تضمنت الآية ٧٣ (١٣) من سورة البقرة اتهاماً مباشراً بأنهم زيفوا النصوص (فويل للذين يكتبون للكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) ومن جهة مضادة يلوح أن الآية ٧٨ من سورة آل عمران قد أشارت إلى تغيير النص عند قراءته « وإن منهم لفرقة يلون ألستهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » .

وجاء في الآية ٤٩ من سورة النساء « يحرفون الكلم عن مواضعه » واكتفى في آيات أخرى بأن اتهم اليهود بأنهم يكتبون كل ما أنزل الله من اليبينات والهدى في الكتاب (سورة البقرة ، الأيتان ١٥٤ ، ١٦٩ (١٤) ، وقد حصر عن ذلك بطريقة خاصة في الآية ٩١ من سورة الأنعام ، فقد جاء فيها « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتحفون كثيراً ... » وإنما يدل ذلك في نظره على أنهم كلما حاجتوه عملوا إلى حلف الفقرات التي تثبت بصدق نبوته . ويسوق لنا شواهد في الآية ١٥٦ من سورة البقرة . والآية ١٦ من سورة الأعراف (١٥) ، وهي ليست واضحة لسوء الحظ . وهو يقول إنهم استبدلوا كلمة « حطة » بكلمة أخرى مما جر عليهم صادم العقاب . - ويعد أن تكون الشواهد الواردة في الآية ٩٨ من

كتب وبخاصة « التوراة » مستعملا التعبير « حرفوا » (انظر مادة « القرآن ») . وكان هذا الاتهام في الواقع الطريقة الوحيدة لإخراج محمد من مأزق خطير حين احتك في المدينة باليهود . فقد سعى منذ بدء رسالته إلى الحصول على تأييد أهل الكتاب يهوداً ونصارى ، لاقتناعه بأن ما جاء في المهديين القديم والجديد يتفق وما دعا إليه مما أنزل عليه . ولكن عرضه للوقائع والشرايع التي جاءت في التوراة انطوى على إدراك خاطئ آثار عليه النقد والسخرية من جانب اليهود فكان في نظرهم مبطلا . ولو أن ما استعرضه من الآراء كان مناقضاً لما أنزل في الكتب المقدسة القديمة لانتفت دعواه فيها يؤكد من أنه صاحب رسالة إلهية . ولما كان اعتقاده أنه رسول موسى إله قويا لا يتزعزع ، لم يبق له غير مخرج واحد ، ذلك أن اليهود عملوا آثمين إلى تحريف الكتاب وأنه هو الذي أتى بالنص الصحيح (١٦) ، وهي دعوى جريئة يسرها عليه أن هذه الكتب كانت مجهولة تماماً من أتباعه المؤمنين بصدق كلماته (١٧) : وهنا موضع المناسبة التي يستعمل فيها محمد لفظ حرف (سورة البقرة آية ٧٠) ؛ سورة النساء ، الآية ٤٨ (١٨) ؛ سورة المائدة ، الآية ١٦ (١٩) ، ٥ (٨) أكثر من استعماله للمرافد لوى (سورة آل عمران ، آية ٨٢ (٢٠) ؛ سورة النساء ، آية ٤٨ (٢١)) أو كلمة أخرى أخص دلالة على المعنى وهي بذلك (سورة البقرة، آية ٥٦ ؛ سورة الأعراف آية ١٦ (٢٢)) أما كيف صور لنفسه هذا التغيير فلم يتضح من

كما كانوا يكلفون في مصنفاتهم الجدلّة ، تناول
تهمة التحريف والتبديل والتعير . فظل مصمم
عند الفكرة التي شاعت في القرون الأولى التي
أعقبت وفاة محمد ومؤداها أن اليهود قد حرّفوا
فصلا نص الكتاب . ومن أنصار هذه الفكرة
المتحمسين لما أبو محمد علي بن حزم الأندلسي
المترق عام ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) . والرأى المقابل
لهذا تماماً هو ما أخذ به آخرون من أن نصوص
الكتاب لم تمس وإنما يرجع اختلاف آراء اليهود
والتنصاري إلى الخطأ في تفسير الآيات التي نحن
بصندها .

وسكان من أول الأتطين بهذا الرأى القامم
ابن إبراهيم المترق عام ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م) وهو من
زبدية اليمن ، في رسالته الجدلية التي هاجم فيها
التنصاري . ونخص بالذكر من تلاميذه المتأخرين
المؤرخ العظيم ابن خلدون ، ولقد نشأ — كما هو
الشان في كل خلاف — رأى يتوسط بين الرأيين ،
قد سلم البعض بأن اليهود والتنصاري قد حرّفوا
بالفعل نصوص الكتاب ولكنهم ضيقوا من نطاق
هذا التحريف إلى الحد الأدنى . والرأى الأول
من هذه الآراء المتباينة هو من غير شك أبسطها
وأقربها إلى المنطق لأنه يرتكز على الأمر الأول الذي
نحدثه — وقد أحسنه بالفعل في صدر الإسلام —
كلمات القرآن ، ولكنه أدى إلى نتائج على جانب
من الخطورة كبير ، وهو ما أخذت الأذهان
تتركه تدريجاً . فصد ما يحمل المرء دائماً على أن
يعرض لإمكان حدوث التحريف في الكتب المترلة

سورة القرة والآلة ٤٨ من سورة النساء مستخرجة
من الكتاب (١٧) .. وفي المأثور أن من الآيات
المكتوبة ما نص على حد الزنا بالرجم (ابن هشام ،
ص ٣٩٤ وما بعدها) وعلى وصف محمد بأنه
النبي المنتظر (ابن هشام ، ص ٣٥٣) وكان
طبيعياً أن يرى النبي التنصاري بالتحريف أيضاً ،
فقد قرر أنهم هم الآخرون حرّفوا آيات كتابهم
الشاهدة على صدق رسالته (انظر الآلة ١٤١ من
سورة البقرة التي تشير إلى الذين أوتوا الكتاب ،
وانظر كذلك الآلة ٦٤ (١٧) من آل عمران ،
وانظر فيما يخص بالتبشير بمجيء محمد : ابن هشام ،
ص ٣٨٨) وما يقوم على تحريفهم الكتاب عبادتهم
أيضاً لعيسى التي أنكرها وعقيدة التثليث (سورة
المائدة ، الآلة ١١٦) ، وما يتوقف النظر أن
مخصومه استطاعوا أن يهيموه بتبديل ما أوحى إليه
(سورة يونس ، الآلة ١٦ (١٨)) . والحق إنه
قد دافع عن نفسه بقوة فيما أهيموه به من أنه بدل
ما أوحى إليه ، ولكن لم يفت في عضله ما وقع
قبل ذلك أكثر من مرة من نسخ بعض أحكام
القرآن صراحة في الآلة ١٠٣ من سورة النحل
إلى أن الله « بدل آية مكان آية » ما لم يفت مخصومه
أن يأخذوه عليه (١٩) وكان من نتيجة الطريقة
للبهة التي تحدث بها محمد في القرآن عن تحريف
الذين أوتوا الكتاب للتوراة والإنجيل أن ذهب
علماء المسلمين مناهب شتى في تهديم للحقائق
التي يقوم عليها هذا الإلهام ، وكان هؤلاء العلماء
قد أصبحوا على الأيام أكثر إحاطة بهذين الكتابين

Polenische u. apologetische Literature in arabischer Sprache (*Abhandlungen fuer die Kunde des* *Z. Gesch. M. Schreiner*) ٦ (٣) *(Morgenlandes der Polemik zw. Juden u. Muhammedanern, Z. D. M. G.* ٤٧ ، ص ٩١ وما بعدها *Tahrif od alterazioni : Di Matteo* (٤) *della Bibbia secondo il musulmani, Betzarione* السنة السادسة والعشرون ، ج ٧٨ ، ص ٦٤ — *Adah. Stud. : Goldziher* (٥) ١١١ ، ٢ ، ٣ وما بعده (٦) *الكتاب. نفسه : Die Richtungen der islamischen Koranauslegung* ٢٧٢ ، ٢٨١ [بول Buhl]

تعليقات على مادة «التحريف»

حول المنهج : نشر دائرة المعارف الإسلامية في العربية وتعليق المشاركة عليها صورة خاطئة من تلاقى الشرق والغرب ، وتعارفهما على حكمة البحث العلمى ، أو هنا ما يجب أن يكون — على الأقل — ولا ينبغي أن يكون غيره ، وإذا ما جاء الغرب بطريقة المجد ، وجاء الشرق بتقليد المتجدد فقد وجب أن يمرر المنهج ، وتسلم أساليب الدرس ، وما له صلة بالاعتقاد ، من موضوعات الدائرة ببلق الأمر فيه ، *«مختصر من الخلفيات النفسية»* ، والنزعات الإيجابية ، أن تؤثر عليه ، منها مجهد الكاتب في التخلص من ذلك ، والاحتياط له .

والمترضى مثل هذه الموضوعات من الهائرة ، إما رجل غلبه وجدانه ، وأبرزه عاطفته ، سواء :

القدمة فإن هذه الكتب تفقد الكثير من قيمتها ، وليس من شك في أن الآخذين بهذا الرأي يصفون من شأنها عادة ويجعلون الناس من الرجوع إليها ، ولكن هنا يجعل المرء يصطدم بمسألة من مسائل الجدل توفر عليها المتكلمون في حماسة . وهي التبشير في الكتاب (انظر مثلاً : سفر التوراة الثانية ، الإصحاح الثامن عشر ، الآية ١٥ (٢٠)) نجيء محمد بوصفه النبي المنتظر ، لأن هذا يتضمن بطبيعة الحال حجية الآية التي نحن بصددها ، وكان لهذا العامل من الأثر ما جعل المتشككين في الأخذ بهمة التحريف في صورتها التصفية قلة ، غير أنه كان لهذه الهمة في صورتها المعتدلة شأن جوهري . في حاجة المسلمين لليهود والنصارى ، ومن شواهد ذلك ما رواه داوى Doughty من أنه كثيراً ما سمع هذا الاهتمام في حديثه مع العرب *Travels in Arabia : Doughty* ج ١ ص ٢٩٨ ، *Adakka : Hurgrenje* ، ج ٢ ، ص (٢٠٤) .

وقد أثبتت همة التحريف فيها وقع من جدل بين الفرق الإسلامية المختلفة . فالشيعة يصرون عادة على أن أهل السنة قد حلفوا وأثبتوا آيات في القرآن بغية عو أو تفنيدها ما جاء فيه من الشواهد مجزأة المذهب . وقد كمال أهل السنة بطبيعة الحال نفس الهمة للشيعة (٢١) .

المصادر :

(١) *Z. D. M. G. : Goldziher* ج ٣٧ ،

ص ٢٤١ وما بعدها (٢) *Steinschneider* :

علمه ، للذين عنده مجاله ومنهجه ، ولعلم مع ذلك ميدانه ومسلكه ، فهو يحاول - ما استطاعت القوة البشرية - أن يخوض البحث العلمي تريها ، خلتها للحق ، لا يقف عند مسلم ، بل يمشى إلى أقصى حدود الشك ويطلب البرهان لا يقبل شيئاً بدونته ، وهو يشعر بحفايا التوازن الاعتقادية ، فلا يدهها تجر على تحقيق ، أو تصد باطمئنانها تعمقا ، أو توقف عن تثبت . وصاحب هذه الشخصية هو الذى يترك للدنيا شيئاً من العلم يبق ليقراً ويقنع على الناس سبل استفادة ، وطرق صواب ،

وتسألنى : أى هؤلاء الثلاثة الرجال كان صاحب مادة «تحريف» في دائرة المعارف ، فأتركك ترتقى في هذا رأيك - وكل ما أشير إليه والحديث حول المنهج - هو عبارات وردت في المقال مثل : « أنهم فيها محمد اليهود » ومثل « أما كيف صور هو لنفسه هذا التغير » ومثل « الطريقة المهمة التى تحدث بها محمد في القرآن » وما إلى ذلك من عبارات وإشارات مشبهة لما ذكرته ، فإنها كلها لا يجوز إلى بحث علمي مطلقاً ، وكان إيسر الرعاية المؤيدة لمواطن الملايين من أصحاب الشؤون الإسلامية مما يقضى بتجنبها . إن هذه العبارات والإشارات وأمثالها ما هى إلا عقيدة مخالفة لأصحاب هذه الشؤون الإسلامية ، وليست دائرة المعارف مجال إعلان هذه العقيدة المخالفة ، والعناية . مثل ذلك إختلال صريح بالمنهج العلمى :: وكل ما أقوله هنا أن أدعو طلاب العلم ، ورواد الحقائق إلى تجنب مثل هذا الخطأ المنهجى تجنباً قوياً .

أكانت عاطفة إيمان عميق أم نزعة إنكار مسرف ، كلاهما سواء مهما يظهر بينهما التقابل والتخالف ، مثل هذا الرجل يعيب غيره أبها ، وتغره نفسه دائماً : فالخلق كله له ، والباطل كله عند غيره ، والانطلاق إلى أحد الطرفين ميزته ، ومثل هذا الرجل ما يحل له أن يخط كلمة في وثيقة علمية بما فيه - سواء أكان فيها مؤلفاً ، أم كان معلقاً - ولو أنصف الناس لأراحوا مثله ، واستراحوا من كتابته ، وإن كان الأمر - لسوء حظ الصواب والسلام - غير ذلك ، فهنا الصنف غير قليل في الدنيا ، وليس خوده عن الكتابة يسيراً .

وهناك رجل هادئ الوجدان ، معتزل الماطفة سواء أكانت عاطفة لدين هادئ ، أم حركة إنكار متوان ، صاحبها - في كل حال - قد وقف عند مسلمات ، لا يسهل عليه أن يملوها إلى ما وراءها ولا تتور فيه الرغبة في بحث يملو ما ركن إليه ، وانتهى إليه استسلامه . من عقيدة ملقنة ، أو تردد فائر أو صورة إنكار هو كذلك تقليدى . مثل هذا يسير الخطر ، قليل الاعتصاف ، قد يفتح أذنه بسمع كلمة مخالفة ، لكنه يوقفه عند مسلمات بعينها ويقعده عن تجاوزتها ، يكون قليل الخبر ، كما هو يسير الشر ، سريع الاستسلام ، لا يفيد منه علم ولا بحث .

وراء هذين ثالث ، لم تدفعه عاطفة جماعة ، ولم يقعه استسلام مريح ، فهو قد فرق بين وجدانه وبين عقله حين يبحث ويدرس ، ويميز بين عاطفته وفكرته ، وأخيراً لم يبد دينه على

(٣) ساقى الكاتب في هذه الفقرة الدعاوى الآتية :

١ - سعى محمد بن عبد الله بن مسعود إلى الحصول على تأييد أهل الكتاب يهوداً ونصارى ، لاقتناعه بأن ما جاء في المهديين ، القديم والجديد ، يتفق وما دعا إليه .

ب - عرض محمد للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطوى على إدراك خاطئ ، أثار عليه النقد والسخرية من جانب اليهود ، فكان في نظرهم مبطلاً .

ج - مناقضة ما عرضه من الآراء للكذب المقلصة القليلة تنفى دعواه الموكدة بأنه صاحب رسالة إلهية ، وهو اعتقاد لا يتزعزع عنده .

د - لما احتك محمد باليهود في المدينة وقع بذلك في مأزق خطير ، كانت الطريقة الوحيدة لإخراجه منه هي اتهام اليهود بأنهم عمدوا إلى تحريف الكتاب ، وهو الذي أتى بالنص الصحيح .

وتسأل الكاتب الدليل أو شبه الدليل على واحدة

من هذه الدعاوى ، فلا نجد منه شيئاً في مقاله ، وذلك لإخلاق قوى بأسلوب البحث ولا شك ، وكنا نستطيع أن نشير إلى أن مثل هذه الدعاوى مما لا يوقف عنده فليست على صاحبه حتى نجد موضعاً للمناقشة ، ولكننا لا نكتفي بهذا ، بل نلاحظ ما في هذه الدعاوى من وهن فوق عدم الاستدلال على واحدة منها ، فأول ما نجد من ذلك أن الفكرة السائدة فيها ظل لما قبل في غير موضع من النائرة عن علاقة الرسول باليهود ، كما كان الأمر في

(٢٤١) فسر الكاتب التحريف بأنه : تغيير المكتوب ، وبين وجه هذا التغيير بما يدل على تخصيصه التحريف بتغيير المكتوب ، وهو تخصيص لا سند له من تفسر لفريقنا ، ففي اللسان والقاموس والأساس والنهاية وغيرها ، لا ينص على التخصيص بالمكتوب ، على حين قد ترجع عباراتهم : أن التحريف تغيير الكلام - مكتوباً أو مسموعاً - فاللسان يقول : التحريف في القرآن والكلمة تغيير الحرف عن معناه ، والكلمة عن معناها ، وابن الأثير في النهاية يقول : تحريف الكلام أن يجعله على حرف من الاحتمال ، يمكن حمله على الوجهين ، فقدم الاشتقاق إلى الحرف - حرف التهجى أو حد الشيء وطرفه - قد يبعد التخصيص بالمكتوب ، ثم إلى جانب هذا تخصيصهم التصحيف بأنه الخطأ في الصحفة ، وكلمة التصحيف هي الكلمة المولدة ، التي خطفها انتشار الكتابة ، وأغذا الصحف ، على حين أن التحريف هو الكلمة الأصلية المأخوذة من الحرف بأحد معانيه :

واستعمال القرآن نفسه - وهو أصل البحث في المادة - أوضح دلالة على عدم التقيد بالمكتوب إذ لم ينص على التحريف في مكتوب مطلقاً ، مع أنه قد ذكر التحريف في المسموع . ففي البقرة : ٧٥ « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه » ، وفي النساء : ٦٤ « يحرفون الكلم عن مواضعه » ويقولون سمعنا وعصينا » . وهكذا لا يظهر لي اعتماد الكاتب في تخصيصه التحريف بأنه : تغيير المكتوب ،

وحدة الحقيقة الدينية ، دون تخصيص يهود ولا نصارى ، وقد تأملت الدعوة إلى هذه الوحدة المثالية الكريمة بإعلانه كراهية التفرق في الدين ، فوقع هنا كذلك في المكى والمدنى من القرآن . انظر سورة الروم المكية ٣٢ ، والأنعام المدنية ١٥٩ ، كما أيد هذه الدعوة تقرير علم التفرق بين أحد من رسل الله — انظر سورة البقرة : ١٣٦ ، ٢٨٥ ، وسورة آل عمران ٨٤ ، وسورة النساء ١٥٠ ، ١٥٢ ، ويزيد هذه الدعوة تأييداً وبني معنى التخصيص فيها بأحد دون أحد ، ما يذكركم القرآن من أن الناس كانوا أمة واحدة وقد تفرقوا من بعد ما جاءتهم البينات — انظر سورة البقرة آية ٢١٣ — ففي دعوة إنسانية جامعة شاملة لا تخص أحداً دون أحد ، ومؤيداتها كثيرة في القرآن ، فبأى حجة ، بل بأى شبهة صرفت عن وجهها هنا الصرف ، وحرفت هذا التحريف وعدت سعياً إلى تأييد اليهود والنصارى ! وهلا يعد ذلك الصنيع من الكاتب إخلالاً عامداً بأسلوب الدراسة الصحيح ؟ أما دلالة على الطوبا والتوايا فشيء لا نخوض فيه ولا هو مما يستطيع القول العلمى فيه . وإذا كان الأمر على ما وصف فقد أثار جانب من المأزق ، وحافظ من الهيس ، ولم يسع محمد إلى تأييد اليهود والنصارى خاصة حتى يهرب اختلافه معهم ، أو يخرج بذلك ، وليس هناك إلا دعاوى لا توازرها قرائن فضلاً عن الأدلة . وثالث ما نلاحظه ، أن دنیا البحث التاريخي تعج بالحدث عن تلوين هذه الكتب ، ودرجة الثقة بهذا التلوين ، وما استهدفت له من عواصف الحياة ، وكيف اتصلت حياتها إلى اليوم ، وفي كل ذلك .

إبراهيم عليه السلام وأبوته لقرب : : إلخ ، هذه القصة القديمة ، وكانت هذه الدعاوى تقليداً حيك على متوال ما سبق ، وتقصه التوجيه الواضح أو الذى فيه شيء من الوضوح . والأمر الثانى ، أن القول بسعى محمد إلى الحصول على تأييد أهل الكتاب إلخ قلب واضح لفكرة إسلامية جليلة ، وتشويه لما تشوبها يعد من أقسى التحريف : تلك الفكرة هي تقرير القرآن في مكة كما في المدينة : أن الحقيقة الدينية التي جاءت بها الرسالات المختلفة واحدة ، جهر القرآن بذلك في مكة في مثل سورة الشورى : ١٣ « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » كما جاء ذلك في سورة النساء المدنية آية ١٦٣ « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والأنبياء من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتيناهم دلوذ زيورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً فهو يذكرك وحلة شرائع الأنبياء ، ويقدم في ذلك نوحا ، ويذكر يونس إلى جانب أنبياء اليهود أو هذا هو ما يريده حيناً يشير إلى أن القرآن موجود في الصحف والكتب السابقة كما في سورة الأعلى المكية : ١٨ ، ١٩ « إن هذا نبي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » وفي سورة الشعراء المكية : ١٩٦ « وأنه — أى المنزل عليه — نبي زير الأولين » فيعمم في ذلك ولا ولا يخص ، ويذكر أنبياء لم يكن يوجد لم أتباع في عهده كنوح مثلا : فهي فكرة ثابتة واضحة في

موضع القول ، تدرج ألوان مختلفة من المحث السلي في مناقضات مع هذه الكتب واشباه هذا مما يتولاها الدارسون القريبون أنفسهم ، ولكن صاحب مقال التحريف لا يرجع على شيء من هذا بل يرفع هذه الكتب عن كل شبهة ، ويضع هذه التصورات غير الملائمة لجعل اتهام محمد لما أو تحدثه فيها عملاً باطلاً ، ويجعل عرضه لوقائعها خاطئاً يثير عليه النقد والسخرية ، ويجعل مناقضته لما ورد فيها نافياً لدعواه الرسالة ! ولو ألفت هذا كله جانباً ، وتذكرت أن فعل الزمن الذي لا يتكرر بكل شيء ، والمراقبة لما يعيب الأختار والقول من أخطاء التداول خلال عصور مترامية القدم لرأيت في ذلك ما يفرس على الباحث العالم أن يظهر لما قد يعيبه هاتيك الكتب من هذا كله ، قبل الحكم بأن مخالفتها نافية للدعوى الرسالة وقيل القول بأن اتهامها خطأ وضلال ، ولا أقل من أن يكون في الحديث عن التحريف تقدير ما حل هذا ولا احتمال تأثيره فيها . . . ولكن المنهج العلمي للكاتب يحمل ذلك كله ويعتقد هذه الكيفية التي سردناها أكفاً غير مطلعة بشيء من الدليل ، وذلك في أسلوب البحث مما لا يقبل .

(٤) إذا كانت هذه الكتب مجهولة تماماً من أتباع هذه المؤمنين بصدق كلمته ، فهل كان اليهود الذين حول أتباعهم ليسوا عرماً مثلهم ، وكانوا يهيمت عليهم من ذلك ما يجهلون ، ويخرونهم ، أو على الأقل يثرون أعيانهم الألداء من قديم هذه المناقضات ؟ وهل لم يكن في أتباع المؤمنين أنفسهم يهود بل

يهود من خاصة اليهود وعلماهم كما هو معروف ؟ ومثل هذا أو غاك لم يقل الكاتب قبل الآن ، يقلل أن هناك مأزقاً خطيراً وقع فيه محمد حين جعل باليهود في المدينة ؟ فأين هذا المأزق إذا كان في جهل أتباعه بهذه الكتب ما يغطي موقفه ؟ ولو كان يكفيه أن يسوي حساباً مع أتباعه المجاهدين بهذه الكتب فقد كان في غيبة عن أن يعرض لكتبه اليهود مصداقاً أو مكذباً ، وكان بالأول في غير حاجة إلى السعي للحصول على تأييد اليهود كما ذكر الكاتب قبل ذلك ، ووراء ما تقدم من غرض الكاتب وما أشعر أن الحديث عن التزوير والأغراض ، وبمعرفة ما جرى وما شجع ، شيء لا تناله الأدلة العلمية ، والعرض له نوع من التعميم ليس من صنيع الباحثين الأبرياء ،

(٥) هي آية ٧٥ في ترقيم المصحف المصري الملكي .

(٦) هي آية ٤٦ في ترقيم المصحف المصري الملكي .

(٧) هي آية ١٣ في ترقيم المصحف المصري الملكي .

(٨) هي آية ٤١ في ترقيم المصحف المصري الملكي .

(٩) هي آية ٧٨ في ترقيم المصحف المصري الملكي .

(١٠) آية النساء التي يريد بها الكاتب هي آية ٤٦ في ترقيم المصحف الملكي ، ويوضح الشاهد فيها : « ويقولون صميتاً وخصيتاً » وأسمع غير مصحح ، وادعنا ليد بالخشيم ، فيلاحظ أن التي هنا إنما هي في حديثهم مع الرسول عليه السلام لا في شيء من كتابهم ، فلا شاهد في الآية على استبدال التي في مقام الكلام عن غيرهم للكتاب .

(١٥) آية ١٥٦ من سورة البقرة بعيدة كل البعد عن هذا الموضوع والآية التي فيها كلمة حطة وإبدانها هي آية ٥٨ من البقرة . وكذلك آية ١٦ من الأعراف في قصة آدم ، وأما الآية التي فيها ذكر « حطة » فآية ١٦١ من الأعراف .

(١٦) هي آية ١٠٤ في ترقيم المصحف الملكي رقم ٥ :

(١٧) يلاحظ أن آية ١٤٠ من البقرة وآية ٩٥ من آل عمران هما اللتان تتحدثان عن أهل الكتاب ، عند الحاجة في يهودية إبراهيم ونصرانيتها ، فهل يريد هاتين الآيتين ؟

(١٨) هي آية ١٥ في ترقيم المصحف الملكي وهي « وإذا تبلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي أن أبدي من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، : » وليس فيها ما يدل على استطاعة خصوم الرسول (ص) أن يهيموه ببديل ما أوحى إليه ،

(١٩) تعرض صاحب هذا التعليق للتحدث عن النسخ في تعليقه على مادة أصول في هذه الدائرة ، ولعل فيها هنالك خطابة ،

(٢٠) نص الآية « يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوانك مثلي له تسمعون » :

الجنة

(٢١) أشار الكاتب في هذه الفقرة الأخيرة إلى مسألة هامة ، ولكنه أهمل فيها بحث البحث إذ لم

(١١) آية البقرة التي فيها ذكر التبديل هي آية ٥٩ في ترقيم المصحف الملكي وآية الأعراف التي فيها هذا هي آية ١٦٦ لا ١٦٠ ويلاحظ أيضاً أن الآيتين - البقرة والأعراف - تتحدثان عن عمل اليهود في عهدهم الأولي ، وتغير لم في تنفيذ أمر أمروا به ، لا عن تغيير في كتابهم ولا في نصوصه ، فهل في الآيتين شاهد على استعمال « بدل » عند الكلام على التحريف ولا سيما التحريف الذي فسره الكاتب بأنه التغيير في المكتوب !

(١٢) يقول « لعل فكرة عملودة عن هذا التغيير لم تكن عند محمد » مع أن الكاتب نفسه قد ذكر من آيات القرآن ما يبين عدة صور لهذا التغيير وكيف تم ، كالترتيب وكتابة الكتاب بأبجدهم ، وكتيب النص عند قراءته ، وككتمانهم ما في الكتاب من البينات والهدى ، وجعله قراطيس يملونها ويغفون كثيراً ، فكيف تذكر هذه الصور للتغيير ، ثم يظن أن ليس عنده فكرة عن هذا التغيير ؟ هل أن الكاتب قبل ذلك يقول (فقد كان معنا بالوقائع فاتها أكثر من عنايته بكيفية حدوثها » وهذه العناية التي يقررها لتكن لصره رأى الرسول عليه السلام - من الكلام في كيفية التغيير ، ولا يكون من الصواب في شيء الاستدلال بخلو كلماته من كيفية التغيير على أنه ليست عنده فكرة عملودة عنه ،

(١٣) هي آية ٧٩ في ترقيم المصحف المصري الملكي !

(١٤) هما آيتا ١٥٩ ، ١٧٤ في ترقيم المصحف المصري الملكي .

(١) نوطرز مرصع : ترجمة هنله ستانة الشعر والنثر للكتاب القارسى المنوت « قصة چهار درويش » المنسوب إلى أمير خسرو ، وإن كان ينسب أيضاً إلى أنجب أو إلى محمد علي مصصوم .

ولقد صيغ النوطرز في أسلوب أدنى ممتاز فدعا هذا إلى ظهور ترجمة أخرى لأغراض تعليمية بدأها مير آسان الهلوى عام ١٢١٥ هـ الموافق ١٨٠١ وأتمها عام ١٢٠٧ هـ الموافق ١٨٠٣ ، وهي المشهورة باسم باغ وبار . ولقد ظهرت طبعتان من النوطرز لتحسين في بومباي عام ١٨٤٦ ، ولكنهما عام ١٨٦٩ ، وكونهور عام ١٨٧٤ .

ولقد كان للنوطرز أثره الأدي على مؤلف هنلوستاني آخر هو عظمت الله ، فقد أقر في مقلمة كتابه الروائي « قصة رنگن كفتار » أنه احتلى أسلوب تحسين في إنشاء هذا الكتاب . كما نجد في مخطوط مكتبة وزارة الهند (رقم ١٣٢ من فهرست بلومهارت Blumhardt) المقلمة وقصة الدرويش الأول مترجمة بقلم تحسين ومعها ترجمة هنلوستانية لقصة الدرويش الثالث والملك آزادجت كتبها أديب آخر يدعى محمد هادي .

(٢) ولتحسين - إلى جانب النوطرز - كتاب في الأجرومية الإنكليزية باللغة القارسية يسمى « ضوابط أنكريزي » وكتاب آخر يظهر أنه في التاريخ يسمى « تواريخ قاسي » .
ويضاف إلى ذلك أن تحسيناً كان خطاطاً شهيراً ، كما جاء في تذكرة يوسف علي خان .

يتولى هذا الإلهام من الجانبين بالتفصيل ، ولم يشتر إلى تقي من المصادر يرجع إليه في تتبع هذا الإلهام ، فالقاري مضطر إلى أن يعتبر هذه الفقرة كتاباً لم ترد في هذا المقال ، حتى يوجد في الموضوع ما تمكن مناقشته .

أمين الخولي

« تحسين » القلب الذي يعرف به مير محمد حسين عطاء خان كما يعرف بلقب مرصع رقم : مؤلف هندي يبدو أنه من إناو ، أبوه مير باقر خان المعروف بلقب شوق ، وابنه قاسم علي خان كان مؤلفاً وموسيقياً أيضاً ، ولم يتسن معرفة تاريخ مولده أو وفاته ، وإنما عرف أنه أتم أعظم مؤلفاته المنوت « نوطرز مرصع » حوالي عام ١١٩٥ هـ (١٧٨٠ م) وعمل المؤلف في خدمة الجنرال سميث وجاء معه من لكهنؤ إلى كلكتة ثم انتقل إلى پنتا فلما مات أبوه تركها إلى فيض آباد وهناك خلع نواب شجاع الدولة (١١٨٩ هـ = ١٧٧٥ م) وتابع وهو في خدمته تأليف كتابه نوطرز الذي يظن أنه بدأه في پنتا ، ثم خلع خلفه نواب آصف الدولة (١١٨٩ - ١٢١٢ هـ = ١٧٧٥ - ١٧٩٧ م) قائم في عهده الكتاب . وقد أضاف إلى مقلمته قصيدة في تحيته ، وقيل إن مطالعته في مؤلفات الشاعر الهلوستاني المشهور ميرزا محمد رفيع سوجا (المتوفى عام ١١٩١ هـ = ١٧٨٠ م في لكهنؤ) قد حدث به إلى أن يفرغ للأدب الهلوستاني أيضاً . ونذكر فيما يلي مؤلفات تحسين :

«التحصيل»: مصدر الفعل المضاعف حصل ومعناها في الأصل الجمع والاستيلاء والاستحواذ. وتستعمل هذه الكلمة في الهند للدلالة على جمع المكوس، وتطلق في الولايات المتحدة بالهند وفي مدراس على المركز من الإقليم (ويسمى هذا القسم في مقمية بمباي «تلفه» ويعرف فيقال تالوكا) وتتراوح مساحة المركز بين ٤٠٠ و ٦٠٠ ميل مربع، وتقل مساحته عن هذا في الولايات المتحدة بالهند، والمركز وحدة إدارية ومالية ومساحة بين المركز والسرنگار وهما من الأقسام الإدارية في إمبراطورية الهند. ويسمى الموكل بالتحصيل «محصِّلدار» أي صاحب محصيل: وهو يلى الإدارة والقضاء، إلا في مدراس إذ أن سلطانه فيها لا يمتد إلى الإدارة. وهو إما خاضع لعامل أرفع من مرتبة يلى أمر محصيلين أو أكثر، وإما خاضع لعامل إقليم وصاحب خراج.

المصادر:

- (١) المعاجم العربية القديمة (٢) Imperial Gazetteer of India، أوكسفورد سنة ١٩٠٩ (٣) Hobson-Jobson: H. Yule and A. C. Burnell طبعة كروك Wm. Crooke، لندن سنة ١٩٠٣ [T. W. Haig هيكت]

«تختهجي»: معناها الحرق «حطاب»، ويطلق هذا الاسم على فرقة من أهل الأناضول شيعية الميل، وهم - شأنهم شأن الجيني أو الجيتي (انظر

وقد عرف مؤلف آخر باسم تحسين أيضاً هو عبد حسن خان، وهو صاحب مجموعة شعرية إلى مدح الرسول بعضها بالفارسية وبعضها بالهندوستانية مطبوعة على الحجر في دهلي باسم «كلسته نعت» عام ١٨٧٣.

وهناك مجموعة أخرى من الشعر في مدح الرسول «جمن مدح نبي» جمعها من مصادر مختلفة من يدعي محمد حسن خان تحسين، ولا ندرى إن كان هو عين المؤلف، وقد طبعت في دهلي عام ١٨٥٤.

للمصادر:

- (١) Histoire de litterature: Garcin de Tassy hindouie et hindoustani الطبعة الثانية، ج ١، ص ٢١٢، ص ٣٥٦، ص ١٩٩ إلخ (٢) Grundriss der iran Phil. ج ٢، ص ٣٢٤. A Catalogue of the... Manus: A. Sprenger. scripts of the libraries of the king of Oudah ج ١، ص ٢٩٤ (٤) J. F. Blumhardt Catalogue of the Hindustani manuscripts of the library of the India Office، عام ١٩٢٦، ص ٤١، ٤٣، ٥١، ٦٧. إلخ (٥) الكاتب نفسه: Catalogue of Hindustani printed books in the library of the British Museum عام ١٨٨٩، ص ٢٣١ (٦) Catal. India Office، ج ٢، ص ٢. Hindustani Books: J. F. Blumhardt (٧) ص ١٢٤، ١٤٦ (٨) باغ وبهار، طبعة فوريس O. Forbes، الطبعة السادسة، ص ٢ وما بعدها (٩) (V.P. Baccane) (لوختر)

في آسية الصغرى حتى قبل ظهور الشاه إسماعيل
(Schéjeh Bedr el-Din: P. Babinger) ، ليسكن وبرلين
سنة ١٩٢١ ، ص ٩١ وما بعدها) .

ويعزز هذا الرأي ما أثمره التوافق التام في العادات
والشعائر بين التخته جی والصقوية أيام الشاه
إسماعيل ، ولقد قيل إنهم شربوا الخمر وأكلوا لحم
الخنزير وأخذوا بعض الطقوس التي تذكر بالتعميل
والشاه الرائي ، ولقد أسفر نساوهم وبقيين سافرات ،
وبسطوا ضيافتهم الكرمية للفرس والنصارى دون
الترك . وكانت الأسماء المحبة إليهم هي أسماء الشيعة
على وإسماعيل (W. Heffening في *Der Neue Orient*
برلين ، ج ٤ ص ٢٦٤ وما بعدها) ،

ومما يستحق الذكر ما أورده بورفون بوزل
Tibor v. Poczi تفصل النساء وأخر في أضايا في
تقريره " *Osterr Monatschrift fuer den Orient* " ،
ج ٤١ ، فيينا سنة ١٩١٥ ، ص ٥٠٦ ، P. Babinger
في *Zsl.* ، ج ١٢ ، سنة ١٩٢١ ، ص ١٠٣ من
أن التخته جی عاشوا مستقلين عن سلطة الحكومة
التركية وكانوا يعتبرون إلى عهد قريب من رعابا
الفرس لاعتبارات تقليدية قديمة ، وفي هذا جميعه
ما يحملنا على القول بوجود صلة وثيقة قديمة بين
التخته جی وملكة الصقويين ،

ولقد عمر سنجق نكه (حول أضايا) بوجه
خاص بالسكان من التخته جی (المصدر نفسه) حيث
كانوا يقضون الشتاء على شاطئ البحر حتى إذا
جاءهم الصيف عافوا إلى الجبال عاشيتهم يقيمون في

F. Babinger في *D.M.G.* ج ٧٦ ، سنة ١٩٢٢ ،
ص ١٤١ ، F. Tacschner في نفس المجلة ،
ص ٢٨٢ وما بعدها) المعروفين منذ أواخر القرن
الرابع عشر ، والزيك وكل الفرق التي تنطوي تحت
اسم قزلباش - يكونون عنصرًا قائمًا بذاته من سكان
الأناضول أصله لم يثبت بعد في تاريخ الأديان أو
تاريخ الأجناس البشرية .

ويقطن التخته جی غالباً آسية الصغرى الغربية
ويسكنون في قراهم على تربية الماشية وفلاحة الأرض
والبحطيب إلخ ويظهر أنه أطلق عليهم
اسم تخته جی نسبة إلى هذا العمل الأخير .
وأصل التخته جی غامض ، فيينا يذهب لوشان
F. Von Luschan إلى أنهم بقايا السكان الأصليين
في الإقليم مستدلاً على ذلك مقارنة مقاييس الجمجم
(*Reisen in Lykien, Milyas und Kibyratis*) ، فيينا
سنة ١٨٩٩ ، فصل ١٣) ، يرى يعقوب G. Jacob
أنهم بقايا الجماعة المعروفة في اليونانية باسم دنلرو
فروي (انظر F. Curtmont في *Pauly-Wissowa*
مادة *Dendrophrei* ، وكذلك H.C. Maué في
Verzeichniss der Fabri Centenarii und Dendrophori
in Roemischen Reich فرانكفورت سنة ١٨٩٦ ،
الفهرس) .

وليس هذين الرأيين ما يرجحهما ، ويغلب
أن يكون التخته جی من الفرس المتوطنين الذين نزحوا
من فارس إلى غربي الأناضول في نهاية القرن
السابع عشر ، وكانوا من أشياع الفرقة الصقوية
(انظر هذه المادة) . والتي نعرفه عنهم أنهم انتشروا

في Quatrenière « Notices & Extraits » ١٦٣ ،
ص ٦٢ ، ترجمة د.ه. سلان في « Notices et Extraits »
ج ١٩ ، ص ٧٨) من أن السياسة المدنية هي
تدبير المنزل أو للمدينة بما يجب لتقضى الأخلاق
والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه
حفظ النوع وبقاؤه .

وتدبير المنزل قسم من أقسام الفلسفة العملية
الثلاثة التي نقلها العرب عن اليونان . وهذه الأقسام
هي : علم الأخلاق ، وعلم تدبير المنزل ، وعلم السياسة
(انظر على قبيل المثال ابن سينا : أقسام العلوم
العقلية في مجموعة الرسائل ، القاهرة سنة ١٣٢٨هـ ،
ص ٢٢٩ وما بعدها ، القفلى : تاريخ
الحكماء ، طبعة ليلبر Lippert ، ص ٥٢ ،
وغيرها من أصحاب التواليف) ، وقد كان رتر
Bitter أول من يبين أن كل ما ألف المسلمون في علم
تدبير المنزل يمكن رده إلى كتاب تدبير المنزل
(وقد نقلت النسخة اليونانية منه) الذي ألقه پريسون
Pryson المنسوب إلى مذهب الفيثاغوريين المحدثين ،
وقد بقي من هذا الكتاب نسخة منقولة إلى العربية
(نشرها شيخو في مجلة المشرق ، ج ١٩ ، سنة
١٩٢١ ، ص ١٩١ - ١٨١) ، وذكره من العلماء
صاحب القهرست ، ص ٣١٥) ، وأخرى عربية
نقلت منها (ميونخ ، القهرست العربي ، ص ٢٦٣ ،
Ritter في « » ، ج ٧ ، سنة ١٩١٧ ، ص ١٧
وما بعدها) وثالثة لاتينية نقلت منها أيضاً (مخطوط
جالينوس المحفوظ في درسدن ، وقد نبه إليه بلستر
Plessner) ، وفسر بلستر كل ما يخص بهذا الموضوع

بحام وأكواخ حقيرة ويحدثون في معاشهم على
تربة الماشية .

المصادر :

نذكر إلى جانب المصادر المذكورة في صلب

للادة (١) J.H. Mordtmann « Vier Vorträge

über Vorderasien und die heutige Türkei » برلين

سنة ١٩١٧ ، ص ١٠٠ وما بعدها (٢) F.v. Luschan

في « Archiv. fuer Anthropologie » ، ج ١٩ ، براتسويك

سنة ١٨٩١ ، ص ٣١ وما بعدها ، وانظر المصادر

إلى أوردها F.Babinger في « Scherich Beitr. ad-Dia »

ص ٩٩ وما بعدها (٣) Id. ، ج ١٢ سنة ١٩٢١ ،

ص ١٠٣ .

[بابنكر Franz Babinger]

« التدبير » مصدر : د ب ر ،

(١) بمعنى السياسة والإدارة : يقول لغويو

العرب في شرح الفعل دبّر أنه من الاسم « دَبُرَ »

وهو نقيض قُبِلَ . وهكذا نقرأ في لسان العرب

(ج ٥ ، ص ٣٥٨) أن التدبير في الأمر « أن تنظر

إلى ما تؤول إليه عاقبه » أو « ينظر في عواقبه » ؛

ويستعمل هذا الفعل الآن للدلالة على معنيين : أولهما

الحكم والإدارة ، وشاهد ذلك العنوان الذي أطلقه

ابن أبي الربيع على مؤلف من مؤلفاته وهو « سلوك

الممالك في تدبير الممالك » (انظر مادة « سياسة »)

وثانيهما الإرشاد وتدبير المنزل (باليونانية أو بكونونوما)

نحو ما يعيننا في هذا المقام . ومن الأمثلة على هذا

ما ذهب إليه ابن الخلدون في مقلمته (: طبعة

إلى ندرة ما وصل إلينا من أسماء التلمذ الذين كتبوا في هذا العلم . وقد يباح لنا أن نلجأ إلى القول بأنه رجل من أمثال فيلودموس Philodemus

وثمة ترجمة عربية أو موجز للكتاب الأول في تلخيص المترل نسبت خطأ إلى أرسطو (وقد جرى الناس الآن على نسبها إلى تيوفراستس Theophrastus) وتضمنها مخطوط في الإسكوريال (الغزيري رقم ٨٨٣) مختلف الموضوعات عنوانه « كتاب أرسطو في تلخيص المترل » ومخطوط آخر في خزنة كتب شخص ببيروت يضم بين دفتيه عدة تواليف متباينة ، عنوانه « ثمار » مقالة أرسطو في تلخيص المترل « (انظر ما كتبه الملوغ في مجلة المشرق ، ج ١٩ ، سنة ١٩٢١ ، ص ٢٥٧ - ٢٦٢) بيد أنه لم يتوفر أحد على دراسة هذين المخطوطين دراسة دقيقة ، ولم يرد ذكر هذا المؤلف لا في الفهرست ولا في ابن أبي أصيبعة ولا في القيفطى (انظر فيما يخص ذلك *Sprich — arabische Biographien : Baumstark des Aristoteles* ، ليهسك سنة ١٩٠٠ ، ص ٥٣ ، وما بعدها) في حين أنه يبدو أن أبا القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي المتوفى عام ٤٦٢ هـ الموافق ١٠٦٩ - ١٠٧٠ م (انظر كتابه طبقات الأمم المطبوع في القاهرة طبعة ليس عليها تاريخ ، ص ٣٩) كان هو أو من أخذ عنه على علم بمؤلف لأرسطو في سياسة المترل : ويدل وصول هذه الترجمة مخطوطة إلينا على أنها ظهرت في أوساط نصارى العرب : ويلجأ الملوغ إلى أن الناقل هو أبو الفرج عبد الله بن الطبري

ودرسه : ويستفاد من النتائج التي وصل إليها أن معلم التلخيص الذي أصابه المسلمون في هذا العلم إذا استثنينا ما قام به الناقلون والمقلدون من أمثال اللبمشي (الإشارة إلى محاسن التجارة ، التي نشره وتر في *Isis* ، ج ٧ ، ص ١ وما بعدها) وابن أبي الربيع (سلوك المالك) وموسوعة فخر الدين الرازي وابن البتاري - هي كما يلي :

انفرد ناصر الدين بنشر كتاب تلخيص المترل لبريسون ضمن مؤلفه الموسوم بالأخلاق وزاد فيه من أفكار المسلمين والقرس : وقد عدّ الناس في جميع عهود الإسلام كتاب تلخيص المترل للبريسون مثالا ليس بعده مثال . وهو العملة التي استقى منه صاحب « أخلاق جلال » ، ومعظم المؤلفين تناولوا هذا العلم كالغزالي والشهرزوري والآمل والإنجي ، وقد زاد الآمل فصلا في علاقات الأسرة . وتعالج هذه الكتب مسائل الحصول على المال ، والحفاظة عليه وتتميمه ومعاملة العبيد والمرأة والولد .

وقد توخعت في كل ما تناولته ناحية الحصول على أكبر نصيب ممكن من الروة والسعادة . ويذكر الفهرست أيضاً (ص ٢٦٣) مصنفاً آخر في تلخيص المترل نقل إلى البرية ، وهو « كتاب روفوس في تلخيص المترل لعلوسوس » (ولعل المقصود بالعين هنا عين أو قاء أو قاف) ويبدو أن هذا الكتاب قد ألفت في العهد اليوناني المتأخر : ولا يمكن التثبت من اسم هذا المؤلف القديم على وجه اليقين ، ويرجح هنا بصفة خاصة

« تدليس » أوليدليس (Delbyn) : بلدة على شاطئ الجزائر وعلى مسيرة سبعين ميلا من مدينة الجزائر وأربعة أميال شرق مصب نهر « سباو » Sebou أهم أنهار بلاد القبائل ، يفصلها عن هذه البلاد جبال تسمى برأس بيكوت Beugot ، وتدليس على خط عرض ٢٠° ٥٥ شمالا وخط طول ١° ٣٤ شرقا كرينوش ، وتتكون البلدة من حين متميزين ، حى وطنى طوقاته ضيقة متعرجة ، وحى أوروبى منسق البناء على هضبة ترتفع عن سطح البحر حوالى ١٧٥ قدما . وفى سفح الهضبة ثغر منجاة من رياح الغرب والشمال الغربى لا يؤممه سوى قليل من قوارب التجارة على الرضم من أنه صالح لكرسو السفن تأمن فيه على نفسها ، وأرباض تدليس مغطاة بأشجار باسقة وبساتين أحسنت فلاحها ، والبلدة لذلك تسمى الناظرين ، وقد بلغ مجموع سكانها ٣,٨٨٤ منهم ٧,٥٠٧ من أهل البلاد ، غير أنهم - مثل قبائل هذه الناحية - لا يتكلمون بغير العربية .

وقامت تدليس فى موقع مدينة روسكورو Rusucurru الرومانية الى لم يكشف من آثارها سوى القليل (بقايا أسوار وصهاريج ... إلخ) ومن المحقق أن هذه المدينة قد خربت إبان الفتح العربى ، وظل موقعها قفرا مدة طويلة . ويذكر البكرى (المسالك والممالك ، Description de l'Afrique) ترجمة ده سلان ، ص ١٣٥) ثغرا إلى الشرق من مرسى الحجاج سواه مدينة بنى جند ، بيد أن هذا الثغر هو فى بيدر رأس جنت وليس تدليس .

المترق عام ٤٣٥ هـ (١٠٤٣ - ١٠٤٤ م) وليس لهذا الثغر من سند ،

وكاتب هذه المادة بسبيل إعلاد طبعة من هذا الكتاب وبحث عنه .

المصادر :

(١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة سنة ١٩١٢ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ وما بعدها (٧) Ritter : Ein arab. Handbuch : Ist. di der Handelswissenschaft ، ص ٧ ، سنة ١٩١٧ ، ص ٤ - ١٤ (٣) Pleasner : Der : Pleasner (٣) Oikonomikos) des Neuphythagorassers Bryson und sein Einfluss auf die islamische Wissenschaft ، وهى رسالة فلسفية قدمت إلى جامعة برسلو عام ١٩٢٥ (وقد نشر موجزا لها ، وستنشر كاملة عن قريب) .

(٢) التبليز معنى تعليق حقيق العبد عوت السيد . ودبر فى هذه الحالة فعل من الاسم دبّر ومعناه انتهاء الحياة أى الموت (انظر لسان العرب ، ج ٩ ، ص ٣٥٨ ، الطروزى : المغرب ، المادة نفسها ، وإذا شئت التفعيل فانظر مادة « عبد ») وأوفى ما كتب فى هذا الموضوع : Santillana : Istuzioni di diritto musulmano malichita رومة سنة ١٩٢٦ ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

[هفتنگ Hefening]

في اللبس كان كرى أهل الجزائر : ولما وجد أهل تفليس أن الجزائريين قد خضعوا للأندلس عام ١٥٧٠ اقتلوا بهم ، غير أن عروج (انظر هذه المادة) استحوذ على البلدة عام ١٥١٧ م . وأقام الترك حامية فيها وجعلوا منها قاعدة لحملاتهم على القبائل التي تقطن وادي سبوا . وظلت تفليس خاضعة للذكر إبان الحكم التركي على الرغم من أن أهلها كانوا على صلوات دائمة بالجزائر بفضل البحر . وقد كانت قرية حقيرة عند ما استولى عليها الفرنسيون في السابع من مايو عام ١٨٤٤ م . وأنشئ بها حتى أوروبي بعد ذلك بستين ، ووقف غزو بلاد القبائل دون تقدمها . وأعقب هذا الغزو انتقال القاعدة الحربية إلى تيزي أوزون وفورت تاسيونال أي الحصن الوطني . وحاصرها أهل القبائل من جهة البر في شهر أبريل ومايو إبان الثورة التي حدثت عام ١٨٧١ م إلا أن مواصلاتها ظلت مكفولة بطريق البحر فزوت على الثوار . وظلت بعد ذلك الوقت في نيلام لا يعبث بأمنها أحد ، بيد أن وقوعها في الأطراف وصعوبة مواصلاتها قد أحالا دون تقدمها ، ولم يقبل الأوروبيون على استثمار أرباضها .

المصادر :

(١) S. A. Boulifa : *La Djézira*

transvers l'histoire ، الجزائر سنة ١٩٣٥ (٢)

Notes sur l'organisation militaire des : Robin

Touss dans la Grande Kabylie ، المجلة الإفريقية

ولم يرد هذا الاسم بهيئة تدلست وتدلست ، أي الأكواخ ، إلا في الوقت الذي اتخذ فيه ملوك بني حماد (انظر مادة حماد ، بنو) بحماية حاضرة لهم ، وأصبح لهذه البلدة الصغيرة شأن ما في التجارة وفي الحرب بفضل موقعها الذي كان ييسر توشيع العلاقات بين يعيشون في وادي سبوا ، وأقيم عليها وال من بني حماد . وفي عام ٤٩٦ هـ (١١٠٢ - ١١٠٣ م) ولي عليها السلطان المنصور أميراً من أمراء المرية كان قد التجأ إلى إفريقية ، ويصف الإدريسي (ص ١٤٠) « تداليس » فيقول إنها بلدة على مرتفع من الأرض يحيط بها سور منيع أرباضها خصبة ، ويعيش فيها المرء بالقليل ، وإن بها كثيراً من الأنعام التي تصدر إلى ما جاورها من البلدان . وانتقلت إلى حكم الموحدين عقب سقوط مملكة بني حماد واستولى عليها يحيى بن غانية عام ٦٢٢ هـ (١٢٢٦ - ١٢٢٧ م) ثم تنازعها الموحدون وبينو زيان والحفصيون والمرينيون ، واستولى عليها المرينيون عام ١٣٩٤ م . ويروي الحسن بن محمد الوزان الزياتي *Leo Africanus* (الكتاب الرابع ، ترجمة شيفر Schefer ، ج ٣ ، ص ٦٩) . أن مصير تفليس كان من مصير الجزائر ، وقد وفد عليها - كما وفد على جميع المدن التي على الشاطئ - مهاجرون من الأندلس ، وقد كان هؤلاء أثر في حياتها الاقتصادية والعقلية ، ويروي الحسن بن محمد الوزان الزياتي (كتابه المذكور) أن أهلها كانوا يشتغلون بالصباغة وكانت تجارتهم نافذة ، وقد عرفوا فضلاً عن ذلك - بإجادتهم الغزف على العود . وهو يزعم أن زعيم

«حلتنا» ، وبعد برهة يذكر اسمها لم يأخذ عنه الحديث .

٥ - أن يعطى الشيخ إجازة لمحدث ليروى الحديث ويكون هذا الحديث لم يتلق العلم عنه .

٦ - أن يقول المحدث «حلتنا» أو «أخبرنا» وينسب الحديث إلى شيخه مع الإستناد على الرغم من أنه لم يسمعه عن شيخه .

٧ - أن يذكر المحدث اسم موضع مشهور ولكنه لا يبين هذا الموضع وإنما يبين موضعاً آخر بالاسم نفسه ، ويفعل المحدث هذا لكي يوهب سامعيه أنه جاب الآفاق في البحث عن الحديث .

(ب) التدليس في المتن ، ويسمى كذلك «مُدْرَج في المتن» .

أن يضمن المحدث الحديث عبارة من وضعه أو من وضع آخرين موهماً سامعيه بأن المضمن جزء من الحديث ، وهذا النوع من الحديث يرد في :

١ - أول الحديث ويسمى « المدرج

في أول المتن » .

٢ - في وسط الحديث ويسمى « المدرج في وسط المتن » .

٣ - في آخر الحديث ويسمى « المدرج في آخر المتن » .

(ج) التدليس في الشيوخ ، وهو أن

يروى الحديث أنه سمع الحديث عن شيخه

مع ١٨٧٣ (٣) انظر أيضاً المصادر التي ذيلت بها مادتا الجزائر وبلاد القبائل .

[إشر G. Yver]

«تدليس» معناها في المعاجم العربية «كتمان عيب السلعة عن المشتري» ، وفي مصطلح الحديث كتمان عيب الحديث إما في المتن ، أو الإستناد ، أو الشيخ المروي عنه الحديث .

والتدليس على ثلاثة أصناف هي :

١ - تدليس في الإستناد .

٢ - تدليس في المتن .

٣ - تدليس في الشيوخ .

(١) للتدليس في الإستناد سبعة أوجه :

١ - أن يروي المحدث عن شيخ روى عنه أحاديث أخرى ، ولكن الحديث المدلس لم يروه عن الشيخ مباشرة وإنما رواه من آخر سمعه من الشيخ .

٢ - أن يذكر المحدث الإستناد الذي وصله الحديث عن طريقه ويغفل ذكر المحدثين الضملاء أو الصغار أو غير الثقات .

٣ - أن يذكر المحدث اسماً أو أسماء مع الشيخ الذي روى عنه الحديث وهو في الواقع لم يسمع الحديث عنه أو عنهم .

٤ - أن يسكت المحدث لحظة بعد قوله

ولا يذكر اسمه المشهور ، بل يذكر اسمه فقط
أو لقباً من ألقابه أو امياً من أسيائه غير المشهورة ،
ويفضل الحدث ذلك لأن شيخه ربما كان من
المحدثين الضعفاء ، وبهذا يكتم العيب عن سامعيه
حتى يظن السامعون أن الحديث صحيح .

وقد قال سبط ابن العجمي المتوفى عام ٨٤١ هـ
للموافق ١٤٣٨ م في مصنفه « التبيين لأسماء المدلسين »
أنه نذر حصول التدليس بعد عام ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) ،
وقال الحاكم المتوفى عام ٤٠٥ هـ للموافق ١٠١٤ م
أنه لم يعرف بين المحدثين المتأخرين من عهد إلى
التدليس إلا أبا بكر محمد بن محمد بن سليمان
الباغندي المتوفى عام ٣١٢ هـ (٩٢٤ م) .

وأول من صنف كتاباً في التدليس هو
أبو علي الحسن الكرابيسي المتوفى عام ٢٤٥ هـ
للموافق ٨٥٩ م ، وتبعه القسائي المتوفى عام ٣٠٣
للموافق ٩١٥ م ، والدارقطني المتوفى عام ٣٨٥ هـ
للموافق ٩٩٥ م ، والطبيب البغدادي المتوفى
عام ٤٦٣ هـ للموافق ١٠٧١ م ، وابن عساكر
المتوفى عام ٥٧١ هـ للموافق ١١٧١ م . ومن
المتأخرين الذين صنفوا في التدليس الذهبي المتوفى
عام ٧٤٨ هـ للموافق ١٣٤٨ م ، والعلائي المتوفى عام
٧٦١ هـ للموافق ١٣٥٩ م وغيرهم . وقد ضاعت
مصنفات المتقدمين .

وقد وضع الذهبي منظومة في التدليس ،
يوجد جزء منها في الطبقات الكبرى للسيبكي
(ج ٥ ، ص ٢١٨) كما صنف العلائي رسالة

في الموضوع بعنوان « كتاب المدلسين » وأضاف
أسماء أخرى إلى ما أورده الذهبي في منظومته .
وأكمل الحافظ أبو محمود أحمد بن إبراهيم
المقنبي تلميذ الذهبي منظومة الذهبي بمعلومات
استمدتها من مصنف الملائي لكي يجعل المنظومة
واقفة بالغرض . وأضاف زين الدين العراقي المتوفى
عام ٨٠٦ هـ للموافق ١٤٠٣ م بعض الأسماء على هامش
مصنف العلائي . وهناك ذيل آخر يعتبر رسالة قائمة
بذاتها في الموضوع تنسب إلى أبي زرعة المتوفى
عام ٨٢٦ هـ للموافق ١٤٢٢ م . وأضاف سبط
ابن العجمي أسماء أخرى إلى الذيل المتقدم كما
صنف رسالة عنوانها « التبيين لأسماء المدلسين » ،
وآثم ابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢ هـ للموافق
١٤٤٩ م جريدة الأسماء بإضافة أسماء أخرى ،
وصنف كتاباً عنوانه « كتاب طبقات المدلسين »
أو « تعريف أهل التدليس لمراتب الموصوفين »
بالتدليس .

ويبلغ مجموع الأسماء الواردة في مصنف
العلائي ٦٨ اسماً وأضاف إليها أبو زرعة ١٣ اسماً ،
وسبط ابن العجمي ٣٢ اسماً ، وابن حجر العسقلاني
٣٩ اسماً .

ويبلغ مجموع الأسماء - بما فيها هذه الإضافات -
١٥٢ اسماً . وهناك جريدة مفصلة بأسماء هؤلاء
المدلسين في مصنف ابن حجر « كتاب طبقات
المدلسين » المطبوع في مصر عام ١٣٢٢ هـ .

المصادر :

وينبأ ليلاً ، وقظها غير عثمل صيفاً ينيًا يتساقط
التلج بها أحياناً في الشتاء : وقد عوضها الطبيعة
عما يشوب جوها من العيوب موقعاً جغرافياً ممتازاً
جعلها قطعة اتصال بين الشرق والغرب تمر بها
القوافل وخاصة بين الفرات ودمشق : والقول
بأهمية هذه المدينة ووجودها منذ العصور المتخللة
في القدم أمر لا يحتمل الشك ، ويؤيد هذا القول
تلك النقوش المنسوبة إلى تيجلات بلسر الأول من
القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، إذ أن مدينة تلمر
الموجودة ببلاد «أمورو» التي نوهت بها نقوش هذا
الملك الأشوري لابد أن تكون هي مدينة تلمر التي
نحن بصددها (انظر مقالة E. Heisner المنشورة
في *Literaturzeitung Orientalistische* سنة ١٩٢٣ ،
ص ١٥٧ ؛ ومقالة Dhorme المنشورة في *Revue*
Belge سنة ١٩٢٤ ، ص ١٠٦) ولم يذكر
شيء عن هذه المدينة إلا قيل بدء العهد المسيحي ،
وذكرت أيضاً في التوراة إذ نصت الآية رقم ١٨ من
الإصحاح التاسع من سفر الملوك على أن الملك
سليمان بنى تلمر في فلسطين الجنوبية مع مدن أخرى ،
وعرجلة ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني الآتي رقم
٤ من الإصحاح الثامن مع ما جاء في التلمر
المختلة الأخرى وما قاله يوسفوس Josephus
في كتابه *Archaeology* (ج ٨ ، ص ٦) نجد أن
تلمر هي تلمر نفسها .

ومن هذا يتضح ما كانت عليه تلمر من
الاتساع والشهرة في ذلك الوقت ، كما يتضح
أن القصة التي ذاعت من بعد والتي جاء فيها

- (١) ظفر الأمان في مختصر الجرجاني ،
ص ٢١٣ وما بعدها (٢) *Journal of Asiatic*
Society of Bengal سنة ١٨٥٦ ، ص ٢١٨ ،
ج ٢ ، ١٩٣٦ ، ص ١ وما بعدها (٣)
J. Am. O. S. : Salisbury ، ج ٧ ، سنة ١٨٦٢ ،
ص ٩٢ (٤) *Commentar des Izz ad-Din : Risch*
ueber d. Kunstaudrucke der Traditionswissenschaft
nebst Erläuterungen ، ليدن سنة ١٨٨٥ ، ص ٢٠
(٥) *Mohammad : Zprenger* ، ج ٣ ، ص ٩٩
(٦) *Muhammedanische Studien : Goldziher* ،
ج ٢ ، ص ٤٧ .

[هدايت حسين]

تُدْمَر : : مدينة في الشمال الشرق من
دمشق بواحة في الصحراء الكبرى ، واسمها
الحالي تَدْمَرُ بضم التاء وسكون الهمزة وضم الميم ،
وكان الإغريق يطلقون عليها كلمة بالмира Palmyra ،
ومن المرجح أن تكون تلك التسمية تحريفاً لاسم
قديم كان شائعاً وقطاك (انظر مقالة Hommel
المنشورة في *Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen*
gesellschaft - ج ٤ ، ص ٤٥٧ ، وكذلك مقالة
M. Hartmann المنشورة في *Zeitschrift des*
Deutschen Palaestinavereins عدد ٢ ، ج ٢٠ ص
١٢٨ ، وما بعدها) ويسمى هذه المدينة بنبوغان ماوسما
كريبى ولكنه صالح للشرب بعد ترسيب محتوياته .
وجوها غير ملائم للتضاروت الكبير بين درجة الحرارة نهاراً

التلمرية في ذلك الوقت : وتلمس أثر الإغريق في تهدم النوق التي لأهل تلمر عند ما نشاهد آثار معبد الشمس الضخمة وما إليه من أبنية جميلة .

وفي القرن الثالث تكشفت لأهل تلمر آمال جديدة جعلتهم يحلمون بتوسيع بلادهم ناحية الشرق واتخاذ مدينتهم عاصمة لها . ففي بداية هذا القرن قامت أسرة آل ساسان الجديدة من الفرس فتجدد معها النزاع الشديد القديم مع الرومان ، وألحقت لأهل تلمر فرصة لإظهار مقلتهم السياسية ، وقد أثر أودناتوس الثاني Odenathus (أذنية) أمير تلمر بادئ الأمر أن ينضم إلى الفرس بزعامة صايور (٢٤١ - ٢٧٢) فلما أعرض عنه انضم إلى القائد الروماني بالستا Ballista في آسية الصغرى وأوقع بالفرس المتقهقرين هزيمة منكرة : وأصبح في عهد جالينوس Gallienus الحاكم القملي للشرق كله ومنحه الإمبراطور لقب أغسطس Augustus . وقد انتقلت السلطة إلى ابنه فيلاتوس Vabalathus بعد قتله عام ٢٦٦ - ٢٦٧ . ولكن النفوذ الفعلي بقي لأرملته زنوبيا (زينب) وكانت سيدة موهوبة وسعت رقعة مملكها وخاصة بفتح مصر . وقد تم لها ذلك بموافقة الإمبراطور أورليان Aurelian ولكن سرعان ما شبت الثورة في تلمر ضد الرومان وهزمت زنوبيا عام ٣٧٠ وسلمت تلمر ، ولكنها ثارت من جديد فهنمها أورليان بما فيها من أبنية جميلة ، ونفرت زنوبيا . ولكنها أسرت وحبس بها إلى رومة . واشتهرت زنوبيا ببجالتها وذكائها وما كان لها من تأثير قوى على معاصريها ، وتعرف عنها

أن سليمان قد شيد هذه المدينة العجيبة كانت موجودة بالفعل في ذلك الوقت أيضاً . وقد عرف العرب هذه القصة فيما بعد واحتفظوا بها مع الأسطورة السليالية التي تزعم أن الجن قد ساءلوا الملك سليمان في تشييدها (انظر النابتة البيت رقم ٢٢ وما يليه ، البكرى طبعة Wuestenfeld ص ٥١٤ وما كتبه الجغرافيون المديلون الذين سيأتي ذكرهم بعد) ويقول ابن الأثير (ص ١٦٦ من الجزء الأول طبعة تورنبرغ) إن الملكة بلفيس زارت الملك سليمان في تلمر ودفنت هناك :

وقد راجت تجارة تلمر رواجاً كبيراً بانضمامها إلى الإمبراطورية الرومانية ، وتلقت الأموال على هذه المدينة التي تحيط بها الصحراء القفراء الوحشة : ولييان الطرق التي كانت تربط تلمر بالعالم الخارجي راجع كتاب (Topographie : Dussaud Historique de la Syrie Antiqua et Médievale سنة ١٩٢٧ ، ص ٢٤٨ - ص ٢٧٠) وفي هذا العهد كتب عنها پليناوس Pliny نبذة مختصرة مفيدة دقيقة كل الدقة (Hist. Nat. ج ٢٥)

ولقد استغل تجار تلمر لمصلحتهم الخاصة الملاوة التي كانت بين رومة وبلاد القريتين Parthia ، وكانت للشرط التي وضعها الإمبراطور هيريان ضمتا تنازل عن آشور والعراق للقريتين فالتحق عهد سلام طويل كان له أثر كبير في رخاء هذه المدينة . وتوضح لنا المكوس الجمركية المدونة باللغتين الآرامية والإغريقية في سنة ١٣٦ حركة الأعمال في الجمهورية

إلا عندما عثر على جسد امرأة ترتدى القاصر من الثياب وعلى رأسها لوح من الذهب عليه نقش يحذره من القيام بهذا العمل : ويذكر كثير من الجغرافيين العرب مدينة تدمر في إيجاز كثير ، فيتكلم بعضهم عن أبياتها وآثارها القصعة ، وقد أجمعوا على ذكر الأسطورة القديمة القائلة بأن الجن ساعدوا سليمان في تشييده هذه المدينة : ويلاحظ باقوت بعض الفطنة ولع الناس في كل مكان بنسبة العمائر العظيمة إلى هذا الملك : ولقد كان لرزال سنة ١١٥٧ الهائل أثر كبير في تدمر ، ويلاحظ بنيامين التطلي (١١٧٣) ملاحظة جليلة بالاعتبار وهي أنه لم يكن في هذه المدينة أهل من ألقي يهودي قاضين على حمل السلاح : ويذكر المسمى مع ما يذكره من آثار لا نظير لها في المدينة التي كان يتألف سقفه من خمسة عشر حجراً ، وينسب أهل تدمر بناء قلعة المن الكبيرة الواقعة في شمالي المدينة إلى فخر الدين ملك الدروز المشهور (انظر هذه المادة) ولو أن ذلك في حاجة إلى برهان . وانضمت تدمر إلى أن تنحدر الشرق ، وعاش أهلها في قرية فقيرة في معبد الشمس لا يعلم الغرب من أمرهم شيئاً حتى عام ١٦٧٨ ، وهناك كشف هذه المدينة الشهيرة أعضاء الجالية البريطانية في حلب . وفي عام ١٧٥١ قام روبرت وود Robert Wood بزيارة الكشف عنها ووصفها في مجلد أتيق ، وعندما بدأت الحركة التجارية تعود إلى الانتعاش استردت تدمر أهميتها بفضل موقعها على طرق القوافل . وفي وقتنا الحاضر

العرب باسم الزبياء وإن كانت لم تذكر إلا في قصص غرافية لا يعي التاريخ منها إلا القليل . وما يذكر هنا أنها أغرت الملك العربي جندبة (انظر مادة الحيرة) ثم قتلته بقطع شرايته . وأراد ابن أخيه عمرو بن عدى أن يتخلى عن واجب الأخذ بنار غاله ولكن قصيراً لما كرم حمله عليه ، وقد استطاع باليلة أن يوقع الملكة المخادعة في يده ولكنها تناولت ما كانت تحفظ به دائماً في خاتم تلبسه قبل أن يلقيها عمرو كأس الموت .

وموت زونيا فقدت تدمر أهميتها : وقد أعيد تشييد أسوارها ولكنها لم تعد إلى ما كانت عليه ، وكسدت تجارتها وهي مصدر الرزق فيها . وفي هذا الوقت أخذت المسيحية في الانتشار بتدمر وعاش بها بعض الأساقفة وشيد بها يوستنثيوس كنيسة : واستمرت تدمر تحت حكم الرومان زهاء ثلاثة قرون إلى أن أخذها العرب ، وقد حاول أهلها الدفاع عنها حين أشرف عليها خالد بن الوليد ، ولكنهم صدلوا عن رأيهم وسلموها مختارين ليحفظوا لأنفسهم صفة أهل اللمة (انظر هذه المادة) ، ولكنهم ثاروا ثانية فأنفذ إليهم يزيد دحية ، فأغصهم نهائياً بعد أن فتح دمشق : ولم تستعد تدمر رخاءها أثناء الحكم الإسلامي ، وكان أغلب سكانها من الكليين : وقد ثارت على مروان الثاني فيما ثار عليه من المدن فخرج إليها في جنده فوصلح معها . ويكرم ابن القتيبة (٨٢٩٨ = ٩٠٢ م) أن مروان هدم جزءاً من أسوارها ، وفي رواية أخرى أنه لم يعدل عن تخريب المدينة تخريباً شاملاً

ج ٨ ، ص ٤٣٨ ، ج ١٠ ، ص ٤١٤ ، ج ١١ ،
 ص ١٧٢٤ - (١٤) اليمقرى : المكتبة الجغرافية
 العربية ، ج ٧ ، ص ٣٢٤ (١٥) الإصطخرى :
 المجموعة المذكورة ، ج ١ ، ص ١٣ (١٦) المقلنى :
 المجموعة نفسها ، ج ٣ ، ص ١٥٦ ، ١٨٦ (١٧)
 ابن الفقيه ، المجموعة نفسها ، ج ٧ ، ص ١١٠ ،
 ج ١٦٥ (١٨) ابن خرداذبه : المجموعة نفسها ،
 ج ٦ (١٩) معجم باقوت طبعة Wuestenfeld ،
 ج ١ ، ص ٨٢٨ ، ص ٨٣١ (٢٠) النمى : طبعة
 Mehren ، ص ٣٩ (٢١) *The Itinerary of*
Benjamin of Tudela ترجمه ونشره
 سنة ١٨٤٣ ، ص ٨٧ (٢٢) *Wood & Dawkins* :
Les Ruines de Palmyra سنة ١٨١٢ (٢٣)
Vom Mittelmeer bis zum : v. Oppenheim
Persischen Golf سنة ١٨٩٩ ، ص ٢٧٨ ، ٣٣٧
An Account of Palmyra : W. Wright (٢٤)
Fonilles : Cumont سنة ١٨٩٥ (٢٥) *and Zenobia*
de Douro-Europas سنة ١٩٢٦ ، ص ٤٧ ، ٦٤
 من النص .

[بول بول Fr. Buhl]

« تَلْمِير » : اسم كورة بالأندلس ظلت
 حاضرتها قائمة حتى انحلال الخلافة الأموية ،
 ويلقب مؤلفو العرب إلى أن هذا الاسم مشتق من
 تعريب اسم الحاكم « تيودومير » من القوط
 الغربية الذى كان عامل « لُدَريق » ملك طليطلة
 فى مرسية أيام غزو العرب الأندلس .

دبت فيها حياة جليدة إذ استخلمت السيارات
 لعبور الصحراء فجعلت الاتصال بين تلعر ومدن
 الشرق والغرب مريحاً ومريحاً ،
 المصادر :

(١) *Palmyra, eine historisch* : Partsch
Berichte d. sachs. Ges. d. Wiss. (Klimatische Studien
 ج ٧٤) (٢) بحث Honigmann للشور
 فى *Zeitschrift der Deutschen Palaestinavereins*
 ج ٤٧ ، ص ٢٧ وما بعدها ، وعن المكوس الجمركية
 اقرأ بحث Bockendorf للشور فى *Zeitschrift*
der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft
 ج ٤٢ ، ص ٣٧٠ - ٤١٥ ، وعن زتويا اقرأ
 (٤) الطبرى ، طبعة ده غويه De Goeje
 ج ١ ، ص ٧٥٥ - ٧٦٦ (٥) ابن الأثير طبعة
 Tornberg ، ج ١ ، ص ١٦٦ ، ص ٢٤٧ (٦)
Essai sur l'histoire des : Caussin de Perceval
 ج ٢ ، ص ٢٨ ، ٣٦ ، ١٩٦ - ١٩٨
 (٧) *Proverbia arabica* : Freytag ، ج ١
 ص ٤٢٤ وما بعدها (٨) *Die* : A. v. Sallet
Fuersten von Palmyra سنة ١٨٦٦ (٩) L. Double :
Les Gésars de Palmyra سنة ١٨٢٧ (١٠)
Palmyras sine Tadmur urbis fides : Grimme
quas fuerint tempore musulnico سنة ١٨٦٦ (١١) فتوح
 البلدان للبلاذرى طبعة de Goeje ، ص ٣ (١٢) الطبرى
 ج ١ ، ص ٢١٠٩ ، ٢١٥٤ ، ٣٤٤٧ ، ج ٣
 ص ٥٣ وما بعدها (١٣) ابن الأثير ، ج ٥ ، ص
 ٣٤٩ وما بعدها ، ص ٣٣٢ ، ج ٦ ، ص ٧٦ ،

الإدارية لقمية « ترنات » Ternate وكانت حكومة الهند الشرقية الهولندية لا تتولى أمرها مباشرة .

وهي تكون مع بعض الجزر الصغيرة وجزء من « هلمهيرة » إقلياً يسمى تدورة أيضاً يتمتع باستقلال ذاتي، وكان على رأسه سلطان إلى سنة ١٩٠٩ حيث تولى الحكم مجلس من الأعيان .

ويشبه سكانها أهل ترنات من جميع الوجوه (انظر هذه المادة) وقد دخلها الإسلام حوالي عام ١٤٣٠ كما يستفاد من المصادر البرتغالية ؛

وأثر بين الأهلين أن أول من علمهم الإسلام أحرابي يدعى الشيخ منصوراً، وأن أول من آمن من حكامهم هو « تيجيلاتي » ويقال أيضاً « تيجيلانو » وأثر تيجيري ليليانو حوالي عام ١٤٩٥ وتسمى جمال الدين .

المصادر :

- (١) *Bijdragen tot de T.S.A. de Cleroq*
Kennis der residentie Ternate ، لندن سنة ١٨٩٠ .
 [راسرز W. II. Rascars]

« تَذْكِرَةٌ » : لفظ عربي للدلالة على ما يستذكر به الحاجة ، وهو من القمل ذَكَرَ ، ويرد في كثير من أسماء الكتب المعروفة ككتاب « التذكرة الناصرية » في علم الهيئة نصير اللعين الطوسي ، وتذكرة الأولياء الفريد الدين العطار ،

وقد اشتهر تيودور بوجه خاص بالمادة التي عقدها مع موسى بن نصير (انظر هذه المادة) والتي حفظ نصها العربي من الضياع الفسّى وابن عبد المنعم الحميري . وقد نشرها لأول مرة « غزيري » في المكتبة الأندلسية (ج ٧ ، ص ١٠٦) ثم تناولها كاسبار راميرو بالدرس المستفيض في مؤلفه للتصوت تاريخ مرسية الإسلامي (ص ١١ - ٣٧) .

ويرى جغرافيو العرب أن كزرة تلمبر كانت ملاصقة لجيبان والبيرة وأن أهم مدنها كانت لورقة وأوريولة ولقت وقرطاجة ومرسية ؛ وليان تاريخ الإقليم في العهد الإسلامي تراجع مادة مرسية .

المصادر :

- (١) الإدريسي : المسالك والممالك ، ص ١٧٥ من النص ؛ ١٢٠ من الترجمة (٢) ياقوت : المعجم ، ج ١ ، ص ٨٣١ - ٨٣٢ (٣) ابن عبد المنعم الحميري : الروض المطار ، طبعة أسبانيا ، رقم ٥٣ (٤) الضبي : بغية المتعصب ، رقم ٦٧٥ ، ص ٢٥٩ (٥) *La geografia* : J. Alemany Bolufer
 « de la Peninsula iberica en los escritores arabes »
 غرناطة سنة ١٩٢١ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

[ليئي بروفنسال E. Lévi-Provençal]

« تَدْوَرَةٌ » : جزيرة بركانية صغيرة فوق هلمهيرة Halmahem في الجزر الشرقية من أُوغِيِيل الملايو . وهي خاضعة من الناحية

(يرليغ ؟ Radloff : ج ٢ ، ص ٣٤٣)
ويبلغ عددهم ٦٠٠٠ أسرة منهم ٤٠٠ أسرة على
الشاطئ الأيمن نهر إيله و ١٩٠٠ على الشاطئ
الأيسر (إذا أردت زيادة التعريف انظر Radloff :
Aus Sibirien ، ج ٢ ، ص ٣٣١ وما بعدها) ،
وقد زاد عددهم وفق إحصاء عام ١٨٣٤ إلى
٨٠٠٠ أسرة . وكانت حياتهم ميسرة حتى بداية
الثورة التي قام بها المسلمون في بلاد كاشغر ،
ثم أصرت لكثرة ما ألقي عليهم من أعباء الحرب ،
وثار سكان وادي إيله أيضاً بعد عام ١٨٦٣ ،
واستطاع الترائجي بعد قتال عنيف أن يستقروا
بولايتهم تحت إمرة السلطان أبي العلاء أو أصل خان
(انظر مادة « قولج ») . وفي عام ١٨٧١ فتح
الروس هذه الولاية وظلوا يحكمونها إلى عام
١٨٨٢ : وكان عدد الترائجي ٥١,٠٠٠ نسمة
رحل منهم ٤٥,٣٧٣ نسمة إلى المناطق الروسية
عندما أعيد وادي إيله إلى الصين بمقتضى معاهدة
سانت بطرسبرغ المبرمة في ٢٤ فبراير عام ١٨٨١ م
واستقروا في ناحية سمريجنية *Semirjenskaya Oblast*
وكان زعيم هؤلاء المهاجرين تاجراً سرياً يلجئ
والى أخون بولنداشف .

وكان الترائجي غالبية السكان في مدينة يار كند
التي أنشئت وقتذاك (بلغ عددهم عام ١٩١١ :
١٦,٠٠٠ من ٢٥,٠٠٠ نسمة) . وقد نزلت منهم
كثير من الأراضي التي كانت قد أعطيت لهم
فأعطيت قوزاق الروس قبل عام ١٨٨٧ م وتزوج
الترائجي إلى بقاع أخرى . ولم تقلب شهرة الترائجي

وتذكرة الشعراء الجامع لتراجم المشهورين من
شعراء القروس .

وفي لغة التواوين بمعنى رخصة ومفكرة
وجواز . وترد « يول تذكرة سي » بمعنى جواز
السفر ، و « مرور تذكرة سي » بمعنى جواز
المرور من دار المكوس ، كذلك ترد للدلالة
على أوامر تولية القضاة ، وتسمى يرامت
إذا صدرت إلى رجال الدين .

وقد عرف في نظام الحكم التركي القديم
منصباً تذكرة جي (موزع التلاكر) أحدهما
فوق الآخر ، وهما منصبان هامان يتبعان مباشرة
قاضي السكر (انظر هذه المادة) ولصاحبيهما
من المكانة ما يؤهلها لمجالسة الصلح الأعظم .

المصادر :

- (١) انظر ألكواميس (٢) *M. d'Ossan* :
Tableau général de l'Empire Ottoman ، باريس
سنة ١٧٩١ ، ج ٤ ، ص ٥٣٩ ، ٩٧ .
[كارآده فر *B. Clarra de Vaux*]

تَرَائِجِي : كلمة في اللغة التركية
الشرقية معناها الزارعون ، تستعمل علماً على قوم
قتل على المستعمرين الذين كانت تبعث بهم
الحكومة الصينية في منتصف القرن الثامن عشر
من بلاد كاشغر إلى وادي إيله (*Radloff : Woertebuch* :
ج ٤ ، ص ٨٤١) . وبلغ من أمر الترائجي
في وادي إيله أن اعتبروا أنفسهم السكان الوطنيين

المصادر :

- (۱) *Aus Sibirien* : W. Radloff ، الطبعة الثانية ، لينسك سنة ۱۸۹۳ ، ج ۲ ، ص ۳۳۱ وما بعدها (۲) *Turkestankiy* : W. Massal'skiy ، سانت بطرسبرغ سنة ۱۹۱۷ ، ص ۴۰۳ وما بعدها (۳) *Aziatskaya Rossiya* ، الطبعة الرسمية ، سانت بطرسبرغ ۱۹۱۴ ، ج ۱ ، ص ۱۷۴ (۴) *Materiali po obitiedovaniiyu tuzemnago i ruskago Zemlepol'zovaniya v. Semirechenskoi Oblasti* ، الطبعة الرسمية (۵) *T. V. Taranchi* ، سانت بطرسبرغ سنة ۱۹۱۴ (۶) وانظر أيضا مصادر مادة قولجی،

أما عن أحوال الترانجی الآن فانظر :

- (۱) *Spisek narodnosti Soyuzu Sov. Soc.* ، لينينغراد *Respublik* ، *Zhuk redak I. I. Zarubina* ، طبعة المجمع اللغوي ، ص ۳۴ ، سنة ۱۹۲۷ ،

أما عن لغة الترانجی وأدبهم فانظر :

- (۱) *Proben der Volksliteratur* : W. Radloff (۲) *Dialect der turkischen Stammes* ، سانت بطرسبرغ سنة ۱۸۸۶ (۳) *Tarantschi* ، سانت بطرسبرغ سنة ۱۸۹۰ *Zaranchinskaya pisani* : N.N. Pantusow ، سانت بطرسبرغ *Zap. Imp. R. Gengr.* ، المجلد ۱۷ ، ص ۱ ، *Obsch. no otdel etnogr* ،

[W. Barthold : بارثولد]

عل الزراعة وفلاحة البساتین ، ذلك أنه كان قديم أيضاً الصانع الماهر والمامل المجد ، ويقال إنه لا يشق لهم غبار في البناء باللبن . وكان عددهم وفق إحصاء عام ۱۸۹۷ : ۵۵,۹۹۹ نسمة ، كما أنهم أحصوا بعد ذلك فزاد عددهم إلى ما يقرب من ۸۳,۰۰۰ نسمة . وبلغ عددهم في إحصاء عام ۱۹۲۰ : ۶۲,۳۰۳ نسمة . وساءت حالهم كثيراً من جراء فتنة القره قرغيز عام ۱۹۱۶ وبا. صاحبها من أحداث . وكان عدد الترانجی في حواضر ناحية ياركند عام ۱۹۱۷ : ۶,۷۳۶ نسمة فقط ، وهو تناقص كبير إذا لاحظنا ما سبق أن ذكرناه من أنهم بلغوا ۱۶,۰۰۰ نسمة في مدينة ياركند وحدها .

وليس الترانجی في روسيا السوفيتية وحدة سياسية ، فهم يعيشون في جمهورية قازاقستان المستقلة استقلالاً ذاتياً ، كما يعيشون أيضاً في مستعمرة لهم في برام حل من أعمال بلاد التركمان . ويزعم الترانجی والترکمان (كاشغرقي) الذين تزحوا قيا بعد من بلاد كاشغر أنهم من الجنس الأويغوري ، وهو زعم خاطئ لأن الأويغور لم يغربوا إلى هنا المجد في عصور التاريخ .

وكان عدد الترانجی الباقيين في بلاد الصين في بداية القرن العشرين حوالي ۸,۲۰۰ نسمة ، وقد حاولت السلطات الصينية إغراء الترانجی الذين هاجروا إلى روسيا بالعودة إلى موطنهم ، وأصبحت في دعوتها شيئاً من النجاح .

من يحث في المسجد بعد التراويح للقيام بما عليه عليه الورع من شئنا .

ويجتمع الناس في « آجن » ورفات لأداء التراويح وإن كان « التونكو » هو الذي يقوم بالنصيب الأكبر منها عادة . بينما يقنع الآخرون بأن يرددوا معه في غير خشوع فقط آمن مع الصلاة على النبي . ويستحق التونكو على جهوده هذه زكاة القطر (*Ver. Ak. Amst.*) مجموعة جديدة ، ج ٢٥ ، رقم ٢) . وقد ردت فستك في كتابه (*The Arabic New year*) شئنا رمضان إلى العصر الجاهلي .

المصادر :

- (١) البخاري ، التراويح ، مع الشروح
- (٢) موطأ مالك ، الصلاة في رمضان مع شرح الرزاق (٣) أبو إسحاق الشيرازي ، التنبية ، طبعة جوفبول ، ص ٧٧ (٤) الرمل : النهاية ، القاهرة سنة ١٢٨٩ هـ ، ج ١ ، ص ٥٠٣ وما بعدها
- (٥) ابن حجر الميمني : النجفة ، القاهرة سنة ١٢٨٢ هـ ، ج ١ ص ٢٠٥ وما بعدها (٦) أبو القاسم الحلبي : شرائع الإسلام ، كالكة سنة ١٢٥٥ هـ ، ص ٥١ (*Annali : Gaetani*) (*V*) سنة ١٤ هـ ، فقرة ٢٢٩ وما بعدها (٨) *Handleidng : Juynboll* ، لندن سنة ١٩٢٥ (٩) *Mekka : Snouck Hurgronje* ، ج ٢ ، ص ٨١ وما بعدها (١٠) الكاتب نفسه : *Mekkanische Sprichwörter* ، رقم ٤٩ (١١)

والتراويح : كلمة عربية وهي صيغة الجمع من المفرد الشاذ « ترويجة » ، والتراويح هي الصلوات التي تقام في ليالي رمضان .

وجاء في الحديث أن النبي أشاد بها وإن كان في الوقت نفسه قد بين أنها ليست من القرائن (البخاري ، التراويح ، حديث ٣) ،

ويروى أن عمر كان أول من جمع لها المصلين فخلع قارعيها من القراء في مسجد المدينة أحياناً أو جماعات (المصدر نفسه ، حديث ٢) ، وأثر عنه أنه كان يفضل الشطر الأول من الليل للقيام بها .

ويوصى الشرع بالقيام بالتراويح بعد صلاة العشاء ، وهي عشر تسليات في كل منها ركعتان ، وبعد كل أربع ركعات ترويجة ، ومن ثم سميت هذه الصلوات بالتراويح . وركعاتها عند المالكية ست وثلاثون . وهم يعتبرونها من صلوات السنة ولها أهمية جميع الفعائل التي تؤدي في رمضان (انظر هذه المادة) . ويفضل الشيعة أداء ألف ركعة خلال شهر رمضان .

ويجتمع الناس في مكة خلف الإمام ، في جماعات يراوح عددها بين العشرة والمائة والخمسين ، ويصل الإمام بالناس متطوعاً حتى ولو كان بعيداً من الحكومة . وتلاوة القرآن المكان الأرفع في هذه الصلوات . ولأن لا وقت له أن يوجز ، في حين ينزل آخرون خلف الإمام يتلون القرآن مرة أو أكثر في ليالي رمضان ، بل إن هناك

قربتهم تحت السلطة المباشرة لعامل الإقليم ٢ وفي تربت شيخ جام حصن بلداني من الطين : وفي ناحية الشرق من القرية ضريح الولي الذي سميت باسمه . وقد كان شيخا من المتصوفة يدعى أحمد جاني توفى عام ٥٣٦ هـ الموافق ١١٤٢ م (انظر مادة أحمد جاني) . ويقول ابن بطوطة (طبعة باريس ، ج ٣ ص ٧٥ وما بعدها) أن هذا الشيخ كان يعرف باسم شهاب الدين أحمد ، وأن المكان في حوزة خريته وأنه مستقل تمام الاستقلال عن سلطة الدولة ، بيد أن ما رواه ابن بطوطة عن الشيخ أكثر من ذلك ليس إلا أساطير محالية ليس لها قيمة تاريخية : وقد زار تيمور الضريح كما زاره بعد ذلك همانيون .

وكان اسم المكان في القرون الوسطى بوزجان (بوجكان) ، ويورد ياقوت (ج ٣ ، ص ٨٩٠ وما بعدها) اسمها بصيغة أخرى هي فَرْزْ أو فَرْزْ ويُنسب إليها بعض العلماء فيقال الفَرْزْ كما ينسب إليها فيقال « البوزجاني » ، وكانت مقبلة ناحية جام (وترسم كذلك زام) ، وهي في الشمال الشرقي من قوهستان . ويقول ياقوت إن بوزجان على مسيرة أربعة أيام من نيسابور وستة من هراة ، بينما يقول الإصطخري (ص ٢٨٢) إنها على مسيرة أربعة أيام من بوشنج وينبع المدينة أكثر من ١٨٠ قرية ، وهي في مكان خصب كثير الماء : ويقول ابن رسته (ص ١٨١) إن جام من التسعة عشر رستاقا التابعة لنيسابور ؛ ويقول المقدسي (وفق النص الذي أورده ده غويه ص ٣١٩ ، تعليق هـ) أن اسم بوزجان إنما يطلق فحسب على «القصر» بإناته لاعلى الإقليم جميعه

الكتاب نفسه : *De Atijehs* ج ١ ، ص ٢٤٧ وما بعدها (١٢) *Tableaux : d'Ohsson* ، *général de l'empire ottoman* ، باريس سنة ١٧٨٧ ، ج ١ ، ص ٢١٤ وما بعدها ، ونجيب الحيلة عند الرجوع إلى هذا الكتاب (١٣) *Manners : Lane* ، لندن وبيسلي *and Customs of Modern Egyptians* ، لندن وبيسلي سنة ١٨٩٩ ، ص ٤٨١ .
[فلتسكك *A.J. Wansinck*]

(تربت حيدرى) : (انظر مادة زاوه)

« تربت شيخ جام » : اسم مكان في الشمال الشرقي من فارس بإقليم خراسان على مقربة من الحدود الأفغانية . وموقعها على التحقيق على خط طول ٦١° شرقا وخط عرض ٣٥° شمالا ، وهو مرتفع في الطريق الممتد بين مشهد وهراة ، وتبلغ المسافة بين تربت شيخ جام ومشهد ٩٦ ميلا تقريبا ، أى ما يقرب من نصف المسافة بين مشهد وهراة . وتربت شيخ جام على رافد نهر هري رود وكان عدد بيوتها في النصف الأول من القرن التاسع عشر ٢٠٠ بيت (Conolly حوالى عام ١٨٣٠) وأحصاهم بيت ٢٥٠٠ حوالى نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٤) ، ٢٥٠ بيتا تقريبا . وقد لاحظ الرحالة بيت أن السكان يطلقون على المكان اسم « جام » ويسمون أنفسهم « جاني » . وكانت تقطن المكان عام ١٨٩٤ حوالى ٤,٠٠٠ أسرة كلها من القلاحين ولم شيخ منهم . وكان الجاميون علما زار بيت .

وتشبه وظيفة هذين الترجمان أعمال طلبة خاصة من الموظفين في نظام الطوائف الإسلامية يعرف الواحد منهم - وفقاً لما جاء في كتب الفترة - « بالثقيب » أو ترجمان اللسان أو ترجمان القدم ، ويقوم هذان الترجمان خلال الاحتفال بقول عضو جديد في الطائفة بأعمال تشابه الأعمال التي يقوم بها الترجمة في الطريقة البكتاشية (انظر *Beitrage zur Kenntnis des Islamischen: Thorning* *Vorinswensens* ، برلين سنة ١٩١٣ ، ص ١٠٦ وما بعدها) .
٢ - وتدل أيضاً كلمة ترجمان في الطريقة البكتاشية على الصلاة ولا تطلق إلا على صلوات خاصة تتل في مناسبات معينة ، ويقال أيضاً إن كلمة ترجمان هي كلمة أو عبارة السر عند البكتاشية (انظر *The Darvishes : Brown* ص ١٨٠ ، ١٩٩٠) .

[كرامرز J.H. Kraemers]

«ترجمان»: صيغة تركية للكلمة العربية «ترجمان» (انظر محمد حفيد: الغلطات المشهورة، ص ١١٠)، وهي من أصل آراي دخلت إلى العربية منذ عهد متقدم. وكان لترجمة على الدوام شأن هام في الصلات التجارية والسياسية بين الدول الإسلامية والشعوب الأجنبية. وبدأ نشاط هؤلاء الترجمة يظهر على صفحات التاريخ بشكل جلي منذ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) إذ يرجع إلى ذلك العهد تاريخ أقدم ما أُرجم من المعاهدات المعروفة التي عقدت بين المدن أو الدول المسيحية وبين الحكام المسلمين للدول البحر المتوسط. وقد درس

وما فيه من القرى التابعة له (انظر مادة «شهر»). وليس لدينا شك في أن الملاحظة الواردة في هذه الفقرة ليست واضحة، فهو في ص ٣٢١ (تلميح ب) يعود فيجعل القصر هو المدينة.

المصادر:

- (١) *The Lands of the G. Le Strange*
Eastern Caliphate، ص ٣٥٦ وما بعدها (٢) *E. Yate*
Kharasan and Sistan، ص ٣٥ وما بعدها (٣)
Erdkunde : C. Ritter، ص ٢٦٤ (٤) *Ma Yade*
C. Barbier de Meynard، ص ٢٨٦، ٢٧٨
Dictionnaire... de la Perse، ص ١٢١، ١٤٩
وما بعدها

[بوختر V.F. Buchner]

«ترجمان»: لهذه الكلمة في مصطلح التصوف

الركمي معنيان:

- ١ - عضو في طريقة صوفية يصحب المبتدئ خلال مدة تلقيه أصول هذه الطريقة ويكون له بمثابة الترجمان الروحي. ويقود المريد الذي يتلقى أصول الطريقة البكتاشية ترجمانان إلى حضرة الشيخ، بينما يمثل أحد عشر رجلاً آخرون الأئمة الأحد عشر، وفي خلال هذا الاحتفال يقوم هذان الترجمان بإرشاد المريد وتلقيته الصبح التي يتلوها (انظر *The Darvishes in oriental* : J. P. Brown
Spiritualism، طبعة روز H.A. Rose لندن سنة ١٩٢٧، ص ٢٠٦ وما بعدها) .

الحاجة إلى المترجمين القادرين الذين يعتمد عليهم ، ومن ثم كثر ذكرهم في المصادر التاريخية ، والاسم ، الشائع لهؤلاء المترجمين في المصادر الأوربية هو دروگمان Drogman أو دراگومان Dragoman ، وظل كذلك الهم القرنى « تريشان » Truchement مستعملا مدة طويلة ، وكان الترجمة في جميع الدواوين التركية بكثير من التفور ، كما كانوا في قصليات الدول الأجنبية في هذه التفور ، وكان الترجمة في العاصمة أعظم شأنًا ، واستخدمت دور السفارات الأجنبية كثيرًا من هؤلاء الترجمة ،

وكان منصب ترجمان الحكومة التركية أهم هذه المناصب جميعًا ، ومن المحتمل أن هذا المنصب كان موجودًا في عهد السلطان محمد الثاني ، وكان صوباشى على بك هو أول ترجمان للباب العالى ، وهو الذى أبرم معاهدة الصلح مع البندقية سنة ١٥٠٢ . وأعقبه يونس بك المتوفى عام ٩٤٨ هـ (١٥٤١ - ١٥٤٢ م) وقد أسفر مرارًا إلى البندقية ، وشيد يونس هذا مسجلًا بالآستانة يعرف باسم « درهمان مسجلى » (انظر سجل عثمانى ، ج ٤ ، ص ٦٧٧ : حقيقه الجوامع رقم ٢٢٦) . وكان يونس بك يوناني الأصل ، كما كان خلفه أحمد ألمانيًا من فينا ، وكان اسمه الأول هيتز تولمان Heinz Tulman . وكان مراد بك ترجمانًا للباب العالى في القرن السادس عشر ، وكان مجربًا أمر في وقته « مهاج » واشتهر بأنه مؤلف رسالة جدلية في الدفاع عن الإسلام وناظم ترجمة كتبها بلغات ثلاث : التركية واللاتينية والعبرية . (نشرها

ده ماس لا ترى De mas Latrice المعاهدات التى أبرمت مع ولايات إفريقية الشالية ، ويتضح منها أن الترجمان « Torcimani » كانوا طائفة من العمال لاغنى عنهم في الميثاق التجارية المعروفة باسم « دور المكوس » في التفور التى تصل إليها التجارة الأجنبية ، ويمكن الرجوع إلى كتاب ده ماس لا ترى (القدمة ، ص ١٨٩ وما بعدها) فيها يخصص بالصيغ اللاتينية والأوربية لكلمة ترجمان Torcimani ، وكانت الصفقات التجارية جميعًا لا تكاد تتم إلا بواسطة هؤلاء الترجمة الذين كانوا يولفون غالبًا نوعًا من النظام الطبقى ، وكانت أقولهم حجة في كل مكان . وكانت تجبى مكوس خاصة على البضائع التى يتم تبادلها عن طريقهم . وكانت السلطة المحلية لتضبط هؤلاء الترجمة بادئ الأمر ، وهم إما منسلمون وإما نصارى أو يهود . وكان يوكل أمر كل تجارة أجنبية إلى واحد منهم في بعض الجهات ، وكان لا يستغنى عن وجود بعض هؤلاء الترجمة عند إبرام المعاهدات ، أو عند تفسيرها إذا لزم الأمر ، وذلك عندما يكون نضها غامضًا ، وفي هذه الحالات كان يثبت بصفة خاصة اسم المترجم في نص المعاهدة . ويتضح أيضًا من هذه المعاهدات أن بعض المترجمين كانوا على اتصال وثيق بحاكم المنطقة التى هم فيها ، وورد ذكر ترجمة بلاد الشام في المصادر القرنية عن الصليبيين .

وظل قدر الترجمة وعلمهم في أيام النولة العثمانية على ما كانا عليه في القرون السابقة . وكثرت الصلوات التجارية والسياسية وعظم شأنها فاشتدت

وقد كان ترجمة السفارات والتصليات عبارة وسطاء دوليين لا يقل نفوذهم عن نفوذ ترجمة الباب العالي . وهم بوجه عام من طبقة هؤلاء الترجمة ، أعنى أنهم مسيحيون كالترجمة الذين في خدمة الدولة العثمانية . وتضمن لهم المعاملات والامتيازات وكذلك الإجازات « برامات » التي يمنحهم إياها السلطان ، حماية الدولة التي يقومون غلظتها في في التصلية أو في السفارة . ومن وظائفهم الخاصة التي ينص عليها صراحة في الامتيازات أن يقوم الترجمة بتمثيل القناصل في القضايا التي تمس رعاياهم وتعرض على المحاكم التركية ، وهذه الوظيفة مستمدة من حق القناصل في مباشرة هذا العمل ، وليس من شك في أن هذه الوظيفة قد تطورت عن الدور الذي قام به الترجمة منذ العصور الوسطى . ومنذ القرن الثامن عشر ازداد نفوذ الدول الأوروبية ومعللها في تركيا وأصبح الباب العالي لا يطبق تدخل الترجمة في الشؤون التركية ، يضاف إلى ذلك أن القناصل قد غالوا في حقهم في انتخاب الترجمة من بين رعايا الترك ، وسلخ هؤلاء الترجمة من سلطان حكومتهم . وكان من نتيجة احتجاج الباب العالي على هذا الأمر أن ضيق من حق اختيار السفارات والتصليات للترجمة الترك وذلك بمقتضى الاتفاق الذي عقد بين الحكومة التركية وهيئات التمثيل الأجنبية في سنة ١٨٦٣ . وفي حوالى ذلك الوقت أخذت معظم الحكومات الأوروبية في إعداد طبقة خاصة من الترجمة من بين رعاياها ، وهذا الإعداد يتطلب تدريباً خاصاً . وكان رؤساء الترجمة في سفارات الدول العظمى بالاستانة هم أصحاب الشأن

Literaturdenkmal der aus Ungarn F. Babinger
Turkzeit ، برلين سنة ١٩٢٧ ، وانظر أيضاً صفحة ٣٨ وما بعدها من هذا الكتاب فيما يختص بالأخبار عن ترجمة الباب العالي) ، وكان لدى الباب العالي في ذلك الوقت عدد من الترجمة وكان كبيرهم « الباشا ترجمان » ، وجعلهم دون استثناء من النصارى (يونان وألمان وإيطاليين) ، ولما ازدادت العلاقات الأجنبية في الدول العثمانية أهمية وأصبحت أكثر تعقيداً عن ذي قبل ، ازداد نفوذ ترجمة الباب العالي حتى أصبح مركز ترجمان الباب العالي يكاد يكون وراثياً في أسر من مافروغورداتو Mavrogordato وغيكا Ghika اليونانيين : وجرت العادة بأن يختار الترجمة ولاية لإمارات الدانوب : ولما كان من النادر في ذلك الوقت أن نجد من بين الترك أنفسهم من يعرف اللغات الأوروبية ، فإن أثر هؤلاء الوسطاء على السياسة للتركية الخارجية كان كبيراً جداً ، وكثيراً ما كان يصدر الأمر بقتل من سبق لهم أن ولوا منصب كبير الترجمة . ولم تستطع الحكومة التركية التخلص من مساعدة هؤلاء الموظفين الذين لم يركن تماماً لأمانتهم وإخلاصهم إلا في عهد السلطان محمود الثاني في الوقت الذي زادت فيه أهمية ونشاط « رئيس أفتدى » (انظر هله للمادة) . ولم يدرس بعد الدور الذي قام به ترجمة الباب العالي في السياسة العثمانية . وقد أورد فون هامر Von Hammer في كتابه (*Geschichte des osmanischen Reiches* ج ٧ ، ص ٦٢٧) بياناً غير كامل بأساء هؤلاء الترجمة .

وتُرجمته: «الدم التركي لتركته» Trikkalnos، وهي مدينة في تساليا الغربية باليونان على نهر تركالوس Trikkalnos الزاخر وعلى ارتفاع أربعمائة قدم فوق سطح البحر، وهي على السكة الحديدية بين فولوس Volos وكتيكه Katakalaia ولا أثر اليوم لمدينة ترجمته التي لم تكن تبعد كثيراً عن مدينة تركه Trikkha القديمة ولا لعيد أسقليبيوس Asclepias الشهير وقد ضمت هذه المدينة إلى اليوناني سنة ١٨٨١، وكانت قبل ذلك من أملاك الدولة العثمانية، إذ استولى عليها بايزيد الأول عام ٧٩٨ هـ الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٣٩٥ (انظر حاجي خليفة: ٤ Runet und Berge طبعة Hammer ص ١٠٠) Geschichte des osmanischen Reiches : J.V. Hammer ج ١، ص ٢٤٩). وقد استولى الترك على هذه المدينة في نفس الوقت الذي استولوا فيه على لاريسا (بالتركية: بكلي شهر، انظر هذه المادة) وكانت هذه المدينة بعد ذلك من أملاك طرخان أوغلي (انظر هذه المادة) وهي من أقدم وأشرف الأضرحة العثمانية. وقد استقر هؤلاء في مدينة ترجمته في عهد السلطان سليمان القانوني بعد أن طردوا من يودايت (انظر Belon : Les observation de plusieurs singularités etc. ١٥٥٥، ورقة رقم ٥٨) وأثنا عمر بن طرخان في هذه المدينة مدرسة مسقوفة بالرصاص. ومن درس فيها من الطلاب الشاعر العثماني أحمد المسمى بـه بوزاده المتوفى بمدينة ترجمته عام ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) ودفن في ضريح عمر بن طرخان الذي

المعروف هم، حو. النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين، في القيام بالمفاوضات الخاصة مع الباب العالي وخاصة ما كان منها متصلاً بتفسير الامتيازات وتطبيق الحقوق المبنية الخاصة بذلك الأراضي، وهي الحقوق التي بنيت على هذه المعاهدات. ومهما يكن من الأمر فإن الحكومة التركية قد ألغت الامتيازات في سنة ١٩١٤ ورفضت في الوقت نفسه الاعتراف بالمواطنين الذين يعملون في السفارات والقنصليات بلبق ترجمان. وعلى ذلك فإن هذا اللقب لا يستعمل الآن في تركيا رسمياً.

المصادر :

- (١) Traité de : L. de Mas Latrie
paix et de commerce et documents divers concernant
les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique
Septentrionale؛ باريس سنة ١٨٦٦، ص ٨٩ وما بعدها،
٢٨٥ وما بعدها (٢) Geschichte : von Hammer
des osmanischen Reiches ؛ انظر الفهرس (٣)
Das Consularwesen und : Martens-Alkret
die Consularjurisdiction im Orient؛ برلين سنة ١٨٧٤
Le Régime des : G. Pellissier du Raouay (٤)
capitulations dans l'Empire ottoman ؛ باريس
سنة ١٩١٠ (٥) Ein Dragoman- : H. Almkvist
Diplom aus dem vorigen Jahrhundert؛ أيسلا سنة
١٨٩١.

[كرامرز J.H. Kramers]

المصادر :

(١) حاجي خليفة : *Bameli und Bosna* ص ٩٩ وما بعدها (٢) ساي : قاموس الإعلام ، ص ١٦٣٧ وما بعدها (٣) سائنام ولايت ياني سنة ١٢٨٨ هـ ، ص ١١٥ وما بعدها (٤) *Geschichte des osmanischen Reiches* : J.v.Hammer ج ١ ، ص ٢٤٩ وما بعدها (٥) *Léon Huetz* : *Excursion dans la Thésalus turque* en 1858 سنة ١٩٢٧ ، ص ٨٠ وما بعدها (٦) *Const.* Chr. Vaytanis ، أثينا سنة ١٨٩٢ ، ج ٣٨ ، ص ٨ وهو لا يعنى البتة بالمهد العثماني (٧) أوليا چلي : سياحتنامه ، ج ٨ ، إستانبول سنة ١٩٢٨ ، ص ٢٠٢ وما بعدها .

[بابانگيز Franz Babinger]

« تُرْخَانُ بَكْ » : قائد عثماني ، هو فاتح تساليا وحامي نخومها . وقد وضع لنا الآن أصله الذي ظل غامضاً حتى اليوم ، وذلك بفضل وصيته الأخيرة التي كتبها في جمادى الأولى عام ٨٥٠ الموافق شهر أغسطس عام ١٤٤٦ (توجد ترجمة يونانية معتمدة لهذه الوصية في Epam.G.Pharamakidis : ص ٢٨٠ — ٢٨٧) وحدث عن نفسه في هذه الوصية فقال أنه ابن « پاشا يگيت بك الأخير » وعلى هذا يكون أبوه هو پاشا يگيت بك الذي فتح أسكوب في السادس من يناير سنة ١٣٩٢ وحكم جزءاً من البوسنة بعد عام ٧٩١ هـ (١٣٩٠ م) في الصرب الجنوبية الحديثة بوصفه حامياً تقيّاً .

لم يبق له أثر اليوم (انظر : عطائي ، الذيل على الشقائق العثمانية ، ص ٢٠ ، *Die : P. Babinger* ، *Geschichtschreiber der Osmanen und ihre Werke* ص ٧٣ وما بعدها ، وانظر أيضاً نعيًا : تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٨) : وكانت كذلك المقر الرسمي للقاضي ، وقد ولي هذا المنصب كثير من العلماء المشهورين مثل عطائي وويسي . ولم يبق من المساجد الأربعة : غازي طرخان ، وعثمان بك ، وحاجي مصطفى ، وحسين آغا إلا مسجداً : الأول ابتناه المعماري الشهير ستان ، والثاني مسجد عثمان بك ويوسي . قره عثمان شاه وهو ابن أخ السلطان سليمان القانوني ، وقد ولي حكم تساليا وتوفي في ترجمة عام ٩٧٥ (١٥٦٧ م) ، انظر بچوي : تاريخ ، ج ١ ، ص ٤٥ ، أوليا چلي : سياحتنامه ، ج ١ ، ص ١٧٢ ، الكاتب نفسه : *Travels* طبعة J. V. Hammer ، ج ١ ، ص ٨٧ :

ولا يزال هذا المسجد هو وضريح « تربة » مؤسس بـدلان على ما كان عليه من عظمة وفخامة وإن كان أصبح أطلالاً . وتذكر من بين قبور العظام في ترجمة ما يلي : جلال الدين بابا ، ستان بابا ، رمضان أفندي ، جعفر أفندي ، وأطل قاقان : ويستدل من الآثار الأربع عشرة التي حفرها حسن پاشا زاده عبد الله پاشا على أن الماء كان موفوراً في ترجمة . وقد هجر المسلمون اليوم مدينة ترجمة ولا يقطن فيها إلا اليهود والروم ومعظمهم من الأتراك . والمدينة في مكان غير صحي ، ولكن منظر حصنها البزونطي والحدائق الغناء المحيطة بها من المناظر التي لا تنسى .

وعلى ذلك يكون من الصحيح ما ورد في كتاب
Tursko-slavenski spomenici Ch. Truhelka
dubrovačke arhive أسكوب سنة ١٩١١ ص ٢٠٠
 من أن إسحاق بك هو ولد باشا يگیت
 بك (*Pashaitbeg*) وإن كان لقبه هناك لم يتخذ
 صيغة مفصلة ، ويتضح لنا من ذلك أن إسحاق بك
 وترخان بك هما لدا باشا يگیت بك وأنها أخوان .
 ولا نعرف تاريخ ميلاد ترخان ولا الجهة التي ولد
 بها ، كما لا نعرف على وجه التحقيق معنى ترخان
 على اعتبار أن هذا الاسم ليست له صلة بكلمة ترخان
 (انظر مادة أسترخان) الواردة في كتاب ابن بطوطة
 (ج ٢ ، ص ٤١) والذي يحق لنا نطق هذا الاسم
 الصيغة البوزنطية تويراكسانيس الواردة في
 Ducas و *Chalcocondyles* في
Chronicon breve

ولما نعرف شيئاً عن حياة ترخان الأول ،
 فإن اسمه ظهر لأول مرة في مايو سنة ١٤٢٣ إذ
 كان في ذلك الوقت على رأس الفرسان في الهلويونيز
 واقتمح الخنادق المخرجة في برزخ الهلويونيز عند
 هكسامليا *Hexamilia* ، واستولى على معظم
 مراكز الدفاع التي أمر بترميمها حديثاً الإمبراطور
 عمانوئيل وسلب الجهات الداخلية دون أن يلقى أية
 مقاومة . وأغار ترخان على عدة مدن بوزنطية مثل
 مسترا وليونندارى وجار رهيكي ودييا (انظر
Chronicon breve ، طبعة توكاس ، ص ١٩٩)
 وأخضع الهلويونيز لحكم العائتين حتى حدود
 الأراضي التي عتلكها الينادقة . وكانت هذه الحروب

ملودها : وتوفي في أسكوب حوالي عام ١٤١٣ ؛
 ولحق الصربيون والإيطاليون على باشا يگیت بك
 اسم پاسايئوس *Pasaythus* وبسايئوس *Basaiuts*
 وغير ذلك من الأسماء (انظر *Staat : Cl. J. Jireček* und *Gesellschaft im mittelalterlichen Serbien* ،
 ص ٧ ، تعليق ٥) . ولا يزال قبره قائماً في أسكوب
 (انظر *Turski spomenici* : *Gliša Elezovich* ،
Skopje ، أسكوب سنة ١٩٢٧ ، ص ٥٥ ، وبها صورة) .
 وليس هناك ما يؤيد ما ورد في كتاب *سجل عثمانى*
 (ج ١ ، ص ٣٧) من أن باشا يگیت بك لم يتوف
 إلا في عام ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) وأن الصدر الأعظم
 إسحاق باشا كان من عبيده (قول) : ومن
 الواضح أن هذا اللبس يرجع إلى اختلاط الأمر
 بشخص آخر يدعى إسحاق بك هو أول حاكم
 لبلاد البوسنة ، وقد قيل عنه أنه كان تابعاً لباشا
 يگیت بك (أفندى) في تعليق غريب ورد في
Allozman. anonymen Chroniken (طبعة كيس ،
 ص ٢٨) . ومن المرجح أن هذا الرأي قد أخذ
 به صولاق زاده في تأريخه ص ٥٢ . والواقع
 أن يگیت بك هذا لم يكن ولد إسحاق بك كما ورد
 في كتاب *بیره شك* . *J. Geschichte der Serben* ،
 ص ١٢٧) الذي أطلقه ليونكلافوس *Leunclavius*
 (*Ehist. Musulm. Turc.* ص ٣١٥) إنما كان والده
 كما يتضح دون شك من الكتابة العربية على مسجد
 غازي إسحاق بك في أسكوب الذي شيد عام
 ٨٤٢ هـ الموافق ١٤٣٨ - ١٤٣٩ (انظر النص في
Elezovich : كتابه المذكور سابقاً ، ص ١١) .

الثانية . وفي أوائل أكتوبر عام ١٤٥٣ ، أرسل السلطان محمد الثاني ترخان وولديه ، أحمد وعمر ، على رأس قوة كبيرة إلى البلغونيز ، وهناك تمكن ترخان من الأسفلاء على مراكز الدفاع الأمامية في البرزخ وأغار على أركاديا Arcadia وأعمل السلب والإحراق فيها ، كما سلب وأحرق خليج مسينا بأجمعه ماراً بطريق إيثوم Ithome (أي مسينا) ، واضطر ترخان لصعوبة المواصلات إلى تقسيم جيشه ولكن المسليد ديميتريوس الإمبراطي زوج أخت ماتثيوس أزالس Mattheus Azalos أسر أحمد عند عمر درفناكي Derfnaiki بين مسيني Mycenae وكورنثة (انظر Phrantzes ، ص ٢٢٥ : *The Latins in the Levant* : W. Miller) لندن سنة ١٩٠٨ ، ص ٤٢٦) . وتمكن عمر من إطلاق سراح أخيه في ديسمبر سنة ١٤٥٤ (المصدر السابق ، ص ٣٨٣) . وظهر ترخان هو وولده في أدرنه في شهر أكتوبر سنة ١٤٥٥ (انظر Phrantzes ، ص ٣٨٥) . وتوفي في منتصف عام ١٤٥٦ بعد أن عمر طويلاً (المصدر السابق ، ص ٣٨٦) . وكان مقر حكمه الرسمي في لارسا من أعمال تساليا (بالتركية بكلي شهر فنار ، انظر هذه المادة) وكان قد أقطع هذه البلاد . وابتقى ترخان هناك مسجداً وجملة منشآت أخرى لأغراض خيرية وشيد كنيسة في ترنوفو Tyrnovo (باليونانية ترناوس Tyrnawos) بالقرب من لارسا لا تزال قائمة إلى اليوم . وقبره في لارسا عند الطرف الشمالي الشرقي من المدينة . وقد زالت من الوجود الجبانة التي كانت حول قبره وكان بها دير للرهبان . وقد صاحب ترخان ولداً ،

كلها بمثابة حركة استطلاع موجهة ضد البندقية (انظر Phrantzes ص ١١٧ ، Chalcocondyles ، ص ٢٢٨) وإذا كان ما ذكره دوكاس Ducas صحيحاً فإن ترخان يكون قد ظهر بعد ذلك بقليل هو وفرسانه عند البحر الأسود ، وحارب ترخان الألبان وأوقع بهم هزيمة منكرة (انظر Chalcocondyles ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٢) ثم ظهر ثانية في الهلوبيز ومنع وهو في مدينة نوباكثوس Naupaktos الإمبراطور قسطنطين المسند من الأسفلاء على مدينة پتراس Patras (انظر Phrantzes ، ص ١٥٠) . وغرب ترخان في أواخر سنة ١٤٣١ أسوار برزخ كورنثة للمرة الثانية . وحاصر مدينة طيبة Thebes في صيف عام ١٤٣٥ واستولى عليها بعد أيام قليلة (انظر Phrantzes ، ص ١٥٧ ، ١٥٩) .

وقد تعرف المؤرخ البوزنطي غيورغيوس فرازنس Georgios Phrantzes في ذلك الوقت إلى ترخان في مدينة طيبة (الكتاب السابق ، ص ١٦٠) وفي بداية شهر نوفمبر من عام ١٤٤٣ كان ترخان بك على رأس فرقة من الجند العثمانيين أثناء قتال جون هونيادي John Hunyadi وأدى مسلكه إلى نكاح في وقعة أولادى (انظر Altoman. Chron. طيبة ميس ص ٥٨ ، الترجمة ص ٩٠) إلى المظيعة ، فقد مسئولاً عن ذلك وألقى القبض عليه وأرسل إلى سجن البولة في بلوى جارحاق بمدينة توفات (انظر Katona ، ج ١٣ ، ص ٢٥٣ : *Turkhambeg Chalcocondyles* ، ص ٣١٥) ، ولا تعرف شيئاً عن حياة ترخان خلال العشر سنوات

ولكن يظهر أن هذه السيرة نثرت منذ ذلك الوقت كما حدث لسيرة لأورينوس أو غلى (انظر هذه المادة) المخطوطة التي ذكرها بوجور (Beaujour) في *Tableau du comarce de la Grèce* ج ١ ، ص ١١٧ . وترودنا شجرة النسب الواردة في الصفحة السابقة بفكرة واضحة عن ذرية باشا بكيت بك الرأس الحقيقي لهذه الأسرة العثمانية النبيلة .

المصادر :

(١) *Spirit of the East* : D. Urquhart لندن سنة ١٨٣٨ ، ج ١ ، وانظر أيضاً الترجمة الألمانية التي قام بها بك P. G. Buck ، وطبع في شتوتجارت وتوبنغن سنة ١٨٣٩ ، ج ١ ، ص ٢٢٦ وما بعدها ، نقلا عن سيرة ترخان العربية وأسرته المحفوظة في المكتبة العامة في ترناكوس Tynacos من أعمال تساليا .

د بابنكر [F. Babinger]

« ترشيز » : وردت في معجم باقوت : ترشيش ، وفي المقدسي : تَرَشِيش ، مدينة في فارس ، هي قصبة ناحية بست في إقليم نيسابور وعلى مسيرة أربع أو خمس مراحل من المدينة الأخيرة ، وقد خربت ترشيز عام ٥٣٠ (١١٣٦ م) وكان حاكمها في ذلك الوقت العميد المنصور (أو مسعود) بن منصور الزور آبادي وكان خصما للباطنية أو الإسماعيلية . وقد طلب العون من الدولة لحماية بلاده ، ولكن البرك سلكوا منه مسلحا بطريق

العام التالي (المصدر المذكور سابقاً ، ج ٢ ، ص ١٥٧) : وكان عمرا لا يزال على قيد الحياة في سنة ١٤٨٤ كما يستدل على ذلك من وصيته المؤرخة في الحرم سنة ٨٨٩ الموافق فبراير سنة ١٤٨٤ (انظر E.G. Pharmakidis : كتابه المذكور ، ص ٢٨٧ ، ٣٠٣ أو ٣٠٧ - ٣١٠) . وأعقب عمرك ولدين أحدهما حسن بك ، ويعرف من الوصية التي كتبها في شوال عام ٩٣٧ الموافق شهر مايو سنة ١٥٣١ (انظر Pharmakidis ، ص ٣١٠) والآخر إدريس بك واشهر بك وزمته بالشعر وبرزته الجيدة لكتابي « خسرو وشيرين » و « ليلي وجنون » لمؤلفهما هاتني إلى اللغة التركية ، (انظر صبي : تذكره ، ص ٣٦ وما بعدها) . ولم يكن لأبيه ترخان أوغل التي استقرت في لارسا وملكت الأراضي الواسعة حتى العصر الحاضر أي شأن هام في الحوادث التاريخية . وهناك شخص آخر يدعى فاتق باشا دون في السجلات الخاصة على أنه من نسل ترخان بك أسخط الناس عليه لابتزازه الأموال أثناء ولايته على الروملق ، قطع رأسه في ساحة السراي بإستانبول في شهر مارس سنة ١٦٤٣ بعد أن بلغ من العمر سبعين عاما . (انظر von Hammer : كتابه السابق الذكر ، ص ٣٢٢ نقلا عن نعيما وزنكيس G.O.R. Zinkeisen ج ٤ ، ص ٥٣٥) . وشاهد فلماير P.H. Fallmeyer في سنة ١٨٤٢ سيرة حياة ترخان بك محفوظة في مسجد لارسا الجامع (انظر *Fragments aus dem Orient* سنة ١٨٧٧ ، ص ٣٨١ وما بعدها)

ترشيز - ترك

٢٧١

زينة الخاليس في *Dict. de la Perse* لصنفه
Barbier de Meynard ، ص ٢٩٠ :

المصادر :

- (١) ياقوت : المعجم ، ج ١ ، ص ٨٣٦ ،
ج ٣ ، ص ٥٢٨ (٢) ابن حوقل : المكتبة الجغرافية
العربية ، ج ٢ ، ص ٢٩١ (٣) المقدسي : المكتبة
الجغرافية العربية ، ج ٣ ، ص ٣١٨ ، ٣٥٢
(٤) أبو القداء ، ج ١ ، ص ٤٤٣ (٥)
Hist. des Mongols : Quatremère ، ج ١ ،
ص ١٧٧ (٦) P.M. Sykes : مجلة الجمعية
الجغرافية الملكية ، سنة ١٩١١ (٧) الكاتب نفسه :
Hist. of Persia ، ج ٢ ، ص ٨٣ ، ٢٠١ ، ٤٢٤
(٨) *Liter. Hist. of Persia* : Edw. G. Browne
under *Tartar Dominion* ، ص ١٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨
(٩) الكاتب نفسه : *Liter. Hist. of Persia in*
Modern Times ، ص ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٣ :
[ليوار Cl. Huart]

« ترك » : نهر كبير بالقوقاز يبلغ طوله
حوالي ألف ميل ويصل عرصة في بعض الأماكن
إلى خمسة ياردة . وهو في مجراه الأعلى عبارة عن
سيل جبلي ، وفي مجراه الأدنى سريع الجريان بحيث
تستحيل الملاحة فيه .

وكانت بلاد ترك خلال العهد الذهبي لتأليف
الكتب الجغرافية العربية (القرن الرابع الهجري =
العاشر الميلادي) تابعة لمملكة الخوار (انظر : هذه

على الجشع كما هي عادتهم ، ففخض للإسماعيلية
لجزه عن الاستمرار في النضال . واعترف
ولده علاء الدين محمود بسلطان الخلفاء العباسيين
عام ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) ولكنه لم ينظر بمساعدتهم ،
فقر إلى نيسابور ووطد الإسماعيلية سلطانهم في هذه
البلاد : وحاصر تيمور هذه المدينة واستولى عليها
عام ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) وكانت تعتبر منبعا لا يمكن
الاستيلاء عليها بسبب عمق الخندق والأسوار المحيطة
بها ، ولكن مياه الخندق زحمت وأمكن نقب أسوارها
بلفم . وأبقى تيمور على حياة رجال الحامية التي كانت
بها والفتحوا تخيمته في التركستان . ووطد على تيمور
في هذه المدينة رسول من شاه شجاع حاكم فارس
من قبل بني مظفر وطلب ابنته خفيده پر محمد :

واستولى خسرو ميرزا على ترشيز عام ١٢٤٨ هـ
(١٨٣٢ م) أثناء هجوم عباس ميرزا على هراة ،
واشهر من أهل ترشيز : كاتبي النيسابوري
الذي ولد في قرية من قرأها ، وأهل المتوفى عام
٩٣٤ هـ (١٥٢٧ - ١٥٢٨ م) ، وظهوري المتوفى
عام ١٠٢٤ هـ (١٦١٥) . وتذهب الرواية إلى أن
زرادشت فرس في قرية كيشمير المجاورة لترشيز
صفصافة ذاع صيتها فأمر الخليفة التوكل
باجتلابها (الفردوسي : الفساحنامه ، طبعة
Turner Macan ، ص ١٠٦٨ ، وترجمة
مول Mohl وطبعته ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ ؛
Iran. Alterthumskunde : Fr. Spiegel ، ج ١ ، ص
٥٤ ، تعليق رقم ٢ ، ص ٧٠٣ ؛ محمد مجلدي :

كتاب *Pandmitel po Kanazu: E. Weidenbaum* ،
تفليس سنة ١٨٨٨ .

[بارتولد W. Barthold]

« التُّرك » : (انظر مادة « الأتراك ») :

« تُركِستان » : كلمة فارسية معناها « بلاد
الترك » - . وطبيعى ألا يهتم الفرس إلا بالحد
الجنوبى من بلاد الترك المتاخمين لبلاد إيران ،
وهو حد قام بطبيعة الحال على اعتبارات سياسية ؛
وقد وصل الترك - عند بدء ظهورهم فى أواسط آسيا
فى القرن السادس الميلادى - إلى نهر جيحون (انظر
هذه المادة) وعلى ذلك كانت بلاد الترك فى العهد
الساسانى تبدأ شأى هذا النهر مباشرة . وتذهب رواية
الطبرى (ج ١ ، ص ٤٣٥ وما بعدها) إلى أن رمية
سهم ليزش جعلت نهر بلخ (جيحون) الحد بين
الترك وعمل الفرس . ويقول سييوس Sebbos
الأرمينى الذى عاش فى القرن السابع الميلادى إن نهر
فهروت (Vehrot) ، أى جيحون ، ينبع من
بلاد تركستان . (انظر *Histoire d'Hiracius par*
l'époque Sebbos ترجمة ماكليه Fr. Macler ،
باريس سنة ١٩٠٤ ص ٤٩ ، J. Marquart ؛
Eranstahr ص ٤٨) . ونجد فى فقرة أخرى من
هذا الكتاب (ص ٤٣ ، Marquart ص ٧٣) أن
تركستان ذكرت مع ديهستان أى ديهستان وهى
بالقرب من بحر قزوين إلى الشمال من أترك (انظر
هذه المادة) .

هذه المادة) ولم يصف جغرافيو العرب هذا الجزء
من أملاك الخزر كما أنهم لم يذكروا اسم ترك . ويلوح
لنا أن رشيد الدين (طبعة كاتمبر ، ص ٣٩٤) هو
أول من ذكر اسم ترك فى تاريخه للحروب التى
حدثت بين بركة (انظر هذه المادة) وهولاكو
(انظر هذه المادة) فى بداية عام ٨٦٦١ (نوفمبر
- ديسمبر ١٢٦٢) ؛ وذكر حمد الله قزوینی
(مجموعة كتب التلکارية ، ج ٢٣ ، ص ٢٩٩) ترك
(وقد ورد هذا الاسم تُرك فى ترجمة Lo Strange
لهذا الكتاب ، ص ٢٥٠) عند ذكره لهر إيل
(الفلجا) فقال إنه نهر فى دشت قفجاق (انظر
مادة « قفجاق ») وكانت بلاد ترك فى ذلك العهد
قابعة لمملكة القبيلة الذهبية ، ولعل أهلها اعتنقوا
الإسلام فى الوقت الذى أسلمت فيه القبيلة الذهبية ،
أى فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ،
وبعد سنوات قليلة من فتح أستراليا (انظر هذه
المادة) عام ١٥٥٤ ، بدأ ظهور القوزاق الروس فى
بلاد ترك وكونوا جيش القوزاق التركى *Terzko*
Kazachye noisko ، وكان هذا الجيش بادئ
الأمر مستقلاً عن موسكو ، ولكنه ضم بعد ذلك
إلى الإمبراطورية الروسية . ولم تكن بلاد ترك يوماً
ما ذات أهمية كبرى فى حياة العالم الإسلامى السياسية .
وحسن قبزلر القائم على الضفة الشمالية لنهر ترك
هو من إنشاء الروس عام ١٧٣٥ وإن كان يحمل
اسماً تركياً .

المصادر :

تفصيل إلى المصادر المذكورة فى صلب المادة

للأطفال في شيراز عام ١٨٨٦ المبراة التالية : جاء في
إلى هندوستان تركيان من تركستان (انظر
Obrazi persidskago narudnogo : V. Zhukovskiy
turcastan ، سانت بطرسبرغ ، سنة ١٩٠٢ ،
ص ١٦٩ وما بعدها) . ونشأ من غزوات الأزابكة
في القرن السادس عشر تركستان جديلة جنوبي نهر
جيحون . ولا يزال اسم التركستان يطلق إلى اليوم
على إقليم أفغانستان الذي قام في الرقعة نفسها ،
ويذكر بعض الرحالة (*A Peep in* : R. Burdlem
Turkistan ، لندن سنة ١٨٤٦ ، ص ٥٧ وما بعدها)
أن مر وآق وباط ، شالي باميان (انظر هذه المادة)
هو الحد الجنوبي لتركستان هذه ، بينما يذكر
البعض الآخر (*A Journey to the Source* : J. Wood
of the River Oxus ، الطبعة الجديدة ، لندن سنة ١٨٧٢ ،
ص ١٣٠) أن حداها الجنوبي مر هتجكك وهو جنوبي
المر الأول بقليل عند مقام الماء بين نهر هتتمند
(انظر هذه المادة) ونهر جيحون . أما الحد
الغربي الأقصى لبلاد تركستان فهو سلسلة جبال
بند تركستان (تيربند) في الإقليم الذي بين مرغاب
وآب ميسسته . والإنكليز - لا الروس - هم الذين
أدخلوا اسم تركستان بين المصطلحات العلمية المستعملة
في القرن التاسع عشر ، ولهمم تأثروا في ذلك
بملول هذا الاسم عند الفرس والافغان .

وقد جرى المؤلفون ، وبخاصة الرحالة ، على
التمييز بين التركستان الروسية والتركستان الصينية
والتركستان الأفغانية ، وإن كان اللفظ لم يستعمل
للدلالة على معنى إداري إلا في روميا وأفغانستان ،

وقد رد الترك على أعقابهم وأقصوا إلى ناحية
الشمال بفضل انتصارات العرب ، وعلى هذا فإن
التركستان كانت في نظر جغرافي العرب الذين
عاشوا في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع
والعاشر الميلاديين) لا تبعد إلى الشمال من نهر
جيحون مباشرة وإنما تبدأ من شمال البلاد العربية
الثقافة المعروفة بما وراء النهر (انظر هذه المادة) .
وكان يقال في ذلك الوقت إن التركستان هي البلاد
التي إلى الشمال والشرق من بلاد ما وراء النهر .
وكانت مدينة قاسان من أعمال غرغالة (انظر هذه
المادة) إلى الشمال من نهر جيحون وفي حدود بلاد
الترك (انظر ياقوت ج ٤ ، ص ٢٢٧) وكان من
بلاد التركستان مدينتا جند وشهر كند وما على
البحر الأفي نهر جيحون (انظر المصدر المذكور ،
ج ٢ ، ص ١٢٧ ، ج ٣ ، ص ٣٤٤) كذلك
كانت مدينة ختن من بلاد تركستان أيضاً (المصدر
نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٠٣) وقد حمل استعمال
اسم التركستان على هذا النحو البعض (ونخص
بالذكر *Chinesisch Turkestan* : Hartmann
هال سنة ١٩٠٨ ، ص ١) إلى القول بأن غزاة
آسية الوسطى من الروس هم أول من أطلق اعتسافاً
اسم التركستان على بلاد ما وراء النهر ، وقد كان
من نتائج اللزو التركي أن عاد لاسم تركستان
منذ زمن طويل ملول الأول ، وربما كان استعماله
بهذا الملول في التأليف أقل منه في حديث الناس .
وبعض الفرس والافغان ترك التركستان جيرانهم
الأقربين ناحية الشمال . وجاء في هذه المدة حديث

الجاف : : ولم يحفل موشكوف في هذا المقام إلا بالحقائق الجغرافية والقروض ، ولم يلق باله إلى اشتقاق الكلمات ، ولا إلى الاعتبارات المتصلة بتوزيع الشعوب .

وقد بطل استعمال كلمة تركستان لتبريجا في روسيا السوفيتية لاعتبارات يتصل أغلبها بتوزيع الشعوب . وبقيت جمهورية تركستان وعاصمتها القديمة طشقند بضع سنوات قليلة بعد الثورة الروسية : وكانت رقبها أصغر بكثير من رقعة الولاية القديمة ، وضمنت الأجزاء الشمالية القائمة بذاتها إلى جمهورية القزغيز (انظر هذه المادة) فلما أخذ مبدأ القوميات سنة ١٩٢٤ استبدل بالاسم العام الذي كان يطلق على هذه البلاد أسماء أخرى مستعارة من أسماء عدة شعوب مثل أوزبكستان وتركمانستان وتاجيكستان ، ولم يبق لطقشند من أمور هذه البلاد جميعاً إلا بعض المسائل وأغلبها يتصل بالاقتصاد . ويطلق اسم آسية الوسطى Srednyaya Aziya في هذا المقام على بلاد التركستان .

وعرفت في عهد الأراكمة مدينة باسم تركستان على المجرى الأوسط لهر سيحون . وقد يقال استناداً إلى ماكتبه جغرافيو العرب إن مدينة شاوخر (في كتاب Le Strange : *Lands of the Eastern Chalifate* ، كمبودج سنة ١٩٠٥ ، ص ٤٨٥ *Shahaghar*) كانت بلا شك تقوم في الموضع نفسه إبان القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) .

وقد يعبر عنها أيضاً فيقال التركستان الغربية والتركستان الشرقية : وأنشأ الروس سنة ١٨٦٧ ولاية تركستان وجعلوا طشقند عاصمة لها (انظر هذه المادة) : وكانت حدود هذه الولاية تتقلص أحياناً وتوسع أخرى : وتبعت ناحية سمريجة Semirychye فيما بين عامي ١٨٨٢ و ١٨٩٨ ولاية السهوب وجعلت أومسك Omsk عاصمة لها : وكانت هذه الناحية في وقت ما من أعمال تركستان ، وفي سنة ١٨٩٨ ضمت ناحية سمريجة وولاية ما وراء قزوین Transcaspian (تركمانيا) إلى تركستان .

وحاول الأستاذ موشكوف Prof. I. Mushketow في سنة ١٨٨٦ أن يحدد للدول الجغرافي للاسم تركستان بميزل عن الاعتبارات الإدارية ، ورأى أن يطلق اسم تركستان أو حوض التركستان على الأراضي التي بين الجبال المتوسطة آسية الوسطى وبين حوض بحر الخزر ، وبين الهضبة الإيرانية وبحر الجليل (وقد تبع في ذلك پترهولد A. Petzhold في كتابه *Umschau im Russischen Turkistan nebst einer allgemeinen Schilderung des Turkestanischen Beckens* ليبيك سنة ١٨٧٧) . وكان موشكوف على يقين من أن جبال هندوكش (انظر هذه المادة) مستصح الحد الفاصل بين روسيا وانكلترا في وقت قريب ، واقترح أن يستبدل بلقب التركستان الصينية لفظ هان هان الصينية : ويذهب العلماء الأوروبيون منذ عهد ريشترفن Richthofen إلى أن هذا اللفظ معناه البحر

ص ١٠٧٥ وما بعدها (٣). الكاتب نفسه :
Turkestan down to the Mongol Invasion
 سنة ١٩٢٨ ، المجموعة الجديدة ، ج ٥ (٤) الكاتب
 نفسه : *Istoriya kulturnoi Zhizni, Turkestana*
 ليفينغراد سنة ١٩٢٧ : (٥) W. Masalskij
Turkestanskij kraj ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩١٣ ،
 ص ٦٠٠ وما بعدها (٦) A. Dobromislow
Goroda Sir-Dar'inskoi oblasti طشقند
 سنة ١٩١٢ ، ويمكن الرجوع فيما يخص بفريرج
 الولي إلى (٧) M. Masson في *Ist. Sredno Az.*
Geograf. Obščest. ، ج ١٩ ، سنة ١٩٢٩ ، ص ٢٩
 وما بعدها .

[باوثولد JW. Barthold]

« التركممان » : شعب تركي يقطن آسيا
 الوسطى : وقد استعمل الاسم تركمان منذ
 القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)
 أولا بصيغة الجمع الفارسية « تركمانان » وذلك
 في كتابات المؤرخين الفرس كالكرديزي (انظر
 هذه المادة) ، وانظر أيضا طيبة محمد نظم :
 E.G. Browne Mem. ، ج ١ ، برلين سنة ١٩٢٨) .
 واستعمله أبو الفضل البيهقي (انظر هذه المادة)
 بالمعنى فيه الذي يدل عليه اللفظ التركي أوغوز
 واللفظ العربي غُز (انظر هذه المادة) : واعتاد
 الأوغوز سكني منغوليا ، وورد ذكرهم في تلك
 الجهة منذ عهد الكتابات الأورغونية التي تعود إلى
 القرن الثامن ، ويسمى هؤلاء الأوغوز - فيما

وما يؤسف له أنه لم يعد لها أثر . وأطلق
 على التركستان في عهدنا المتأخر في القرن الرابع
 عشر - وقد يكون ذلك في القرن الثاني عشر
 أيضا - اسم « يسي » . وجاء في تاريخ تيمور أيضا
 أنها قرية (انظر ظفر نامه ، الطبعة الهندية ،
 ج ٢ ، ص ٩) : وكان الاعتقاد بولي الله أحمد
 يسوي (انظر هذه المادة) ، وهو اعتقاد نشأ
 أول ما نشأ في العهد المغولي ، سببا في ارتفاع شأن
 المدينة : ويعد أحمد يسوي أول من أدخل
 الترك في الإسلام ، وأقام تيمور بها ضرباً فخماً
 لهذا الولي فزادت مكانتها علواً (يمكن الرجوع
 فيما يخص بمصر هذا الولي إلى كتاب Barthold :
Der Islam ، ج ١٤ ، ص ١١٢) : وكان هذا
 الولي في نظر الناس حامي بلاد الترك فلقبوه
 بـ « حضرت تركستان » : ولعل في هذا اللقب
 ما يفسر لنا اسم هذه المدينة الجديدة : وقد بلغ
 عجب هذه المدينة إبان الفتح الروسي ما يقرب
 من مئتين ، وكان عدد سكانها خمسة آلاف
 نسمة تقريباً ، وزاد هذا العدد إلى ١٥ ألف نسمة
 في سنة ١٩٠٨ .

المصادر :

انظر إلى جانب المصادر المذكورة في صلب
 المادة (١) *Turkestan : Mushketow* ، سانت
 بطرسبرغ سنة ١٨٨٦ : الطبعة الثانية سنة
 ١٩١٥ (٢) W. Barthold : *Stand und
 Aufgaben der Geschichtsforschung in Turkestan (Die
 Geisteswissenschaften* ، ج ١ ، سنة ١٩١٤ - ١٩١٤ .

ومن السهل تمييز التركمان الذين يعيشون الآن في آسية الوسطى من رؤوسهم المستطيلة . وبعض السبب في هذا راجع إلى تحولهم تغير شكل جمجمة العفلل وهو في مهله ، كما يمكن القول بأن مرد ذلك إلى اختلاطهم بالشعوب الإيرانية المتبدية التي تنطق آسية الوسطى . ويطلق عمود كاشغري (ج ١ ، ص ٨٠ ، ٣٩٣) لفظ تركمان على القزاق (انظر هذه المادة) كما يطلقه على الأوغوز .

ويمكن الرجوع إلى مادتي « غز » و « السلاجقة » فيما يخص بانتشار التركمان في آسية الغربية نتيجة للأحداث التاريخية التي وقعت في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ولدينا عن التركمان أخبار أوفى مما لدينا عن سواهم من الشعوب التركية في القرون الوسطى ، ذلك أنه كان للسلاجقة - وهم قوم التركمان - شأن سياسي عظيم . وشاهد هذا أن رشيد الدين (نص مؤلفه في *Tarikh-i Afsar-e Atrak* ج ٢٧ ، ص ٣٢ وما بعدها) يذكر الأسماء الفردية لقبائل الغز : ووردت هذه الأسماء بصيغة لفظة أقدم من ذلك (صالغر بدلان ، صالور ، ويازغير بدلان ، يازير) في كتاب عمود كاشغري (ج ١ ، ص ٥٦ وما بعدها) .

ويبلغ هذه القبائل التي ذكرها رشيد الدين في كتابه أويما وعشرين قبيلة ، لا يطلق من أسمائها مع الأسماء التي أوردها عمود كاشغري سوى واحد . وعشرين أمما فقط : فقد افرد

نعلم - بالترك لا التركمان ، وكان تؤنغ تين أول من ذكر التركمان في الغرب دون سواه . وقد ذكرهم بصيغة توكونتك في دائرة المعارف الصينية ، الفصل ١٩٣ (انظر *F. Hirth* في *S.B. Bey-Akhd.* ج ٢ ، سنة ١٨٩٩ ، ص ٢٦٣ وما بعدها) . وروى تؤنغ تين أن توكونتك هو اسم آخر لبلاد سكك أي بلاد اللان (انظر مادتي « اللان » و « سفداق ») التي كانت تمتد شرقا في بداية العهد المسيحي حتى المجرى الأدنى لنهر سينجون (انظر هذه المادة) . التي كان المواطن الرئيسي للأوغوز في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

ولم يذكر مصنف من المصنفات الجغرافية الغربية التركمان أو التركمانين اللهم إلا كتاب المقدسي (المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ وما بعدها) . وذلك عند وصفه لعدة مدن إلى الشمال الغربي والشمال الشرقي من أذربيجان أو سترام التي لا يمكن تعيين موقعها على وجه التحديد . ولما أشرف القرن الخامس الهجري للموافي الحادي عشر الميلادي كان أصل كلمة تركمان قد طغى عليه السميان وظهور الاختلاق الغامض الشائع « قوله مانند أي « أشباه الترك » منذ عهد عمود كاشغري (ج ٣ ، ص ٣٠٧) . ومن عهد ونحن نجد كلمة ترك لغة عامة مقابلة لكلمة التركمان . وقد كان لهجات التركمان ناحية الغرب أثر في لغتهم وخلقهم بصفة خاصة ، ولذلك ليس بينهم وبين باقي الترك إلا تفاوت يسير .

المادة) حيث قلعة تاقى التي أصبحت فيما بعد مدينة درون ، وقد غدت هذه المدينة الآن أطلالا بالقرب من محطة سكة حديد مدينة بوهاردن Boharden : ويقول حمد الله قزوینی (مجموعة كُتب التذكارية، ج ٢٣/ ١، ص ١٥٩، وقد ذكرت خطأ في هذا الموضع وفي الترجمة، ج ٢، ص ١٥٥ باسم بازرى) إن الغلال كانت تكثر بهذه الجهة، وهذا يدعو إلى القول بأن اليازرى قد انصرفوا إلى الزراعة. وعرف اليازرى فيما بعد باسم كرتشلى أو كرتشلى. ولم تتمكن قبيلة ككه من إجلاء اليازرى عن أحوال (انظر مادة دتكه) إلا حوالى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وانقرض الركمان الوثنيون شيئا فشيئا، وكانوا بين الركمان الذين هاجروا إلى آسية الغربية، ولم تبق لهم بقية إلا في بقاع قليلة. وظل ابن بطوطة (انظر هذه المادة) يطلق حتى على العنابيين اسم الركمان (Feyyaz ج ٢، ص ٣٢١). وخلف خليل الظاهرى (تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ٢، ص ١٣٥) في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) جريدة بأسماء القبائل الركمانية التى كانت تعيش في إمبراطورية المالك (انظر هذه المادة) من غرة (انظر هذه المادة) إلى ديار بكر (انظر هذه المادة؛ مطبوعات مطبوعة اللغات الشرقية الحية، ج ٧، مادة ديار بكر ج ١٦، ص ١٥٠). وكانت قبيلة دلفادر (انظر دى القدر) هى القبيلة الوحيدة التى كان لها شأن صيماى بين القبائل التى ذكرها خليل الظاهرى. والحق إنه لم يكن للدول الركمانية في غربى آسية أهمية سياسية اللهم إلا مملكتى بيت

رشيد الدين بلذكر أسماء القبائل الثلاث: ييرلى، وقارقى، وقاقان، بينما انفرد محمود كاشغرى بذكر قبيلة جرقلق أو جرقلق. ويبلغ مجموع عدد القبائل التى ذكرها رشيد الدين أربعاً وعشرين قبيلة. وقد ذكر هذا العدد في كثير من الأساطير التركية والركمانية. أما عددها عند محمود كاشغرى فاثنتان وعشرون. ولم يغيب عن محمود كاشغرى (ج ٣، ص ٣٠٧) أيضاً أن عدد هذه القبائل كان في الأصل أربعاً وعشرين، ولكن يقال إن قبيلتين منها قد انفصلتا عن باقى القبائل قبل الإسلام وكونتا شعب الخلتج (انظر هذه المادة).

ولم يطغ اسم الركمان على اسم الأوغوز إلا في عهد المغول. وكانت كلمة غُزُ شائعة الاستعمال في القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) حتى في الوثائق الرسمية (Turkistan: Barthold ج ١، ص ٢٨ وما بعدها). ولم يذكر رشيد الدين أو محمود كاشغرى شيئا عن موطن بعض هذه القبائل: وجاء في الأخبار (مثل بهروز ج ٩، ص ٣٠٣، والتسوى، طبعة Houdas ج ١٩، مجموعة كُتب التذكارية، ج ١٦، ص ١٢٠، ١٢٢) حيث يجب أن تقرأ تاقى بدلا من ياق) أن اليازرى أو اليازرى هم أقدم القبائل التى عرف لها موطن معين (نهاية القرن السادس الهجرى الموافق للقرن الثانى عشر الميلادى وبداية القرن السابع الهجرى الموافق للقرن الثالث عشر الميلادى) فقد كانوا يقطنون إلى الشرق من يلكخان (انظر هذه

خوارزم ، بخارى ثم أفغانستان في القرن الثامن عشر : (انظر هذه المادة) وذكر التركمان قد أفلحوا كثيراً في الاحتفاظ من الناحية العملية باستقلالهم تجاه هذه الدول ، بل كم من مرة ألحقوا الهزائم المنكرة بالجيوش التي أهدلت لقتالهم : وكانت هذه القبائل التركمانية المتفرقة تقتل بعضها مع بعض في كثير من الأحيان ،

وقد حازت قبيلة تكه بصفة خاصة عدة انتصارات على القبائل التركمانية الأخرى في القرن التاسع عشر : وإنما كان الشعر هو العلم الأوحد الذي التأمت في ظله نزعات هذه القبائل ، فكان يخوم قلبي من قبيلة كوككان شاعر التركمان الوطني جميعاً : وقد ذاع صيته في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر : وكان أبوه دولت محمد كاتباً أيضاً عام ١١٦٧ هـ الموافق ١٧٥٣-١٧٥٤ م (١١٦٧ هـ ، ج ١٧ ، ص ١٤٦) : وهاجر محمد عن التركمان حوالي نهاية القرن السابع عشر من منفشلاق (انظر هذه المادة) فخرجوا من بحر قزوين وبعثوا صوب الشبال فدخلوا البلاد الروسية حيث لا يزالون يسكنون حوض نهر كورله وحوض نهر منيچ . وبلغ عددهم في سنة ١٩١٢ : ١٥,٥٣٤ نسمة في حين أن عددهم بلغ في سنة ١٩٠٦ : ١٥,٩٩٠ نسمة : وما زال هؤلاء القوم الذين انفصلوا تماماً عن بني جلدتهم يعدون خيوم قلبي شاعرهم الوطني .

وقد كان من شأن غزوات الروس في آسيا الوسطى وخاصة احتلالهم لمدينة كراسنوفودسك Krasnowodsk عام ١٨٦٩ وحسبهم على خيوة

القره قويونل (انظر هذه المادة) وبيت الآق قويونل (انظر هذه المادة) : وذكرت السجاجيد التركمانية أول ما ذكرت في الغرب ولا تزال على شهرتها إلى الآن : (انظر أبو القداء طبعة Reinaud ، ص ٣٧٩ نقلا عن ابن السعيد) وتقوم بصنعها النساء وخاصة الفتيات :

والتركان من شعوب آسيا الوسطى التركية القليلة التي احتفظت بوثنيها القديمة حتى بعد عهد المغول : على أنه لم يبق من أسماهم القبلية القديمة إلا القليل : ولم تذكر أسماء أهم القبائل الحالية وأكبرها (التكه ، كوككان ، يوموت ، إدرساري ، صاريق إلخ) قبل العهد المغولي : ويرجع السبب في قيام هذه الجماعات القبلية إلى جهود أفراد كما هي الحال عند غيرهم من الأقوام الرجل وأشباه الرجل . فتجد مثلا أن عشيرة من الصاريق لا تزال تطلق على نفسها اسم براج نسبة لزعيم من زعمائها قتل عام ١٦٥٩ أي عام الأزناب (انظر أبي الغازی ، طبعة Desmaisons ، ص ٣٢٤ وما بعدها) : ومعظم الأخبار التي لدينا عن التركمان في القرنين السادس عشر والسابع عشر أمدها بها أبو الغازی (انظر هذه المادة) في مصنفه الكبير وفي كتابه في تاريخ التركمان المسمى « شجرة تراكمه » (ولم يرد ذكر هذا الكتاب في الدائرة) وليس في متناول الناس منه إلا ترجمته الروسية (أرخ آباد سنة ١٨٩٧) .

ولم يتمكن التركمان من إقامة دولة خاصة بهم ، ومن ثم ففرقوا في جملة دول (فارس ،

Zamietki ob etnisheskom : N. Aristow (٢) سانت بطرسبرغ
 سنة ١٨٩٧ (٣) *sostanie tyurkskikh plemen
 ocherki iz istorii* : A. Semenov (٣) سنة ١٨٨٥—١٨٨٦
presedineniya vol noi Trkmenii (٤) طشقند سنة ١٩٠٩
Unter : R. Karutz (٤) *Kirgizen und Tutenen*
Tiryshchetsyniya dannost : L. Oshanin (٥)
dolikhocetaliu u turkmen i vostochnye puti eis
 ص ١٣١ وما بعدها (٦) الكاتب نفسه :
Niskotorie dopolnitel'nye dannie k gipoteze
skifosamatskogo proishozhdeniya turkmen
 سنة ١٩٢٨ (٧) *Turkmeniya* ص ١ ، لينينغراد
 سنة ١٩٢٩ (٨) *Ocherki istorii* : Barthold
 : A. Samoylovich (٩) *turkmenского naroda*
 (١٠) *Ocherki po istorii turk-menskoi literatury*
 أشخاباد *Trigoda Turkmenii* : N. Autakow
 سنة ١٩٢٨ .

[بارتولد W. Barthold]

الأدب التركماني

كان أدب تركمان ما وراء بحر قزوين حتى
 عهد قريب مقصوراً على الأدب الشعبي غير
 المكتوب وهو في الغالب من أشعار العشاق ،
 والسبب في تكلف الأدب المكتوب هو أن التركمان
 لم يقيموا قط دولة ما ، بل ظلوا متبلدين ولم يتخلقوا
 بخلاق أهل الحضرة . وعلى الرغم من أن وجه الشبه
 كبير بين أدب التركمان الشعبي الذي يتألف من

عام ١٨٧٣ أن أصبح خضوع التركمان أمراً
 لا محيص عنه . وانتهت هذه الحروب بالاستيلاء
 على كوك تبه غنوة (انظر هذه المادة) عام ١٨٨١
 واستسلام مرو عام ١٨٨٤ والأراضي التي إلى
 الجنوب منها عام ١٨٨٥ . وفي الأعوام التالية عقدت
 معاهدات حددت الخوض ، وقد سوت هذه
 للمعاهدات نصيب التركمان الحالي من رقعة
 روسيا وفارس وأفغانستان ، وكانت شئون
 التركمان الروسية تعترف أول الأمر على اعتبار
 أنها ناحية تابعة بلاتها من النواحي التي إلى بحر
 قزوين ، ولكنها ضمت عام ١٨٩٨ إلى ولاية
 التركستان (انظر هذه المادة) . ونظمت التركمان
 في عام ١٩٢٤ بعد الثورة الروسية وحلت مشكلة
 القوميات على أساس أنها جمهورية سوفييتية اشتراكية ،
 وبلغ عدد سكانها وفقاً لإحصاء عام ١٩٢٧-١٩٢٨
 ١,٠٣٠,٦٤١ نسمة منهم ٧١٩,٧٩٢ تركمانيًا ،
 وكان يقطن المدن والقرى الكبيرة ١٣٦,٩٨٢
 نسمة منهم ٨,٧٩٠ تركمانيًا فقط ، وليس لدينا
 بطبيعة الحال إحصاء دقيق للتركمان في فارس
 وأفغانستان ، وقلد أريستوف Aristow عام
 ١٨٩٦ سكان أفغانستان من التركمان بنحو ٨٠ أو
 ٥٠ ألف نسمة ، وسكان فارس منهم عشرين ألف
 نسمة .

المصادر :

Das Turken-volk in seinen : H. Vambery (١)
ethnologischen und ethnographischen Beziehungen
geschildert ، ليمسك سنة ١٨٨٥ ، ص ٣٨٢ وما بعدها

— وهي قصة اقتبسها الأربابكة أيضاً — وبين كتاب « دده قورقود » وهو بقية من ملحمة الأوغوز القديمة ، يضاف إلى ذلك أن اختلاط التركمان بالمرآكر الثقافية في خراسان وخوارزم وتركستان قد أدى إلى تأثر الأدب التركماني بالأدب التركي في أسية الوسطى : وقد درس التركمان شعراء الأوغوز الآذربيجان أمثال نسيبي وفضولي وأشعار الشاعر الجغتائي الكبير على شير نوائي : ولا تزال ذكرى هذا الشاعر وذكرى راحيه سلطان حسين يقرأح في بيئهم : ونلمح في أشعار غلوم قل أشهر شعراء التركمان أثر أحمد يسوي وتلاميذه (انظر ليالك متصوفز ، ص ١٩٩)

وليس لدينا حتى الآن سوى معلومات قليلة جدا عن المصنفات التركمانية الأولى التي كتبت فيها يعرف الآن ببلاد تركمانستان : وقد ذكر أبو الغزالي في كتابه « شجرة » تراكمه « ديوان شعر اسمه « معين المريد » وهو يقول إنه ظل دائماً بين التركمان إلى أيامه : والواقع أن هذا الديوان الذي نظم في عام ١٣١٣ قد ظهر أصلاً بين ترك خوارزم ، وليست له صلة بالتركمان على الرغم من أنه تضمن بعض الإشارات إلى حياة البدو : ويأتي بعده المتنوى المعروف بـ « روتق الإسلام » ونسبه الرواية إلى الشيخ شرف الخوارزمي : ولكن زكي وليدي قد بين أن هذا المتنوى نظمه شاعر آخر يدعى وفائي عام ٨٨٩ هـ (١٤٨٤ م) : ولا يزال التركمان يدرسون هذا الديوان ، وقد نظم بالأوزان المروضية ، وليس له قيمة أدبية

الأمثال والأحاجي والقصص والأغاني والمهددات وغير ذلك وبين أدب الأوغوز الذين يعيشون بعيداً عنهم ناحية الغرب ، وهم ترك فارس والقوقاز والأناضول ، فإن فيه من سمات الأدب الجاهلي أكثر مما في الأدب الأوغوزي بكثير .

والأدب التركماني المكتوب أشعار غنائية وملاحم تاريخية وقصائد دينية وتعليمية وقصص شعبي يأتي كل ذلك الموسيقيون المتجولون « بقشي » (انظر هذه المادة) بين التركمان : ولا تختلف هذه الأشعار من حيث صياغتها ومادتها عن الأشعار التي يلعبها الشاق في آذربيجان والأناضول : وهي رباعيات من الوزن الرندي تعرف باسم « غوششي » (انظر مادة « قشمة ») : وتستعمل هذه الكلمة بصفة عامة عند التركمان بمعنى القصيدة : ولما كانت القصص الشعبية غير المعروفة مؤلفها تلور حول الموضوعات نفسها اللائمة الصبغت في آذربيجان والأناضول مثل قصة صائد السمك ورفيقه (صياد أبله همراه) وقصة عاشق غريب ، وقصة كور أوغلي وقصة طاهر وزهرة ، وقصة يوسف وأحمد ، فيمكن القول بأن بواعثها أوغوزية : ونلاحظ كذلك أن الصلة وثيقة بين الموسيقى التركمانية الشعبية وبين موسيقى آذربيجان : ويمكن تفسير هذه الروابط بين الجماعات التركية الأوغوزية المختلفة بأنها استمرار لتمازجهم القديمة المشتركة ، كما يمكن القول بأنها نتيجة لتأثر هذه الجماعات بعضها ببعض بعد ذلك : فهناك إذن صلات واضحة بين قصة يوسف وأحمد الشهيرة —

ولا تساعدنا الروايات التركمانية الأدبية الحالية والمصادر الأخرى التي في متناول يدنا إلا في معرفة أدب التركمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد استطاع صمويلوفش ، وهو الحمد في هذا الموضوع ، أن يحصى أسماء نحو عشرين شاعراً من شعراء القبائل التركمانية ، وتشيد أشعارهم بذكر الحروب والمناقصات بين القبائل المختلفة ، ويقرأها التركمان جميعاً . وجل شعراء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من قبيلة كوككن ، ولعل ذلك راجع إلى أنها قد أخذت في حياة الاستقرار قبل غيرها من القبائل . وفي طليعة هؤلاء الشاعر العظيم مجهول قلى ووالده دولت محمد ملا آزادى ، ثم ذليل وهو زوج ابنته وتلميذه ، وأخيراً سيدى شاعر إرسارى الذى لاذ بقبيلة كوككن . وقد نظم دولت محمد ملا آزادى عام ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) مثنوياً بالأوزان العروضية سياه « وعظ آزادى » : وهو من الشعر الأخلاقى ، وأثر الأدب الجغتائى ظاهر فيه . ونظم هذا الشاعر نفسه قصائد أخرى على منوال أشعار العشاق . ونذكر أيضاً من شعراء القرن الثامن عشر معروفي وشيلاني . كما نذكر من شعراء « المندوسة » في القرن التاسع عشر إلى جانب آزادى الشاعر عبد الستار قاضى من قبيلة تكه . وقد نشر صمويلوفش في عام ١٩١٤ ديوانه المسمى « جنكك ناميه » وهو من الوزن التالى ب - - - / ب - - - / ١ - - - ب - - - / . وديوان عبد الستار قصيدة تاريخية يصف

تذكر : وقد يكون وفائق هذا من الشعراء الذين كانوا في حاشية الأمراء التركمان في خراسان أيام الشاه إسماعيل الصفوى . بيد أنه من المعلوم أن الأشعار التي نظمت بالأسلوب التركمانى الجغتائى كانت لا تزال إلى العهد التيمورى تنشد في خراسان . وقد عرفنا من « تذكره » سام ميرزا (انظر هذه المادة) والتذكرة المكتوبة باللغة الجغتائية لمؤلفها صديقى والمعروفة « باسم مجمع الخواص » قصائد كثير من شعراء التركمان نظمت في القرن السادس عشر . (يرجع في شأن كتاب مجمع الخواص إلى *Die turk* : W. Pertsch HSS. Z. Göttingen رقم ١٦٩) . ونظمت هذه الأشعار لأهل الحضرة ومن ثم لم تعرف بن الرجل . وقد عرف التركمان أيضاً كتاب « شجرة » تراكمه « لأبى الغازى (لم يذكر هذا الكتاب في مادة أبى الغازى) . ونشر توماسكى Tumanaki هذا الكتاب عام ١٨٩٧ في عشق آباد . وكشف صمويلوفش Samoilovitch حديثاً عن مخطوط سادس لهذا الكتاب (انظر *Comptes Rendus des sciences de l'Académie de P. U. R. S. S.* سنة ١٩٢٧ ، رقم ٢ ، ص ٣٩ - ٤٢) .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يتضمن بقولاً من كتب الأوغوز في التاريخ إلا أنه يحوى أيضاً الروايات التركمانية الشعبية القديمة ، وقد حرف التساخ كثيراً في لغة المخطوطات المعروفة من هذا الكتاب ، لذلك لم تعد له القيمة الحقيقية بأن تكون له بوصفه مثلاً للمهجة التركمانية القديمة .

الشعوب والموسيقى والأدب الشعبي : وشرع الكتاب يوظفون في المنهج الماركسي كما حدث في سائر البقاع التابعة للاتحاد السوفيتي . وعلى الرغم من أن نتاج هذه الحركة الأدبية الجديلة ليست له إلى الآن قيمة أدبية كبرى ، فإنه قد نشرت عدة مؤلفات هامة مثل مجموعة مصنفات سيندي وذيلي وكتاب « صياد إيله هرهه حكاية سي » وقد قام بنشرها بعض العلماء مثل كلديف Geldiyev وقلهمهوف Kulmehmedoff . وقد تلى هذه الأبحاث التي قام بها العلماء من أهل التركمان بمعاونة المستشرقين الروس كثيرا من الضوم على بعض اليهود المجهولة من هذا الأدب في القريب العاجل ،

المصادر :

نجد أقدم ما كتب عن شعراء التركمان وعن غنوم قلى في A. Chodzko Specimens of the Popular Poetry of Persia سنة ١٨٤٢ ثم نشر Berezin بعده جملة قصائد تركمانية في Chrestomathie وأورد H. Vambéry في كتابه Travels ، لندن سنة ١٨٦٤ بعض المعلومات عن غنوم قلى : وفي عام ١٨٧٩ نشر هذا الكاتب نفسه في مجلة J. D. M. G. ج ٣٣ لإحدى وثلاثين مقطوعة من قصائده . وفي هذا البحث كما في بحث Ostroumof الذي نشر عام ١٩٠٧ كثير من الأخطاء : أما أهم الأبحاث فهي التي نشرها سمويولوج Samoilovitch فيما يلي : (١) Trkmanijj poet-basjak Kôr Mulla i jego poezija o

فيها فصلا من نزاع التكه السنين والقرص الشعبيين . على أن هذا الديوان ليس مثالا صحيحا للغة الشائمة بين التركمان .

وتلى غنوم قلى العلم في مدرسة شير علي خان بخوارزم ، ولكن سيرته خامضة لما حيك حولها من أساطير . وقد بلغت شهرته حدا بعيدا حتى نسب إليه كثير من شعر غيره على الرغم من أن هذه الأشعار كانت تلبل بأسماء أصحابها المستعارة : وكانت عبارة « قراءة غنوم قلى » تعني بين تركمان خيوة وبين الأزابكة أنفسهم قراءة أشعار تعليمية باللغة التركمانية . ولا نعرف من المائتين والتسع والسبعين قصيدة التي نسبت إليه أبها من شعره على التحقيق : وعلى بعض هذه القصائد مسحة دينية وتعليمية كما أن بعضها من شعر الحماية أوسى به القتال بين التركمان والفرس ، وهي أهم مصدر نستمد منه معلوماتنا عن تصور التركمان للحياة . كذلك نجد أشعار وغوشفي للبللى وأشعار سيندي التي نظمت بالأوزان العروضية في قالب الخمس والمسلمس تعبر عن الحكمة السائرة على لسان الشعب .

وظهرت بوادر النهضة بين التركمان منذ الثورة الروسية التي شبت عام ١٩٠٥ ، على أن هذه النهضة لم تسر في طريق يم إلا منذ عام ١٩١٧ : وكانت مدينة عشق آباد مركز هذا النشاط العقلي المتجدد . وتصدر الكتب الدراسية والدوريات والصحف باللهجة التركمانية ، كما أسس معهد للثقافة التركمانية : ويلرس هناك علم وصف

التاسع عشر: وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة في قازان عام ١٨٥٠. ونشره أوستروموف Ostroumof مرة ثانية في طشقند عام ١٩٠٥. ونشر الشيخ محسن فاني ديوان غلوم قلي بالآستانة عام ١٣٤٠. وفي طبعة أخطاء أكثر مما في طبعة Vambéry. ويمكن الرجوع في شأن المراجع التي نقلت المؤلفات الخاصة بمخلوم قلي إلى (١) زكي وليلى: تركيات مجموعته سي، ج ٢، ص ٤٦٥ - ٤٧٤ (٢) قول محمديف، عشق آباد ١٩٢٦ (٣) الكاتب نفسه: ذليل غوشغيلري، عشق آباد ١٩٢٦ (٤) الكاتب نفسه: صياد ابه همراه، عشق آباد سنة ١٩٢٧، وآخر وأتم بحث كتب في الأدب التركي هو للمقال الذي نشره Ocherki po istorii turkmenkoy Samoilovitch في مجلة Turkmeniya ج ١، سنة ١٩٢٩ وقد نشره مجمع علوم الاتحاد السوفيتي؛

[كوبزيلي زاده فواد]

«تركمان چای» والأصح تركمان چای: قرية في ناحية گرمقروبد من أعمال آذربيجان، ومعنى تركمان چای نهر التركمان: وهي في الواقع اسم المجرى الذي عليه هذه القرية: وينحدر هذا المجرى من بحر چيچكل بين تركمان چای وسراب أحد الروافد الشمالية لنهر ميانه (شاهارچاي) ويصب في نهر قزل أوزن (انظر مادة سفيد روده) وقرية تركمان چاي محطة على الطريق العظيم: طريق تبريز و زنجان وقزوین وطهران وغيره اسان.

Russkikh (zhivnaja Starina) سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٧، ص ٢١٥ - ٢٢٣ (٢) Pojczdka v Turkestan v 1906-1908 g. (Zap. v rest old. Imp. Russk. Arkh. Obshch) ص ١٨ - ١٩ (٣) Po ponadn izdaniya N.P. (٣) (١٩ - ١٨) Ostroumova "Sostoch Islama" ص ١٥٨ - ١٦٦ (٤) Materialy po Srednoaziatskoturkskij literature (Zap. ج ١٩، ص ٣٠ - ١) Ukazatel k pesnyam Makhtum- (٥) Uchebnik (Zap. ج ١٩) (٦) Kuli Kistatye (Zap. ج ١٨) (٧) Ukazatel k pesnyam "Makhtum-Kuli" (Zap. ج ١٩، ص ١٢٥) (٨) Abdu-s-sallur Gazy, Kniga razskazo o bitakh toktinov Turkmenkaya istoricheskaya poema XIX veka, سانت بطرسبرغ سنة ١٩٢٤.

Yusuf und Ahmed: H. Vambéry يودايت. سنة ١٩١١، وقد طبعت هذه القصص أيضاً في قازان عام ١٩٠٤. ونشر Vambéry بعض أقسام منها في Chagataische Sprachstudien، ليسك سنة ١٨٦٧، ص ٩٥ - ١١٤. ويمكن الرجوع في شأن كتاب معين المريد إلى زكي وليلى: خوارزمده يازلش إسبكي تور كچه اثر في تركيات مجموعته سي، ج ٢، ص ٣١٥ - ٣٤٥، ووصف Samoilovitch المخطوطات المختلفة من كتاب «روقت الإسلام». ويوجد في مكتبي الخاصة بخطوط جديد من هذا المؤلف يرجع تاريخه إلى القرن

والساقفة بين تبريز وترکمان چای ستون ميلا ، وبين ترکمان چای وزنجيان ثمانون ميلا . ويقدر حمد الله مستوفي في كتابه (نزهة القلوب ، مجموعة كُتب التذكارية ، ج ٢٣ ، ص ١٨٣) هذه المسافات : ١٦ و ٢٥ فرسخا على التوالي ، ويطلق عن هذه القرية اسم تركمان كَشْدِي . ولفظ كَشْد معناه قرية ، ولا يستعمل إلا في آذربيجان ولا يعرف في أي جهة أخرى من جهات فارس . ومن الحق أنه من أصل إيراني شرقي (راجع الكلمة السفلية كَشْت بمعنى مدينة ، وانظر *Istoriya : Barthold Kultur Zhizni Turkstana* لينينغراد سنة ١٩٢٧ ، ص ٢٨) .

ولا ريب في أن الترك القاهمين قد نقلوا هذه الكلمة إلى آذربيجان . ويذكر حمد الله أيضا أن هذه القرية كانت مدينة في وقت من الأوقات ، وقد ذكر اسمها الإيراني « ده خران » ، ويرد هذا الاسم بصيغ مختلفة .

ويذكر كلافيخو Clavijo (طبعة Sresnewski سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٨١ ، ص ١٧٢ ، ٣٥٤) مدينة تركمان چای بصيغة توكلر Tucelar وتونكلر Tunglar ، ومن الواضح أن ذلك تحريف لكلمة توركلر ، ويقول إن التركمان سكنوا هذه المدينة .

وتعرف تركمان چای في التاريخ بالمعاهدة التي أبرمت فيها بين روسيا وفارس فيها بين ١٠ و ٢٢ فبراير سنة ١٨٢٨ . وهذه الوثيقة

السياسية قسبان : (١) ضمت روسيا إليها بمقتضى المعاهدة السياسية التي حلت محل معاهدة سنة ١٨١٣ خانيق أريوان وقميجوان ، وضربت على فارس جزية قدرها خمسة ملايين تومان أي عشرين مليون روية ، خفضت بعد ذلك (٢) عقد اتفاق خاص حددت بمقتضاه المكوس بين الدولتين بخمسة في المائة من السلع ، كما نظمت الأحوال الشخصية للرعابا الروس ، وجعل للمحاكم الروسية الفصل في قضاياهم الجنائية . أما القضايا المدنية بين أفراد الدولتين فتتظر فيها محاكم مختطة من الروس والفرس ويشارك معهم ممثلو الهيئة القنصلية الروسية ، وغيرهم . وهذا الاتفاق الخاص الذي عقد في سنة ١٨٢٨ هو أصل الامتيازات في فارس ، وحصلت جميع النول الأوربية بمضى الزمن على مثل هذه الامتيازات طبقاً لمبدأ الدولة الأكثر رعاية . وعند ما تولت الحكومة السوفيتية الحكم في سنة ١٩١٧ ألغت من ناحيتها جميع الامتيازات السياسية والقضائية القديمة في فارس ، وتأييد هذا الإلغاء بالمعاهدة الفارسية السوفيتية التي أبرمت في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢١ . وأبذنت فارس رغبتها منذ سنة ١٩١٨ في إلغاء الامتيازات عامة ، ولكنها لم تقدم على ذلك إلا في العاشر من شهر مايو سنة ١٩٢٧ ، إذ وجهت مذكرة بهذا المعنى إلى الدول الأجنبية : وأخطت كثير من الدول منذ العاشر من شهر مايو سنة ١٩٢٨ في عقد معاهدات جديدة مع فارس أمثالها للمساواة بين الطرفين .

ولا ريب في أن الترك القاهمين قد نقلوا هذه الكلمة إلى آذربيجان . ويذكر حمد الله أيضا أن هذه القرية كانت مدينة في وقت من الأوقات ، وقد ذكر اسمها الإيراني « ده خران » ، ويرد هذا الاسم بصيغ مختلفة .

ويذكر كلافيخو Clavijo (طبعة Sresnewski سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٨١ ، ص ١٧٢ ، ٣٥٤) مدينة تركمان چای بصيغة توكلر Tucelar وتونكلر Tunglar ، ومن الواضح أن ذلك تحريف لكلمة توركلر ، ويقول إن التركمان سكنوا هذه المدينة .

وتعرف تركمان چای في التاريخ بالمعاهدة التي أبرمت فيها بين روسيا وفارس فيها بين ١٠ و ٢٢ فبراير سنة ١٨٢٨ . وهذه الوثيقة

Orientalische Museumkabinett der Universität Jena

in Jahre 1906 ، در سال سنة ١٩٠٦ ، ص ٧ .

[مینورسکی V. Moynsky]

و ظلت التخوم بين روسيا وفارس (أرارات
المصري - بحر قزوين) التي حدثت في سنة ١٨٢٨
دون تعيين حتى بعد عام ١٩٢١ ،

المصادر :

« ترکیب بند » : منظومة من اقسام
يتراوح عدد أبيات كل قسم بين خمسة أبيات وأحد
عشر بيتا . ولكل قسم - كما في الفزل - قافية ،
والقافية في المصراعين الأولين هي القافية في المصراع
الثاني من كل بيت . وقافية كل قسم غيرها
في الأقسام الأخرى وإن كان الروي واحدا
في المنظومة كلها ؛ وبعد كل قسم بيت يكرر رويه
في الأقسام الأخرى وله قافية وحده ، وهي عينها
في ضربه ، فلذا كرر البيت بعينه عقب كل قسم
سميت المنظومة « ترجيع بند » ويطلق العروضيون
اقتداء هذا الاسم « ترجيع بند » على المنظومات
كلها التي من هذا النوع سواء كررت فيها
الوسائل ، وهي الأبيات التي تربط الأقسام ،
أو لم تتكرر .

المصادر :

(١) هس الدين محمد بن قيس الرازي :
المصم في معاني أشعار الصم ، طبعة مرزا محمد
وبرون E. G. Browne في مجموعة كتب التذكارية
(٢) نصير الدين الطوسي : معيار الأشعار ، طبعه
طبعة حجرية محمد سعد الله مراد آبادي ، لاهور
سنة ١٢٨٢ هـ (٣) Garcin de Tassy
Rhétorique et Prosodie des Langues de l'Orient
Musulman ، باريس سنة ١٨٧٣ ، الطبعة الثانية .
[T.W. Haig ميك]

ذكر تركمان چای جميع الرحالة الذين سافروا
من تبريز إلى قزوين ، ويمكن الرجوع إلى (١)
Voyage : Hommaire de Hell باريس سنة ١٨٥٤
- ١٨٦٠ ، ج ٣ ، ص ٨٣ - ٨٤ ، وجاء
به أن بالمدينة ٢٠٠ منزل ، وجاء في المصور
الجغرافي رقم ٥٥ صورة الحجرة التي وقعت فيها
المعاهدة (٢) Brugsch : Reise ، ليسك سنة
١٨٦٢ - ١٨٦٤ ، ج ١ ص ١٨١ (٣)
Voyage : Lycklama a Nijeholt ، ص ٨٥
Reisen, Zeitschr. Gesell : H. Schindler (٤)
Brill : سنة ١٨٨٣ ، ص ٤٣٣ ، وجاء به أن بالمدينة
١٠٠ منزل وأنها على ارتفاع ٥,٢٨٥ قدم ،

ونص معاهدة سنة ١٨٢٨ في (٥)
Neuveau recueil des traités : F. Martens ج ٧
٢ / القسم الثاني ، سنة ١٨٣٠ ، ص ٥٦٤ -
٥٧٢ (٦) صنيع النولة : مرآة البلدان ، ج ١ ،
ص ٤١٠ - ٤١٨ (٧) Dagobori : Yuzefovich
Rossii et vostokom سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٦٩ ،
ص ٢١٤ - ٢٢٧ (٨) *Traetier : Hiertslet*
concluded between Great Britain and Persia etc.
لندن سنة ١٨٩١ ؛ وحلت المعاهدة في (٩)
Die Verfassung des pers. Staates : Greenfield
برلين سنة ١٩٠٤ (١٠) *Das : K. Vollers*

ج ٢ ، ص ١١٤٧ ، المكتبة الجغرافية العربية ،
 ج ٦ ، ص ٣٩ . وكان بها حصن منيع يشرف
 على النهر (الطبري ، ج ٢ ، ص ١١٤٧) وفي عام
 ٧٠ هـ (٦٨٩ - ٦٩٠ م) فتح ترمذ موسى
 ابن عبد الله بن خازم الذي خرج عن طاعة الخليفة ،
 واستقل بحكمها خمسة عشر عاما (انظر البلاذري ،
 ص ٤١٧ وما بعدها ، الطبري ج ٢ ، ص ١١٤٥
 وما بعدها) . وأفلح عثمان بن مسعود في استرداد
 المدينة للمخلافه حوالي نهاية عام ٨٥ هـ (٧٠٤ م)
 وقد أفضله في ذلك الوالي المفضل بن المهلب ،
 وكان للجزيرة المجاورة لترمد التي عرفها العرب
 باسم جزيرة عثمان شأن هام في هذه الحرب
 وفي إقامة الجسور ، وفيما ضرب على عطلدنة من
 حصار في اليهود التالية . وعرفت هذه الجزيرة
 في عهد الأتابكة باسم أورته أوال أو أرته أوي
 الجزيرة الوسطى (انظر Supplement : J. Senkowski
 à l'histoire générale des Huns etc.
 سنة ١٨٢٤ ، والنص ، ص ٢٩ ، والفقرات المتبسة
 من المخطوطات في Barthold K Istorii orasheniya
 Turkistana سانت بطرسبرغ سنة ١٩١٤) . وانتقلت
 شميرة التوسل بالرسول ذي الكفل (المكتبة الجغرافية
 العربية ، ج ٣ ، ص ٢٩١) التي ذكر أنها كانت
 قائمة في كاليث منذ القرن الرابع الهجري (العاشر
 الميلادي) إلى هذه الجزيرة . ولهذا تعرف الجزيرة
 الآن باسم أوال يخضر أي جزيرة الرسول .

ويمكن الرجوع إلى المكتبة الجغرافية العربية
 (ج ١ ، ص ٢٩٨ ؛ ج ٣ ، ص ٢٩١) بمفصلة

« ترمذ » : مدينة على الضفة الشمالية لنهر
 جيحون (انظر هذه المادة) بالقرب من مصب نهر
 سرخان . ويروي السمعاني ، وقد أمضى فيها اثني
 عشر يوما ، أن أهلها ينطقون باسمها « ترميد »
 (مجموعة كتب التذكارية ، ج ٢٠ ، ورقة رقم ١٠٥)
 وقد أكد هذا القول تاي الصيني (انظر Hiouen
 Thsang : Mémoires sur les contrées occidentales
 ج ١ ، ص ٢٥) وسبع الضباط الروس الناس
 عام ١٨٨٩ ينطقون باسمها تيرمز أو ترميز (انظر
 Sbornik materialov po Azii ج ٥٧ ، ص
 ٣٩٣ ، ٣٩٩) وتعرف المدينة رسمياً الآن
 باسم تيرمز .

ويبدو أن الإسكندر الأكبر لم يصل إلى هذه
 المدينة ، ولم يرد ذكرها عند القدماء وإن كان قد
 نسب تشييدها فيما بعد إلى الإسكندر . ويقول حافظ
 أبرو (انظر النص وقد أورده Barthold
 في المظفرية ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩٧ ،
 ص ٢٠) إن الإسكندر الأكبر لم يشيد هذه
 المدينة فحسب ولكنه ابني أيضا مدينة برداغوى
 التي لا تبعد عنها كثيراً ، وهي على نهر جيحون
 نفسه . ويقال إن برداغوى كلمة يونانية معناها
 تزل (مهما نخاه) ولعلها باليونانية « تيرديون » ،
 وكانت البيضية هي السائدة في ترمذ لآيان
 الفتح الإسلامي ، فقد كان بها اثنا عشر معبدا
 ونحو ألف راهب (انظر Hiouen-Thsang :
 كتابه المذكور أعفا) وكان على ترمذ وقضالك
 أمير عظيم الشأن قبله ترمذ شاه (الطبري ،

هذه المادة) : ومن المعروف أن محمد بن علي هذا قد تخرج على شيخ البخاري ، ويروي السمعاني (مجموعة كـب التذكارية ، ج ٢٠ ، ص ١٠٦) أن الذي تخرج عليه هو محمد بن عيسى ،

وشاطرت ترمد بعد ذلك خراسان وما وراء النهر في تاريخهما السياسي ، فكان مما يعظم من شأنها اتخاذ نهر جيحون حداً لها كما هي الحال في الوقت الحاضر ، وقد يعظم من شأنها أحياناً أخرى اتصالها ببلخ . وكانت ترمد في عهد محمود وخطائه تابعة للدولة الغزنوية (انظر هذه المادة) كساتر ولايات بلخ .

وانتقل الحكم فيها وراء النهر إلى القره خطاي (انظر هذه المادة) نتيجة للقتال الذي نشب في صحراء قشطنان بالقرب من سمرقند في الخامس من صفر عام ٥٣٦ (٩ سبتمبر سنة ١١٤١) ولكن ترمد ظلت في حوزة السلاجقة ، تستدل على ذلك من أن السلطان سنجر (انظر هذه المادة) قد احتسب بها عام ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) . واستولى القره خطاي بعد ذلك على ترمد وظلت في حوزتهم إلى أن استولى عليها عماد الدين عمر والي بلخ من قبل الغوريين (انظر هذه المادة) في ذي القعدة عام ٦٠١ الموافق يونية - يولية ١٢٠٥ (انظر ابن الأثير ، ج ١٢ ، ص ١٣٥) وقد نصب بهرام شاه بن عماد الدين والياً عليها (ورد اسم بهرام شاه في كتاب النسوي ، طبعة هوداس ، ص ٣٩) وفي العام التالي استولى خوارزمشاه محمد حليف القره خطاي على ترمد وسلمها إليهم : ويقول ابن الأثير (ج ١٢ ،

خاصة فيما يتصل بالأحوال الجغرافية لهذه المدينة في القرن الرابع الهجري (الناشر الميلادي) . وكانت ترمد مرصى هاماً على نهر جيحون ، فكانت تبني فيها السفن لها ولغيرها من البلدان (المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٤ ، ص ٣٢٥ ، ص ٧) واشتهرت ترمد بالصايون شأنها في ذلك شأن مدينة بلكنج (المصدر السابق ، ص ٣٢٤) . واشتهر من أهلها في التأليف الإسلامي رجلان أولهما أبو عيسى محمد ابن عيسى الترمذي (انظر هذه المادة) صاحب مجموعة الأحاديث المعروفة المتوفى عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) والثاني المحدث المتصوف أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ٢٥٥ هـ الموافق ٨٦٩ م (انظر Brockelmann : *Gesch. der Arab. Litt.* ج ١ ، ص ١٦٤) . وقبره - والراجع أن يكون قد بنى في القرن التاسع الهجري ، (الخامس عشر الميلادي) هو اليوم أجمل الآثار بين أطلال ترمد ومن أجملها في آسية الوسطى (انظر صورته في *Isr. Geogr. Obach.* ج ٤٤ ، ص ١٩٠٨ ، ص ٦٥٢ مع ترجمة روسية للكتابات التي عليه ، وانظرها أيضاً في Barthold : *Islam* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩١٨ ، ص ٥٧) .

وفي هذه الكتابات بعض ماورد في كتاب *و تذكرة الأولياء* ، لفريد الدين الططار (انظر هذه المادة) عن محمد بن علي الترمذي (انظر *Perz. Hist. Texts.* ج ٥ ، ص ٩٣) وما ورد عنه أيضاً في كتاب *و نفحات الأنس* (النسخة المطبوعة على الحجر ، ص ٧٧) مؤلفه جاي (انظر

الترمدى : ويروى ابن بطوطة (انظر هذه المادة)
 فى القرن التالى أخباراً عن مالك الجندى (انظر هذه
 المادة وانظر ابن بطوطة طبعة Defrémery and
 Sanguinetti ج ٣ ، ص ٤٨) . فقد ذكر اسم
 علاء الملك خداوند زاده من أبناء الحسين بن على
 وقال إنه صاحب ترمد . ويروى أنه انضم إلى خان
 خليل الله على رأس أربعة آلاف مسلم وأن خليلاً
 قد استوزره . ولقب آل بيته فيما بعد بخداوند زاده
 (فى ظفرنامه ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ص ٢١٠ ،
 وفى مواضع أخرى كثيرة ، وفى بايرنامه ، النص
 الذى نشرته Beveridge وقد اقتصر الكلام فى
 الورقة ٢٠ من هذا النص على خان زاده ووردت
 كاملة فى أقدم نسخ ظفرنامه التى كتبت فى عهد
 تيمور : Teksti po istorii Srednei azii صانت
 بطرسبرغ سنة ١٨٩٥ ، ص ١٣١ ، ١٩٩) ،
 وذكر فى كتاب ظفرنامه اسم خان زاده أبو المعلى
 وأخوه على أكبر جملة مرات . وقد نى أبو المعلى
 عام ١٣٧١ لاشترائه فى التأمير على تيمور (ظفر
 نامه ، ج ١ ، ص ٢٣١) ولم يلبث فى المنفى طويلاً ،
 واشترك فى العام التالى فى غزوة تيمور لخوارزم
 (الكتاب المذكور ، ص ٢٤١) ثم ذكر اسم خان
 زاده علاء الملك ثانية . وأقام تيمور بيت علاء
 الملك فى عودته من غزوة الهند عام ١٣٩٩ وفى
 عودته من غزو الأقاليم الغربية عام ١٤٠٤ (الكتاب
 المذكور ، ص ٢٠٠ ، ص ١٩٠ ، ٥٩٣) . وتزوج أحمد
 ميرزا عام ١٤٨٧ امرأة من السادات (بايرنامه ،
 ورقة رقم ٢٠٦) .

ص ١٥٢ وما بعدها) إن أخبار هذه الحوادث قد
 أنضطت العالم الإسلامى على خوارزمشاه . وذكر
 الجوينى (مجموعة كتب التذكارية ، ج ١٦ - ٢ ،
 ص ٦٤) أن الولى مسلم المدينة عملاً بالنصيحة
 التى بلها والده نعمان خان سمرقند . وذكر
 ميرخواند (*Hist. des sultans du Khwarezm*)
 طبعة Defrémery ، باريس سنة ١٨٤٢ ، ص ١٥
 وما بعدها) اسم خوارزمشاه بدل الخان .

وأصبحت ترمد بعد سقوط دولة القره
 خطاى تابعة للدولة خوارزمشاه . وفى خريف
 عام ١٢٢٠ استولى المغول على المدينة وجرمها
 تلميها : وذكر الجوينى فى أخباره عن هذه
 الغزوة أن نصف أسوار المدينة كان فى وسط
 النهر (مجموعة كتب التذكارية ، ج ١٦ ،
 ص ١٠٢) .

وورد قبل ذلك بسنوات قليلة أول ذكر لسادات
 ترمد الذين لم تؤثر غزوة المغول فى مكانتهم . وقد
 أذاع خوارزمشاه بين علماء دولته أثناء النضال بينه
 وبين الخليفة الناصر أن العباسيين اغتصبوا السلطان
 من أربابه أبناء على . وتولى الخلافة علاء الملك أحد
 كبار السادات (أزسادات يزرگ) فى ترمد
 (مجموعة كتب التذكارية ، ج ١٤ ، القسم الثانى
 ص ٩٧ ، ١٢٢) . ولم يكن لحنا من أثر . وليس من
 بيان عن حياة هذا المناهض للخليفة العباسى وما
 انتهى إليه أمره . وجاء فى كتاب « تاريخ كزنده »
 لمحمد الله قزوینى (مجموعة كتب التذكارية ، ج ٢٤ ،
 القسم الأول ، ص ٤٩٦) أن اسمه السيد عماد الدين

ذكر في هذه الشجرة اسم سلطان السادات علماً على امرأة .

وجاء في كتاب «ظفر نامة» (ج ١ ، ص ٥٧) ذكر ترمد القديمة (ترمد كهنة) عند الكلام عن مدينة ترمد . وكثيراً ما يرد اسم ترمد في المؤلفات ، ومنها المخطوط السابق ذكره . وذكرت باسم «مدينة الرجال» في السكة التي ضربت بعد العهد المغولي . وبعد وفاة تيمور استعاد نهر جيحون إلى حين ما كان له من شأن بوصفه جزءاً من حدود ترمد . ولم يحتفظ خليل سلطان الذي استولى على سمرقند إلا بالأراضي التي إلى شمال نهر جيحون . وبينما كان خليل وشاهرخ (انظر هذه المادة) يتأهبان لقتال استعاد خليل سلطان عام ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) ترمد القديمة واسترد شاهرخ حصون بلخ (انظر ابن عريشة ، طبعة مصر ، ص ٢٠٥ وما بعدها) .

ولعل ما شيد لإحياء الذكر محمد بن علي الترمذي يرجع إلى ذلك العهد .

وكانت ترمد وبلخ في الغالب من أملاك دولة الأربكة منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) . واحتلت جيوش الهند بقيادة سادات خان مدينة ترمد إبان انتقال الأربكة والأمير الهندي أودنكزيب على مدينة بلخ (انظر هذه المادة) عام ٦٤٦ هـ وعام ٦٤٧ هـ . وهو الأمير الذي أصبح بعد ذلك إمبراطوراً (انظر *History of India* : Elliot Downon

واستعادت ترمد أيام ابن بطوطة مكانتها بعدما أصابها من دمار على يد المغول ، وكانت بلخ لا تزال أطلالاً . ولم تشيّد المدينة ثانية في مكانها القديم ، وإنما شيدت على مسيرة ميلين عريين من النهر .

وكانت ترمد مدينة جميلة كبيرة أهلها في وفد من العيش (ابن بطوطة ، طبعة Defrénery et Sanguinetti ج ٣ ، ص ٥٦ وما بعدها) وبين أطلالها الضريح الذي وصفه سمونوف (A.A. Semenov : *Protokoli Turk.*) : *Krezhén Turk. 1904* ج ٩٩ ، ص ٣ وما بعدها ، وبه بعض الصور) وقبور السادات التي تعرف الآن باسم «سلطان سادات» . ويعيش سلالة السادات الآن في قرية صالح آباد القريبة من ترمد . وبلغ عدد سكان هذه القرية في الإحصاء الأخير ٧٢٤ نسمة . وأخذ سمونوف A. Semenov منهم مخطوطة فيه نسبهم وتاريخ بينهم حتى الرابع من ذي الحجة عام ١٠٤٦ (٢٩ أبريل سنة ١٦٣٧) ، وجاء في هذا المخطوط أن السيد حسن الأمير ابن الأمير حسين وفد إلى سمرقند عام ٧٣٥ هـ (٧٤٩ - ٨٥٠ م) ثم ترحل إلى بلخ ثم إلى ترمد عام ٧٤٦ هـ (٨٦٠ - ٨٦١ م) . وللهنا أنصار عن علاقات السيد حسن مع السامانيين وعن جرى الحوادث التاريخية . وليس في شجرة النسب بعد هذا سوى أسماء الأعلام مجردة عن ذكر الحوادث والمخالفات التاريخية . وقد

وكان لأعمال التقييب التي قام بها متحف موسكو للثقافة الشرقية نتائج هامة . ومن بين ما عثر عليه هذا المتحف آثار يرجع تاريخها إلى العهد البرنزي ، المصادر :

نذكر إلى جانب المصادر الوارد في صلب المادة (١) *The Lands of the* : G. Le Strange (١) *Eastern Caliphate* ، كمبروج سنة ١٩٠٥ ، ص ٤٤٠ وما بعدها (٢) *Turkestan*: W. Barthold ، مجموعة كتب التذكارية ج ٥ ، ص ٧٤ وما بعدها ، انظر الفهرس ، أما عن الحفريات فيمكن الرجوع إلى (٣) B. Denke : *Termez Noviy Vostok* ، ج ٢٢ ، عام ١٩٢٨ ، ص ٢٠٨ وما بعدها (٤) *Kul'tura Vostoka* رقم ١ ، عام ١٩٢٧ ، ص ٩ وما بعدها ، رقم ٢ ، عام ١٩٢٨ ، ص ٣ وما بعدها .

[يارتولد W. Barthold]

« الترمذى » أبو عبد الله محمد بن علي بن حسين المعروف بالحكيم : متكلم سني من أهل خراسان وعلمت ومتصرف وفتية حنفي ، توفي عام ٢٨٥ هـ الموافق عام ٨٩٨ م . وقد بقي من تصانيفه ما يقرب من ثلاثين مصنفاً ، أسلوبها مغرب بعض الشيء ، ولكنها مع هذا حافلة بالأسانيد .

وحاول المترجم له في كتابيه « نوارد الأصول » و « ختم الولاية » أن يشرح بعض مسائل غنوصية شراً صوفياً على مذهب أهل السنة ، وهي المسائل التي تبسط فيها غلالة الشيعة ، ومنها سبق وجود التور والحمدى والحقيقة الآدمية ، وكان أول من بحث

ج ٧ ، ص ٧٩ ، Barthold في *Bulletin de l'Acad.* سنة ١٩٢١ ، ص ٢٠٤ .

وكانت ترمذ في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر في حوزة شير علي ، وهو من بيت قنغرات ومشييد مدينة شير آباد (انظر : *Zeitschr. des Deut. Morgen. Gesell.* ج ٣٨ ، ص ٢٧٦) ، وميز أهل ذلك الزمان بين حصن ترمذ الكبير (قلعة قلان) وحصن القرية (٩) التي يعيش بها جل سكان ترمذ (٩) وأدى اضطراب الأحوال في السنوات التالية إلى خراب ترمذ وكثير غيرها ، وأعاد محمد وخيم خان بناء هذه المدينة عام ١٧٥٨ (Barthold : *K. Istoriia oroshaniya Turkstana* ص ٧٤) ولكنها خربت بعد ذلك مرة أخرى .

ولم يكن بالقرب من أطلال مدينة ترمذ القديمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سوى قرية يتهددها حصار الضيعة الشأن (عدد سكانها ١,٢٥٧) وقرية صالح آباد : وعظم شأن هذه حصار عندما أصبحت الثغر الذي تخرج منه السفن التجارية الروسية في نهر جيحون : وفي عام ١٨٩٤ بنى حصن ترمز *Termez* الروسي وهو على مسيرة خمسة أميال من أطلال ترمذ ، وغلب هذا الحصن على مر الزمن مدينة معظم سكانها من الرجال . فقد بلغ عددهم وقتاً للتعداد الأخير ٨,٠١٢ رجلاً ، وبلغ عدد النساء ٢,٠٦٩ امرأة ، وفتح في عام ١٩١٦ الخط الحدودي الممتد بين بخارى وقزويني وترمد : ودمرت ترمذ أثناء الثورة الروسية وأعيد بناؤها منذ ذلك ،

(٤) الكاتب نفسه : *Textes inédits* ، ١٩٢٩ م ،
ص ٣٣ - ٣٩ ، والنيل ،

[ماسينيون L. Massignon]

في قيمة الحروف الهجائية الثمانية والعشرين وعلم
للالئكة ودرجات الولاية بحثاً علمياً ، واستمار
لهذه المسائل اصطلاح الشيعة ألا وهو الولاية ،
وجعل لمسمى شأناً خاصاً فيها ،

« الترمذى » أبو عيسى محمد بن عيسى
ابن سورة بن شداد : (١) من جامعي الأحاديث ،
والترمذى نسبة إلى ترمذ ، وهي على المجرى الأعلى
لنهر جيحون على مسيرة مئة فراسخ من بلخ ،
وعلى خط عرض ٣٧ شمالاً تقريباً وخط طول ٦٧°
شرق كرينوتش (انظر القزويني : نزهة
القلوب ، طبعة وترجمة Le Strange ، مجموعة
كب التذكرة ، ج ٢٣ ، الفهرس Le Strange)
Lands of the Eastern Caliphate ، ص ٤٤٠
وما بعدها ، والمصور الجغرافي رقم ٢٩
المواجه لصفحة ٤٣٣) ، ويقال إن الترمذى
توفي فيها عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ - ٨٩٣ م) وقد
رواية أخرى أنه توفي في بوغ من أرياضها عام
٢٧٥ هـ (٨٨٨ - ٨٨٩ م) أو عام ٢٧٠ هـ (٨٨٣
- ٨٨٤) (٢) .

ولسنا نعرف عن حياته إلا قليلاً ، ففي رواية
أنه ولد أكمه . وفي رواية أخرى أنه كلف بصره
في أغريبات حياته . وكانت الترمذى رحلات واسعة
في خراسان والعراق والحجاز في طلب الأحاديث ،
ومن شيوخه أحمد بن محمد بن حنبل (٣) (انظر
هذه المادة) والبخاري (انظر هذه المادة) وأبو داود
السجستاني (انظر هذه المادة) .

وقد أراد الترمذى أن يخرج تخرجاً عقلياً
القرائن الشرعية في كتبه « علل العبودية »
(وقد فمت) و « شرح الصلاة » و « الحج
وأمراره » ؟ وهو يبين في مصنفه العجيب
« كتاب الفروق » عدم وجود الترادف بمعناه
الحقيقي (وآراءه فيه قريبة من آراء المعتزلة) ،
وهو يقول بالكشف ويدعو إلى الأخلاق الشريفة ،
ويعلن في كتابه « الأقياس » التفاف بأنواعه ويرفض
الحيل التي كان يلجأ إليها المفتون في عصره .

وكان أبو عبد الله أول من صنف في طبقات
الصوفية ، ولكننا لم نعرف هذا الكتاب إلا من
القول التي أخذت منه .

ويعد الترمذى بحق رائد ابن عربي الذي
جاء بعده بثلاثة قرون فدرس عنه كتب وأعجب به
المصادر :

(١) المجيزي : كشف المحجوب ، طبعة
Shukovski ، ١٩٢٦ م ، ص ١٧٧ - ١٧٩ ،
٢٦٥ وما بعدها ، ترجمة نيكلسون ، ١٩١١ م ،
١٤١ - ١٤٢ ، ٢١٠ وما بعدها (٢) Amedroz
في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، سنة ١٩١٢ ،
ص ٥٨٤ (٣) L. Massignon : *Essai sur la*
Mystique musulmane ، ١٩٢٢ م ، ص ٢٥٦ - ٢٦٤

ويحوى هذا المصنف أحاديث: نقل كثيرًا من الأحاديث التي يتضمنها صحيح البخارى ومسلم، ولكن المكرر في كتابه أقل مما في صحيحيهما؛ وفي مصنف الرملى - بصفة خاصة - بابان كبيران هما باب المناقب وباب تفسير القرآن لا نجد لهما ضريبًا في كتب السنن الثلاثة الأخرى (يطلق هذا الاسم «السنن» أحيانًا على الجامع الأربعة في الأحاديث النبوية لأبي داود والرملى والنسائى وابن ماجه) وتكثر في جامع الرملى الأحاديث المشايعة لعل، وفيه أيضًا أحاديث أخرى تشيد بمدح أبي بكر وعمر وعثمان، ويمتاز كتابه بخصيصتين: الأولى ملاحظاته النقدية على رجال الإِسْنَاد، والثانية تبيينه مواضع الخلاف بين المذاهب عقب كل حديث، ويعتبر جامع الرملى من هذه الناحية أقدم مصنف وصل إلينا عن أوجه الخلاف. والإشارات التي كتبها الشافعى من هذا الموضوع في كتاب الأم ليست كاملة وقلمًا يوفق بصحتها (٥).

وقيل *Goldziher* : *Muhamm.* *Stud.* ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، تعليق رقم ١) عن «التقريب» أن مخطوطات جامع الرملى قد اختلقت في إثبات رأيه في الإِسْنَاد (صحيح، حسن، غريب، حسن صحيح، حسن ضريب، «يجمع غريب»). ولم يذكر الرملى تفسيرًا للأُسس التي اتخذها لتمييز الأحاديث بعضها من بعض؛ ويسهل جامع الرملى باستقصاء السند إلى آخر من أخاه عنه. وفي نجاته صيغة: *لناه موجزة*.

وقد طبع له مجموعة الأحاديث (القاهرة ١٢٩٢ هـ) في مجلدين، وطبع على الحجر في مرته عام ١٢٨٣ هـ) وكتاب «الشئال» وهو مجموعة من الأحاديث في ذات النبي وشيائه، (القاهرة ١٣٠٦ هـ) مع شرح محمد بن قاسم جوسوس للإِسْمُوم: «الفوائد الجليلة البنية على الشئال الحمدية» وطبع هذه المجموعة أيضًا عام ١٣١٨ هـ مع شرحين أولهما «الوسائل» لعل بن سلطان محمد القارى والثانى لعبد الزموف المنساوى. ويرجع لبروكلمان (*Gesch. der Arabischen Literatur* ، ج ١ ، ص ١٦٢) في شأن الطبعات والبشروح الأخرى.

وقد ذكر بروكلمان في كتابه هذا مجموعة أخرى من أربعين حديثًا لبنا نعرف أم الرملى أم لغيره، وتنسب له المصادر العربية كتبًا أخرى في موضوعات شتى: في الزهد والأسماء والكشوف والفقهاء والتاريخ، ولم نصلنا - فيما يبدو - شئ منها:

وفي طبعة القاهرة تعرف مجموعته في الأحاديث باسم الصحيح. أما في غيرها من الطبعات فتعرف بالجامع (٥) ذلك أن فيها - إلى الأحاديث الخاصة بالأحكام - بعض أحاديث في موضوعات أخرى (*Muhammedanische Studien* : *Goldziher*) ج ٢ ، ص ٣٣١ ، تعليق ٢) ونظرة واحدة إلى أبواب هذه المجموعة تدلنا على أن نصفها تقريبًا في المسائل الكلامية مثل القدر والقيامة والجنة وجهنم والإيمان والقرآن، وفي للتصديقات الشائعة مثل الفتن والرؤية، وفي للمباحثات مثل الزهد وثواب القرآن والدعوات، وفي التربية والأخلاق مثل الاستئذان والأديب، وفي المناقب.

يصل إلى ، وقد صرح بذلك أيضاً جوسوس في شرحه على الشئال .

وقد ذكر الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) أنه مات سنة ٢٧٩ وقال : « وكان من أبناء السبعين » . وقال ملاً على القارى في شرح الشئال بعد أن ذكر وفاته سنة ٢٧٩ : « وله سبعون سنة » ، وقال الصلاح الصفدى في نكت المهيمن « ولد سنة بضع ومائتين » .

ولانعرف أين ولد الترمذى ، أتى قرية بوغ أم في بلدة ترمذ ؟ فقد قال السمعاني في تعليل نسبه إلى بوغ « إما أنه كان من هذه القرية ، أو سكن هذه القرية إلى أن مات » ونقل ملاً على القارى عن الترمذى أنه قال « كان جدى مروزي أيام ليث بن سيار ثم انتقل منه إلى ترمذى » .

(٣) هنا غير صحيح ، فإن الترمذى لم يلق أحمد بن حنبل ولم يسمع منه مباشرة ، وإن سمع من كثير من أقرانه .

وقد أدرك الترمذى كثيراً من علماء الشيوخ وسمع منهم . واشترك هو وجميع الأئمة أصحاب الكتب الستة في الرواية عن ثعلب شيوخ قط ، وهم : محمد بن بشار بنطار : ولد سنة ١٦٧ وتوفى سنة ٢٥٢ .

محمد بن المنفى أبو موسى : ولد سنة ١٦٧ وتوفى سنة ٢٥٢ .

زياد بن يحيى الجاسنى : توفى سنة ٢٥٢ .

عباس بن عبد العظيم النبرى : توفى سنة ٢٤٦

المصادر :

- (١) السمعاني : كتاب الأنساب ، مجموعة كتب التتكرارية ، ج ٢٠ ، ص ١٠٦ (٢) اللهي : طبقات الحفاظ ، طبعة فستفد ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، رقم ٣ (٣) الكاتب نفسه : ميزان الاعتدال ، القاهرة سنة ١٣٢٥ ، ج ٣ ، ص ١١٧ ، رقم ١٠٢١ (٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبعة فستفد ، رقم ٦٢٤ (٥) ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، حيدر آباد سنة ١٣٢٦ ، ج ٩ ، ص ٢٨٧ - ٧٨٩ ، رقم ٢٣٦ (٦) الكاتب نفسه : تقريب التهذيب ، طبعة حجرية في دلى ليس عليها تاريخ ، ص ٢٣٠ (٧) ابن خطيب الدمشقي : تجلدة ذوى الأرب ، طبعة مان T. Mann ص ١٤٣ (٨) Goldziher : Muham-
edamische Studien ص ٢٥٠ وما بعدها ،
[فنسلك A. J. Wensinck]

تعليقات على مادة «الترمذى» :

- (١) ذكر نسبه في أكثر الرويات : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى البوحي الترمذى الضرير . وحكى في نسبه قولان آخران : « محمد بن عيسى بن سورة ابن شداد » و « محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة ابن السكن » .

(٢) ولد سنة ٢٠٩ ولم أجد من نص على ذلك صريحاً إلا ما كتبه الشيخ محمد عابد السندى غطه على نسخته من كتاب الترمذى ، ولعله نقل ذلك استنباطاً من كلام غيره من المقلدين ، أو من كتاب آخر لم

(٤) هذا ليس اختلافاً في التسمية من الطابعين بل إن كتاب الترمذى يقال له «السنن» كبقاى السنن الأربعة . وقد سماه المتقدمون الجامع الصحيح ، فسماء بذلك الحاكم صاحب المستدرک وغيره ، لأن أكثر أحاديثه صحاح ، والضعيف فيه قليل جداً ، وقد بين هو ضعف الضعيف . وهو جامع لأنه يجمع إلى أبواب الأحكام أبواباً أخرى ، كما بين كاتب هذه المادة .

(٥) ليس للكتاب دليل على هذا التشكيك ، مصادر أخرى عن الترمذى : تهذيب الكمال للحافظ المزى مخطوط بدار الكتب المصرية .

نكت المهديان للصلاح الصفدى ص ٢٦٤-٢٦٥ .
الكمال لابن الأثير ج ٧ ، ص ١٦٤-١٥٦ .
التجزم الزاهرة لابن تغرى بردى ، ج ٣ ، ص ٨١-٨٢ .

مفتاح السعادة لطاشكبرى زاده ج ٢ ، ص ١١ .
شذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ، ص ١٧٤-١٧٥ .
شروط الأئمة أصحاب الكتب الستة للحافظ أبى الفضل المقدسى ، مخطوط .
شروط الأئمة الخمسة للحازمى ، جزء صغير مطبوع .

كشف الظنون ج ١ ، ص ٣٧٥ .
المهرست لابن التميمى ، ص ٣٧٥ .
عارضة الأحوزى للقاضى أبى بكر العربى ، ج ١ ، ص ٥-٦ .
مقدمة شرح الترمذى لأحمد محمد شاكر .
أحمد محمد شاكر

أبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد الكندى وتوفى سنة ٢٥٧ .

أبو حفص عمرو بن على الفلاس : ولد بعد سنة ١٦٠ وتوفى سنة ٢٤٩ .

يقوب بن إبراهيم الدورى : ولد سنة ١٦٦ وتوفى سنة ٢٥٢ .

محمد معمر القيس البحرانى : توفى سنة ٢٥٦ .
نصر بن على الجهمسى : توفى سنة ٢٥٠ .
وقد أترك الترمذى شيخاً أقدم من هؤلاء ، وسمع منهم وروى عنهم فى كتابه هذا ، منهم :

عبد الله بن معاوية الجمحى : مات سنة ٢٤٣ وقد جاوز المائة .

على بن حجر المروزى : مات سنة ٢٤٤ وقد قارب المائة .

سويد بن نصر بن سويد المروزى : مات سنة ٢٤٠ عن ٩١ عاماً .

قتيبة بن سعيد الثقفى أبو رجاء : ولد سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٤٠ .

أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى المذنب ولد سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٤٢ .

محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب : توفى سنة ٢٤٤ .

إبراهيم بن عبد الله بن حاتم المروى : ولد سنة ١٧٨ وتوفى سنة ٢٤٤ .

إسحاق بن موسى القزازى السلى : توفى سنة ٢٤٥ .

محمد بن أبى معشر نجيج السندى : توفى سنة ٢٤٤ وقيل سنة ٢٤٧ عن ٩٩ سنة و٨ أيام .

إلى سيد برهان ترملى على الرغم من أنه لم يثبت عليه كتابة ما . ويزعم دولتشاه أن برهان الدين عقق كان شيخ بهاء الدين ومولانا ، ويقول إنه صحبهما في أسفارهما في الشام والحجاز ، وأن برهان الدين توفى بالشام ودفن فيها . ولا يتفق هنا مع الواقع (انظر دولتشاه ، طبعة Browne ، ص ١٩٤ ، طبعة يومباي ، ص ٨٦ ، وكتاب فهم المسمى « سفينة الشراء » الذي نقل فيه عن دولتشاه ، الأستانة ، مطبعة عامره ، سنة ١٢٥٩ هـ ، ص ٨٢) ، وترجع شهرة سيد برهان ترملى بصفة خاصة إلى ما كان له من شأن في شعائر المولوية ، ولذلك فإنه يجدر بنا أن نلجأ إلى أقدم المصادر وأهمها في تاريخ الطريقة للمولوية مثل كتاب « سياه سالار مناجي » وكتاب « أفلاكي مناجي » إذا أردنا الحصول على معلومات وثيقة عن الترملى .

المصادر :

نذكر إلى جانب المصادر المذكورة في صلب المادة (١) فريلون بن أحمد سياهسالار : مناقب حضرت خطا وندگار ، الترجمة التركية ، طبعة سنة ١٣٣١ هـ ، ص ١٥٩ - ٨٦٤ (٢) إفلاكي : مناقب العارفين ، مخطوط قارسي (٣) الكاتب نفسه : الترجمة التركية وقد قام بها محمود دده ، مخطوط ، فصل ٧ ، وتوجد نسخ من مخطوطات كتبا الترجمتين في كثير من المكتبات (٤) الكاتب نفسه : الترجمة الفرنسية للكتاب السابق وقد قام بها CL. Huart باسم *Les Saints des derniers tourneurs* باريس سنة ١٩١٨ ، الفهرس (٥) لامى : ترجمة نقحات الأوس ، ص ٥١٥ - ٥١٦

« ترملى » سيد برهان الدين : ويعرف أيضاً

باسم سيد حسين ترملى ، وسيد سیردان أو باسم بران الدين مُحَقِّق ، وهو صوفي من أهل ترمذ من مريدي مولانا بهاء الدين ولد . حضر فترة على بهاء الدين ثم عكف طويلاً على الزهد والتسك في ترمذ فالتف حوله المريئون . فلما توفى بهاء الدين ولد في قونية عام ٦٢٨ هـ (١٢٣١) جاءها برهان الدين عام ٦٢٩ - ٦٣٠ هـ تلبية لروح أستاذ بهاء . وعنى برياسة نفس جلال الدين رومي وكان يافعا بدرس الفقه والأدب ، واعتكف في قيسارية بعد ذلك بتسع سنوات على الرغم من هوائف مولانا له بالبقاء . ونسبت من ترجيحه أنه كان في قيسارية في الوقت الذي استولى فيه المغول عليها وأدخلوا فيها مقتلة عظيمة . وورد في مخطوطات كتاب جامع الدول لمنجم باشي (رقم ٥٠١٩ و ٥٠٢٠ من كتابخانه عومي) أن ذلك كان عام ٦٤١ هـ الموافق ١٢٤٣ م (انظر تفصيل هنا في *Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seldj.* طبعة هوتسيا ، ج ٤ ، ص ٧٤١) وكان شمس الدين أصفهاني عامل السلاجقة على قيسارية نصير برهان الدين ومريده : وهو الذي تكفل بتجهيزه عند موته وبني ضريحه . ولا تعرف تاريخ مولده ولا وفاته على التحقيق . ويذكر أوليا چاي أن « مقام » سيد برهان ترملى كان في قيسارية وأنه توفى عام ٤٧٤ هـ ، وهو خطأ واضح . وفي قونية اليوم بالقرب من « التربة » المعروفة باسم « تاتار خانيل تربة سي » ضريح يعرف بـ « ضريح برهان الدين » وقد كان هذا الضريح ينسب دائماً

ولا نعرف إلا القليل عن تاريخ هذه النواحي في عهدها للتقدم . في العهد الذى أخذت فيه معلوماتنا عن تلك الجهات في الازدياد كان الركن الشمالى الشرقى من الأرخبيل مقسماً إلى أربع ممالك هى تراته Ternate (وكانت تعرف وقتذاك باسم كاتى) وجيلولو Jailolo وتيسلوره Tidore وبتجان Batjan . ولا شك أنه قد ربطت هذه الممالك بعضها ببعض صلات ، وترد الرواية هذه الممالك جميعاً إلى ملكة واحدة . ويبدو أنها تحتل دائماً فيما بينها . فقد كانت السيادة بادئ الأمر لجيلولو ، ولكنها اضطرت إلى التخلي عن مكانها لتراته التى تزعت في القرن الخامس عشر والسداس عشر بصفة خاصة إلى توسيع سلطانها . ولا نعرف إلا القليل عن طريقة انتشار الإسلام في تلك الجهات وعن الوقت الذى حدث فيه ذلك ، وما نعرفه في هذا الشأن لا يعتمد عليه . فمن ذلك أن إحدى الروايات تزعم أن تاجرأ جاوياً اسمه حسين أو « داتومولى حسين » دعا الناس إلى الإسلام في تراته أيام كيتجل كاتى بكوتا Kaitjil Gapi Baguna (ويعرف أيضاً بمرحوم) ، وقد حكم كيتجل من عام ١٤٦٥ إلى ١٤٨٦ ، ويقال إن حسين أفلح في إدخال هذا السلطان في الإسلام . ومع ذلك فإن التواريخ الوطنية لا تعد هذا السلطان من الحكام المسلمين : إذ تبدأ سلسلتهم من عهد ابنة زين العابدين (١٤٨٦ - ١٤٩٥ ؟) وهو أول حاكم استبدل لقب سلطان باللقب القديم كولانو Kolano ، ويقال إن السكان جميعاً قد دخلوا في الدين الإسلامى في عهده . وتذهب الرواية أيضاً إلى أن هذا السلطان

(٦) أولياجلوى : سياحاته ، دار سعاد ، سنة ١٣١٤هـ ، ج٣ ، ص ١٨٦ (٧) خليل أدهم : قصيرة شهرى الآستانة سنة ١٣٣٤هـ ، ص ١١٨ (٨) كوبريلتى زاده فؤاد : إيلاقتصوفلار ، الآستانة سنة ١٩١٨ ، ص ٢٤٥ [كوبريلتى زاده فؤاد]

« تراته » : جزيرة بركانية صغيرة غرب هلمهر Halmahera في الجانب الشرقى من أرخبيل الملايو . وهذه الجزيرة - هى وكثير من الجزر الصغيرة الأخرى وبعض مجموعات الجزر - تقسم لإدارى من مقيمة تراته التابعة لحكومة ملقا Moluccas . ولم يكن يخضع لسلطان حكومة الهند الشرقية الهولندية المباشر سوى جزء من هذه الجزيرة ، أما الجزء الآخر فكان تابعاً لإقليم تراته المستقل استقلالاً ذاتياً ، وهو يضم أجزاء متملحة من هلمهر وأرخبيل سولو Sulu وبعض الجزائر الأخرى ، وقد جلبت تجارة التوابل كثيراً من الأجانب إلى هذه الجزائر منذ عهد متقدم ، لذلك فإن السكان ، وخاصة من كان منهم يعيش في البقعة التى تشرف عليها الحكومة ، خليط متشعب من الأعجناس ، ويشبه الجنس الغالب في الجزيرة أهل هلمهر الشمالية شياً قوياً . ومستوى المعيشة هناك منخفض ، وبعض السبب في ذلك راجع إلى تقاعد الأهالى عن العمل ، فهم يعيشون غالباً على صيد الأسماك وعلى الزراعة في صورتها البدائية : أما لغتهم « تراتان » فهي اللغة المشتركة في أرخبيل ملقا وهى من مجموعة اللغات غير الأندونيسية التى يتحدثونها في هلمهر الشمالية ، بل هى نوع منحط منها .

المصادر الإسلامية أنه سعى يوم الروية لأن الحجاج يتروخون رجم من الماء أى يسفون ويستقون لما بعد . ولما كان المعنى اللغوى لكلمة الروية أقرب إلى سيلان الماء منه إلى السقيا أو التروء بالماء فقد ذهب البعض إلى أن مرد الروية إلى ضرب من استلزار الغيث دخل في شعائر الحج من قديم . ويمكننا أن نوازن بين هذا الفعل وما يفعله الحجاج من رش ماء زمزم للقدس وصبه على أجسامهم ، وقد شهد هذا ابن جبير بين أهل مكة في شعبان عام ٥٧٩ هـ الموافق ١١٨٣ م كما شاهده البتوتى بين البلوى حج عام ١٩٠٩ م (انظر مادة « الحج ») .

المصادر :

- (١) لسان العرب ، ج ١٩ ، ص ٦٥ (٢) تاج العروس ، ج ١٠ ص ١٥٩ (٣) ابن الأثير : النهاية ، ج ٢ ، ص ١١٣ (٤) Lane : *An Arabio-English Lexicon* ص ١١٩٥ (٥) Dozy : *Die Israeliten* : R. Zu Mekka Aus dem Hollaendischen uebersetzt ، ليسك-هارلم ، سنة ١٨٦٤ ، ص ١١٠ - ١١٥ ، وقد افترض دوزى في هذا الكتاب أن الروية مأخوذة من العبرية ، وهو قول لم يعد يأخذ به أحد (٦) Houtuma : *Het Skopelisme en : Verslagen en Mededeelingen* het steenwerpen te Mina der Koninklijke Akademie van Wetenschappen : القميل المقود على الأدب ، المجموعة الرابعة ، القسم السادس ، سنة ١٩٠٤ ، ص ١٨٥ - ٢١٧ (٧) Het Mekk- : Snouck Hurgronje (٧) ٢١١ : *mensche Feest Verspreida* ، ليدن سنة ١٨٨٠ *Geschiedten* ، ج ١ ، ص ١ وما بعدها (٨) ١٢٦

قد رحل إلى كبرى من أعمال جاوة ليصفه في أصول الدين الإسلامى . والإسلام في ترناته هو الإسلام في الأنحاء الأخرى من إندونيسيا . فلا تزال في هذه الأنحاء جملة عادات وثنية قديمة ، ولكن المؤمنين في هذه البلاد لا يجحدون عن فرائض الإسلام ، ونخص بالذكر منهم حاشية السلطان . ولا أثر للتعصب الدينى بين السكان .

وكان البرتغاليون أول شعب أوروى أبرم محالفة مع ترناته (بداية القرن السادس عشر) . وظهر الهولنديون في ملقا في بداية القرن السابع عشر ، ومنذ ذلك الوقت والحرب لا تقطع بينهم وبين الأسبان والبرتغاليين . واعترفت ترناته عام ١٦٨٣ بسلطان شركة الهند الشرقية الهولندية . وفي عام ١٩١٥ عزل سلطان ترناته عن عرشه لعدم ولائه لهذه الشركة ، ومنذ ذلك الوقت يحكم المنطقة المستقلة استقلالاً ذاتياً مجلس من الأشراف .

المصادر :

- أهم مصدر عن ترناته هو T.S.A. Clercq : *Bijdragen tot de kennis der residentie Ternate* ليدن سنة ١٨٩٠ ، وانظر أيضاً *Legende en geschiedenis van het Binnenlandsch van Ternate* ، Batavia ، ج ٥ ، ص ٣١٠ .

[راسرز W.H.]

ترناته : *Legende en geschiedenis van het Binnenlandsch van Ternate*

« التروية » : اليوم الثامن من ذى الحجة (يوم الروية) وهو أول أيام الحج ، وفيه يلعب الحجاج من مكة إلى منى ، وقد جروا على أن يطبقوا فيها قليلا وينفخوا منها ليبيتوا في عرفة . وفى

والاعتقاد الشائع هو أن هذه الكلمة متصلة بكلمة
درهم .

[J. Ailan (ليلان)]

« تَرويم » : يقول حاجي خليفة في كتابه

« جهانبنا » ص ٤٩٠ (Hammer-Purgstall :

Ueber die Geographie Arabiens, Jahrbuecher der
Literatur ، فينا سنة ١٨٤١ ، ج ٩٤ ، ص ٩٣ ،

وتبعه Ritter ، ج ١٢ ، ص ٧٢٧) إن ترم
حصن على الطريق الذي يسير مشرقاً من نجران
على البحر الأحمر إلى صعدة في اليمن الأعلى ماراً
بـ « نودجة » و « حصن الفلكي » (هكذا أثبتهما فون
هامر وهو رسم لا يوثق به كثيراً) . ولنا نستطيع
أن نزيد في تحقيق موقع هذا الحصن معتمدين على

بيت كثير الذي أشار إليه الهمداني في كتابه وصفة
جزيرة العرب » (ص ١٨٢) ونقله البكري ،

ص ١٨٤ (انظر ص ٢٠٧) ، ١٩٦ . وقد ذكر

الهمداني حنين بين مكة وقرن وهو موضع جنوبي

الحجاز ، ثم ذكر بعده مباشرة بيّذح وتريم معتمداً

على كثير دون أن يذكر شيئاً عن موقعهما . وذكر

البكري (ص ١٩٥) تريم وساق لذلك شواهد

شعرية ، ثم روى في صفحة ١٩٦ شعراً للأعشى .

وكثير ورد فيه اسم تريم . ولا نعرف أكان ذكر

الاسم على هذه الصورة التزاماً للقافية أم كان علماً

على موضع آخر ، وقصر البكري كلامه بعد ذلك

على المدينة المعروفة بالاسم نفسه في حضرموت .

(انظر المادة التالية) . ويجب علينا في الواقع أن

نفرق بين تريم وتريّم . ولم نجد بيت كثير موقع

Arabic New-Year : A. J. Wensinck (٨) ١٢٨-

Verh. A. W.) في and the Feast of Tabernacles

Amsterdam, Letterk, N. R. ، ١٥٥ ، ص ١) أمستردام

سنة ١٩٢٥ ، ص ٢٨ (١٠) Cludefroy-Demombynes :

Le pèlerinage à la Mekka ، باريس سنة ١٩٢٣

ص ١٠١ ، ٢٣٦ وتعليق ٤٤ ، وأيضاً ص ٨٣ - ٨٨٠٨٥

Lectures on the Religion of : W. R. Smith (١١)

the Semites سنة ١٩٢٧ ص ٢٣١ وما بعدها (١٢)

ابن جبر : الرحلة ، ص ١٣٩ وما بعدها (١٣)

محمد لبيب البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ١٠٤

(١٤) إبراهيم زفنت باشا : مرآة الحرمين ، القاهرة

سنة ١٣٣٤ هـ = ١٩٢٥ ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ٣١٣ .

[Paret (باري)]

« تَرى » : سكة ذهبية قيمتها ربع دينار ،

ولما استولى القاطميون على صقلية في العقد الثاني

من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

استكروا من ضرب الربع . والربع تسمية مستحدثة

في السكة الإسلامية ، وقد أدخل القاطميون هذه السكة

إلى بلاد الشام ، وهذا يحملنا على الظن بأنهم رموا

بذلك إلى إحلال هذه السكة محل السكة البوزنطية

المعروفة باسم ترميسس Tremissis ، وجرى .

الأمراء النورمانديون Norman Dukes الذين

خلفوا القاطميين على هذه التسمية . وترى تسمية

إيطالية لا تعيننا هنا ، ويمكن الرجوع في شأنها

إلى مادة تارينو tarenو في E. Martinori : La

Moneta. Vocabolario Generale ، رومية سنة ١٩١٥ ،

لم يذكر أحد بعد اشتقاقاً مقنعاً للكلمة ترى ،

وهي موضع في الشمال بالقرب من مَدَيِّن (وهي تَرْيَم في خريطة إمارة البحر الإنكليزية؛ انظر عن ذلك Ritter، ج ١٣، ص ٢٨٢، وانظر Sprenger كتابه الملتكور ص ٢٣). وجاء في تاج العروس أن تَرْيَم موضع في صحراء البصرة، وهو يزيد على ما ذكره اللسان إذ يقول بعد ذكر تَرْيَم حضرموت إن هناك موضعاً في الشام يقال له «تريم» ثم يتحدث بعد ذلك عن تريم اليمن. ولم يذكر فستنفلد (Yemen im XI Jahrhundert: Wuestenfeld) في Abhandl. der Koen Ges. d. Wissensch، ج ٢٢، ١٨٨٥، ص ٣٩) في حديثه عن تاريخ حسن باشا (نقل عن المصحبي) إلا أن «تريم» الواردة في بيان الحصون التي استولى عليها الأمير سنان عام ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧-١٥٩٨ م) يجب أن تقرأ «تريم»، وهذا القول صحيح. أما التذييل على ذلك بأن تريم في حضرموت فخطأ. وليس من شك في أن هناك تريمًا في اليمن، بيد أن وجود هذه الحصون في ناحية صنعاء يدل على أن هذا الموضع ليس الموضع الذي نحن بسيله، وقد أثبت ستيلر (Handatlas: Stieler) الطبعة التاسعة، كوتا سنة ١٩٠٥، Karte von Arabien، طبعة هابنشت) تريم في مصوره غربي صَحْلَة على خط طول ٢٣° ٢٠' شرقاً وخط عرض ١٦° ٥٧' شمالاً، وهذا يتفق ورواية جهاتنا. ولم يثبت المصور الجغرافي الخاص بأركان حرب الإنكليز موضع تريم (الترسم الثالث، صنعاء).
المصادر:
وردت في المتن.

[تكتش Tkatch]

تريم، وإنما ساقها في تشبيه شعري (ملا تريم) خلاص وهذا هو شأن كثير من المواضع التي ذكرها الشعراء جرياً على مألوفهم في ذكر المدن دون تعيين مواقعها. أما كثير فلم يكن يفكر في واحد من الموضعين المعروفين بهذا الاسم في حضرموت (انظر مادة تريم رقم ١ ورقم ٢). ويزعم البكري (ص ١٨٤) أن الشَّعْبَة التي ذكرها كثير في بيته هذا بعد تريم مباشرة هي ثغر على طريق اليمن. وهذا يفتق وسياق كلام المحدثين. وقد روى ياقوت في كلامه عن تريم حضرموت (المعجم، ج ١، ص ٨٤٦) بيت الأعشى الذي ذكرت فيه تريم من غير تحديد موقعها، في حين أن البكري يذكر بيت الأعشى إلى جانب بيت كثير دون أن يبدي رأيه في تحديد موقع تريم التي ذكرها كل من الشاعرين (انظر البكري، ص ١٩٦، مادة «تريم»). كذلك لم يتكلم عنها عندما تحدث عن تريم حضرموت، وتكلم صاحب تاج العروس (ج ٨، ص ٢١١) عن مواضع أخرى اسمها تريم وبدأ كلامه عن تريم بألفاظ لسان العرب تحريماً (ج ١٤، ص ٣٣٢) واعتمد في ذلك على القاموس للجوهري ولم يرد فيه سوى هذه الصيغة) ثم ذكر مواضع أخرى اتبعتها به «تريم» (البكري، ص ١٩٥ وما بعدها) ثم ساق الرواية التي تلعب إلى أنه واد بالقرب من النقيع، وبعارض هذه الرواية جماعة تلعب إلى أن النقيع واد بالقرب من المدينة. وفي رأى معارض لهذا أن النقيع واد بالقرب من ينبع بالحجاز (المحدثان ص ٢٨١؛ البكري، ص ١٩٥، ٥٤٨). ومهما يكن من شيء فإن تريم غير تريم التي ذكرها ياقوت

١٥٠ مدينة حضرموت دون تعيين موقعهما : (راقوت : المعجم ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ ، ج ١ ، ص ٧٤٦ ، الإدريسي : Jaubert : *Géographie d'Edrisi* ، باريس سنة ١٨٣٦ ، ص ١٤٩ وما بعدها ، ص ٥٣ وغيرهم من الكتاب) . ويقول الحمداني (صفة جزيرة العرب ، ص ٨٧) إن تريم مدينة كبيرة . وهو عين ما قاله عن تريس التي إلى الشمال الشرق من شبام . وهو يذكر أن شبام هي الجاضرة الكبيرة (ص ٨٦) . وذكر الحمداني (ص ١٧٧) تريم كما ذكر تريس . وجاء ذكر هذه المدينة أيضاً في الشواهد الشعرية التي أوردها الحمداني (ص ١٨٢) والبكري (ص ١٠٧ ، ١٨٤) وغيرها ، وليس لما ذكره هؤلاء شأن ما : وفي عام ١٧٦٣ م كان نيبور K. Niebuhr في صنعاء ومسقط فعرف من القصص العربي المتداول فيهما خبر وجود مدينة تريم وشبام (انظر *Beschreibung von Arabien* : Niebuhr ، كونيهاغن سنة ١٧٧٢ ، ص ٢٨٦ وما بعدها) . وقد نقل نيبور في كتابه (ص ٢٨٦) ما جاء بكتاب *Geographia Nubiensis* ، وهو موجز لاتيني لكتاب الإدريسي (باريس سنة ١٦١٩) وما جاء في كتاب أبي القداء من أن هاتين المدينتين هما مدينة حضرموت . وقد روى Ritter وغيره أخباراً خاطئة عن موقع تريم . ومصور هيرش Hirsch هو خير ما بين أيدينا من المصورات الجغرافية الخاصة بحضرموت . وقد جاء فيه أن « تريم » بوجه التقريب على خط طول ٤٩° ٥٥ شرقاً وخط عرض ١٦° ٤٤ وشبام : واستطاع فان دن بيرج J. W. G. van den Berg بفضل

« تريم » مدينة قديمة لا تزال إلى اليوم إحدى المدن في شبالي حضرموت . وهي على الجانب الأيسر من الوادي الرئيسي الذي يخترق حضرموت كلها . ويعرف هذا الوادي ، وهو إلى الشرق من شبام ، باسم وادي مسيلة أو وادي حضرموت أو الوادي لقط . ويفرق البعض بين وادي مسيلة و وادي حضرموت ، ولكنهم لم ينفقوا على الموضع الذي يفرق فيه الواديان (انظر خريطة ستيلر Stielor في مصوره الجغرافي الصغير *Handatlas* ، رقم ٦٠ ، كونا سنة ١٩٠٥ ، وانظر أيضاً خريطة حضرموت التي قام بإعدادها إمام شريف خان بهادر وهي منشورة في *Southern Arabia* : Th. Bent ، لندن سنة ١٩٠٠ ، ص ٧٠) . والأخبار التي ذكرها جغرافيو العرب عن حضرموت عامة وعن داخل البلاد خاصة ناقصة جداً ، وقد أفاد ريتير من بعض هذه الأخبار (*Erkunde* : Ritter ، ج ١٢ ، برلين سنة ١٨٤٦ ، في مواضع مختلفة) كما جمع ده غوبه M. de Goeje هذه المعلومات وتقدمها نقداً اعتمد فيه على النصوص التي أمكنه الحصول عليها ، وقد نشر هنا في (*Hadhranaut* ، *Revue Coloniale Internationale* ، ج ٢ ، سنة ١٨٨٦ ، ص ١٠١ وما بعدها) . ولا يبدو في روايات جغرافي العرب أنها مستقاة من شهود عيان ، وإنما تحوى المادة قسمها الواردة في الإشارات المتفرقة للرحالة السابقين لفرده Wreda . وفي معلومات هذا الرحالة عن النواحي التي لم يتمكن هو نفسه من زيارتها . ويقول جغرافيو العرب إن شبام وتريم

القتال المستمر بين قبائل الناجية . وجاء في جريدة الجوائب العربية الصادرة بتاريخ ١٨ ربيع الأول عام ١٢٩٩ (٨ فبراير سنة ١٨٨٢ ، الأستانة) أن عدد سكان تريم بلغ نحو ٢٥ ألف نسمة (انظر رواية فريده Wrede) وهو قول فيه شك . وقد حقق فان دن برغ (ص ٥٢) هذا الأمر وانتهى إلى عدد لا يزيد عن عشرة آلاف نسمة . ويتفق هذا وما رواه ولستد Wellsted . وكانت تريم مركز صناعة التسيج بحضرموت ، وقد جرى أهلها على ممارسة هذه الصناعة في بيوتهم ، وظل لها بعض الشأن في عهد فان دن برغ (ص ٧٨) وإن كانت قد بدأت تضمحل بفعل المنافسة الأوربية . وقد عرف سيترن Seetren ، وهو من المؤلفين المقتضين (Zach's Monatl. Correspondenz ، سنة ١٨١١ ، ص ٢٨ ، ٢٨) أن الشيلان الحرير المطرزة بنحيط الذهب كانت تصنع في تريم . وكانت هذه المدينة أيضاً مركز الثقافة العالية بالبلاد (النحو والقفه والشريعة) . وقد حلت مدينة سيئون محلها في هذا الشأن أيضاً (ص ٨٨) وورد ذكر مدينة تريم في مجموعة القصص الحضري الذي جمعه لنديبرغ .

(Etudes sur les dialectes de : C. Landberg)
l'Arabie Meridionale ، ص ١ ، عن حضرموت ،
 لندن سنة ١٩٠١) من أفواه الأهالي (ص ١٧٥ [١٨٥] ٤٣٢) وورد في الفقرة الأخيرة من مصنف لنديبرغ (ص ٤٣٧) ذكر مدونة تريم للمروقة : « روابط تريم » : وثمت تفصيلات أخرى عن هذا الرباط في صفحة ٤٥٠ وما بعدها .

وكان ليو هيرش Leo Hirsch أول أوروبي

منصبه في بتافيا أن يحصل من الحضارة الذين تزحوا إلى جزائر الهند الشرقية المولدين كتبهم اليوم . على معلومات وافية عن حضرموت . وكان جل هؤلاء الحضارة من الإقليم الذي يجري فيه الوادي الكبير بين شبام وتريم . وقد أفاد من هذه المعلومات وعصها في مؤلفه *Le Hadhranout et les Colonies Arabes dans l'Archipel Indien* ، بتافيا سنة ١٨٨٦ (انظر Snouck Hurgronje *Arabie : en Oost-Indie* ، لندن سنة ١٩٠٧ ، ص ١٩ وما بعدها والرجعة الفرنسية في *Revue de l'Histoire des Rel.* ، سنة ١٩٠٨ ، ص ٧٤ وما بعدها) . وقد زودنا فان دن برغ بمعلومات أخرى وفيرة عن تريم . وهو فوق هذا أول من أمدنا بتفصيلات أصبح من غيرها عن هذه المدينة ، فهو يقول إنها كانت الحاضرة القديمة . وجاء في مصور مالترن Maltezan الذي أثبت في كتابه *Reise* أن تريم هي حاضرة حضرموت الحقيقية . وهو يزعم أن سيئون (ص ١٣) هي الحاضرة الجديدة .

ويصف في كتابه (ص ٢٦) الوديان المابطة من الشمال من جبال الوطيطي ، ويذكر (ص ١٨ وما بعدها) المسافات بين المحطات التي على الطريق من الشبح وتريم . وقد يزعم سيئون مدينة تريم في كل ما كان لها من فضل ، فقاتبها في اتساع الرقعة وعدد السكان والتجارة والصناعة ، وقدمت عليها في الثقافة : فقد خلا كثير من مساكن تريم وأقفر طرقاتها ، وتخرب عدد كبير من مساجدها فلم يعد يرمي المصلون : ويقال إن هذه المدينة أخلت تضمحل في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الماضي في أعقاب

على أن مدرسة تريم أقتلت وحلت عليها مدرسة سيئون
(انظر أيضاً فان دن برغ) . وعلم هيرش من أحد
سادات تريم ، وكان يتحسر على الاضمحلال
المفتش فيها ، أنها كانت في اليهود القديمة خمسة
بلاد ، وأن عدد سكانها بلغ وقتذاك ٣,٨١٠ نسمة
ولم يكن لسلطان المدينة من النفوذ إلا ظله ، ذلك أن
أعيان السادات استاثروا بالأمر في البلاد (ص
٢٢٢) . وترجم - كسيئون - في ناحية تسيطر عليها
قبائل كثيرة . ولها سكتها المضروبة من النفضة
والنحاس ، وفي برلين والمتحف البريطاني مجموعة
من هذه السكة ، ونقل هيرش Hirsch في كتابه صور
بعض هذه السكة (انظر أيضاً Sir John Bucknill :
A Note on some coins struck for use in Tarim,
Journal of the Malayan Branch of Southern Arabia
of the Royal Asiatic Society ، ج ٣ ، القسم الأول ،
أبريل سنة ١٩٢٥ وبه مصور) .

ولم يستطع هيرش المتأق في تريم إلا ساعات يسبب
عداوة الأهالي للأجانب ، فرجع منها إلى شيام
في صبيحة اليوم التالي ولم يتسع له الوقت للدراسة
ترجم دراسة شاملة .

ونحن إذاً وازنا بين ما ذكره هيرش وروايات
الكتاب المتقدمين التي نقلوها عن غيرهم اتضح لنا
أن فان دن برغ قد أثبت في مصوره الجغرافي
المواضع التي بين شيام وترجم منحدرة ناحية الشرق
كثيراً وأنه أخطأ في تقدير رقعة المدن الثلاث الهامة
وعدد سكانها إلى جانب أوجه الخلاف بينه وبين فان
دن برغ وهي التي سبق أن أشرنا إليها .
وشيام أكبر مدن حضرموت حتى في عهد

زار شيام وسيئون وترجم (يولية سنة ١٨٩٣) وكتب
عنها ما لسه بنفسه في المدينة (انظر *Reisen in*
Suedarabien, Maha-Land und Hadramut
ليندن سنة ١٨٩٧) . وروايته لرحلته من شيام إلى
ترجم (ص ٢٠٩ وما بعدها) وأخباره عن المدينة
الأخيرة مليئة بالمعلومات ، فهو يقول إن تريم على
منحدر قل في الجانب الأيسر من وادي مسيلة (إذا
انجمننا من شيام إلى تريم) وجاء في مصوره الجغرافي
أنها على المنحدرات الجنوبية .

ومن هذا نرى أن فان دن برغ قد أخطأ في
قوله إن تريم على المنحدر الشمالي لسلسلة الجبال التي
في الشمال (ص ٢٢) . ويصف هيرش في كتابه
(ص ٢٢٧ وما بعدها) المدينة وموقعها وصفاً
مفصلاً . وحسبنا في هذا المقام أن نقول إن أحياء
برمتها من هذه المدينة موحشة مقفرة وخاصة الجزء
الجنوبي الغربي منها . وأكثر منازلها مهدم وأقلها
رحب معنى به ، وقد ذكر ذلك أيضاً فان دن برغ
في كتابه . وليست مساجدها كثيرة كما ذكر لتدبرغ .
(ص ٢٢٩) . ويقول فان دن برغ إن عدد هذه
المساجد يزيد على ثلاثة . وتتلو مآذنها المصونة المدهونة
باللون الأبيض على المساكن . ونمت تشابه بين العبارة
التي أوردتها هيرش وهي « إن المدرسة التي يعلم بها
الفقه والشريعة ملحقة بمسجد الرباط » وبين الفقرة
التي ذكرناها المخوفة من لتدبرغ ومن تعليق فان دن
برغ (ص ٨٨) وهي أن المدرسة العليا بسيئون
المعدة لإيواء الطلبة والملاحقة بالمسجد الكبير هناك
تسمى « رباط » . والرباط بيت يأوي إليه قراء
المسلمين من طلاب العلم . ونستدل بما رواه لتدبرغ

أيام من تريم (ص ٤٢) ، ويدلو هنا أيضاً أن رواية هيرش أقرب إلى الحقيقة .

ونجح بنت Bent وزوجها الوصول إلى مدينة شبام في يناير من عام ١٨٩٤ ، ولكنهما لم يوصلا إلى تريم ، ويقول بنت (كتابه المذكور ، ص ١٩٩) إن نفوذ سلاطين سيئون وتريم لم يكن يتعدى مدنهم ، وهو يخالف في ذلك ما ذهب إليه فان دن برغ وغيره . ويمكن الرجوع فيما يخص بسلطات بلاد العرب الجنوبية إلى (Snouck, Hurgronje) : *L'Interdit* : ١٩٠٥ ، *Séculier .. en Hadhramt, Roue Africaine* (ص ٩٢)

المصادر :

يمكن الرجوع إلى المصادر المذكورة في صلب انادة وخاصة مؤلفات v. d. Berg, Hirsch, Hein, De Goeje, Wrede, Maltzan, Sprenger, Ritter, كما يمكن الرجوع إلى مصنفات الجغرافيين العرب مثل الحمداي وياقوت والإدريسي والبكري ، [نكتش J. Takatsch]

« تسر » : ويقال أيضاً شُسْتَر أو شوشْتَر ، مدينة في ولاية عربستان الفارسية ، وعربستان هي خوزستان القديمة ، وتسر على خط طول ٤٩ شرقاً ، وخط عرض ٣٢ شمالاً ، وهي على جرف مجرى إلى غربه نهر دُجَبِيل (كارون : انظر هذه المادة) الذي يبداً مجراه الأوسط في شمال المدينة على بعد أميال قليلة منها . وقد أضفى هذا الموقع عليها أهمية تجارية وحرية كبيرة ، ويسر إنشاء المشروعات المائية المختلفة التي تشتهر بها من زمن بعيد ، وأظهر هذه المنشآت :

الحمداي : ويبلغ عدد سكانها ٦,٠٠٠ نسمة تقريباً (انظر Hirsch ، ص ١٩٨) Bent كتابه المذكور ص ١٤٨ ، ويلتكر فان دن برغ أن عدد سكانها ألف نسمة فقط) وهي أهم مدينة في حضرموت ، وتقوم كثيراً مدينة سيئون التي يبلغ عدد سكانها ٤,٥٠٠ نسمة ، وفي رواية فان دن برغ أن عدد سكانها ١٥ ألف نسمة . وتعد تريم مركز الحياة والنشاط (Hirsch ص ٢٠٥) وقد رسمها هيرش أسفل سيئون بكثير : ويقال إن تريم خاضعة لسلطان سيئون وأن هذه المدينة أقل من تريم شأنًا : وقد زلّى هوگارتس .

The Penetration of Arabia : D. G. Hogarth لندن سنة ١٩٠٥ ، ص ٢٢٢) أن فان دن برغ ربما كان محققاً في قوله إن سيئون « كانت في عهده قصبة حضرموت . وإن تريم كانت المدينة الوحيدة التي تطاولها ، مستغنياً في هذا إلى التناقص بين هاتين المدينتين وكثرة ما تداول على مدن الوادي الثلاث من غير ، على أنه من الصعب أن نأخذ بهذا الرأي لقصر ذلك العهد ، ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى رحلة المعلم همود من جيشين إلى تريم المنشورة في (W. Hein : *Sudarabische Itinerarien*) ، ص ٥٧ ، سنة ١٩١٤ ، ص ٣٧ وما بعدها ، وهذا الكتاب من آثار هين وقد نشرته أرملة بعد وفاته) ، وجاء في هذه الرحلة أن سيئون أكبر من تريم ، وأن شبام أصغر من هاتين المدينتين ولكنها أكبر من اللين الأخرى (ص ٤٣) وهذا القول يتفق وما رواه فان دن برغ . ويعارض هنا الرأي ما يقال من أن شبام على مسيرة سبعة أو ثمانية

(٣١٥) وقد أورد مؤرخو العرب وجغرافيوهم هذه الرواية وفصلها عبد الله التستري تفصيلاً في « تاريخ شوشتر » (انظر المصادر) . وقد سارت الرواية بأن هوشنگ الملك الأسطوري هو منشيء المدينة بعد إذ أنشأ مدينة الشوش (السوس) ويقال إن لفظ شستر هو الفعل التفضيل من شوش بمعنى أجمل ، ولهذا صلة بموقعها (يذهب ماركار Marquart في المصدر نفسه إلى أنها اشتقت من شوش [السوس] وزيد عليها تر للدلالة على الاتجاه) . وتستمر في العربية هي على الأرجح تعريب كلمة شوشتر (حمزة) الأصفهاني وياقوت ، ج ١ ، ص ٨٤٨) . وجاء في عدة مصادر أن المدينة قد اختصت على شكل فرس ، كما أثر أيضاً أن قناة ميناء التي كانت تعرف قديماً باسم نهر داريان هي من بناء دارا الأكبر ، وأن الملك الساساني أردشير الأول هو الذي بدأ إنشاء القناطر على النهر تحت ماعل القناة بعد إذ جفت بسبب انخفاض قاع النهر بالتآكل من قوة التيار ، ولم يتم العمل إلا في حكم سابور الثاني على يد أسراه من الرومان وعلى رأسهم فالريان الثاني (انظر أيضاً الطبري ، ج ١ ، ص ٨٢٧ ، والمسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٨٤) . وقد حفر قناة آب كرگر أولاً لضبط منسوب المياه ثم أنشئت قناطر بند قيسر ونسبت إلى هذا الإمبراطور ، ووصف قاع النهر قبل القناطر ببلاط حجري ضخم محيط بالحديد منعاً لأي تآكل جديد . وعرف هذا الرصف باسم شادروان وعرفت به أيضاً القناطر نفسها ، وأخيراً قيل إن قنطرة جلدية بنيت عبر كرگر ، ومنذ القرن الرابع عشر أطلق على قناة آب كرگر

(١) القناة المشهورة باسم آب كير (وتعرف في العصور الوسطى باسم مسروقان) وهي تأخذ من الجانب الأيسر للنهر على مسيرة سبائة ياردة شمالي المدينة ، وتتحدر جنوباً بمحاذاة الجانب الشرقي من أجرف تستر ، ثم تتصل بنهر دجيل مرة أخرى عند بتدقير في مكان عسكر مكرم القديم .

(٢) قناطر بند قيسر الكبرى التي على أكبر روافد هذا النهر المعروف باسم الشطيط أو نهر تستر شرق المدينة ، وطولها حوالي ٤٤٠ ياردة ، وعليها جسر يصل المدينة بصفة النهر الغربية إلا أن جانباً كبيراً منه منهيار الآن .

(٣) قناة ميناء (وميناء مشتقة من ميان آب) التي تبدأ من أعلى القناطر على شكل سرداب متقوس في الصخر في جانب المدينة الغربي . وتقوم القلعة فوق هذا الجانب . وتلدو قناة ميناء جنوباً فتروى الأراضي في جنوب المدينة .

وكانت تستر موجودة بقنواتها في الأزمان السابقة لظهور التي ، وقد تعرف بليتاس على مدينة تدعى سسترا Soetra (ج ١٧ ، ص ٧٨) وأثبتها بلوشيه باسم شوشتر في البيان الذي نشره بأسماء المدن الإيرانية (Blochet : *Recueil de travaux relatifs à la philologie et l'archéologie égyptienne et assyrienne* ، سنة ١٨٩٥ ، ج ١٧ ، رقم ٤٦) وورد في المؤلفات السريانية أنها أسقفية نسطورية (Branshter : Marquart ، ص ١٧) .

والى الروايات الفارسية أيضاً أن تستر مدينة قديمة جداً (أبو الفداء ، طبعه Reinaud ، ص

إلا في حكم الخليفة المسترشد (١١١٨ - ١١٣٥ م) ،
وكان بها معبد تار في زمن الحلاج (Messignon) ،
La passion d'Al - Hallaj ، ج ١ ، ص ٩٢ : د

وكانت تستر والأهواز المدينتين المائمتين في
خوزستان ، ويعدهما عبد الله مستوفى عاصمة هذا
الإقليم : وغزا تيمور تستر وبقيت في أيدي التيموريين
حتى عام ٨٧٠ هـ (١٥١٤ م) إلى أن وقعت في
قبضة أسرة شيعة من السادات أتباع الصفويين ،
وأصبحت مركزاً للدعوة الشيعية ، وأسس عدة ولاية
بيوتاً حاكمة فيها ، وتعمت المدينة بالرخاء الوفير
في حكم واخستوخان (١٦٣٢ - ١٦٦٧ م) الذي
ظل خلفاؤه عليها حتى آخر أيام الصفويين .

وكانت في أوائل القرن التاسع عشر من الأقاليم
التي يحكمها محمد علي ميرزا بن فتح علي شاه ،
وتذكر من أعماله على سيل المثال تجنيد القناطر
والجسر ، وقيل إن عدد سكان المدينة بلغ في تلك
الأيام ٤ ألف نسمة ولكن من المحقق أنه نقص بعد
ذلك قصاً كبيراً ، فقد ذكر رولنسن Rawlinson ،
في عام ١٨٣٦ أن عددهم بلغ ١٥ ألف نسمة ،
وذكر كيرزون Curzon عام ١٨٩٠ أن عددهم ٨ آلاف
نسمة ، على أن رقعة المدينة لا تتسع لهذا العدد من
السكان ، وقد وصفها سايكس Sykes بأنها أكثر
المدن الفارسية خراباً ، وينطبق هذا الوصف على ما
فيها من منشآت مائية . ودورها من الحجر والآجر ،
وجها أقيية تسمى « شوادان » يولد بها السكان في
الصيف من الحر اللافح .

اسم دو دانك وعلى نهر تستر اسم چهار دانك
لأن بأولاهما ثلث مياه نهر كارين وبالتالي ثلثها . وبعد
مؤلفو العرب هذه الأعمال المائية الكبيرة من عجائب
الدنيا (حزمة الأصفهاني وابن بطوطة) . وعلى
الرغم من أنه يمكن حذف الرواية المأثورة التي ألحقت
إليها فإنه من غير المستبعد أن يكون أسرى الحرب من
الرومان قد ساءوا بنصيب في بناء القناطر (انظر
Geschichte der perser und Araber : Noeldcke
ص ٣٧) ، وتنسب الروايات المحلية إلى الرومان
المستوطنين إدخال أنواع شتى من الصناعات كصناعة
الدجاج كما نسبت إليهم بعض الماداد الشائعة .

وفي خلافة عمر غزا المدينة البراء بن مالك ،
وظل قبره مزاراً في القرون التالية . وفي الروايات
التوارقة أن رفات النبي دانيال وجدت هناك ثم
نقلت بعد إلى السرس . وفي عهد الأمويين أصبحت
المدينة من معاقل الخوارج ، فقد اغتلبها شيب
الخارجي عاصمة له واستولى عليها المحتاج بعد موته .
وفي هذه الأثناء هدم الجسر الكبير الذي على القناطر .
وكانت تستر في حكم الخلفاء عاصمة أحد الأقاليم
السبعة التي تنقسم إليها خوزستان (وقيل إن عدد
الأقاليم كان أكثر من ذلك ، انظر ص ٤٠٤) ،
فلما أصبحت بغداد قصبة الإمبراطورية تأثرت
تستر تدريجاً بقربها من العاصمة ، فتلأى أهلها
بغداد في القرن العاشر بمحلة التستريين ، وكان بها
مقام التجار والأشراف من أهل خوزستان . وقد
شرع في بناء أقدم مساجدها في عصر الباسيين وكان
ذلك في عهد المعتز (٨٦٦ م - ٨٦٩ م) ولم يتم

ص ٣١٣ ، ٣٥١ وما بعدها (٤) Ritter : *Erkunde* :
برلين سنة ١٨٤٠ ، ج ٩ ، ص ١٧٨
وما بعدها (٥) J. Dieulafoy : *La Perse, la*
Chaldie et la'Susiane ، باريس سنة ١٨٨٧ (٦)
Persia : Curzon ، لندن سنة ١٨٩٢ ، ج ٢ ،
ص ٣٦٣ وما بعدها (٧) P. M. Sykes : *Ten*
thousand Miles in Persia ، لندن سنة ١٩٠٢ ،
ص ٢٥٢ وما بعدها (٨) B. Herzfeld في
Petermann's Geographische Mitteilungen ، مجلد
٥٣ ، كروتا سنة ١٩٠٧ .

أما عن المصادر المستوفاة المتصلة بالقطار وأعمال
الرى فراجع مادة كارون والمصادر المثبتة فيها .

[كرامرز J.H. Kramers]

« تَسْمِيَّة » : (انظر مادة « بسملة »)

« تَسْنِيم » : ١ - علم على عين في الجنة ذكرها
القرآن في الآية السابعة والعشرين من سورة المطففين ،
فقد جاء فيها أن مادها يشربه المقربون ويمزج لساثر
أهل الجنة ، ولم تقطع كتب المفسرين برأى في لفظ
تسني : هل هو معرفة - وهنا يعترض صاحب اللسان
ويقول إنه لو كان معرفة لم يصرف - أم هو مشتق
من مادة « سَم » وفيها معنى العلو . ويكون معنى
الآية في هذه الحالة أن شراب أهل الجنة سيمزج بماء
يتسمن من فوقهم ، ولورد الطبري تفسيراً ثالثاً .
فلنكر أن قوله « ومزاجه من تسني » معناه شفايا
أغضاها الله لأهل الجنة .

أما سكانها فخليط من العرب والإيرانيين أو من
يمتون إلى الإيرانيين بمائة الأصل ، وكان بها إلى
أواسط القرن التاسع عشر عدد لا بأس به من السند
وقد أحصى ليارد Layard منهم في عام ١٨٤٠ من
٣٠٠ إلى ٤٠٠ أسرة (انظر ما كتبه عنهم عبد الله
التستري ص ٢٤ من كتابه في تاريخ هذه البلاد)
ولكنهم في الغالب قد انقرضوا الآن .

ويقول الرحالة المخشون (كبرون وسايكس)
إن أهل تستر الحاليين جفاقت مصبون ، وكان ورعهم
مدعاة لأن يشرفها القرس بامم خار المؤمنين وإن
كانت من الناحية الأخرى تعد من المدن المشهورة
بمقاة سكانها . (Christensen في *Acta Orientalia* ،
ج ٣ ، ص ٣١) : وأغلب معاشهم على التجارة ،
وحظ السكان الحاليين مصداق لما أثر قديماً عن
تستر من أنها مدينة كتب عليها القفر : ومن أواخر
القرن الماضي اختيرت تستر عاصمة لإقليم عربستان
بدلا من ديزفل ،

المصادر :

(١) تذكره شوشتر لميد عبد الله التستري
المؤتى عام ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) وهو
وصف تاريخي لتستر حتى عام ١٧٥٥/١١٦٩ م ،
المكتبة الخديوية رقم ٢٠٦ ، طبعة كلكتة
عام ١٩١٤ و عام ١٩٢٤ ، (٢) وقد أفاد له سترانج
Le Strange مما كتبه جنرال فيو العرب في مؤلفه
The lands of the Eastern Caliphate ، كمبرج
سنة ١٩٠٥ ، ص ٢٣٣ وما بعدها (٣) P. Schwartz :
Iran im Mittel alter ليبسك سنة ١٩٢٤ ، ج ٤ ،

المصادر :

«التفسير» : ويركز عند أهل الغرب

بـ *atazir و atazir و athacir و directio*
و prorogatio بأندرس باليونانية و *theorie* *aphetique* :
 عمل في صناعة الأحكام عصبه أن أصحاب
 هذه الصناعة يفرضون كوكباً سياراً أو يبتأ أو
 موضعاً من فلك هروج ثم يقيمون ما بينه
 وبين كوكب آخر أو شعاعه أو بيت آخر على وجه
 التشبيه والتخيل : وغرضهم من ذلك معرفة درجة
 ما بينهما بمطالع خط الاستواء للاعتدال بها على
 ما يحدث في المستقبل من خير وشر ، وذلك بتحويل
 هذه الدرجة إلى جزء من أجزاء الزمان ،

وقد كان لقتدر المصنف من هذا العمل شأن
 عظيم بين القدماء وبين العرب وأهل الغرب ، وذلك
 لسببين : أولهما أنه ييسر لنا معرفة حكم النجوم في
 حال بعينها (كان يمين تاريخ وقوع الأحوال المحصلة
 من أحكام المواليد فيما يتصل بالسعد والنحوس ،
 أو يمكننا بوجه خاص من حساب الأعمار واختيار
 الأيام المواتقة للرحلة والنكاح وإقامة البلدان وابتداءات
 الملك : : : إلخ) وثانيهما أن في طريقة حسابه
 بعض التعقيد ،

ولا يصعب حساب قوس التفسير الذي لا شيء
 لنا عنه في هذا العمل إذا عرفنا الكوكبين أو الموضوعين
 من فلك البروج اللذين يحددان هذا القوس ، ويطلق
 على الأول «المقدم» أو «الميلاج» ويطلق على
 الآخر «الثاني» : في الصورة الأولى (والصورة الثانية) ١
 هو المقدم ، بـ هو الثاني ، و هو قطب فلك البروج

- (١) البخاري : كتاب التفسير ، سورة المطففين
 (٢) الطبري : التفسير ، ج ٣ ، ص ٥٩ (٣)
 فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب ، ج ٦ ، ص ٥٠٢
 (٤) التفسير الأخرى (٥) لسان العرب ، ج ١٥ ،
 ص ١٩٩ .

٢ - مصدر المضعف مستم تسميها بمعنى رفع
 القبور فوق الأرض ، وقد حكى أن قبر النبي كان
 منها (البخاري : كتاب الجنائز ، ٩٦) ، ويقال
 من وجهة أخرى إن النبي أمر بتسوية القبور (١)
 (مسلم : كتاب الجنائز ، ٩٢ ، ٩٦ ، أحمد بن
 حنبل : المستد ، ج ١٨ ، ٣١) وفي رأى الشافعي
 أن القبور يجب ألا ترفع إلا بقدر ما يعرف به أنها
 قبور لكيلا يطأها الناس أو يجلسوا عليها ، ويفضل
 المالكية تسوية القبور (شرح النووي على صحيح
 مسلم ، طبعة القاهرة ، عام ١٢٧٣ هـ ، ج ٢ ، ص
 ٣٤٤)

[فتمتلك A.J. Wensinck]

(١) روى الترمذي (ج ١ ص ١٦٥ طبعة بولاق) من صلى
 ابن أبي طالب « أنه قال لا يمر بالبرج الاسدي : لم يملك على ما يستحق
 به النبي صلى الله عليه وسلم : أن لا يرفع قبراً مثله إلا تسوية ،
 ولا مثلاً إلا طمسه » ثم قال الترمذي : « حديث على حديث
 حسن ، والمسلم على هذا عند بعض أهل العلم : يكرهون أن يرفع
 القبر فوق الأرض ، قال الشافعي : أكره أن يرفع القبر إلا بقدر
 ما يعرف به أنه قبر ، لكيلا يطأ ولا يجلس عليه » .

وهذا هو الحق ، فإن الظاهر أن قبر علياً كما قال الشافعي
 « بأس » به ، وأما تشريفه وإعلاؤه فله حرام ويجب إزالته
 وتسويته ، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

درجة متنى قوس التسيير ؛ ومن ثم فإن الأحكام
تستخرج من اقتران الكوكبين على هذه الدرجة ؛
أما حساب التسيير فمسألة من مسائل حساب
الثلثات الكروية ، وهو يُرد إلى قوانين بسيطة أساسها
معدل النهار .

ففي معادلة التسيير $\alpha = \beta - \gamma$ - β - γ - β - γ
(في الصورة الأولى) وطرف هذه المعادلة الأيمن
معلوم لأن

$\beta - \gamma =$ المطلع المستقيم β - المطلع المستقيم γ .

أما القدران β و γ ، فيمكن استخراجهما
من القوانين الآتية :

(١) جاتا $\beta =$ جا (جـ د ص ب) جاتا ص د

(٢) جا β ب $\beta =$ ظل β ب ظل β ب

(٣) جا β ب $\beta =$ ظا β ب ج ظل β ب

على أن العرب اتبعوا طرائق تقريبية في الحساب
تقوم على الساعات الزمنية ، وفيما يلي قانونها :

١ - عن البتاني والبيروني وغيرهما :

درجات التسيير :

$$= | \alpha \pm (\beta - \gamma) |$$

بعدد من سمت الشمال [الجنوب]
قوس نصف النهار [الليل] ب

حيث

$\alpha =$ المطلع المستقيم α - المطلع المستقيم β

$\beta =$ المطلع الموج β - المطلع الموج γ

الظاهر ، ن ب ص (ن ا ص) هي دائرة موضع
الثاني (المقدم) ج هي نقطة تقاطع دائرة العرض
المارة على ا (ب) بدائرة الموضع ؛ وتقطع دائرتا
الليل للمراتن على ا (ب) ج قوس التسيير α م
(ب م) ؛ وعلى هذا يكون قوس التسيير هو قوس
خط الاستواء الذي لا يزيد في الأغلب على 90° ،
وهو يجتاز على دائرة الموضع في الزمن الذي يقتل
فيه المقدم إلى دائرة . الثاني بدورة الفلك
اليومية الظاهرة إلى مداره التالي ، وقد فرضنا أن
الثاني يظل ثابتاً خلال هذا الزمن ؛ ومن أراد التوسع
فليرجع إلى مادة « التنجيم » والتسيير نوعان تبعاً
لموضع كل من المقدم والثاني بالنسبة للآخر :

(١) النوع الأول : ويعرف عند الفريين

باسم Directio Directa هو الذي يسبق فيه
المقدم الثاني في فلك البروج ، فيكون المقدم هو
موضع التسيير ؛ والثاني هو الموضع الثابت فرضاً
(انظر الصورة الأولى) .

(٢) النوع الآخر : ويعرف عند الفريين

باسم Directio Conversa وهو الذي يسبق فيه
المقدم الثاني في دورة الفلك اليومية ، فيقتل الثاني
إلى برج المقدم وهو الموضع الثابت فرضاً .

وثمة طريقة خاصة في حساب التسيير (وهي
عكس هذا العمل) نشأت من اختيار الأيام بفرض
كوكب واحد فقط وجزء من أجزاء الزمان أو بما
يساويه من مطالع خط الاستواء ؛ وهو عدد معين
من درجات التسيير . وتختصر المسألة هنا في معرفة

وكانت درجات قوس التفسير المحصلة من هذا العمل تحول إلى جزء من أجزاء الزمان على النحو الآتي :

إذا كان الحكم المراد استخراجُه خاصاً بحساب العمر مثلاً كانت الدرجة تساوى سنة شمسية وأنقص دقائق تساوى شهراً والدقيقة تساوى ستة أيام ، وفى حالات أخرى تساوى الدرجة يوماً واحداً .

وجرى العرب على التنويه بصعوبة حساب التفسير ، وترجع هذه الصعوبة إلى ما يقتضيه الحال من التزام لأحكام صناعة التنجيم ، وبالأخص ضرورة عمل قياسات وحسابات فلكية شتى يضيق المقام عن تفصيلها ، ذلك أن المرة الواحدة يختلف الطرائق لضبط المواليذ والدلالات الفلكية لاختلاف المولد ، ودلالات البيوت والبروج والكواكب السبعة وأنظارها وأشهر الكواكب الثابتة بانفرادها ثم مع غيرها وفى أوضاعها (البيت) درجة الارتفاع التثايت ، الويال ، المبوط) مع عدم إغفال شتى شرائط القوة والضعف والتوسط وحال الكواكب وأنظارها فى النحوسة والسعادة وحال البيوت وسهم السعادة وحساب سنى العمر على اختلافها بحسب أوضاع الكواكب ذوات التأثير ، واختيار صاحب المولد والطالع بمقتضى أحكام مقررة ، واختيار الميلاج الدال على الموت والنحوسة والكسدهاء الدال على كمية العمر ومعركة فعل تفسير بعينه من حيث القوة والضعف والتوسط — كل أولئك يتطلب إحاطة تامة بصناعة الأحكام لذلك العهد : زد على هذا أن المنجم يجب أن يكون بارعاً فى عمل الحسابات

وبتوثق مدلول الـ \pm قبل القوس المستدير على كون \pm أكبر أو أصغر من β ، ويستعمل المصطلح الذى بين القوسين المربعين عندما تكون ب تحت الأفق .

ونمة حالتان خاصتان هما :

الحالة الأولى : إذا كانت ب على فلك نصف النهار فإن التفسير =

| المطلع المستقيم ١ - المطلع المستقيم ب | .

الحالة الثانية : إذا كانت ب على الأفق فإن التفسير =

| المطلع المرجح ١ - المطلع المرجح ب | .

٢ - وللباتى قانون آخر :

درجات التفسير :

= | بعل ب من سمت الشمال [الجنوب]
 \times قوس نصف النهار [الليل] \pm (المطلع المستقيم ١ - المطلع المستقيم لسمت الشمال [الجنوب] ، حيث تدل علامة - قبل القوس المستدير على الحالة التى يكون فيها ١ ب فى نصف كرة واحد وحيث تدل علامة + قبل القوس المستدير على أن ١ فى نصف من الكرة ٢ ب فى النصف الآخر ، وتستعمل المصطلحات التى بين الأقواس المربعة للدلالة على نصف الكرة الغربى أو للدلالة على الحالة التى يكون فيها ذلك نصف الليل بين ١ وب ٥ والنتيجة إيجابية فى الحالين بالنسبة للنوع الأول من التفسير وسلبية بالنسبة للنوع الآخر . وفى هذا النوع الأخير توصح بعمل ١ أو ٢ على يمين القانونين السابقين ،

لها مَرَيَان متحركان يوضعان على الوجه أو الظهر بحسب الحاجة ، وعسكها فرس (Cavallo) وقد يوضع على ظهر الآلة أيضاً العنكبوت أو الشبكة ، وعليها مواضع شتى من مواضع الكواكب الثابتة على نحو ما بالأسطرلاب تماماً ،

فلذا عرفنا عرض الموضعين ١ ، ب (انظر الصورة ١ ، ٢ ، ٣) وطولها في فلك البروج ، فإن الحساب الآلى لقوس التسيير يكون كما يأتي :

١ - أدر مَرَى العضادة إلى موضع ب محل ظهر الآلة ، واقرأ مطلع خط الاستواء ب الذى وقع عليه المرى ،

٢ - أدر العضادة إلى فوق ثم ضعها على مطلع خط الاستواء ب فتبين دائرة الموضع من (ب) التى وقع عليها المرى ،

٣ - أدر المرى إلى موضع ١ على ظهر الآلة واقرأ مطلع خط الاستواء ،

٤ - أدر العضادة إلى فوق ثم ضعها على مطلع خط الاستواء ١ ثم أدرها إلى حيث يشير المرى الذى يقطع دائرة العرض المارة على ١ ، إلى دائرة ب (ويكون ذلك في ج) ،

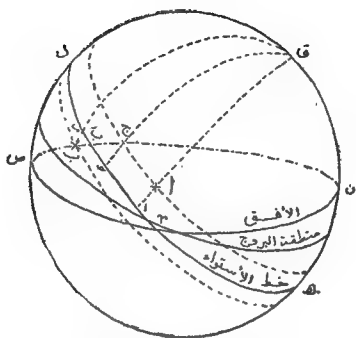
٥ - اقرأ مطلع خط الاستواء الذى تشير إليه العضادة فيكون القوس ١ ج هو قوس التسيير المطلوب .

الفلكية المطلوبة : أى نسبة الزمن إلى فلك نصف النهار ، وهى التى تقوم عليها الأرياج ، ومعرفة حساب عرض أشهر الكواكب الثابتة وارتفاعها وميلها والسيارة وأنظارها وتنير دلالاتها بالنسبة للمولد ، والبيوت والبروج والكواكب السيارة الواقعة فيها ومهم السعادة ودائرتى الميلاج والثانى ،

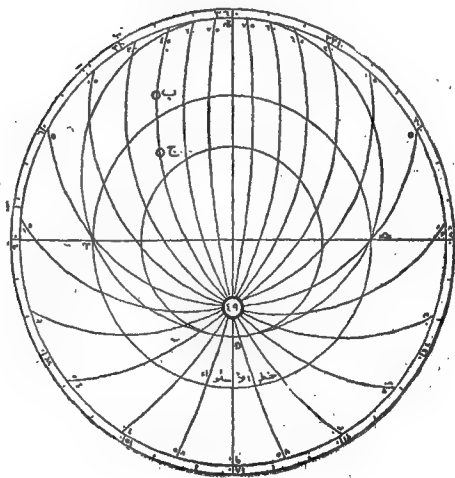
ولا يتطلب منا حساب التسيير بعد معرفة انتهائه إلا حساب المطلع المستقيم لـ ١ و ب ، وبعدها من فلك النهار وميلهما وقوس نصف النهار أو نصف الليل وارتفاع القطب على فلك البروج (بعد نقطة تقاطع دائرتى البروج وخط الاستواء من فلك نصف النهار) ،

وأراد العرب أن يبسطوا هذا العمل الطويل الشاق ، وأن يقوموا بالأرصاد من غير حساب فاستعانوا بالآلات سواء كانت صفائح (صحيفة التسيير فى البيرونى) توضع فى الأسطرلاب أو آلة خاصة (Estrumento del levantamiento) فى زيغ الأذفتش العاشر صاحب قشتالة تستعمل فى الأغلب لاستخراج حساب التسيير وإن كانت تسهل عمل حسابات أخرى . وأهم أعضاء هذه الآلة صحيفة على وجهها أكثر ما يمكن من دوائر الموضع أو ساعات عروض المكان الذى فيه الراصد (وهى عين صحيفة التسيير التى ذكرناها البيرونى) انظر الصورة رقم ٣ وعلى ظهرها دوائر العرض والطول بحسب منطقة البروج (انظر الصورة رقم ٤) وعلى محور الآلة المشترك بين الوجهين عضادة غير مقسمة

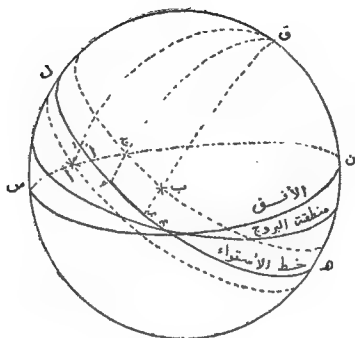
صورة رقم ١٧



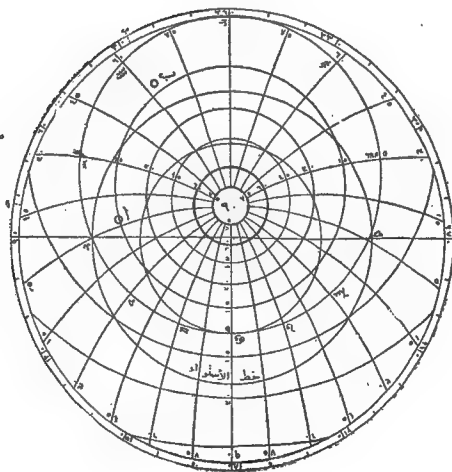
صورة رقم (٢)



صورة رقم (٣)



صورة رقم (٤)



ويحيى بن سهل الحليد أبو بشر التكريتي (ص ٣٦٥)
وأبو الفضل بن بامين (ص ٤٢٦) ،

المصادر

(١) البروتى : القانون المهودى ، فهرس
المخطوطات الشرقية بالمتحف البريطانى رقم ١٩٩٧
وفهرس Ahlwardt ، برلين ، رقم ٥٦٦٧
(٢) الكاتب نفسه : كتاب الاستيعاب ، فهرس لين

رقم ١٠٦٦ ، وقد ترجم فيلمان E. Wiedemann
هلين الكتابين (٣) A Bouché-Leclercq :
L'Astrologie grecque ، باريس سنة ١٨٩٩ (٤)

Histoire de l'Astronomie du Moyen Age : M. Delambre
باريس سنة ١٨١٩ (٥) J. G. Job :
denen curiozen Wissenschaften ، فرانكفورت وليسك

سنة ١٧٤٧ (٦) C. A. Nallino :
dei Al-Battani opus astronomicum ، ميلان سنة
١٩٠٣ / ٧ (٧) D. Man. Rico y Sinobas :

Libros del saber de astronomia del Rey D. Alfonso
de Castilla ، مدريد سنة ١٨٦٣ ، ١٨٦٧ (٨)

Prolegomenes des Tables : M.L. P.E.A. Sédillot
astronomiques d'Olong-Beg ، باريس عام ١٨٥٣

(٩) E. Wiedemann : *Zur Geschichte der*

Astrologie ، في Wallall ، سنة ١٩٢٢ / ٣ برلين-ستروث

(١٠) الكاتب نفسه : *Beiträge zur Geschichte der*

Naturwissenschaften XLVII "Ueber die Astronomie
Sitzungsbericht nach den Mittheilungen von Ullmann"

، أرنلكن *d. Phys.-medizin. Societät in Erlangen*

سنة ١٩١٥ .

[شرعمر O. Schürmer]

وألّف في التيسير وصفيحه باللغة العربية محمد

ابن عمر القرخّان (H. Suter) : *Die Mathematiker*

: *Abhdig. z. n. Astronomen der Araber etc.*

Gesch. d. math. Wissensch. ، ج ٤٥ ، عدد

١٠ ، ١٩٠٠ م رقم ٣٤) والبتيّ (Suter ،

رقم ٨٩) وأبو جعفر الخازن (Suter ، رقم ١٢٤)

والبروني (Suter ، رقم ٢١٨) .

ولم تصل إلينا مؤلفات ابن القرخّان في

صناعة التنجيم كاملة . أما كتاب التيسير (*Atagir*)

من مجموعة الأذفتش العاشر القلكية فهو لإسحق

ابن السيد (*Rabi sag de Toledo*) ناشر

الزيج الأذفتشى ، والظاهر أنه منقول من مصنف

عربي .

وساق ابن القفطلى في كتابه : إخبار العلماء

بأخبار الحكماء : أسماء المنجمين الذين هم يد في

التيسير وأنّى عليهم وهم :

الحسن بن مصباح (ص ١٦٣) والروزي

(ص ١٧٠ ؛ Suter ، رقم ٢٢) والحقاني (ص

١٨١ ؛ Suter ، رقم ٢٠٦) وسند بن علي (ص

٢٠٦ ؛ Suter ، رقم ٢٤) والعباس بن سعيد الجوهري

(ص ٢١٩ ؛ Suter ، رقم ٢١) وابن يونس (ص

٢٣٠ ؛ Suter ، رقم ١٧٨) وابن الأعلم (Suter ،

رقم ٢٣٥ ؛ Suter ، رقم ١٣٧) ومحمد بن إبراهيم

القرزاري (ص ٢٧٠ ؛ Suter ، رقم ١) ومحمد

ابن خالد الرو الروزي (ص ٢٨١ ؛ Suter ، رقم ٤٦)

ويحيى بن أبي منصور (ص ٣٥٧ ؛ Suter ، رقم ١٤)

والسنة في التشبيه شأنان ، فهناك أحاديث خاصة به وحده تقوم على المحرئ ، بعضها نشأ في أحضان هذا الخلاف ووضع من أجله ، وبعضها نشأ بعيداً عنه كما هو الحال في تمثيل بعض الصوفية الله في صورة شاب أمرد بدافع حنينهم إلى الغلمان (*lit. : Ritter* ، ج ١٧ ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٢٥٧ ، وانظر أيضاً إشاراته إلى المخطوطات في الصفحات الأولى من بحثه) وهناك أحاديث أخرى احتج بها في الخلاف لتدعيم تفسير ظاهر ، مثال ذلك الحديث الذي جاء فيه أن الله يتزل إلى السماء الدنيا ليلاً ، فما هو إلا تشبيه وتمثيل ، وأساسه قبول الله الدعاء (١) .

ومن السير أن نلم بهذا الموضوع ، لأن واحداً من علماء الكلام - فيما نرى - لم يقل صراحة عنذهب من هذين المذهبين في ذات الله ، فقد قال كل منهم بالتزيه ولم يقل بالتشبيه ، وقال بالتثيت المستند إلى التزييل ولم يقل بالتعطيل ، واشتروا في اتهام بعضهم بعضاً بإحدى هاتين الشمتين أو بكليتهما . ولم يكن لهذه الاصطلاحات مدلول جامع مانع ، وكذلك لا نستطيع أن نصف من أضيف إلى كل مذهب من هذه المذاهب تصنيفاً صحيحاً ، فليس هناك معطلة خلص ولا مشبه خلص ، وإنما الحال على تقيض ذلك ، إذ الخلاف

« التشبيهية » : ومنه التثيت ، ويقابله التعطيل ، أي نفي جميع الصفات عن الله . والتثيت والتعطيل اصطلاحان على مذهبين متقابلين في عقيدة المسلمين في ذات الله ، وهما من الزنقة والكبارد وقد أثارا جدلاً حقيقاً لم يبرأ من أثره الثقيلة التي جاء بها القرآن ، ومنشأ هذا الجدل أن مذهب المسلمين في الذات الإلهية أساس دينهم ، وسببه الظاهر أن القرآن يؤكد وحدانية الله ، ولكنه يصفهم ذلك في بساطة وصفا تشبهي : فيجعل له وجهاً وعينا ويدا ، ويتحدث عن كلامه واستوائه ،

ويسوق المقصرون - كالطبري - آراء جديمتاية في تفسير آية الكرسي (سورة البقرة ، آية ٢٥٦) تراوح بين الأخذ بظاهر اللفظ في غير تدبر والأخذ بالتأويل ، وجعلها لا سبيل إلى التثيت منه الآن (*Vorlesungen : Goldziher* ، هيدلبرغ سنة ١٩٢٥ ، ص ١٠٢ وما بعدها) ولم يقتصر على استعمال لفظ التشبيه ، واستعاض عنه بلفظ التمثيل فيما يتصل بالآية التاسعة من سورة الشورى ، إذ جاء فيها أن الله ليس كمثله شيء ، ولم يرد الفعل المضارع شبه إلا في الآية ١٥٦ من سورة النساء في الكلام عما شبه اليهود في موت المسيح . والتشبيه لفظ استعمل من قديم ، ولا يقف مدلوله عند وصف الله بصفات مهمة مصدر إلهامها أن الحال جرت بإطلاقها على الإنسان ، ولعل التي أجاز هذه الصفات :

ويستعمل التأويل أيضاً باباً ووسيلة إلى التعطيل ، ولم يرد بمعنى واحد ، فلفظ أول الواو في القرآن ليس فيه معنى التخرج .

(١) حديث النزول : من أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « يتنزل ربنا ليلة القدر في ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يستعيني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ »

وينسب الخياط آراء تشبيهية إلى التائبة بنوع خاص ، ويقول إن منهم الأموية أنصار جنان (كتاب الانتصار ، ص ١٤٥ ، ص ٩ وما بعده)
ويضيف ابن حزم (ابن حزم : الفصل ، القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ ، ج ٤ ، ص ٢١٥ ، ص ١٥)
الجهنم والأشعري إلى المرجحة ، ويضيف الشهرستاني (طبعة كيرتون Clouston ، ص ٦١) وأبو سنة محمد القصبي الإباضي (على هامش كتاب الوضع للجناني ، القاهرة سنة ١٣٣٥ هـ ، ص ٧٠)
الجهنم إلى الجبرية الذين يقولون بالقضاء السابق ، والظاهر أن الإجماع ينتقد على وصف الجهنم بأنه معطل ، ومع ذلك يجب أن نحتاط كثيرا في قبول أحكام الذين كتبوا في الزندقة ، فخشيش التيسالي المتوفى عام ٢٥٣هـ الموافق عام ٨٤٧م (Manigsson : *La passion d' al-Hallaj* ، باريس سنة ١٩٢٢ ، ص ٤٣٥ ، تعليق ٢) يذهب إلى أن الجهنم يقول بالتخميم ، أي تزبه الله عن صفات المخلوقين ، وذكر الأشعري في كتابه « مقالات الإسلاميين » (طبعة رتر Ritter ، ص ٢٦٧ ، ص ١١)
والبغدادي في مصنفه « الفرق بين الفريق » (القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ ، ص ١٩٩ ، ص ١١)
أن الجهنم لم يقل بأن « الله شيء » لأن ذلك تشبيه له بالأشياء ،

في ذات الله وصفاته غير الخلاف في الأقوال الأخرى عن الله ، كما أنه أبعد شقة من الخلاف فيما سوى ذلك من مسائل العقيدة والنظر الديني السياسي ،

ولسنا نعرف إلا القليل عن جعد بن درهم ، ويقال إنه أول « معطل » . وي زيد بن تيمية على ذلك (انظر رسالة الفرقان من مجموعة الرسائل الكبرى ، طبعة القاهرة عام ١٣٢٣ هـ ، ج ١ ، ص ١٣٧ ، ص ١٤ وما بعده) أنه السبب في سقوط آخر خلفاء بني أمية ، ويلقب هذا الخليفة بالجهنمي ، ويذهب أن الجعد كان أيضا الأصل في ظهور الباطنية بين الحشاشين والرفض بين الشاميين . وأشد القائلين بالتعطيل الجهنم بن صفوان الراسبي (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٧٨ هـ (٧٨٥ م) وهو أصغر من جعد بقليل ، ولد وصفه ابن الروندي الشيعي بأنه « موحد معتزلي » ، أما أبو الحسين الخياط المعتزلي فقد أنكر اعتزاله في كتابه الانتصار (طبعة ليرج Nyberg ، القاهرة سنة ١٩٢٥ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ، ص ٤) وقال إنه « إمام المثبته » معتمدا في ذلك على أبيات لبشر بن المصنم في هجائه (٢) ، وصلحه مع ابن الحكم شيخ المثبته ، وهو من غلاة الشيعة ، لاظهارهما في القول بحبوث العالم (المصدر نفسه ، ص ١٢٦ ، ص ١٠) .

(٢) نهي الأبيات ؟

الخصم لا ننسلكه فلكل موقفا
لنقوم من ليسهم فسرورا
لنقوم من ليسهم فسرورا
ولا هم منا ولا نرسمهم
ولسنا منهم
ولسنا منهم
ولسنا منهم
ولسنا منهم

أما ابن حزم فقد نفي اللاشئية عن الله ، وزاد بأن الله ليس لاشيء ، وهي عبارة تم عن خشية الوقوع في التعطيل أو الإبطال الذي هو أشد منه . وصنفت في الرد على الجهنم رسائل شتى

التشبيه على طريقة التثنية الصرائي ، وكان غرضه إثبات أن الله واحد بجميع صفاته ، ولم يتردد في أن يمثل للملك بالنبلة لها جلوع وكرب وليف وسعف وخصوص وجمار .^(١)

(١) جاء في رسالة أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية « لما خفقت الحجج - أي الجهم - قال إن الله كلم موسى ، ألا أن كلامه غير - فقلنا وكثيره مخلوق - قال نعم - قلنا هذا مثل قولكم الأول ، ألا أنتم تدعون من أنفسكم التشبيه بما تظنون . وحديث الزهري قال : لما سمع موسى كلام الله قال يا رب هذا الكلام الذي سمعته هو كلامك . قال نعم يا موسى هذا كلامي » وأنا كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ، ولي قوة الإنس كلها وأنا أقوى من ذلك ، وأنا كلمتك بقدم ما يطيق بذلك ، ولو كلمتكم بأكثر من ذلك لم تسمعوا . فلما رجع موسى إلى قومه قالوا : صف لنا كلام ربك . قال سبحانه له ، وهل أستطيع أن أصف لكم ؟ قالوا تشبيهه . قال : سمعتم أصوات المومنين التي تترى من أعلى حلوة سمعوها ، فكأنه مطر . وقلنا للجهمية من القرآن يوم القيامة يا موسى بن مريم ، أأنت قلت لناس اتخولوني وأما الذين من دون الله ؟ قال ليس الله هو المثال ؟ قالوا يكون الله شيئاً يصير من الله كما كون شيئاً فغير آدمي ، قلنا فمن المثال ؟ فلنسال الذين أرسل إليهم ولنسال المرسلين للتعصم عليهم يسلم وما كنا غائبين ليس الله هو الذي يسأل . فأنزله علينا كله ، أما يكون شيئاً يصير من الله ؟ قلنا لهم قد علمتم على الله القرية حين زعمتم أنه لا يتكلم تشبهتموه بالإنسان الذي بعث من دون الله ، لأن الإنسان لا يتكلم ولا يتحرك ولا يكون من مكان إلى مكان . فلما ظهرت عليه الحجة قال إن الله قد تكلم لكن كلامه مخلوق . قلنا وكذلك ينكر كلامه ؟ قال لا . قلنا ؟ مخلوق ، تشبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق . لئى ملهكم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق النطق ، وكذلك ينكر آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاماً . فزعمتم بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه المسئلة طواً كبيراً . بل تقول إن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ولا تقول أنه قد كان لا يتكلم حتى خلق كلاماً ، ولا تقول أنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فسلم ، ولا تقول أنه قد كان ولا قدوة له حتى خلق تشبيهه قدوة ، ولا تقول أنه قد كان ولا نور له حتى خلق أنواره . ولا تقول أنه قد كان ولا جنة له حتى خلق لنفسه جنة . فقلنا للجهمية لنا من الله من الله الصفات : أن زعمنا أن

بين ألبينا منها رسالة أحمد بن حنبل في الرد على الزنادقة والجهمية ، (إلميات فاكولته سى مجموعه سى ، سنة ١٩٢٧ ، ص ٣١٣ - ٣٢٧) ولم يذكر ابن حنبل إلا القليل من أقوال خصمه ، ولا يمكن التثبت من صحة الحجج التي نسبها إليه إلا إذا قام عليها دليل آخر ، وموضوع الخلاف بين وشواهد من القرآن والسنة بيّنة أيضاً : فابن حنبل يزعم أن الجهم أنكر رؤية الله في الجنة وتكليمه تعالى موسى واستواءه على العرش ، ويذهب إلى أن الجهم خشي أنجاب الطريق التشبيهي الخفض والقول بأن الله في مكان لأن ذلك يستتبع مفلاً أنه تعالى في أحشاء الجهمية وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القلوة^(٢) : على أن ابن حنبل لم يجد مناصباً من تأويل الآيات القائلة بوجود الله مع خلقه (سورة المجادلة ، الآية ٨ ، سورة طه ، الآية ٤٨ ، سورة التوبة ، الآية ٤٠) وهذا بين لنا صعوبة الفارقة بين أهل السنة وأخذهم بظاهر اللفظ من جهة ، وبين المجترلة وقولهم بالتأويل من جهة أخرى . وأخذ ابن حنبل عن الجهم المبالغ في ذم

(٢) قال أحمد بن حنبل في رسالته الرد على الجهمية : وما انكرت الجهمية الضلال أن يكون الله سبحانه على العرش قلنا لم انكرم ذلك ؟ أن الله سبحانه على العرش ، وقيد قال سبحانه : الرحمن على العرش استوى ، وقال لم استوى على العرش الرحمن فاستل به غيراً . قالوا هو تحت الأرضين السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وكل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان . ولنا آيات من القرآن « وهو الله في السموات وفي الأرض » قلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة وليس فيها من خلق الله شيء ، فقالوا أي مكان ؟ قلنا أحشائكم وأجواف الخنازير والطشوش والأماكن القلوة ، ليس فيها من خلق الله شيء .

(ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ص ١٦ وما بعده ؛ ص ١١٧ ، ص ٦ وما بعده) .

وألف القاسم بن سعيد الشافعي منذ عهد قريب كتاب « القول المتيقن في الرد على المخالفين » (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ، ص ٦٧ على الخصوص وما بعدها) . وبين فيه أن الإباضية يرون أن قول الأشعري في ذات الله من التشبيه هـ ورأيه هذا ليس أقل سوءاً من رأى ابن تومرت الموحدي في تشبيه المرابطين (انظر كتاب ابن تومرت ، ج ١ ، طبعة كولدستهر ، الجزائر سنة ١٩٠٣ ، ص ٢٦١ ، ص ٣ ، ص ٢٣٢ ، ص ٨) .

وبذل الماتريدية غاية مآل وسعهم لتقرب من رأى ابن حنبل ودفع شبه التشبيه عن أنفسهم ، فقالوا بالسلوب ، وهو أن الله لا علود ولا معلود ولا متعص ولا متجزئ ولا مركب : ومن قال بهذا أبو حفص النسفي (D. B. Macdonald : *Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory* ، نيويورك سنة ١٩٠٣ ، ص ٣٠٩) وأهم الماتريدية بالتأويل مثلهم مثل بشر الميرسي الذي اتهمه بذلك عيان ابن سعيد الدارمي ، ومثل النزالي الذي اتهمه الحنابلة المتشددون كابن تيمية (المصدر نفسه ج ١ ، ص ٤٢٢ ، ص ١٦) على أن فقهاء الحنابلة لم يثبتوا عند رأي واحد ، فقد اتهم ابن الجوزي ثلاثة من فقهاء الحنابلة (هـ) بأنهم

وأصبح أحمد بن حنبل المحجة الثابت بين أهل السنة في نفي التشبيه والتعطيل ، واعتمد عليه الأشعري (انظر هذه المادة) في كلامه عن الإيمان (مقالات الإسلاميين ، ص ٢٦٧ ، ص ٥) وأدلى برأيه في هذا الموضوع في عدة مقالات ، وخاصة في كلامه عن إمكان رؤية الله : وكان الأشاعرة ينهون دائماً إلى أن تسليم إيمانهم بأن وجه الله ونديه واستواه « بلا كيف » هو الحل للموقف الذي يقول به كل مسلم من لقاء نفسه . على أن ابن حزم يرى أن قول الأشعري هذا باطل ومُخل في قول المجسمة ، مع أنه يعد ابن حنبل حجة (ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ص ١٧ - ١٩) ويرد ابن حزم على المحترلة مستنداً إلى تأويل ضعيف

الله وتورده والله وقدره والله وعظمته والله وقدرته فقد ظنم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل وتورده ولم يزل وتورده . فقلنا لا نقول إن الله لم يزل وتورده ، ولكن نقول لم يزل بقدره وتورده لا متى لقد وكيف قدر . فقالوا لا نكونوا موحدتين أبداً حتى قولوا كان الله ولا شيء . فقلنا نحن نقول كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا بأن الله لم يزل بصفاته كلها : اليس أننا نصفه الله واحداً بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم في ذلك مثلاً فقلنا اغربونا من هذه الخلقة اليس لها جلوع وكرب وليف وسف وغرس وجعاف ، واسمها اسم شيء واحد سميت نحلة بجميع صفاتها . فكذلك الله سبحانه وتعالى وله النحل الأعلى بجميع صفاته الله واحد ، ولا نقول أنه كان في وقت من الأوقات ولا قدرة له حتى خلق القدرة ، والذي ليس له قدرة غير عاجز ؛ ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق العلم ، والذي لا يلزم من جاهل ولكن نقول لم يزل الله عالماً قادراً مانعاً لا متى ولا كيف . وقد سمي الله رجلاً كانوا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال لربي ومن خلقت وحيداً وقد كان هذا الذي سماه الله وحيداً وله هينان ولذاناً ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة ، فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته ، فكذلك الله تعالى وله النحل الأعلى هو بجميع صفاته الله واحد .

(هـ) هم أبو عبد الله بن حامد وصاحبه الثاني أبو يعلى وابن الرافعي .

أنه لم يصل إلينا من تواليفه شيء . على أن الأشعري (مقالات الإسلاميين ، ص ٢٩ ، س ٣ وما بعدها) قد بين لنا أن أقاويله قد ظهر اختلافها عند جمعها ، ومن هذه الأقاويل ما يقطع بأن هشاما كان بريئا من التشبيه ، ومنها ما يدل دلالة بيّنة على قوله بأن بين الله وبين الأجسام مشابة لولاها لم تدل عليه ، وأن علمه تعالى إنما يقوم بشعاع يتفصل عنه إليه (شرح الجرجاني لكتاب المواقف للإيجي ، طبعة سورنسن Soerensen ، ليلسك سنة ١٨٤٨ ، ص ٣٤٧ ، س ٥ ، ١١ : التشابه والمشابهة) ومع هذا فإن في استللال الأشعري مقالته عن المجسمة هشام الذي كان يقول : « إن بين إلهه والأجسام المشاهدة تشابها » ما يهدينا إلى مصدر الإيمان في التوبيخ ، وهو أمر شاع بين المتأخرين ممن أُرخوا لفرق الزنادقة .

ولم تبرا مطلوبات الشيعة أيضا من التناقض ، ففهم رجل آخر يدعى هشام بن سالم الجواليقي ، ولعله أصغفهم ، إذ هو قد تكلم عن شَعَر الله وجنبه مستشهدا بالحدِيث : « خلق الله آدم على صورته » جاعلا الماء في « صورته » تعود عليه تعالى (الكشفي : معرفة أخبار الرجال ، بومباي سنة ١٣١٧ هـ ، ص ١٨٣ : الأستراباذي : ميج المقال في تحقيق الرجال ، طهران سنة ١٣٠٦ هـ ، ص ٣٦٧) .

أما هشام بن الحكم فإن قوله بالإثبات وتجنبه الإبطال جعلاه يختار لفظ « جسم » ويضيفه إلى جانب اللفظ المهم « شيء » ، ومع ذلك فقد أبدع جهد طاقته عن التشبيه .

شانوا المذهب (ابن الجوزي : دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة ، طبعة حسام الدين القدسي ، دمشق سنة ١٣٤٥ هـ ، وخاصة ص ٥ وما بعدها) : ونجد من جهة أخرى أن ابن تيمية للنايه للذكر تلميذ ابن الجوزي قد عدّ هو وأضرابه - مثل أبي حاتم محمد بن سمعون القرشي - من غلاة المشبهة ، فقد روى ابن بطوطة ، ونقل عنه كثيرون ، أن ابن تيمية قال إن الله يتزل إلى السماء الدنيا « كتروى هذا » (وكان على المنبر) : وجاء حسام الدين القدسي بتطبيق عجيب على هذا (ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ص ٤٨ ، التعليق) وأهم من هذا التعليق رد ابن تيمية في معصفاته على المشبهة الذين يقولون : « بصر كبحري ويد كيدى » (رسالة الفرقان ، ص ١١٩ س ١٣) وتفسيره للآيات القائلة بوجود الله مع الناس ، وهو حقا من التأويل (ج ١ ، ص ٤٥٦ وما بعدها) ودأبه على جعل العبارات التشبيهية التي قيلت في الله صفات خاصة به سبحانه ، ثم قوله بنوع خاص إن الأحاديث التجسيمية السخيفة في النزول إنما وضعها الزنادقة الكفار ليثبنوا بها أهل الحديث (ج ١ ، ص ٢٨٠ ، ص ٢) وتجربته المستمر بوجه عام للتشبيه والتعطيل (ج ١ ، ص ٢٧٠ ، ص ١٤ وما بعده ، ص ٣٩٥ ، س ٢ وما بعده إلخ) مما يلي على الأقل بمقصده ومعتقده .

أما موقفنا من أبي محمد هشام بن الحكم المتوفى عام ١٩٩ هـ الموافق عام ٨١٤ م فأشدد عسرا ، ذلك

الكل وبين الإنسان مشابهة وأنه تعالى لا يعود وأن إرادته غيره .

أما الإثنا عشرية فقد اشتدوا في إنكار تعطيل والتشبيه وأكلوا الإثبات متحرجين تخرج المعتزلة من التشبيه الذي يحط من قدر الله ، ويجحد أقوالهم في جامع مجلسي الموسوم : « بحار الأنوار » (الكتاب الثاني ، طهران سنة ١٣٠٦ هـ ، ص ٨٩ - ١٠٥) في الفصول المقودة على إنكار الجسم والصورة والتشبيه ونفي الزمانية والمكانية والحركة والانتقال من مكان إلى مكان ، ونحن لا نستطيع التثبت من الأقوال المنسوبة إلى الإثني عشرية إلا بالرجوع إلى المصنفين المتأخرين الذين جاءوا بعد الكليني وابن بابويه والطوسي ،

وحاول هشام بن الحكم بجميع الوسائل أن يتكبد هذه المزائق التي تصنع عما كان عليه المسلمون من حيرة بين الحدين التشبيه والتعطيل ، وليست المسألة من اليسر بحيث نستطيع أن نجعلها في عبارات عامة فنقول إنها تنازع بين وجهتين إحداهما أن الله ذات روحانية خالصة والأخرى أن له تعالى وجودا مشخصا . فإذا كانت المسألة كذلك فأتين نفع الأشعري إذن ؟ الواقع أن من يقرأ تاريخ العقائد الإسلامية يفرج منه بحقيقة لاشك فيها هي أن كل أشعري يستنكر أن يضاهيه إمامه إلى أحد هذين المذهبين . فالتشبيه مدفوع لأنه باب إلى الوثنية وعبادة الأصنام ، والتعطيل مدفوع لأنه ملخل إلى الإلحاد والفرك ، على أن بينهما في الأصل صلة : ومن هنا وقع الجهم في التعطيل

ولم يفتت المجسمة ، ومنهم هشام بن الحكم نفسه ، عند القول بأن الله جسم بل زادوا بأنه جسم « لا كالأجسام » ومن ثم يجب علينا أن نفرق بين الصفة بين التجسيم بصفة عامة وبين التشبيه :

وجهد الشيعة المتأخرون في دفع شتمة الزندقة من أسلافهم ، إلا أن الأسترباذي قد وصف هشاما بأنه تلميذ أبي شاذان الذي يصان الذي تشوب حياته الأساطير أكثر مما تشوب حياة هشام . ولعل أكثر الأقوال دلالة على ذلك ما لاحظته الأشعري من أن هشاما قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل : وليس هذا بغريب من رجل تصفه كتب الشيعة بحمة الطغيان وتقول إنه من جماعة الإمام جعفر الصادق وإنه عاش في زمن كانت العقائد فيه قلقة أشد القلق لم تستقر بعد على حال ، تشهد بذلك المناظرات الكثيرة التي قامت بين أفراد هذه الجماعة وخاصة ما كان منها بين هذين المشاهدين . ونخلص من هذا بأن الثقة قد بدلت بين الشيعة أنفسهم .

وسلك التصيرية - وإمامهم ابن حمدان الخصبني - مع المشبهة ، أما الباطنية الذين انطلقوا فيما بينهم لاختلافات كبيرة فقد جرى الحال على تعميم الباطنية المشبهة ، على أن ناصر خسرو ، وهو من أبرزهم ، قال (ناصر خسرو : زاد المسافرين ، برلين سنة ١٩٢٣ ، ص ٢٥٠ وما بعدها) في الباري قولا يذكرنا بما نسجه الروايات إلى هشام ابن الحكم ، وإن كان قوله هذا لا يتفق وقول ما من أقوال هشام ، ذلك أنه يعتقد بأن بين العقل

وليس للمناظرات تقع كبير في معرفة عقائد المناظرين ، ولا يصح الاحتجاج بها إلا في تحديد أقوال صاحب الرد ، وكذلك يقيس كل منهم أقوال خصمه بمعتقده الخاص وتفسيره للقرآن ، مثال ذلك (١) الغزالي : إحياء علوم الدين ، الكتاب الأول ، والكتاب الثاني الموسوم بقواعد العقائد ، والكتاب الرابع ، والكتاب الخامس ، والكتاب السادس الموسوم بالوحد والتوكل والحمية ، انظر سنة ١٩١٢ ، ص ٤٨ وما بعدها ، J. Obermann : *Die Dogmatik al-Ghazalis* : H. Bauer سنة ١٩١٢ ، ص ٤٨ وما بعدها ، *Der philosophische und religiöse Subjektivismus Ghazali's* ، قيناسة ١٩٢١ ، ص ١٩٧-٢٠٠ ، ١٢٧ (٧) أبو منصور عبد القاهر البغدادي : أصول

الدين ، إستانبول سنة ١٩٢٨ ، ج ١ ، ص ٧٣ - ١٣٠ ، وهذه الرسالة ليست مبوبة تبويبا حسنا ، فقد وصف فيها الاختلاف معتادا على كتابه الفرق بين الفريق ، وقد سبق أن أشرنا إليه : [شروتمان R. Strothmann]

« التفسير » (١) : لغة الفتح والشرح والبيان والعرض ، واصطلاحا :

١ - بيان علم أو تفسير كتاب وهي في ذلك مثل شرح .

٢ - علم التفسير وهو فتح الجسم الإنساني وتفسيره ، والمعنيان تجمعهما الجملة التي ذكرها

كبنا يفهم من قول ابن منبعل لأنه فسر الآيات الخاصة بكلام الله قال إن الكلام لا يكون إلا من جوف وهم وشفتين ولسان (٢) ، وذهب ابن تيمية إلى أن الجهم « معطل بمثل » (مجموعة الرسائل الكبرى ، ج ١ ، ص ١٢٧ ، ص ٩) .

المصادر :

يجب ألا نغفل مقالات الذين أزعجوا لفرق الزنادقة ولا أخيار المتكلمين بدعوى أنها من استحال ذوى الأهواء ، فما ورد فيها بين لنا مدى الاختلاف بين الآراء . وهي لا تروى إلا بملومات قيمة عن الأقوال التي رد بها كل فريق على الآخر ،

(١) جاء في رسالة الرد على الجهمية لإحمد بن حنبل « الترتيب الجهمية أن يكون الله كلم موسى . قال أحمد وفي الله منه : قلنا لهم لم التزم ذلك لقائرا : أن الله لم يتكلم ولا يكلم . إنما كون شيئا كغير من الله وخلق صوتا فاصح . ولمعوا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وهم وشفتين ولسان . قلنا لهم : فهل يجوز لكون أو غير الله أن يقول : يا موسى اني أنا الله لا اله إلا أنا فامدني وأتم الصلاة للذكري » أو « اني أنا ربك » فمن زعم ذلك فقد ادعى الربوبية ، ولو كان كما زعم الجهمي أن الله يكون شيئا كان يقول ذلك المكون : يا موسى اني أنا الله رب العالمين لا يجوز له أن يقول انني أنا الله رب العالمين . وقال الله : وكلم الله موسى تكليما » وقال « ولما جاء موسى ليقائنا وكلمه ربه » وقال : اني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي » فهذا منصوص القرآن . وأما ما قالوا إن الله لم يتكلم ولا يكلم ، فكيف يحدث الامش من خبثة من على بن حاتم الطائي : قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ، ليس بينه وبينه ترجمان ، ولما يقرءهم ان الكلام لا يكون إلا من جوف وهم وشفتين ولسان » أليس قال الله تعالى للسور والارض : « انظرا نوما أو كرما فأنظرا أينما طالعين » انري انما قالت بيروق وشفتين ولسان وادوات ؟ وقال الله تعالى : « وصغرنا مع داود الجبال . يسبح » انرا (سبحت) بضم جوف ولسان وشفتين . والجوارح اذا شهدت على التكلم فقالوا لم يحدث طين ، قالوا انطقنا الله الذي اتفق كل شيء انراها نطق بيروق وهم وشفتين ولسان ، ولكن الله انطقا كيف شاء . فذلك تكلم الله كيف شاء ومن غير ان يقول بضم ولا لسان ولا شفتين ولا جوف .

(١) نفضل بهرجاية هذه المادة الدكتور أحمد بك عيسى .

بالغة العربية فقط : وقد نقلها ونشرها بالألمانية ماكس سيمون Max Simon : ونشر ده كوتنك M. de Koning ثلاث فقرات مغولة في التشريح استخلصها من المصنفات العربية، وإحداها لابن سينا والثانية لعل بن عباس المجوسي الطيب القارمي الأصل الزرادشتي العقيدة المتوفى عام ٣٨٤ هـ .
والثالثة لمحمد بن زكريا الرازي الطيب العربي المعروف المتوفى عام ٣٢٠ هـ : أما فصول الرازي المختصرة فنقولة من كتابه الموسوم بالتصوير في الطب ، والتي لعل بن عباس منقولة من كتابه الموسوم بالملكي^(١) ، والتي من ابن سينا منقولة من كتابه « القانون » ، وهذه المصنفات الثلاثة على نسق واحد من الوضوح المعروف في كتب الأقدمين ، وكلها ينتهي بعلم العظام ، فهم يتكلمون أولاً عن العظام بوجه عام ثم يدرسونها دراسة مفصلة من قمة الجسم الإنساني إلى أخمص القدم : عظام الرأس والأسنان والعمود الفقري والصدر وعظام الأطراف العليا والسفلى وعظام الأطراف السفلى والقدمين ، ولم يكن القرع الخاص بالأسنان قد انفصل من التشريح انفصال تاماً في ذلك الحين ، ثم تأتى بعد ذلك دراسة العضل ، وقد أحصوها وبينوها على النظام نفسه : ثم تأتى المجموع العصبي والشرائبي : كالأعصاب والدماغ والنخاع الشوكي والشرائيب والأوردة ، ويختم ذلك بشرح الأعضاء الظاهرة والباطنة ، كأعضاء البصر

ابن القفطى وهي أن : جالينوس هو مفتاح الطب وبأسطه وشارحه . . . ولم يبقه أحد إلى علم التشريح وألف فيه سبع عشرة مقالة : ولم يُقبل المسلمون على التشريح ، إذ كان تصوير الإنسان محرماً عندهم ، وكان التشريح لا يرضى عنه الدين ولا يُقرّ العرف . ولم يمارسه المسلمون به الأقدمون اللهم إلا في الإسكندرية حيث انتهز جالينوس الفرص التي أتاحت له لتعلم تشريح الإنسان ، على أنه كان يمارسه إجمالاً في القرود : وما مر بالمسلمين ظرف موات إلا اغتموه للترقي جهلاً بالعلم ، ولتجدن مثالا لذلك في رحلة عبد اللطيف البغدادي ، فقد علم أن بالنس من أعمال مصر تلاء من بقايا إنسانية ، فأخذ في فحص هذه الهياكل وكتابة مشاهداته ،

وزاول كثير من علماء العرب علم التشريح يوم ما كان يكتنفهم في حملهم من عوائق ، واحتلوا في ذلك علماء اليونان وبخاصة جالينوس وأوريباز Oribasius وأتيوس Aetius : ودرس العرب بعض مصنفات جالينوس ونقلوها إلى لغتهم ، وبين أيدينا من هذه المصنفات كثير من المخطوطات نذكر منها : كتابا في التشريح (De Anatomia) وكتابا في الأوردة (De Venarum Sectione) وكتابا في حركة العضل (De Musculorum Dissectione) وكتابا في العظام (De Ossibus) وكتابا في النيفس : ولجالينوس كتاب في التشريح الكبير (De Anatomica Administratione) في خمس عشرة مقالة : ولم تصل إلينا المقالات الخمس الأخيرة إلا

(١) وصرف أيضا بالكتيب الكامل في السمات الطبية
(المقالة الثانية منه)

منها كتاب « التصريف »^(١) ، والجزء التشريحي والجراحي منه مستخلص من كتب بلص الأجنبي، وهو مؤلف يوزن على متأخر معاصر لظهور الإسلام رحل إلى بلاد العرب ، وعرف هؤلاء قلدوه لنموه في العمل الجراحي ، وتكلم أبو القاسم عن العمليات الجراحية ووصفها وصور بعض آلتها ، ولهذا الكتاب نسخ مخطوطة كثيرة ، وترجمه إلى اللاتينية كيرار القرموني وهو من أعيان القرن الثاني عشر الميلادي ، وطبع في البندقية عام ١٤٩٧ م ثم في بال عام ١٧٧٨ ، وقبس منه كوي ده شوليك Guy de Chauliac (سنة ١٣٠٠-١٣٦٨م) فكان له أثر كبير على العلم الغربي ، أما ابن زهر فكان طبيباً بارعاً ذا نفس وثابة تمحور إلى حد كبير من علم جالينوس ، واستفاد من التجربة ، وهو المصنف الكبير الذي اختلف منه أرنو ده فينيث Arnaud de Villeneuve ، بضاف إلى ذلك أن قسطنطين الإفريقي - أقدم المترجمين - الفريين (١٠٢٠ - ١٠٨٧ م) - قد نقل الكتاب الملكي لعل بن عباس إلى اللاتينية . وعرف العرب علم الرمد وعطوه فرعاً برأسه ، ولهم مشاهدات في تشريح الحيوان والتبجين والمشيئات Monstres ،

المصادر :

(١) *Trois traités d'anatomie* : P. de Koning

arabe النص والترجمة ، لندن سنة ١٩٠٣ (٢)

الكاتب نفسه : *Traité sur le calcul dans les reins* : *et dans la vessie* ، لايبز بك محمد بن زكريا

(١) ومثوانه الكامل : كتاب « التصريف » من مجلد من التأليف

الاجنة

والشم والسمع واللسان والحنجرة والريتين والمعدة والأمعاء والكبد والطحال والكليتين والمثانة وأعضاء التناسل : وقد أثبت ده كونتنك أمام عدة فصول من كتاب ابن سينا القصول المقاتلة لها من كتب جالينوس وأوريباز . ، وهي الخاصة بالعضلة المربعة المعينية ، والعضلة القابضة لأصابع اليد ، والشریان الرئوي وصمامات القلب والقزحية وعظم القلب (كلها) :

وقد درست جميع هذه القصول التشريح درساً مفصلاً مطولاً ، فاستقصى أصحابها البحث عن كل عضلة من حيث الوظيفة والغرض ، وللتشريح العربي مصطلحاته الخاصة به فلا توجد فيه ألفاظ فارسية أو يونانية ما عدا كلمة طروخانطير (Trochanter) بخلاف الحال في الطب والنبات :

والتشريح يخالف الرياضيات والفلك والكيمياء ، ذلك أنه لم يزودنا بمصطلحات ما . نعم استعملت بعض ألفاظ في القول اللاتينية في العصور الوسطى مثل كلمة Meri وهي المرى ، و Myrach وهي بالعرية مراق ، و Siphac وهي بالعرية صفاق ، بيد أن هذه الألفاظ اندثرت الآن :

وأبو القاسم الزهراوي (Albucasis) طبيب عبد الرحمن الثالث القرطبي (القرن الرابع الهجري الموافق لماشر الميلادي) وابن زهر الإشبيلي المتوفى عام ٥٩٥ هـ هما أغزر جراحي العرب علماً وأكثرهم تجربة ، فقد صنف الأول

الكلمة فقالوا إنها من تشريع الله المتيقن من الضحية في ذى الحجة وتقدمه وهو تفسير - بشك (٢) فيه . وفي حديث من أحاديث الأحاد أن كلمة التشريع مأخوذة من تلاوة الكلمات الآتية : أشرق ثبركبا نغير (٣) ، (انظر مواد التهليل ، وه التلبية ، وه التكبير) ، وعلى هذا جاز القول بأن هذه الكلمات لم تكن تنال في الأصل قبل مشرق اليوم العاشر من ذى الحجة قطع كما نبهت ، وإنما كانت تنال أيضا عند روى الجمرات في الأيام التالية له ، وأنها كانت من أركان الشعائر في هذه الأيام فسميت الشعائر جميعا بما بعد هذا الاسم .

وفي الإسلام جرى الاحتجاج على روى الجمرات وهم يكبرون ويهللون بمعارات أخرى ،

ولعل هذا هو الذى حدا بأبي حنيفة إلى القول بأن التشريع هو التكبير (تاج العروس ، ج ٦ ، ص ٣٩٣) وانظر أيضا مادة الحج (٤) .

المصادر :

- (١) لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ٤٢ وما بعدها (٢) تاج العروس ، ج ٦ ، ص ٣٩٣ وما

(٢) ما الداعي الى التشكك فيه ؟ قال في اللسان ٥ تشريع اقيم تقديمه وتقدمه وسيله ، ومنه سميت ايام التشريع ، وايام التشريع ثلاثة ، بعد يوم النحر ، لان يوم الاضاحى يشرف فيها ، اى يشرف .

(١) تير جيسل بظاهر مكة ، والاعارة الدفع والمعنى كما في لسان العرب : ادخل ايها الجبل في الشروق - وهو ضوء الشمس ، كما تغير ، اى : كما ندفع للنحر ، وكانوا لا يعيرون حتى طلعت الشمس ، فبالعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقاض قبل طروق الشمس ، كما ثبت في الحديث الصحيح . وانظر نيل الاوطار للشوكاني ، (ج ٥ ، ص ١٤٦ من الطبعة المتأخرة) .

الرازي ، طبع وترجم في لندن سنة ١٨٩٦ (٣) *Sieben Buerger der Anatomie des* : Max Simon *Galen* ، ليسبك سنة ١٩٠٦ (٤) *Donald Campbell* : *Arabian medicine and its influence on the Middle Ages* ، في مجلدين ، لندن سنة ١٩٢٦ (٥) *Penseurs de l'Islam* : Carra de Vaux ، باريس سنة ١٩٢١ ، ص ٢٧٦ - ٢٨٩ (٦) *ad Almansorem libri X.* : Razes ، سنة ١٤٨٧ (٧) *Avicenne Canon* ، طبع باللاتينية في البندقية سنة ١٥٠٧ ، وطبع بالعربية في رومة سنة ١٥٩٣ (٨) *G. de Cauliaco* : *Chirurgia* ، البندقية سنة ١٤٩٧ وهو يتضمن كتاب الجراحة لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوى :

[كاركاده ثو B. Carra de Vaux]

و التشريع : هو الاسم الذى تعرف به الأيام الثلاثة الأخيرة من الحج ، من الحادى عشر إلى الثالث عشر من ذى الحجة ، وفيها يقيم الحجاج في منى بعد إذ فرغوا من مناسك الحج ليرموا الجمرات الثلاث كل يوم سبع حصيات ،

وكانت كلمة التشريع تطلق في صدر الإسلام على الصلاة التى تقام في صبيحة العاشر من ذى الحجة (١) ولعلها كانت من كلمات الجاهلية فلم يقطع المسلمون فيها بتفسير ، من ذلك أنهم انطوا بظاهر

(١) يريد صلاة العيد يوم النحر .

وتسمى الشهور الأربعة الأولى منه : « أكث » و « ثورين » و « كيلون » و « تشانو » - هو مرحلة من مراحل تطور أسماء الشهور الأربعة الأولى من التقويم السرياني ، إذ كان لكل منها في أول الأمر اسم بذاته ثم غلبا لكل زوجين منها اسم واحد ، وتقابل الأسماء « ثوري » و « كيلون » و « تشانو » الأسماء « تشري » و « كسيلو » و « كانون » ، والسبب في تغير « كيلون » إلى « كانون » يرجع إلى إبدال في الحروف ، أما إحلال « تشري » محل « أكث » فلمعه يعود إلى اليهود ؛ ويميز أهل الشام بين التشريين بقولهم تشرين « قديم » و « تشرين حراي » كما ورد في البيروني ، أما العرب فيقولون « تشرين الأول » و « تشرين الآخر » أو « الثاني » .

وأصبح هذان الشهران متفقين في الزمن مع شهرى أكتوبر ونوفمبر من التقويم الروماني ، وأيام الأول واحد وثلاثون يوماً والثاني ثلاثون فقط . وتسقط في التشريين منازل القمر الأربعة الأولى وتطلع فيها بين الخامس عشر والثامن عشر ، ويحدث هذا - كما يقول البيروني - في العاشر والثالث والعشرين من تشرين الأول ، وفي الخامس والثامن عشر من تشرين الثاني ، أو في الثامن عشر والحادي والثلاثين من تشرين الأول والثالث عشر والسادس والعشرين من تشرين الثاني ، كما يقول القزويني : ويقول البيروني إن كواكب منازل القمر الأربعة طلعت وسقطت في الثاني والعشرين من تشرين الأول وفي الخامس والثلاثين

بعدها (٣) *An Arabic, English Lexicon* : Lane
ص ١٥٤١ - (٤) *Die Israeliten* : R. Dozy
zu Mekka ، ليسك هارلام ، سنة ١٨٦٤ ، ص ١١٨ - ١٢٦ ، ولا يؤخذ الآن بالرأى القائل بأن الكلمة مشتقة من العبرية (٥) *SnouckHurgronje* : *Hei Mekkaansche Feest* ، لندن سنة ١٨٨٠ *Verspreide Geschriften* ، ص ١ ، وما بعده (٦) *Raste* : Wellhausen ١٧٤ - ١٧١ *arabischen Heidentums* ، ص ٨٠ ، ١٩٠ ، تعليق ١ (٧) *Ueber die* : Th. W. Juynboll *Zeitschrift für Bedeutung des Wortes Tashrih* ، ص ٢٧ ، سنة ١٩١٢ ، ص ٧ - ١ (٨) *Gaudefroy - Demombynes* : *La pelerinage à la Mekka* ، باريس سنة ١٩٢٣ ، ص ٢٧٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ص ٣٠٢ ، التعليق ٥ [*R. Parcy*]

« تشرين » : اسم الشهرين الأولين في التقويم السوري ، وهذا التقويم قديم قدم النقوش النبطية ، وهو يدل فيها على شهر واحد هو الشهر الأول (السابع في تقويم اليهود) في حين أطلق على الشهر الثاني اسم « كانون » (انظر هذه المادة) ، و « تشرين » في تقويم كنيسة السريان اسم شهرين هما الثالث والرابع من التقويم السوري - أي التاسع والعاشر من تقويم اليهود وهما « كسيلو » و « طيبيث » واستبدل بكانون شهر تشرين الثاني ، وقد رأى كودشميد *Gutschmid* أن تقويم هليوبوليس -

٢ - « والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين »
٣ - « الشهادة الأصلية للكونية من الكلمتين (١) »

وصيغة التشهد هذه تتفق وحديث رواه ابن عباس جاء في صدره « كان رسول الله يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن »
(انظر مسلم ، كتاب الصلاة ، ج ٦٠)

ويروى ابن مسعود الحديث نفسه مُسَقَطًا لفظ « المباركات » من الفقرة الأولى منه (٢)
(صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، ج ٥٦ ؛ أحمد ابن حنبل : المستدرك ، ج ١ ، ص ٤٢٢)

أما أبو موسى الأشعري فيرويه هكذا :
« التحيات الطيبات الصلوات لله »

وثبت النووي في شرحه كتاب الصلاة من صحيح مسلم أن الأئمة يجيزون الصبح الثلاث ، وإن كانت للمناهج لم تجمع الرأي على أى الصبح
هى الأفضل (٣)

ويتل التشهد مرتين في الصلاة : الأولى عقب الركعتين الأوليين ، والثانية في ختام الصلاة ، وفي المرة الأخيرة قد يتبع بدعوات خاصة ثم يتم بالتسليمتين

(١) بلطف « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » .

(٢) رواية ابن مسعود (التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) .

(٣) وانظر أيضاً كتاب الرسالة الإمام الشافعي بشرحه في الفقرات (رقم ٧٧٧ - ٧٧٩) .

عشر : والحادي والثلاثين من تشرين الثاني لسنة ألف وثلاثمائة للإسكندر الروي الموافق عام ٩٨٩ ميلاد المسيح ،

المصادر :

(١) البروني ، طبعة بخاؤ ، ص ٦٠ ، ٧٠ ، ٣٤٩ - ٣٤٧ (٢) القزويني : عجائب المخلوقات طبعة فستفلا ، ج ١ ، ص ٤٢ وما بعدها ، ٤٧ وما بعدها ، والترجمة الألمانية بقلم Ebel ٨٨ وما بعدها ، ٩٨ وما بعدها ، ١٥٣ وما بعدها (٣) A glossary of the Aramaic Inscriptions : A. Cook سنة ١٨٩٨ ، هذه للمادة (٤) G.A. Cooke : A Text-Book of North-Semitic Inscriptions سنة ١٩٠٣ (٦) A. v. Gutachmid : Kleine Schriften : ج ٢ ، سنة ١٨٩٠ ، ص ٦٤٧ وما بعدها (٧) Handb. d. math. u. techn. Chron. : Ginzell ج ١ ، ص ٢٦٤ ، ج ٣ ، ص ٣٣ ،

[م. بلسنر M. Plessner]

« التَّشَهُّدُ » : مصدر الخماسي من شَهِدَ ، وهو تلاوة الشهادة (انظر هذه المادة) خصوصاً في الصلاة .

وينبغي ألا يغيب عن اللحن أن التشهد في هذه الحالة لا يشمل الكلمتين وحدهما ، ولكنه يشمل كذلك النص الآتي :

١ - « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله . . . »

المصادر :

للتورية مع كلمة صوفي بمعنى المتشكك لانس
الصوف ، ومع الكلمة اليونانية سوفوس الى حاولوا
فيها الحال بالمعادلة بين « تيوسوفيا » *Theosophie*
و « تصوف » : وقد رد نولدكه Noeldeke هذا
المذهب الأخير في أصل كلمة « صوفي » مبينا أن
السبب اليونانية تكتب باطراد في العربية سبباً لاصداً ،
وأن ليس في اللغة الآرامية كلمة متوسطة للانتقال
من « سوفوس » اليونانية إلى « صوفي » العربية
(Noeldeke في *Zeitschrift der Deutschen*
Morgenlandischen Gesellschaft ٤٨ ، ص ٤٥)

(١) كتب القلق (٧) الاقتراء من كتب
الحديث التي ذكرها فنسنت في كتابه *Handbook of*
Early Muhammadan Tradition مادة تشهد ،
وبخاصة الإشارات إلى الترمذى (٣) وقد وصف
لبن *Ibn Arabi* الشعار الحديث في الفصل الخاص بالدين
والشريعة من كتابه *Manners and Customs of the*
Modern Egyptians

[فنسنت A.J. Wensinck]

التصوف :

١ - أصل الكلمة :

وورد لفظ « الصوفي » لقباً مفرداً لأول مرة
في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن
الميلادي ، إذ نعت به جابر بن حنّان ، وهو
صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة ، له في الزهد
ملعب خاص (انظر خشيش النسائي المتوفى عام
٢٥٣ هـ الموافق عام ٨٦٧ م : الاستقامة) وأبو هاشم
الكوني المتصوف المشهور : أما صيغة الجمع
« الصوفية » التي ظهرت عام ١٩٩ هـ (٨١٤ م)
في خبر فتنة قامت بالإسكندرية (الكندي : قضاة
مصر ، طبعة فيست Giese ، ص ١٦٢ ، ٤٤٠)
فكانت تدل - قرابة ذلك العهد فيما يراه المحاسي
(مكاسب ، مخطوط فارسي ، رقم ٨٧) والمجاهد
(البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٩٤) - على مذهب
من مذاهب التصوف الإسلامي يكاد يكون شيعياً
نشأ في الكوفة ، وكان حبيدك الصوفي آخر أئمة ،
وهو من القائلين بأن الإمامة بالتعيين ، وكان
لا يأكل اللحم ، وتوفي ببغداد حوالي عام ٨٢١٠

التصوف مصدر الفعل التماسى المصوغ من
« صوف » للدلالة على ليس الصوف ، ومن ثم كان
المجرد حياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفياً

ويلبغى رفض ما حدا ذلك من الأقوال التي
قال بها القدماء والمحدثون في أصل الكلمة ، كقولهم
إن الصوفية نسبة إلى « أهل الصفة » وهم فرق من
النسك كانوا يجلسون فوق دكة المسجد بالمدينة
لعهد النبي ، أو أنهم من الصف الأول من صفوف
لمسلمين في الصلاة ، أو من بى صوفة ، وهي قبيلة
بعلوية ، أو أنهم نسبوا إلى « الصوفانة » وهي بقلة ،
أو إلى « صوفة القفا » وهي الشعرات النابتة
عليه ، أو أن اللفظ مشتق من « صوفية » ،
مطويع صافى والأصل صفاً ، وقد استعمل
هذا اللفظ المطاوع منذ القرن الثامن الميلادي

المهد ، وكان في إبطائهم العبادات دلائل بيّنة على حياة التصوف ، على أنه لم يعد من الجائز أن يقال إن محمداً أخرج المتصوفة ابتداءً من الجماعة الإسلامية ، إذ لا يخفى على أحد اليوم أن الحديث المشهور « لارهبانية في الإسلام » -الذي ذهب شرنكر Springer في تفسيره هذا المنحى- حديث موضوع ، وليس من شك أنه وضع في القرن الثالث الهجري على أكثر تقدير تحميلاً وتدعياً لتفسير جديد للآية السابعة والعشرين من سورة الحديد التي ورد فيها ذكر الرهبانية ، وهو تفسير يجرمها ويعد الإسلام منها ، وكان مفسرو القرون الثلاثة الأولى للهجرة أمثال مجاهد وأبي أمانة الباهلي (انظر *Berai sur les : Massignon origines du Lanique technique de la mystique Musulmane* ص ١٢٣ - ١٣١) والمتصوفة القديس الذين عرفوا بالحرص (انظر جنيد : دواء الأرواح) قد أجمعوا على تفسير هذه الآية تفسيراً يميز الرهبانية ويمتثلها قبل أن يشيع التفسير للمعارض الذي غلبه الزغش على جميع التفسيرات ،

ويجوز للمتصوفة المسلمين أن يزعموا أنه كان بين الصحابة رجلاً يعدن بحق السابقين إلى التصوف هما أبو زر وحليفه ، ولم يثبت ثبوتاً قاطعاً أن أويسا وصيبا كانا على شاكلة هذين الصحابين . وجاء بعد هؤلاء ، التائب والزهاد والبكاعون والقباص ، وكانوا أول أمرهم متفرقين لا رابط بينهم ، ثم جمعوا فريقين ، شأتم في ذلك شأن بقية المتفقهين في سائر العلوم الإسلامية ، وكان

(٨٢٥ م) : وإذن فكلية « صوفي » كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة .

وقدر لهذا الاسم أن يكون له شأن خطير فيما بعد ، لما انقضى خمسون عاماً حتى أصبح يطلق على جميع الصوفية بالعراق في مقابل « الملامتية » وهم الصوفية بخراسان ، ثم أخذ هذا الاسم يطلق بعد ذلك بقرنين على جميع أهل الباطن من المسلمين كما هو حالنا اليوم في إطلاق كلمة « صوفي » و « صوفية » . وفي غضون ذلك أصبحت لبسة الصوف ، أى صباغة من الصوف ، وما يرتح ، من أنصص أزياء المسلمين من أهل السنة . واستقبح هذا الزي حوالي عام ١٠٠ هـ (٧١٩ م) فقبل لأنه نصرائي دخیل في الإسلام ، وقد عابوا على فرقة السبخی تعليل الحسن البصري هذه اللبسة ، وروى الجويرارى عن النبي أحاديث لعلها من وضعه ، يستحب فيها ليس الصوف لرجال الدين .

٢ - أصول التصوف :

والتفسير الصوفي للقرآن والأحاديث الصوفية عن حياة محمد الباطنة التي لا تعلم عنها إلا القليل ، متأخرة في الزمن بعض الشيء حتى ليشك فيها ، على أن التزوع إلى التصوف ، وما خلاصته قطر من الأساطير أو أمة من الأمم ، لم يكن يعوز البلاد العربية الإسلامية في القرنين الأولين للهجرة ، فإذا ما استبدلتنا الأساطير المتأخرة ، فإذا نجد الجاحظ وابن الجوزي ، وهما من القباص ، قد حفظا لنا أسماء نيف وأربعين زاهداً عاشوا حقاً في ذلك

وهو أيضاً العهد الذى اشتجر فيه الخلاف جبهة ولأول مرة بين المتصوفة والفقهاء ، وسبق فيه أمام قضاة بغداد ذو التون المصرى عام ٢٤٠ هـ ، والنورى ، وأبو حمزة (مابن عاصم ٢٦٢ - ٢٦٩ هـ = ٨٧٥ - ٨٨٢ م) فى رواية ابن الجوزى : تلبس إبليس ، ص ١٨٣ (والحلاج -

٣ - شأن الصوفية فى الجماعة الإسلامية :

لم يكن المتصوفة الأول يتوقعون أن يصطبغوا بأولى الأمر فى الجماعة الإسلامية ، فهم إذا كانوا قد جئوا إلى العزلة وآثروا الفقر فذلك لكى يتقروا القرآن (تقرأ هو المرادف القديم لكلمة تصوف) بانفاس القربى من الله فى الصلاة و الواقع أن منشأ النزوع إلى التصوف هو ثورة الضمير على ما يصيب الناس من مظالم لا تقصر على ما يصدر عن الآخرين وإنما تنصب أولاً وقبل كل شيء على ظلم الإنسان نفسه : وتهترن هذه الثورة برغبة فى الكشف عن الله بأى وسيلة يقبها تصفية القلب من كل شاغل ، وهذا الذى نلمسه فى سيرة الحسن البصرى وفى عبره وعظاته (انظر Schaefer : *Id.* ، ص ١٤ ، ص ١ - ٧٧ ، *Burai* : Massignon ، ص ١٥٢ - ١٧٩) قد تجلّى فى السيرتين الرائعتين اللتين كتبهما المتصوفان الكبيران المحاسبي (الوصايا ، وقد نشرت ترجمتها فى Massignon ، ص ٢١٦ - ٢١٨) والقرنالى (المتقصد من الضلال ، وقد ترجمه Barbier de Meynard) وترجمان فيهما عن نفسيهما ، على

مركز القريتين على حدود أرض الجزيرة من صحراء العرب ، أحدهما فى البصرة والآخر فى الكوفة .

وكان العرب اللذين استوطنوا البصرة من بني تميم ، مقطوعين على التقدير لا يؤمنون إلا بالواقع ، كلّفوا بالمنطق فى النحو والواقع فى الشعر والنقد فى الحديث ، وكانوا على مذهب أهل السنة مع جنوح إلى المعتزلة والتكفيرية ، وكان شيوخهم فى التصوف الحسن البصرى المتوفى عام ١١٠ هـ (٧٢٨ م) ومالك بن دينار وفضل الرقاشى وربيع ابن عمرو القينى وصالحا المرقى وعبد الواحد ابن زيد المتوفى عام ١٧٧ هـ (٧٩٣ م) صاحب طاقة الزهاد فى عبادان .

لما العرب اللذين استوطنوا الكوفة فكانوا من الجمانية ، أصحاب مثل وتقاليد يستهيم الشواذ فى النحو ونحوها فى الشعر والظاهر فى الحديث ، وكانوا على مذهب الشيعة مع ميل إلى المرجئة ، وشيوخهم فى التصوف ربيع بن خيثم المتوفى عام ٦٧ هـ (٦٨٦ م) وأبو إسرائيل الملافى المتوفى عام ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) وجابر بن حيان ، وكليب الصيدلاوى ، ومنصور بن عمار ، وأبو العتاهية وعبدكك : وقضى منصور بن عمار وأبو العتاهية وعبدكك الشطر الثانى من حياتهم فى بغداد ، قصة الدولة الإسلامية التى ضمت مركز الحركة الصوفية بعد عام ٢٥٠ هـ ، وهو العام الذى بدأت تعقد فيه الاجتماعات والحلقات للتناظر فى شؤون الدين ، وتلقى فيه أولى الدروس الصوفية فى المساجد .

أما المعتزلة والظاهرية فيستكثرون المشق ، لأنه يقوم من الناحية النظرية على التشبيه ، ويقوم من الناحية العملية على الملازمة والحلول .

ولكن الواقع أن أهل السنة لم يقولوا بمروق المتكلمين من المتصوفة ، فقد دأب أهل السنة على الاحتذاء في معاملتهم وعبادتهم بالرسائل المشهورة التي ألفها ابن أبي الدنيا المتوفى عام ١٨١هـ (٨٩٤م) ثم يعيون التوحيات مثل كتاب « قوت القلوب » لأبي طالب المكي المتوفى عام ٣٨٦هـ (٩٩٦ م) وكتاب الإحياء للغزالي بصفة خاصة ، وكان قهواهم - الذين اشتدوا في الخط من شأن المتصوفة أمثال ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم - يقلدون الغزالي ويعملونه حجة في مسائل الأخلاق : وإتباع أصحاب قهواء أهل السنة المتأخرون جام غضبهم على مريدى ابن عربي لقولهم بالوحدة ، ولم يكن لغضبهم هذا أثر كبير . وقد شرح صاحب مذهب الرواية - ونحن نعلم مبلغ خصومته للمتصوفة - وصية المتصوف « شقيق » إلى « حاتم الأصم » ،

٤ - معنى الاتحاد وتطوره في تاريخ التصوف
كان التصوف في أول عهده يلوّح حول نقطتين : أولاها أن المكوف على العبادة يولد في النفس « فوائد » هي الحقائق الروحية ، وقد أنكر الحشويّة ذلك ، وثانيتهما أن علم القلوب يقف على النفس « معرفة » تنطوي على استبعاد الإرادة لتلقى هذه الفوائد ، وقد أنكر المعتزلة ذلك وقنعوا بمعرفة النفس معرفة نظرية .

أن ذلك لم يكن قد هدد بعد النظام القائم بالغا ما بلغ جور الحاكم ، ولكن الفقهاء والمتكلمين أنفطهم أن يروا أناسا يتحدثون عن نشدان الضمير ويحكمون إلى قضائه الباطن ، في حين أن شريعة القرآن تحاسب على الأعمال الظاهرة ومواقب الناس على آثامهم ولا حيلة لها مع اتفاق في الدين ، ولذلك حاولوا أن يبينوا أن حياة الصوفية لا عمالة مفضية بهم إلى الزيف ، لأنهم يقولون إن التبة مقدمة على العمل وإن السنة خير من القرض وإن الطاعة خير من العبادة .

وكان الخوارج أول الفرق الإسلامية التي أظهرت عدوانها للصوفية ، وهذا ياد فيما وقع للسنن البصري . ثم جاءت الإمامية (الزيدية والاثنا عشرية والغلاة) في القرن الثالث الهجري فأنكروا كل نزوع إلى التصوف لأنه يستحدث بين المؤمنين ضرباً من الحياة الشاذة (صوف ، خافقه) تتمثل في طلب الرضا من غير توسل بالأئمة الاثني عشر وطلب إمامة تناقض ما جروا عليه من تكيّة .

وأبطأ أهل السنة في بيان موقفهم وأجمعوا على إنكار التصوف ، ودحضه فريقان منهم : الحشويّة ، فابن حنبل يأخذ على التصوف أنه يفتى التفكير ويعصر أصحابه عن مظاهر العبادة ويميلهم على طلب الخلة مع الله فيستريحون إغفال القرائن ، وخشيش وأبو زرعة ، وهما عن تكلم لابن حنبل ، يجهلان المتصوفة طائفة من الزنادقة (الروحانية) .

« الفناء » وهو ضد البقاء » (انظر سورة الرحمن ،
 الآيتين ٢٦ ، ٢٧) ، والحرّاز لفظ « عين الجمع » ،
 والرمذى لفظ « الولاية » إلخ . وقد أتبع التصوف
 الإسلامى فى عهده الأول هذا السبيل فألقى بنفسه فى
 مزالق ما وراء الطبيعة التى عرض لها المتكلمون
 الأول وفى مسائل الجوهر القرد والمادبة والاتفاق ،
 وهى مباحث تنكر روحانية النفس بل بقاءها ،
 وتخطئ بين الوحدة الوجودية والوحدة العددية مما
 يبنى عليه بالضرورة أن تسلك المدرسة الصوفية
 الأولى فى زندقة الحلولية . فلو نظرنا إلى الكرامية
 اللذين يقولون إن الله شأننا فى خلق النفوس رأينا أن
 الأشعرية يأخذون عليهم إضافة الأعراض إلى
 الذات الأزلية ، وإذا نظرنا إلى السالكية الذين يميلون
 إلى القول بأن النفوس المقبلة على الله تستطيع أن تتصل
 بالحضرة الألهية ، وجدنا أن الحنابلة يميّزون عليهم
 اعتقادهم من ذكر الله سيلا إلى معرفته ، ثم إننا
 إذا نظرنا إلى الحلاكية رأينا أنهم يستدلون من خطاب
 الله فى حالة الوجد وما يعرض للعبد فى هذه الحالة
 من تغير يحصل فى أعماق نفسه ، على أن الله قد جعل
 له من أولياته شواهد ، وهذا رأى مردود لاستحالة
 ومناقاته للدين وتقليبه جسم الإنسان القافى على الذات
 الإلهية ، إذ ليس للذاتين أن تتحيزا مكاناً بعينه
 فى وقت واحد .

وتسربت الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامى ،
 وأخذ سلطانها يزداد . باطراد منذ أيام الأندلس
 القرامطة (انظر هذه المادة) القضاى والرازى الطيب
 إلى عهد ابن سينا ، وكان من نتيجة ذلك أن استحدثت

ويقول المصوفة إن فى علم القلوب قوة محرّكة ،
 وهو يبين السفر إلى الله وما فيه من مقامات وأحوال
 عدتها إثنا عشر ، كما يقولون إن بعض الفضائل
 يُكتسب وبعض الثوائد يُتخلّى كما هو الحال عند
 القديس يوحنا تلياقوس St. John Climacus
 والمصوفة - أمثال السراج والقشيري والقرائى -
 يخطفون فى ذكر المقامات والأحوال ، ولكنهم مع ذلك
 يكادون يجمعون على استعمال اصطلاحات مشهورة
 بينها مثل التوبة والصبر والتوكل والرضا .

وإذا صرفنا النظر عن خلافت المصوفة فى
 السفر إلى الله فإننا نجدهم قد وجهوا همهم بنوع خاص
 إلى تحديد الغاية القصوى التى هى تحقق النفس بعمرة
 الحق عندما يقطع المبدكل خلافتها بالبدن (والحق
 فقط استعمل منذ القرن الثالث الهجرى ، ولعله
 مستعار من الإلهيات المنحولة لأرسطو) : ولكن
 كيف السبيل إلى التعبير فى لغة أهل السنة عن هذه
 الحال الراقية التى تخاطب فيها النفس اقوى وأجدة ،
 وهى حال تثير موضوع « الشّطّخ » (انظر هذه
 المادة) التى لم تفصل بعد إلى رأى فيه ، وقد كانت
 رابعة والخامسة ويحيى الرازى أول من فتح الله عليهم
 بها .

ومن هنا لم يجد الصوفية بداً من الرجوع إلى
 الألفاظ التى استعملها الفقهاء لعهدهم ، فاستعاروا
 منها فى شتى المواطن مصطلحات حوروها بعض
 الشيء دون أن يحدوها لها معنى . ومن قبيل ذلك
 أن شقيقاً استعمل لفظ « التوكل » ، والمصرى وابن
 كترام لفظ « المعرفة » ، والمصرى واليسطامى لفظ

ونلاحظ أيضاً أن ابن سبعين « وهو من خلافة القائلين بالحادثة الحبة (Hylémorphiste) لا يرى في الله إلا الصورة أو مبدأ « الأئمة » في جميع المخلوقات .

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) يعلو العهد الثالث والأخير في تطور مذهب التصوف ، وأبرز مدارس الصوفية لهذا العهد هي المدرسة التي أطلق عليها خصوصاً اسم « الوحدة » أو « الوجودية » لأنها تدعو إلى وحدة الوجود ، ويؤمن أصحاب هذه المدرسة أن المذهب أصلاً قديماً ، فهم يؤولون آيات من القرآن (سورة البقرة ، الآية ١٠٩ ، سورة القصص ، الآية ٨٨ ، سورة ق ، الآية ١٥) بما يعزز مذهبهم ، كما يؤولون « كلام » الأشاعرة الأئمة في أن كل حال روحية إنما هي فعل من أفعال الله الصادرة عنه بلا واسطة ، ومبانيات التصوفة الأولى كاليسطاسي والحلاج (وقد جمع عين القضاة المحدثين في كتاب « التمهيدات » بعض هذه الأقوال ، ومنها كلمة « الوجود » المشتقة من الوجد ، واستعملها صاحب هذا الكتاب أيضاً بمعنى لباس الله مخلوقاته صفات في مقابل كلمة « كون » ومعناها وجود الله في مكان) . على أن مذهب الوحدة هذا مستمد في الواقع من التكررة التي عرضت منذ القرن الثالث الهجري ، وهي أن النور المحدث الذي قال به الأديرة المسلمون هو عين العقل الصالح الذي ظهر في العهد اليوناني المتأخر ، ولم يراً ابن رشد نفسه من التأثير بمذهب النقيض ، ذلك أنه قال في كتابه « تنهايات النهايات » إن ثبوت الأشياء

في القرن الرابع للهجرة مصطلحات ميتافيزيقية أدق من سابقها يفهم منها أن الروح والنفوس جواهر غير مادية ، وأن تحت معنى عامة وسلسلة من العلال الثانية وغير ذلك ، وأن هذه المصطلحات انتقلت بالإلهيات المنحولة لأرسطو وبمثل أفلاطون وفيوضات أفلوطين ، وقد كان لهذا كله أثراً بالغ في تطور التصوف . وحرار شيوخ الصوفية لهذا العهد بين ضروب ثلاثة في تفسير الاتحاد الصوفي تفسيراً فلسفياً :

(أ) فالإلهادية من ابن مسرّة وإخوان الصفا إلى الفارابي وابن قسي — يقولون إن الاتحاد هو تأليف معان بتأثير العقل الفعال (والعقل الفعال هو القبيض الإلهي ، والقبيض الإلهي هو النور المحدث عند القرامطة والسالية) على النفس المفعلة .

(ب) والإشراقية — من السهروردي الحلي والجليلندي إلى النوائف وصدر الدين الشيرازي — يقولون بتجوهر النفس وتألق النور الإلهي في إشراقات العقل الفعال .

(ج) والوصولية — من ابن سينا إلى ابن طفيل وابن سبعين — يترمون القول بأن النفس تصل إلى موافقة الحق ، ومن ثم تشع بوجود جامع لا تكثر فيه ولا تعدد ولا تفرقة بأي وجه من الوجوه ؛

ونلاحظ في هذا المقام أن الغزالي (مقاصد القلاسة ، ص ٧٤) أنكر رأى الإلهادية ، وهو رأى أقره ابن سينا في كتاب النجاة (القاهرة ، ص ٤٠٢ — ٤٨١) ورفضه في كتاب « الإشارات » (الفصل التاسع ، ص ١١٨ ، ابن عربي : التمهيلات) ؛

الله فيه : وهذا المذهب في التأمل الذي يجعل المشيئة الإلهية المكان الأرفع بالتقياس إلى الأمر التكليفي قد جرت الصوفية فيما جرم إلى القول بفتوة إبليس (وهو قول أئبدته الجيل) وفرعون الذي ورد ذكره في سفر الخروج (وهو قول مشهور من أقوال ابن عربي) :

٥ - ميات التصوف الأخرى ودراسة مصادره :

والخصائص الأخرى التي يمكن ملاحظتها في مذهب التصوف هي :

١ - الإسناد : ويؤمن الصوفية أنه يصل سلسلة شيوخهم بالنبي كما هو الشأن في الحديث ، وأقدم أسانيدهم المروقة (الهرست ، ص ١٨٣) إسناد البخلي المتوفى عام ٣٤٨ هـ الموافق ٩٩٩ م ، وهو يرفعه إلى النبي على الوجه الآتي :

جنيد (٧) السقطي (٦) معروف الكرخي (٥) قرقد (٤) الحسن البصري (٣) ثم أنس بن مالك (٢) وجاء الدقاق المتوفى عام ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) ، (انظر القشيري ، ص ١٥٨) بعده بعشرين عاماً فذكر شيوخه بترتيب الخلدي ولم يختلف معه إلا في ذكر الكرخي قبل داود الطائي (٤) ثم يذكر آخر الأمر الإسناد الذي عليه الجمهور والذي تحدثت طبقاته في القرن الثالث عشر الميلادي (ابن أبي أصيبعة : حيون الأبناء ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) وهو الإسناد الذي أعطته به جميع الطرق الدروانية الكبرى ، وذلك فيه بعد جنيد (٧) الروذباري (٨) .

في علم الله هو أرق درجات وجودها ، وإن النفوس يجب أن تتحد به على نحو ما يتحد عقل متفعل في العقل الفعال) وكان ابن عربي المتوفى عام ٦٣٨ هـ الموافق ١٢٤٠ م أول من صاغ أصول مذهب وحدة الوجود ، ويلاحظ ابن تيمية أن مذهب ابن عربي في جوهره هو أن وجود المخلوقات عين وجود الخالق ، وهو في الحقيقة يرى أن الأشياء تصلو ضرورة عن العلم الإلهي الذي ثبت فيه معانيها بفيض يتجلى على مراتب خمس ، وأن النفس تعود إلى الذات الإلهية الجامعة بتقلها من الكثرة إلى الوحدة تنقلا ترتبط ، مراحل ارتباطاً منطقياً . وفصل الفراغي والجيل هذا المذهب بعض التفصيل ، وما زال الصوفية المسلمون جميعاً يقولون بهذا المذهب ، وكثيراً ما نفى شعراء القرس العبارة السهلة التي صاغها القنوي ورتب بها آراء المطار على النحو الآتي : الله هو الوجود من حيث هو . كل لا يقوم بشيء ، وهذا الوجود هو الذي يفيض بالكائنات المشخصة كما يفيض البحر من تحت أمواجه ،

وفي نهاية القرن السابع عشر الميلادي آثار الكوراني والتاباسي نسخ أهل السنة لأنهما انتبها إلى أن مذهب وحدة الوجود هذا هو أصح ما تؤول به شهادة « أن لا إله إلا الله » في الإسلام (انظر Hallaj : Massignon ، ص ٧٨٤ - ٧٩٠) ، ذلك أنهما يذهبان إلى أن الشهادة التي يرى المسلمون أنها تثبت استقلال الله الواحد عن خلقه إنما تدل على اتصاله به اتصالاً مطلقاً . وإن جماع الموجودات بكل ما يصدر عنها من أفعال خلقية بأن تكون عجل يعبد

لجنة أهل الخصوص ، ويتفنون بكأس الحبة الى يديرها السائق (شمس اللير = ترسايه) عليهم مسترسلين في تلويحاتهم فيملكهم هيجان يخرج بهم عن الطور في كثير من الأحيان ، ومن هنا رأى غالب ثقل الغرب أن من الحكمة إغفال هذه التلويحات ،

وأشهر شواهد هذا الشعر في العربية : قصائد ابن الفارض والتستري ، وفي الفارسية رباعيات أبي سنيد ومثنويات المطار والروى المطولة (كقصيدة جلال الدين الرومي في الوحدة : من هناك ؟ .. إنه أنت .. إلخ .) وغزل حافظ وقصائد جاني الخفظة ، وأشهرها في التركية أشعار نيسمي وتيازي . وتألم هذا الضرب من الأدب في بلاد الأردو والملايو وبني بها إلى يومنا هذا ، ومع ذلك فلم يعد له أثر في الشرق الأدنى ، وينصرف عنه خاصة المسلمين المحدثين على الأيام ،

أما دراسة مصابح التصوف فإن الشقة بيننا وبين استكمالها ما زالت بعيدة ، وقد حار علماء الإسلاميات الأول في تحليل ذلك الخلط الكبير في العقيدة بين مذهب الوحدة الخالي ومذهب أهل السنة الصحيح ، فذهبوا إلى أن التصوف مذهب دخيل في الإسلام مأخوذ إما من رهبانية الشام (وهو رأى مركس Marx) وإما من أفلاطونية اليونان الجديلة ، وإما من زرادشتية القرص ، وإما من فيدا الهنود (وهو رأى جونس Jones) . وقد بين نيكولسون Nicholson أن إطلاق الحكم بأن التصوف دخيل في الإسلام غير مقبول ، فالحق

وأبو علي الكاتب أو الزجاجي (٩) والمغربى (١٠) والكركاني (١١) ثم يأتي قبل داود الطائي (٤) حبيب العجمي (٣) والحسن البصري (٢) وعلى (١) :

وقد بين ابن الجوزي والنهي أن الطبقات الأربع الأولى في هذا الإسناد منحولة لأن واحداً من هؤلاء لم يلق الآخر. وتصلح بعض الطرق الأخرى إسناداً تقدم فيه أئمة الشيعة التسعة الأول على معروف الكرخي ، وهو أيضاً إسناد ملق :

ب - طبقات رجال الغيب : ويزعم الصوفية أن العالم يلوم بقائه بفضل تدخل طبقة من الأولياء المستورين عددهم مخلود ، وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره ، ورجال الغيب هم : ثلاثمائة من النبلاء وأربعون من الأبدال ، وسبعة أمناء ، وأربعة عمد ثم التقط وهو الثوث .

ج - الرخص التي تقوم عليها حياة الصوفية العامة (انظر مادة « طريقة ») : والمالب أنها وخص لا نظير لها ولا حد لسلطانها ، وهي قديمة العهد ترجع إلى أيام البسطامي والشيلي وأبي سعيد ونهى بمجلوى العصر الحديث الذين يتفاوتون في القسوت والتحرز من التبعات : وينشد الصوفية في حلقاتهم أشعاراً خاصة ، وقد تخرج هذا الأدب الذي هو من خصائص الإسلام في كل مكان وغزر إنتاجه إلى حد بعيد ، ولكنه لا يخلو من جفوة وإملاط ، فهو يتوسل بتقوى البلاغة إلى إحداث ضرب من التواجد في نفوس المستمعين إليه ،

ويعده أصحاب هذا الأدب في لغة صوفية الخبير إلى حرمة الشرع في حله الدنيا وإدخرت

- ١٩٢٣ ، ص ٢٦٥ - ٢٩٢) بلكر المصادر الغربية التي يرجع إليها في دراسة التصوف ، وغير المصادر العامة التي أوردتها في بيانه المطول هي :
- (٧) *The Mystics of Islam* : R.A. Nicholson لندن سنة ١٩١٤ (٣) *Studies in Islamic Mysticism* ،
- كامبريدج سنة ١٩٢١ (٤) *The Idea of Personality* ، in *Sufism* ، ١٩٢٢ . وثبت مصادر يرجع إليها في بعض مسائل التصوف . فمن أصوله يرجع إلى أبحاث گولدسيهر Goldziher الدقيقة
- ٣١٤ ، (٦) *Wiener Zeitschrift für die Kunde* ، *Revue de l'histoire des Religions* ، ج ٣٧ ، ص ٤٤٤ (٧) *des Morgenlandes* ، ج ٩ ، ص ١٤٤ (٨) *Der Islam* : Massignon
- Essai sur les origines du langage technique de la mystique musulmane* ، باريس سنة ١٩٢٢ (٩) الكتاب نفسه
- La Passion d'al-Hallaj martyr mystique de l'Islam* ، باريس سنة ١٩٢٢ . ويرجع في شأن الغزالي إلى (١٠) *Algazel* : Asin Palacios ، سرقطة سنة ١٩٠١ وإلى (١١) *Cultura española* سنة ١٩٠٦ ، ص ٢٠٩ وإلى (١٢) *Mélanges de la Faculté Orientale* de Beyrouth سنة ١٩١٤ ، ص ٦٧ (١٣) *Obermann* : *Der philosophische und religiöse Subjektivismus* ، فيينا سنة ١٩٢١ ، ويرجع في شأن ابن القارض إلى (١٤) *Nallino* في رده على *Rivista degli studi orientali* في Di Matteo سنة ١٩١٩-١٩٢٠ . ويرجع في شأن ابن عربي إلى (١٥) *El místico Murciano Abenarabi* : Asin Palacios
- إننا نلاحظ منذ ظهور الإسلام أن الأنتظار إلى انحصارها بتصوفة المسلمين نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث وتقرئهما وتأثرت عما أصاب هذه الجماعة من أحداث وما حل بالأفراد من نوازل .
- على أنه إذا كانت مادة التصوف إسلامية عربية خالصة فيما لا يتخلو من فائدة أن نتعرف على الخصائص الأجنبية التي أدخلت عليه وتمت في كتفه . وهكذا استطاع الباحثون المحدثون أن يلمسوا في التصوف الإسلامي كثيراً من خصائص العكوف عند رهبان النصراني (ومن هؤلاء الباحثين آسين بالاثيوس Asin Palacios وفرنسك Wensinck وأنثويه T. Andrae) وطائفة كبيرة من المصطلحات الفلسفية اليونانية المثقولة عن السريانية ، ولم ندرس بعد شواهد المحسنات الإيرانية التي ساقها بلوشيه Bloche
- أما من حيث الخصائص السبكرية في التصوف الإسلامي (وهو قول هورتن Horten) فقد ذهب البيروني وداراشكوه إلى أن هناك تشابها بين الأوينشاد ألوياجسوترا وأنظار للتصوفة الأول ، ولم يبق بعد ما ساقاه من الأدلة إلا القليل ، ونجد من ناحية أخرى أن بحث المراحل التي أدت إلى إدخال « الذكر » في طرق الصوفية المحدثين (انظر مادة « طريقة ») تدلنا على تسرب بعض طرائق الهند إلى التصوف الإسلامي .
- المصادر :
- (١) عن G. Phänmueller حياطة فائقة في
- مصحف *Handbuch der Islamischen Literaturwissenschaft* (ليسكسنة

تعليق على مادة « التصوف »

١ - نشأة كلمة صوفي ، ومتصوف وأصلهما

١ - كان الإقبال على الدين والزهد في الدنيا غالباً على المسلمين في صدر الإسلام ، فلم يكونوا في حاجة إلى وصف يمتاز به أهل التقى والكوف على الطاعات والاعتقاع إلى الله ، ولم يتسم أفاضلهم في الجيل الأول بتسمية سوى صحبة رسول الله ، إذ لا أفضلية فوقها ، فقيل لهم الصحابة ، ولما أدركهم أهل الجيل الثاني سمي من صحب الصحابة بالتابعين .

فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجتج الناس إلى مخالطة لتلاحق الدنيا قيل للخواص ممن لم شلة عنابة بأمر الدين ، الزهاد والعباد :

ثم ظهرت الفرق الإسلامية ، فادعى كل فريق أن فهم زهاداً وعباداً ، هنالك انفراد خواص أهل السنة المقبولين على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة ، واشتهر هذا الاسم قبل الماتنين من الهجرة ، فهو اسم أحدث يعد عهد الصحابة والتابعين (١) .

ويقول بعض العلماء : إن هذا الاسم معروف في اللغة الإسلامية من قبل ذلك ، بل يلعب بعضهم إلى أنه لفظ جاهلي عرفه العرب قبل ظهور الإسلام .

(١) مقبلة ابن خلدون ، وكشف القناع عند الكلام على

معدود سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ في ثلاثة مجلدات ، ويرجع في شأن التصوف الحديث في القرن السابع عشر إلى : (١٦) *Journal Asiatique* von Kremer سنة ١٨٦٩ ، ص ١٠٥ ، ويرجع فيما يختص بمناهج التصوف النفسية إلى : (١٧) وثائق أفلاكي . ترجمة : HUART في *Les saints des derviches tourneurs* باريس سنة ١٩١٨ (١٨) D.B. Macdonald : *The Religious Attitude and Life in Islam* شيكاغو سنة ١٩٠٨ . ويرجع في شأن التصوف الأصلية إلى (١٩) الطبقات الجميلة التي قام بها نيكلسون Nicholson لكعب السراج والطار وابن عربي والروى ، وإلى ترجمة Richard Hartmann لكاتب القشيري وترجمة HUART لكاتب ديارشكوه في *Journal Asiatique* سنة ١٩٢٦ ، ص ٢٨٥ وإلى شروح Gardner على كتاب مشكاة الأنوار للقراني *Al-Ghazzali mishkat al-anwar* ، لندن سنة ١٩٢٤ ، وشرح Horten على السهروردي الحلبي *Die Philosophie der Erleuchtung nach Suhrawardi* هال ١٩١٢ ، وشرح كوبريلي زاده محمد فؤاد على المتصوفة الترك الأول : تورك أديانتندة ليلك متصوفتر ، إستانبول سنة ١٩١٩ وشرح Nyberg على ابن عربي *Kleinere Schriften des Ibn al-Arabi* ليندن سنة ١٩١٩ . إلخ (٢٠) وأمهات الكتب العربية في التصوف هي تواليف الحاسبي والمكي والقراني وابن عربي ، وهي كتب مشابهة له ، وانظر كذلك مصنفات المعارضين الكبيرين للتصوف وهما ابن الجوزي : تليس إيليس ، طبعة القاهرة سنة ١٣٤٠ هـ ، وابن تيمية .

[ماسينيون Louis Massignon]

٨٠٦ هـ (١٤٠٦ م) في مقدمته ، أم كان هذا التعبير معروفاً في الإسلام قبل القرن الثاني ، أم كان لفظاً جاهلياً على ما ذكره صاحب « اللع » الذي يحاول أن يبرئ الصوفية من انتحال اسم مبتدع لم يعرفه الصحابة ولا التابعون .

ويقول ابن تيمية في رسالته « الصوفية والفقراء » :

« أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك . وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل (١) وأبي سليمان الداراني (٢) وغيرهما ، وقد روى عن سفیان الثوري أنه تكلم به ، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري »

أما الأستاذ ماسينيون Louis Massignon فيقول في كتابه :

Recueil de textes inédits concernant l'Histoire du Mystique en pays d'Islam المطبوع سنة ١٩٢٩ بباريس ، عند كلامه على عبادة للصوف المتوفى حوالى سنة ١٢٠ هـ الموافق ٨٢٥ م :

« صاحب عزلة بفنادى ، وهو أول من لقب بالصوفي ، وكان هذا اللفظ يرمز تدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة ، وظل رهن من التأثيرين بالإسكندرنية . وقد بعد من الزنادقة بسبب امتناعه عن أكل اللحم ، ويريد الأستاذ أول من لقب

قال أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) في كتاب « اللع » في التصوف : « وأما القائل إنه اسم محدث أحدثه البغداديون فحال ، لأنه في وقت الحسن البصري (١) كان يعرف هذا الاسم ، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورخصي عنهم ، وقد روى عنه أنه قال : (رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال : متى أربعة دنانير فيكفيني ما معي) .

« وروى عن سفیان الثوري (٢) رحمه الله أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي (٣) ما عرفت دقيق الزيادة » وقد ذكر في الكتاب الذي جمع أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار (٤) وعن غيره ، يذكر فيه حديثاً : إن قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوف فيطوف بالبيت ويتصرف : فإن صح ذلك يدل على أن قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم ، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصالح والله أعلم » .

فاستعمال لفظ صوفي ومتصوف لم ينتشر في الإسلام إلا في القرن الثاني وما بعده ، سواء أكان هذا التعبير عن الزاهد « بالصوفي » حدث في أثناء المائة الثانية كما هو رأى ابن خلدون المتوفى عام

(١) المتوفى سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) .

(٢) المتوفى سنة ١٦١ هـ (٧٧٧ م) .

(٣) المتوفى سنة ١٠٥ هـ (٧٢٢ م) وقيل أنه أول من سمي

بالصوفي .

(٤) المتوفى سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) .

(١) المتوفى سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥ م) .

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن حنبلية الزاهد المتوفى بسنة

٢١٥ هـ (٨٢٠ م) .

وقد جاء في « الرسالة مع شرحها » لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م) :

« وليس يشهد بهذا الاسم من حيث العربية قياس بين ولا اشتقاق كذلك لأن مصدر « صفا » صفو يتأخّر حرف العلة عن الفاء ، والأظهر فيه أنه غير مشتق بل هو جامد كالقلب » .

ومن قائل إنه مشتق « من الصفاء أو الصفو » والمراد صفو قلوب أهل التصوف وانشراح صدورهم ورضاهم بما يجريه الله عليهم ، ثم انضم مع الله في صفا لا يشوبه شاذل ، وهم بما أطلعهم الله عليه قد صفوا من كدر الجهل ، قالوا : وكان في الأصل صفوى فاستقل ذلك قبل صفوى » .

ومن قائل : إن اللفظ مأخوذ من « الصوف » لأن لباس الصوف كان يكثر في الزهاد ، قال صاحب النسخ : « فلما أضيقهم إلى ظاهر اليبسة كان ذلك اسماً مجعلاً عامياً . مخبراً عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة ، ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اليبسة فقال هز وجل : « وإذ قال الحواريون » الآية ، وكانوا قوماً يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ، ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها مرمسين ، فلكذلك الصوفية جنساً والله أعلم نسوا إلى ظاهر القياس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مرمسون ، لأن لباس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصدّيقين وشعار المساكين المتفكرين ، وقيل في تسمية أصحاب

بالصوفي في بغداد كما يؤخذ مما نقله في نفس الكتاب من المصنف ، ونصه :

« ولم يكن الصالكون لطريق الله في الأعصار السالفة والقرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة ، وإنما الصوفي لفظ اشهر في القرن الثالث ، وأول من سمي ببغداد بهذا الاسم عبيد الصوفي ، وهو من كبار المشايخ وقدمائهم ، وكان قبل بشر بن الحارث الحافى والسري بن القاس السقطي » .

ويقول ماسينيون في المادة التي نحن بصددها ما خلاصته :

« وورد لفظ الصوفي » لقباً مفرداً لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد إذ نصت به جابر بن حيان ، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة له في الزهد مذهب خاص ، وأبو هشام الكوفي الصوفي المشهور » .

« أما صيغة الجمع « الصوفية » التي ظهرت عام ١٩٩ هـ (٨١٤ م) في خبر فتنة قامت بالإسكندرية فكانت تدلّ قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي يكاد يكون شيعياً نشأ في الكوفة وكان عبّيدك الصوفي آخر أئمة ، وهو من القائلين بأن الإمامة بالتعيين ، وكان لا يأكل اللحم ، وتوفى ببغداد حوالي عام ٢١٠ هـ (٨٢٥ م) وإذن فلكلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة » .

٢ ... أما أصل هذا التعبير فالأقوال فيه كثيرة : فمن مرجح أنه لفظ جامد غير مشتق « كالتعبري » المعزى عام ٤٦٥ هـ الموافق ١٠٧٣ م ،

وهم أقوال ضعيفة آخر ، كالقول بأن الصوفى نسبة إلى الصف الأول ، لأنهم فى الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة والمتابعة وارتفاع الهمة مع الله تعالى والقرب منه ، أو لأنهم كانوا أسرع الناس إلى الصف الأول فى المساجد عند الصلاة ،

وكانقول بأنهم منسوبون إلى صوفة القفا ، أى ما يتلى فى قرة القفا من شعر يرسلونه متبلياً مشعناً كالصوف . وفى الأساس « صوفة قفا زغباء . وقيل الشعر السائل من الرأس » ، أو منسوبون إلى صوفة بن مروان بن أد بن طائفة ، هكذا جاء فى كتاب جلاء العينين ، والذى فى القاموس وشرحه واللسان :

« وصوفة أبو حى من مضر وهو الثوث بن مر ابن أد بن طائفة بن إلياس بن مضر ، كانوا يخلعون الكعبة فى الجاهلية ويجرون الحاج أى يفيضون بهم ، وكانت العرب إذا حجت وحضرت عرفة لا تدفع منها حتى يدفع بها صوفة »

وسمى الثوث بصوفة لأن أمه جعلت فى رأسه صوفة وجعلته ريطاً للكعبة يخلعها ، وقيل صوفة اسم لقبيلة اجتمعت من أفناء قبائل »

وأرجح الأقوال وأقربها إلى العقل : ملقب القائلين بأن الصوفى نسبة إلى الصوف ، وأن المتصوف مأخوذ منه أيضاً ، فيقال تصوف إذا ليس الصوف كما يقال قمص إذا ليس القميص ، فلهذا القول وجه سائق فى الاشتقاق ، وهو غثار كبار الطماء من الصوفية مثل صاحب النبع وشارح

عيسى عليه السلام بالحوارين ، إنهم كانوا قصارين يسلون الثياب ، أى يحورونها ، وهو التنيض .

وقال قائلون: إن الصوفية نسبة إلى الصفة^(١) التى ينسب إليها كثير من الصحابة ، فيقال أهل الصفة ، وأهل الصفة هم زهاد من مهاجرى الصحابة قراء غرباء ، كانوا صبيين ويقلون حيناً ويكثرون لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد يسكنون صفة المسجد ، وهو موضع مظلل فى مسجد المدينة .

لكن النسبة إلى الصفة لا تجيء على الصوفى ، بل على الصفتى :

(١) وجه فى رسالة أهل الصفة لأين حميدة : مجموعة الرسائل والوسائل ج ١ ، ص ٢٦ - ٢٠ .

« أما الصفة التى ينسب إليها أهل الصفة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فكانت فى فخر مسجد النبى - سلم - فى شمال المسجد بالمدينة النبوية كان يأوى إليها من قراء المسلمين من ليس له أهل ولا مكان يأوى إليه .

ويكثر المهاجرون إلى المدينة من الاقبياء والقراء والأعلمين والمواهب فكان من لم يتيسر له مكان يأوى إليه يلقى إلى تلك الصفة التى فى المسجد ، ولم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون فى وقت واحد بل منهم من يتأهل أو ينتقل إلى مكان آخر يتيسر له ويجهه ناس بعد ناس وكانوا تارة يكثررون وتارة يقللون ، فتارة يكونون عشرة أو أقل وتارة يكونون خمسين وثلاثين وأكثر وتارة يكونون مائة وسبعين .

وأما جملة من أوى إلى الصفة من الصحابة مع تفرقهم فقد قيل كانوا نحو أربعمائة من الصحابة وقد قيل كانوا أكثر من ذلك .

« وكان قراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند انكاث الاكتساب الذى لا يصدمهم مما هو أوجب أو أصعب إلى الله من الكسب . وأما إذا أحصروا فى سبيل الله من الكسب فكانوا يقدمون ما هو أقرب إلى الله ويرسلوه »

وكان أهل الصفة شريف الإسلام يبيت اليهم النبى - صلى الله عليه وسلم - بما يكون منه ، وإن الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يفعلون عليه هم الكسب بما يحتاجون إليه من الرزق » .

« وقال سفيان : كتب ابن منبه إلى مكحول :
إنك مروءة أصبحت فيما ظهر من علم الإسلام
شرفاً ، فأطلب ما ينمى من علم الإسلام عند الله
محبة وزلفى ، واعلم أن إحدى عجيب سوف ننع
منك الأخرى » .

وقد ذكر ابن تيمية في رسالته « الصوفية والفقهاء » :
« إن الأمور الصوفية التي فيها ريادة في العبادة
والأحوال خرجت من البصرة ، فافترق الناس في أمر
هؤلاء الذين زادوا في أحوال الزهد والورع والصادقة
على ما عرف من حال الصحابة ، فقوم بلمنهم
وينتصونهم وقوم يجعلون هذا الطريق من أكمل
الطرق وأعلها ، والتحقيق أنهم في هذه العبادات
والأحوال يجهلون كما كان جيرانهم من أهل الكوفة
يجهلين في مسائل القضاء والإمرة ونحو ذلك » .
وزاد ابن تيمية هذا الرأي يائماً قال :

« وإذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة ،
وأنه كان فيها من يسلك من طريق الصادقة والزهد
ماله فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من
طريق الفقه والعلم ماله فيه اجتهاد ، وهؤلاء نسبوا إلى
اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف قليل في أحد
صوف ، وليس طريقهم مقبلاً بلباس الصوف ولا هم
أوجبوا ذلك ولا عقروا الأمر به ، لكن انشبهوا إليه
لكونه ظاهر الحال » .

« وكلام ابن تيمية يشير إلى ما بين التصوف والفقه
من الصلة » .

« واقسم علم الشريعة إلى قسمين : علم يدل
ويدعو إلى الأعمال الظاهرة التي تجري على الجوارح

الرسالة الشريعة » ، ومن غيرهم كابن خلدون وابن
تيمية ، وجمهرة الصوفية يميلون إلى رد اسمهم إلى
الصفاء وإن لم يكن لذلك وجه ظاهر في تواضع اللغة .
ب - أساس التصوف وما مر به من الأدوار .

أطلق لفظ الصوفي والتصوف نادى الأمر
مراحلاً للزهد والمعاد والفقير ، ولم يكن لهذه الألفاظ
معنى يزيد على شدة العناية بأمر الدين ومراعاة
أحكام الشريعة^(١) ، فإن الفقر والزهد وليس الصوف
مظهر ذلك » .

« وكانت أحكام الشريعة تتلى من صدور الرجال
لا فرق بين عبادتها ومعاملتها وعقائدها ، ثم
تحدث الناس في الأمور الدينية حل نظام علمي ،
ونشأ التدوين فكان أول ما توجهت إليه العلم
وانصرفت إليه الأفكار علم الشريعة بمعنى الأحكام
العملية حتى لحسب الناس أن الاشتغال بهذا العلم
والعمل به هو غاية الدين » .

« هناك تطور معنى التصوف إلى ما يناسب
الكمال في الدين الذي وضع له القبط أولاً وأدى
هذا الطموح إلى نشأة علم ديني إلى جانب العلم الفقهي
وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر
يوسف بن عبد البر القزويني القزويني المتوفى سنة

٤٦٣ هـ :

(١) وفي رسالة القسيري من أبي حمزة البغدادي : ملازمة
الصوف الصالح أن يتصرف به الفنى ويبدل به المنة ويصنع
بمد الشهرة »

على تفاصيل أحكام الإرادة وهي حركة القلب، ولهذا سعى علم الباطن كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ، ولهذا سعى علم الظاهر ، وبذلك يتبين أن أولى خطوات التصوف في سبيل التكون العلمى كانت عبارة عن نشأة علم الأخلاق الإسلامى .

وهذا التدرج في معنى التصوف طبيعى بسيط لا تبدل فيه دلائل تأثير خارج عن العبادات الإسلامية ولا جهد المتكررين في فهم معانيها وآثارها الروحية واتصالها بالقلوب :

ثم اتسعت أنظار الباحثين في العلوم الدينية ودقت وترامت همهم إلى الكلام في أصول الدين بقولهم، ولعلقت أذواق المراقبين منهم على العبادات وحركات القلوب ، فأخذ التصوف يتساقى إلى نظرية خاصة في المعرفة وسبيل الوصول إليها ، وهذه النظرية على ما بينه الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين هي : « السعادة التي وعد الله بها المتقين هي المعرفة والتوحيد ، والمعرفة هي معرفة حقيقة الربوبية المحيطة بكل الموجودات ، إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ، والكون كله من أفعاله »

« فما يتجلى من ذلك القلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ، وتكون سعة نصيب الإنسان من الجنة بحسب شدة معرفته وعقده ما يتجلى له من الله وصفاته وأفعاله ، وإنما مراد الطاعات كلها وأعمال الجوارح

تصفية القلب وتركيبه وجماله .

والأعضاء للجسمية وهي العبادات كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم إلى آخره ، وأحكام المعاملات كالخنود والزواج والطلاق ، والعتق والبيع والقرائن والقصاص ، وسعى هذا العلم علم الفقه وهو مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا في العبادات والمعاملات .

والثاني — علم يدل على الأعمال الباطنة ويدعو إليها ، والأعمال الباطنة هي أعمال القلوب ، وسعى هذا العلم الثاني علم التصوف ، وسعى المتصوفون أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن ، وسعوا من عندهم أهل خواهر وأهل رسوم :

وأهل الرسوم طائفتان : القراء ، والفقهاء ، فالقراء هم أهل التنسك والتبذير سواء أكانوا يقرءون القرآن أم لا يقرءون ، وهم مقتصرون على ظاهر العبادة دون أرواح المعارف وأعمال القلوب .

والفقهاء هم المشتغلون بالفتيا وعلوم الشريعة ، وهؤلاء وهؤلاء عند الصوفية أهل رسوم ، ففرق مع رسوم العلم ، وفرق مع رسوم العبادة .

والتصوف في هذا اللون عبارة عن الأخلاق الدينية وسبيل العبادة :

قال ابن القيم (١) في « مدارج السالكين » : « واجتمعت كلمة التاطقين في هذا العلم أن التصوف هو الحق » :

وقال في موضع آخر : « إن هذا العلم مبنى على الإرادة فهي أساسه وجمع بنائه ، وهو يشتمل

وأصل المجاهدات كلها الطاعة والإخلاص ،
ويتضمنها الإيمان ويصاحبها ، وتنشأ عنها الأحوال ،
والصفات نتائج وثمرات ، ثم تنشأ عنها أغوار
وأخرى إلى مقام التوحيد والرفقان :

ولابد للمريد من الترقى في هذه الأطوار النفسية
للمنة بلسان أهل التصوف المقامات أو المنازل
والأحوال . وللصوفيين اختلاف كثير في عدد
المقامات وترتيبها ، كل يصف منازل سيره وحال
سلوكه ، ولم اختلاف في بعض منازل السير ، أهي
من قسم المقامات أم من قسم الأحوال ؟ كما اختلفوا
في الرضا أهي مقام أم حال ؟ بل لاهم ليخطفون في
الفرق بين المقام والحال ،

فالمقام يفتح الميم هو في الأصل موضع القيام
ويضمها موضع الإقامة ، وقد يكون كل منهما بمعنى
الإقامة بمعنى القيام ، والمقام بالفتح والضم ما يتحقق
به المريد من الصفات المكتسبة بالرياضة والعبادة
كمقام الخوف من الله الذي يحصل بترك الكبائر ،
فالصنائع ، فالكروهات ، فالشبه ، فالتوسيع
في الحلال إلى أن ينتهي إلى ترك كل ما يشغل عن الله ،
والحال معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا
اجتلاب كالطرب والحزن والشوق والهيف والأحوال
مواهب ، والمقامات مكاسب بمواهب ، لأنها إنما
تنال بالكسب مع الموهبة ، والعبد بالأحوال يترقى
إلى المقامات ، ولا يلوح له حال من مقام أعلى من
مقامه إلا وقد قرب ترقيه إليه ، ولين المريد أن
يتشوف إلى مقام فوق مقامه ما لم يستوف أحكام ذلك
المقام وأحواله .

وهذه المعرفة تحصل للإنسان من وجهين :
أحدهما : طريق الاستدلال والتعلم ويسمى
اعتباراً واستنبصاراً ويختص به العلماء والحكماء ،
والثاني : مالا يكون بطريق التعلم ولا الاستدلال ،
ولكنه يهجم على القلب كأنه أتى فيه من حيث لا
يلدرى :

وهو ينقسم إلى ما لا يلدرى : البدي كيف حصل
له ، ومن أين حصل ، وإلى ما يطالع معه على السبب
الذي استفاد منه ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك
الملقى في القلب ، على أنه في الحالين موثق بأن العلم
جاءه من الله ، والعلم في الحالين بواسطة الملك ،
فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملك ،

والأول يسمى إلهاماً وفتياً في الروح ، ويختص
به الأولياء ، والثاني وحياً ويختص به الأنبياء ،
وأهل التصوف يؤثرون العلوم الإلهامية دون
التعليمية ، ويعلمونها المعرفة الحقيقية والمشاهدة
اليقينية التي يستحيل معها إمكان الخطأ ،

ولذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل
ما صنفه المصنفون ، والبحث عن الأقاويل والأدلة ،
بل قالوا إن الطريق إلى تحصيل تلك الدرجة بتقديم
المجاهدة ، وهو الصفات المأمومة ، وقطع العلائق
كلها ، والإقبال بكنه المهمة على الله تعالى : فطريق
الصوفية يرجع إلى تطهير محض ونصقية وجلاء
وعجاسة للنفس ثم استبصار وانتظار لتجليه ،

والمريد في مجاهدته وجهاداته لا بد أن تنشأ له
عن كل مجاهدة حالة نفسية نتيجة لتلك المجاهدة ،

ومهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات ، والمقامات نتائج الأعمال ، فكل من كان أصليح عملاً كاد أهلى مقاماً ، وكل من كان أهلى مقاماً كان أحفظ حالاً .

ويقول صاحب اللمع : « إن معنى المقام مقام العدد فيما مقامه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانتقطاع إلى الله عز وجل ، أما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب أو يحل به القلوب وليس الحال من طريق المجاهدات والرياضات كالقمامات » . أما ابن القيم في كتاب «مدارج السالكين» فيقول :

« والصحيح أن هذه الواردات والمنازل لها أسماء باعتبار أحوالها ، فتكون لواعم وبولرق ولوائح عند ظهورها وبعدها كما يلمع البارق ويلوح على بعد ، فإذا تازلتها وباررها فهي أحوال ، فإذا تمكنت منه وثبتت له عن غير اتصال فهي مقامات ، وهي لواعم ولوائح في أولها ، وأحوال في أوسطها ، ومقامات في نهاياتها . فاللذي كان بارقاً هو بعينه الحال ، والذي كان حالاً هو بعينه المقام ، وهذه الأسماء له باعتبار تعلقه بالقلب وظهوره له وثباته فيه » .

كان التصوف طريقاً من طرق العبادة يتناول الأحكام الشرعية من ناحية معانيها الروحية وآثارها في القلوب ، فهو يقابل علم الفقه الذي يتناول ظواهر تلك العبادات ورسومها ، ثم انتقل التصوف فأصبح طريقاً للمعرفة يقابل طريق لرباب النظر للتكلمين .

قال الغزالي (١) في الإحياء : « إن للإيمان والمعركة ثلاث مراتب : المرتبة الأولى ، إيمان العوام وهو إيمان التقليد الخصب ، والثانية إيمان المتكلمين ، وهو بمزيج بنوع استدلال وذووجه قريبة من درجة إيمان العوام ،

« والثالثة : إيمان العارفين ، وهو المشاهد بنور اليقين » .

وكما كان الصوفية خصوم الفقهاء في الدور الأول ، أصبحوا خصوم للتكلمين أهل النظر في هذا الدور .

ولعل علم التصوف إنما صار علماً ملوثاً في هذا الدور ، وصار موضوعه ما يوصل إلى درجة العرفان من أنواع المجاهدات وما ينشأ عنها من الأدواق والمواجد التي هي المقامات والأحوال ، وقد جعلت للقوم عبارات يدلون بها على ما اكتشفوا من دقائق المعاني ففهموا علمهم أيضاً شرح هذه الاصطلاحات ، وكثرت أسماء هذا العلم فسمى علم القلوب ، وعلم الأسرار ، وعلم المعارف ، وعلم الباطن ، وعلم الأحوال والمقامات ، وعلم السلوك ، وعلم الطريقة ، وعلم المكاشفة .

وإذا كان غير منكور أن التصوف في هذا الدور لم يحل من تأثر ببعض ما وصل إلى المسلمين من معارف الأمم القديمة ، فإن لا يزال نجد الصيغة

١ - المجاهدات وما يحصل عنها من الأنواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحصيل تلك الأحوال والرقى منها إلى غيرها :

٢ - الكلام في الكشف والحقيقة المدركة

من عالم الغيب مثل الصفات الربانية ، والعرش والكرسى ، والملائكة والروح ، وحقائق كل موجود غالب أو شاهد وترتيب الأكران في صدورهم عن موجد لها .

٣ - التصرفات في العوالم والأكران بأنواع الكرامات :

٤ - ألقاظ موهبة الظاهر صلوات من كثير من أئمة القوم يعرفون عنها اصطلاحهم بالسطحات ، والسطح لفظة مأخوذة من الحركة يقال يسطح إذا تحرك ، وهو عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته وهاج لشدة غليانه وغلبته ، فهي حركة أسرار الوجدان إذا قوى وجدهم فعبروا عن وجدهم بعبارة يستغربها سامعها ، ومن ذلك ما يروى عن أبي يزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٦١ هـ (٨٧٥ م) أنه قال : « رفعت مرة فأقامت بين يديه وقال لي : يا أبا يزيد إن خلقى يحبون أن يروك ، قلت : « زيني بوجدانيك ، وألبسني أنايتك ، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأيت خلقك قالوا ربناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك » :

وحكى عنه أيضاً أنه قال : « أول ما صرت إلى وجدانيته فصرت طيراً جسمه من الأحذية وجناحه من الديمومة ، فلم أزل أطيّر في هواء الكيفية

الإسلامية غالة في هذا العلم الوليد ، ولا نستطيع أن نقول مع كولدنسبر : « وكذلك يجب عند النظر في التصوف نظراً تاريخياً تقدير النصيب المندى الذي ساهم في تكون هذه الطريقة الدينية المتولدة من المذهب الأفلاطوني الجديد » .

ثم انصرفت عنابة قوم من المتأخرين لكشف حجاب الحس الذي هو نهاية مراتب الصوفية ، ولما واد ذلك من المدارك والمعارف ، واختلقت طرقتهم في الرياضة والمجاهدة وإماتة القوى الحسية وتنقية الروح العاقل بالعبادات والتذكر ، وتعرضوا للكلام في حقائق الموجودات العلوية والسفلية على وجه لا يفهمه من لم يشاركهم في أنواقهم ومواجدهم . ثم قالوا : إن أمل المجاهدة يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها ، ويتصرفون بهمهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية ، وتصبح طوع لإرادتهم ، وتوغلوا في ذلك كله متأثرين بمذاهب الإسماعيلية ، واختلط كلامهم ، وتشابهت عقائدهم ، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ، ومعناه رأس المارفين ، وهو بعينه ما نقوله الراضة . وبلغ تأثير هذه المذاهب المفرقة من مذاهب التشيع أنهم لما أرادوا أن يجعلوا لباس غرة التصوف أصلاً لطريقتهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه ، ثم يقول ابن خلدون : « ولم يختص علي من بين الصحابة بطريقة في لباس ولا حال » .

هناك حدث تطور جديد في موضوع علم التصوف ، فأصبحت كتب القوم تتناول أربعة أبحاث :

ثم حدثت العلوم الدينية ، وأقبل الناس على
التفقه يتنافسون في تدارسه وفي العمل بأحكامه ،
فأصبح الكمال الديني الذي يعبر عنه المتصوف شيئاً
وراء ما يدعو إليه الفقهاء ويسرفون إليه بجهودهم ،
هو صفاء القلب وتأثره بالعبادة وحسن الخلق (١) .

ولما نشأ البحث في العقائد والتامس الإيمان من
طريق النظر أو النصوص المقدسة وتوجهت هم
المسلمين إلى التماس المعرفة على أساليب المتكلمين ،
أصبح الكمال الديني التماس الإيمان والمعرفة من
طريق التصفية والمكاشفة وأصبح عبارة عن بيان
هذه الطريق وسلوكها (٢) .

وشاعت بعد ذلك أقاويل الفلاسفة والمتكلمين
في الصانع وصور الموجودات عليه السلام وما إلى ذلك
من حوالم الأرواح وشؤون الآخرة ، فتكلم الصوفية
في كل ذلك على منهجهم الذي لا يعتمد على نظر
ولا على نص ولا معرفة إلا من ذاق ما ذاقوا ، وهم
يرون ما تكلموا به حق اليقين الذي لا يقبل شكاً
ولا يلحقه بطلان ولا يدركه إلا من بلغ رتبة العرفان ،
مثل ابن الجلاء ما معنى قولهم صوفي ، فقال : ليس

عشر سنين حتى صيرت إلى هواء مثل ذلك .مائة ألف
ألف مرة ، فلم أزل أطيع إلى أن صيرت في ميدان الأزلية
فرأيت فيها شجرة الألفية ، ثم وصف أرضها وقرعها
وأغصانها وثمارها ، ثم قال : فظنرت فعلمت
أن هذا كله خدعة :

ولا ين عرف :

عقد الخلائق في الإله عقائدا

وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

والغلاة من متأخري المتصوفة المتكلمين بالمواجد
خططوا مسائل الكلام والفلسفة الإلهية بفهم ، مثل
كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول ووحدة
الوجود :

ولما كانت حكمة الإشراق أو الحكمة اللدنية
هي من الفلسفة عترة المتصوفة من العلوم الإسلامية ،
وكان السالكون طريقة الرياضة والمجاهدة لمعرفة
المبدأ والمعاد إن واقتوا في رياضتهم أحكام الشرع
فهم الصوفية وإلا فهم الحكماء الإشرافيون :

لما كان الأمر كذلك سهل التذاني بين التصوف
والفلسفة ، وفتحت له الأبواب في هذا البور :

والتأمل في هذه الأكوام التي تداولت التصوف
يلاحظ أن اللفظ استحدث أول الأمر للعبارة عن
معنى الكمال بالتسك بالشرع والزهد في الدنيا
حينما أخذ الناس في مخالطة الزخارف الدنيوية وكاد
يعطى حب المال على ما حرصه الدين في النفوس من
الورع ، فكان الصوفي مخالفاً للجاني بقره وورعه ،
على حين يلتزم غيره المال ويطمع في الفنى .

(١) قال ابن العربي : التصوف خلق لمن راد عليك في الخلق
راد عليك في الصفاء .

وقالوا : علم السلوك هو معرفة النفس ماله وما عليها من
الوجدانيات ويسعى بطريق الاخلاق وعلم التصوف والوجدانيات
هي الاخلاق الباطنة والملكات النفسية .

(٢) وقد قالوا : ان علم المكاشفة يسمى بطريق اليقين
وهو التصوف ، عبارة عن نور يظهر في القلب منذ نظيره وبزكته
من صفاته المسمومة وينكشف بذلك النور أمور كثيرة وتتمثل
المعرفة الحقيقية ببلات الله سبحانه وصفاته الباطنية والباطنة
ويستكنه في خلق الدنيا والآخرة .

نعرفه في شرط العلم ولكن نعرف أن [الصوفي] من كان قديراً مجرداً من الأسباب وكان مع الله بلا مكان ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان (١) ، فالنصوف نشأ معبراً عن المثل الديني الأعلى ، وظل في أدواره كلها يعبر عن ذلك المثل غائلاً ما عليه العامة ، غائلاً القراء والفقهاء وأهل السنة والمتكلمين والمفلسين متعرضاً لعداوتهم واضطهاداتهم من غير أن تخرجهم العلل والاضطهادات عن حدود الحب والتسامح ؛

٣ - الولاية وصلتها بالتصوف وكرامات الأولياء .

١ - اسم ولي مأخوذ من قوله تعالى : « الله ولي الذين آمنوا »

وقوله : « وهو يتولى الصالحين »

وقوله : « أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »

وقوله : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم »

وقوله : « إنما وليكم الله ورسوله »

وقوله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون »

ومادقولي ما يرجحه أئمة المفسرين - كالطبري والبخاري والرازي - تدل على معنى القرب ، فولي كل شيء هو القريب منه في الله ، والقرب من الله بالمكان والجهة محال ، فولي الله من كان قريباً منه بالصفة التي وصفها الله ، أي الإيمان والتقوى ،

وإذا كان العبد قريباً من حضرة الله بسبب كثرة طاعته وكثرة إخلاصه ، وكان الرب قريباً منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية .

فالتصوف كان وحده من بين معترك المذاهب تسامحاً صرفاً وسلاماً في كل ما مر به من الأدوار ؛

والصوفي - كما قال أبو تراب النخعي - لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء ؛

وقد اتلبد على المتأخرين من الصوفية في ما أشرنا إليه من مقالاتهم كثير من الفقهاء وغيرهم ، واشتدوا في النقد حتى شملوا بالنكير كل ما وقع للمتصوفة في طريقهم ، وأكثر ما تناوله الأخذ والرد بين الباحثين هو موضوع الكرامات للأولياء ؛

فحق أن نعرض للولاية وصلتها بالتصوف ، ثم نتكلم في كرامات الأولياء ، ولا بد أن نصرح قبل

(١) قال ابن خلدون في سنة ٣٧١ هـ - ٩٨٢ م : سألت يوماً بين صنف من التصوف فقال : يا بني التصوف إلقاء التامسجية وهدوء الانحسية فقلت لذي رحمه الله فقال لا يصحى الله أن كان في ذلك مراد .

إلى مرتبة العرفان عن الطريق الموصلة إلى تلك المرتبة في رأيهم ، وهو العارف أيضاً ،
والواصل إلى درجة العرفان تتكشف له الحجب ويشهد من علم الله ما لا يشهده سواه ، وتظهر على يديه الكرامة التي هي أمر خارق للعادة .

٢ - وجملته القول في كرامات الأولياء أن أكثر الأشعرية أجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله لم اختراع الأجسام وقلب الأعبان وجميع إحالة الطوائف وكل معجز للأنبياء ، وقالوا إنه لا فرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء إلا بالتحديث مع دعوة النبوة ، فإن النبي يتحدث الناس أن يأتيوا بمثل ما جاء هو به .

ويقول أكثر الصوفية : إن ظهور الكرامات جائز بل واقع ، وهي أمور ناقضة للعادة ، غير مقترنة بدعوى النبوة ، وهي عون للولي على طاعته ومقوية لبقائه ، وحاصلة له على حسن استقامته وحالة على صدق دعواه الولاية ، إن دعاها لحاجة وشهدت له بها الشريعة .

ويقول هؤلاء الصوفية : إن الكرامة تغاير المعجزة من وجوه ثلاثة :

أولها - أن الأنبياء متعبدون بإظهار معجزاتهم للخلق ، والاحتجاج بها على من يدعونه إلى الله تعالى ، فقي كرموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى ، والأولياء متعبدون بكنان كراماتهم عند الخلق ، فإذا أظهرها شيئاً منها لاحتياذ الجاه فقد خالفوا الله تعالى وعصوه .

ثم تطور معنى الولي تبعاً لما حدث في الملة من المذاهب المختلفة ، وتبعاً لتطور التصوف نفسه . فأصبح الولي عند المتكلمين هو من يكون آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ، ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما آتت به الشريعة ، وإليه الإشارة بقوله : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » ذلك أن الإيمان مبني على الاعتقاد والعمل ، ومقام التقوى هو أن يتقى العبد كل ما نهى الله عنه . أما الصوفية فيقولون - كما في الرسالة القشيرية : إن الولي له معنيان : أحدهما أن يكون فعلاً بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح ، وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته ، فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى رعايته على التوالي ويدبر توقيفه إلى الطاعات ،

ثانيهما - أن يكون فعلاً مبالغة من الفاعل ، كالعلم والتدبير فيكون معناه من يتولى عبادة الله وطاعته ، فطاعته تجرى على التوالي من غير أن يتخللها معصية ، فيكون ولياً بمعنى توالى طاعته لربه ، وولياً بمعنى توالى فضل ربه عليه ، وكلا المعنيين يجب تحقيقه حتى يكون الولي ولياً ، فيجب أن يتحقق قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ، ويتحقق دوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء ، فالولاية عندهم عبارة عن دوام الاشتغال بالله والتقرب إليه بطاعته ، وإذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن من شيء ، لأن مقام الولاية والمرقة منه أن يخاف أو يحزن ، فالولي عندهم هو الواصل

عجىء زيد من مفرد ، وعافيته من مرضه ، فأما
جنس ما هو معجزة للأنياء كإحياء الموتى وحصول
إنسان لا من أبوين وتسييح الحصى فلا يكون
للأولياء .

أما المعتزلة وبعض الأشعرية فينكرون وقوع
كرامات الأولياء وجوازها .

وقالت طائفة بمنع جواز الخوارق للأنياء
والأولياء جميعاً .

قال المجوزون للكرامات إن الكرامة جائزة ،
إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال ، إذ هي أمر
يتصور في العقل حصوله من غير أن يردى إلى رفع
أصل من الأصول ، فواجب وصفه سبحانه بالقدره
على إيجاده للوئ وإذا وجب كونه مقدور الله تعالى
فلا شيء بمنع جواز حصوله .

وقالوا : إن انخراق العادة ليس مما ينكره
المشككون لأنه جائز مع القول بالفاعل المختار ،

ولا مما ينكره الحكماء ، لأنهم يقولون بأن
للفسوس الزكية قوى وما تؤثر في أكثر الأجسام التي
في عالم الكون والفساد .

أما وقوع الكرامة فقد استدلوا عليه بقصة
أصحاب الكهف ويقامهم في النوم أسياء سالفين مدة
ثلاثة سنة وتسع سنين ، كما ورد في القرآن .

واستدلوا عليه بأخبار كثيرة : منها ما أخرج
في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لم يتكلم في المهد
إلا ثلاثة : عيسى بن مريم عليه السلام ، وصبي

ثانياً - أن الأنياء محضون بمعجزاتهم على
المشركين ، لأن قلوبهم قاسية ، والأولياء خنجون
بذلك على نفوسهم حتى تطفئ وتوقن ولا تضطرب
ولا تجزع عند فوت الرزق ، لأن النفس أمانة
بالسوء مجبولة على الشك ، وقد حكى عن سهل
ابن عبد الله التستري أنه قال : كان رجل بالبصرة
يقال له إسحاق بن أحمد ، وكان من أبناء الدنيا
فخرج من الدنيا ، أعني من جميع ما كان له ، وتاب
وصحب سهلاً فقال يوماً لسهل : إن نفسي هذه
ليس تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت
القوت والقوام . فقال له سهل : خذ ذلك المحجر
وصل ربك أن يصبره لك طعاماً ، فقال له :
ومن إمام في ذلك حتى أفعل ذلك ؟ فقال سهل :
إمامك إبراهيم عليه السلام حيث قال : « رب أرني
كيف تحيي الموتى ؟ قال : لو لم تؤمن ؟ قال : بلى
ولكن ليطمئن قلبي » ،

فالعلم في ذلك أن النفس لا تطمئن إلا بروية
العين لأن من جبلتها الشك ، فقال إبراهيم عليه
السلام : « رب أرني كيف تطمئن نفسي ؟ فإني
مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن إلا بروية العين .

وثالثاً - أن الأنياء كلما زينت بمعجزاتهم
يكون أتم لمانيتهم وفضلهم ، والأولياء كلما زينت
كراماتهم يكون وجههم أكثر حظراً أن يكون ذلك
من الاستدراج لهم ، وأن يكون سبباً لسقوط
مزيلهم عند الله .

ويقول بعض العلماء من المشككين والصوفية
إن الأولياء هم كرامات شبه إجابة الدعاء والإخبار

لها زنت ولم تزن ، وقيل إنها سرقت ولم تسرق ،
وهي تقول : حسبي الله ،

ومن هذه الأخبار خبر النار ، وهو مشهور
في الصحاح عن الزهري عن سالم عن ابن عمر
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اطلق
ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فأوأمهم المبيت في غار
فدخلوه . فالتحدرت صخرة عن الجبل وسدت
عليهم باب الغار ، فقالوا : والله لا ينجيكم من هذه
الصخرة الا الدعاء بصلح أعمالكم ، فقال رجل
منهم : كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت
لا أغبق قبلهما ، فناما في ظل شجرة يوما فلم أبرح
عنهما وجلب لما غبوقهما فجنشتهما به فوجدتهما
نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق
قبلهما ، فقممت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما
حتى ظهر النجم فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم
إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن
فيه من هذه الصخرة فانفجرت انفراجا لا يستطيعون
الخروج منه ،

في زمن جريج الناسك ، وصي آخر . أما عيسى
فقد عرفتموه ، وأما جريج فكان رجلا عابدا
بني إسرائيل ، وكانت له أم فكان يوما يصلي
إذ اشتاقت إليه أمه فقالت : يا جريج ، فقال :
يا رب ، الصلاة خير أم رؤيتي ؟ ثم صلى ، فدعته
ثانيا فقال مثل ذلك حتى قال ثلاث مرات ، وكان
يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمه ، قالت : اللهم
لا تمته حتى تريحه للموسسات ، وكانت زانية هناك ،
فقالت لم : أنا أفن جريجيا حتى يزني ، فأتته فلم تقدر
على شيء ، وكان هناك راع يأوي بالليل إلى أصل
صومته ، فلما أعيأها راودت الراعي عن نفسه
فأتاها فولدت ثم قالت : ولدت هذا من جريج ،
فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومته وشتموه ،
فصلبوا دوما ثم نحس الغلام ، فقال أبوه ريرة : كافي
أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده :
يا غلام من أبوك ؟ فقال : الراعي ، فندم القوم على
ما كان منهم واعتلوا إليه وقالوا : فبني صومتك
من ذهب أو فضة ، فأبى عليهم ، وبناتها كما
كانت ،

ثم قال الآخر : كانت لي ابنة عم وكانت أحب
الناس لي فراودتها عن نفسها حتى ألمت بها ستة من
السنين فجاءتني وأعطيني مالا عظيما على أن تحلق
بيني وبين نفسي فلما قبلت عليها قالت : لا يجوز
لك أن تفك الحرام إلا بحقه فتخرجت من ذلك العمل
وتركتها وتركت المال معها ، اللهم إن كنت فعلت
ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت
الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ،

وأما الصبي الآخر : فإن امرأة كان معها صبي
لها ترضعه ، إذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة ،
فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فقال الصبي :
اللهم لا تجعلني مثله ، ثم مرت بها امرأة ذكروا
أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت : اللهم لا تجعل
ابني مثل هذه ، فقال الصبي : اللهم اجعلني مثلها
فقالت له أمه في ذلك : فقال : إن الشاب كان جبارا
من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله ، وإن هذه قيل

من الله عز وجل ، ومن لم يظهر له ذلك فلما عدم في زهد من الصلح والإخلاص :

قال صاحب اللع : وسعت أبا الحسن البصري رحمه الله يقول : كان ببيادان رجل أسود فقير يأوى الخرابات ، فحملت معي شيئاً وطلبت فلما وقعت عيته على تيسم ، وأشار بيده إلى الأرض فرأيت — يعنى الأرض كلها — ذهباً يلعب ، ثم قال لى : هات ما معك ، فتناوله ما كان معي وهربت منه فهاتى أمره :

وقال صاحب اللع أيضاً : سمعت حمزة بن عبد الله العلوي يقول : دخلت على أبي الخير التتاني وكنت قد اعتقدت في سرى فيا بيني وبين الله تعالى أن أسلم عليه وأخرج ولا أتناول عنده الطعام ثم دخلت وسلمت عليه وودعته وخرجت من عنده ، فلما تباعدت من القرية فإذا به وقد حمل معه طعاماً وقال لى : يافى ، كل هذا فقد خرجت الساعة من اعضادك ،

قال ابن حزم في كتابه الفصل : وذهب أهل الحق إلى أنه لا يقبل أحد عينا ولا يحبل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه فقط سواء تحملوا بذلك أو لم يتحملوا وكل ذلك آيات لم عليهم الصلاة والسلام تحملوا بذلك أم لا ، والتحدى لا معنى له وإنه لا يمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولا لساخر ولا لأحد غير الأنبياء :

وهذا هو الحق الذى لا يجوز غيره ، يرهان ذلك قوله عز وجل : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا ميل لكلاه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال الثالث : اللهم إني استأجرت أجرا فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فتمرت أجرته حتى كثرت منها الأموال فجاءني بعد حين ، وقال : يا عبد الله أدلى أجرى ، قلت له : كل ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله أجزأني؟ قلت : إني لا أستجزئ بك فخذ ذلك كله ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة من الفار فخرجوا يمشون : وهذا حديث حسن صحيح متفق عليه :

وقد نقلوا كرامات من الصحابة كالذى روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أنه بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية بن الحصين ، فبينما عمر يوم الجمعة يخطف جمل يصيح في خطبته وهو على المنبر : « يا سارية ، الجبل الجبل ! » . قال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه : فكبت تاريخ تلك الكلمة ، فقدم رسول مقدم الجيش فقال : يا أمير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فلما بانسان يصيح : « يا سارية ، الجبل الجبل ! » فاستدنا ظهورنا إلى الجبل . فهزم الله الكفار وظفرونا بالفتائم العظيمة ببركة ذلك الصوت .

وقد وثق أيضاً لبعثنا من القليلين محرمات كثيرة ، وكذلك لطبقات أخرى من بعدهم مثل مالك بن دينار وراية العلوية وصلى بن عبد الله الذى يروى عنه أنه كان يقول : من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً خلصاً في ذلك تظهر له الكرامات

وقال ابن حزم أيضاً : وكذلك ما ذكر عن
ليس نبيا من قلب عين أو إحالة طبيعة فهو كلب
إلا ما وجد من ذلك في عصر نبى ، فإنه آية كذلك
للك النبي :

وذلك الذى ظهرت عليه آية بمنزلة الجلع
الذى ظهر فيه الجنين ، والنراع الذى ظهر فيه
التنطق والعصا التى ظهرت فيها الحياة ومواء كان
الذى ظهرت فيه الآية صالحا أو فاسقا :

فلو جاز ذلك بعد موت النبي لأشكل الأمر
ولم تكن في أمن في دعوى من ادعى أنها آية لذلك
الفاضل ، ولذلك القاسق والإنسان من الناس
يلعبها آية له ، وليس كذلك ما كان في عصر
النبي لأنه لا يكون إلا من قبل النبي ويلعبه
ويلنلره فثبت بذلك أنها له لا لى ظهرت منه :

قال أبو محمد « بن حزم » : وأما الذى روى
في ذلك عن الثلاثة أصحاب النار وانفراج الصخرة
لثلاثا عندما ذكروا من أعمالهم فلا تعلق لهم به
لأن تكبير الصخرة ممكن في كل وقت ، ولكل
أحد بلا إعجاز ، وما كان هكلا فجاء وقوعه
بالدهاء وبغير الدهاء ، لكن وقع وفاقا لمتهم كمن
دعا في موت عدوه أو تبرج هم ، أو بلوغ أميته
في دنياه . ولقد حدثني حكيم بن متلي بن سعيد
أن أباه رحمه الله كان في جماعة في سفرة في صحراء
فعلشوا وأيقنوا بالهلكة وتزلوا في ظلي جبل
ينتظرون الموت . قال : فاستلمت رأسي إلى حجر ناقة
فتأذنت به فقلته فأنذع الماء العذب من تحت شمتي

فقد وجب أن كل ما في العالم مما قد رتبته الله
على ما هو عليه من فصوله الذاتية وأنواعه وأجناسه ،
فلا يتبدل شيء منه قطعياً إلا حيث قام البرهان
على تبدله ، وليس ذلك إلا على أحد وجهين :
إما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة ، وعلى
ما بنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المي حيوانا
والنوى والبلور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات
والمعهودات .

وأما استحالة لم تعهد قط ، ولا بنى الله تعالى
العالم عليها . وذلك قد صح للأنياء عليهم السلام
شواهد لم على صحة نبوتهم ووجود ذلك بالمشاهدة
من شهودهم ونقله إلى من لم يشاهد منهم بالتواتر الموجب
للعلم الضروري ، فوجب الإقرار بذلك وبقى
ما عدا أمر الألباء عليهم السلام على الامتناع ،
فلا يجوز ذلك البتة لا من صابر ، ولا من صالح
بوجه من الوجوه . لأنه لم يتم برهان بوجود ذلك
ولا صح به نقل ، وهو ممتنع في العقل ولا فرق
بين من ادعى شيئا ما ذكرنا تفاضل وبين دعوى
الرافضة رد الشمس على بن أبي طالب مرتين ،
وكذلك دعوى النصارى لربانهم وقدمائهم ،
فإنهم يدعون لهم من قلب الأعيان أعضائهم ما يدعيه
هؤلاء ، وكذلك دعوى اليهود لأجدادهم أن
وجلا منهم رجل من بنياد إلى قرطبة في يوم
واحد ، وأنه ثبت قرنين في رأس رجل مسلم من
بنى الإسكندرية كان يسكن بقرطبة عند باب
اليهود . وهذا كله باطل عتوج .

أو أن يفسخ دين الإسلام ، أو بأن يجعل القيامة قبل وقتها ، أو يسمح للناس كلهم قردة ، أو بأن يجعل له عينا ثالثة ، أو بأن يدخل الكفار الجنة والمؤمنين النار أو ما أشبه هذا . فإن أجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجانين ، وإن منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالآيات المذكورة ، وصحح أن الإجابة إنما تكون في خاص من الدعاء لا في العموم .

أما الطائفة القائلة بامتناع المخارق للعادة معجزة كان أو كرامة فقد قالوا : إن تجوز خرق العادة سفسة ولو جوزناه لجاز انقلاب الجبل ذهبا ، وأواني البيت رجالا كعلا ، وتولد هذا الشيخ دفعة بلا أب ولا أم ، ولجاز كون من ظهرت المعجزة جلي يده غير من ادعى النبوة بأن يعلم المدعى عقب دعواه بلا مهلة ، ويوجد مثله في أن إعدامه ، فيكون ظهور المعجزة على يد المثل ولا يخفى ما في ذلك من الخبط والإخلال بالقواعد المتعلقة بالنبوة ، والمقاسد التي تنافي نظام المعاش والمعاد ، أو يجوز حينئذ أن يكون الآتي بالأحكام الشرعية في الأوقات المنفردة لشخصا مماثلة للذي ثبت نبوته بالمعجزة ، وأن يكون الشخص الذي تنقضاه دينك غير الذي كان عليه الدين .

وأهل هذه الطائفة غثفون مع المتكلمين والصوفية وقد قضى أدلتهم هؤلاء وهؤلاء بل ادعوا أنهم لا يثبتون النبوة أصلا ، فهم خارجون عن الدين لكنهم لم يصرحوا بإنكار النبوة ، وليس يمتنع أن ينكروا المخارق من غير أن ينكروا النبوة ،

وتزودنا ، ومثل هذا كثير ، وحتى لو كانت معجزة لوجب أن يكونوا أنبياء ، أو لوى ممن في زمن نبي لا بد مما قسمناه .

قال أبو محمد : « ولا عجب أعجب من قول من يميز قلب الأعيان للساحر ، وهو عندهم فاسق أو كافر ويميز مثل ذلك للصالح والني ، فقد جاز عندهم قلب الأعيان للنبي وللصالح وللناسق وللكافر ، فوجب أن قلب الأعيان جازر من كل واحد ، ويوسم لقول أدنى مثل هذا » .

وظاهر ما في احتجاج ابن حزم من قوة ، ولأن لم يعرض لتأويل كل ما روى في الأخبار من الكرامات المشكل تأويلها كحديث من تكلم في المهد من الصبيان فلعنه اعتبرها من الوقائع المروية بالأحاديث التي يجوز الشك فيها ولا تنبئ العقائد عليها . ولولا أن ابن حزم من الظاهرية الذين يتبعون النصوص بلا تأويل لقننا إنه قد يجعلها من باب التشثيل .

ولما كان إنكار الكرامات ربما كان موهما إنكار لإجابة الدعاء ، فإن الدعاء قد يكون بشبه خارق للعادة ، ومن هنا تصدى ابن حزم لحل هذا الإشكال فقال :

« فإن اعترضوا بقول الله تعالى : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » ويقول تعالى : « أجب دعوة السامع إذا دعاه » ، فهنا حق ، وإنما هو بلا شك في الممكنات التي علم الله أنها تكون ، لا فيما علم الله تعالى أنها لا تكون ، ولا في المحال :

ونسأل عن دعا الله تعالى . أن يجعله نيا .

د - نبوة النساء وولايتن وصلة المرأة بالتصوف الإسلامي .

لا نعرف خلافا في جواز الولاية وما يتبعها من الكرامة والعرفان للنساء، وإنما حصل اختلاف في نبوة النساء .

ويقول ابن حزم : « هذا فضل لا نعلمه حدث النزاع فيه إلا عندنا بقرطبة وفي زماننا - وابن حزم ولد سنة ٢٨٤ هـ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ - فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة ، وبدعت من قال ذلك ، وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة ، وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك » .

وكلام ابن حزم صريح في أنه لا نزاع في عدم حصول رسالة للنساء بدليل قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم » ولم يدع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة وإنما الكلام في النبوة :

والفرق بين النبوة والرسالة أن النبوة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام ، فمن أوحى إليه الله علما بما يكون قبل أن يكون ، أو أمرا ما مع يقينه يقينا ضروريا بصحة ما أوحى إليه كلمه بما أدرك جواسمه وبدية عقله فهو نبي وذلك يكون بواسطة الملك ،

أما الرسول فهو من أوحى إليه بلين يتبعه ويبلغه إلى الناس ، وقد جاء القرآن بأن الله عز وجل أرسل ملائكته إلى نساء فأخبروهن بوحي حق من الله تعالى ، فبشروا أم إسحاق بإسحاق ، وقد أرسل

جبريل إلى مريم أم عيسى عليهما السلام فخطبها وقال لها : « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » ووجدنا أم موسى عليهما السلام قد أوحى الله إليها بإلقاه ولدا في اليم وأعلمها أنه سيرده إليها ويجعله نبيا مرسلًا . ويدرك كل ذي تمييز صحيح أنها لو لم تكن واقعة بنبوة الله لها لكانت بإلقائها ولدا في اليم برويا تراها أو بما يقع في نفسها في غاية الجنون ،

وتبين من هذا البحث أن المسلمين لم ينازعوا في جواز النبوة والولاية للنساء ، ولا مانع من ذلك شرعا ولا عقلا ، وقد اتفقوا على عدم وقوع الرسالة للنساء ، كما اتفقوا على وقوع الولاية من واختلقوا في وقوع النبوة على الوجه الذي بيناه ، وفي هذا دليل على أن مجال الوحي والإلهام ينسوي النساء فيه والرجال ، فلا عائق يوق المرأة عن أن تسمو بروحها إلى أقصى غايات السمو المقصودة للبشر ، بأن تصل إلى مرتبة العرفان والولاية ، وتشهد من جلال حضرة الربوبية مالا يشهد سائر البشر . وقد بلغت نساء هذه الدرجة الرفيعة في عصور الهبة والرق منذ نشأة التصوف الإسلامي . وترجم الشمراني في كتاب الطبقات لأربعمائة وست وثلاثين من الصوفية الأخيار ، يبين ست عشرة امرأة ، كلهن من الطراز الأول بين أهل التصوف من أمثال معاذة العلوية ، وراية العلوية ، والسيدة عائشة بنت جعفر الصادق ، والسيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد ، وهو لم يستوعب الصوفيات من النساء ، بل اقتصر على جماعة مبين

في شيء البتة ، وكذلك الحجرة غير المحضرة ،
والحضرة ليست كالحجرة ، وليس هذا من باب
الفضل . فإن اعترض معترض بقول الله تعالى :
« والرجال عليهن درجة » قبل له إنما هذا في حقوق
الأزواج على الزوجات ، ومن أراد حمل هذه الآية
على ظاهرها يلزمه أن يكون كل يهودي وكل
مجوسي وكل فاسق من الرجال أفضل من أم موسى
وأم عيسى وأم إسحاق عليهم السلام ومن نساء
النبي صلى الله عليه وسلم وبناته ، وهذا كفر
بمن قاله بإجماع الأمة .

وكذلك قوله تعالى : « أو من ينشأ في الخلية وهو
في الخصام غير مبين » إنما ذلك في تقصيرهن
في الأغلب عن الحاجة لقلّة دربتن ، وليس
في هذا ما يحيط من الفضل عن ذوات الفضل منهن ،
فإن شبه مشتب بقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للـ
الرجل الحازم من إحداكن » قلنا له وبالله التوفيق :
إن حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك أن تقول
إنك أتم عقلاً وديناً من مريم وأم موسى وأم إسحاق
ومن عائشة وفاطمة : فإن عمادى على هذا سقط
الكلام معه ولم يبعد عن الكفر ، وإن قال : لا ، سقط
اعتراضه واعترف بأن من الرجال من هو أفضل
دينًا وعقلًا من كثير من النساء ، فإن سأل عن
معنى هذا الحديث ، قيل له قد بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجه ذلك التقصير ، وهو كون شهادة
المرأة على النصف من شهادة الرجل ، وكونها إذا
سأغت لا تصلي ولا تصوم وليس هذا بموجب

وجعل عنوان الفصل المخصص بالنساء « فصل في ذكر
جماعة من عباد النساء رضى الله عنهن » .

وما يكون لأحد أن يزعم أن في الإسلام
زوراً إلى الفض من الجانب الروحي للمرأة بعد
الذي بيناه من استعدها لمراتب الصوفية العليا التي
تكشف فيها حجب الغيوب وتفيض على صاحبها
الكرامات .

وما في أحكام الشرع الإسلامي من وجوه
الفرقة أحياناً بين المرأة والرجل يرجع إلى أمور
مادية متصلة بالعادة كما في التفاوت في الإرث ،
والتفاوت في الشهادة لا يبعد عن هذا النوع ، فإن
نصف الذكر المأخوذة للحلل به نقص شهادتها ليس حيفاً
بكمالها الروحي ولا باستعدادها للسمو الدنوي .

وقد ناقش ابن حزم في كتابه « الفصل » آراء
من يفضلون الرجال على النساء مناقشة تدل على
أن فكرة التساوي في الفضل بين النساء والرجال
كانت من الأفكار المؤيدة بين علماء المسلمين ،
وكان لها أنصار من طراز الإمام ابن حزم الظاهري .

قال أبو محمد : وقد قال قائل ممن يخالفنا
في هذا : قال الله عز وجل : « وليس الذكر
كالأنثى » قلنا وبالله التوفيق : فإذا أنت عند
نفسك أفضل من مريم وعائشة وفاطمة ، لأنك ذكر
وهؤلاء إناث ؟ فإن قال هذا تلقى بالتوكي وكثيراً
فإن سأل عن معنى الآية قيل له الآية على ظاهرها
ولا شك في أن الذكر ليس كالأنثى لأنه لو كان
كالأنثى لكان أنثى ، والأنثى أيضاً ليست كالذكر ،
لأن هذه أنثى وهذا ذكر وليس هذا من الفضل

من بعض . قال الله عز وجل : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » فإنما ذكر في هذا الخبر من بلغ غاية الكمال في طبقة ولم يتقدمه منهم أحد ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن اعترض معترض بقوله عليه السلام : « لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة » فلا حجة له في ذلك ، لأنه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لمن نقص الفضل ، فقد علمنا أن ابن مسعود وبلاا وزيد بن حارثة رضى الله عنهم لم يكن لهم حظ في الخلافة وليس بموجب أن يكون الحسن وابن الزبير ومعاوية أفضل والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لأولئك ، ومنهم في الفضل مالا يجمله المسلم ،

مبنى التصوف — كما يتبين مما أسلفنا على الإيمان والصدق والإخلاص فهو العلم الذي يصور المثل الخلقى الإسلامى الأعلى : سئل سحنون عن التصوف فقال : ألا تملك شيئا ولا يملكك شيء ، وقال بشر الحافى لسرى السقطى رحمهما الله : إن الله خلقك حرا ، فكن كما خلقك : لا ترائى أهلك في الحضر ، ولا رقتك في السفر ، اعمل لله ودع الناس عنك .

وقال الجنيد رحمه الله : آخر مقام العارث الحرية .

وإذا كان الصوفية هم بناة الجبل الأخلاق الإسلامى الأعلى فإن للمرأة حظاً غير منقوص في تشييد هذا الهيكل العظيم .

نقصان الفضل ولا نقصان الدين أو السبل في غير هذين الوجهين فقط ، إذ بالضرورة ندرى أن في النساء من هن أفضل من كثير من الرجال وأتم ديناً وعقلاً في غير الوجه الذى ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام لا يقول إلا حقاً ، فصبح بقينا أنه إنما عبر عليه السلام ما قد بينه في الحديث نفسه من الشهادة والحيف فقط ، وليس ذلك بما ينقص الفضل ، فقد علمنا أن أبا بكر وعمر وعلياً لو شهدوا زنا لم يحكم بشهادتهم ، ولو شهد به أربعة منا عدول في الظاهر حكم بشهادتهم ، وليس ذلك بموجب أننا أفضل من هؤلاء المذكورين ، وكذلك القول في شهادة النساء ، فليست الشهادة من باب التضاضل في ورود ولا صلح ، لكن نقف فيها عند ما حده النص فقط ، ولا شك عند كل مسلم في أن صواحيبه من نساؤه وبناته عليهم السلام — كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة — أفضل ديناً ومترتبة عند الله تعالى من كل تابع أتى بعدهن ، ومن كل رجل يأتي في هذه الأمة إلى يوم القيامة ، فبطل الاعتراض بالحديث المذكور ، وصح أنه على ما فسرناه وبيناه والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فإن اعترض معترض بقول النبي صلى الله عليه وسلم : كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وامرأة فرعون . فإن هذا الكمال إنما هو الرسالة والنبوة التى انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء في النبوة ، وقد يضافلون أيضاً فيها فيكون بعض الأنبياء أكمل من بعض ويكون بعض الرسل أكمل

قال الأستاذ ماسينيون في كتابه في أصول
الاصطلاحات الصوفية (Essai sur les
Origines du Langage technique de la mystique
musulmane) :

« وكانت في أول أمرها تعزف بالمعازف ثم
تابت وقد خلقت مقطوعات تعبر عن حلة عشق
مؤثرة ، وقضت حياتها بالبصرة وكتبت مسجونة ،
وبها ماتت في سن لا تقل عن ثمانين سنة ، وذلك
في عام ١٨٥ هـ (٨٠١ م) ، وتركت في الإسلام
شلاً من ولايتها لا يزال أريجاً . ولم تكن وفاتها
سنة ١٣٥ هـ (٧٥٢ م) كما زعموه ليجعلوا منها
تلميحاً للحسن البصري ، وأدلة ذلك صداقتها
لربيع وكونها لقبت القورى التى جاء البصرة
بعد سنة ١٥٥ هـ ، ومن الأدلة ما رواوا من
خطبة محمد بن سليمان التى ولى البصرة من
قبل العباسيين منذ سنة ١٤٥ هـ إلى ١٧٢ هـ
وقد قالوا إنها ولدت في العام الذى بدأ فيه الحسن
البصري مجالس تعليمه ، وذلك يوافق سنة ٩٥ أو
سنة ٩٦ هـ »

وقد استعملت في غير تيب كلمة الحب في
المشق الإلهي معتبرة على ما جاء في القرآن ...
وبرزت من مرض خطير أصابها فاقطعت عن
قيام الليل ، لكن الملاحكة هضت بها في جنح
الليل فتنبت إلى ما فقدته وعادت إلى ستها .

وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد : « ولد
عمران الأسد والحجر فولد الأسد العتيك ...
واشتقاق العتيك من قولهم عتك عليه إذا حمل

وإذا تجدد في كتب التصوف والأخلاق ذكراً
لتصوفات سيرته شاهد ومثل يحتذى .

قال الخياط (١) :

« والتاسكات المترهدات من النساء المذكورات
في الزهد والرياسة من نساء الجماعة أم النرداء
ومعاذة العلوية ورابعة القيسية .

« ومن نساء الخوارج السجا وحيدة الصوفية
وغزالة الشيبانية قتلن جميعاً وصلبت السجا وحيدة
وقتل خالد بن عتاب غزالة وكانت امرأة صالح
ابن نوح »

ومن نساء الغالية الميلاء وحيدة وللى الناعظية
ولسنا نعرف مؤلفات في التصوف للنساء
ولكننا نعرف من آكارهن وأشعارهن وأخبارهن
ما يقوم مقام الكتب الملوثة ، ويدل على ما
لبعضهن من منزلة الإمامة كرابعة التى سنعرض
لسيرتها »

٥ - رابعة العلوية :

هى رابعة بنت إسماعيل العلوية (٢) البصرية .
ولقبها ابن خلكان بأُم الخير وذكر أنها مولاة
أبي عتيك (٣) .

(١) كتاب السير ، ج ٥ ، ص ١٧٠ »

(٢) على كفى : قبيلة ، وهو جدوى ومدى كثرى »

(٣) عتيك كافر نفعه من اللد ، والنسبة منى محرقة .
والله اعلم ، وهم موالى بني هاشم أى متقاهم »

إما سيف أو غيره وعكك على عين فاجرة إذا أقدم عليها ،

جاعة يشربون الحمر. فاتفق ركوب ذى النون (١)
تلك السفينة لغرض له في بحر النيل فطلبت إليه
رابعة على سبيل التكم أن يسمعهم شيئاً من
غناه كما أسمعوه ، فأنشد :

أحسن من قينة ومزمار
في غسق الليل نقحة القارى
يا حسنة والحليد (٢) يسمعه

بطيب صوت ودمعه جارى
وعنده في الرباب متغفر
وقلعه في عجة البارى
يقول : يا سيدة ويا سيدة
أشغلتى عنك قل أوزارى

وكانت بذلك توبة رابعة على يده ،

وعقب على ذلك صاحب دائرة المعارف ،
بقوله :

« ولكن يظهر أن هذه القصة مصنوعة ، ليعد
المهد بين ذى النون ورابعة كما يعرف من تاريخ
وقائهما » .

وشاهد الرضخ في هذه القصة كثيرة ، فلما
لا نعرف أن رابعة العلوية زارت مصر فإن
القصيدة لها الأساليب القوية للإعجاب بذكر
وتبورك به .

ولم نر أحداً ممن ترجموا لها ذكر تاريخ
ميلادها ، ثم إنهم انحطوا في تاريخ وفاتها فن
قالل إنها توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة ،
ومن قالل بل توفيت سنة خمس وثمانين ومائة ،

وقال الشرحاني في الطبقات : « وكانت بعد أن
بلغت ثمانين سنة كأنها شن بال تكاد تسقط إذا
مشت ، وكان كفها لم يزل موضوعاً أمامها وكان
موضع سجودها ، وهذا يدل على أنها عاشت
أكثر من ثمانين عاماً » .

وذكر ابن خلكان أن قبرها يزار وهو بظاهر
القدس من شرقيه على رأس جبل يقال له الطور ،
لكن بالقوت الجموى ذكر أن هذا القبر ليس قبر
رابعة العلوية إنما قبرها بالبصرة ، أما القبر الذي
على جبل القدس فهو قبر رابعة زوجة أحمد بن
أبي الخوارى الكاتب ، وقد أشبهه على الناس ،

ولسنا نعرف شيئاً عن نشأة رابعة وحياتها
من قبل أن تكون صوفية فلما لم تولد صوفية
بالعزورة ولم يكن المؤرخون إلا بالجانب
الصوفي منها .

وجاء في دائرة المعارف للبستاني ما نصه :

« وفي بعض الروايات أنها ثابت عن يد
ذى النون المصري ، وذلك أنها كانت في سفينة مع

(١) ذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ٨٥٨ م .

(٢) الحليد الصنيع ، والحليد كالجلد : الرجل القوي .

وليس من شأن زوجة أو والدة مهما بلغ بها
التصوف أن تنكر الخلق على الأطلاق .

عاشت رابعة العلوية في القرن الثاني من
الهجرة وماتت في أعريات هذا القرن ، كما يرجحه
أكثر من كتبوا سيرتها ،

ويقول ابن خلكان عنها : « كانت من أعيان
عصرها وأخبارها في الصلاح مشهورة » .

ويقول عنها صاحب كتاب « مرآة الجنان
وعبرة اليقظان » الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد
اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ : « السيدة الولية
ذات المقامات العلية والأحوال السنية » .

ويقول عنها الأستاذ ماسنيون وعن رابعة (١)
القيسية ما تعريه : « هاتان الزاهدتان - وكنيتهما من
أهل المذهب البصري - كان محمسا حياة الزهد
مؤدياً إلى معالجة أحوال صوفية مختلفة وإلى البحث
في فروض دقيقة في العمليات والعقائد ، ورابعة
تعتبر عند الباحثين في أمور الولاية والأولياء
أعظم ولية » .

وعندي أن من التصوف أن ينسب إلى رابعة
العلوية وصاحبها التصديق لمعالجة دقائق المسائل
الفقهية والكلامية والصوفية .

ولقد كان العصر الثاني المجري عصر نشأة
التصوف وعصر بداية تطوره الأول ، إذ نشأ لفظ
« الصوفي » عبارة عن العابد الزاهد اللابس للصوف

والشعر الذي في الرواية فيه من الثخانة ومن
الجن ما يقطع الصلة بينه وبين عصر رابعة
العلوية ويظهر أوضح ظهور أنه من شعر العصور
المتأخرة .

هذا وقد ذكر ماسنيون في مجموعة النصوص
المتعلقة بتاريخ التصوف في بلاد الإسلام أن رابعة
خطبها أبو حبيبة عبد الواحد بن زيد مع علو شأنه
فهجرته أياماً حتى شفع له إليها إخوانه ، فلما
دخل عليها قالت له : يا شهواني اطلب شهواته
مثلك ، وذكر في كتابه في اصطلاحات الصوفية
أن والى البصرة خطبها ، وما أظن أن والى البصرة
أو عبد الواحد بن زيد كان يرضى أن يخطب
امراً كانت تشرب الخمر في السفن النيلية
وتنقى للثمنان .

وليس فيما بين أيدينا من المراجع ما يدل
على أن رابعة العلوية كانت متزوجة بل المأخوذ
من الروايات عن حياتها أنها كانت بعبادتها
وحبا لله في شغل عن الزواج والولد، وقد ردت
من خطبها .

وفي مجموع الأستاذ « ماسنيون » وفي غيره :
« نظرت رابعة إلى رباع وهو يقبل صبياً من أهله
ويقبسه إليه فقالت : أحبه ؟ قال : نعم ، قالت :
ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغاً خبة
غير مبارك اسمه . قال : فصرخ زياح وسقط مغشياً
عليه . ثم أتاق وهو مسح الرق عن وجهه ويقول :
رحمة منه تعالى يكمل ألقاما في قلوب العباد للأطفال » .

(١) النبوة حوالى ١٢٠ هـ - ١٢٠ هـ .

والله تزع غنى وأبدلت به ما تزينه على ، فطوبت أكفاني وختم عليها ورفعت في عِلين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة ، فقلت لها : أَلَمْلا كنت تَعْمَلين أيام الدنيا ؟ فقالت : وما هذا عند ما رأيت من كرامة الله تعالى لأوليائه ؟ ... قلت : فربني بأمر أقرب به إلى الله عز وجل ، قالت : عليك بكثرة ذكره ، يوشك أن تقتبلي بذلك في قورك

وبدل ما ذكرنا على أنها كانت تلبس الصوف وما إليه من ثياب الشعر ، وأنها كانت كثيرة العبادة منصرفة عن الدنيا ،

لما اهتمامها بروح العبادة وما يحدث في النفس من آثارها فبدل عليه كثير مما روى من أقوالها . كانت تقول : استغفارتنا محتاج إلى استغفارهِ وكانت تقول : ما ظهر من أعمالى لأعده شيئاً . ومن وصاياها : اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .

ويقول ماسينيون في كتابه في أصول اصطلاحات الصوفية : إنها استعملت في غير تسيب كلمة الحب في العشق الإلهي معتمدة على ما ورد في القرآن من ذلك ، وكان من قبلها يتحرجون من كلمة الحب في ذلك المقام .

ولعل أظهر ما تميزت به رابعة العدوية كلامها في الحب والمحبة كما في كتاب «مدارج السالكين» : هي سمة الطائفة وعنوان الطريقة ومقصد النسبة ، يعنى سمة هذه الطائفة المسافرين إلى وجههم ، وهم الذين قعدوا على الحقائق ، ولقد مع سوامي

ثم صار يدل مع ذلك على العتبة مجال القلوب إلى جانب التمسك بالعبادات الظاهرة . ونجد في تاريخ رابعة العدوية ما يدل على حرصها على التحقق بهذه المعاني ، فقد كانت تلبس الصوف . وكانت تستكثر من العبادة ، وكانت من أزهد الناس في الدنيا .

روى الشعرائي : «أنها كانت ترد ما أعطاه الناس لها ويقول : ما لي حاجة بالدنيا» .

وذكر صاحب مرآة الجنان وابن عثمان عن ابن الجوزي في كتابه «صفوة الصفوة» بإسناد له مفصل إلى عبدة بنت أبي شوال ، وكانت من خيار إمام الله وكانت تختم رابعة قالت : كانت رابعة تصل الليل كله ، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجمة خفيفة حتى يسفر الفجر ، فكانت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقعها ذلك وهي فرحة : يا نفس كم تنامين ؟ وإلى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لمصرخة يوم النشور ، وكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت .

ولما حضرتها الوفاة ودعته وقالت : يا عبدة لا تؤذني عوفي أحداً وكفنتني في جيبى هذه ، وهي جية من شعر كانت تقوم فيها إذا هلمت الميرون ،

قالت : فكفنتها في تلك الحلية وفي خمار صوف كانت تلبسه ، ثم رأيتها بعد ذلك بسة أو نحوها في منامى عليها حلة استبرق وخمار من سندس أخضر لم أر قط شيئاً أحسن منه . فقلت : يا رابعة ، ما فعلت بالخلعة التي كنت تملك فيها وخمار الصوف ؟ قالت : إنه

الخامس - الحفظ والإمساك ، ومنه حب الماء للوعاء الذى يحفظ فيه ويمسكه ، وفيه معنى الثبوت أيضا ،

ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة ، فإنها صفاء للمودة ، وهيجان لإرادات القلب المحبوب ، وعلوها وظهورها منه لئلا ينفك بالحبوب المراد ، وثبوت لإرادة القلب للمحبيب ولزومها لزوما لا يفارق ، ولإعطاء الحب محبوبة له وأشرف ما عنده وهو قلبه ، ولإجتماع عزماته وإراداته وهوومه على محبوبة فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ،

هنا ما يقوله ابن قيم الجوزية في معنى المحبة ومتزلها من التصوف .

وعندما كان التصوف في سلاجه لعهده رابعة لم يكن الحديث في أمر المحبة الصوفية طريفا معجداً ، وقد تكون رابعة العلوية أول من هتف في رياض الصوفية بنفحات الحب شعرا ونثرا ، وجدير بمحلاة آل عتيك التي كانت من فضلاء عصرها وأزكاهم فطرة وأماهم قسماً وأشداهم عزوفاً عن الدنيا وزخارفها أن يكون انقطاعها إلى الله قد وجه نفسها الشاعرة وجهة حب إلى مفتت باناشيده في مثل قولها :

أحبك حين ، حب الهوى
وحبا لأنك أهل للكاكا
فأما الذى هو حب الهوى
فغشلى بذكرك عن سواكا

على الرسوم ، وعنوان طريقهم أى دليلها ، والمحبة تدل على صدق الطالب وأنه من أهل الطريق ، ومعقد النسبة أى النسبة التى بين الرب وبين العبد فإنه لا نسبة بين الله وبين العبد إلا محض العبودية من العبد ، والألوهية من الرب ، وليس في العبد شيء من الألوهية ولا في الرب شيء من العبودية ، ومعقد نسبة العبودية هو المحبة ، فالعبودية معقودة بها بحيث متى انحلت المحبة انحلت العبودية ،

ولا تحمد المحبة عند أوضح منها ، فالخلود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء ، فصلحها وجودها ، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدنا ونماذجها وأحكامها ،

وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء :

أولها - الصفاء واللباىض ، ومنه قولهم لصفاء يباىض الأسنان ونضارتها حب الأسنان .

الثاني - العلو والظهور ، ومنه حب الماء وحياه وهو ما يعلوه عند المطر الشديد ، وحب الكأس منه ،

الثالث - الزوم والثبات ، ومنه حب البعير وأحب إذا يرك فلم يتم .

الرابع - اللب ، ومنه حبة القلب للبه ودخله ومنه المحبة لواحدة المحبوب ، إذ هى أصل الشيء ومادته وقوامه .

وأما الذي أنت أهل له

فكشفك للحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ، ولا ذاك لي

ولكن لك الحمد في ذا وذاك

روى هذا الشعر النزالي في الإحياء وقوله

« ماسنيون » أيضاً ، والذي في كتاب الإحياء :

(فكشفك لي الحجب حتى أراكا) وفي الإحياء

أيضاً : قال الثوري (١) رابعة : ما حقيقة إيمانك ؟

قالت : ما عبديته خوفاً من ناره ولا حياءً لجمته

فأكون كالأجير السوء ، بل عبديته حياءً له وشوقاً

إليه ،

وذكر أبو القاسم القشيري (٢) في الرسالة أنها

كانت تقول في مناجاتها : « إلهي ، تحرق بالنار قلباً

يحبك ؟ » فتهتف بها مرة هاتف : « ما كنا تفعل هذا ،

فلا تنظي بنا ظن السوء »

وفي « حوارات المعارف » السهروردي (٣) :

قالت رابعة : « كل مطيع مستأنس » وأنشدت :

إني جعلتك في القواد مجلتي

وأبخت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني الجليس مؤانس

وحبيب قلبي في القواد أنيس

وكانت تنشد :

تمضي الإله وأنت تظهر حبه ؟

هذا لعمري في القفال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطمته

إن الحب لمن يحب يطبع

ومن الظواهر التي تسترعي النظر في حياة

رابعة العلوية ما عرف من دوام حزنها وبكائها ،

قال الشعراني : كانت رضى الله عنها كثيرة البكاء

والحزن ، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها

زماماً ، وكان موضع سجودها كهية الماء المستنقع

من دموعها ،

وروى أنها كانت تقول :

« حب الله لا يسكن أبنيه وحبيته حتى يسكن

مع محبوبه » ، قال المترجمون لها : وقال عنها

يوماً سفيان الثوري : واحزنناه ! فقالت : لا بكلبي ،

بل قل : واقلة حزناه ! لو كنت عزوناً لم ينبأ لي أن

تنفسي :

وقيل لرباح (١) : هل طالت بك الليالي والأيام ؟

قال : بيم ؟ قيل : بالشوق إلى لقاء الله ، فسكت ،

قالت رابعة : لكنني نعم :

وليس هذا الحزن العميق في نفس السليمة

ورابعة إلا مظهر ما كانت تفيض به نفسها الشاعرة

من الحب العميق :

(١) هو سليمان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله
المتوفى سنة ٦١ هـ .

(٢) هو أبو القاسم القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ .
(١٠٧٤ م) .

(٣) السهروردي المتوفى سنة ٨٦٦ هـ (١١٩١ م) .

(١) رباح بن عمرو القيسي المتوفى نحو سنة ١٤٠ هـ .

وأقام إسماعيل باشا (انظر هذه المادة) التماثيل في مدينة القاهرة ، فكانت أول تماثيل أقيمت في الميادين العامة للملك المسلمين : وصنعت في مصر أيام الفاطميين أباريق ومبائر كثيرة من الشهبان على هيئة الحيوان والطير ، كما جرت العادة في ذلك العهد بنقش الصور على أحجار البلور ، وكان صاخة الموصل وأضرابهم ، ممن تقلوا هذا الفن إلى فارس والشام ومصر ، يصنعون صوراً ناطقة لحياة القصور يبدو فيها الملك وهو يختصي الخمر يخف به غلمه وموسيقوه ، أو وهو منصرفت إلى الصيد أو اللعب بالأكبر أو القتال ، وليس من شك في أن بعض هؤلاء الصاغة كانوا من النصارى ، بيد أن سادتهم كانوا من أمراء المسلمين الذين لم يأبوا برأى الفقهاء في هذا الشأن ، وما يدل أيضاً على عدم احتفال العامة بتحريم الشريعة للتصوير ما صنع في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بمدينة الرى من الخزف وما نقش عليه من الصور الملونة الزاهية للأمراء والموسيقين والقيان والراقصات والفرسان إلى جانب صور غفلت الحيوان الحقيقي منها والخراف : أما خزف المدائن الأخرى فعليه تصاوير أناس ولكنها لا ترقى إلى ما في سابقاتها من خيال ، وكانت القروش على الخشب ، وبخاصة أيام الفاطميين والمماليك في مصر ، صوراً معظمتها على هيئة الأناس والحيوان ، كما كانت الرسوم جزاً من زخرف السجاجيد والأجاج والزجاج ، وكل هذه الخف على اختلافها قد سلمت من الأخطات الكثيرة التي اجتاحت العالم الإسلامي ونجت من أيدي لؤلئك الذين دفعهم تصميم إلى

فالسيدة رابعة هي السابقة إلى وضع قواعد الحب والخزن في هيكل التصوف الإسلامي : وهي التي تركت في الآثار الباقية فتات صادقة في التعبير عن حبها وعن حزنها ،

وإن الذي غاض به الأدب الصوفي بعد ذلك من شعر ونثر في هذين البابين هو نقحة من نقحات السيدة رابعة العلوية إمام العاشقين والمزورين في الإسلام .

معلى عبد الرزاق

والتصوير : كلمة عربية معناها تشكيل التماثيل ورسم الصور (انظر فيما يخص بتحريم القهقهة لتماثيل والصور مادة « صورة ») ، وحسبنا هنا أن نلم بما كان في العالم الإسلامي من جهد في صلات عنه التماثيل والصور على الرغم من إنكار القهقهة . كانت التماثيل قليلة نادرة ، في مصر - مثلاً - عمل خارويه (انظر هذه المادة) له ولأزواجه وقيانه التماثيل ، ونصب عبد الرحمن الثالث (انظر هذه المادة) في الأندلس تماثلاً لحظيته « الزهراء » في القصر المعروف باسمها ، وبقيت إلى أيامنا السباع المنحوتة في الرخام التي تحمل النافورة المشيدة لعمد الخامس في قصر الحمراء إبان النصف الثاني من القرن الرابع عشر . واستخدم أمراء آل سلجوق بأسية الصغرى النحاتين لتزيين عاصمتهم « قونية » (انظر هذه المادة) ، ولا تزال في متحف هذه المدينة تماثيل من الحجر على صورة الإنسان والحيوان يرجع تاريخها إلى هذا العهد ،

وكليات سعدى ، وكثير غيرها من دواوين الشعراء ، وأقل من ذلك الصور الواردة في التواريخ المخطوطة ، ومع هذا فقد حظيت بالرسوم مخطوطات كتاب « جامع التواريخ » لرشيد الدين ، و « روضة الصفا » لميرخواند ، و « ظفرنامه لشرف الدين على يزدي » ، ومصنفات شتى في تاريخ الهند : أما الرسوم التي تزين كتاب « قصص الأنبياء » لأكثر من مؤلف و « مجالس الشاق » لسلطان حسين ميرزا (وكان يقرب المصورين ويسخو عليهم) فجديرة بالاهتمام لأنها تعرض صور الرجال الذين لم قداسة في التاريخ الإسلامي . وشاعت بعد ذلك القصص الثرية المصورة . ولم يكف المصورون المسلمون بتوشية المخطوطات العربية والقارسية بالرسوم ولكنهم حلوا بها كذلك مخطوطات أخرى باللغة التركية الجغتائية (وخاصة ما كتب منها في هراة إبان النصف الأخير من القرن الخامس عشر) وباللغة الهندوستانية ، ولغة البشتو ، والتركية المنيانية .

ويجب ألا نكتفي بالصور التي حظيت بها المخطوطات المقدمة للأمرء والموسرين ، بل يجب علينا أن نسوق الشواهد على عدم احتفال العامة بتحريم صور الكائنات الحية ، وأجلها بالعناية الخائيل المستعملة في « خيال الظل » الشائع في جاوة ومصر وبلاد الترك ، وصور الحيوان الساذجة التي تزين بيوت الفقراء ، وخاصة الصور التي نرسم في مصر احتفالاً بعودة الحاج من مكة إلى جانب صور البراق (انظر هذه المادة) الرخيصة .

تحطيم الصور والخائيل ، ولعل ما بقى منها قليل من كثير .

والشواهد على وجود فن التصوير واستخدام الصور في العالم الإسلامي أكثر في الرسوم منها في الخائيل ، وبخاصة في فارس والهند وبلاد الترك ، وثبت دلائل على وجود صور حائطية تزين قصور أمراء المسلمين ، وشواهد ذلك من العصر الأموي في صور الأمراء والراقصين والموسيقيين واللاعبين وغيرهم في « قصير عمرو » (انظر هذه المادة) ، وشواهدا من العصر العباسي الأول في صور الراقصات والحيوان والطير وغيره في قصور سامراء . وفي كتب الأدب شواهد مستفيضة على مزاوله التصوير في قصور أمراء المسلمين المحدثين ، وقد وصلت إلينا بقايا صور حائطية صنعت في القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر لشاهات القراس .

وغالب الصور الإسلامية رسوم حظيت بها المخطوطات كما يوجد بعضها في صفحات منفصلة من الورق ، وقلما نرى الآن على صور مرسومة على تلك الصفحات تاريخها سابق للقرن الثالث عشر ، ومن أقدم ما زين بالرسوم من كتب الأدب العربي مقامات الحريري . وكلية ودمنة ومصنفات أخرى في القللك والطب وعلم الحيل ... إلخ أما الأدب الفارسي فكان حظه من عناية الرسام أعظم ، فقد زينت بالرسوم التوايف في شتى الفنون ، وكانت دواوين الشعر مصورة في الغالب ، مثال ذلك شاهنامه الفردوسي ، وخمسة نظائى ،

السادس عشر ، أما أخيراً مصوري الهند والترك فلم تصل إلينا إلا بعيد ذلك ، ولكن التفاصيل التي تضمنتها هذه الأخبار تافهة لا يؤبه لها ، وهي لا تكفي في أية حالة لإثبات نسبة صورة من الصور إلى صاحبها :

ونذكر آخر الأمر السكة التي تحمل وجه ملك من ملوك المسلمين ، فمن الواضح أن أقدمها محاكاة لسكة الروم ، وظلت كذلك حتى قام عبد الملك (انظر هذه المادة) بإصلاحها عام ٧٧ للهجرة . وثمت أمثلة متفرقة لسكة تحمل صور خلفاء بني العباس : المتوكل ، والمقتدر ، والمطيع ، وزاد شيوعها أيام أمراء السلاجقة في آسيا الصغرى ، وبني أرتق أصحاب ديار بكر ، وبني زنكي أمراء حلب ، بيد أن هذه السكة لم تكن بوجه عام سوى محاكاة لسكة أجنبية ، وليست بينها واحدة تين صور الملوك التي ضربت عليها أسماؤهم وألقابهم ، أما في الهند فقد ضرب « جهانكير » (انظر هذه المادة) سكة عليها صورة وجهه ، ثم اجتراً فأغضب المسلمين وصور نفسه وكأس الخمر في يده ،

المصادر :

أهم المصادر في التصوير :

(١) K.A. Inostranetev and J.I. Smirnov :

Materials de la bibliographie musulmanshoe

Archeologie ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٤ (٧)

A Provisional bibliography of : A. Creswell

painting in Muhammedan art ، لندن سنة ١٩١٢

ومصادر فن التصوير عند المسلمين نكتفها القعوض ، بيد أننا نلاحظ أثر الصور المسيحية (يقووية ونسطورية) والماتوية والساسانية والصينية ، وفي بلاد القرس عادت السن الفنية السابقة للإسلام إلى الظهور في الفن المتأخر في الزمن ، وعلمد الرسامون المهنوس أمراء المسلمين ، وظهرت في رسومهم نبات بلادهم .

وقد حاول بعض الباحثين تصنيف المدارس المختلفة في التصوير الإسلامي ، ولكنهم لم يتفقا بعد إلا على جانب ضئيل من هذا التقسيم المعروض للبحث . ويُعد المصورون الأول الذين عاشوا في القرن الثالث عشر جماعة برأسها ، وثمت نبات بعينها تميز رسوم المصورين الذين تعلموا أمراء المغول في فارس في مستهل القرن الرابع عشر ، والذين تعلموا الأمراء من آل تيمور في القرن الخامس عشر ، وأمراء الصفويين في القرن السادس عشر ، ومغل الهند في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

ولسنا نعرف عن أشخاص المصورين أنفسهم إلا القليل ، ولا يعرف أصحاب غالب الصور ، ولا نجد في كثير من الأحيان مادة تراجع المصورين حتى إذا كانت صورهم تحمل توقيعهم ، بل إننا لا نعلم إلا التز اليسير عن « جهاد » (انظر هذه المادة) ، أعظم مصوري القرس إذا استكثرت أماء الأمراء الذين خلعهم . ولم يتفق القناد على صحة ما نسب إليه من الصور التي تحمل توقيع . ولم تصل إلينا أخبار مصوري القرس إلا في القرن

ولكننا نبتأ أن المقال الذى كتب عن هذه المادة غير واف، فأقرنا أن نشير هنا إلى ما كتبناه بالعربية عن هذا الموضوع فى كتابنا «التصوير فى الإسلام عند القروس» (القاهرة سنة ١٩٣٦، ص ١٨-٢١) وكتابنا «الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى» (القاهرة سنة ١٩٤٠، ص ٧٤-٨٣) وفى الدراسات الفنية والتعلقات التى زدناها على كتاب «التصوير عند العرب» للفرحوم أحمد تيمور باشا (ص ١١٩ - ١٣٩) وقد أخرجناه للجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٢. والحق إننا عرضنا فى ما كتبناه فى هذه المراجع، ولا سيما فى المرجع الأخير منها، لشئى الأبحاث التى كتبها الفقهاء والمؤرخون ورجال الفنون والآثار، وناقشنا الآراء المختلفة التى وصلوا إليها، وابتدعنا إلى أن القرآن لا يبرض التصوير بشئ، وإلى أن الحديث ينهى عنه، وإلى أننا لا نطمئن إلى ما يقوله بعض العلماء من أن أحاديث النبى عن التصوير موضوعة ولا تغير إلا عن رأى السائد بين الفقهاء فى العصر الذى جمع فيه الحديث وحدث، أى نحو القرن الثالث الهجرى والتاسع الميلادى. وقد نسبتنا كراهية التصوير فى الإسلام إلى الفزع من الوثنية وعبادة الأصنام والخوف من الرجوع إلى ما كان عليه معظم العرب فى الجاهلية، وذلك فضلا عن كراهية الرف فى ذلك العصر الذى ساد فيه الزهد والتقشف وسبيل الله، وعن تصور من مضاهاة خلق الله تعالى. ويرى بعض العلماء أن العرب كانت تحشى الصور والتماثيل بالفريزة كما كانت تحشاهم الأمم السامية.

(٣) W. Bjoerkman and E. K. Kuchnel : *Kritische Bibliographie, Islamische Kunst*, 1914-1927 فى *Isl.*، ج ١٧، برلين سنة ١٩٢٨. وظهرت بعد ذلك مصادر أخرى (٤) T.W. Arnold : *Painting in Islam*، أكسفورد سنة ١٩٢٨ (٥) *Denkmal* : A. Grohmann and T.W. Arnold *islamischer Buchkunst*، ميونخ سنة ١٩٢٩. وأولى للمراجع (٦) E. Kuchnel : *Islamische Kleinkunst*، برلين سنة ١٩٢٥ (٧) E. Migeon : *Manuel d'art musulman* الطبعة الثانية، باريس سنة ١٩٢٧. [أنولد T. W. Arnold]

تعلق على مادة «التصوير»

جاء هذا المقال مقتضيا إلى حد كبير، على الرغم من أن لكتابه أغاثا واسعة فى ميدان التصوير الإسلامى وأهمها كتابه : «التصوير فى الإسلام» *Painting in Islam* الذى ظهر فى أكسفورد سنة ١٩٢٨ والذى وضع فيه المؤلف حدا خطأ شاع حقبة طويلة من الزمن، فأثبت أن الفقهاء من الشيعة ومن أهل السنة سواء فى القول بكراهية التصوير. حقا إن الأستاذين غرلر Gurlitt وشولتز Schulz فضلنا قبل الأستاذ أنولد إلى خطأ القول بأن التصوير لم يكن محرما عند الشيعة (انظر Ph. Walter Schnitz *Die persisch-islamische Miniaturmalerei* ص ٩) ولكنه كان أول من شرح ذلك شرحا وافيا (ص ١١ من كتابه سالف الذكر).

وقد ترك الكاتب البحث فى حكم التصوير فى الإسلام مادة «صورة» فى دائرة المعارف،

هند القرمس « وقى بحثنا عن « التصوير وأعلام المصورين في الإسلام » وقد كتبناه في كتاب « نواح مجيدة في الثقافة الإسلامية » الذي أخرجه مجلة المختطف سنة ١٩٣٨ ع

ولاريب في أن أوفى للمراجع العربية في هذا الموضوع حتى الآن هو كتاب « التصوير عند العرب » للمرحوم أحمد تيمور باشا ، فقد جمع فيه المؤلف في ١١٤ صفحة من القطع الكبير نخبة طيبة جداً من التصوير الأديبة والتاريخية عن الصور والتماثيل عند العرب وزدنا عليها نحو ١٥٠ صفحة من الدراسات الفنية والتعليقات عرضنا فيها لحكم التصوير في الإسلام ونختطف التحف والألطف الإسلامية المحلاة بالصور ولشئ التماثيل الإسلامية التي وصلت إلينا : أما التماثيل والصور عند سائر الأمم الإسلامية فإن ميدان الحديث عنها في كتب الفنون الإسلامية ، ولا سيما في ما ألف منها عن التصوير ، وقد أشرنا إليها في مراجع مؤلفاتنا التي ذكرناها وفي المراجع التي ألبتناها في نهاية كتاب التصوير عند العرب لأحمد تيمور باشا ،

مصادر أخرى :

- (١) L. Binyon, Wilkinson and Gray
- Persian Miniature Painting ، أوكسفورد سنة ١٩٣٣
- Musulman Painting : E. Blochet (٢) ١٩٣٣
- لندن سنة ١٩٢٧ (٣) E. Diez
- Die Kunst der islamischen Völker ، برلين سنة ١٩٢٢ (٤)
- A Handbook of Mohammedan : M. Dimand

والمعروف أن كراهية التصوير وحمل التماثيل في الإسلام جنبت المسلمين اتخاذ الفن عنصراً من عناصر الحياة الدينية وسالت دون استعمال التصوير في المصاحف وفي الهائر الدينية كالمساجد والأضرحة اللهم إلا في حالات نادرة جداً ، وجعلت المسلمين ينصرفون إلى إتقان الزخارف البعيدة عن تجسيم الطبيعة الحية أو تصويرها ، فيضوقون في العمارة وفي زخرفة المباني وفي تزيين الألفاظ والتحف بالرسم الفنية ، ويقفرون في ميدان النحت فلا تظهر صبرية النحات ، ولا يكاد يلتفت إلى التماثيل المخروطة ، ورفضت تلك الكراهية مكانة الخطاطين والمذهبيين وسائر المشتغلين بإنتاج المخطوطات الثنية ، ولكنها مع ذلك كله لم تنقص على التصوير قضاء مبرماً ، فازدهر إلى حد ما ، ولا سيما على يد الإيرانيين والمهند

والشواهد التي ساقها كاتب المقال على وجود التماثيل عند المسلمين قليلة جداً بالنسبة إلى ما يعرفه المؤرخون وعلماء الفنون الإسلامية . وقد جمع المرحوم تيمور باشا كثيراً منها في كتابه الذي أخرجه للجنة التأليف والترجمة والنشر . كما ذكرنا كثيراً منها في كتابنا « كنوز القاطمين » (القاهرة سنة ١٩٣٧) و « الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي » و « الفن الإسلامي في مصر » (القاهرة سنة ١٩٣٥). أما ازدهار التصوير في إيران والمهند وتركية فقد تحدثت عنه المؤلفات العديدة التي ظهرت في هذا الموضوع وإلى أشرنا إليها في كتابنا سالف الذكر وفي كتابنا « التصوير في الإسلام

الضفة اليمنى لنهر إربل وعلى الضفة اليسرى لنهر كالتش Queiles أحد روافد نهر إربل . ويقول جغرافيو العرب إن الأمويين أنشأوا مدينة تطيلة في عهد الأمير الحكم الأول (١٨٠ - ٢٠٦ هـ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م) . وكانت هذه المدينة في ذلك العهد وفي ظروف عدة أخرى معقلا للزعماء المسلمين الناطقين ، لذلك حاصرها الأمير عبد الرحمن عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ - ٨٤٤ م) كما حاصرها الخنزر عام ٢٦٤ هـ (٨٧٧ - ٨٧٨ م) . واستولى النصارى على هذه المدينة جملة مرات ثم استردها المسلمون واتخذها عبد الرحمن الثالث قاعدة سيطر منها حملة على شبلى شبه جزيرة الأندلس عام ٣٠٨ هـ (٩٢٠ - ٩٢١) وصعد عبد الحميد بن بسيل قائد جند عبد الرحمن الثالث بأمر مولاه واسترد هذه المدينة بعد ذلك بثلاث سنوات . ولم يذكر مؤرخو العرب تاريخ دخول تطيلة في حوزة النصارى نهائياً .

المصادر :

(١) الإدريسي : المسالك والممالك ، النص ص ١٧٦ ، ١٩٠ ، والترجمة ص ٢١١ ، ٢٣١ (٢) أبو القداء : تقويم البلدان ، النص ، ص ١٨٠ ، والترجمة ص ٢٥٩ (٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٥٣ (٤) ابن عبد المنعم الحميري : الروض المطهر ، ولا تزال الطبعة الأسبانية منه في سبيل الإعلاء ، رقم ٥٥ (٥) E. Fagnan : Extrait inédit relatif au Maghrib ، ص ٢٨ (٦)

Decorative Art ، نيويورك سنة ١٩٣٠ (٥) *Die Kunst des Islam* : H. Glueck und Diez ، برلين سنة ١٩٢٥ (٦) *Die Maler* : E. Hezfeld ، *den. von Samarra* ، برلين سنة ١٩٢٧ (٧) *Die Islamische Kunst* : E. Kuehnle *Handbuch der Kunstgeschichte* : A. Sprenger *Band VI, S. 379-584* ، لينكس سنة ١٩٢٩ (٨) *Miniaturmalerei im islamischen* : E. Kuehnle *Orient* ، برلين سنة ١٩٢٣ (٩) *The Miniature Painting and Painters of Persia, India and Turkey from the VIII to the XVIII century* ، لندن سنة ١٩١٢ (١٠) L.A. Mayer : *Annual Bibliography of Islam Art and Archaeology* المجلد الثالث سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٧ (١١) *A Survey of Persian Art* ، طبعة A.V.Pope and Ph.Arckerman *La* : A. Sakisian (١٢) ١٩٣٨ *Miniature Persane du XIIe au XVIIe Siècle* ، باريس سنة ١٩٢٩ (١٣) Ph. W. Schulz : *Die Persisch-islamische Miniaturmalerei* ، سنة ١٩١٤ (١٤) L. Hantecoeur et G. Wiet : *Les Mosques du Caire* ، باريس سنة ١٩٢٢ م . ص ١٦٣ - ١٨٣ .

د. محمد حسن

« تَطِيلَة » : بلدة بالأندلس يبلغ عدد سكانها ٩,٥٠٠ نسمة تقريباً ، وهي على ارتفاع ٨٦٠ قدماً فوق سطح البحر وعلى مسيرة خمسين ميلاً إلى الشمال الغربي من مرسطة تطيلة على

R. Manzoni إنه كان يشمل أيضاً قضاء محادرونى
مفكاً وماوية، أى جميع البلاد بين الحد بلدة والبلاد
المستقلة التى إلى الشمال الشرقى من حدن و مدينة
تيز على خط طول ٤٤° ٦' ٤٥ شرق كرينوتش
وخط عرض ١٣° ٣٦' ٥٥ شمالاً ، وقد بنيت على
المتحدرات الشمالية لجبل صبر (ورد اسمه فى
كتاب الهمداني صبر) وهى على ارتفاع ٤٥٠٠
قدم فوق سطح البحر ، ويتراوح عدد سكانها بين
ألفين وثلاثة آلاف نسمة : ويطلق البرتغاليون على
هذه المدينة اسم تيس Tels ، ويسمى الإيطاليون أمال
Ludovico di Bartheima and Andrea Corsati
تيساً Tels . ويحيط بهذه المدينة سور سمكه بين
٢٥ و ٣٠ قدماً وارتفاعه بين ٩ و ١٢ قدماً ، وهو -
مثل السور الذى يحيط بمدينة صناعه - تكتفه
أبراج يتراوح ارتفاعها فوق السور بين ٦ و ٨
أقدام . وبنيت هذه الأبراج من قوالب الترميد
جففها أشعة الشمس ، وهى مغطاة بطبقة من الآجر ،
وسور المدينة على شكل رباعي غير متساوى الأضلاع
يمتد من الشرق إلى الغرب . وإلى الجانب الغربى
من هذا السور طنل متعدد الأضلاع تقوم عند
ركنه الجنوبى الشرقى صخرة شديدة الانحدار
ارتفاعها ٤٥٠ قدماً تتوجها قلعة القاهرة ، وهى
الآن كثيرة الخراب وكانت من قبل قلعة متينة ،
وفى مقابل هذا الطنل من ناحية الركن الشمالى
الشرقى من السور طنل آخر رفيع قمته أكمة وصره
ولسور المدينة خمسة أبواب ، فى الشرق الباب الكبير
المؤدى إلى طريق ماوية وحدن وقطعة وإب ويترجم
وصناعه ، وفى الغرب باب الشيخ موسى ، ويؤدى

ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، فى مواضع
مختلفة ، انظر القهرس .

[لىي پروڤنسال E. Levi-Provençal]

« تعبير » : (انظر مادة « رؤيا »)

« التعريف » : من عرفت ، وهو التفسير ،
والحد ، والوصف . وقولنا « تعريف آياصوفيا »
معناه وصف آياصوفيا ، و « كتاب التعريفات »
رسالة معروفة للسيد الشريف الجرجاني فى تفسير
المصطلحات الصوفية .

و « تعريف » - أو « تحريف » : حوّن ياء بعلا لراه
فى لغة الإدارة - المكس والضرية وسعر المواد
الغذائية وأجرة النقل . . الخ . ومن شواهد ذلك
فى التركية التعبير « كمرك تعريف مى » أى المكوس
و « مير يول تعريف لرى » أى أجر السكة الحديد .

وتدل فى النحو العربى على أداة التعريف
ألف ، وتسمى كذلك لام التعريف .

[كارا ده فر Carra de Vaux]

« تيز » : مدينة هامة فى جنوبى بلاد العرب ،
وقد كانت قصبة سنجق تغزيرة التركى . وقد نص
« تيزم وقائع » - وهو القانون التركى الصادر فى
١٥ مارس سنة ١٩١٣ منظمًا إدارة الولايات -
على أن سنجق تغزيرة يشمل عديّن وإب والمصخا ،
وقنّاعرة ، وقطنية وحجرية . ويقول مانزوني

مؤسس هذا المسجد الشيخ ، وأمامه ضريح آخر من الحجر الجيري والأجر يحيط به حاجز من الخشب المنقوش يضم رفات عبد آخر من عياله . ويقع مسجد المظفرية الكبير الضخم على سفح جبل صبر ، وهو رباعي الشكل أيضاً وبه ثلاثة صفوف من الأعمدة وثلاث قباب كبيرة ومثلثتان . وتكسيه أسواره المطلية باللون الأبيض منظرأ فريداً وسط صخور التل البركانية الساكنة ، وفي واجهة المسجد عدد من التوافد لها قضبان مصبغة الشكل لحيا عقود محمولة على أعمدة رفيعة . وتزين الواجهة كتابات وهوش متشابكة . وقد زار الرحالة البولوني لودوفيكو دي بارثيما Ludovico de Bartheima مدينة تمر عام ١٥٠٨ وشاهد مسجدها الكبير الذي مازال محفظاً بكناته وروقه إلى الآن . ولم يعلم لودوفيكو دي بارثيما الواقع عندما شبه هذا المسجد بكنيسة سانت ماريا روتندا برومة St. Maria Rotonda . وفي مدينة تمر إلى الآن بضعة مساجد سلمت من التل منها مسجد عبد الهادي ، ومسجد الشيخ موسى وهو في الجهة الغربية خارج أسوار المدينة ، وفي الجهة الشرقية مسجد الشيخ أفضل وأهل بيته الذين عاشوا في العهد الأول من الفتح التركي وهو مسجد فخم حافظ لبلاته . ومن المساجد التي بنيت في ذلك العهد أيضاً مسجداً متخديبية وهو في جنوب المدينة ، وهذا الجزء من تمر هو أعلى أجزائها وقد ابتناه عبد حبشي يدعى حسن باشا . ومسجد الخديية بناء مربع الشكل لا مثله له وفي وسطه صحن كبير . وهذا المسجد خطيط حبيب من الطرازين البوزنطي والعربي ونحو مزخرف بكتابات كثيرة على أبوابه المنصهرة من

إلى طرزيقاً فخماً وخميس . وفي الجنوب الغربي من السور باب الإمداد وهو يؤدي إلى حجرية وبني خلوان . وفي الجنوب باب عين دمة ويؤدي إلى جبل صبر ويربط التل بقلعة القاهرة . وفي الجنوب المشرق من السور باب الخديبة ويؤدي أيضاً إلى جبل صبر ، ويحيط بهما الباب سور إلى اليوم . وقد بقيت هذه الأبواب جميعاً على الطراز العربي ، ولا يبعد بعضها عن بعض كثيراً . ويقوم على كل باب منها يرجان يرتفعان فوق سور المدينة ، بينما يقوم فوق الباب ذاته برج ثالث لحماية المدخل ، وتزود هذه المدينة بماء الشرب العذبة بأبواب حجلة في باطن الأرض تستمد مياهها من جبل صبر ، وبها سوق كبيرة . وكثرت التلال في هذه المدينة في القرن التاسع عشر ، فبنا عليها الإسماعيليين ، فقد غربت بيوتها الجميلة التي كانت في الغالب من طابق واحد وليس بها الآن سوى عشرين منزلاً قائماً ، أما المنازل الأخرى فقد حلت محلها أكوام عليها مظاهر البؤس والفقر . وغلب البمار على الريح الجنوبي من المدينة خاصة ، فالخراب ملحوظ في جميع نواحيه . ويشهد عدد من المساجد الجنينة بما كان لماصمة الرسولين من عظمة ومجد ، ومنها منسجد الأشرفية الذي شيده الملك الأشرف إسماعيل بن العباس الرسول (١٣٧٧ - ١٤٠٠ م) وهو رباعي الشكل له مثلثتان وبه صفان من الأعمدة عليها ثلاث قباب كبيرة المزخرف موهت بالألوان . وفي جنوى هذا المسجد مقابر مؤسسه وولده علي وأثنين من عياله . وهناك سياج من الخشب المنصبع وواجه ثلاثة منحرفة من الرمر تضم رفات الأزواج

أعلى أجزائه ، وتوجد فيه بصفة خاصة زراعة الشعير
والخردل . وثروة هذا الإقليم من زراعة القات
(انظر هذه المادة) الوفيرة (*Calastus*)
(*adulis* Forsk) : وأهل اليمن مغمرون بهذا
النبات لأنهم يستعملون به على الباه ، ويقول كليلز
Glaser إن موقع تعر غير صحي وإن منافعها
يساعد على انتشار الملاريا . وتربط تعر بزييد ويريم
وإب وصنعاء وعدن طرق قوافل جيدة ، وكان
البريد في العهد التركي ينتقل كل أسبوع ما بين
تعر والحديدة . وفي سنة ١٩١٢ وضع مشروع
إنشاء خط حديدي يصل ما بين الحديدة وصنعاء
وداخل البلاد ، وكانت خطة هذا المشروع تتضمن
مرور هذا الخط بالحديدة وزييد وتعر ويريم وصنعاء ،
ولكن الحرب الإيطالية التركية والحرب الكبرى حالتا
دون تنفيذ هذا المشروع .

وفي رواية أهل هذه البلاد أن تعر أنشئت في
الحاهلية كما أنها تربط بين الجبل المسى ضربة على
في الشمال الشرقي من تعر وبين على زوج ابنة التي
التي أصبح خليفة فيها بعد . ويقال إن هذا الجبل ،
وله الآن قمتان ، كان فيما مضى كتلة واحدة من
الصخر الأصم ، وعندما ذهب على لنقح اليمن وإدخال
أهلها في الدين الإسلامي وصل إلى تعر فخر منه أهلها
وأנקروا تعاليم القرآن فحاصر المدينة وحسبكر على
قمة الجبل الذي يعرف باسمه : وطال أمد الحصار
لما أبداه سكان تعر من مقاومة ، وأعرض وجوه
المدينة عن رسل على وأسأوا للإهم بل تنكر لهم
الأهلون واحتلوا على واحد منهم . فثار على لذلك

الحشب المكشفت وعلى جمراته ، أعدته . وإلى يسار
هذا المسجد أحراض ماء كثيرة جعلت للوضوء ولكنها
الآن مغسل للبهارستان . وحل النمار بمسجد شرف
الدين وسلمت مثنته ، وقد ابني هذا المسجد
الإمام شرف الدين بن الإمام مطهر ، وهو - مثل
مسجد الأشرية - في الجزء الجنوبي المرتفع من
مدينة تعر .

وتكثر في مدينة تعر البساتين والمقول والمروج ،
وأجملها ما يقع في وسطها وهي من أملاك سليمان
باشا وتسمى الركة الحسينية . ويقوم وسط هذه
البساتين نخوسق به ردهة كبيرة جميلة ، أمامها
حوض يضايى الشكل به نافورة . وفي هذه
البساتين أيضاً قبة حسين باشا العالية (ضريح) التي
دفن بها . وترى هذه البساتين أقينة معلقة تستمد
مياهها من جبل صبر . ويزرع في هذه البساتين
والمروج ما يزرع في صنعاء والروضة من شجر
ونبات اللهم إلا شجر البندق ، ولا يوجد بها التخييل ،
أما الموز فتطيب بها زراعته . والسبل الذي حول
مدينة تعر أرض جيدة الحراث ، وتغطي منحدرات
جبل صبر الذي إلى الشمال الشرقي من تعر أحراج
ضخمة من الأثل وأشجار الغرنوب . وبالقرب من
هذه المنحدرات عملة قرى ، وجبل صبر أشبه
بجديقة النبات ، تنمو على منحدراته السفلى جميع
أنواع الفاكهة والتمر الهندي والسفرجل والأعشاب .
ولتمو على المنحدرات العليا جميع أنواع
الأقارب إلى جانب الأشجار والشجيرات المألوفة ،
ويزرع الأهالي منحدرات هذه الجبل حتى

فأثمين ، ثم استبقظوا ونحيل إليهم أنه لم يمر عليهم سوى يوم واحد . ووجدوا معهم بعض ما كانوا يحملونه من مال ، فأرسلوا واحداً منهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً : فقبض عليه نفر من أهل السوء ووجدوا ما كان معهم من المال ، وظنوا أنه عثر على كنز مخبوء ، وساقوه إلى أولى الأمر فلم يتعرف عليه أحد ، فظن أن به مسا من الجنون لأنه لم يكن له مسكن فأطلقوا سراحه ، فعاد إلى الكهف . وقد زار كليزر هذا الكهف في العشرين من نوفمبر عام ١٨٨٧ ، ومسجد أصحاب الكهف ببيع به أعمدة خشبية رائعة ومقف بالغ الجال ، أما الضريح في الركن الشمالي الغربي من المسجد وهو عبارة عن موضع مسور على شكل المنشور ، بجانب الأيمن حجر يسبه العرب مغارة ، وقد درس كليزر هذه المغارة من قرب دون أن يلاحظ بها مسبكاً (١) أو شقاً ، فظن أنه ربما تكون الصخور غير متلاصقة بحيث تسمح بمرور مسبك خفيف بينها ، ويعيش السادة قرب المسجد . وزار بوتكا Botta عام ١٨٢٧ الموضع الذي أخطأ في تسميته « أهل الكهف » ، وقد أشار له الناس عند سفح جبل صبر بالقرب من تيز على مدخل المغارة التي خرج منها أصحاب الكهف في صبرهم التل مباشرة .

وليس من المحتمل أن تيز كان لها وجود قبل الإسلام ، وكانت قصبة هذه الناحية بلدة السوء ثم جيتاً ، ولا تبعد كتابهما عن تيز . ويقول حاجي

وضرب قمة الجبل بسيله المشهور فأحدث به الشق الطويل الذي لا يزال ظاهراً إلى اليوم ، وكان من أثر هذه الضربة أن انهارت جميع مساكن تيز بل تهدم أقوى هذه المساكن وأصلها ، ومع ذلك لم تجز خيمة واحدة من معسكر على أو يصب أحد من رجاله سوء : وعندها وفد على علي رسل من أهل تيز ونادوا به نبياً واعتنقوا الإسلام .

وليس من شك أن هذه القصة لا تمت إلى التاريخ بصلة ، ولكن حياة الجبل الخاصة قد أدت إلى نشوئها ، وهناك أماكن أخرى كثيرة يربطون بينها وبين علي ، ذلك أن أهل اليمن من غلاة المتشيعين لعل : ومن قبيل ذلك ما رواه كليزر من أن هناك على جبل الدار القريب من رباط على الطريق إلى ذمار أثاراً لقدم على ، وهذا الأثر في صخرة أعلى جبل الدار على الأرجح وعلى جانب الطريق إلى ذمار . وإلى جانب هذه الصخرة عند الجانب الأيسر من الطريق صخرة أخرى مثقوبة على ما يظهر تسمى ضربة على . وهناك أسطورة أخرى تتصل بأرباض تيز وهي أسطورة التوام السبعة . ويحمل ابن الجاور مسرح هذه الأسطورة مغارة في جبل صبر . وفي رواية عرب الجنوب طله الأسطورة إن الملك دقيانوس القدار أخذ الأبناء السبعة للملك من الملوك رهينة عنده . وعندما خرج دقيانوس للحرب فر الرهائن وذهبوا إلى ماحمين بالقرب من تعب ولم يظهر إلا فوق أكمة قرية الميعقاب بالقرب من جبل صبر حيث كانوا يعيشون . وجد دقيانوس في طلبهم فمز عليها الاعتداء إليهم . وقد عاشوا في تلك الجهة ٣١٠ سنين قضوها

(١) المسبك هو ممر الهولاء .

خليفة في مصنفه «جوانها» إن الملك العزيز سيف الإسلام ظهر للدين أبا القوارس طفتكين الأيوبي هو الذي شيد مدينة تعز بعد أن وفد على بلاد اليمن عام ٥٧٨ هـ (١١٨٢ - ١١٨٣ م)؛ ويذهب كليزر إلى أن غالب تعز قد بنى من أقاصد بليدة سعيد الحاور على الضفة اليسرى لوادي صالة ، وقد استنتج من الأبحاث التي قام بها أن تعز كانت تعرف باسم «عَدَيْنة» منذ خمسمائة سنة أو ستائة، ولم يبق من آثار هذا العهد سوى أسس الأسوار ، أما الأسوار نفسها لمحتبة البناء . وعدينة على مسيرة ثلاثة أميال أو أربعة على الأكثر إلى الشرق من تعز على سفح جبل صبر ، مظهرها في ذلك مثل تعز . ويقال إنها كانت أول أمرها مقر الملك إلى أيام إسماعيل ملك وهو ولي من مشهور تنسب إليه كرامات كثيرة وبعد راعى تعز . وقد شيد فيها مسجداً ، وقبره على أكمة القاهرة حيث بنيت القلعة بعد ذلك ونمت المدينة . ومثل تعز في نسبة إنشائها إلى ولي من الأولياء مثل غنا وبيت الفقيه ولحية وغيرها . ونجد من ناحية أخرى أن كليزر قد اعتمد على الأبحاث التي قام بها القاضي يحيى في تعز عام ١٨٨٧ وقال إن هذه المدينة أقدم من تعبد التي لم تشيد إلا أيام الرسوليين أو التي أسست بعد ذلك في القرن السابع الهجري . وقد روى له أن تعز كانت موجودة باسم عَدَيْنة منذ عام ١١٣٣ هـ (٧٥٠ - ٧٥١ م) وكانت أكبر ما هي عليه بكثير . ولا نستطيع التحقق من مدى صحة هذه الأقوال . ووصف باقوت الخولي عام ١٢٢٩ م مدينة تعز بقوله إنها قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورة ، ووصف عديته بأنها

يرى تعز مالمين ، وقال ابن الحاور الذي صنف كتابه عام ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ - ١٢٣٣ م) إن تعز قلعة حصينة وإنها مقر ملوك البلاد . وزار ابن بطوطة المدينة عام ١٣٣٢ م ووصفها بقوله إنها أكبر مدن هذه البلاد وأجملها ووصف أهلها بالكبر والتعظيم والجهل . وسكن القسم الأول من أقسامها الثلاثة السلطان وحاشيته والمالِك والأشراف ، وسكن الثاني ، واسمه عدينة ، الجند والقواد ، وسكن الأهليون القسم الثالث ، وفيه السوق الكبيرة المعروفة بـ «السُحَالِب» . وازدهرت المدينة لما أصبحت عاصمة الرسولين ، وقد أنشأ هولاة خمس منار : القنبر منها أنشأها الملك المنصور عمر (١٢٢٩ - ١٢٥٠ م) ، وشيد الثالثة خلفه الملك الفضل مجاهد وتسمى «الخامدية» ، والرابعة الملك الأشرف إسماعيل (١٣٧٧ - ١٤٠٠ م) وتسمى «الأشرفية» ، والخامسة الملك المؤيد داود (١٢٩٦ - ١٣٢١ م) وقد خلف مكتبة بها مائة ألف مجلد ودفن بهذه المدرسة . ويظهر أن الحصن لم يكن قوي البناء لأن جزءاً من القلعة تهدم عام ١٣٩٢ م وقتل شخصين . وفي عام ١٥١٦ استولى على تعز حسن الكردي أمير البر والبحر السلطان المملوكي المصري فأنصروه الغوري . واستولى عليها الترك عام ١٥٢٥ م ، ثم انتقلت إلى أئمة صنعاء عام ١٥٦٧ م . وقد زار الطبيب الفرنسي ده لاكريا ديبر De la Grelaudière مدينة تعز عام ١٧١٢ ووصفها بقوله إنها مدينة قديمة مشهورة لها أسوار جميلة شيدها الترك . وكان بقلعتها ثلاثون مدقماً ، وكانت بمثابة سجن حكوى . ونقضت

المدينة عنها غبار الأحداث التي مرت بها في عهد أئمة صنعاء الذين خلفوا الترك في حكمها عام ١٦٣٥ :

ثم انتقلت إلى أبلى ذى محمد وهي قبيلة قوية احتفظت بها إلى أن جاء إبراهيم باشا وانتزعها منهم ، وظلت في حكم المصريين من عام ١٨٣٥ إلى عام ١٨٤٠ . ولما عاود الترك فتح اليمن عام ١٨٧١ سقطت تعز في أيديهم وكان ذلك في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر ، واستطاعوا الاحتفاظ بها إلى أن شبت فيها الفتنة الكبيرة التي قام بها أهل اليمن بزعامة الإمام أحمد الدين عام ١٨٩٢ . ولم تبق القلعة في أبلى الزيدية إلا أملاً يسيراً ، ذلك أن الترك استولوا عليها ثانية عام ١٨٩٣ وظلت في حوزتهم حتى أبرم صلح عام ١٩١٨ . ولما غادر الترك اليمن عادت تعز إلى حكم أئمة صنعاء .

المصادر :

- (١) ياقوت : المعجم ، طبعة فستلند ، ج ١ ، ص ٨٥٤ ، ج ٣ ، ص ٢٦٤ (٢) مرصدا الاطلاع ، طبعة جوينبول T.G.S. Juynboll ، ج ١ ، ص ٢٠٩
- (٢) رحلة ابن بطوطة طبعة C. Defrémery—B.R. Sanguinetti ، ج ٢ ، باريس سنة ١٩١٤ ، ص ١٧١ وما بعدها (٤) The : S. W. Redhouse peari-strings, a history of the Rasuliy dynasty of Yemen ، مجموعة كتب التذكارية ، الجزء الثالث ، القسم الثاني ، لندن سنة ١٩٠٧ ، ص ٢٠٥ (٥) Decada decima da Asia de Diego de Couto لشبونة ١٧٨٦ ، الكتاب السابع ، فصل ١٥ (٦) Beschreibung von Arabien : C. Niebuhr

- كوبنهاغن ، سنة ١٧٧٢ ، ص ٧٤٠ وما بعدها (٧) *Die Erdkunde von Asien* : G. Ritter (٧) ج ٨ ، القسم الأول ، برلين سنة ١٨٤٦ ، ص ٢٣٥ ، ٧٢٤ ، ٧٤٠ وما بعدها ، ٧٨١ وما بعدها ، ٧٨٥ *Post-und Reiserouten des* : A. Sprenger (٨) *Abh. f. d. Kunde des Morgenlands*) orient ج ٣ ، القسم الثالث ، ليبسك ، سنة ١٨٦٤ (٩) *Die alte Geographus* : الكاتيب نفسه : ١٥٦ ، ١٥٩ ، *Arabians* ، برن سنة ١٨٧٥ ، ص ١٨٣ (١٠) *Reise nach Sudarabien* : H.v. Maltzan ، برنسوك سنة ١٨٧٣ ، ص ٢٠٥—٢٠٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٥ (١١) *Relation d'un voyage dans l'Yemen* : P. B. Botta *entrepris en 1837* ، باريس سنة ١٨٨٠ ، ص ١٠٩—١١١ ، ١٣٧ (١٢) *El Yemen tre* : R. Manzoni *ami nel'Arabia felice. Escursioni fatte dal settembre 1877 al marzo 1880* ، رومة سنة ١٨٨٤ ، ص ١٨٠
- Voyage* : A. Defflers (١٣) ٣٤٢ ، ٣١٩ — ٣١٣ *au Yemen, Journal d'une excursion botanique faite en 1878 dans les montagnes de l'Arabie heureuse* : E. Glaser (١٤) ٩١—٨٨ ، باريس سنة ١٨٨٩ ، ص ١٨٨—٩١
- Skizze der Geschichte u. Geographie Arabiens* ج ٢ ، برلين سنة ١٨٩٠ ، ص ١٦٢ (١٥) *الكاتب نفسه Tagebuch* : ج ١ ، ورقة رقم ١٩ ، ج ٢ ، سنة ١٨٨٧ ، ورقة رقم ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ *Der islamische* : M. Hartmann (١٦) ٣٢ ، ١١ ، *orient, Berichte und Forschungen* ، *Die arabische Frage* ، ليبسك سنة ١٩٠٩ ، ص ٤١٧ ، ٤١٧ ، ٤٦٧ وما بعدها ، ٥٣٨ ، ٥٤٦ (١٧) *G.W. Bury*

الشراح في مدلوله الفقهي - من الأحاديث التي
تتميز الحِكْمَةُ في الطعام (G. H. Becker :
Papyri Schott-Reinhardt ، هيلبرغ سنة ١٩٠٦ ، ص ٥١)
ومهما يكن من شيء فإن هذا الحديث يفي على
عرف تجاري جرى عليه الناس فيما بعد ، وفي
حديث ابن عباس أن النبي قال : « إذا قال الرجل
للرجل : يا خنث ، فاجلبوه عشرين » (ابن ماجه :
كتاب الخلود ، باب ١٥) على أننا كثيراً ما نجد
حديثاً رواه كل من أبي بريدة وعبد الرحمن بن
جابر وأبي هريرة هو أن النبي كان يقول : « لا يجلد
أحد فوق عشرين جلدة إلا في حد من حدود الله »
(البخاري : كتاب الخلود ، باب ٤٣ ، مسلم :
كتاب ، الخلود ، حديث ٣٩ ، ابن ماجه : كتاب
الخلود ، باب ٣٢ ، ابن حنبل ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ ،
ج ٤ ، ص ٤٥) ، ومع ذلك فليس من شك في أن
هذه الأحاديث ظهرت في الخلاف الذي نشب حول
قدر التعزير ، ويؤيد هذا بصفة خاصة أن الفقهاء
المأخوذين جاوزوا زيادة عدد الجلدات ، والتعزير -
على أي حال - ضرب من العقوبة دخل في
الفقه الإسلامي في عهد متأخر بعض الشيء ، ولذلك
فإن مما يجدر ذكره أن الحديث لم يجعل للعقل « عذر »
صلة معنى التعزير الاصطلاحي الذي ظهر بعد
ذلك . نعم ورد في الحديث الذي ذكرناه ابن ماجه :
كتاب الخلود ، باب ٣٢ (« لا تعزروا » (١))

Arabic Infelix or the Turks in Yemen ، لندن سنة
١٩١٥ ص ٢٣-٢٥ (١٨) Der : F. Stuhlmann
Kampf um Arabien zwischen der Türkei
, und England (Hamburgische Forschungen)
ج ١ ، برنسويك سنة ١٩١٦ ، ص ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠١
(١٩) Handbooks prepared under the direction of the
historical section of the Foreign office, No. 61,
Arabia ، لندن سنة ١٩٢٠ ، ص ٥٣ ، ٦٩ ، ٧٢ (٢٠)
Arabra : D. G. Hogarth ، أكسفورد سنة
١٩٢٢ ، ص ٩١ وما بعدها ٩٨
[A. Grohmann]

والتعزير : التأديب لمنع الجاني من المعاودة

وتطهيره ،

ولم يعرض القرآن لهذا الضرب من العقوبة ،
وإنما عد من الجرائم خطايا شرع لها التعزير فيما بعد ،
مثل القذف ولم يرد له حد (سورة النساء ، آية
١١٢) وشهادة الزور (سورة البقرة ، آية ٢٨٣)
سورة النساء ، آية ١٣٤)

ولم يعرض الحديث التعزير إلا قليلاً ، ففي
حديث عن عبد الله بن عمرو قال : « رأيت النبي
يفترقون الطعام مجازفة يفرقون على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعه حتى يؤثوه إلى
رحلهم » (البخاري : كتاب الخلود ، باب ٤٣) (١)
والواقع أن هذا الحديث - بصرف النظر عن توسع

(١) نص الحديث : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا
اسماعيل بن عباس ، حدثنا عبد بن كثير ، عن يحيى بن أبي كثير
عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « لا تعزروا فوق عشرة أسواط »

(١) لم نجد في كتاب الخلود بل وجدناه في كتاب البيوع ،
باب ٥٤

وكانت العمة تختلف باختلاف الناس، فقلدرب بعض الفقهاء التعزير على مراتب الناس ، فالكاساني - مثلاً - يقول إن التعزير على أربع مراتب : تعزير الأشراف وهم المحققين والقواد ، ويكنى لهؤلاء أن يبعث القاضي أمينه إليهم ؛ وتعزير أشراف الأشراف وهم العلوية والفقهاء ، وهؤلاء يعزرون بالجر إلى باب القاضي والحطاب بالمواجهة ؛ وتعزير الأوساط وهم السوق ، ويكون بالحبس ؛ وتعزير الأخصاء ، ويكون بالحبس أو الضرب .

على أن فقهاء آخرين لا يأخذون بهذا الترتيب الظاهر الذي يفهم على الحالة الاجتماعية ، ويكون على قيمة الرجل في ذاته كدرجة إيمانه أو سببه .

وإذا استصوب القاضي أن يترك التعزير كلية فله أن يترك ما دامت الجناية على حق الله ، أما إذا كانت على حق الناس فلا يترك التعزير حتى إذا تنازل الحقن عليه عن حقه .

وبيان ما يظهر به التعزير أبسط من بيان ما يظهر به الحد ، فالتعزير يكون بالإقرار الذي لا يرد وبشهادة شاهدين ، ويجوز أن تكون إحداهما امرأة ، وتقبل أيضاً الشهادة على الشهادة . ويرى بعض الفقهاء أن علم القاضي بالجناية كاف .

وتبين لنا قصص ألف ليلة وليلة لأجل بيان كيف كان أولو الأمر يحكمون في هذه الجرائم التي تركتها الشريعة دون حد . (Let . Rescher) ، ج ٩ ، سنة ١٩١٩ ، ص ٦٨ وما بعدها) على أن الناس حاولوا التخلص بالرشوة من هذه العقوبة القائمة على هوى القاضي ، ومن ثم عمد الحكام في

بيد أنه قد ذكر في حديث عن أنس بن مالك الصل « عزز » في حد شرب الخمر بمعنى يخالف معناه الاصطلاحي المتأخر (ابن حنبل ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ، وذكر لفظ « جلد » في رواية أخرى للحديث في ابن حنبل ، ص ٣١٥) .

وفي كتب الفقه أنه التعزير للجناية التي لا حد لها ولا كفارة ، سواء كانت على حق الله كترك الصلاة والصوم ، أو على حق الناس كالبلش وشهادة الزور وسرقة ما تملك ... إلخ (انظر مادة « سارق ») ، وفي الجناية على حق الناس جناية على حق الله .

وأم شروط التعزير أن يكون مرتكب الجناية عاقلًا ، أما قبل التعزير ، فقد ترك فيه الخيار للقاضي ، فهو إما أن يعزر الجاني بالزجر أمام الناس ، أو جرة إلى مكان عام ، أو نفيه ، أو مصادرة ماله ، أو حبسه ، أو جلده . وفي مصادرة المال خلاف ، لأن البعض يرى أن مال المسلم ومتاعه لا بمصادرة في التعزير . ولا يجوز أن يزيد عدد الجلدات عما هو في الحد إلا في مذهب مالك ، ولا بجلد الحر في مذهب الشافعي فوق تسع وثلاثين جلدة ، ولا بجلد المد فوق تسع عشرة جلدة ، أما في مذهب أبي حنيفة فلا بجلد المعتز فوق خمس وسبعين جلدة ، وبعضهم يرى ألا يزيد التعزير عن حد الخمر ، وبعضهم يرى ألا يتجاوز حد القذف . وقد أخط الخنابة بالحديث السابق فلم يزيلوا عدد الجلدات عن عشر. وتمت أحكام شتى جد دقيقة في صفة الجلدات تختلف باختلاف المذاهب . ولما كان الغرض الأول من التعزير هو التطهير ،

«تعزية»: المراساة بوجه عام مشهد الشيعة بوجه خاص. وكلمة تعزية مصدر القتل المضغف من «عزى» ولم يرد هذا المصدر في القرآن (ورد لفظ عزين في سورة المراج، الآية ٧٣) ولكنه ورد في كتب الفقه على المذهب كلها في نهاية كتاب العبادات باب الجنائز، وفيها حض على تعزية أقارب الميت. وأول معاني التعزية عند الشيعة النواح على من استشهد من الأئمة عند قبورهم أو في منازل التابعين. وهم يتنوبون الحسين خاصة. والتعزية في لغة العامة التابوت المصنوع على غرار القبر القائم في كربلاء. فالتاس يحفظون في يومهم بهانج من هذا التابوت صنعوها من الفانس. على أن التعزية تدل بوجه خاص على المشهد نفسه. ويقام هذا المشهد في الثلث الأول من المحرم وخاصة في العاشر من «روز قتل» وهو اليوم الذي استشهد فيه الحسين، ويوافق يوم عاشوراء (انظر هذه المادة). وتختلف المشاهد اختلافاً كبيراً باختلاف البلدان، ففي فارس وغيرها في مواطن الشيعة أرض الجزيرة بلاد الهند. ويخل في المشاهد معناها الواسع المواكب التي تسير في الطرقات كموكب القرسان وفيه جواد الحسين، وموكب زواج القاسم ولید الحسين. فاطمة ابنة الحسين (انظر بعد) والموكب الذي يسير إلى القرافة، وفيه التابوت، وهذه الحافل العامة كلها لا تخلو من تهريج المهرجين على الرغم مما يتجلى فيها من الحزن العميق.

ثم إن التعزية تدل على تأدية هذا المشهد المؤثر نفسه، فيقام المسرح في الأماكن العامة والمنازل،

كثير من الأحيان إلى التدخل فربوا الأحكام المروكة لتقدير القاضي بفرض عقوبات محددة لطائفة من الجرائم كما هو الحال في «قانوناته» التي سنه سلاطين الترك، فقد نص فيه دائماً بالفراغة إلى جانب الجلد (محمد الثاني: قانوناته، في *Mitteilungen zur osmanischen Geschichte*، ١٩٢٢، ص ١٣ وما بعدها).

المصادر:

- (١) كتاب الحدود في كتب الحديث والفقه
- (٢) وانظر خاصة الكاساني: بدائع الصنائع، القاهرة سنة ١٩١٠، ج ٧، ص ٦٣ وما بعدها
- (٣) خليل: مختصر، ترجمة سانتلانا Santillana، ميلان سنة ١٩١٩، ج ٢، ص ٧٤٧ (٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، طبعة أنجر Bnger، بون سنة ١٨٥٣، ص ٣٩٩ وما بعدها، ترجمة فانيان Fagnan، الجزائر سنة ١٩١٥، ص ٤٦٩ وما بعدها (٥) الشعراني: الميزان، القاهرة (٦) سنة ١٩٢٥، ج ٢، ص ١٧٥ وما بعدها (٦) *Handbuch des islam Gesetzes*، Juyeboll، ليندسنة ١٩١٠، فصل ٦٥، الطبعة الثالثة، بالهولندية سنة ١٩٢٥، ص ٦٨ (٧) *Kresmarik*، *Beleuchtung des islam Strafrechts*، في *Zeitschr. der Deutsch Morgenl Gesell.*، ج ٥٨ سنة ١٩٠٤، ص ٦٥، ص ٥٥٦ وما بعدها.
- أما عن الأحاديث فانظر *Handbook of Early, Muh. Tradition*، ليندسنة ١٩٢٧، مادة عقاب.
- 7 هفنبك Hoffening

ويتوسعون فيها (انظر فهارس المخطوطات) وأشهرها
قازمى وبعضها عربى وبعضها تركى . . ولا يمكننا
أن نطلق على المشهد اسم المسرح إلا تجوزاً ، ذلك
أن مناظره تتراوح أحياناً بين الأربعين والخمسين
كل منظر مستقل عن الآخر .

وقد أخبر جبريل من أول الأمر الأتنياء الأوائل
ومحمداً نفسه بتفصيل ما وقع وبخاصة مقتل الحسين
كما رثيت هذه الوقائع في الأحلام وتنبئ بها وحكيّت
بعد ذلك مراراً وتكراراً .

وأشخاص المشهد من غير الملائكة مستعارون
من قصة الفداء التى تضمنتها التوراة والإنجيل ،
وكثيراً ما يوازن بين مصيرهم ومصير الشهيد ،
ويعترف يعقوب ويوسف أن الحسين وأولاده قاسوا
أكثر مما قاسيا ، بل إن حواء وراحييل ومريم قد
أحسن بلوعة أمه فاطمة . وغتبر الملك عمداً بين
ولده الصغير إبراهيم وبين الحسين ، فرضى موت
إبراهيم ، وادخر الحسين ليفدى به الناس ، وجعلوا
شأن محمد وعلى في المشهد دون شأن الحسين ، فقد
كان - ولما يزل حدثاً - شغلتهما الشاغل ساعة وفاتهما ؛
أما علاقة الحسن بأخيه الحسين فقد سموها سواً
عظيماً . ويظهر في المشهد إلى جانب روح أمه فاطمة ،
أنشاء كلثوم وزينب وزوجه شهربانو ابنة يزيد جرد
الثالث وولده على أكبر الذى استشهد في القتال ؛
وكثيراً ما يمثلون تزويج ابنة الحسين من شهربانو ،
وهى فاطمة ، من القاسم ولد الحسن . وهم يقصصون
إلى التأثير العميق في جمهور المشاهدين يتمثل
مقتل ولد صغير من أولاد الحسين وابن عم يافع

وفى المساجد ، وفى « إمام بارا » الذى شيد خصيصاً
لإقامة هذا الحفل .

وأهم ما يميز به المسرح تأيوت كبير ومستقبلات
للنور توضع في مقدم المسرح ثم قوس الحسين ورحمه
وحرته وعلمه .

ويترك في الحفل إلى جانب المهرجين الـ « روضه
خوان » والشاعر ، أى الرجل الذى يرى الشهداء ،
فهو الذى يفتح المشهد ويلقى الخطبة (انظر هذه
المادة) وهو يومئ بإشارات فيها معنى الأسمى ،
ويستكثر فيها من الأحاديث بصوت المنفج ، ويحيط
به طائفة من الصبيان المرتلين يطلق عليهم اسم « پش
خوان » ومعناها لغة المنادون ، بينما ترتدى الـ « نوه حنانه »
ثياب الحداد ويتنبد ثلب الأرامل والككالى ،
والرجال من النظارة في جانب والنساء في جانب ،
ويوزع عليهم « منهر » وأقراص من طين كربلاء
مضمخة بالسلك يضعونها على جباههم في حزن بالغ ،
ويعتلون على المسرح أصدق تمثيل ما قاصاه الشهداء
من جوع وما عانوه خاصة من عطش ، في حين
يدلر على النظارة الماء والمرطبات . والجود بجهاز
المسرح وكل ما يشتمل عليه - معاني ذلك جعل الشاعر -
أغريضة على الأترياء ، وهو أيضاً عمل من أعمال
البر والتقوى ، من يقوم به يقام له قصر في
الجنة : ولأشراف شأن هام في هذه المحافل ، لأن
ارتفاع نسبهم إلى الحسين يكسبهم حقاً في صدقة
المتصدقين ، وهم يلحفون في طلبها .

وأقراص هذه المشاهد بمثابة وجل ما يجل
فيها واحد : ويثنى الشعراء في تناول هذه الأقوال

وجل المشاهد منظومة من بحر المزج، وهي من مصادر شئى، وإن تكن مادتها وألفاظها قديمة في الغالب، فقد أخذوا آيات من القرآن وفسروها تفسيراً شيعياً، كما اختاروا أحاديث قديمة في صالح الشيعة، وعنوا في صياغتها بالتأثير على السامعين: وفي خطبهم عبارات قديمة قدم الطبرى، وقد حفلت مصنفات الشيعة (انظر مادة «شيعة») القديمة بغظات كاملة ولعنات ودعوات، مثل مصنفات ابن بابويه والكليني والشيخ الطوسي، وخاصة في أبواب الزيارات من كتب الحج والإمامة، وفي كتب المقاتل: وثمت أيضاً عدة ترانيم، وما تزال المراتي تنظم إلى وقتنا هذا.

أما من جهة النظارة فإن التعزية من أقوى المشاهد تأثيراً في النفوس، بيد أن الأجانب لا يستطيعون إدراك ما ينطوى عليه المشهد، ولذلك فقد يغفرون من واقعته السافرة، وبخاصة المناظر الختامية التي يصبح فيها رأس القاتل أهم متكلم في المشهد وأول ممثل: ولعل أول ما يقاود إلى أذهانهم أن النظارة ينتشون بما ينطوى عليه المشهد من فظاعة وألم. ولستنا نستطيع أن تبين الغاية الحقيقية من هذا المشهد إلا إذا درسنا ما يقال فيه دراسة بعيدة عن الهوى، وهذه المشاهد مليئة بالمقالات التي تُعكِّب الأحاديث الشيعة: وإظهار هذه المشاهد في هذا الثوب البدائي الساذج يميز لنا أن نقول إن ما أدخل فيها من مناظر تهز النفس وتروعها لم يكن الغرض منه إلا لإحداث التأثير في النفوس، والواقع أن الفكرة الغالبة على المشهد بأسره هي فكرة القداء.

له، أما أنه الآخر على زين العامين الذي سلم من القتل فله شأن هام في المركب المتجع الذي ينحدر فيه رأس الحسين وسبايا النساء والأطفال إلى الخليفة يزيد بن معاوية، فإذا لقي المركب ديراً نصرانياً بات فيه ليته، وينطق راحيه بالشهادتين عند رأس القاتل، ويقوم اليهود والكفار وشعراء النصارى في قصر الخليفة مثل ذلك. ومن المناظر البليغة التأثير في نفوس المشاهدين استسلام أسد وتجيئه لرأس الحسين.

وأهم من ذلك وأخطر أن هذه المشاهد تنقل للشيعة صوراً ملوهاً بالفرض لرجال صمد الإسلام، فتسلق في زمرة الشيعة سلمان الفارسي وأبا ذرّ وبلا والحصن الذي انحاز إلى الحسين، وتجعل من المناوئين لهم: أبا بكر وعمر، وهو الذي قيل فيه إنه حرم فاطمة ميراثها في واحة فلدك وأذاه، وهذه المشاهد لا تفرق بين الرجال من غير الشيعة فهي لا تمد - مثلاً - ابن ملجم الذي قتل علياً خارجياً (انظر هذه المادة)، وتأخذ أهل السنة بحريته، كما أنهم يصورون أقيح تصوير ابن سعد قائد جيوش خصومهم، وشعر الذي ضرب الحسين الضربة القاضية فيها يقال - وخاصة - يزيد بن معاوية، ويبلغ من مقامه لأهل السنة أنهم كانوا يسمحون بشهود حفلاتهم لغير المسلمين ولا يسمحون بملك المسلمين من غير الشيعة. وتظهر شعبيتهم وكرههم للرك في بعض المناظر مثل منظر عودة شهربانو زوج الحسين إلى بيتها في فارس، أو نجاة فاطمة الصغيرة على يد ملك فارس.

ابن وال التيمي: فلن حبيباً وأباه وأخاه لأفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم [وسيلة عند الله يوم القيامة] (الطبري ، ج ٢ ، ص ٥٤٧) وهذه الرواية عن أبي خلف عن سلمة بن كهيل الشيعة عن علوى هو محمد الباقر حفيد الحسين ، والرأى الغالب أن سلمة بن كهيل من الزيدية ، ولذلك فهو ليس من غلاة الشيعة .

والتعزية في أكمل صورها محدثة ، فقد كان من العسير في وقت من الأوقات إقامة التعزية دون معارضة « البلا » لما تنطوى عليه من عقيدة ساذجة وما يصاحبها من رقص ومواكب ليست من الدين في شيء . ولم يذكر آدم أولريوس Adam Olparius — الذي شهد عام ١٦٣٧ عدة محافل فخمة في أورديل — شيئاً عن التعزية ولم ير تافرنيز J. B. Tavernier : (انظر *Varzig-Jahrlige Reisebeschreibung* ، نورنبرغ سنة ١٦٨١ ، ص ١٧٨ وما بعدها) مشهداً من هذا القليل بين ما رآه من أعياد شهر المحرم بإصفهان عام ١٦٦٧ ، على أن مورير J. Morier رأى هذه المشاهد في طهران عام ١٨١١ . ولعل بعض شعائر الأولين في الأعياد الأسطورية القديمة — مثل شعائر تموز وأدونيس — قد بقيت في المشاهد العارضة التي اقتبسها بعض أهل السنة والمندوس في الهند ، فأعلام المواكب والمراوغة الضخمة واليه التي يتداولها الداعون إلى الخلف والتي يقولون إنها يدا الحسين المقطوعة ، كل أولئك له أصوله القديمة . وما يدل على أن صفات هذه الآثار المقاسة قد تغيرت ، ما يقوله الشيعة من التبر من أن التابوت

وقد جسيست هذه الفكرة بحيث يتفق مع مصنفات العقيدة الشيعية ولكنها أعرجت في صورة أوضح ، وحبينا هنا أن نجعل إلى أحد هذه المشاهد الواردة في كتاب شودزكو (Chodsko) ، انظر المصادر) في مسهل المنظر الأول « منظر رسول الله » يعلم جبريل محمداً بأن الحسن ملاق مصير أخيه الحسين قائلا : « ولست غريبك صرعى علو زعيم ، ولن يكون هذا جزاء عصيانها أوامر ربها ، فإما تعلق أو حاض الإثم يواحد من أهل بيتك ياخير البرية » ، وإما يقتلها المسلمين ، فيتلأأ جبينها أهد الأبدن بنور الأبرار المضطيقين . فإن شئت أن يغفر الله ذنوب الآثمين ، فلا تضنن بزهرق يستأنك أن تقطعا قبل الأوان » (ص ٥ وما بعدها) . ويستمر في توضيح فكرة الاستشهاد في سليل غفران ذنوب الآخرين حتى يجي الختام المتوقع في المنظر الأخير الذي يجمع فيه الآباء كافة من آدم إلى فاطمة أم الحسن حول الرأس الشريف ، ويخاطب محمد ابنته فاطمة (ص ٢١٥) قائلا : « لا تريب عليك في بكاء ، لذلك المقبول المخرج بدمه الزكي ، فقد غاب عنك مر هذا الاستشهاد ، وسنجزى عليه يوم القيامة بمفتاح الجنة والنار ؟ » ونحن نستطيع أن نتبين تاريخ هذه الأقوال في الخلاص بالشفاعة من دعوات أولئك التوابين بزعامة سليمان بن صرد الذين تزودوا بالسلاح ووقفوا مستغفرين عند قبر الحسين بكريلاء أربع سنين خلون من مقتله ، وأقسموا أن يقتلوا الأنويين أو يموتوا ، ذلك أنهم رغبوا أن يكفرو عن خطيئتهم بقومهم عن نصرته أو الموت معه . وقد قال أحدهم : وهو عبيد الله

Les drapeaux en usage à la fête de Hussein à Téhéran

، ٥٠ (*internationales archies sur Ethnographie*)

سنة ١٨٩٢، ص ٣ (١٣) *E. Aubin*

La chiisme : *R. M. M.* في *la nationalité person* ، ٤ ، سنة

١٩٠٨ .

[*R. Strothmann* و *ثروتان*]

هو دار حرس التامم . ولتعزية في بعض البلدان شعائر تتصل بالماء، وقد شأت هذه الشعائر بين أهل هذه البلدان، وقد برد إلقاء التابوت في الماء عند شعبة الهند إلى أصل هندوسي ، بل إن ثياب الخداد قد تأثرت الأكراب القدمة إلى حد ما ، على أن المشهد نفسه هو تعبير العامة عن ذلك الشعور الديني الذي يجد مصوره في حادث كربلاء .

المصادر :

١) *Das Drama in Persien* : *W. Litten*

سنة ١٩٢٩ (٢) *Théâtre persan* : *A. Chodzko*

باريس سنة ١٨٧٨ (٣) *Lewis Pelly*

The Miracle Play of Husan and Hussein

في مجلدين ، لندن سنة ١٨٧٩ (٤) *Ch. Virolleaud*

La passion de Pimani Hosayn ، باريس سنة ١٩٢٧ (٥)

The Glory of the Shiah World ، طبعة وترجمة

P. M. Sykes ، و *خان بهادر أحمد دين خان* ، لندن

سنة ١٩١٠ (٦) *Second Voyage en Persie* : *J. Morier*

باريس سنة ١٨١٨ (٧) *M. de Gobineau*

Les religions et les philosophies dans l'Asie Centrale

باريس سنة ١٨٦٦ (٨) *The Muharram* : *J. Lassy*

Mysteries among the Azerbaijan Turks of Caucasus

هلسنكفورس سنة ١٩١٦ (٩) *E. Browne*

A History of Persian Literature in Modern Times

كمبريدج سنة ١٩٢٤، ص ١٧٢ وما بعدها (ومن ثم

H. Ritter ، في *Isd* ، ١٥٥ ، سنة ١٩٢٦، ص ١٠٧ (١١)

Der Ursprung der Ceremonien-Festes : *B.D. Erdmans*

في *J. G.* ، ٩ ، سنة ١٨٦٤ (١٢) *G. van Vloten*

« التعطيل » : اصطلاح في علم الكلام معناه

تنزيه الله عن جميع الصفات (انظر مادة « التشبيه »)

« تعليق » : (انظر مادة « العرب ، جزيرة »)

« تُغَاتيمور » : خان مغولي حكمت أسرته

جُرجان قسراً من الزمان قبل عام ٨٠٨ هـ

(١٤٠٥ م) ،

اسمه: ينطق باسم تُغَاتيمور عليها ضمة مقبوضة

أو مبسوطة ، ورسم هذا الاسم في كتاب « ظفرنامه »

طنبي « تُغاي » ؟ ونُقش بصيغة تُغَان على سكة تشر

صورتها فراين *Fraehn* (بالأحرف المغولية ،

انظر *History of the Mongols* : *Howorth* ، ٣ ،

ص ٧١٨) ،

أسرته : تناتيمور بن سُرَي (سُرَي كُرَي ؟)

ابن بابا بهادر من الرعييل السادس لسلالة أخ من

إخوة جنكيز خان (جوجي قسر شجرة الأتراك ،

ص ٣١٥ . وقد أخطأ مايلز *Miles* في فهمه)

ووصل بابا بهادر عام ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) إلى

وخراسان . على أن مظالم بطانة خوجيه علاه الدين محمد وزير خراسان أثارت فتنة أدت إلى تولي السريدار (انظر هذه المادة) الحكم . وقوى سلطان السريدار فهد من نفوذ تغاييمور . وكان بين تغا وبين آل ككرت جهرة صلات ود ، ذلك أن ابنته سلطانة خاتون كانت متزوجة من معز الدين ككرت (انظر لظفرنامه ، ج ١ ، ص ٣٢٠) .

وفي عام ٧٣٩ هـ (١٣٣٨ م) دعا حسن بزرگ تغاييمور إلى العراق فذهب إليها صحيحة الأمير أرغون شاه ولد نوروز وحفيد أرغون آغا القدير (انظر الجويني ، ج ٢ ، ص ٣٥١) [وحكمت هذه الأسرة نيسابور وطوس وكلات وعرفها المغول باسم جلون (جون) غرهان وعرفها القرم باسم جاني قرباني] وذهب حسن بزرگ للقاء تغاييمور عند ساوة ولكن خوجيه علاه الدين محمد — وكان قواما على الأموال في البلاد — هدأ من روع السكان ، وشرع الخان من جانبه في مفاوضة حسن كوجيك الجويني . وانتهز كوجيك هذه الفرصة للتوفيق بين الخان وحسن بزرگ ، بيد أن الخان برم بلسائه فقوض أركان مصكرة في مراغة (٢) في الليلة نفسها ورجع إلى خراسان (شجرة الأثرالفة ، ص ٣٢٧ ؛ D'Ohsson ، ج ٤ ، ص ٧٣٢) .

وفي عام ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) أغار تغاييمور على العراق للمرة الثالثة بتناصره الأميرة ساني انة ألبايتخان وابنها شيرخان من الأمير جويان ، فلحقته المزعجة بجيش تغاييمور الذي كان يقوده

خراسان على رأس ثوماته (الثومان عشرة آلاف أميرة) وخدم ألبايتوخان ، وأغار على خوارزم عام ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) : وشكا أوزبك ، خان القفجاق الشرقية ، بابا بهادر إلى ألبايتو ، فقتله هو وابنه سرى (شجرة الأثرالفة ، ص ٣٢١ ، ٣٣٠ ؛ Hist. des Mongols : D'Ohsson ، ج ٤ ، ص ٥٧٢ إلى ٥٧٥) وظللت قبيلة بابا في مازندران ، وكان هذا الإقليم يضم في ذلك العهد جرجان والجزء الشرق من طيبرستان (انظر تركة القلوب ص ٢٥٩)

ودبت القوضى في بلاد فارس بعد وفاة أبي سعيد المولاكي عام ٧٣٦ هـ ، فنصب حسن بزرگ الجلائري عمدا على العرش ، وكان يطالب به : ونشب الخلاف بين أمراء حسن بزرگ للهب بعضهم — مثل إكرانج الأويغوري (أنطأ Miles في رسم اسمه أكثرينج Akarpukh في ص ٣١٥ ، ٣٢٠) — إلى تغاييمور ونادوا به خانا عام ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) وشد أذرم في ذلك أمراء خراسان أمثال الشيخ علي بن علي قوشجي وعلى جعفر وأرغون شاه . وسارتيمور إلى آذربيجان صحبة أمراءه ، وانضم إليه فيها موسى الطالب الآخر بالعرش بظاهرة الأويرات . واتفق تغاييمور وموسى على اقتسام فارس ، ولكن حسن بزرگ توقع ههما المزعجة في الثالث من ذي الحجة عام ٧٣٧ هـ عند نهر كرمشود إلى الغرب من ميانة (انظر شجرة الأثرالفة ص ٣١٦ ؛ D'Ohsson ، ج ٤ ، ص ٧٢٦) وانسحب تغاييمور إلى يسطام حيث حكم مازندران (بوصفه خانا)

كانت له مشاركة في الشعر (انظر Hammer : كتابه المذكور ، ص ٣٤١) . وكان لقبه على السكة « السلطان العالم » :

وأقام السريدارية والياً من قبلهم على أستراياد حيناً . ثم انتقل الحكم في جرجان إلى قائد تغاتيمور السن أمير ولي ابن الشيخ على هنلو (أوييسود) . واستطاع أمير ولي أن يهزم السريدارية بمساعدة صاحب نسا (وهو من أسرة جاؤن غربان) وأن يستأثر بإمارة تضم أستراياد ويسطاط وداستان ومستان وفيروزكوه (انظر مطلع السعدنين في حوادث عام ٧٦١ في *Auszage* : Dorn ، ص ١٥٥ - ١٥٧) . وحاول عام ٧٧٢ هـ (١٣٧٠ م) فتح الري ولكن أويسا الجلالتري أوقع به الهزيمة واستأنف أوييس القتال في العام التالي بنية الخلاص من أمير ولي ولكنه لم يتعد أوجان . واستولى أمير ولي عام ٧٧٤ هـ على الري وسواة بتحريض شاه شجاع المظفرى . وبوفاة أوييس عام ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) وقفت الحرب ولم يتجهز أحد لاستئنافها (انظر *Psalayr. Monat: Markov* سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٩٧ ، ص ١٤) . وفي عام ٧٨٣ هـ (١٣٨١ م) انتزع نيمور إسفرايين من أمير ولي وغربها عن آخرها (انظر ظفرنامه ، ج ١ ، ص ٣٢٤) وتقديم ولي لقتال على مؤيد السريدارى ، ورجع نيمور إلى خراسان في شتاء العام نفسه (١٣٨١-١٣٨٢ م) وحاصر كلات م زحف على جرجان ماراً بروغى؟ وكبودجامة وشاسيان . (وتعرف كبودجامة اليوم

أخوه على گاوان على بد حسن كوجك : وسرعان ما بسط السريدارية سلطتهم على خراسان وطردها منها أرغون شاه صاحب نيسابور وطوس . وهزم وجه الدين مسعود السريدارى جيوش الخان عند نهر آترك ، وقتل على گاوان واستولى على جرجان حنا . ويقول دولت شاه (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) إن تغاتيمور قنع من السلطة بالاسم (نام رسم سلطنت) ومع ذلك كان السريدارية يفلدون إلى بلاط الخان مرة في السنة لتقديم ولائهم (ملازمت وعبد عهد) . واغتال يحيى كترابى السريدارى الخان في إحدى هذه الزيارات عند سلطان دوين بين گرگان وقره صو . وأرخ الشاعر عزيزى وفاة السلطان باليوم السادس عشر من ذى القعدة عام ٧٥٤ (ديسمبر ١٣٥٣) . ويقول دولتشاه إن تغاتيمور كان يشبه السريدارية في حربه على الناس ، فقد كان يشجع الدماء ولا يثق بالنبله . وكان تغاتيمور بصيف في رادسكان وشى على نهر گرگان ، وأبنتى في مشهد عمارة جميلة ، ولم تضرب السكة باسمه في آمل ومشهد وقزوین وعرها فحسب بل ضربت أيضاً في البصرة عام ٧٤١ هـ وفي بغداد بعد عام ٤٧٠ ، وهذا يدل على ما كان له من مكانة واعتبار في ظاهر الأمر على الأقل (انظر *Catalogue of Oriental* : S. Lane — Poole *Coins on the British Museum* ج ٦ ، سنة ١٨٨١ ، ص ٩٨ - ١٠١) . وجاء في مجمع القصص أن الشاعر ابن عيين كان مداح تغاتيمور (انظر براون *Pers. Liter. under Tartar Dominion* ، ص ٢١٦) . ويذهب بعض الكتاب إلى أن الخان نفسه

وأعاد تيمور عام ٧٨٦ هـ لقمان بادشاه ابن تغاتيمور إلى العرش في إقطاعه الوريثي ، وكان قد طرده من جرجان أمير ولي المطالب بالعرش ، وأوصى تيمور بادشاه بالتودد إلى السيولالية من أصحاب ساري وأدل (المصدر المذكور ، ص ٣٨٧ ، ٣٩١) .

وكان يحكم أسراباد أثناء حملة عام ٧٩٤ هـ (١٣٩١ م) (أو بيرك) باشا ولد لقمان باشا (أي بادشاه ، ظفرنامه ، ج ١ ، ص ٧٥٠) ، وكان تيمور قد نصبه على العرش بعد وفاة أبيه ، وأكرم بير باشا تيمورا إكراماً بالغاً وأمدّه بالسفن اللازمة لغزو سهندشهر على مسيرة أربعة فراسخ من آمل . وذكرت أيضاً في حوادث عام ٨٠٦ هـ (١٤٠٤ م) حملات بير الجلييلة تيمور وذلك عند الكلام عن الحملة التي أنفذها تيمور على إسكندر چلاوي في مازندران (المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ٥٩١) . وفي بداية حكم شاهرخ قام سلطان على السبزواري بلفتته في خراسان بعد أن جمع حوله فرقة من السريدارية ، وظهر بيربادشاه فجأة في جيون وانضم إلى سلطان على ولكنهما هزما على يد سيد خوجه الذي أنفذه شاهرخ لقتلها (انظر مطامع السملين ، سنة ١٨٤٣ ، ص ٢٦) . واحتفى سلطان على هو وحلفاؤه بمبران شاه ، وكان قد عاد من آذربيجان ، بيد أن مبران شاه سلمه إلى سيد خوجه . ومن ثم وقع في قبضة سيد خوجه عدد من أبناء بيربادشاه (المصدر المذكور ، ص ٥٤ ، ٨٠) . وفي عام ٨٠٨ هـ أمن شاهرخ

باسم حاجير وهي على الضفة اليسرى لرافد من روافد گرگان بين تودين وكنيد قابوس (وسارع أمير ولي إلى استرضاء تيمور بالهنديا ، ورجع تيمور بطريق سملقان التي في وادي آترك (المصدر المذكور ، ص ٣٤٩ ، ٣٥١) وأجر عليها بك على الطاعة وطرده وأهل بيته (متعلقان) إلى ما وراء النهر : ثم قتل في أندجان عام ٧٨٤ هـ (المصدر المذكور ، ص ٣٥٥) .

وفي عام ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م) أنفذ تيمور جيوشه إلى بلاد أمير ولي ، ولما دانت له سجستان قاد جنده بنفسه واستولى على قلعة درون في منتصف الطريق بين عشق آباد وقزل أروت بعد وقعة گاوردس (ظفرنامه ، ج ١ ، ص ٣٨٢ ، وسميت هذه الواقعة في هذا الكتاب باسم گاوكوش) وواصل تيمور زحفه إلى دهستان وجيلاوون (وهي مشهد مصريان التي على نهر آترك أسفل چات) وعبر نهر گرگان وقتل أمير ولي قتال الأسطال ، ونالزع تيمورا شهراً شراً ، ولكن كرمته التي قام بها في ليلة من ليالي شوال عام ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) لم تجده نفعاً . فاستولى تيمور على أسراباد ، وفر أمير ولي إلى الغرب بعد أن أرسل أهل بيته إلى كردكوه بالقرب من دامغان (ظفرنامه ، ج ١ ، ص ٣٨٢ - ٣٨٦) . واشترك أمير ولي في الدفاع عن تبريز (انظر هذه المادة) في وجه هجمات تقيتمش . ولقي حظه آخر الأمر عام ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) إذ استضافه محمود خلخال في بيته وغر به (انظر ظفرنامه ص ٣٩٢ - ٣٩٨) .

٢٣٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ - ٢٨٣ ، بومباي سنة ١٨٨٧ ، ص ١٠٤ ، ١٢٣ (٢) شجرة الأكراد ، ترجمة Miles ، لندن سنة ١٨٣٨ ، ص ٣١٥ ، ٣٢٠ - ٣٢٦ ، وهذا الكتاب عبارة عن تلخيص كاتب مجهول لكتاب « تاريخ أربع ألوس » الذي ألفه للسلطان أولوغ بك ، انظر Barthold *Turkstan* في مجموعة كتب التذكارية ، ص ٥٧ وهو غير كتاب « شجرة ترك » لأن الغاوي (٣) ميرخواند : ووضحة الصفا ، بومباي سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) ، ج ٤ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٥١ (٤) خواتمير : حبيب السير ، طهران سنة ١٢٧١ هـ ، ج ٣ ، القسم الأول ، ص ١٢٨ - ١٢٩ (٥) *Die Geschichte der Serbendar nach Chondemir* : Dorn سنة ١٨٤٩ ، ص ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٥ (٦) *Auszuge aus Muham. Schriftstellern* : Dorn سانت بطرسبرغ سنة ١٨٥٨ ، انظر القهرس مواد : تفاتيح خان ، أمير ولي ، لقان ، وپريادشاه (٧) منجم باشي ، ج ٣ ، ص ١٢ (٨) *Histoire des Mongols* : D'Ohsson ، ج ٤ ، ص ٧٧٦ وما بعدها (٩) *Geschichte* : Hammer *d'Hichans* ، ج ٢ ، ص ٣١٧ - ٣٤٢ (١٠) *Hist. of the Mongols* : Howorth ، ج ٣ ، ص ٦٣٨ ، ٧١٧ - ٧٢٦ (١١) *Lane-Poole* : *Mohammedan Dynasties* وانظر أيضا إضافات Barthold في الترجمة الروسية لهذا الكتاب ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩٩ ، ص ٢٤٩ (١٢) *Mazanderan* : Rabinow سنة ١٩٢٨ مجموعة كتب التذكارية ، انظر القهرس .

[مينورسكي V. Minosky]

پريادشاه على حياته واستدعاه إلى بلاطه ، وطوق شاهرخ سيد خوجه بمكره فامتلكته قسه بالأطاع وأخذ يفادس إسكندر (صاحب قارس) وما لبث أن رفع راية العصيان . وذهب سيد خوجه من كلات إلى پريادشاه واحصى به فكان ذلك سبباً في قيام شاهرخ بحملة على مازندران عام ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) وهزم پريادشاه في هذا القتال على الرغم من كثرة جنده ، وفر هو إلى خوارزم وذهب سيد خوجه إلى شيراز : فنصب شاهرخ الأمير عمر بهادر على مازندران ولكنه ثار بعوده فخلفه أولوغ بك ، وفي عام ٨١٠ هـ أخبر أولوغ بك أباه شاهرخ بتأهب پريادشاه للحرب من جديد فتوجه شاهرخ للمرة الثانية إلى مازندران : ولما علم پريادشاه بتقدم شاهرخ نحوه التحبأ إلى كيومرث ابن ييسوتون الباهوسباني ، واستطاع شاهرخ بلا قتال أن يسلط سلطانه ثانية على أستراباذ وشاسان .

وفي عام ٨١٢ هـ ذهب سلطان علي بن پريادشاه إلى شاهرخ واشترك في الحملة على سجستان ولكنه فر إلى رستمدر عند ما بلغه نفي أبيه ، وهناك تمكن بمعاونة الأمير كيومرث من جمع جيوش أبيه ، وحاول السلطان الاستيلاء على أستراباذ عند رحيل شاهرخ إلى ما وراء النهر ، ولكن عامل هذه المدينة هزمه وقتله ، وأرسل رأسه إلى هراة (انظر مطلع المسلمين ، في *Auszuge* : Dorn ، ص ١٩٥) ،

المصادر :

انظر مادة سربلار ، وانظر (١) دولت شاه :
تذكرة الشعراء ، طبعة Browne ، ص ٢٣٦ -

استشهداً فيها بالنصوص الشهادة (*Publici Texti*)

ج ٢ ، ص ٣٢٩ ، انظر *Saeren Books*

of the East ج ١٨) . ولاحظ تولدك

أنه جاء في كتاب مانوچهر المجوسى القارصى

الكبير الذى كتبه عام ٨٨١ م (انظر الآن

G. J. Ph. ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ويعرف هذا

المجوسى في هذا الكتاب باسم مانوششهر)

كلمة تفرغز مكتوبة بخط بارزنى واضح

جداً ، وعلى ذلك تكون الصيغة فر وليست

أويغور . ثم ظهر بعد ذلك بستوات قلائى اسم

طوقوز أويغوز في الكتابات الأورغونية الى كشف

عنها حديثاً . ومن المضحى الآن أن رسم هذا الاسم هو

تفرغز ، كما أنه من الثابت أن هذا الرسم

يتضمن اسم فر (أويغوز) . ونرى الى

بأخذ به الآن كثير من العلماء هو أن العرب

قد أطلقوا كلمة تفرغز على الأويغور دون

غيرهم . ويؤكد ماركار J. Marquart في كتابه

Ostasiatische und ostasiatische Streifzüge

(ليسك سنة ١٩٠٣ ، ص ٣٩٠) أنه قد

ورد ذكر التفرغز في الطبعة الأولى من كتاب

ابن خردادبه الذى قيل إنه كتب حوالى عام

٢٣٢ هـ (٨٤٦ - ٨٤٧ م) وفيها أن التفرغز

كانوا يعيشون في ناحية لم يقد إليها الأويغور

إلا عام ٨٦٦ م . ولما كان ماركار لا يشك في أن

التفرغز هم عين الأويغور فقد فسر ذلك بأن هذه

النسخة من كتاب ابن خردادبه لا يمكن أن يرجع

تاريخها الى قبل عام ٢٧٧ هـ . وتزيد على هذا

« تفرغز » : شعب تركى ، ويتنطق هذا

الاسم ويرسم على وجهه غطقة . ويتفق ما ذكره

العرب عن مواطن التفرغز والروايات الصينية

وما ذكره المسلمون المتأخرون عن الأويغور .

وفي المصادر الصينية أن الأويغور تسع قبائل ،

ومن رشيد الدين أنهم شعبتان كبيرتان : أون

أويغور (أى الأويغور العشرة) وطوقوز أويغور

(أى الأويغور التسعة) انظر نص رشيد الدين

في *Tradi. Pers. Oid. Arab. Obsch.* ج ٧ ، ص

١٦١ . وذهب غريغوريف Grigoryew على ضوء

هذه الحقائق الى رأى أخذ به بوجه عام فيما مضى ،

وهو أن كلمة تفرغز (بالباء ذات الضمة المقبوضة)

يجب أن تقرأ تفرغز (بالباء ذات الضمة المفتوحة)

وهذه الكلمة هى إدهام لكلى تفر وأويغور ،

وقد أذاع هذا الرأى في أوروبا الغربية هوتسما

M. Th. Houtsma . في مادة تركى التى كتبها في

دائرة المعارف البريطانية *Encyclopædia Britannica*

ونجى في ذلك ده غويه (M. J. de Goeje) في

de Mun van Gog en Magog, Amsterdam 1880)

Madadestien-gen K. Ak. Wal. ، المجموعة الثالثة ، ج ٥ ،

ص ٣٦ - ١٢٢) . ونلاحظ أن ده غويه قد

استعمل كلمة تفرغز في المجلدات الخمسة الأولى

من المكتبة الجغرافية الغربية ثم استعمل بدلا

عنها كلمة تفرغز في المجلد السادس (١٨٨٩) من

هذه المكتبة . ولكنه عاد الى كلمة تفرغز في المجلد

السابع منها . وورد في مقدمة هذا المجلد بعض

قرارات من رسالة تلقاها من نولدكه Th. Noeldke

وعلى الرغم مما ورد في المصادر الصينية عن قبائل الأويغور التسع ، فإن عبارة طوقوز أويغور لم تكن بعد قد ذكرت في المصادر التي كتبت قبل عهد المغول ، وكان خان الأويغور في القرن الثامن يطلق على شعبه اسم أون أويغور طوقوز أوغوز ، وقد نشر رامشتاد *Ramstadt* كتابة متصل بها الخان في *Zwei uigurische Inschriften aus der Nord-Mongol* ، هلسنغفوس سنة ١٩١٣ ، ص (١٣) ،

ويلوح أن الاسم تغزغ - وهو اسم أسلاف الأويغور ، أي الشاتو من الترك خاصة - قد أطلقه العرب على الأويغور ، ومن الواضح أن العرب لم يكونوا على علم بأن أهل التبت قد أجزوا الشاتو عن مواطنهم وأن الأويغور بدورهم قد أخرجوا أهل التبت من بلادهم وحلوا محلهم ، ولا نعرف حتى الآن من أين استمد العرب معلوماتهم عن التغزغ ولا إلى أي عهد تشير هذه المعلومات ، كما أننا لا نعرف شيئاً عن رحلة تميم بن بكر المطعمي إلى خاقان التغزغ ، وهي الرحلة المذكورة في كتاب ياقوت (المعجم) ، ج ١ ، ص ٨٤٠ . وقد أفاد ماركاز *Marquart* بعض الإفادة من الأخبار الواردة في كتاب حدود العالم - التي لا نعرف مؤلفه - في كتاب الكرديزي وهما أفضل المصادر عن هذا الموضوع (انظر كتاب *Marquart* ، مادي تغزغ ولويغور) : وتختلف الأخبار التي أوردها الإدريسي في كتابه (ترجمة جوير *Jaubert*) عما ورد في المصدرين السابقين

في مادة غز من أن التغزغ يعيشون في بقاع موغلة ناحية الغرب أكثر من المعروف (انظر ما جاء بالقرطبي ، الخطط ج ١ ، ص ٣١٣ عن طولون والد أحمد بن طولون - انظر هذه المادة - التي انحدر من شعب التغزغ) أن التغزغ كانوا لا يزالون يذكرون في الشرق في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي . وعن محمد بن موسى الخوارزمي أن المكانين الواردين في كتاب بطليموس المعروف كل منهما باسم اسكيثياس *Scythias* هما عين بلاد الترك وبلاد التغزغ (انظر *Bibl. arab. Historien und Geographen* ج ٣ ، ص ١٠٥ ، رقم ١٦٠٠ ، ١٦٠١) . ويستدل حتى من نص الجاحظ المتوفى عام ٨٩٩ م الذي نقله ماركاز *Marquart* في كتابه (ص ٩١) أن التغزغ ظلوا أمداً طويلاً جيراناً للمغول . ومن المعلوم الآن (كما بينه رينو *Reinaud* : *Relation des Voyages etc.* ، باريس سنة ١٨٤٥ ، *Discours préliminaire* ص ١٣٧ وما بعدها) أن الروايات التي وردت في المصادر العربية (مثل كتاب مروج الذهب للمسعودي ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ، ٣٦٥) عن أعمال التغزغ في الصين لا تشير إلى الأويغور وإنما تشير إلى الترك الشاتو أي إلى الأوغوز (انظر عن هذه القبيلة كتاب *Documents sur les Turcs : E. Chavannes occidentaux* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٣ ، ص ٩٦ وما بعدها ، ٢٧٢) .

هذه القبيلة اسمه دثار وإن أمه نعى له أن تغلب
فلحق به هذا الاسم . على أننا إذا فسناه بشواهده
في اللغات السامية جميعاً مثل إشكر ويذكر ويقوب
واسحاق وغيرها ، فإننا لا نذهب في تفسيره إلى أنه
صيغة المخاطب المذكور من غلب وإنما نقول إنه
صيغة الأمر للمؤنث الغائب . وتدل تغلب من حيث
التذكير والتأنيث على أن اسم القبيلة أقدم من
الأسطورة المتعلقة بمجدها . زد على هذا أن الشعراء
المقدمين إلى الفرزدق يقولون إن تغلب - ابنة
واثل لا ابنه (Kinship : Robertson Smith ،
ص ١٣ وما بعدها ، ٢٥٣ وما بعدها ؛ Lammen ؛
Om agyades ، ص ٢١٤) ويذهب نولتك في
(Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen
Gesellschaft ج ٤٠ ، سنة ١٨٨٦ ،
ص ١٦٩) رغم هذا ، إلى أن لفظ تغلب وهو
اسم فعل لا شك فيه - أصله صيغة جمع نصف القبيلة
كلها بالغلبة . ويقول الجوهري إن تغلب تسمى
أيضاً الغلباء والنسبة إليها الغلباوى ؛ (انظر القلقشندي
والسريدي : مادة تغلب) وأريد التمييز بين تغلب
واثل وتغلب بن حوان الغني . فسميت القبيلة الثانية
تغلب العليا (Register : Wuestenfeld ، ص ٤٣٣)
ومن أعقابها قبائل التميم (ويظهرها المشجعة ؛
البلاذري ، ص ١١١) وكلب بن وبرة وتوخ
(انظر هذه المادة) وكنانة بن بكر بن عوف .
وينسب لتغلب فيقال التغلباني ، والذي عليه الجمهور
التغلباني (انظر لسان العرب ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ،
ص ١٤ ؛ تاج العروس ، ج ١ ، ص ٤١٤ ،

تمام الاختلاف) وما هو جليلر بالملاحظة أن
المصنف العربي الوحيد الذي كتب عن آسية الوسطى
كتابة شاهد عيان ذون الأخذ عن مصادر أخرى
لم يذكر شيئاً عن التغزغز ، ولكنه ذكر أخباراً عن
الأويغور (من غير ذكر لعدد شعوبهم) في حين
أن أسلافه من العرب لم يعرفوا شيئاً عنهم حتى
ذلك الوقت ؛ وذكر الكتاب المتأخرون الذين
أدخلوا عن المصادر المختلفة التغزغز في مكان
الأويغور [انظر تعليق فخر الدين مبارك شاه
للمروودي (بداية القرن السابع الهجري الموافق
الثالث عشر الميلادي) على كتابي السغد والتغزغز ،
كتاب صجب نامہ A volume of : E. G. Browne
Oriental Studies presented to ، كمبرج سنة ١٩٢٢ ،
ص ٤٠٥ وما بعدها ، وقد رسم خطأ في ص ٤٠٧
من هذا الكتاب اسم تغزغز بالتاء المفتوحة] ؛
وقد توفرت لنا في إيران العهد المغولي أخبار
أقرب إلى الواقع عن آسية الوسطى وخاصة
عن الأويغور ، ومن ثم لم يطلق منذ ذلك العهد
اسم التغزغز في كتب المسلمين الجغرافية علماً
على شعب . ولم يرد هذا الاسم في كتاب نزهة
القلوب لحمد الله قزويني الذي تم تأليفه عام
٧٤٠ هـ الموافق ١٣٣٩ - ١٣٤٠ ميلادية .

المصادر :

مذكورة في صلب المادة :

[بارتولد ، W. Barthold.]

« تَغْلِب » : تغلب ويكر أعظم قبائل ربيعة
شأناً في بلاد العرب لعهدا القدم . ويقال إن جد

التفاضل ص ٢٦٦ ، ٧٧٣ ؛ الرُّومَانُ (بوجنم
ابن بكر (وهم من بيوتات العرب : المقد ،
ج ٢ ، ص ٣٧ ، س ١١ ؛ *Moravia* : Lammens
ص ٤٠٠) ومالك بن بكر بن حبيب . وانجمل
من صلب أسامة بن مالك حَمْدَان بن حَمْسُون
جد الحمدانيين (انظر هذه المادة) ويسمى اثنان
من هذا البيت باسم تغلب وهما أبو وائل تغلب
ابن داود بن حمدان ، وأبو تغلب فضل الله
ابن ناصر الدولة الملقب بالفضنفر (انظر هذه المادة
Wuestenfeld ، ٤٥٩ أو ٤٣٥) ،

منازلها :

لما تشعبت القبائل نزل بنو تغلب وغيرهم
من ربيعة هضاب نجد والحجاز وتخوم تهامة ،
واستقرت هجرتهم إلى الجزيرة قرونا ، فكانت
بطينة وعلى مراحل ، ولم تنته إلا في العهد الإسلامي ،
إذ استقروا في المنازل التي عرفت فيما بعد بلباو
ربيعة . وفي مسهل القرن الخامس الميلادي نشبت
حرب اليسوس عند ما كانت بكر وتغلب تعيشان
في نجد ، ذلك أن هجرتهما كانت أيام ذى نواس
حوالي عام ٣٨٠ م . وتمت مواقع اشترت خلال
هذه الحرب ، وهي في أرض يعلها من الجنوب
البحرين وجبال العارض ، ويعلمها من الشمال
خط العرض الذي أنشئت عليه مدينة البصرة
فيها نزل (*Zeitschrift der Deutschen* : Blau)
Morgenlaendischen Gesellschaft ، ج ٢٣ ، سنة
١٨٦٩ م ، ص ٥٧٩ وما بعدها) . وكل
ما نستطيع أن نقوله عن التخوم بين تغلب وبكر هو

ص ٣٤ ؛ ويقول رايت (*Grammar* : Wright
الطبعة الثانية ، ج ١ ، ص ١٥٩) إن الأفضل أن
يقال تغلبين ، ولم ينسب العرب إلى الجاهليين المقد ،
ج ٢ ، ص ٣٨ - ٤٦ ، س ١٢ ؛ Lammens :
Moravia ، ص ٣٩٩) . وتغلبية في رواية
المسعودي (مروج الذهب ، ج ٥ ، ص ١٤٨)
اسم زوجة من أزواج علي ، وهي أم عمر ورقية
(أي الصهباء وتكنى بأم حبيب) انظر Wuestenfeld :
كتابه المذكور آنفا ، ص ١٤٥ ؛ Lammens :
كتابه المذكور آنفا ، ص ١١٨ ، وانظر ما سيأتي (

نسبها :

تغلب بن (بنت) وائل بن قاسط بن هنب
ابن أفضى بن دغيم بن جذيلة بن أسد بن ربيعة
ابن نزار . وبكر وعتر قبيلتان بينهما صلة رحم
(المقد ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، س ٢٢ ؛ Robertson
Smith : كتبه المذكور آنفا ، ص ١٢ وما بعدها) .
وأبناء تغلب هم عمران والأوس وغنم ، وابن غنم
عمرو ، وعمرو أبو معاوية وحبيب ، ويلقب أبناء
معاوية الأربعة بالحنثاقين (Wuestenfeld ص
١٢٩) وأبناء بكر بن حبيب الستة (ويذكرهم
صاحب المقد في الموضع الذي ذكرناه ويسقط
منهم مالكا) بالأرقام (فسر هذا القبط في ديوان
الأخطل ، ص ١٢٧ ؛ التفاضل ص ٢٦٦ ،
٣٧٣ ؛ Lya : كتبه المذكور ، ص ٥١ ؛
وتستعمل الأرقام في أغلب كتابات عن تغلب ،
ونسبت إليها وقتان : التفاضل ص ٤٠٠ ،
ص ٧٦١) . وأكبر بطنين من بطون تغلب (وفي

ص ٩٦ وما بعدها ؛ ١٧١ وما بعدها ؛ *Mo'ania* ،
 ص ٣٨١ ، ٣٩٨ - ٤٠٠ ؛ *Ommeyyades* ،
 ص ٢١٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ وما بعدها ؛ *Musil* ،
 وبخاصة موقعه *Euphrates* ص ٤٢ ، ١٧٠ ،
 ٢٨٥ ، ٣٥٩ ؛ *Palmyra* ص ١٧٥ ؛ ٢٤٨ ،
 ٢٨١ وما بعدها) ولا غنى للباحث في طبيعة
 منازل تغلب في عهود التاريخ من الرجوع
 إلى كتب موسل *Musil* (انظر المصادر) ،
 تاريخها :

سمعتا بتغلب أول ما سمعتا في حكم سابور
 الثاني الذي غزا أرض بكر وتغلب « بين دولة
 الفرس وثغور الروم في الشام » ، وأسكن جماعة
 منهم البحرين وكرمان وتوج والأهواز ، وربما
 كان غرضه من ذلك أن يزيد من قدرته على حكمهم
 (*Sasaniens* : Noeldke ، ص ٥٦ وما بعدها
 ص ٦٧) وأمر أبرهة (٩) الحميري زهير
 ابن جندب الكلبي على بكر وتغلب في غزوته نجدا
 (الأخواني ج ٢١ ، ص ٩٥ ، ابن الأثير ،
 ج ١ ، ص ٣٦٧ وما بعدها) فحاولت القبيلتان
 تشد أزرها قبائل أخرى من معدة أن ترفعا عن
 كاهلها النير البقي ، وانتهى ذلك بيوم السلطان
 وخزاز وقيل خزازي (انظر في شأن موقعهما
Puys Mo'allagat : Noeldke ، ج ١ ،
 ص ٤٤ ، ٨٤) وكان أبرهما في هذين اليومين
 ربيعة بن الحارث أو ابنه كليب (انظر هذه
 المادة ، العقد ، ج ٣ ، ص ٦٦ ، ص ٣١ ،
Reiske ، ص ١٨٢) وأراد المهلهل أخو كليب

أن منازل تغلب كانت أدمع في الجزء الشمالي من
 هذه الأرض بالقرب من حدود الشام ، وقد
 نقل فستفلك (كتابه المذكور آنفا ، ص ٤٣٤)
 عن البكري منازل تغلب « على حدود الشام »
 ولم يستق هذه المنازل إلا من الشواهد الشعرية :
 ونحن نوردها فيما يلي : الأحفار ، الأزاجيب ،
 المونج ، عاليز ، عشازة ، كاثيرة ، عتيبة والنهي
 (انتهى) : واشتهرت النهي هذه بأنها كانت موقعا
 من مواقع حرب البسوس . وقد ذهب صاحب
 مراصد الاطلاع (ج ٣ ، ص ٢٥٥) إلى أنها بين
 البحرين واليمامة . وكانت تغلب في القرن الثاني
 ساء الساساني - ما تزال شاغلة جزءا من هذه البقاع :
 على أنها أملت تولد أقدامها شيئا فشيئا على
 المجرى الأدنى لنهر الفرات :

وكانت كبتات شمالي الأنبار سوق تغلب
 أيام الجاهلية (مراصد ، ج ٢ ، ص ٤٧٥) ،
 وكانت قصبه منازلهم في القرن الأول للهجرة
 وسط الجزيرة بين قرقيسيا وسينجار ونصيبين
 والموصل شمالا ، وعانة وتكريت جنوبا ، وكان
 هذا الإقليم يقرب أن يكون شبه جزيرة ، إذ تحده
 أنهار الخابور ودجلة والفرات . وعاشت جماعة
 من تغلب في مضارب على الضفة اليمنى لنهر الفرات
 عند مستنقع الرصافة (وصلوا فيها بعد إلى جوار
 قسرين ودمشق) وفي الجنوب حتى عين التمر
 وجبل الإله (لاهة) كما عاشوا أيضا بين خفكان
 والمندليب . وعبرت جماعة أخرى في الوقت نفسه
 دجلة إلى آذربيجان (*Chentres* : Lammens)

في النارات التي كان يريد أن يشها (انظر مادة سوق ؛ وانظر في شأن الرهائن Rothstein ص ١٣٧) : ولحق إن هذا الصلح كان موقفاً إلى حد بعيد ، ذلك أننا لم نعد نسمع أبداً بحرب ضروس بين هذه القبائل (Runf Mo'allagat : Noeldke)

ج ١ ، ص ٥٣ وما بعدها ، ص ٧٣) وكانت بكر مخلصه الخمين في حين أن تغلب أبت متابعة عمرو بن هند ، وكان يرغب في الثأر لأبيه المنذر الثالث من النساتين ؛ ويقال إنه أدبهم على يد الغلاق ، القيمي لخروجهم عن طاعته (الغلاق لا الملاق انظر Runf Mo'allagat : Noeldke ص ٧٦) وقامت بين تغلب وبكر خصومة جديدة احكم فيها إلى الأمير اللخمى نفسه شاعران من أصحاب الملقات هما عمرو والحارث ، فكان كل منهما يتافع عن قبيلته . (المصدر نفسه ، ص ٥١ وما بعدها ؛ ولعل هذا الأمير هو الذي أخذ حرب البسوس أول مرة ؟ : الأغاني ، ج ٩ ، ص ١٧٨ - ١٨٠) وضاق الأمير بتفاخر عمرو بن كلثوم فأعانه في مناسبة أخرى فقتله عمرو لساعته

(Rothstein ، ص ١٣٥ وما بعدها) والظاهر أن تغلب أصبحت بذلك في حل من القيود ، بل جاهرت بكرأ بالعلماء . على أننا لا نستطيع أن نجزم بأن مرة بن كلثوم أضا عمرو قتل الأمير اللخمى المنذر وهو من أبناء النعمان أبي قابوس (المصدر نفسه ص ١١١) واشتركت تغلب في يوم ذي قار (انظر هذه المادة ؛ وانظر عن أسماء الأماكن المصدر نفسه ، ص ١٢١) يقودها زعيمها

أن يثار لأخيه ققامت حرب البسوس (انظر هذه المادة) على بكر (وختلف الروايات في وقائع هذه الحرب وترتيبها وأسبابها : انظر البكري ، ص ٨٤٢ - ٨٤٣ ، Reiske ، ص ١٦٤ ، ١٨١ - ١٩٨ ؛ الأغاني ، ج ٤ ، ص ١٤٣ ؛ ابن الأثير ، ج ١ ، ص ٣٨٤ - ٣٩٧ : الكتاب المذكور . أما عن مواقع هذه الحرب فانظر Weizstein في Zöcher. f. allg. Brat N. 5. : الكتاب ج ١٨ ، سنة ١٨٦٥ ، ص ٢٦٢ وما بعدها ؛ ٤١٥ ؛ Painsyone : Muxil ص ٦٧ وما بعدها) ويقال إن قبائل تغلب افرقت بعد انتصار بكر في يوم القيص أو القيصنة ، ويعرف أيضاً بيوم السحلاق أو السحاق أو الثانية (البكري ص ٥٦ ، المقدم ، ج ٣ ، ص ٦٩ ، ص ١٥ وقد ورد فيه ذكر أيام أخرى ، ج ٣ ، ص ٦٨ ، وذكر البريوع في خبر يوم زروود [اليوم الثاني] ، ج ٣ ، ص ٥٩ ، ص ٢٧ ؛ باقوت ج ٢ ، ص ٩٢٨ وقد ذكر رياح بن بريوع في خبر يوم إراب : ديوان القبطاي ، ص ١٦ ؛ القفاض ص ٧٦٠ وما بعدها ولم يذكر بصفة عامة إلا القليل من أيام تغلب ، وقد حل ذلك Lammens في كتابه عن معاوية ، ص ٣٩٩ ، تعليق ٦ ، إلا أن تعليقه مشكوك فيه) ويرجع إلى مادة بكر فيما نرى من تاريخ تغلب تحت حكم كتنة وفي تفصيل ماسبق أن أجملاه . وعقد الصلح بين بكر وتغلب في ذي المجاز بإيعاز المنذر الثالث ، ولعله كان يرى من وراء ذلك إلى استغلال هاتين القبيلتين

التمان بن زُرْعَة (انظر. في شأنه ديوان التقاطي ، ص ٣٣) وقد بلل هذا الرجل النصيحة لكسرى فهداه إلى خير ما يفعل لمباغثة بكر (Noeldeke : *Sasaniden* ، ص ٣٣٤ ، العقد ، ج ٣ ، ص ٨١ وما بعدها) وما يجدر ذكره أن الأخطل (انظر ديوانه ، ص ٢٢٦) قد نسب بعد ذلك مجد انتصار بكر على القرس إلى هاتين القيتلين التين تربطهما أواصر القرى . واتصلت تغلب بجيرانها من النصارى فقتربت النصرانية إليهم قبل ظهور الإسلام بزمان ليس بالكثير . (لم ترد في معلة عرو أية إشارة إلى النصرانية : *Noeldeke* : *Fuerg* : *Mo'allagat* ، ج ١ ، ص ١٩ ، ٤٦ ، وانظر من ناحية أخرى شيخو : النصرانية ، ص ١٢٥) وكانت تغلب في أول أمرها تعبد - مثل بكر - الإله أوائل أو لوال (انظر عن اشتقاق هذا الاسم : *Robertson Smith* ، كتابه المذكور آنفاً ، ص ١٩٤) . ولم يتغلغل الدين الجديد في قلوبهم (انظر ما سأتى بيانه) إلا أنهم استمسكوا به فلم تفلح جميع المحاولات التي بذلها المسلمون في القرون الأولى للإسلام لإدخالهم في دينهم ، ويستثنى من ذلك جماعة صغيرة منهم لعلها تغلب التي كانت تعيش في جوار علي (*Sprenger* : *Muhammad* ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ وما بعدها) وقد تكون دخلت في الإسلام مبكراً حبا في السلامة ، فقد خبرنا أنه في عام تسعة للهجرة قدم إلى المدينة وفد من تغلب ، بعضهم مسلمون وبعضهم نصارى حلهم صلبان مذمبة ، وعقد النصارى منهم

صلحاً مع محمد أقوا فيه على دينهم على أن لا ينصروا أولادهم . ومع ذلك فقد يكون هؤلاء التغالبة هم أنفسهم اللين اقترحوا هذا الحل تخلصاً من الجزية ، ذلك أن النبي لم يجبر النصارى قط على الدخول في الإسلام (هكذا قال *Stizen* : *Wellhausen* ، ج ٤ ، ص ١٥٦) على أن ماروى من أن عمر عامل تغلب بعد ذلك على شروط تشبه هذه يجعلنا نقطع بأن ذلك الخبر من وضع المتأخرين (انظر ما سأتى بيانه) وكذلك يحيط الشك بالقصة التي رواها الأغاني في صفحة ٥٣ من الجزء السادس عشر (شيخو : كتابه السابق ، ص ٤٥٤) وفحواها أن النبي أمر زيد الخليل بإرغام الأمير التغلبي الجترار على الدخول في الإسلام بعد السيف (ذكر شبرنكر *Sprenger* اسم هذا الأمير الجترار لا الجترار : ج ٣ ، ص ٣٩١) ويقال إنه رفض ذلك قتل . وفي حروب الردة عام ١١ للهجرة خرجت المنبئة سجاح (انظر هذه للمادة) ، التي نشأت على النصرانية بن تغلب ، إلى الجامة في صحبة تغلب وتميم ، ويقال إنها ماتت عندهم في الجزيرة (البلاذري ، ص ٩٩ وما بعدها ؛ *Mo'avia* : *Lammens* ، ص ٣٠٤) واتجهت شيان الثائرة وتغلب والغمر زماناً ما برجل يدهي مفروقا (الطبري ، ج ١ ، ص ١٩٧٣) ولقد انتحلت الذين هاجروا مع سجاح أزر القرس علم ١٢ للهجرة في عين اقر حيث أعمل فيه القتل . خالد بن الوليد ، وقتل زعيمهم عقبة بن أبي عقبة . وأراد هؤلاء التغالبة أن يثأروا لأنفسهم فأشتركو

(انظر Wellhausen ، ج ٦ ، ص ٤٦ وما بعدها ؛
Mémoires : De Goeje ، رقم ٢ ، ص ٣٨
 وما بعدها ؛ ولدراسة طبيعة الأرض التي وقعت
 فيها حملات خالد انظر *Musil : Euphrates*
 ص ٣٠٠ - ٣١٤ ؛ الكاتب نفسه ؛ *Arabia* ،
 ص ٥٥٣ - ٥٧٣) ومن هنا كان من المستبعد
 أن يبدى فرسان بني النمر وتغلب استعدادهم
 لمعركة اللثي قبل وقعة البويب (الطبري ، ج ١ ،
 ص ٢١٨٩ وما بعدها) ولعلنا نميل في هذا
 الشأن إلى الأخذ برأى بيكر Cl. H. Becker
 (في *Annali : Cactani* ، حوادث عام ١٤ هـ
 فصل ٣٢ تعليق ب) الذي يذهب إلى أن هذا
 الخبر يظهر فيه هوى راويه سيف بن عمر
 (انظر هذه المادة) . وفي العام نفسه أرسل اللثي
 فرقة من الأتباع إلى تغلب التي كانت معسكرة
 في الكبيك (انظر ما سبق) ثم أرسل فرقة أخرى
 إلى تغلب والنمر في صيفين فتمكن هؤلاء من القوار
 (الطبري ، ج ١ ، ص ٢٢٠٦ - ٢٢٠٨ +
 Wellhausen ، ج ٣ ، ص ٦٩ ؛ *Musil : Euphrates* ،
 ص ٣٢١ وهو حادث يدل على أن
 المعركة القديمة بين بكر وتغلب لم يكن قد عفا عليها
 التسيان بعد) ونجح الأحلاف ، الفرس والروم
 والقبائل العربية من إزاد وتغلب والنمر وغيرهم ،
 في الاستيلاء على حصن من حصون تكريت
 عام ١٦ هـ ، ووصل عبد الله بن السمعتي في خمسة
 آلاف مقاتل وحلثت بينه وبينهم مناقشات طويلة
 حاول خلالها أن يدخل سرا في مفاوضات مع العرب .

في الحملة الكبيرة التي كان الفرس يهيئون لها وقتئذ
 بقيادة زرمهر وروزبه . فمسكر زعيم تغلب
 الحليل بن عمران في المصبيخ (بني البراءة)
 حيث انضم إليه فلول الفرس بقيادة مهبوذان بعد
 أن حلت بهم الهزيمة في الحمة فوقع عليهم
 خالد بفرق ثلاث فلم يسلم منهم إلا القليل ،
 ثم نكل بريعة بن بجر التظلي (وقد اشترى على
 ابنته السبية ؛ انظر ما سبق أن بيناه) في التني
 وباغت معسكراً آخر في الزمصيل (البسر)
 وفي هذه الأثناء تمكن هلال بن عمة من الحرب
 إلى الرضاب . وتقدم خالد حتى الفراض على
 القرات ، فالتحمت الفرس والروم والقبائل العربية
 تغلب وإزاد والنمر لقتال خالد ، على أنهم هزموا
 هزيمة نكراء ، إذ يقال إنهم خسروا مئة ألف
 مقاتل ؟ (الطبري ، ج ١ ، ص ٢٠٦٢ -
 ٢٠٧٥ ؛ Wellhausen كتابه المذكور ج ٦ ،
 ص ٤٥) وعندما شخص خالد إلى الشام تلبية
 لأمر أبي بكر بالمصبيخ (هذا هو رسمها
 الصحيح) والحصيد فنكل بالمرتدين من تغلب
 وزعيمهم ربيعة بن بجر (البلاذري ، ص ١١٠)
 ووقعت وقعة الجسر المشهورة ، وارتد المسلمون
 إلى خفكان ، ويقال إن فضيلة من الفرسان وعلى
 رأسهم الضمير وحذيفة قتلوا حتى تكريت وهزموا
 تغلب في طريقهم (البلاذري ، ص ٢٤٩) ولم تنتح
 الثقة أحياناً في إثبات تواريخ هذه الحوادث ، ومع
 ذلك فإننا نستين من هذه الروايات أن تغلب
 كانت تستغل جميع الفرص لمهاجمة المسلمين

شأن خاص وما كان من صلاتها بغرها من الجماعة الإسلامية (البلاذري ، و كلامه من ص ١٨١ إلى ١٨٢ يستلقت النظر فهو يقول : « لا تؤكد ذبايح نصارى بني تغلب ولا تنكح نسائهم : ليسوا متاولا من أهل الكتاب » وتوفية ذلك في *Annales* في حوادث عام ٢٠ هـ ، الفصل من ٣٧ إلى ٤٩) ، ومالأت تغلب أول الأمر علما ، لكنها انحازت مريعا إلى الأميين وحاربت في صف معاوية في وقعة صفين (أسكنهم معاوية الكوفة ، انظر الطبري ، ج ١ ، ص ١٩٢ ، ج ١ ، ص ٢٤٨٢ ، ٢٤٨٨ - ٢٤٩٥) وفي صف يزيد في وقعة الكوفة وفي صف مروان في وقعة مرج راهط (*Lammens* : *Mesopotamia* ، ص ٤٩ ، ١١٨ ، ٣٨١ ، ٤٠٠ ، ٤٣٥ ، الكاتب نفسه : *Yazid ibn* - *Mazalim* : ٢٣١ ، ص ٥٩ وما بعدها) ولم يعاود الشعراء ذكر تغلب إلا بعد ما صاموا في النضال بين المضرة والبنية (انظر مادة ربيعة) فهالقوا أول الأمر قيسا على كلب (*Wiener* : *Zeitschrift fuer die Kunde des Morgenlandes* ج ١٥ ، ١٩٠١ م ، ص ٦) . فلما مالأوا كلبا دب النزاع بينهم وبين قيس ونشبت الحرب بينهم (٦٩ - ٧٣ هـ = ٦٨٨ - ٦٩٢ م) عندما نزل تحيثر بن الحبيب في صحبة بني سليم على الحارثين فاصطدم بتغلب التي كانت معسكرة هناك (انظر مادة قيس حيلان) ووقعت مناوشات بين الفريقين ثم حدثت الواقعة عند ماكسين (ماكس) فدارت الدائرة على تغلب والفرو . وأعقب ذلك (٧٠ هـ =

النصارى فلم يستجيبوا له ويلجأوا في الإسلام إلا بعد أن ملّ الروم القتال ، ونجح بمساعدتهم في تدبير مكيكة استولى بها على معسكر أعدائه وعلى الحصنين أيضا (الطبري ، ج ١ ، ص ٢٤٧٤ - ٢٤٧٧) ويقال إن نفرا من تغلب ذهبوا صحبة الوفود التي بعثها حيد الله إلى المدينة وأنهم عاقلوا عمر على بني تغلب ، فقد خيرهم عمر بين الدخول في الإسلام والمساواة بالمسلمين في كل شيء ، أو أداء الجزية ، فلما آس منهم إحجاما سمح بأن تكون جزيتهم « مثل صدقة المسلم » على أن لا ينصروا وليها (ابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٤١٠) وفي رواية الطبري (ج ١ ، ص ٢٤٨٢) أنه اشترط عليهم ألا ينصروا وليها عن أسلم آبائهم ، وقد أدت أفة تغلب الذين لم يرضوا عن كلمة الجزية وفعال الوليد بن عقبة (انظر *Wuestenfeld* ص ٤٦١ وما بعدها) إلى قبولهم الصدقة مضاعفة ، ولم يذكر الطبري هذا الخبر الشائع (انظر تاج العروس ، ج ١ ، ص ٤١٤ ، ص ٣٢ ، ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٨٣) إلا في آخر رواية سيف لفتح الجزيرة (الطبري ، ج ١ ، ص ٢٥١٠ ، *Wellhausen* ، ج ٦ ، ص ٨٥ وما بعدها) وإلى جانب هذه الروايات روايات أخرى تختلف في تفصيلاتها (ومن ذلك اختلافها في منع التصير ؟ *Nau* ، كتابه المذكور ، ص ١١٠ وما بعدها) بل خلطت أيضا بين عمرين الخطاطب وعمرين عبدالرزاق وواضح أن لدينا في هذا المقام حشدا من الروايات المختلفة التواريخ نحاول تحليل ما كان لتغلب من

ومن هنا لم يكن عجيباً أن تبقى هذه الحصية أمناً طويلاً وأن تعود إلى الاشتغال بين الحين والحين .

وكان هذا القتال آخر حادث ظاهر في تاريخ تغلب ، وسنجد هنا الحوادث الهامة في تاريخهم المتأخر : اشتبكت تغلب مع عامل صدقات هرون

الرشيد وكان يدهي روح بن صالح قتلته ، وأخذ حاتم بن صالح بثار أخيه روح فتكلم بتغلب عام ١٧١ هـ (٧٨٧ م) فخرجوا عن طاعة الخليفة بعد ذلك بسبع سنين وحل رأسهم الوليد بن طريف الذي هلك في قتال يزيد بن مزيد ، وكان قد استدعاه الخليفة لودعهم إلى طاعته (ابن الأثير ، ٦٦٤ ، ص ٧٨ ، ص ٩٧ - ٩٩ ، ص ١٠١ ، الطبري ، ج ٣ ، ص ٦٣١ ، ٦٣٨ ، Charles : كتابه

المذكور ، ص ٧٩ ، Wuestenfeld : كتابه المذكور ، ص ٤٦٢ ، ٢٥٦) وفي عهد المأمون أخضع مالك بن طوق بن مالك بن عتّاب التغلبي صاحب الرجة القيسية الذين كانوا بجوار الرجة (انظر عن ولده أحمد وعن فتنة جِسمان التغلبي التي

حدثت عام ٣٣٦ هـ الموافق ٩٤٧ - ٩٤٨ م مادة الرجة ، ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ٣٠١ ، ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٢١٣ ، H.C.Kay في Journal of the Royal Asiatic Society N.S. ، ج ١٨ ، سنة ١٨٨٦ ، ص ٥٥٤ ، Muxil :

Euphrates ، ص ٣٤٠ وما بعدها) وفي عام ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) عمر الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي جزيرة ابن عمر (بالقوت ، ج ٢ ، ص ١٧٩ ، البلاذري ، ص ١٨٠) وفي عام ٢٦٧ هـ (٨٨٠ م)

٦٨٩ م) عدة مناقشات (ويتفق البلاذري : أنساب ، ج ٥ ، ص ٣١٣ - ٣٢٨ مع ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٢٥٥ - ٢٦٣ في ذكر أيام هذه المناقشات : يوم الترتار الأول والثاني ثم يوم القديين ثم المسكير ثم المعارك ثم الشرعية) انظر في هذا ديوان القطاي ، ص ١٥٠ Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes ، الموضوع نفسه ثم اليكخي ،

وزيد القطاي ، ص ٦ ، يوم التصيف تلاها وقعة الحشاك وفيها قتل محسّر (ويعرف هو ويوم سنجار يوم الأراقم في الفائق ، ص ٣٧٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠) وأراد زفر بن الحارث أن يأخذ بثار عمر فالحق بتغلب هزيمة منكرة عند الكحليل ومن أذبال هذا القتال يوم البشر (أو الرحوب ويقال له أيضاً يوم محاسن [لا نحاشن كما قال البكري ، ص ١٧٩]

ويوم مرج السكروطح ، انظر ديوان القطاي ص ١٤ ، تعليق ١١ Wuestenfeld ، ص ٤٣٤ ، وانظر عن الأيام كلها : الأغاني ، ج ١١ ، ص ٥٧ - ٦٣ ، ج ٢٠ ، ص ١٢٦ - ١٢٨ ، Das : Wellhausen :

arabische Reich ، ص ١٢٧ - ١٣٠ ، Lammens : Chantres ، ص ٣٨١ - ٣٩٨ ، الكاتب نفسه : Omayyades ، ص ٢٥٦ - ٢٦١ ؛ أما عن المواقع المذكورة فانظر Euphrates : Musil ، ص ٥٦ وما بعدها ، ٦٥ - ٨٢ - ٨٤ ، ٣٣٦ ، الكاتب نفسه Palmyra ، ص ١٧٢ وما بعدها)

ولم تميز هذه الأيام عن أيام الجاهلية بشيء على الرغم من وجود الإسلام والنصرانية ، بل زاد القتال فظاعة ومن ذلك أن السبايا كن يقطن ،

عقد إسحاق بن أيوب التغلبي حلفاً من تغلب ويكر
 وريعية والنجية وغيرهم على إسحاق بن كُنداج (ويقال
 كنداجيق) ولكنه هزمهم (الطبري، ج ٣ ،
 ص ١٩٩١ وما بعدها ، ابن الأثير ، ج ٧ ،
 ص ٢٣١ وما بعدها ، وانظر في شأن تغلب
 الموصل مادة « الموصل ») وأدت القلاقل التي
 حدثت في أرض الجزيرة في النصف الثاني من هذا
 القرن إلى هجرة تغلب ، وبقي فريق منها في البلاد
 التي حول الرحبة وجزيرة ابن عمر ، ورحل فريق
 آخر إلى أرض الروم . ونسبح في القرن الرابع
 الهجري (العاشر الميلادي) بعشائر تغلب الكبيرة
 في البحرين حيث نازلوا سُلَيْمًا وعَقِيلًا : بين
 عامر بن صعصعة ، وسرعان ما اشتركوا في فتنة
 القرامطة (والتي لا شك فيه أنهم نبلوا التصيرية
 لأنه لم يكن يسمح بقيام دين آخر غير الإسلام
 في شبه جزيرة العرب منذ أيام عمر) انظر مثلاً
 الطبري ، ج ١ ، ص ٢٤٨٢ ، ويعارض البكري ،
 ص ٩ ، هذا الرأي السائد بعض المعارضة) ولا
 هُزِمَ القرامطة عام ٣٧٨ هـ (٩٨٨ - ٩٨٩ م)
 طرد أمير تغلب أبو الحسن الأصغر سليماً بمساعدة
 عقيل ثم أجبر عقيل على الهجرة ثم طرد السلاجقة
 هؤلاء إلى البحرين (انظر مادة عقيل ، بنو)
 حيث استطاعوا أن يزيلوا سلطان تغلب الذي كان
 قد تراخى آنذاك (Key : كتابه المذكور ، ص ٥٠٥ ،
 ٥٢٤ وما بعدها) وربما كان فريق من تغلب قد
 ذهبوا في تاريخ مبكر عن هذا إلى جزر فرسكان
 (انظر هذه المادة : Geogr. : Springer)

ص ٣١ ، ٢٥٤ ، باقوت ، ج ٣ ، ص ٤٩٧ ،
 ٨٧٤ ، وانظر في شأن القول بأن القبط أسلاف
 تغلب مادة ربيعة) ولعل معظم التغالبة قد تفرقوا
 بعد ذلك في بادية الشام ، فما زلنا نسمع بهم
 في جمص عام ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) يقاتلون التتر
 قتال الظافر (تاريخ ابن العبري ، طبعة صالحاني ،
 ص ٥٠٤) ويروي القلقشندي أيضاً خبر وجودهم
 في الشام في ذلك الوقت ، ولم يعد اسم هذه القبيلة
 العظيمة الشأن يذكر في التاريخ منذ القرن التاسع
 الهجري الموافق الرابع عشر الميلادي (انظر
 بحث Lammons ، في نهاية كتابه الموسوم
 : Chores) ولذلك كان مما يستوقف النظر
 أن نجد قبيلة محدثة تربط نسبها بتغلب ، ومن
 شواهد ذلك ما فعلته طائفة من دَوَّاسِر (فواد
 حمزة : قلب جزيرة العرب ، سنة ١٣٥٢ هـ ،
 ص ١٥٠) وهمز ، ويقال إنها خليط من تغلب
 وحيس وهوازن (Handbook of Arabia ، ج ١ ،
 ص ٧٥ : W. Palgrave : Narrative ... لندن ١٨٦٥ ، ج ١ ، ص ١١٨ [المصدر ؟ انظر ،
 ج ١ ، ص ٤٥٩] ، وقد عرف صاحب هذا
 الكتاب من أهل جبل حمر أن ذلك الاختلاط
 حدث عقب حرب البوسن [بعد يوم القصة ؟
 انظر ما أسلفنا بيانه] ، وانظر في شأن بَر شُوق
 [انظر رَوَلَه] بوصفه « من حمل التصاري »
 [أي تغلب وغيرهم] : Palgrave ، ج ١ ،
 ص ٨٨ .

تغلب إلى أنه رغب في القضاء على تغلب لأنهما
 دأبت على تنصير أولادها على الرغم من عهدهما
 لعمر (البلاخرى ، ص ١٨٣ ، المقد ، ج ٣ ،
 ص ٢٥٦ ، س ٤) وجاء في الرواية الثانية ، وهي
 شائعة جداً ، أنه قال إن تغلب أظلت شرب الخمر
 من النصارى (الرنخشرى والبيضاوى في تفسير
 سورة المائدة ، الآية ٧ : *Annali : Gaetani*
 في حوادث عام ٢٠ ، الفصل ٣٧) وأقامت
 الكنيسة آخر أسقف على هذه القبائل في القرن
 الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادى (انظر بيان
 الأساقفة في كتاب *Charles* بصفة خاصة ،
 ص ٧٦-٨٣) وناقصوا عن دينهم بشدة بضعة
 قرون على الرغم من أنه لم يتغلغل في قلوبهم ، شأن
 البلو عامة (*Goldziher* : كتابه المذكور ،
Omayyades : Lammens ، ص ٢٣٦-٢٣٩ ،
 ٢٤٩ ، وقد نوه بما يتصفون به من شدة التكاية
 الطبرى ، ج ١ ، ص ٢٥١٠ ، البلاخرى ، ص ١٨١
 وما بعدها ، والاستشهاد كثير فيهم : *Lammens* :
Choutre ، ص ٤٣٨ ، *Nau* ، ص ١٠٩
 وما بعدها ، *Charles* ، ص ٩٨-١٠٠) .
 وكان سر جيوس ولى القبيلة الذى يرعاها . وهم
 ينجون إلى قبره في الرصافة (انظر هذه المادة)
 ويستظلون في الحرب بلوائه بما دعا غيرهم من
 القبائل إلى السفيرة بهم كثيرا (*Lammens* :
Omayyades ، ص ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٣٩ -
 ٢٤١ ، *Mo'avia* ، ص ٤٣٥ ، *Musil* :
Palagrona ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، شيوخ :

ولكننا أنصار كثيرة عن حاة تغلب الاجتاعة
 استقبتها من شعراهم وقناص خصوصهم من
 شعراء القبائل الأخرى . وقد أصر الرقيم التغلبى
 عبد المسيح خالداً بأنهم ليسوا عرباً (أى يلو)
 وإنما هم نبط مستعربة (أى مزارعون تخلقوا بأخلاق
 البلو) انظر المسعودى ، طبعة شرننجر ، لندن
 سنة ١٨٤١ ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ، *Cl. Ritter* :
Erkund ، ج ١٠ ، ص ٦٤ وما بعدها ،
 ويتحدث الأخطل في شعره (ص ٢٢٢)
 بأحراج التخيل وحقول القمح (*Lammens* :
Mo'avia ، ص ٣٩٨) . والعجيب أنهم كانوا
 ملاحين (انظر مادة «سفينة») وكانت تجارة
 السفن تدر عليهم المال وتجلب لهم السلطان
 (الأخطل ، ص ٣٠٧ ، *Omayyades : Lammens* ،
 ص ٢١٤ وما بعدها ، ص ٢٢٦ ، ٢٦٥-٢٦٨)
 ونحن لا نفهم ملاحظة التبريزى في شرحه
 لمعلقة عمرو (طبعة *Lyall* ، ص ١٠٨ ، س ٤) :
 « لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب
 الناس » (*Choutre : Lammens* ، ص ٩٧ ،
Mo'avia ، ص ٣٩٨ ، *Omayyades* ، ص ٢٦٧)
 إلا إذا تذكرنا أن طريق الهند كان يمر بأرضهم
 وأن الجزير بصفة جامدة كانت تمر بها الطرق
 من جميع الاتجاهات . وهذا يفسر أيضاً ترقى
 عمر هذه القبيلة الأبية القوية . وقد حسدها
 فاس بعد ذلك على هذا المكان الملحوظ ، ووضعت
 الروايات في الحط من شأنها ، ومنها روايتان على
 جانب عظيم من الأهمية نسبتا إلى عليّ : إحداهما

التصانية ، ص ٩٩ وما بعدها) وكان شرحهم
الحمر من الخلال الى طامنا عليهم عليها خصومهم
(Goldziher : كتابه المذكور ؛ ديوان القضاى ،
ص ٩ وما بعدها ، ص ٩ ، انظر عن حاناتهم
Omeyyades : Lammens ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٦)
وأشهر ما أخذ عليهم من خلال : الطمع والبخل
(المسعودى : المروج ، ج ٦ ، ص ١٥١
وما بعدها ، العقد ، ج ٣ ، ص ٨٤ ، ٩٣ ،
٢٣٢ ، ٢٣٦ ، الأغاني ، ج ٧ ، ص ١٨٦) :
وإذا كان لهذا اللوم الذى استبدفوا له أساس
أعق من مجرد السخرية التى لديهم بها جرير
أفلا يحق لنا أن نتساءل : ألم يباعد مجدهم وأقمتهم
المهودة (وربما كانت هذه الفضائل قد اجتمعت
في كليپ) بينهم وبين جيرانهم الحاسدين اللين
كانوا دونهم شيئا ؟

ووصفت لغة تغلب بعلم الفناء لمجاورتهم
للروم (Blau : كتابه السابق ، ص ٩٥٢ ،
الزهر ، بولاق سنة ١٢٨٢ هـ ، ج ١ ، ص ١٠٥)
وجاء في العقد (ج ٢ ، ص ٣٣ ، ص ٢٦)
أنهم اقتصوا بالكشكشة كما اختصت بكر
بالكشكشة . ومع هذا فقد جاء في فترة مشابهة
لهذه (ج ١ ، ص ٢٠٧ ، ص ٣٥) أن الكشكشة
اختصت بها بكر أما الكشكشة فاختصت بها تغلب
(؟) ولم يرد هذا في السيوطي ، ج ١ ، ص ١١٩
وما بعدها ، وانظر عن الكشكشة : لبنان العرب ،
ج ٨ ، ص ٢٣٣ ، ص ١٧ وما بعدها ، تاج
المرويس ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ ، ص ١١ وما بعدها ،
وانظر بصفة خاصة A. Schaade : *Stebawithi* ،
Leitfaden ، لينن ١٩١١ م ، ص ٦٢ وما بعدها ،
١٨٤ ، ٧٩

وخرج من تغلب عدد من مشاهير الشعراء
(شيفر : شعراء التصانية ، وقد تناول في مؤلفه
هنا شعراء كليپ ، انظر هذه المادة) هم المهكهل
(وهو في نظر تغلب أول من قصد القصائد ،
ويقول الأصمعي إنه أول من نظم القصيدة في ثلاثين
بيتا : Fresnel ، ص ٧٦ ، ٨٤) والسقاج
(وهو مكسة بن خالد الذى قاد تغلب يوم
الكلاب ، انظر مادة « بكر » والأخضر بن شهاب ،
وأفنون (لقب صريم بن معشر) وعمرو بن كلثوم
(انظر هذه المادة) وجابر بن حنن (انظر
Fünf Mo'All. : Noeldeke ، ج ١ ، ص ١٩)
وعبيدة بن جعيل (ذكره ابن خنبة في الشعر

(١٦) ابن عبد ربه : المقد القديم ، القاهرة
سنة ١٣١٦ هـ ، وخاصة ج ١ ، ص ٢٠٧ ، ج ٢ ،
ص ٣٣ ، ٣٧ - ٣٩ ، ٤٥ ، وما بعدها ، ج ٣ ،
ص ٥٩ ، ٦٦ - ٧٠ ، ٨١ - ٨٤ ، ٩٣ ، ٢٣٢ ،
٢٣٦ ، ٢٥٦ (١٧) ابن خلدون : العبر ، بولاق
سنة ١٢٨٤ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٠١ - ٣٠٣ ، ج ٢/٢ ،
ص ٧٢ وما بعدها ، ٨١ - ٨٣ ، ١٠٧ - ١٠٩ ،

أما مصادر تغلب في الجاهلية فهي :

(١) *Geschichte der Perser und* : Th. Noeldke
، *Araber zur Zeit der Sassaniden* ، لندن سنة ١٨٧٩ ،
ص ٥٦ ، وما بعدها ، ٦٧ ، ٣٣٣ ، وما بعدها (٢)
الكاتب قسمة : *Fünf Ma'allagat* : ج ١ في
، *Ab. Wiss. Wien, phil.-hist. Cl.* ، ١٤٠ ج ١/٧ ،
سنة ١٨٩٩ ، وفي مواضع أخرى (٣) *G. Rothwein* ،
Die Dynastie der Lohmidin in el Hira ، برلين
سنة ١٨٩٩ ، ص ١٠٠ ، وما بعدها ، ١١٢ ،
١٢٠ - ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ (٤) *J. J.* ،
Reiseln : *Primus Eines hist. regn. arab.* ، طبعة
Wuestenfeld ، كوتنكن سنة ١٤٨٧ ،
ص ١٦١ - ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٨١ - ١٩٨ (٥)
Essai sur l'histoire des : A.P. Caussin Perceval
، *Arabes* ، باريس سنة ١٨٤٧ - ١٨٤٨ م ،
ج ٣ ، القهرس (٦) *F. Fremel* ،
l'histoire des Arabes... ، باريس سنة ١٨٣٦ ، ص
١٥ - ٢٨ ، ٦٧ - ٨٤ [٤٦] وما بعدها (٧)
Translations of Ancient Arabic : G. J. Lyall
، *Poetry* ، لندن ١٨٨٥ ، القهرس ،

أما من خصائص لغة الأخطال فارجع إلى
نولدكه (*Wann Zeitschrift für* : Noeldke
die Kunde des Morgenlandes ، ج ٦ ، ١٨٩٢ م ،
ص ٣٤٨ ، وما بعدها ، وانظر أيضاً : G.W. Freytag
Einleitung... ، بون ١٨٦١ م ، ص ٧٥ ، ٩١) .
المصادر :

غير ما ذكرنا في صلب المادة (١) للعجم
العربية والرسائل المؤلفة في الأنساب (٢)
Register : F. Wuestenfeld ، ص ٤٣٣ -
٤٣٦ و *Taabbelen G & a* (٣) ابن فريد : كتاب
الاشتقاق ، طبعة فستفد ، كوتنكن سنة ١٨٥٤ ،
ص ٢٠٢ - ٢٠٥ (٤) القلشندي : نهاية الأرب
في معرفة أنساب العرب ، بغداد سنة ١٣٣٢ هـ ، ص
١٥٩ وما بعدها ، ٢٩٨ (وتغلب التي وردت
في هذه الصفحات قرأ تغلب) ص ٣٥٧ (٥)
السويدى : ممالك الذهب في معرفة قبائل العرب ،
بومباى سنة ١٢٩٦ هـ (وهذه النسخة مطبوعة على
البحر) ص ٤٤ ، ٥٣ ، ٥٤ (٦) ابن قتيبة :
كتاب المعارف ، طبعة فستفد ، كوتنكن سنة
١٨٥٠ م ، ص ٤٦ وما بعدها ، ص ٢٨٣ (٧)
kinship and Marriage in Early : W. Robertson Smith
Arabic ، كمبريدج سنة ١٨٨٥ ، ص ١٢ - ١٤ ، ١٩٤ ،
٢٥٣ وما بعدها (٨) الطبرى (٩) ابن الأثير (١٠)
البلاذرى ، طبعة ده غوبه (١١) كتاب الألفاظ
(١٢) الثقافى ، طبعة *Bevan* (١٣) البكرى
(١٤) ياقوت : المعجم ، طبعة فستفد (١٥)
مزايد الاطلاع ، طبعة *Jayyaboli* ، القاهرة

مصادر تغلب في الإسلام هي :

ص ١٢ ، تعليق ٣ (٢) F. Nan *Les Arabes :*

Chrétiens de Mésopotamie et de la Syrie du VIIème

، *au VIIIème Siècle* ، باريس سنة ١٩٣٣ ، ص ١٠٥ ،

La Christianisme : H. Charles (٣) ١١٣-١٠٩

des Arabes nomades sur le Limes ... ، باريس سنة

١٩٣٦ ، القهرس (٤) لويس شيوخو : النصرانية

وآدابها بين حرب الجاهلية ، بيروت سنة ١٩١٢ -

١٩٢٣ م ، ص ٩٩ وما بعدها ، ١٢٥ وما بعدها ،

ص ٤٢٠ ، ٤٥٤ (٥) وانظر أيضا كتاب شيوخو :

شعراء النصرانية ، سنة ١٨٩٠ ، ص ١٥١-٢٠٤

(وهذا العنوان مضلل)

وفي مؤلفات لامنس ملاحظات قيمة عن

حياة تغلب الاجتاهية :

(١) *Le Chantre des Omayyades :* Lammens

في المجلة الأسبوعية ، ج ٩ / ٤ (سنة ١٨٩٤)

ص ٩٤ - ١٧٦ ، ١٩٣ - ٢٤١ ، ٢٨١ - ٤٥٩

وفي مواضع أخرى (٢) الكاتب نفسه :

sur le règne du calife omayyade Mo'awia Ier

، باريس سنة ١٩٠٨ ، القهرس (٣) الكاتب نفسه :

Etudes sur le siècle des Omayyades ، بيروت

سنة ١٩٣٥ ، القهرس (٤) *Le Califat de Yazid Ier*

في *Mélanges de la Faculté Orientale de Beyrouth*

ج ٥ (سنة ١٩١١) ص ٢٢٩ - ٢٣١ (٥)

الكاتب نفسه : *L'adnèment des Marwanides*

ج ١٢ (سنة ١٩٢٧) ، ص ٥٩ وما بعدها

= ٩٩ وما بعدها ، ٦٢ وما بعدها = ١٠٢ وما بعدها

Das Leben und die : A. Sprenger (١)

Lehre des Mohammad ، برلين سنة ١٨٦٥ ،

ج ٣ ، ص ٣٩١ ، ٤٣٣ ، وما بعدها (٢)

الكاتب نفسه : *Die alte Geographie Arabiens* ،

برن سنة ١٨٧٥ ، ص ٣١ ، ٢٥٤ (٣)

Skizzen und Vorarbeiten : J. Wellhausen

ج ٤ ، برلين سنة ١٨٨٩ ، ص ٢١٦

ج ٦ ، (طبعة سنة ١٨٩٩) ص ٤٥ وما بعدها ،

٦٩ ، ٨٥ وما بعدها (٤) الكاتب نفسه :

Das arabische Reich und sein Sturz ، برلين سنة

١٩٠٢ ، ص ١٥٤-١٢٧ (٥) *M. J. de Goeje*

Mémoires d'histoire et de géogr. orientales

رقم ٢ الفصل الخاص بغزو الشام ، ليدن سنة

١٩٠٥ ، ص ٣٧ - ٥٠ (٦) *A. V. Kremer* :

Culturgeschichte des Orients ... ، فيينا سنة ١٨٧٥ -

١٨٧٧ م ، ج ١ ص ٦٣ ، ١٠٥ (٧) البلاخري :

أنساب الأشراف ، طبعة كوتين *Goitein* ، ج ٥ ، بيت

المقدس ١٩٣٦ م ، ص ٣١ ، ٣٠٨ - ٣٠٩ ،

٣١٣ - ٣٣١ (٨) ديوان الأخطل ، طبعة

صالحاني ، بيروت سنة ١٨٩١ ، القهرس (٩) ديوان

القطاى ، طبعة بارث *J. Barth* ، ليدن سنة ١٩٠٢

(١٠) ابن قتبية : الشعر والشعراء ، طبعة دهغويه ،

ليدن سنة ١٩٠٤ ، القهرس .

أما عن نصرانياتهم :

Mohammedanische : J. Goldziher (١)

Studien ، هال ، سنة ١٨٨٨ - ١٨٩٠ م ، ج ١ ،

غريب الأطوار إلى حد الجنون . وقد سبط سلطانته على الهند بأسرها ، بيد أنه أخطأ رعاياه فثاروا عليه من جميع الأقاليم الهندية تقريباً ، وتوفى محمد بالسند في مارس عام ١٣٥١ وهو يحاول إخماد فتنة نشبت في ذلك الإقليم ، وبموته انفصلت أقاليم الدكن والبنغال والسند عن الإمبراطورية الهندية . وخلفه على العرش ابن عمه فيروز بن رجب (انظر هذه المادة) وأُطلق فيروز في استعادة السند ، ولكنه فشل في استرداد إقليم البنغال ، ولم يحاول استعادة إقليم الدكن الذى أصبح مملكة قوية مستقلة . وأكمل فيروز شئون ملكه في أواخر أيامه فعمت القوضى بلاده وأشرك معه في الحكم قبيل وفاته ابنه محمداً ، ولكن محمداً هُزم واستبد بالناس ، وتوفى فيروز عام ١٣٨٨ فخلفه على العرش حفيده تغلق الثانى . وحاول تغلق التخلص من جميع منافسيه فألقى بذلك الرعب في نفس ابن عمه أبى بكر فانتفض عليه .

وركن تغلق إلى القرار ولكن قبض عليه وقتل . واحتل أبو بكر العرش عام ١٣٨٩ وكان عمه محمد متحفظاً يربق الحوادث في سيره من ذل وفاة فيروز ، فأغار على المملكة ودخل دهل في الحادى والثلاثين من أغسطس عام ١٣٨٩ ، ونوى به ملكاً بعد فرار أبى بكر . وتوفى محمد بمدينة جيكسرى العشرين من يناير عام ١٣٩٤ فخلفه ولده همايون خان وتلقب بعلاء الدين سكندر . وتوفى بعد شهرين من اعتلائه العرش . وتصب الأشراف مكانه أخاه محموداً وكان في بداية حكمه

أما عن طبعة ملاذ تغلق فانظر :

- (١) *The Middle East* , A. Musil
نيويورك سنة ١٩٢٧ (٢) الكتاب منه *Arama*
Desert , ١٩٢٧ م (٣) الكتاب نفسه :
Palmyra , ١٩٢٨ م . القهارس - مادته *Tarleb*
دكتور مال H. Sanderman

« تَغْلُقُ » والأصح أن يقال تَغْلُقُ ، وقد ذكر ابن بطوطة التعلق الصحيح لهذه الكلمة : اسم أسرة حكمت في دهل من عام ١٣٢٠ إلى عام ١٤١٣ م . وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسيها غياث الدين تغلق وهو من الترك القسطنطينية أى المولدين من أب تركى وأم هندية . وكان تغلق يقاتل على الحدود الشمالية الغربية عندما ظهر بمبارك آخر الخلاجية (انظر هذه المادة) ضيقه خسرو ، وأحرز تغلق عدة انتصارات على المغل فلقب من أجل ذلك بغازى ملك ، ثم سار إلى دهل وهزم بالقرب منها المختصم للعرش وقتله . وفى الثامن من سبتمبر سنة ١٣٢٠ احتل العرش . وفى عام ١٣٢٥ عاد تغلق إلى البنغال من غزوة له ، وكان قد بلغ من الكبر عملاً ، فوثب به أئله أثناءه محمد ، وكان قد انتفض عليه في الدكن من قبل . وتفصيل ذلك أن محمداً أقام سرادقا يستقبل فيه أباه ويرحب به ، وكاد له بأن عمل على سقوط هذا السرادق على رأس أبى الشيخ .

وكان محمد بن تغلق ، انظر هذه المادة) من أعظم حكام الهند المسلمين . على أنه كان

فيروز شاهي ، كلكتة سنة ١٨٩١ (٣) بداموني :
منتخب التواريخ ، النص وترجمة G.S.A. Ranking ،
كلكتة سنة ١٨٦٩ (٤) محمد قاسم فرشته : گلشن
إبراهيمي ، پرمبای سنة ١٨٣٥ .
[هيگ T.W. Haig]

« التفتازاني » سعد الدين مسعود بن عمر :
حجة مشهور في البلاغة والمنطق وما وراء الطبيعة
والكلام والفقه وغيرها من العلوم ، وله كتب
مدرسة كثيرة ما زالت تعلم في مدارس المشرق ،
ولد التفتازاني في صفر عام ٧٧٢ هـ (فبراير
— مارس ١٣٧٢) بفتازان ، وهي قرية كبيرة
من أعمال خراسان قريبة من نيسابور . ويقال إنه أخذ
العلم على عضد الدين الإيجي (انظر هذه المادة) ،
Gesch. d. Arab. Lit. : Brockelmann ج ٢ ، ص
٢٠٨) وقطب الدين (ولعله الرازي التفتازاني ، انظر
Brockelmann ج ٢ ص ٢٠٩) . ووصلت
إلينا جرائد بأهم تواليفه ، وهي تزودنا بالتواريخ
التي صنف فيها هذه التواليف وأماكن تصنيفها
وإن اختلفت في ذلك ، كما تزودنا بأخبار
وحلته (مجمل فصيح في حوادث عام ٧٨٧ هـ
روضات الجنات ، ص ٣٠٩ ، وفيه خلاصة
كبير في التواريخ ؛ الفوائد البية ص ١٣٧ هـ
Berlin Catalogus : Ahlwardt ، رغم ١٩٥٩)

وأول ما صنف التفتازاني « شرح التصريف
العزني » ، كتبه في السادسة عشرة ويقال إن ذلك
كان بقرن يومئذ في شعبان عام ٨٧٢٨ (١٣٢٨ م)

خاصةً لخصي بدعي ملك سرور (انظر هذه المادة)
ثم إن محموداً أقام هذا الخصي والياً على جوهنور :
فأصبح رأس أسرة « شرق » التي حكمت هذه
الولاية . ووقع محمود تحت سلطان مملوك الملقب
بإقبال خان . وأقام فريق من الأشراف نصرت
ابن عم محمود على العرش . وبذلك أصبح على دهل
وأرباضها في وقت من الأوقات ملكان يعملان
بالاسم ويتناصب كل منهما فريق من الأتباع ،

وكانت الأمور تسير على هذا المنوال عندما
أغار أمير تيمور (انظر هذه المادة) على الهند عام
١٣٩٨ : وقد أخرج نصرت شاه من دهل قبل أن
يصل تيمور إليها ومن ثم لم يكن بد من أن يقف
محمود ومملوكو في وجه الغاصب . على أنها هزما في هذا
القتال وفر محمود إلى ججرات وفر ملو إلى برن . ثم
عادا بعد رحيل تيمور واحتفظ محمود بلقب
الملك وإن كان قد أمضى بقية حياته أسيراً في يد
ملو ، ثم في يد دولت خان لودي الذي أصبح
الحاكم الفعلي للدولة بعد وفاة ملو عام ١٤٠٥ .

وتوفي محمود في كيتل كابل في فبراير
عام ١٤١٣ وبجوفه انقضت أسرة تغلق : وحكم
دولت خان ستة عشر شهراً خلفه بعدها على العرش
خضر خان (انظر هذه المادة) الذي دخل دهل
في الثامن والعشرين من مايو عام ١٤١٤ فكان
بذلك رأس أسرة السادات .

للمصادر :

(١) برني : تاريخ فيروز شاهي ، كلكتة
سنة ١٨٦٧ (٢) شمس سراج عفيف : تاريخ

التنافس بينهما إلى قطعية ظهرت آثارها فيما نراه في بعض كتب الجرجاني من تعدد آراء منافسه .

وتولى التفتازاني في سمرقند عام ٧٩١ هـ الموافق ١٣٨٩ م (انظر بنية الوعاء) أو في الثاني والعشرين من المحرم عام ٧٩٢ الموافق ١٠ يناير عام ١٣٩٠ م (القوائد البية ، ص ١٣٥) أو في الثاني والعشرين من المحرم عام ٧٩٣ الموافق ٣٠ ديسمبر سنة ١٣٩٠ كما جاء في رسالة منسوبة للجرجاني (فهرس دار الكتب المصرية ، ج ٧ ، ص ٢٤٢) أو في عام ٧٩٧ هـ (١٣٩٤ - ١٣٩٥ ، انظر حبيب السير) ويظهر فصيحي أن وفاته كانت عام ٧٨٧ هـ على أن هذا لا يتفق وتواريخ بعض مؤلفاته ويتناقض مع الرواية التي تقول إن بالوحشة دبت بينه وبينه الجرجاني عقب فتح شيراز عام ٧٨٨ هـ ودفن التفتازاني في سرخس .

ولم يكن له على ما يظهر تلاميذ نابغون . فالأثنان اللذان ذكروهما صاحب « روضات الجنات » هما حسام الحسن بن علي الأيوودي ، وله كتاب عنوانه « ربيع الجنات في الماني والبيان » ، وبرهان الدين حيدر (انظر طاشكيري زاده : الشقائق النعمانية ، ترجمة ريشر Reischer ، ص ٣٣ ، ولاحاً ج ١١ ، ص ٦١)

وعرف ابن خلدون فضل التفتازاني عند يافى . اطلع على تواليفه في مصر فذكره في مقلته (انظر مقلته ابن خلدون ، ترجمة ده سلان de Slane ، ج ٣ ، ص ١٢٩) . وألف التفتازاني في فقه

وآثم « المطول » و« المختصر » و« الماني » و« التلويح » بهرة وشجندوان وگلستان في الأعوام ٧٤٨ و٧٥٦ و٧٥٨ هـ . ويروي ابن عربشاه أن التفتازاني كان - كقطب الدين الرازي - من العلماء الذين اجتلبهم بلاط مغول الصفجاق الغربية .

والواقع أن « مختصر الماني » الذي أتمه في غجنوان عام ٧٥٦ هـ قد أهداه إلى محمود جاني بك . ويروي خواندمير أن التفتازاني استقر به المقام في خوارزم ، ويؤيد هذه الرواية ما يقال من أن تواليفه التي أتمها في أعوام ٧٦٨ ، ٧٧٠ ، ٨٧٧٨ هـ قد كتبها هناك . ويقص لنا خواندمير أن التفتازاني قدم الجرجاني (انظر هذه المادة Brockelmann) كتابه المذكور آنفاً ، ج ٢ ، ص ٢١٦) إلى شاه شجاع عامل المظفري على فارس . ويروي خواندمير أيضاً أنه لما غزا تيمور خوارزم (ولعل ذلك كان بين عامي ٨٧٠ - ٨٨١ هـ = ١٣٧٩ م) طلب ملك محمد السرخسي بن ملك معز الدين حسين كرت إلى ابن أخيه مير محمد غياث الدين مير علي ، وكان وقتئذ من بطانة تيمور ، أن يستأذن مولاه في إيفاد التفتازاني إلى سرخس . فآذن تيمور ، ولكنه عرف بعد ذلك فضله في العلم فأرسل إليه يستقدمه إلى سمرقند . وقدم التفتازاني أول الأمر عن إجابة دعوته معتزلاً بأنه يتأهب للسفر إلى الحجاز ، فأرسل إليه يدعوهُ ثانية فانتقل إلى سمرقند وأكرم تيمور وفادته . وقدم صاحب التفتازاني القديم السيد الشريف الجرجاني سمرقند في أعقاب غزوة تيمور لشيراز عام ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) وانتهى

خلا مفتاح السعادة التي ذكرناه - شرح دده خطيفة (بولاق ١٢٥٥).

٢ - « الإرشاد » أو « (٩) إرشاد الهادي » كما يسميه حاجي خليفة . وهو كتاب في النحو العربي ألّفه لابنه وأتمه خوارزم في عام ٧٧٤ أو ٧٧٨ أو ٧٨٧ هـ ومنه مخطوط في فينا (Fluegel ، رقم ٢٠٦) : وذكر حاجي خليفة عدة شروح لهذا الكتاب منها شرح محمد ابن علي الجرجاني من أبناء السيد الشريف ، وهو مخطوط في برلين (Ahlwardt ، رقم ٦٧٥٤ - ٦٧٥٥) وشرح خمس الدين محمد بن محمد البخاري ، وهو محفوظ في الإسكوريال (Derenbourg ، رقم ١٨١) .

(٢) اللاغة

تتصل مقالات التفتازاني الثلاثة في اللاغة من قريب أو من بعيد بالبيان المعول عليه لهذا الفن الوارد في القسم الثالث من كتاب مفاتيح العلوم للسكاكي (انظر ما ذكرناه بعد ذلك عن السكاكي Brockelmann ، ج ١ ، ص ٢٩٤) . واثان منهما شرحان على ملخص هذا الكتاب المعروف بـ « تلخيص المفتاح للتقريب » (محمد بن عبد الرحمن الملقب بخطيب دمشق ، انظر Brockelmann ، ج ٢ ، ص ٢٢) .

١ - « المطول » وهو الاسم الغالب ، وقد أتمه بهراة في صفر عام ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) ويعرف أيضاً بالشرح المطول أو شرح تلخيص المطول .

الشافعي والخنفي ، وأضافه بعض الكتاب إلى الشافعية (مثل الكتوي وحسن جلبي) وأضافه آخرون إلى الخنفية (مثل ابن نجيم وعلي بن سلطان محمد القارئ) ؟

ونذكر من تواليفه ما يلي : وللاحظ القارئ أننا أقمنا في كثير من المواضع تواريفها التي جاءت في كتاب روضات الجنات لأن هذا الكتاب يختلف مع غيره في ذلك اختلافاً كبيراً : ومن أراد التوسع في معرفة مخطوطاته وشروحه على الشروح إلخ فليرجع إلى Gesch. d. Arab. Lit. : Brockelmann

(١) النحو

١ - « شرح التصريف الميزي » وكثيراً ما يذكر في الهند باسم « السعدية » . وهو شرح لكتاب الزنجاني في الصرف (عز الدين عبد الوهاب إبراهيم الزنجاني ، انظر بروكلمان : كتابه المذكور ، ج ١ ، ص ٢٨٣) أتمه في السادسة عشرة وكان ذلك بفريومد في شعبان عام ٧٣٨ هـ الموافق ١٣٣٨ م . ومن هذا الشرح نسخ مخطوطة في برلين (Ahlwardt ، رقم ٦٦١٧ - ٦٦١٨) ونوردين (Nallino : رقم ٢٩) وفي غيرها .

طباعته : طبع في الآستانة عام ١٢٥٣ هـ ، وطهران عام ١٢٧٠ هـ ، ١٨٨٤ م (ضمن مجموعة) ودمل ١٢٨٩ هـ ، ١٢٩٥ هـ (مع مفتاح السعادة لأحمد بن شاه گول) ويومياي عام ١٢٩٢ ولكنهو عام ١٣٠٦ والقاهرة عام ١٣٠٧ هـ . وطبع من شروح هذا الشرح - فيا

طبعاته : : طبع في الآستانة عام ١٢٦٠ هـ ،
 ١٢٨٩ هـ (مع حواشى الجرجاني) ولكن
 عام ١٢٦٥ (الجزء الأول منه فقط) و ١٢٨٧ هـ
 (الجزء الأول منه فقط) و ١٨٧٨ م ، ١٣٠٠ هـ ،
 ١٨٨٩ م (مع مؤلف تراب على الموسوم بـ إزالة
 المصنوع ، وهو شرح للأبيات المروية في المطول)
 وطهران (٢) عام ١٢٧٠ هـ ، وفي دهل عام
 ١٣٢٦ هـ (مع المطول ، وهو شرح لمحمد عبد الرحمن) .
 وطبع المطول طبعة فارسية عام ١٢٧٤ هـ (مع
 شروح للقبائري والجرجاني والسميرتدي . وعبد
 رضا كلبايگانى) ذكرت في فهرس دار الكتب
 المصرية ، ج ٤ ، ص ١٥٣ .

ونشر مهرون مقتطفات منه (Mehren)
 في *Die Literatur des Araber* ، كوبهغن . وفيما
 عام ١٨٥٣) .

٣ - أما مؤلف التفتازانى الثالث في البلاغة
 المعروف بـ : شرح القسم الثالث من الفتح ،
 فشرح على القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم
 نفسه وهذا الشرح من المؤلفات التي كتبها التفتازانى
 في أواخر عهده بالتأليف ، فقد أتته في سمرقند
 في شوال عام ٧٨٧ هـ (١٣٨٥ م) أو ٧٨٩ هـ
 (١٣٨٧ م) وقاع ذخير مختصر المعاني والمطول ،
 ومنه مخطوطات محفوظات في الإسكوريال (*Derenbourg*)
 رقم ٧٦) ومكتبة وزارة الهند (*Loth*) : رقم
 ٨٤٧ - ٨٤٨) ولين (*de Goeje & Houtma*)
 رقم ٢٩٨) وكلية ترنفي بـ كيمبرج (*Palmer*)
 رقم ١٨) وفي غيرها من دور الكتب .

(٣) المنطق

١ - : شرح الرسالة الشمسية : أو : شرح
 الشمسية : (ويطلب على هذا المؤلف في الهند اسم

وطبع شروح الجرجاني على المطول في لكةنو
 عام ١٣١٢ هـ ، أما شروح عبد الحكم السيلخوني
 فقد طبع بالآستانة عام ١٢٦٦ هـ :

٢ - : مختصر المعاني ، وهو الاسم الغالب
 ويعرف أيضا بـ : مختصر شرح تلخيص المفتاح
 و : اختصار شرح التلخيص ، أو : الشرح المختصر
 أو : المختصر : فقط (لم يسمه المؤلف اسما من
 الأسماء الجارية) وهو شرح على المتن آتته عام
 ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ - ١٣٥٦ م) في خجستان وأهداه
 إلى محمود جاني بك . ولا يزال هذا المختصر يدرس
 في مدارس الشرق . ومنه مخطوطات عدة . وله
 شروح كثيرة .

طبعاته : : طبع في كلكتة عام ١٨١٣ ،
 وفي لكةنو عام ١٢٦١ - ١٣١٢ هـ . (مع
 شرح البستاني) وفي بولاق عام ١٢٧١ هـ (مع

نفسها [لكهنو ؟] وعام ١٢٦٠ هـ (مسوقا
يلساغوجي) وفي لكهنو عام ١٨٦٩ م (في مجموعة
منطق) وفي عام ١٢٨٨ هـ (مقدمته فقط مع شرح
الدواني وحواشي ميرزاهد وعبد الحى اللكهنى)
وفي عام ١٢٩٣ هـ (مع الشرح والتعليق نفسها)
وفي عام ١٣٢١ هـ (مع الشرح والتعليق نفسها)
وفي عام ١٢٩٠ هـ (مع شرح اليزدى وحواشي
عبد الحى اللكهنى) وفي عام ١٢٩٢ هـ (كالسابق)
وفي عام ١٣١١ هـ (كالسابق) وفي عام ١٨٧٧ م
(مع شرح بالفارسية محمد بن محمود الشهرستانى)
وفي عام ١٨٨٤ م (كالسابق) وفي عام ١٣٢٣ هـ
(في مجموعة بست رسائل منطق) وفي دهلي عام
١٢٦٤ ، ١٢٧٦ ، ١٢٨٣ - ١٢٨٤ (١٨٦٩ م) ،
١٢٨٦ (وكل طبعات دهلي هذه عليها شرح اليزدى)
وفي كونهور من عام ١٢٨٧ - ١٢٧٩ هـ (في مجموعة
منطق) وفي عام ١٢٩١ هـ (مع شرح اليزدى
وحواشي لآلى بخش فيض آبادى عنوانها : تحفه
شاه جهانى) . وفي عام ١٢٩٦ هـ (كسابقه)
وفي عام ١٨٨١ هـ (في مجموعة منطق) وفي عام
١٩١٥ م (مع شرح الشهرستانى باللغة الفارسية)
وفي بنارس عام ١٨٩٩ م (مع ترجمة أردية) .

(٤) ما وراء الطبيعة والكلام

١ - « المقاصد » : وهو موجز في ما وراء
الطبيعة والكلام آتمه المؤلف وشرحه في سمرقند
في خى القعدة عام ٧٨٤ هـ الموافق ١٣٨٣ م .
(وفي رواية روضات الجنات عام ٧٧٤ هـ)
وورد ذكر طبعة أخرى تاريخها ١٢٧٧ هـ في فهرس

« السعدي » شأنه في ذلك شأن « شرح التصريف
الغزني » وهو شرح لرسالة الكاتى في المنطق
(الكاتى هو نعيم الدين على بن عمر القزويني ،
انظر Brockelmann ، كتابه المذكور ، ج ١ ،
ص ٤٦٦) آتمه في جام في جمادى الآخرة
عام ٧٥٢ هـ الموافق عام ١٣٥١ م (انظر المجمل)
أو عام ٧٥٧ هـ الموافق ١٣٥٦ م (انظر القوائد
البية) أو عام ٧٦٢ هـ الموافق ١٣٦١ م (انظر
Ahlwardt ، رقم ١٩٥٩) أو عام ٧٧٢ هـ
(١٣٧١ - ١٣٧٠ م) ، انظر روضات الجنات .
ومخطوطات هذا الشرح محفوظة في برلين (Ahlwardt
رقم ٥٢٦٦ - ٥٢٦٨) وفي غيرها .

طبعاته : طبع في لكهنو عام ١٣٢٦ هـ
(١٩٠٥ م) .

٢ - « تهذيب المنطق والكلام » ، وهو
الاسم الغالب ، أو « غاية تهذيب الكلام » في تحرير
المنطق والكلام ، كما ذكر التفتازاني في مقدمته ،
وهو رسالة في المنطق والكلام آتمها في رجب عام
٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) : ولم يطبع القسم الثاني منها
اللى قال فيه حاجى خليفة إنه مختصر للمقاصد
إلا نادرا . أما القسم الأول فقد أتبل عليه اللارسون
وطبع عدة مرات (والحق إننا لا نجد من القسم الثاني
نسخا ذكرت على التخصيص في فهراس المخطوطات
الى بين ألبينا) .

طبعاته : طبع في كلكتة عام ١٢٤٣ هـ
(مع شرح اليزدى) وعام ١٣٢٨ هـ (مع ترجمة
أردية) وعام ١٣٣٣ هـ (مع هذه الترجمة الأردنية

دار الكتب المصرية (ج ٢ ، ص ٢٦) ومنه
مخطوطات في المصحف البريطاني (Ellis-Edwards ،
ص ٩) وفي مكتبة وزارة الهند (Loth ، رقم
٤٦١ - ٤٦٤) وفي غيرهما . وقد قال حاجي
خليفة ، كما سبق أن بينا ، إن القسم الثاني من
كتاب « تهذيب المنطق والكلام » موجز للمقاصد ،
٢ - « تهذيب المنطق والكلام » ، انظر
ما كتبناه من مؤلفاته في المنطق .

أما عن الشروح التي كتبت عليه فقد طبع
منها شرح خيالي في دهل عام ١٨٧٠ [٩]
وعام ١٣٢٧ هـ (مع حواشي عبد الحكيم السيالكوتي)
وفي عام ١٣٢٦ هـ (مع الحواشي السابقة) وفي
الآستانة عام ١٢٩٧ هـ (مع كسئي وبهشي)
وفي القاهرة عام ١٢٩٧ هـ (مع حواشي قره خليل)

وطبع من هذه الشروح أيضا شرح الحسن
شاهد (أبو الحسن بن الأفضل) في بهار عام
١٣٢٨ هـ كما طبع شرح رهمقان أفندي في دهل
عام ١٣٢٧ هـ .

٤ - وله رد على زلزلة ابن عربي في مؤلفه
« فصوص الحكيم » وهذا الرد مخطوط في برلين
(Ahlwardt ، رقم ٧٨٩١) ودل الورقة
الأولى منه عنوان مشكوك فيه وهو « ففهيحة
الملحين » .

(٥) الأصول

١ - « التلويح إلى كشف حقائق التنقيح »
آتمه في التاسع والعشرين من ذي القعدة عام
٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م) في گلستان . وهو شرح
كتاب « تنقيح الأصول » لصدر الشريعة الصخر
(عبيد الله بن مسعود المحبوبي المتوفى عام ٧٤٧ هـ
الموافق عام ١٣٤٦-١٣٤٧ م) انظر Brockelmann
ج ٢ ، ص ٢١٤) .

٣ - « شرح العقائد التسقية » ، وقد آتمه
في خوارزم في شعبان عام ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م)
وهو شرح لمؤثر عمر بن محمد النسفي في عقيدة
المسلمين (توفي النسفي عام ٥٣٧ هـ الموافق ١١٤٢
- ١١٤٣ م) انظر Brockelmann ، ج ١ ،
ص ٤٢٧) ويعتد من الكتب المدرسية المحبوبة ، وقد
شرح هذا الشرح عدة مرات ؛

طبعاته : طبع في كلكتة عام ١٢٤٤ هـ ،
ودخل [١٨٧٠ م] وفي عام ١٩٠٤ م ، لكهنو
عام ١٨٧٦ م ، [١٨٨٨ م] ، وفي عام ١٨٩٠ هـ ،
[١٨٩٤ م] ، وفي الآستانة عام ١٢٩٧ هـ (مع شرح
كسئي وبهشي وحواشي على خيالي)
وفي القاهرة عام ١٢٩٧ هـ (مع شرح خيالي وحواشي
قره خليل على هذا الشرح) وفي كونهور عام
١٣٣٠ هـ (١٩٠٣ م) . ونقل دوسون مقتطفات
منه إلى اللغة الفرنسية (D'Ohsson : *Tableau général*
de l'Empire Ottoman ج ١) ونمت ترجمة ألمانية
لشرح العقائد وردت في كتاب J. T. Plant
Birgin Rinal [sic] , *order Elementarbuch der*

٢ - «اختصار شرح تلخيص الجامع الكبير»
وهو موجز لم يتمه لشرح مسعود بن محمد التجلواني
على مختصر الحلاطى لرسالة الشيبانى في فروع الفقه
الشافى المرفقة بالجامع الكبير (انظر Brockelmann:
Gesch. d. Arab. Lit. ج ١ ص ١٧٧ و
حاجى خليفة ج ٢ ص ٤٠١) ويروى
صاحب روضات الجنات أن الفتازاني بدأ في
تأليفه سرخس عام ٧٨٥ هـ. ومنه مخطوط في
مكتبة يگنى جامع (رقم ٤٢٨ مكرر).

وطبعت في ههلي عام ١٨٧٠ [٢] نسخة من
«مقدمة الصلاة» أو «الملاصقة» وهى رسالة في
شعائر الصلاة نسباً بعضهم إلى الكيلانى (انظر
حاجى خليفة ج ٦ ص ٨٣) مع شرح يظن أنه
للجرجاني والفتازاني، على أنه ليس من الحق أن
الملاصقة كانت موجودة أيام الفتازاني.

(٧) التفسير

١ - «كشف الأسرار وعدة الأبرار» وهو
تفسير للقرآن باللغة الفارسية (انظر حاجى خليفة
ج ٥، رقم ١٠٦٧٤) ويظهر أن نسخة مخطوطة منه
موجودة في مكتبة يگنى جامع (انظر فهرس هذه
المكتبة، ص ٨٠، رقم ٤٣).

٢ - «شرح (أو حاشية على) الكشف» حاجى
خليفة ج ٥، رقم ١٨٧ (وهو تعليقات على شرح
الزعهرى (انظر بروكلمان، كتابه المذكور،
ج ١ ص ٢٩٠) ويقال إنه بدأ في تأليفه بسمرقند
في ربيع الثاني عام ٧٨٩ ج ٣ ص ٧٨٩) ولم

طبعته: طبع في دهلي عام ١٢٦٧ هـ الموافق
١٨٥١ م (مع شرح صدر الشريعة نفسه الموسوم
بالتوضيح) وفي لكةنو عام ١٢٨١ هـ الموافق
١٨٦٤ م (مع التوضيح) وفي عام ١٨٧١ م (مع
التوضيح) وفي عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٦ م
(مع التوضيح وشرح للتأليف لحسن جلبي وملاخسرو
وزكرياء الأنباري) وفي قازان عام ١٣٠١ هـ
الموافق ١٨٨٤ م (مع التوضيح).

٢ - «شرح شرح المختصر في الأصول» أو
«شرح الشرح»: أتته في خوارزم في ذى الحجة
عام ٧٧٠ هـ الموافق ١٣٦٩ م، وهو شرح على شرح
شرح الإيجي (انظر ما سبق بيانه) على مختصر
المثنى لابن الحاجب. والمختصر هذا هو الذى اختصر
به ابن الحاجب كتابه الموسوم «منتهى السؤل والأمل
في علمي الأصول والجدل».

وذكر محمد بن شنب نسخة من شرح الفتازاني
الذى نحن بصددده في مادة «ابن الحاجب» من
هذه الدائرة، وقد طبعت هذه النسخة في بولاق
عام ١٣١٦ - ١٣١٩ هـ. ومن هذا الشرح مخطوطات
محفوظة في برلين (Abwardt، رقم ٤٣٧٦)
ومكتبة وزارة الهند (Loth، رقم ٣٠٢ - ٣٠٤)
وفي غيرها.

(٦) الفقه

١ - «المفتاح» في فروع الفقه الشافى
وهو مخطوط برلين (Ahiwardt، رقم ٤٦٠٤)
وذكر له كتاب سمعته إلى جانب ذلك مجموعة من
الفتاوى الحنفية، لكنهم لم يعرضوا لأية نسخة منها

الكهنوتى : القبائل الأجنبية ص ١٢٨-١٣٠، ١٣٤-
 ١٣٧ (٩) Brockelmann *Guth. d. Arab Lit.* :
 ج ٢ ، ص ٢١٥ (١٠) *Literary : Browne*
History of Persia ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤
 (١١) هدايت حسن : فهرس المخطوطات
 العربية في مكتبة بوهار ، ص ٤٣٦ - ٤٣٨ .

[ستورى C.A. Storey]

« التفسير » والجمع تفاسير والفعل فسر :
 يطلق على الشروح الى تكتب على المؤلفات العلمية
 والفلسفية ، وهو يرادف الشرح . ويطلق على
 الشروح اليونانية والعربية على مؤلفات أرسطو ،
 وتذكر فيها على أمثلة على ذلك مستقاة من كتاب ابن
 القفطى المسمى « إخبار العلماء بإخبار الحكماء » وتاريخ
 الفلاسفة : تفسير بئس الروى لكتاب المصطفى
 وتفسيره للمقالة العاشرة من كتاب إقليدس ، وتفسير
 أبى الوفاء البوزجاني المنجم المشهور لكتابه ديوفانتس
 Diophantes والحوارزى فى الجبر . وكتب محمد
 ابن زكريا الرازى الطبيب المشهور تفسيراً لكتاب
 فلوطرخس Plutarch فى تفسير كتاب طبائص
 لإفلاطون ، ويعرف كتابه باسم « تفسير التفسير »
 وبرر حنين بن إسحاق ، الطبيب النصراني ، فى
 الترجمة والتفسير . وشرحت معظم التوايف
 المشهورة فى العلوم اليونانية وكذلك بعض الكتب
 التى صنف فى العلوم العربية . وقد ترجمت هذه الشروح
 لوكيت باللغة العربية ،

بتمه . وتشمل هذه التعليقات من سورة البقرة إلى
 سورة هود الآية ٥٨ ، ومن سورة الزمر إلى سورة
 الطلاق ، ومنه مخطوطات فى برلين Ahlwardt رقم
 (٧٩٣) وفى المتحف البريطانى (Ellis-Edwards ،
 ص ٣) وفى مكتبة وراة الهند وفى غيرها من دور
 الكتب .

(٨) فقه اللغة

١ - « النعم السوابغ فى شرح الكلم التوابغ » وهو
 شرح على ذخيرة الزمخشري الموسومة بالكلم التوابغ
 وطبع H.A. Schultens مقتطفات من هذا الشرح
 فى مؤلفه *Anthologia sententiarum Arabicorum* ،
 لندن ١٧٧٢ م ، وطبع فى القاهرة عام ١٢٨٧ هـ ،
 ٢ - ترجمة نثرية باللغة التركية لديوان
 سعدى المعروف بالبستان قام بها عام ٧٥٥ هـ
 (*History of Ottoman Poetry* : E.J.W. Gibb)
 ج ١ ، ص ٢٠١ .

المصادر :

(١) ابن عرشاه : عجائب المقدور ، طبعة
 Golius ، ج ٣ ، ص ٤٢٢ (٢) فصيحى : مجمل
 (فى حوادث عام ٧٨٧ هـ انظر E.G. Browne
 فى *Musson* ، المجموعة الثالثة ، ج ١ ، ص
 ٥٧) (٣) السيوطى : بنية الوعاة ، ص ٣٩١ (٤)
 سلطان حسين بن منصور : مجاليس المشاق ، ص
 ٢٨٧ (٥) الكفوى : إعلام الأخبار (٦) خواننير :
 حبيب السير ، ج ٣ ، ص ٣ ، ٨٧ (٧) محمد باقر
 خوانسارى : روضات الجنات ، ص ٣٠٩ (٨) عبد الحمى

بعد الهجرة كان حجة في التفسير ، وقد نسبوا إليه تفسيراً (محفوظ بالمكتبة الحميدية بإستانبول) ، وتساءل النقاد المحدثون (كغو للتفسير ولا منس وغيرهما) عن قيمة الأحاديث الواردة في هذه الكتب الجامعة ، ولم يصلوا بعد إلى رأى يعززها كثيراً . والظاهر أن كثيراً من هذه الأحاديث موضوع إما لتقرير مسألة شرعية وإما لأغراض كلامية وإما لمجرد التوضيح ، بل قد يكون لمحض النهي والتسلي . ويلعب النقاد المحدثون إلى أنه لا أمل في العثور في هذه التفسير على أخبار صحيحة عن أسباب نزول القرآن وإذاعته في الناس .

فللتفسير إذن شأنها في الإحاطة بدقائق الشريعة والدين وفي القصص وفقه اللغة .

وفي أيامنا هذه حاول عالم معرب هو الشيخ منطلاوى [جوهرى] أن يهند دراسة التفسير ، وقد نشر تفسيراً فيه كثير من الآراء المأخوذة عن الفلسفة والعلم الحديث .

المصادر :

- (١) النظر بفهرس الكتب والمخطوطات العربية تحت كلمة تفسير . (٢) Goldziher ؛ Mohaimedanischo Studien ، هال سنة ١٨٩٠ ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ (٣) الكاتب نفسه : Die Richtungen der Islamischen Koranauslegung ؛ لين سنة ١٩٢٠ ، الشهر ٤ (٤) Carré de Vaux ؛ Las Pensées de l'Islam ، باريس سنة ١٩٢٢ ، فصل ١١ .

[كارّا ده فو Carré de Vaux]

وفي الإسلام تلى كلمة تفسير على تفسير القرآن بصفة خاصة وعلى علم التفسير نفسه الذى يعرف باسم « علم التوركة والتفسير » وهو فرع خاص هام من علم الحديث يعلم في المدارس والجامعات . وهناك تفاسير عامة للقرآن لم تكسب على النسق المألوف ، على أن غالبها متصل السياق بشرح النص على نظام واحد فقرة فقرة بل كلمة كلمة أحياناً . وهى كثيرة أشهرها تفسير الطبري والزغشري والبيضاوى .

والطبرى هو المؤرخ العظيم المتوفى عام ٥٢١٠ هـ ، ويشمل تفسيره المطول كثيراً من الأحاديث المستندة للصحيحة .

كما الزغشري المتوفى عام ٥٣٨ هـ فقد كان فناناً جاداً الزكاء صاحب خلق موهب الحس وقصيا في اللغة .

ولتفسيره الكشاف ، مكتبة كبرى ، وقد شرحه بعض أفاضل الفقهاء مثل التفتازانى المتوفى عام ٧٩٢ هـ ، والسيد الشريف الجرجانى المتوفى عام ٨١٦ هـ . وتفسير البيضاوى أشهر التفسير ، وجزء الذى يقرأ في المدارس ، ويصعد مذاهب أهل القى من المسلمين في تفسير القرآن . وقد خلق الكثيرون على هذا الطراز ، وتلكر من التفسير الأخرى : تفسير فخر الدين الرازى المتوفى عام ٩٠٦ هـ . ويعرف باسم التفسير الكبير ، وتفسير إصايل حتى البروسوى المتوفى عام ١١٢٧ ، وله مقام كبير عند الترك . وأكثر هؤلاء العلماء من فارس .

وعلم التفسير قديم قد يرجع تاريخه إلى صدر الإسلام . ويعودى إلى ابن عباس المتوفى عام ٦٨ هـ .

ما مسوقته من بيان هذا الاعتبار الضابط لأنواع العلوم الشرعية (١).

ويعرضون في هذا المقام للذكر التأويل ، وأنه هو والتفسير بمعنى واحد ، أو أن التفسير أهم من التأويل ، أو غير ذلك مما لا فطيل القول فيه . : وأحسب أن منشأ هذا كله هو استعمال القرآن لكلمة التأويل ، ثم ذهب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها ، مع شيوخ الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب : : ولعل من غير ما يحجر به معنى كلمة « تأويل » ما ذكره الراغب الإصفهاني مروياً عن ابن عباس ، في رسالته « مقدمة التفسير » التي طبعت ملحقة بكتاب تزييه القرآن عن المطاعن (٢) ، ثم تولى ابن تيمية تفصيل هذا الموجز وإيضاحه في رسالته « الإكليل في المتشابه والتأويل » (٣) ، وإن كنت لم أراه يشير إلى ما ساقه الراغب الإصفهاني من معاني التأويل ، مع أنه أصل فكرته وليها ،

ب - نشأته :

يرى ابن خلدون أول كلامه عن التفسير في المقدمة ، « أن القرآن أنزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه » . والقول بأنهم كلهم يفهمونه فيه تعميم واسع ، لم يطمئن إليه الأقدمون

(١) الدد التحديد من مجموعة الحفيد لنسخ الإسلام أحمد بن يحيى بن الحفيد الهروي طبعة التقدم سنة ١٢٢٢ هـ ، ص ٢ .

(٢) رسالة الراغب ، المطبعة الأعزمية سنة ١٢٢٩ ، ص ٤٢ .

(٣) هذه الرسالة مطبوعة ضمن الجزء الثاني من مجموعة الرسائل القبرية لابن تيمية - المطبعة الشرقية سنة ١٢٢٢ هـ .

تعليل على مادة « تفسير »

١ - تلقى مادنا - ف س ر ، س ف ر - في معنى الكشف ، ثم نرى السفر الكشف المادى والظاهر ، والقسم الكشف المعنوى والباطن ، والتفصيل منه - التفسير - كشف المعنى وإبانته .
ويقدر الأقدمون أن مثل هذه المعارف ، في اللغة والتفسير والحديث ، ليست علوماً بالمعنى المعروف في العلوم العقلية ، فيرى بعضهم ألا يتكلف للتفسير حلاً ولا بيان موضوع ومسائل ، لأنه ليس قواعد وملكات ناشئة عن مزاوله القواعد ، كغيره من العلوم التي استطاعت أن تشبه العلوم العقلية ، فيكتفى في إيضاح التفسير بأنه : بيان كلام الله : أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها . (١)
ومنهم من يتكلف له التعريف فيلجأ في ذلك ما يشمل غير التفسير من العلوم ، كعلم القراءات ، كما يشمل أقداراً من علوم أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن ، كاللغة ، والصرف ، والنحو ، والبيان . . .
ولمسلك الأول أسلم ، وأبعد عن الإطالة بما ليس واده كبير جلوى .

والتفسير أحد العلوم - أو الدراسات - الشرعية التي حاول الأولون ضبطها باعتبار ما كعادتهم ، فقالوا : إنها إما مدونة لبيان لفظ القرآن ، وهو علم القراءة . وإما مدونة لبيان السنة النبوية لفظاً وإسناداً ، وهو الحديث ، وعلم أصوله . وإما مدونة لإظهار ما قصد بالقرآن وهو التفسير : : إلى آخر

(١) البهائي الصرية طبعة الخيرية سنة ١٢٢٠ هـ .

وهكذا تتصل تشاة التفسير ، بتاريخ تدوين الحديث ، وقد كان الإمام مالك رضى الله عنه ، من قدماء المدونين في الحديث ، ولو أن كتابه « الموطأ » لا يشتمل — فيها رأيت — على الكثير من تفسير القرآن ، وفي كل حال قد حملت المجموعات الحديثية ، مقادير مختلفة من هذا التفسير ، حتى لنرى في صحيح البخارى ، كتابين — هما : كتاب تفسير القرآن ، وكتاب فضائل القرآن — يشغلان حيزاً واضحاً من الكتاب ، ربما كان نحو اثنين منه ، ولعل هذا المعنى من صلة التفسير بالحديث ، هو الذى يفهم به قول الأستاذ كازاى فوكايب مادة التفسير في حائرة المعارف الإسلامية « أنه فرع خاص هام من علم الحديث ، يعلم في المدارس والجامعات » : : : « والأقوال ما استقر عليه الأمر أخيراً ، في مكان التفسير بين العلوم الشرعية ، هو ما سقناه آنفاً مبنياً بالاعتبار الذى لاحظوه في تنفيد هذه العلوم ، ولا يظهر فيه التفسير فرعاً خاصاً من علم الحديث ، ولو لاحظنا أن التفسير — فيها بعد — لم يقف عند الرواية ، وأن القول في التفسير غير النقل قد اتسع واستأثر بجهد العلماء وعنايتهم ، لو لاحظنا هذا لوجدنا أن عدد التفسير من فروع الحديث لا يظهر له وجه إلا ما أشرنا إليه من هذه النشأة ، واتصاله فيها بالرواية والمحدثين .

اشتهر برواية التفسير نفر من الصحابة رضى الله عنهم ، ويجتمع من هذه الرواية تفسير منسوب لابن عباس — رضى الله عنه — هو الذى طبع باسم « توير القياس من تفسير ابن عباس » ، للفيروز آبادى

أنفسهم ، فهذا ابن قتبية ، قبل ابن خلدون ببضعة من القرون ، يقول في رسالته المسائل والأجوبة (ص ٨) « إن العرب لا تستوى في المعرفة بجميع ما في القرآن ، من الغريب والمتشابه ، بل إن بعضها يفضل في ذلك على بعض » . وأحسب ابن خلدون قد شعر بذلك فيما أورده بعد عبارته السابقة بأسطر ، فلكر أن في القرآن نواصي للحاجة إلى البيان ، وقال : كان النبي — ص — يبين الخفى ، ويميز الناسخ من المنسوخ ، ويعرفه أصحابه ، ضرفوه ، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها متقولا عنه ، وتلك الأمور وغيرها من مواضع الحاجة إلى الإبانة ، قد أحوجت — منذ أول العهد الإسلامى — إلى بيان القرآن وتفسيره :

ولعل الروعة الدينية لهذا العهد ، والمستوى العقلى لأهله ، وتحديد حاجات حياتهم العملية ، ثم شعورهم — مع هذا — بأن التفسير شهادة على الله بأنه حق باللفظ ، كل أولئك جعلهم لا يقولون في تفسير القرآن إلا التوقيفى الذى نقل إليهم ، وروى عن صاحب الرسالة عليه السلام ، فكان أول ما ظهر من التفسير ، تفسير الرواية ، أو التفسير الأثرى . وكان رجال الحديث والرواية هم أصحاب الشأن الأول في هذا ، فرأينا أصحاب مبادئ العلوم ، حين يتسبون — على عاصمهم — وضع كل علم لشخص بعينه ، يعلون واضح التفسير — بمعنى جامعه لا ملبونه — الإمام مالك بن أنس (١) الأصمى إمام دار الهجرة .

أطول منه ولا أشع ، ومع ذلك فإن وجد من قال :
 وضوه في التفسير ، فقد وجد من قال : أجمعوا على
 ترك حديثه ، وليس بقية ولا يكتب حديثه ، وأهمه
 جماعة بالوضع (١) . . . ومحمد بن مروان السدي
 الصغير ، الذي يروى عن ابن الكلبي السابق ،
 قالوا : إنه يفع الحديث ، وذهب الحديث متروك .
 وإذا كانت رواية هذا السدي الصغير عن الكلبي عن
 أبي صالح عن ابن عباس فهي سلسلة الكلب (٢) .
 ثم مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني المتوفى عام
 ١٥٠ - وهو المقر الذي قالوا إن الناس عيال عليه
 في التفسير ، وتنسب هذه الكلمة عنه إلى الشافعي
 نفسه ، ومع ذلك نراه يقولون : إنه يروى عن
 مجاهد ولم يسمع من مجاهد شيئا ، ويروى عن
 الضحاك ، ولم يسمع منه شيئا ، فقد مات الضحاك
 قبل أن يولد مقاتل بأربع سنين ، ويكتبونه ،
 ويضعونه من يستحسن تفسيره ، ويقول : ما أحسن
 تفسيره لو كان ثقة ! ، ويقالون أنه كان يأخذ عن
 اليهود علم الكتاب (٣) . . . وأخيراً هذا أبو خالد عبد
 عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج - وهو من أوائل
 من دونوا الحديث - قد رويت عنه أجزاء كبار في
 التفسير ، ومع ذلك لاحظ القناد أن ابن جريج في
 التفسير لم يقصد الصحة ، وإنما روى ما ذكر في كل
 آية من الصحيح والسقيم ؛

صاحب القاموس المحقق ، وحسبنا في التعقيب على
 هذا ما يروى منسوباً إلى الإمام الشافعي - رحمه -
 من قوله : لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا
 شبه بآلة حديث (١) مع أن هذا التوير المنسوب
 إليه مطبوع في نحو أربعين صفحة من القطع العادي .
 وأكثر ناس من التابعين رواية التفسير ، وتروى
 ذكر أماء منهم ، كانت أحكام نقاد الرواية من
 القنداء عليهم ليست بذلك ، فالضحاك بن مزاحم
 الملالى المتوفى عام ١٠٢ أو ١٠٥ هـ - وإن وثقه
 نفر ، قد قالوا إنه روى عن ابن عباس ، ولم يلقه
 فطريقه عنه مقطعة ، وقالوا : في جميع ما روى
 نظر ، إنما اشتهر بالتفسير (٢) . وفي هذه العبارة
 الأخيرة ، إنما اشتهر بالتفسير ، ما يملك حل درجة
 تقديرهم لرواية التفسير ، وعطية بن سعد العوفي
 المتوفى عام ١١١ - الذي يروى عن ابن عباس ،
 قد ضعفوه (٣) : وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي
 الكبير ، وإن وجد من قبله ، قد قالوا إنه ضعيف
 وكذاب شتام (٤) ، والتفسير الذي جمعه قد رواه
 أسباط بن نصر ، وأسباط هذا لم ينفقوا عليه ،
 وقال النسائي : ليس بالقوي (٥) . . . ومحمد بن السائب
 الكلبي المتوفى عام ١٤٦ هـ - وهو أحد الطرق عن
 ابن عباس ، مشهور بالتفسير ، وليس لأحد تفسير

وهكذا نجد غير قليل من أئمة التفصيل لرواة
 التفسير القليل ، كما نجد القناد الإجمالي لهذه المرويات

- (١) شذرات الذهب لابن السواد ج ١ ، وخلاصة تلخيص
 التكمال في أسماء الرجال ص ١٥٠ طبعة الخيرية سنة ١٢٢٢ هـ ،
 والاشنان ج ٢ ص ٢٢٤ .
- (٢) الاشنان : للوضع السابق ، والتلخيص ص ١٢٦ .
 والشذرات ج ١ .
- (٣) التلخيص وهاشمه ص ٢٠ .
- (٤) الاشنان للوضع السابق ، والتلخيص ص ٢٢ .
- (٥) الاشنان للوضع السابق - والتلخيص وهاشمه ص ١٨٧ .

(١) التلخيص ص ٢٠٦ - والاشنان في الوضع السابق .
 (٢) الاشنان : الوضع السابق - والتلخيص وهاشمه
 ص ٢٢١ .
 (٣) الاشنان : الوضع السابق .

أهلها ما ألفت من خبر أو قصص ديني ، وكل أولئك قد نردده على آذان قارئ القرآن ومستمعيه ، قبلما خرجوا إلى ما حول جزيرتهم شرقاً وغرباً فاتحين ، ثم ملأ آذانهم حين خالطوا أصحاب تلك البلاد التي نزلوها وعاشوا بها وإن كان الذي اشتهر من ذلك هو اليهودي ، لكثرة أهله ، وظهور أبرهم فحدثت تلك التزييدات التي اتصلت بحرويات التفسير التالي باسم « الإسراء الجليلات » .

٥ : ٥

وإن خللون في مقدمته بذكر من أسباب الاستكثار من هذه المرويات ، اعتبارات اجتماعية ، ودينية أغرت المسلمين هذا الأعداء والنقل ، التي اتسمت له كتب التفسير المروي فاشتعلت على الفث والسبعين ، والقبول والمردود ، فوجد ابن خلدون من الاختيارات الاجتماعية ، غلبة البدولة والأمية على العرب ، وقشورهم لمعزة با تشوق إلى النفوس البشرية ، في أسباب المكونات ، وبهذه الخليفة ، وأسرار الوجود ، وهم إنما يساندون في ذلك أهل الكتاب قبلهم . ثم يذكر من الاختيارات الدينية التي سوخت عنده هذا النقل الكثير . نقل تلك المرويات . في تساهل ، وعلم بحر للصحة ، أن مثل هذه المقولات ليست مما يرجح إلى الأحكام . فيتحرى فيها الصحة إلى حد الجمل ، فتساهل القسرون في مثل ذلك ، وينقلوا كتبهم بمقولات عن عامة أهل التوراة الذين كانوا بين العرب ، وكانوا بذات ظلمهم ، لا يعرفون من ذلك

فالإمام أحمد بن حنبل ، له الكلمة المعروفة : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي » أي ليس لها إسناد لأن القالب عليها المراسل (١) . ويقول ابن بزيمة بعد ذكر وضع الحديث والأدلة القاطعة على كذبه : « وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة » كما يقول « والموضوعات في كتب التفسير كثيرة » (٢) .

وهكذا لم يعمد النقل التفسيري على أساس من الثقة وطيد ، كما سمعت من نقاد الأقدمين منذ الدهر الأول . فإذا تساهل القاداحلثون عن قيمة الأحاديث الواردة في هذه الكتب الجامعة ، ولم يصلوا بعد إلى رأى يبرزها كثيراً كما يقول كازا دى فور ، فإن هؤلاء النقاد المخلصين لم يجتروا بحديث في هذا على ما ترى ، إذ أن الأتاهم قديم . . .

وقد كان من ذروة ذلك أن تأثرت تلك المقولات بكل ما في البيئة الإسلامية من متناقض القصص الديني ، صمولاً إليها من مختلف الأجناس ، فقد كان اليهود في ما شيعهم الطويل قد شركوا راسخين من مصر ومعهم من آثار حياتهم فيها ما معهم ، ثم أبعدوا مفرقين إلى بابل في أسرهم . ثم عادوا إلى موطنهم وقد حملوا من أهلى المشرق في بابل ، وبعيد المغرب في مصر ما حملوا ، وجاء البيئة العربية الإسلامية من كل هذا المزيج ما جاء إلى جانب ما بعثت إليها الديانات الأخرى التي دخلت تلك الجزيرة ، وألفت إلى

(١) ابن بزيمة - مقدمة في أصول التفسير ، ص ١٤ ، ع دمشق .

(٢) المصدر السابق ص ١٩ .

وتحقق صلاتها ، وهو واجب لا ينبغي أن يقوم به أحد قبلهم ، ذلك هو جمع هذه القصص ، ودرصا مردودة إلى أصولها ، مينة مصادرها لينل ذلك على مسالك التأثير والتأثير بين الأديان ، ومداخل اتصالها .

ونعود إلى ما نحن بصدده هنا أولاً ، وهو التفسير العقلي ، الذي كان أول أصناف التفسير نشأة ، فقد جعلت تتناقله الطبقات شفاهاً ، ثم تدويناً تدريجياً ، حتى أفردت له المؤلفات الخاصة ، واستمر ذلك ، إلى أن تغيرت موجبات الحياة ، وظهر تفسير بجانب العقل فيه أثر من جانب النقل ، حتى المؤلفون به ، وإن بقي في كسبه أثر من الروايات المتقولة ، يرجعون إليه بين القينة والفنية ، حتى فرت العناية عن أفراد التفسير المأثور بالتأليف المستقل .

وتكتفى بأن نشير هنا إلى ثلاثة من كتب تفسير الرواية ، أحدها شرق ، والثاني غربي ، والثالث مصري : فأما الشرق ، فهو كتاب « جامع البيان في تفسير القرآن » لابن جرير الطبري المحدث الموزع الفقيه — في ثلاثين مجلداً ، وهو مطبوع ٥٥٥ ويقول كاراً دى فو ، في مادة تفسير بالدائرة ، « ويشمل تفسيره [ابن جرير] الطول كثيراً من الأحاديث المستندة الصحيحة » ٥٥٥

وأكثر الظن أن هذا الحكم لا يقوم على فحص خاص ، فإن جرير رحمه الله لم يسلم من الرواية عن أولئك الذين قللنا آراء نقاد الرجال فيهم ، وقد لوحظ عليه مثلاً ، أنه يؤرد الكثير من طريق السند وهو ما لم يورد منه ابن أبي حاتم شيئاً ، حين التزم

إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ولا تعلق لها بالأحكام الشرعية التي يحيط لها (١) .

وسواء أكانت هذه هي كل ما هنا لذلك من الأسباب ، أو كان وراءها أسباب أخرى ، في حياة الرواية ، وحياة العقيدة ، وضرورة تأثيرها بما حولها ، فقد اتسعت على كل حال نقول التفسير ، لئلا هذه الروايات التي يبين البحث أنها شملت مزيجاً متنوعاً من مخلفات الأديان المختلفة ، التي ترامت إلى علم العرب ،

وما بنا بعد الذي عرف من ثبته الأقدمين إليها أن لبن كيف ترك أو بقي أثرها ، فقد تصدوا لهذا وتحدث عنه غير واحد من المفسرين ، وإن كان الذي سلم من التأثر به فيهم قليلاً أو نادراً .

وقد تداعى أشياخ الأزهر اليوم إلى تجريد كتب التفسير من هذه الإسرائيليات ، وهو أمر يسر السطر ، ولعل الأجدى من هذا التجريد أن تنقد هذه المجموعة المركومة من التفسير النقل ، على هدى قواعد تقوم في نقد الرواية مثلاً وسنداً ، لينبتعدها هذا الكثير الذي لا يستحق البقاء ، ويستريح الناظرون في الكتاب الكريم من الاتصال به ، إذا ما حاولوا فهم آية ، فلا يفترون عند شيء لا أساس له ،

وأما هذه الإسرائيليات ، كما سموها ، فلي الأشياع أمامها واجب آخر في تاريخ الأديان

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٤ ينصرف .

وأما الكتاب الثالث المسمى ، فحسن أن نشر بين يدي الكلام عنه ، إلى ما كان مصر من حظ قدم في التفسير المنقول ، فقد حدثوا عن أحمد ابن حنبل ، أن مصر صحيفة في التفسير ، رواها علي بن أبي طلحة الهاشمي - وهو طريق جيد في الرواية عن ابن عباس ، ولورحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً ، وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه كثيراً فيما يتعلق عن ابن عباس ، كما ينقل ذلك عن ابن حجر (١) .

وفي التفسير المنقول خلف جلال الدين السيوطي المسمى - ت ٩١١ هـ - كتاب « الدر المنثور في التفسير » وهو مطبوع ، وقد ذكرت هذه الكتب الثلاثة في الكلام عن نشأة التفسير من حيث كانت تفسيراً تقليدياً ، وهو أول ما ظهر من صنوف التفسير ، وإن كنت أقدر أن هذه الكتب قد تفاوتت قيمتها وأحوالها بهذا التراخي البعيد في الأزمنة - من القرن الثالث إلى العاشر - وأن ما فيها من تفسير مأثور قد تأثر بما حوله من عوامل وموجهات ، يتبينها جلياً من يتعمق لتاريخ التفسير والتأليف فيه .

ج - لدرج التفسير

وهنا أحب أن يقدر الدارس ، أن لا أنصبي لكتابة تاريخ للتفسير ، أو تخطيط هذا التاريخ ، وإنما هي إشارات عامة مجملة عن المعالم الكبرى

أن يخرج منه أصح ما ورد (١) ولعل تفسير ابن جرير محتاج إلى النقد الفاحص ، احتياج غيره من تلك المرويات التفسيرية ، على ما قلنا .

وشخصية ابن جرير الأدبية والعلمية تجعل كتابه مرجعاً غير قليل الأهمية ، في الصنف الثاني من التفسير ، أي تفسير الدواية ، فترجيحاته للمعاني المختلفة تقوم على نظرات أدبية ولغوية وعلمية قيمة ، فوق ما جمع كتابه من روايات الثرية . . .

وأما الكتاب الغربي ، فهو الكتاب الذي عرف باسم « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » لأبي محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عطية القرطبي الأندلسي - ت ٥٤١ هـ - الذي يقول عنه ابن خلدون في المقدمة : « إنه لخص فيه كتب التفسير كلها - أي تفاسير المنقول - ونحوى ما هو أقرب إلى الصحة فيها ، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس ، حسن المنهج » ، وهو مخطوط ، منه بضعة أجزاء في دار الكتب المصرية ، وفي التيمورية رجعت إليها فوجدت من جملة وصفها ، أنه ينهي بالشواهد الأدبية للعبارة ، ويهتم بالصناعة النحوية ، في غير إسراف ولا ينهي بالوقوف مثل عنايته بالقرامات ، ويورد من التفسير المنقول ، مع الاختيار منه ، في غير إكثار ، كما ينقل عن الطبري ، ويناقش المنقول عنه أحياناً . .

(١) الاثنان ٢ : ٢٢٣ ، وفيه بيد هذا النقل « أن ابن أبي طهمة لم يسمح للتفسير عن ابن عباس ، وإنما أخذه من مجاهد أو سعيد بن جبير ، ويقول ابن حجر « أن الواسطة ثقة للاسم في ذلك » .

جانبا من هذه الطوائف التي كتبها أئمة القنون المختلفة في التفسير المأثور من ذلك صفحا وصحفا، فهلا ترى معي، أن من القحة علميا أن نزع أننا نتحدث في شيء من تاريخ التفسير، قبل أن نغير قلما في البحث عن هذه الكتب وجمعها ودرسها ١١٩ ؟

لحسب أن نعم .

وهل يؤود محي العالم القرآني، ثم هذه المأثورات الدينية القسيحة، ثم البوالة معهم أن يجمعوا من ذلك كل ما عرفت الدنيا من هذا للكتوب عن القرآن، أو صورة منه على الأقل، قبل أن يفكروا في أشياء كثيرة لا تقدم العلم الديني ولا نؤخره ١١٩ ؟

وإذا ما نظرنا إلى المعالم الكبرى في تلرج التفسير، وجدنا أن صلة الإسلام بالحياة، ومتمثلة القرآن في ذلك من حيث هو مرجع المسلمين في شؤونهم المختلفة، قد جعلت تلرج الحياة يظهر أثره واضحا في حياة التفسير، فيعد ما كان يشيع التخرج من القول في القرآن، حتى في تفسير لفظة كالأب (١)، والتبر (٢)، صار الأمر إلى اختلاف الناس في أن تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه ١٩ قرأ قوم أن من كان ذا أدب وسع، فوسع له أن يفسره، وقال قوم: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالما أديبا .

ولما له أن ينهي إلى ما روي عن النبي - -

في حياته: « ذلك أنا لا نجوز على التفكير في كتابة تاريخ للتفسير يمكن أن يسمى تاريخا بالمعنى الصحيح إلا بعد أن نقف على ما خلقت تلك الجهود الطوال من آثار فيه، وهي كثيرة واسعة، متنوعة المقاصد والائجاهات، يدهشك ما تقرأ في وصفها وسعها وجلال مؤلفيها؛ ففي القرن الثاني كتب عمرو بن عبيد شيخ المتزلة تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري رحمه الله (١) وناهيك بها جلالة قدره . ولأبي الحسن الأشعري المتكلم، كتاب المختزن، لم يترك آية تعلق بها بدعي إلا أبطل تعلقه بها، وجعلها حجة لأهل الحق؛ وذكر بعضهم أنه رأى منه طرفاً وكان يبلغ سورة الكهف وقد انتهى إلى مائة كتاب (٢) . . إلى غير ذلك من صنيعة له في التفسير يذكرون عظيم قيمته . وللإمام الجويني تفسير كبير، وللقشيري تفسير كبير . وإلى جانب هؤلاء رجال اللغة والأدب يذكرون منهم: أباب طالب المفضل بن سلمة الكوفي (٣) له كتاب معاني القرآن؛ وابن الأثيري (٤) كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً من تفاسير القرآن بأسانيدها »

وقد ألف كتاب « مشكل القرآن » أملاه فبلغ فيه إلى « طه » وما أعنه . وقد أملاه سبعة كثيرة (٥) ولأبي هلال العسكري كتاب المعاني في تفسير القرآن خمس مجلدات (٦) . . ولو رجعت أذكر لك

(١) ابن خلكان ١ : ٤٨٦ ط برلاقي .

(٢) بين كتب المقرئ من ١٢٢ ط الإجماع .

(٣) طبقات الأديباء لابن الأثيري ص ٢٢٢ .

(٤) ترجمته من مقامة كتابه ديوان المعاني .

(١) قصة حم - وهذه في تفسير كلمة الآية .

(٢) قصة أبي عبيدة والاسم في تفسير كلمة التفسير .

والنزلى في الإحياء (١) .. بعد الاحتجاج والاستدلال على بطلان القول بالأل يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه يقول : فيطلب أن يشترط السماع في التأويل، ويجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحده عقله ؛ كما قال قبل ذلك : : : إن في فهم معاني القرآن مجالا رحباً ومتسماً بالغا ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه : : : هما طرقا تقيض - كما يقال - وتستطيع أن تلمح بينهما انتقالات تدريجية متعددة ؛ فيبعد التخرج ، أمكن الوقوف عند المنقول ، وكان ذلك المنقول قليلا ثم كثر النقل واتسع ، حتى استفاض وشمل ما ليس موقوفاً به ، ثم دأبت النقل محاولات فهم شخصي تقبلوا منها أولاً ما يرجع إلى اللغة وحلوه دلالة الكلمات : : ثم ظلت محاولات الفهم الشخصي تزداد وتتأثر بالمعارف المختلفة حتى كان من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير كالذي فعله الرازي في تفسيره حتى قال عنه بعض المتطرفين من العلماء : فيه كل شيء إلا التفسير (٢) وإذا كان الراجح الإصفهاني في أوائل القرن الخامس يرى غرض كل أحد في القرآن يعرضه للتخيل ؛ فهذا أبو حيان في القرن الثامن يقول إن ما ذكره الرازي وغيره في التفسير يشبه عمل النحوي ، بينما هو في علمه يبحث في الألف المتقلبة ، إذا هو يتكلم في العجوة والثار ؛ ثم يقول : : ومن هذا سبيله في العلم لهو من التخيل والتخيل في أقصى الدرجة (٣) : :

وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة - رضه - : الخ . وكان التحقيق ، أن الملهين هما القول والتفسير ، فمن اقتصر على المنقول إليه ، فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه ، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط (١) . وعلى أساس هذا التحقيق ذهبوا يبينون ما يتطوّر عليه القرآن ، وما يحتاج إليه مفسره من العلوم ؛ ويدكرون شرائط المفسر ويعنون من ذلك علوماً لغوية وعقلية ، وموهبة ، من تكاملت فيه ؛ خرج من كونه مفسراً للقرآن برأيه ، لأن القائل بالرأى إذ ذاك إنما هو من لم يجتمع عنده الآلات التي يستعان بها في ذلك ؛ ففسره تخميناً وظناً (٢) وهو التفسير بمجرد الرأي :

هكذا يلحظ الناظر في تلوج التفسير طرفين متقابلين ، ووسطاً أو أوساطاً ، يختلف قربها من الطرفين ، فأما أحد هذين الطرفين وأولها فهو : التخرج من القول في القرآن على نحو ما يروى عن رجال من الصلابة الأول ومن تلاهم ، والمنقول في ذلك غير قليل ؛ وحسبك أن مالك بن أنس ، وهو الذي يلتزم أصحاب المبادئ أنه واضح التفسير - بمعنى مدونه - يروى هو نفسه أن سعيد ابن المسيب كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنما لا نقول في القرآن شيئاً (٣) : : وأما الطرف الثاني المقابل فهو الذي تلمحه من عبارة الراجح السابقة ، وهو إجازة الخوض في القرآن لكل أحد :

(١) مقدمة التفسير للراغب الإصفهاني ص ٢٢٤ و ٢٢٥ وفي العبارة بعض اضطراب يسهل الترجيح منه بأن بعض لفظة صغرى ، وقد أخلت منها بالبيد عن ذلك .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٥ .

(٣) أصول التفسير لابن تيمية ص ٣١ .

(١) أبو حيان : البحر المحيط ١ : ٣٤١ .

(٢) ١ : ٢٦١ ط الطبع .

(٣) أبو حيان ، الموضع السابق .

— الثاني — بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة . نعم قد يكون — الثاني — في بعض التفسير غالباً (١) « إذا قال ابن خلدون هذا فإننا نقول له : إن هذا الثاني قد وصل القرآن بثقافة المتصدين لتفسيره وصلاً قوياً ، شديد الأثر ، انتهى إلى التخلط الذي ذكره أبوحيان ، فأظهره ألواناً من التفسير هان فيها أمر النقل . . . وهي طرائق من التفسير لملها بما لا يسهل حصره وتبويبه ، إذ كانت متأثرة باعتبارات كثيرة متعددة ، وإذا كانت علوم اللسان بعد ما صارت صناعة ، قد وجهت التفسير ، فإن علوماً عقلية وتقليدية قد وجهته توجهات مختلفة ، وإن مقاصد وأغراضاً في الحياة العملية ، سياسية وغيرها ، قد اشتركت في هذا التوجيه أيضاً ، وتركت هذه وغيرها مناهج وكتباً كثيرة . ، وأثرت في مجرى الحياة والثقافة الإسلامية تأثيراً قوياً فضلاً . . .

ولئن كان كقول التفسير في كتابه « اتجاهات التفسير » قد تحدث من تفسير الرواية ، والتفسير الاقتصادي ، والتفسير الصوفي ، والتفسير التشيعي ، وتفسير التجديد الإسلامي الحديث ، فلم بأصول كبرى يطوى تحتها كثير من طرائق التفسير واتجاهاته ، فإن إلى جانب ذلك تفسيرات لغوية ونحوية ، وأدبية وفقهية ، وتاريخية ، وغيرها ، لعله لا يسهل إدماجها في هذه الأصول ، وليس يصح — فيما أرى — أن نتحدث عن هذه الاتجاهات واحداً واحداً . لنبين أثرها في توجيه فهم القرآن ، أو أثر اتصالها بالقرآن في حياة تلك العلوم والفنون نفسها إلا بعد

وقد اختلف حظ المفسرين من هذا التعرض ، وإن قلت سلامتهم جميعاً منه .

.. .

وإنك تلتمح على غرار هذا تدرج الطوبى والتأليف في التفسير ، فبينما توجد بمصر أو غيرها صحيفة فيه ، كما سبق ، إذا هو جزء أو أجزاء متعلقات من الصحابة ، ثم هي أكثر من ذلك مما يجمع أقوال الصحابة والتابعين ، ثم يختلط الفهم العقل فيه بالتفسير النقل رويداً ، كالذي تراه في مثل تفسير ابن جرير الطبري ، وما ذكرناه من كتب التفسير النقل . ثم يغلب هذا الجهد العقل على الكتب ، فيكون أظهر ما فيها ، وإن لم تخل مع ذلك من مقول يتصل بأسباب النزول مثلاً أو يتصل بغيرها من المروي ، فترى الزمخشري في كشافه ، ينحو هذا النحو الخاص في تفسير القرآن تفسيراً ينصر مذهباً بعينه ، ولكنه لا يخل كتابه من هذا المقول ، بل من ضرب ضعيف منه ، كالحديث الذي يسوقه في فضائل القرآن سورة سورة ، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم (١) . وهكذا تتداخل الصنفان ، واتجهت الكتب اتجاهات متنوعة ، بعد ذلك .

٥ — طرائق التفسير :

وأبنا ظهور الصنف الثاني من التفسير ، المقابل لتفسير الرواية النقل ، وهو تفسير النواية العقل ، ووأبنا كيف أتت اتصالاً وتداخلاً ، وإذا كان ابن خلدون يقول في المقدمة : « إن ثابتهما قل أن يفرد عن الأول ، إذ الأول هو المقصود بالذات وإعاجاه هذا

و- التفسير العلمي :

وهو التفسير الذي يحكم الإصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها ، وقد وقع ذلك على رغم ما قرر في ميادين علمية إسلامية مختلفة ، من قواعد فهم عبارة القرآن ، واتسع القول في احتواء القرآن جمل العلوم جميعاً ، فشمّل إلى جانب العلوم الدينية اعتقادية وعملية ، وظاهرة وخفية ، سائر علوم الدنيا . ولعل الغزالي - فيما رأيت - كان إلى عهده ، أكثر من استوفى بيان هذا القول ، فهو في الإحياء يعرض لهذا (١) . . . ويقرر « أن كل ما أشكل فهمه على النظرار واختلف فيه الخلاق في النظريات والمقولات في القرآن إليه رموز ، ودلالات عليه » ، وأن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها ، ثم هو يزيد ذلك بياناً وتفصيلاً في كتابه جواهر القرآن (٢) الذي يبدو أنه ألفه بعد إحياء علوم الدين (٣) إذ يعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم مطلقاً من القرآن ، بعد ما بين في الفصل الرابع قبله ، كيفية انشعاب العلوم الدينية كلها منه عن تقسيمات وتفصيلات تولّاها ، وهو بعد ذكر العلوم الدينية وما لا بد منه لفهمها من العلوم اللغوية ، وبعد ذكر علم الطب والتجريم ، وهيئة العالم ، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه وعلم السحر والطلسمات ، وغير ذلك ، يشير إلى

أن يكتمل لنا المورد على أكثر ما يمكن من كتب ودراسات في أنواع التفسير المختلفة ، ثم تنسيقها ودرسها في روية وإتقان ، درساً يهيئ لمثل هذا القول الشامل فيها ،

٥ ٥ ٥

على أنا إذا ما تركنا في هذا الإجمال الملاحظة الكلام عن التفسير الصوفي أو التفسير التشيعي ، فلم ننف عندهما لبيان ما زاده على معاني القرآن ، ولحكم على منجهما وما مائله من مناهج ، لها طابعها المخالف ، فلم نتحدث عن الظاهر والباطن والحد والمطلع وما أشبه ذلك ، ولا عما أخذ من القرآن من علوم غيبية أو خاصة ، وكان من حلرنا في ذلك - فوق الإجمال وضيق الفرصة - أن مثل هذه الاتجاهات قد قل تعرض الحياة لها ، وخفت بلواها بها الآن . ثم إذا ما تركنا الحديث عن الفنون الأدبية المختلفة ، وصلنا بالقرآن إلى فرصة أفسح ، وأهدأ ، من التاريخ الأدبي ، فلأنا رغم هذا كله نشعر بضرورة القول في صلة التفسير بالعلوم العقلية الظاهرة ، لأن ذكره تفسير القرآن بالعالم وأخذ هذه العلوم من القرآن ، قد حاولها نفر من القدماء والمحدثين جميعاً ، حتى نوافق على قول الأستاذ كارتا دى قو ، في ختام مادة تفسير ما معناه أن تضمين التفسير كثيراً من الآراء المستقاة من الفلسفة والعلوم الحديثة محاولة في تجديد دراسة التفسير ، لا نوافق على هذا لأن وصل القرآن بالفلسفة والعلوم العملية محاولة جند قديمة

(١) في الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره يراى من هذا نقل ج ١ : ٢٥٩ - ٢٦٤ ط الطبى .

(٢) طبع بمطبعة كرمستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

(٣) الغزالي : جواهر القرآن ص ٢٨ ، ٢٩ .

ظهر في مثل محاولة القمخر الرازي ضمن تفسيره القرآن ، فقد وجدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن ، وتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم ، وراجعت هذه الفكرة في العصر المتأخر ، فأخرجت لنا مثل كتاب كشف الأسرار التوراتية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السكونية والأرضية ، والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية ، لمحمد بن أحمد الإسكندراني الطيب من أهل القرن الثالث عشر الهجري ، وكتاب تبيان الأسرار الربانية في النبات والمعادن والخواص الحيوانية له ، وقد طبع الكتاب الأول في القاهرة سنة ١٢٩٧ هـ والثاني في صورة سنة ١٣٠٠ هـ . ومثل رسالة عبد الله فكرى باشا وزير المعارف المصرية سابقاً في مقارنة بعض مباحث الحق بالوارد في النصوص الشرعية ، طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٥ هـ ، ونحاز إلى هذه الفكرة من رجال الإصلاح الإسلامى المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي فاستخرج (١) من القرآن بمكتشفات حديثة ، يقول : إنه ورد التضييع أو التلميح بها في القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً ، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء الا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن شاهدة بانه كلام رب ، لا يعلم النيب سواه . كما يعرض لها في إعجاز القرآن ، الأديب المصرى المرحوم مصطفى صادق الرافعى (٢) فعقد فصلاً عنوانه « القرآن والعلوم » يفتح فيه إلى مثل ما سبق من إخوان القرآن

أن وراء ذلك علماً آخر ، يعلم تراجهما ، ولا يخلو العالم ممن يعرفها ، وفي الإمكان والقوة أصناف من العلوم تخرج بعد إلى الوجود وإن كان في قوة الأذى الوصول إليها ، وعلوم كانت قد خرجت إلى الوجود ، وانتشرت الآن ، فلن يوجد في هذه الأعصار على يسيط الأرض من يعرفها ، وعلوم أخر ليس في قوة البشر أصلاً إدراكها ، والإحاطة بها ، ويحظى بها بعض الملائكة المقربين . ثم يعقب بأن هذه العلوم ، ما عدناها وما لم نعدنا ، ليست أولئها خارجة عن القرآن ، فإن جميعها مفرقة من بحر واحد ، من بحر معرفة الله تعالى ، وهو بحر الأفعال ، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له ، إن البحر « لو كان مدحاً لكلماته لشد البحر قبل أن تنفذ » وعرض في بيان أفعال الله ، والحاجة في فهمها إلى مختلف العلوم كفضل الشفاء والمرض لا يفهمان إلا بالطب ، وفعله في تقدير الشمس والقمر ومنزلهما بحسبان ، لا يعرف إلا بالهيئة ، إلى أن يشير أخيراً إلى أنه لو ذهب يفصل ما تدل عليه آيات للقرآن ، من تفاصيل الأفعال لظلال ، ولا تمكن الإشارة إلا إلى مجامعها (٣) ، وهكذا ظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن ، كما ظهرت آثار التصوف واضمح في التفسير ، وكما ظهرت آثار النحل والأمواه فيه ظهوراً جلياً . واستمرت هذه النزعة في التفسير العلمى ، وأصبحت فيما يبدو وجهها من تحليل إعجاز القرآن ، أو بيان صلاحية الإسلام للحياة ، وإذ كان هذا التفسير قد

(١) طباع الاستبصار ص ٢٦ - ٢٨

(٢) أمجد القرآن له ، ص ١٤٥ - ١٦٦

(٣) جوامع القرآن ٢١ - ٣٤

الحائقة في صحة هذا التفسير قديمة أيضاً، ولعله اليوم أقل رواجاً عند المتقنين ... فأما الحائقة القديمة فيه، فهي ما يئديه الأصوليون الأندلسي، أبو إسحق ابن موسى الشاطبي - ٨٩٧٠هـ - في كتابه المواظقات (١) في أثناء أبحاثه عن القرآن، إذ تكلم أولاً عن أن هذه الشريعة المباركة أُمّية، لأن أهلها كذلك، فهو أجرى على اعتبار المصالح، ودل على ذلك بأمر، ثم عقب بفصل عن: أن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس، وكان لغفلتهم اعتناء بمكارم الأخلاق، والنصاف بمحاسن الشيم، فصنعت الشريعة منها ما هو ضحيح، وزادت عليه، وأبطلت ما هو باطل، وبينت منافع ما يقع من ذلك، ومنضار ما يضر منه، وذكر من ذلك علم النجوم وعلم الأنواء، وأوقات نزول الأمطار وإنشاء السحاب، وهبوب الرياح المثيرة لها، ومنها علم التاريخ وأخبار الأمم الماضية، ومنها الطب، وفنون البلاغة، لهذا من العلوم الصحيحة، وذكر من الباطل علم العياقة والزجر، والكهانة وخط الرمل، والضرب بالخصي، والقلعة، وقد أبطلها الشريعة... وهو يبين في كل ذلك، أن الشريعة في تصحيح ما صنعت، وإبطال ما أبطلت، قد عرضت من ذلك ما تعرفه العرب، ولم تخرج عما ألفوه... وبعد شرح هذه الفكرة المبينة لأريته في علوم القرآن، يتقدم ليبيان ذلك بإسهاب وإيضاح، ويقتد للذك عمداً خصوصاً يقول فيه: ما تقرر من أُمّية الشريعة، وأنها جارية على مذهب أهلها وهم العرب، ينبغي عليه قواعد: - منها أن

على جمل العلوم وأصولها، ويأخذ في ذلك بالبعد والقريب، إذ ينقل كلمة السيوطي في الإتقان، حول أخذ الباحثين علومهم منه، ويعلق على استخراج علم المواظبات من القرآن، فيقول (١) « وإذا أطلق لحساب الجميل في كلمات القرآن كشف منه كل عجائب المصور وتواريخها، وأسرارها، ولولا أن هذا خارج عن غرض الكتاب لاحتنا منه بأشياء كثيرة من القديم والحديث » كما يشير إلى استخراج مستحدثات الاختراع، وغرائب العلوم الطبيعية من القرآن: ويذكر شواهد لذلك، حتى ينتهي إلى أن يقول: (٢) « ولعل متحقيقاً بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن وأحكم النظر، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم، ولا يلتوى عليه أمر من أمره، لاستخرج منه إشارات كثيرة، توفى إلى حقائق العلوم وإن لم ينسج من أبحاثها، وتلك عليها وإن لم تسمعها » ولعل من أكثر من جمع في هذا وأطال المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره، وما يتصل بهذا من قرب، ما ظهر من مؤلفات علمية حتى أصحابها عناية خاصة بهذا الجانب، وتوخوا هذا التطبيق، كمحاضرات المرحوم الأستاذ محمد توفيق صدق في صن الكائنات وما أشبهها،

٥٥

٣- إنكار التفسير العلمي:

إذا كان الاتجاه إلى التفسير العلمي قدعاً، وكانت العتابة به أكثر نوعاً ما، في العصر المتأخر، فإن

(١) الامتياز له ص ١٥١ (حاشي)

(٢) الامتياز له ص ١٦٤

(١) طبع السلفية ١٢٤١ هـ - ج ٢، ص ٢٦ وما بعدها

١ - بقوله تعالى : وثقلنا عليك ثيبانا لكل شيء ، وقوله : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ونحو ذلك : ٢ - فواتح السور ، وهي مما لم يعهد عند العرب ، وبما نقل عن الناس فيها ٣ - بما حكى من ذلك عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وغيره .

ثم تقدم لنقض هذه الأدلة واحداً واحداً ، فقال عن الأول : فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف أو التعبد . . والمراد بالكتاب في قوله : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، اللوح المحفوظ . ولم يذكروا فيها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم الثقلية والعقلية . . وفي الرد على الثاني يقول : وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضى أن للعرب به عهداً ، كمدد الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب ، حسبما ذكره أصحاب السير ، أو هي من التشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى ، وغير ذلك ، ولما تفسرها بما لا عهد به فلا يكون ، ولم يدعي أحد من تقدم فلا دليل فيها على ما ادعوا . وفي الرد على الثالث يقول : وما ينقل عن علي أو غيره - وقد أوردته طرفاً - في هذا لا يثبت ، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ، ويجب الاقتصاد في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة ، فيه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه ، وتقول على الله ورسوله فيه . . وتلك هي الخلاصة الشاملة لا أكملها الشاطبي

كثيراً من الناس تجاوزوا الحد في الدعوى على القرآن ، فأضافوا إليه كل علم يلزم للمؤمنين أو للمؤمنين من علوم الطبيعيات ، والتعاليم والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما تنظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها ، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح .

ثم ننظر في حال السلف ، نظرة علمية ، فيحتج بها على صحة دعواه ، ويقول : ولما هذا ، فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن ، ويعلموه ، وما أودع فيهم لم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم (١) في شيء من هذا المدعى ، سوى ما تقدم ، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة ، وما على ذلك ، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا متنا يدلنا على أصل المسألة ، إلا أن ذلك لم يكن قد دل على أنه غير موجود عندهم . وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا ، نعم تضمن علوماً هي من جنس علوم العرب ، أو ما ينبت على مهودها ، مما يتوجب منه أولو الألباب ، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجعة ، دون الاهتداء بأعلامه ، والاستئارة بنوره ، أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا .

وبعدما احتج الشاطبي للدعواه ، عرض لأدلة أصحاب هذا التفسير العلمي ، فقال في تلخيص حججهم : ربما استدلوا على دعواهم :

(١) يذكروا قول الشاطبي هذا بما يورده انفرادي في الاحياء - ١ - ٢٦١ ، من قول علي : من فهم القرآن قصر به جبل العلم ، وتجد النفس حتى من مسيلة هذه العمارة اشياء واشياء ١

كانت هي المعاني المرادة بالآية. كأن فهل فهمها أهل العربية منه إذ ذاك وأحررها ٢ !

وإذا كانوا قد فهموها فما ليهضم العملية في علوم الحياة المختلفة لم تبدأ بظهور القرآن ، ولم تقم على هذه الآيات الشارحة لمختلف نظريات العلوم المفهمة لنقلها !! وإن كانت لم تفهم منها ، ولم يدركها أصحاب اللغة الخالص من عباراتها - كما هو الواقع فعلا - فكيف تكون معاني القرآن المرادة ١٩ وكيف تكون تلك الألفاظ مفهمة لها ، وهل هذه هي المطابقة لمقتضى الحال ١

٣ - وهناك الناحية الدينية ، أو الاعتقادية ، وهي التي تبين مهمة كتاب الدين ، وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم العاملة عن مشكلات الكون ، وحقائق الوجود العلمية ؟ وكيف يسائر ذلك حياتهم ، ويكون أصلاً ثابتاً لها ، تحتم به الرسائل السنوية ، كما هو الشأن في القرآن ، مع أن هؤلاء المتدينين لا يقفون من معرفة هذه الحقائق عند غاية محدودة ، ولا ينتهون منها عند ملئ ما ١٩ فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والمنظمة والكيمياء من القرآن على نحو ما سمعت آفا ، وهي جوامع لا يضبطها اليوم أحد إلا تغير ضبطها ما بعد يسير من الزمن أو كثير . وما ضبطها منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى ، ثم تغير تغيراً عظيماً فيما تلا ١١

والحق البين أن كتاب الدين لا يبنى بهذا من حياة الناس ولا يتولاه بالبيان ، ولا يكفرهم مؤثمة حتى يتنسوه عنه ، ويندوه مصدراً فيه .

بينا في غير موضع من المواقفات ، بعد ما عرض لأصله الجامع وفيما أشرنا إليه من صفحات ٥ :

وإذا كان هذا هو الرأى القديم العهد ، في فهم القرآن فهماً يجعله مصدر العلوم المختلفة ، ويتخذ كلمه باصطلاحات حادثة بعده بأزمة غير قصيرة فإنك تضم إلى هذا البيان ، من النظرات الحديثة ما يؤيده ويعززه ، فيها :

١ - الناحية القوية ، في حياة الألفاظ وتلوج دلالتها ، لولمكتنا منها ما لا بد لنا أن نملكه ، في تحديد هذا التلوج ، وتأريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، وعهد استعمالها فيها لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وبين هذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن ، ويجعلها تدل على معان وإطلاقات لم تعرف لها ، ولم تستعمل فيها ، أو إن كانت تلك الألفاظ قد استعملت في شيء منها ، فباصطلاح حادثة في اللغة ، بعد نزول القرآن بأجيال ، وسرى فيها إلى - من بيان عن التفسير اليوم ، وكيف يتناول - ما يكشف عن هذا الجانب كشفاً كافياً .

٢ - الناحية الأدبية ، أو البلاغية إن شئت ، - وبالبلاغة فيما يقال : مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع من التفسير العلمي ، كلاماً يوجه إلى من خطوب به من الناس في ذلك العهد ، مراداً به تلك المعاني المذكورة مع أنها معان من العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما تجاوزت كعاداً فسجية ، واجاهدت جهاداً طويلاً ، ارتقى به حقها وعلمها !! وهب هذه المعاني العلمية للمدعاة

وجعلها ، ودلائلها على عظمة القوة المدبرة لها المحفة لنظامها ، ولو التزم في شيء من هذا تصحيح المقررات العلمية لأخل هذا الالتزام كثيراً بالأهداف التقنية الوجدانية ، التي يريد الدين تحقيقها وتقع الحياة بها من طريق التأمل المتدين ، والاعتبار النفسى العاطفى المريح ، قبل كل شيء آخر : ومن هنا قد يبدو في تفسير القرآن ما يظهر متعارضاً مع شيء من المقررات العلمية ، وإن أمكن التوفيق بينهما . ولا أحسب أن عليه بأساً بشيء من هذا ولا فيه ضرر : فخير لأصحاب هذه الرغبات الذين يبينون الصديق ، أو الإعجاز ، أو الصلاحية لكتاب الدين بهذا النحو من التفسير العلمى ، خير لم أن يقدروا مثل هذا الاعتبار ، فلا يتكلمون ما يتكلمون من ربط الكتاب بالعلم ، على أنهم إن كانوا لا يبد فاعلين فحسبهم - كما تقدم - ألا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ، دون أن يمكن التوفيق بينه وبينها . : ويبان هذا الأصل مما لا يسمح المقام فيه بأكثر مما قيل :

وهناك نواح أخرى من النظر محدثة ، تؤيد الرأى القديم الذى بينه الشاطبى في كيفية فهم عبارة القرآن ، ونجمل من الخبر ألا توجه العناية إلى مثل هذا الضرب من التفسير العلمى ، لأنه ليس بلى جدرى على القرآن نفسه ، والقرآن غنى عن أن يعتز مثل هذا التكلف الذى يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنسانى الاجتماعى في إصلاح الحياة ، ورياضة نفوس الناس جميعاً على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية الرياضية وما إليها ،

وأما ما تمجعت إليه النوايا العلمية فجعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة ، ناحية من نواحي بيان صدقه ، أو إعجازه ، أو صلاحيته للبقاء . . . إلخ فرمما كان ضره أكثر من نفعه . على أنه إن كان لابد لأصحاب هذه النوايا ومن لف لفهم من أن يتجهوا إليه ، ليلفوا مناقضة الدين للعلم ، فقلعه بكفى في هذا ويغى ، ألا يكون في كتاب الدين نص صريح يصادم حقيقة علمية يكشف البحث أنها من نوايس الكون ونظم وجوده ، وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة ، ومسايرة للعلم ، وخلاصاً من التقد . . على أفى حين أسمح بهذا القدر في سبيل لإرضاء رغبات هؤلاء الطبيى الثية ، لا أنسى أن أذكرهم بأن تناول التفسى لحقائق الكون ومشاهده ، هو التناول الذى يقصد به الدين رياضة وجدانات الناس ، ويوجهه لعالمهم وخاصتهم وعلمائهم وأنصاف علمائهم بل لجهلائهم أيضاً - كما هي مهمة الدين والغاية من تلاوة كتابه بينهم جميعاً ، وهذا التناول إنما يقوم على المشهود البادى من ناحية روعته في النفس ، ووقعه على الخواص ، وافعال الناس ؛ لا من ناحية دقائق قوانينه ، ومنضبط نوايسه في معادلات جبرية أو أرقام حسابية ، أو بيان جاف لخصائصه وحقائقه . . . ويقام هذا التناول على المشاهد ، والمركب بادئ الرأى ، والمؤثر في النفس المثير للاهتمام ، لا يجب الوفاء فيه بحماية الحقائق العلمية ، والخصائص المحركة لهذه العوالم الموصوفة والمناظر التى لا يواد من تناولها إلا إثارة الشعور بجلالها

ح - ألوان التفسير ،

أن المتصلين لهذا التفسير الثقلي إنما يجمع حول الآية من المرويات ، ما يشعر أنها متجهة إليه ، متعلقة به ، فيقصد إلى ما تبادر لذهنه من معناها ، وتندفع الفكرة العامة فيها ، فيصل بينها وبين ما يروى خوفاً في اطمئنان ... وبهذا الاطمئنان يتأثر نفسياً وعقلياً ، حيناً يقبل مروباً ويعنى به ؛ أو يرفض من ذلك مروباً - إن رفضه - ولم يرتح إليه ؛ ؛ وكذلك راج بين القوم - كما لاحظ ابن خلدون فيما أوردنا من عبارته - ما هم في شوق إليه وتطبيق به ، من أخبار بلده الخلق ، ونشأة الزوجود ، وتفصيل الأحداث الكبرى في تاريخ الإنسانية الأول ، لأمتهم ، وقلة المتداولين بينهم منه ، فكانت كثرة الإسرائيليات ١١ وكان كل أولئك صورة عقلية لهذا العصر الأول ،

ومن هنا نستطيع القول بأنه حتى في رواج التفسير الثقلي وتداوله ، تكون شخصية المتعرض للتفسير هي الملوثة له ، المروجة لصف منه ،

أما حين يصير التفسير عقلياً اجتهادياً ، فإن هذا التلويح الشخصي يبدو أوضح وأجلى . وقد أشرنا إلى ما لتقافة متعاطي التفسير ، من الأثر في تفسيره ؛ إذ أن ثقافته ، ونوع معارفه هو الذي يحدد ناحية عنايته وميلان نشاطه ، وما يتقنع به في استخراج معاني العبارة ، وما يعنى به قبل غيره من هذه المعاني فتأثر التفسير بذلك كله ، ويتأثر تاريخ هذه المعارف نفسها عز أوله التفسير ، أو الاهتمام به - كما سنبين

وإنما نشر تحت هذا العنوان المتجاوز إلى ظاهرة واضحة الأثر هي : أن الشخص الذي يفسر نصاً ، يكون هذا النص - ولا سيما النص الأدبي - بتفسيره له وفهمه إياه ؛ وإذ أن المتفهم لعبارة هو الذي يحدد بشخصيته المستوى الفكري لما ، وهو الذي يبين الألف المقلى ، الذي يمتد إليه معناها ومرماها ، يفعل ذلك كله ، وفق مستواه الفكري وعلى سعة أفقه المقلى ؛ ؛ لأنه لا يستطيع أن يعدو ذلك من شخصيته ، ولا تمكنه مجاوزته أبداً .. فلن يفهم من النص إلا ما يرقى إليه فكره ويمتد إليه عقله ؛ وبمقدار هذا يمتد في النص ويمدد يانه ، فهو في حقيقة الأمر يجر إليه العبارة جراً ، ويشدها شدّاً ، يعطها حيناً إلى الشال ، وحيناً إلى الجنوب ، وطوراً يجلبها إلى أعلى ، وآونة ينزل بها إلى أسفل ، فيفيض عليها في كل حالة من ذاته ، ولا يستخرج منها إلا قدر طاقته الفكرية واستطاعته العقلية ؛ وما أكثر ما يكون ذلك واضحاً ، حيناً تسعف اللغة عليه ، وتسبح له ثروتها ، من التجوزات والتأولات ، فتعد هذه المحاولة المكسرة ، عما لديها من ذلك . وإن المستطاع منه في اللغة العربية لكثير وكثير ...

على هذا الأصل وجدنا آثار شخصية المتصلين لتفسير القرآن ، تطبع تفسيرهم له ، في كل عهد وعصر ، وعلى أى طريقة ومنهج ، سواء أكان تفسيرهم له نقلياً مروباً ، أم كان عقلياً اجتهادياً . ولعل لا يبدو هذا الأثر الشخصي واضحاً في التفسير للرورى لأول وهلة ، ولكنك تقيينه إذا ما فترت

تلوباً فقهاً للتفسير ، وآخر بلاغياً ، وغيرهما قصصياً .
وهكذا مما تعد فيه كتب كل صنف وحدها ، وتوصف
في التاريخ التصيل للتفسير : « كما بين فيه المحجب
المقبول من هذا التلويح ، والمفهر المكره منه ،
كالتلويح الباطني والإشاري المتطرف ، وما إلى ذلك
من تفسير مردود ، يخرج القرآن عن وضعه ،
ويناقض الحكمة الإلهية والغرض الإصلاحى من
وصله بحياة الدين والدنيا ، وقد وصف القلماء مثل
هذه الألوان المنفرة المستبعدة ، واستعملوها »

أما ما عدا هذا المكره من التلويح ، فقد يتجو
من هذا الاستبعاد والاستنكار ، ولكن يبقى النظر في
تحقيقه لثقافته المرجوة من القرآن ، فيسلم فيه بذلك
أو لا يسلم ؟؟؟

وفي هذا يقول الأستاذ الإمام^(١) رحمه الله :
« : : : إن الإكتار في مقصد خاص من هذه المقاصد
يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي ،
ويذهب بهم في ملاحظات تسهم معناه الحقيقي » : :
كما يقول في هذا الصدد أيضاً^(٢) : « إن التفسير
قسمان : أحدهما جاف مبعد عن الله وكتابه وهو ما يقصد
به حل الألفاظ وإعراب الجمل ، وبيان ما توى إليه
تلك العبارات والإشارات من التكت الفنية ، وهذا
لا ينبغي أن يسمى تفسيراً وإنما هو ضرب من التلويح
في القنن كالنحو والمعاني . . . ويقول عن التلويح
القصوى خاصة^(٣) » الأحكام العملية التي جرى

الإشارة إلى ذلك . فأنت ترى - في جلاء -
أن التفسير ، على هذا التلويح - يتأثر بالعلوم والمعارف
التي يلقى بها المفسر النص ، ويستعين بها في استجلاء
معانيه ، كما أن وصل هذه العلوم بالتفسير ، يكسب
هاتيك العلوم نفسها ، ضرباً من الروة ، يقدر أثره
في تاريخها . . . فالتلويح يلقى القرآن بأصول الصنعة
الإعرابية ، يحكمها في فهم معانيه ، ويحكم إليها في
تحديد مدلولاتها ، فلون التفسير بمنهج دراسته
وأسلوبها . . . ثم هو بعد ذلك يترك في حياة النحو
بهذا الوصل آثاراً ، تعود على دراسته ، ويلتص
بها ، في تاريخ حياة هذه المادة . . . وهكذا تتوحد
ألوان التفسير ، وتعددت بتعدد ثقافات المتصلين
له ، فقد سمعت أن أبا الحسن الأشعري المتكلم ،
في كتابه الذي سموه « المختزن » لم يترك آية تعلق
بها بدعي ، إلا أبطل تعلقه بها وجعلها حجة لأهل
الحق . . الخ . بل ينقلون من قوله هو نفسه في وصف
كتابه هذا : إن فيه من ضروب الكلام مسائل
للمخالفين لم يسألوه عنها ولا سطروها في كتبهم ،
ولم يتجهوا للسؤال ، وأجاب عنه بما وقفه الله تعالى
له^(١) . . . وقد جامك نياً ما فعل الفخر الرازي في
تفسيره ، من جمع أقوال الحكماء والفلاسفة ،
وشبههم في الكلاميات ، حتى قيل فيه ما قيل آنفاً .
فهذا ومثله تلويح كلامي للتفسير يضفي على القرآن ،
من منهج علم الكلام ويوجه تفسيره ، وقد انتهى
به إلى نزعات ملهية خاصة لعل من أشهرها
كشف الزعشري في منجاء الاعتزالي . . . كما نجد

(١) تفسير الفاتحة ط الميزان سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٤ م ، ج ٩ ، ص ٢٠ .

(٢) للمبشر السابق ص ١٨ .

(٣) المصنف السابق ص ١٠ .

.. ، (١) ابن مسكّر - تبين كذب المقرئ ، ص ١٣٣ ، ط دمشق ،
يشير في الضمائر فقط .

تفسير القرآن على ترتيب سورته ، يقفون منها عند بعض الآية ، أو الآية ، أو الجملة من الآي ، فيبينون ما فيها على اللون الذي يؤثره المتناول وتضفيه شخصيته على تفسيره ، وما زالت تلك الخطة هي السائدة في التفسير ، حتى عندما يعنى المفسر بتأحية خاصة من القرآن ، ويؤثر موضوعاً بعينه ، يتبعه في القرآن . فبين يدينا مثلاً كتاب أحكام القرآن للجصاص - ت ٣٧٠ هـ - وهو فقهي الاتجاه ، يعنى بهذا الجانب قبل كل شيء ، ولكنه مع هذا يشبع تلك الخطة التقليدية في تفسير السور على ترتيبها والآي في السور . . . وأقل من ذلك أن يتبع المفسر موضوعاً خاصاً في القرآن ، يجمع مفرقه ، فرى مثل كتاب التبيان في أقسام القرآن لشمس الدين ابن قيم الجوزية - ت ٧٥١ هـ - الذي قصد فيه إلى درس موضوع خاص ، هو القسم في القرآن ، وقد انتظم نظرات عامة لصنيع القرآن في الأقسام ، ولكنه مع ذلك لا يستقصى تتبع النظائر ويتولاهما بالتفسير المقابل الذي يستعان فيه على فهم بعض القرآن ببعضه فهُمَّا يعطى الفكرة الموحدة عن المهبج القرآني في القسم بشيء خاص ، ويخصى ما ورد

الاصطلاح على تسميتها قتها هي أقل ما جاء في القرآن ، وإن فيه من التلذذ ودعوة الأرواح إلى ما فيه سعادتها ، والأستاذ رحمه الله حين يفر من هذه الألوان يطمئن إلى تلوين آخر وصفه في غير موضع ، فيما قال^(١) عنه : « والتفسير الذي يطلبه هو فهم الكتاب ، من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه ، وما وراء هذه المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله » وكذلك يقول^(٢) عنه « التفسير الذي قلنا إنه يجب على الناس ، على أنه فرض كفاية » هو فعاب المفسر إلى فهم مراد القائل من القول ، وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل ، والمداية المودعة في الكلام ، ليتحقق فيه معنى قوله (هدى ورحمة) ونحوها من الأوصاف ، فالمقصد الحقيقي وراء تلك الشروط والفنون ، وهو الاهتمام بالقرآن ، هذا هو اللون الذي يعمل في نظر الأستاذ الإمام ، واستعد للنظر إليه بعد كلمة يسيرة عن :

ط - خطة التفسير

مثل عصر ميمكر^(٣) جميل القوم يتناولون

(١) المصدر السابق ، ص ٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٣) يقول مكرمة مولى ابن عباس - ت ١٠٥ هـ - « قد فسرنا ما بين المرحومين » - اثنان ٢ : ١٥٥ - ولابن جرير - ت ١٥٠ هـ - ثلاثة أجزاء كبير في التفسير - اثنان ٢ : ٢٢٤ فلهذا الصبغة وذلك الأجزاء الكبير إذا ما انضم إليها ملاحظة قوة اتصال القرآن بالحقبة الإسلامية ، وحديث منابة القوم بأغلب الاحكام وغيرها منه ، وحاجتهم للامعة في ذلك ، كل أولئك وما يشبهه مؤذن بأن ترتيبه لتفسير القرآن ، واستيفاء من ذلك في سورة وآيه قد كان مملاً ميمكراً ، ولا اميل الى تأخيرها لنهاية القرن التالي

وأوائل الثالث - وصاحب فصح الإسلام - ٢ : ١٤١ - يميل الى حد الغراء - ت ٢٠٧ هـ - أول من يفرض لآية آية حسب ترتيب المصحف وفسرها على التتابع ، أعاد ذلك من نص في فهرست ابن التميمي ، وكتب معنى القرآن للغراء في إيدنا ، وهو شبيه في تناوله لك على ترتيبها في السور بكتساب مجاز القرآن لأبي ميسرة - ت ٢٠٩ هـ - ١ - وحوالي هذا - كان القطعة التي منه بأبديتنا تتناول السور على ترتيبها ، وأعرض في السورة من أي تحتاج لبيان مجازها أي المراد بها ، فليس للغراء أولية شخصية في هذا ، بل كانت تلك على ما يبدو خطة العصر ، وأمله أو وقع اليها فيه مما قبل ذلك العهد لرجح أن هذا التناول المربط لتفسير سور القرآن وآيه أقدم منها من صنيح الغراء وأجده جديدة بغير قليل .

التفسير ، أن يكون عتقاً لمداية القرآن ورحمته ،
 مبنياً لحكمة التشريع في العقائد والأخلاق ،
 والأحكام على الوجه الذى يجلب الأرواح . . الخ
 فالمقصد الحقيقى عنده : هو الاعتناء بالقرآن ،
 وهو مقصد جليل ولا شك . . . يحتاج المسلمون
 إلى تحقيقه .

من ذلك فنظر في حكمته ، وإن كان قد ألم بشيء من
 هذا إلماً سريعاً لا بشئ . . . وذلك الخطة الغالبة
 في تفسير القرآن على ترتيب سورة وآيه فيها ، مما
 هو موضع للنظر ، يقول فيه كلمة ضمن ما عرض
 له من حديث عن :

التفسير اليوم

لكن ليس بدءاً من الرأى أن ننظر في هذا
 المقصد لنقول : إنه ليس الغرض الأول من التفسير ،
 وليس أول ما يعنى به ويقصد إليه ، بل إن قبل ذلك
 كله مقصداً أسبق ، وغرضاً أبعد ، تنشعب عنه
 الأغراض المختلفة ، وتقوم عليه المقاصد المتعددة ،
 ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق أى مقصد آخر ،
 سواء أكان ذلك المقصد الآخر ، علمياً أم عملياً ،
 دينياً أم دنيوياً . . . وذلك المقصد الأسبق والغرض
 الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية
 الأكرم ، وأثرها الأدنى الأعظم ، فهو الكتاب الذى
 أنخلد العربية ، وحمى كيانها وخلد معها ، فصار
 فخراً ، وزينة تراثها ، وتلك صفة القرآن يعرفها
 العرق مهما يختلف به الدين أو يفرق به الموى ،
 ما دام شاعراً بعربيته مدركاً أن العروبة أصله في
 الناس ، وجفسه بين الأجناس ، وسواء بعد ذلك
 أكان العربى مسيحياً أم وثنياً ، أم كان طبيعياً دهنياً
 لا دينياً ، أم كان المسلم المتحنف ، فإنه سيرف
 بعرويته منزلة هذا الكتاب في العربية ، ومكانته
 في اللغة ، دون أن يقوم ذلك على شئ من الإيمان
 بصفة دينية للكتاب ، أو تصديق خاص بعقيدة فيه . .
 وليس هنا شأن العرب فحسب ، بل إن الشعوب

والقضاء فيها يقولون عن حبة العلوم الإسلامية
 قد قسموها ثلاثة أقسام : علم نضج واحرقى وهو
 النحو والأصول ، وعلم نضج وما احرقى وهو
 علم الفقه والحديث ، وعلم لا نضج ولا احرقى ،
 وهو علم البيان والتفسير . . . وبشاء الله أن يكون
 علم البيان وعلم التفسير من أول ما أقوم على خطمته
 في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . . فيكون قول
 القلاء أنفسهم يعلم نضجهما إذ نضجاً منهم بالمحاولة
 المجددة في حياة هاتين المادتين ، وقد تقدمت إلى هذه
 المحاولة ، تحت الشعار الذى اتخذته لنفسى وهو :
 أول التجديد قتل القدم فهماً ، وأراد الله أن يكون
 في دائرة المعارف الإسلامية أول تسجيل لإجبال هذه
 المحاولة المحددة في مادة البلاغة ، وهما هى ذى أول
 من يسجل أصول هذه المحاولة في مادة التفسير .

١ - القرآن كتاب العربية الأكبر

في الذى مضى من القول عن « ألوان التفسير »
 بيان للأغراض التى كان يقصد إليها المفسرون ،
 ويصنون بتحقيقها أكثر من غيرها ، وقد سمعنا
 الأستاذ الإمام رحمه الله ، ننقدم فيها أكثرنا من
 أغراض ، ويرى أن الغرض الأول والأهم في

وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى القنى ، دون نظر إلى أى اعتبار دينى ، هو ما يعتنه وتعتنه معنا الأمم العربية أصلاً ، العربية اختلاطاً ، مقصداً أول ، وغرضاً أبعده ، يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد . . . ثم لكل نى غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبي أن يعتمد إلى ذلك الكتاب فليأخذ منه ما يشاء ، ويقتبس منه ما يريد ، ويرجع إليه فيما أحب من تشريع ، أو اعتقاد ، أو أخلاق ، أو إصلاح اجتماعى ، أو غير ذلك . . . وليس شئ من هذه الأغراض الثانية يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحده دراسة صحيحة كاملة مفهومة له ، وهذه الدراسة هي ما نسميه اليوم تفسيراً ، لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها .

فجملته القول : أن التفسير اليوم - فيما أفهمه - هو : الدراسة الأدبية ، الصحيحة المنهج ، الكاملة المناهى ، المتسقة التوزيع . والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبى محض صرف ، غير متأثر بأى اعتبار ، وراء ذلك . وعمله يتوقف لتحقيق كل غرض آخر بقصد إليه . . . هذه هي نظرنا إلى التفسير اليوم وهذا غرضنا منه ، وعلى هذا الأساس نقدم لبيان طريقة تناوله ، ومنهج درسه .

٢ - أثر ترتيب القرآن في تفسيره

ونتظر بين يدي الخطوة في مسألة الترتيب لنهئى حلها الرأى في كيفية تناول التفسير ، وهل تتبع فيه الخطوة إلى سادس حتى اليوم - كما تقدم -

التي ليست عربية الدم أصلاً ، ولكن وصلها التاريخ ، وسير الحياة بهذه العروبة ، فارتضت الإسلام ديناً ، أو خالطت العرب فساطت صمامها بدمائهم ، ثم انخلت العربية لغة ، حتى صارت تلك العربية أصلاً من أصول حياتها الأدبية . . . حتى هذه الشعوب التي ربطها بالعربية هذه الأواصر الوثقى ، إلى أن صارت العربية عنصرأ أساسياً ، وجانباً جوهرياً من شخصيتها القوية الفنية ، قد صار لكتاب العربية الأعظم ، وقرآنها الأكرم مكانه بين ما نعى به ، من دراسة أدبية وآثار فنية قولية ، فآلزمها كل أولئك تناول هذا الكتاب بدراسة أدبية ، تنهض بها أصول ما ورثت من تلك العروبة ، إن كانت عربية التجار أو كانت قد اتصلت بتلك العروبة اتصالاً قوياً ، دفع شخصيتها ، وسير وجودها . . . ووجه حياتها . . . فالعربي الفصح ، أو من ربطته بالعربية تلك الروابط ، يقرأ هذا الكتاب الجليل ، ويدرسه درساً أدبياً ، كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة ، وتلك الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً وفاء حتى هذا الكتاب ، ولو لم يقصدوا الاهتمام به أو الانتفاع بما حوى وهل ، بل هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً ولو لم تتلو صدورهم على عقيدة ما فيه ، أو انطوت على نقبض ما يردده للمسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس ، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس ، سواء أنظر إليه للناظر على أنه كذلك في الدين أم لا .

فيبدو للناظر أن تفسيره سوراً وأجزاء لا يمكن من التفهم الدقيق ، والإدراك الصحيح ، لمعانيه وأغراضه ، إلا إن وقت المفسر عند الموضوع ليستكمل في القرآن ويستقصيه إحصاء ، فرد أوله إلى آخره ، ويفهم لاحقه بسابقه ، فالناظر في سورة البقرة مثلاً يجد من الحديث عن المؤمنين وحالم ما أحسب أنه يفهم التفهم الصحيح ، إذا ما قورن بما في سورة «المؤمنين» ، من الجزء الثامن عشر - ثم هو واجد في هذه البقرة عن المناقضين وحالم ما لا يفهم على وجهه إلا مع سورة «النافقون» في الجزء الثامن والعشرين . . . وقصة آدم في البقرة ، إنما تفسر مع ما ورد عنها في سورة الأعراف ، والحجر والكهف وغيرها .

وأنت - أرشدك الله - مقدر أن اللئى تفهم جملة نصوص خاصة بموضوع واحد ، إنما يصل إلى صحيح معناها ودقيقه ، بمعركة سابقتها ولاحقتها ومتقدمها ومتأخرها ، إذا ما كان الزمن قد تباعد بين تلك النصوص ، وخاصة مثل هذا التباعد الزمني الذي بين آتى القرآن ، فقد طال ستين وسبعين سنة . ثم هذا التفهم يحتاج إلى إدراك الملابسات والمناسبات والأسباب التي أحاطت بها فهمه من النصوص ، إذ هي أضواء لابد منها لاستجلاء المعنى ، وترتيب القرآن لم يراع شيئاً من تقدم الزمن وتأخره ، فكيف يتخلل مدنيه ، ويحيط به ، ومدنيه يتخلل مكيه ويحيط به ، وهكذا ترى من النظر في ترتيب القرآن على سورة - أي ترتيب كان في المصاحف المختلفة - ما لا يسائر حاجات مفسره التفهم له ، بل يقتضي

قتلوه على ترتيب سورته وآية في السور ، أو على غير هذا من ترتيب ؟
والقرآن - كما هو المعروف - لم يرتب على الموضوعات والمسائل ، فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل ، يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة ، فليس على ترتيب كتب المفاتيح مع ما فيه من أصول العقيدة ، وليس على ترتيب كتب التشريع مع ما فيه من أصول التشريع ، ولا هو كذلك على نسق كتب الأخلاق أو التاريخ ولا القصص ، ولا غير ذلك . . . بل ليس على ترتيب بعض كتب الدين - حين افردت - أسباب الحياة بأسفار عنونت كل سفر منها بمحادث ، أو حين جرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم ، كما لم يرتب على شيء من تاريخ ظهور آياته . . . إنجليزي القرآن على غير هذا كله ، ففرض الكثير من الموضوعات ولم يجمع فيها واحداً بعينه ، فبليتى أوله بآخره ، ويعثر به في مكان معين . . . وإنما أثر ذلك كله ثراً ، وطره تفرقاً ، فألجكم التشريع في أكثر من موضع ، والأصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة ، والقصة قد وزعت متناظرة ومشاهدة في جملة أماكن ، وهكذا تقرأ في السورة الواحدة فربما من القول ، وتعر بالوان من الأغراض المختلفة ، تعرض لما سورة أخرى ، فيتكامل العرضان ، ويتم الفكرة بتبعها في مواطن متعددة ، وذلك لحكمة ومروى بين في غير هذا المكان من الدراسة القرآنية التي تعرض للكلام في الترتيب . . .
ولما نظر إلى ما قلنا الواقع من اثر في طريقة تناول القرآن بالتفسير ، وتبينه التفهم معانيه وأغراضه ،

فصواب الرأي - قيا يبدو - أن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً ، لا أن يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم سورة أو قطعاً . ثم إن كانت للمفسر نظرة في وحدة السورة وتناسب آياتها ، واطراد سياقها ففعل ذلك إنما يكون بعد التفسير المستوفى للموضوعات المختلفة فيها .

٣ - الموج الأدبي في التفسير :

وإذا ما كان وجه الرأي أن التفسير الأدبي لكتاب العربية الأكبر ، هو أول ما يجب أن يحاوله من لم بالعربية صلة لغوية أدبية سواء أكانوا عرباً أم غير عرب ، وإذا ما كان وجه الرأي أن هذا التفسير الأدبي ينبغي أن يتناول القرآن موضوعاً موضوعاً ، لا قطعة قطعة ، فعل هذا الأساس يكون منهج التفسير الأدبي إذن صفتين من الدراسة ، كما هي الخطوة الأولى في حوس النص الأدبي^(١) . وهذان الصفتان هما : أ - دراسة حول القرآن . ب - دراسة في القرآن .

فأما دراسة ما حول القرآن :

فإنها دراسة خاصة قريبة إلى القرآن ، ومنها دراسة عامة بعيدة - فيها يبدو من ظاهر الرأي - ولكنها في تقدير الموج الأدبي لازمة لفهم القرآن فهماً سليماً دقيقاً .

والدراسة الخاصة هي مالا بد لمعرفة : مما حول كتاب جليل كهذا الكتاب : ظهر في نحو عشرين

ما كان من أمر الترتيب ، بالنظر الجذيد والرتيب الخاص لآي الموضوع الواحد ، بحيث يكشف هذا الترتيب لنا عن تلك التواليف ، التي عرفت أن المفسر المتفهم مضطر إلى مراعاتها وتقديرها ، توصلاً إلى الفهم الصحيح ، والمعنى الدقيق .

فجملة القول : أن ترتيب القرآن في المصحف قد تركه وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقاً ، وقد تركه الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحفظ به أبداً ، وقد فرق الحديث عن الشيء الواحد والموضوع الواحد في سياقات متعددة ، ومقامات مختلفة ، ظهرت في ظروف مختلفة ، وذلك كله بغضى في وضوح بأن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً ، وأن تجمع آياته الخاصة بالموضوع الواحد ، جمعاً إحصائياً مستصعباً ، ويعرف ترتيبها الزمني ، ومناسبتها وملابسها الخاصة بها . ثم ينتظر فيها بعد ذلك لتفسير وتفهم . فيكون ذلك التفسير أهدي إلى المعنى ، ولتوقي في تحديده . . . وليس تفسير القرآن سورة سورة إلا تعرضاً مفرقاً لموضوعات مختلفة تنظمها السورة الواحدة ، ثم يعود المفسر بعد ذلك في السورة الأخرى إلى مثل هذه الموضوعات أنفسها . . . فإن عجل النظرة الجامعة إلى هذه الموضوعات في القرآن كله حيناً عرضت له في أول سورة ، فقد آل به الأمر إلى تفسير الموضوعات ، وكانت وقائمه الطوال المتعبدة عنه كل موضوع تركاً لتفسير السورة وإخلاصه . . . وإن تعرض للموضوع الواحد مراراً كلما عرض في السور المختلفة فقد أدخل يوحدة الموضوع حيث ترك الإلزام الجامع به في مقام متصل .

(١) بيان هذه الخطوة : « توضيح الوضع فيها مما يتعلق بدراسات كاتب هذه المادة » في « الآداب العلمية » بكتبة الآداب ، دار جامعة الأزهر الأولى ، بمطبعة دار .

بالعناية ، عند من عاينون هذه الأبحاث من الغربيين . وكان أجل من كتب في ذلك منهم الألمانى نولدكه T. Noelcke صاحب كتاب تاريخ القرآن *Geschichte des Qorans* ، الذى اشترك فى تحقيقه وإكمال طبعته الثانية نفر من علماء الألمان مثل شفاللى وزيرن وبرجنشاسر ، وقد جاهد أحد شبابنا من خريجي كلية الآداب بترجم الكتاب بعمونة من فى الكلية من أساتذته الألمان وعارفى لغتهم ، لكن حالت عرائق تافهة دون طبع الكتاب ، مع أن أبحاث هؤلاء المحدثين قد أفاضت على تلك الموضوعات ألواناً من العناية العلمية ، إن لم تحل من الاهتمام فيها لن يغلو من روح النقد والتحجيس ، التى لا بد منها فى تناول هذه الأبحاث ، وهى دراسات ضرورية لتناول التفسير كما أشرفنا ، حتى ما ينبغى مطلقاً أن يتقدم لدرس التفسير من لم يزل حظه من تلك الدراسة القرآنية الخاصة حول القرآن ، ليستطيع فهمه فهماً أدبياً صحيحاً مسرّساً بتلك الملاحظات الجادة فى فهم القرآن .

وأما ما حول القرآن من دراسة عامة ، فهو ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية ، التى ظهر فيها القرآن وعاش ، وفيها جمع وكتب وقرئ وحفظ ، وخطب أهلها أول من خاطب ، وإليه أتت رسالته لينبضوا بأدائها ، ولإبلاغها شعوب الدنيا . فروح القرآن عربية ، ومزاجه عربى ، وأسلوبه عربى ، « قرآنًا عربياً غير ذى عوج » . والتأخذ إلى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل ، والاستشفاف التام لهذه الروح العربية ، وذلك المزاج العربى ، واللوق

عاماً أو كلياً وعشرين عاماً ، ثم ظل مفرقاً سنتين حتى جمع فى أدوار مختلفة وأحوال مختلفة ، وكان جمعه وكتابته عملاً سنابر الزمن طويلاً ، وقاله من ذلك ما ناله : « ثم هناك قراءته ، ومسابقة هذه القراءة لتطور اللغوى الذى تعرضت له اللغة العربية ، بفعل النهضة الجادة التى أثارها الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية ، فقد كانت هذه القراءات عملاً ذا أثر واضح فى حياة الكتاب وفهمه . وتلك الأبحاث - من نزول ، وجمع ، وقراءة ، وما إلى هاهى التى عرفت اصطلاحاً - منذ حوالى القرن السادس الهجرى - باسم علوم القرآن^(١) بعدما تناولها المفسرون المختلقون قبل ذلك بالبحث المصل ، البيان المتفاوت فى الاستيفاء ، حسب عناية المفسر واهتمامه ، ومثل تلك الأبحاث جد لازمة ، فى نظر دارسى الآثار الأدبية ، ولا بد منها لفهم النصوص المدروسة ، والاتصال بها اتصالاً مجسداً : بل كان لزوم هذه الأبحاث لفهم القرآن كما شعر به القدماء أنفسهم ، حتى قال السيوطى فى مقدمة كتابه « الإتهان فى علوم القرآن » : « وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذى شرعت فيه وسميته بجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحريز الرواية ، وتقرير الثبوت ، ومن الله أستمد التوفيق والمداية^(٢) » . وكان أكثر المفسرين لعلوم فى مقدمة تفاسيرهم بشيء من القول فى النزول والجمع ، والقراءات . . . وقد أفرد ما حول القرآن من تلك الموضوعات حديثاً

(١) بمجاهرات علوم القرآن لكتاب هذه المادة فى كلية الآداب
« مستوطنة » .

(٢) الإتهان ، ج ١ ، ص ٧٠١ .

صورة خاصة ، فما نحن لنا - مع هذا - أن نقول
إننا نفسر هذا القرآن أو نعهد قهقهة فهماً أدبياً ،
يحيى للارتفاع به في نواح أخرى ، وما دنا نذكر
الحجر ، والأحطاف ، والأكنة ، ومدن ، ومواطن
ثمود ومنازل عاد ، ونحن لا نعرف عن هذه الأماكن
إلا تلك الإشارات الشاردة ، فما ينبغي أن نقول إننا
فهمنا وصف القرآن لها ولأهلها ، أو إننا أدركنا
مراد القرآن من الحديث عنها وعصم ، ثم لن تكون
العبرة بهذا الحديث جلية ولا الحكمة ولا الهداية
المرجوة مفيدة مؤثرة ! !

ولعله ليس بالكثير مطلقاً أن نطلب مثل
تلك الدراسات المتصلة لبيئة القرآن الذي هو أحدث
الكتب السماوية عهداً ، ولغته التي بها نزل لا تزال
لغة حية تتكلمها مئات الملايين ، وأدبها هو أدب
غير واحدة من الأمم ، تلحى لنفسها حق الحياة ،
ثم هي أصل كبير للهجات ولغات تقوم دراساتها
الصحيحة على دراسة هذه العربية . . ليس بالكثير
في شيء أن نطلب هذه الدراسة لبيئة القرآن وهذه
حالتها ! لأن الكتب الدينية الأخرى أقدم من القرآن
بالقرون المتطاولة وبيئاتها قد حفت معالمها ، ولغاتها
قد تخلت عنها إذ خرجت من الحياة ، ولكننا نجد
ما في هذه الكتب الدينية جمعاً من حي ووجد ،
وحداثة ، وعلم ، قد أفرد بالدراسة ووضعت له
الكتب المطولة والمعاجم المستوفاة حتى ما يفوت شيء
منها من يتبقى معرفته ، وهذا كله إلى جانب الدراسات
التاريخية والأدبية والدينية ، والقانونية ، والاجتماعية
العميقة والمقارنة التي أصابها تلك الكتب . ولا

العربي^(١) من هنا لزمّت المعرفة الكاملة لهذه البيئة
العربية المادية ، أرضها بجبالها وحراها وصحاريها
وقيعاتها ، وسماها بسحبها ونجومها ، وأنوائها ،
وجوها بحره وبرده وعواصفه وأنسلمه ، وطبيعتها
بجبلها وخصبها ، وقحوها أو ثمنها ، ونباتها وشجرها
: : : إلخ . فكل ما يتصل بتلك الحياة المادية العربية
وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربي المبين . . .
مع هذا ما يتصل بالبيئة المعنوية بكل ما تنسج له هذه
الكلمة ، من ماضٍ مسحي ، وتاريخ معروف ونظام
أمر أو قبيلة ، وحكومة في أي درجة كانت وعقيدة
بأي لون تولدت ، وفنون مهما تنوع ، وأعمال مهما
تختلف وتشعب ، فكل ما يقوم به الحياة الإنسانية
لهذه العربية ، وسائل ضرورية كذلك لفهم هذا
القرآن العربي المبين . . وإذا جهلت الدراسة الأدبية في
أن تعرف عن تلك العربية والعروبة أكثر وأعمق
وأدق ما يعرف تتبني بذلك درس أدبها درساً
صحيحاً ، فإن هذا القرآن رأس هذا الأدب ،
وقلبه الخافق ، ولن يدرس درساً أدبياً صادقاً ، يفي
بحاجة المتعرض لتفسيره إلا بعد أن تستكمل كل
وسائط تلك المعرفة للبيئة العربية مادية ومعنوية .
أما ما دنا نقراً التشبيه العربي القرآني ، أو التمثيل
العربي القرآني ، فلذا مادته الأضواء العربية ،
والظواهر الجوية البرية ، والحي أو الجماد المشهود
في بلاد العرب لا نعرف عنه شيئاً وليس عندنا عنه

(١) أن للقرآن معاني ومرامى السامية اجتماعية مفيدة الهدف
أبدية العمر ؛ لكن ذلك كله إنما جله الانسانية في نوبه العربي
وبذلك التصير العربي ، والتبذل التام لهذه العروبة هو السبيل
المتبعة لفهم ذلك كله والوصول اليه .

هذه الألفاظ في الوقت الذي ظهرت فيه وتليت أول ما تليت على من حولها الأول عليه السلام (١) — وهذا هو أحد الاعتبارات الجوهرية التي تقف في وجه التفسير العلمي للقرآن على ما أشرنا إليه من قبل ،

وإذا كان هذا هو الأصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن ، فن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تمين ؟ فأكبر ما نملكه منها سو هو لسان العرب لابن منظور المصري — قد كتب على طريقة المقص والفراء ، كما يقول المصريون ، فتجاوزت فيه نصوص تباعدت عصور أصحابها ، فابن دريد في أوائل القرن الرابع الهجري (٨٢٢١) ، يجاور ابن الأثير في أوائل القرن السابع الهجري (١٠٦٠ هـ) وتمازج لغويات الأول دينيات الثاني ، والقاموس المحيط — كما نعرفه — عبارات غير مترجمة لثقافات متغايرة متباعدة ، من فلسفة عقلية إلى طبية عملية ، فأدبية لغوية ، فدينية اعتقادية ، أو غيرها .. معاجمنا لا تسعف على شيء من تحقيق هذا الأصل الثابت في تدرج الألفاظ ... فليس أمام مفسر القرآن حين يتبنى المعنى الأول للألفاظ إلا أن يقوم بعمل في ذلك ، مهما يكن مؤقتاً وقاصراً فإنه هو كل ما يمكن اليوم ، وإلى أن نملك قاموساً اشتقاقياً تدرج فيه دلالات الألفاظ ، وتمايز فيه المعاني اللغوية على ترتيبها ، عن

أعادت عن الترجحات والتشرات ، فذلك نواح أخرى ليست الآن موضع حديثنا ، ولكن بما تعظم المأثرة في هذا التفسير البراسي لكتاب هو أجل وأقدم ، وأوثق ما عرفت العربية من آثارها الأدبية !

تلك الإمامة عما حول القرآن من دراسة ، وهي في جملتها ترجع : إما إلى تحقيق النص وضبطه وبيان تاريخ حياته ... وإما إلى التحريف بالبيئة التي فيها ظهر ، وعما عملت ، وبين مغانها ومعانيها تغلب ... وبعد استيفاء ذلك يكون التقدم إلى :

دراسة القرآن نفسه :

وهي تبدأ بالنظر في المتردات ، والمتأدب يجب أن يقبل عند ذلك ، تدرج دلالة الألفاظ ، وتأثرها في هذا التدرج يشاوت ما بين الأجيال وبفعل الظواهر النفسية والاجتماعية ، وعوامل حضارة الأمة ، وما إلى ذلك مما تعرضت له ألفاظ العربية في تلك الحركة الجياشة المتوثبة التي نمت بها الدولة الإسلامية ، والنهضة الدينية والسياسية والثقافية ، التي خلفت هذا الميراث الكبير من الحضارة ... وقد تناولت هذه اللغة العربية في تلك النهضة أفواه أمم مختلفة الألوان والعوام الماضى والحاضر ، فهبت من كل ذلك خطوات تدرجية فيسحة متباعدة في حياة ألفاظ اللغة العربية ، حتى أصبح من الخطأ البين أن يعتمد متأدب إلى فهم ألفاظ هذا النص القرآني الأدبي الجليل ، فهماً لا يقوم على تقدير تام لهذا التدرج والتغير ، الذي ميس حياة الألفاظ ودلالاتها ، وعلى التنبه إلى أنه إنما يريد ليفهم

(١) لا ينكر ابن خلدون هذا الكتاب ورياسته الدائمة للحياة مع سلكه الوثقى بها . كل ذلك يبيِّن له نعم معان متعددة أو نامية . لكننا مع عدم انكار هذا القدر نرى أنه لا ينبغي أن تنسب إلى القرآن من هذه المعاني إلا ما كان طريق لهما الحس اللغوي للعربية ، وسبيل الانتقال إليه هو دلالة اللغة الأولى في عصر نزول القرآن .. وبيان هذا والتنبه له مما لا يسع له الإقام هنا

بها : وعانى فيها شيئا بما وصفنا أو بشيء من أصل فكرته ، ولكنه لم تتم التقبيل للغوى ، ولم يستوف التتبع القرآني ، وفاته مع ذلك كله فرق ما بين عصره وعصرنا في دراسة اللغات وصلاتها ؛ إلا أنه في كل حال نواة تحجل من بعده ، وبخاصة أهل هذا العصر الطموح ، فيؤملهم ألا يملكوا إلا هذا القاموس القرآني الناقص بل البدائي ، وبالإتزام هذا المنهج الأدبي يربح كمال هذه القاموس ، وقواميس أخرى تتطلبها حياة القرآن ، كتاب العربية الأعظم .

..

ثم بعد المقررات يكون نظر المفسر الأدنى في المركبات ، وهو في ذلك - ولا مرة - مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة . . إلخ ولكن لا على أن الصنعة التحوية عمل مقصود لذاته ، ولا لون بلون التفسير كما كان الحال قديماً : بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى وتحديد به ، والنظر في اتفاق معاني القراءات المختلفة للآيات الواحدة ، واتخاذ الاستعمالات المتماثلة في القرآن كله . . ثم على أن النظرة البلاغية في هذه المركبات ليست هي تلك النظرة الوصفية التي تعني بتطبيق اصطلاح بلاغي بعينه ، وتوجيه أن ما في الآية منه هو كذا لا كذا ؛ أو إخراج الآية في قسم من الأقسام البلاغية دون قسم آخر ؛ كلاء ، بل على أن النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني ، وتسقين معارف هذا الجمال ، وتستجلى قسيماته ، في ذوق بارع قد استشف خصائص التراكيب العربية متضمنا إلى ذلك التاملات العميقة في التراكيب

المعاني الاصطلاحية على ظهرها : فلا معنى للمفسر من النظر في المادة اللغوية اللفظ الذي يريد تفسيره ، لينجي فيها المعاني اللغوية عن غيرها ، ثم ينظر في تلويح المعاني اللغوية للمادة نظرة ترتبها على الظن الغالب ، فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق ، حتى يطمئن - ما استطاع - إلى شيء في ذلك ينتهي منه إلى ترجيح معنى لغوي للكلمة ، كان هو المعروف حين سمعها العرب في أي الكتاب . . . والمفسر في هذا التمييز والنظر مالم - ما أمكن - بمحدث الدراسة في أساليب اللغات وصلة ما بينها ، ليطمئن كذلك إلى أن الكلمة عربية أصيلة . أو هي دخيلة ، وإن كانت لها بيتها ؟ وما معناها الأول ؟ ثم هو يحاذر كذلك من اندفاع معاجمنا في رد للكلمات إلى أصل عربي يشابهها في اللفظ ، مع التكليف في الاشتقاق والربط . .

وإذا ما فرغ من البحث في معنى اللفظة اللغوية ، انقل بعده إلى معناها الاستعمالي في القرآن يتبع ورودها فيه كله ، لينظر في ذلك ، فيخرج منه برأى عن استعمالها : هل كانت له وحدة اطردت في عصور القرآن المختلفة ومناسباته المتغيرة ؟ وإن لم يكن الأمر كذلك ، فما معانيها المتعددة التي استعمالها فيها القرآن ؟ ولما ينتهي بمعناها أو معانيها اللغوية إلى معناها أو معانيها الاستعمالية في القرآن ، وهو بما ينتهي إليه من كل أولئك يفسرها مطلقاً في موضعها من الآية التي جاءت فيها .

وقد حاول الراغب الأصفهاني منذ قرابة ألف عام ، أن يعطينا مفردات القرآن في قاموس خاص

والأساليب القليلة. أمثلة من إلهامها الخاصة بها بين آثار العربية ، بل لمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته فنانا ، وموضوعا موضوعا ، معرفة تين خصائص القرآن في كل فن منها ومزاياه التي تجلو جماله .

ولئن كان مثل هذا مما يطلب أو يوصف في قليل من الجمل أو الأسطر ، فإن تحقيقه ليس بهذه السهولة والقرب ، وإنما يقوم على إصلاح أدبي يلاقي أحسب أن الحياة الأدبية اليوم تحاول ، وهي بالغة منه إن شاء الله مبلغاً حسناً ، ومستفيدة به في التفسير الأدبي للقرآن ، كما تستفيد هذه المحاولة الإصلاحية نفسها بمزاياها لتفسير القرآني ، وإذا أوفى بنا القول على هذا الإصلاح الأدبي فلنأثره إلى ما تبني مراعاته من :

التفسير النفسي : لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس^(١) قد مهد السبيل إلى القول بالإحجاز النفسي للقرآن ، كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة ، بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الماديين التي تناولتها دعاوة القرآن البينية ، وجدله الاعتقادي ، وروايته للوجدانات والقلوب ، واستلله لقديم ما اطمانت إليه ، وتوارثته عن الأسلاف والأجيال ، وتربيتها بما دعا إليه من إيمان ، يقتض مبرم هذا التقدم ، ويهدم أصله . . وكف تلتطف القرآن لذلك كله ، ومما استخدم من خفائ

والحدث عن التفسير النفسي لمكرنا ما عرض

له الأستاذ الإمام - روح الله وروح - من صلة بين

(١) بحث « البلاغة وعلم النفس » - كتاب هذا الكتاب نشر الجزء الثاني من المجلد الرابع لجمعية الآداب سنة ١٩٦٦ .

نور تميز هذه الحقيقة على أن نكتب على أنفسنا وعلى الأجيال . فترجم الكفاية الكاملة والقوة الموفرة . ولئن لم يكن لنا من الكتاب إلا الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التردد الزائف . . . وليس الذي نبغى من هذا المنهج مستحسناً ولا بعيد التحقيق . . . فلهذا اختلفنا بمجملته . . . وأما ما يعضه للقرآن . . . ثم قام المحدثون به كله لحكمهم الأدبية والدينية . . . لئلا نكون نحن . . . بين هؤلاء وأولئك الضالين العاجزين . . . !

وأخيراً . . . هذا المقال . . . في آخره - إيجاز مركز ، وإجمال لامح ، بقرى ذوى الشأن في التفسير بأفاق فيسيحة من الدرس والبحث . . . وما على إذا لم يجد كل قارئ فيه حاجته . . . ليس هنا مجال الاستيفاء . . .

أمين الخولي

المراجع

[بعد ما أشير إليه في الموامش] أمين الخولي :

- ١ - مدخل للنوس التفسير ، وبيان المنهج الجامعي فيه - دراسات في كلية الآداب - مطبوع
- ٢ - دراسات لبعض موضوعات القرآن كقصصه ، وأمثاله ، وشبهه . . . إلخ ، في كلية الآداب - مطبوع
- ٣ - أخلاق القرآن - ومن هدى القرآن . . . بضعة وخسون حديثاً ، في كون من التفسير النصي والواجبي ، مستمد من الحس القوي ، والحواس

التفسير وعلم الاجتماع : قد ذكر (١) أن علم أحوال البشر بما لا يتم التفسير إلا به ، وأنه لابد للنظر في الكتاب من النظر في أحوال البشر . في أطوارهم وأدوارهم ، ومناشئ اختلاف أحوالهم من قوة وضعف ، وعز وذل ، وعلم وجهل ، وإيمان وكفر . . . وهذا هو ما جعلنا نفهم من قوله أنه يريد علم الاجتماع ، وإن لم يسمه . . . ولكنه صلب على ذلك بقوله . . . « ومن العلم بأحوال العالم الكبير ، علوه وسفله ، وبحاج في هذا إلى فنون كثيرة ، من أهمها التاريخ بأنواعه . . . وعلى كل حال فنحن إنما أعطينا بما يقوم به الفهم الأدبي للقرآن ، وهو الفهم الذي يتقدم كل استفادته منه . . . ثم تلاوه بعد ذلك المطالب الأخرى من هداية الخلق ، أو إصلاح حالهم أو التشريع لهم . . . فكل هذا يجب أن يقوم على أساس وطيد من الدرس الأدبي الذي أسلفنا وصفه العلم . . . فيحصل بالتحيرة النفسية كما ذكرناه . . . وقد تتصل المطالب الأخرى بعد ذلك بعلم الاجتماع أو غيره . . .

وبعد فقد وصفنا الذي وصفته من منهج التفسير الأدبي ومطالبه الجليلة ، وأنا ذاكر مالا أنشأه أبداً كلما شرحت المنهج الدقيق لفروسة أمية أو غيرها ، فأقول للمستكبرين : . . . منهما يكن لهذه المطالب من أثر يقل خطانا ويومئز أعمار دراساتنا ، ويشعرنا بالنقص ، ويعود علينا باللائمة فإن هذه هي الحقيقة ، وهذا هو الواجب ، وأولى لنا أن

في اللغة الأرمنية باسم تڤهيس Tphhis (تفلّس
Tphlis) وفي العربية باسم تفلّيس ، ووردت في
كتاب البلاخري تفلّيس : وتذكر من الأسماء المشابهة
مدينة أوليبس أو أوليس التي ذكرها بطليموس
(ج ٥ ؛ فصل ١١) إلى الشمال الشرق من ألبانيا
Albania من أعمال داخستان ، والموضع الذي
يعرف باسم تفلّيس إلى الجنوب من بحيرة أرمية
[انظر ابن قدامة ، ص ٢١٣] وجاء في تلك
الصفحة : يمتد الطريق من دينور إلى أكروبيجان ثم
يتشعب عند برزة وقد تكون سقز (انظر هذه المادة) .
وتفلّيس على مسيرة فرسخين من شمالي برزة على
الطريق إلى أرمينية .

تفلّيس قبل الإسلام :

كانت متسختا Mtskheta العاصمة القديمة
لبلاد الكرج (انظر Geography : Ptolemy ج ٥ ؛
فصل ١٠ ؛ مستليتا = مسكيتا) وهي التي كان يطلق عليها
جغرافيو العرب أحياناً اسم «مسجدخي القرنين» استناداً
إلى اشتقاق شائع (انظر المسعودي : مروج الذهب ،
ج ٢ ، ص ٥٦ ؛ وانظر Marquart : Streifzuge ،
ص ١٨٦) . وجاء في أخبار الكرج أن الأرمستو
القارسي eristhaw (ethnarch) أُنْهَلَ لقتال
وَرَزَّ بَنَكْر (٣٧٩ - ٣٩٣) ملك الكرج من
بيت كسرى الذي اشهر من الساسانيين .
وابن مدينة تفلّيس بن أبواب القوقاز (بن دريكيل
وَدَ بَنْد) حصناً في وجه متسختا (انظر Brosset
Histoire de la Georgie ج ١ ، ص ١٤٠)

الأدبي للقرآن ألا : طبعته منه مجلة الراديو
لمصرى بضع عشرة قطعة في خلال ١٩٤١
- ١٩٤٢ .

«التفضيل» : مصدر الفعل المضعف «تَضَلَّ»
ومعناه لغة الميز أو الزيادة أو التيقن . واسم التفضيل
في النحو هو « اشتراكيتين في صفة وزيادة أحدهما
على الآخر فيها » ويعرف أيضاً « أفضل التفضيل »
لأن القياس جرى على أن يكون على وزن أفضل .

المصادر :

- (١) المعجم العربية للحمدة (٢) Wright-de
A Grammar of the Arabic Language : Geolje
كمبردج سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٨ ، ج ١ ، ص ١٤٠
- ١٤١ (٣) Grammaire Arabe : de Sacy
پاریس سنة ١٨٣١ .

[هيك J.W. Haig]

«تفلّيس» ، وتفلّيس : قصبة بلاد الكرج
وغاصة الجزء الشرقي منها المعروف باسم خرتليا .

اسمها :

تعرف هذه المدينة في لغة الكرج باسم تفلّيسى
Tphlisi أو تڤلّيسي Tphlizi ، والشائع أن هذا
الاسم مشتق من كلمة تڤلّ Tphili ومعناها حار ،
وفي ذلك إشارة إلى مناخ تفلّيس الحارة ، وتعرف

إلى أن هذا الملك هـ الذي أعاد بناء كنيسة سيون Sion في تفليس (ج ١ ، ص ٢٢٢) .

ولما انتصر كسرى برويز على البوزنطيين بعد عام ٦٠٦ انضم اصطفانوس الأول بن كوارام Stephanos إلى الفرس . وقد قنع اصطفانوس هذا بلقب أرساوا أو إثنرخ . وفي عام ٦٢٤ حاصر هرقل Hraclius وحلفاؤه من الترك مدينة تفليس ، فدافع عنها اصطفانوس دفاعاً مجيداً ، ونصب هرقل أدرناس Adarnases من نسل البيت الكسرى القديم زعيماً mthawar على البلاد وأشركه معه الأرساوا جينغو (ورد في Theophanes باسم زيبيل ، وفي Thong tabghu : Marquart Khakin) وقد أخذت القلعة من اصطفانوس ثم قتل .

الفتح العربي :

يُحفظ العرب بن أرمينية وبلاد الكرج (انظر البلاذري ، ص ١٩٤ ، باقوت ، ج ٢ ، ص ٥٧ ويقول فيها إن جرجان ناحية من بلاد أرمينية) ، وفي أخبار الكرج (خرثليس Kharthlis takhowreba) أن الآغار Agarians أغاروا على سمخيا بخرتليا في عهد إصطفانوس الثاني (٦٣٩ - ٩٦٦) ابن أدرناس في تفليس . ويقصد بلفظ سمخيا في هذا المقام بلاد أرمينية ، وهو لفظ مهم لأن بلاد سمخيا من أعمال خرتليا تبدأ إلى الجنوب من نهر خرم على مسيرة عشرين ميلاً تقريباً جنوبي تفليس . وعند وفاة هذا الملك انسحب ولداه مير وأرجل إلى أكرس Agria أي مغرباً

ودمرت قلعة تفليس وقربتها (سوفلي) في الجروب التي استعرت بين الملك وختنك كركسال Gurgosal (٤٤٦ - ٤٩٩) والفرس ، ووضع الملك وختنك أسس مدينة بالقرب من تفليس وأتم ابنه حاجي (٤٩٩ - ٥١٤) بناء أسوارها (الكتاب المذكور ، ص ١٨٠ ، ١٩٦ ، ٢٠١) .

وأقام الفرس في مدينة تفليس مرزباناً بعد عام ٥٢٣ ، أي بعد إخضاعهم للأسرة الحاكمة في بلاد الكرج الشرقية . وكان إلى جانبه طائفة من أشراف الكرج لهم مشاركة اسمية في إدارة البلاد (انظر Brosset ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، Marquart ، كتابه المذكور ص ٣٩٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، Hristi. Vostok : Djawakhov ، ج ١ ، ص ١١٠) . وكان والي مستخداً تحت إشراف هذا المرزبان . ويعد ثيوفانيس البوزنطي Theophanes (القرن السادس) أول كاتب بوزنطي ذكر اسم «إي تفليس» (تفليس) ميروپولس في حوادث عام ٥٧١ (انظر Theoph. byz. apud Photium في Patrologia graeca : Migne ج ١٠٣ ، ص ١٣٩ ، Essai de chronologie byz. : Muralt ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٥٥ ، ج ١ ، ص ١٥٦) .

وانصرف الفرس عن الاهتمام بأبيريا بسبب حرمهم مع الترك والبوزنطيين فطلب أهل الكرج من إمبراطور بورنطة أن يولي عليهم ملكاً فنصب عليهم كوارام البجراتي Bagratid Guaram (٥٧٥ - ٦٠٥ م) وجعل إقامته في مستخدا . وتلعب الرواية

بطريق جُرْزَان وشعبه فلم يكن من حبيب إلا أن وجه خطابه إلى أهل تفليس في وساق متنجكيس من أعمال جُرْزَان في بلاد هَرْمُز (انظر البلاذري ،

ص ٢٠١ ؛ الطبري ج ١ ، ص ٢٧٦٤ ؛ ياقوت ج ١ ، ص ٨٥٧ عن البلاذري) وقد آمن حبيب الأهالي على دينهم ، ولكنه أرسل إلى تفليس لثقيفه عبد الرحمن بن جَزْرَج ليعلمهم أصول الإسلام ، وسرعان ما دخلوا في هذا الدين ، وانخفض حبيب تفليس ثم عاود الفتح حتى دانت له بقاع أخرى يسكنها الكرج وجيرانهم إما حرباً وإما صلحاً (انظر البلاذري ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، وحاول غزويان في كتابه المذكور درس هذه الفتوح) وكان للصناريكية من بين هؤلاء شأن هام (انظر بطليموس ج ٥ ، فصل ٨ ، باب ١٣ : ستارابوي ويطلق عليهم بالأرمينية اسم تسارنخ Tsarnakh) وهم شعب نصراني عذب القتال يمشي كخشياف وفي الكَرَن Alazan العليا . ويلعب مار N.Y.Marr إلى أنهم عين شعب لش Thush الحلال الذي تتصل لفته بلغة الجيجن (انظر *Isr. akad. Nank.* ج ١٠ - ١٢ ص ١٣٧٩ - ١٤٠٨) ،

وكان أهل جُرْزَان (الكرج الشرقية) والأبخاز (انظر هذه المادة) ، ويقصد بها هنا معناها الواسع أي الكرج الغربيين سكان وادي ريونه Rion أي بلاد إمرثيا Imerethia ، يؤمنون الجزية لأمبر العرب في تفليس منذ فتح حبيب إلى عهد التوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) انظر مروج الذهب ج ٢ ، ص ٦٥ ؛ ياقوت ، ج ٢ ، ص ٥٨٣) ولدينا من عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ) كتاب

Mingreia وهي البلاد التي إلى الشمال من ريونه Rion وإلى الغرب من أرميثيا Imerethia حتى البحر الأسود .

وزار بلاد الكرج في عهد حكمهما المشترك (٦٦٣ - ٦٦٨) مَرْوَان قُرُو العاني (أي مروان الأصم) أرسله إلى تلك البلاد أمير المؤمنين هشام الذي حكم من سنة ١٠٥ إلى سنة ١٢٥ هـ (٧٢٤ - ٧٤٣ م) . ويمكن تفسير هذا الخلط والخلط في تسلسل تواريخ الحوادث بأن منازل الكرج في ذلك الوقت قد انتقلت ناحية الغرب إلى بلاد يصعب الوصول إليها من جوزج (كلارجيا) ، على أنهن الممكن ترتيب هذه الحوادث استناداً إلى ما جاء في الروايات العربية والأرمينية (انظر مادة « أرمينية »)

ومن المحقق أن الفتح الغربي قد وصل إلى ما وراء بحر الخزر في عهد الخلفاء المتقدمين . فقد ورد في الطبري (ج ١ ، ص ٢٦٦٦) أن سرافة عقد الصلح مع شهر براز ملك باب الأبواب سنة ٢٢ هـ (٦٤٣ م) ثم أرسل حبيب بن مسلمة لفتح تفليس . ويلكر الطبري أيضاً (ج ١ ، ص ٢٦٧٤) أن الصلح عقد مع أهل هذه المدينة في العام نفسه . والواقع أن هذا الصلح عقد في سنة ٢٥ هـ (٦٤٥ م) على عهد الخليفة عثمان (انظر اليقطيني ، ص ١٩٤ ؛ البلاذري ، ص ١٩٨) . ووجه حبيب بن مسلمة هم إلى بلاد الكرج بعد أن فتح أرمينية (انظر هذه المادة) . وقد مثل في حضرته رسول من قبل الكرج يدعى نيقولا نيوفيلاس (Tity=Theophilas ? Niky - Nicolas) مرحباً بقلعه باسم

عامر بن إسحاق من هزيمتهم ، ثم عاد إلى تفليس وقتل من بها من الأسرى . وقام الخزر بغزوة عام ١٨٣هـ (٧٩٩ م) إذ تقدم ملكهم حتى الجسر المقام فوق نهر الكَرّ ونهب البلاد ، ولكن لم يذكر العرب خبر الاستيلاء على تفليس (يعقوبى ، ج ٢ ، ص ٥١٨ ، الطبرى ، ج ٣ ، ص ٦٤٨) وجاء فى أخبار الكرج أن بلوچن (بالأرمينية بلجآن) قائد الخاقان قد استولى على تفليس فى حكم الأخوين ليون وجون نشر هذه المدينة (٧١٨-٧٨٦) كما أضع خرثليا . ويعتبر خزيمة بن خازم أغلظ الولاة الذين نصبهم هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ = ٧٨٦-٨٠٩ م) على أرمينية (انظر البلاذرى ، ص ٢١٠) ويسميه أهل الكرج سِيچْجُومَ أسيم . وأكليليقوى (ج ٢ ، ص ٢١٠) غلظه فى ولايته الثانية . وثار أهل جرجان (تقرأ جرجان) والصنارية ، ولكن خزيمة قائد جند سعيد بن الميثم أوقع بهم الهزيمة وأخرجهم من البلاد ثم عاد إلى تفليس .

وفى عهد الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)

وطد محمد بن عتّاب سلطانه فى أرمينية وأضعف سنة ٢١٤هـ (٨٢٩ م) بلاد جرجان وانضم إليه الصنارية- (يعقوبى ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ ، ٥٦٥ - ٥٦٦) . وأمن خالد بن يزيد محمد بن عتاب وهزم حلفاءه الصنارية ، حتى أن هلا لم يقض على القنّة فى أرمينية (يعقوبى ، ج ٢ ، ص ٥٦٦ ، البلاذرى ، ص ٢١٠-٢١١) وفى سنة ٢١٥-٢٣٩هـ (٨٣٠-٨٥٣ م) انقطع إسحاق بن إسحاق إمارة له من بلاد الكرج .

يقرب فيه الجراح بن عبد الله لأهل جرجان المنح إلى سبق أن جعلها لم حبيب بن مسلمة (انظر البلاذرى ، ص ٢٠٢) وبه إشارة إلى رستاق منجليس ، ولكن هنالك أيضاً عدة أسماء لا ماكن لم تعرف عليها بعد .

وكثيراً ما غلظ بين رجلين عند الكلام عن « مروان قرو » الذى جاء خبره فى الروايات الأرمينية والكرجية . وهما : محمد بن مروان ، ولعله الذى تسمع عنه الكرج من الأرمن ، وولده مروان بن محمد الذى كان فى عهد هشام (١٠٥-١٢٥هـ) يقاتل على الأنص فى داغستان . وما من شك فى أن حملته على باب اللان قد اخترقت إقليم تفليس : وكان معسكره الرئيسى عند كيسال (٩) على مسيرة خمسين فرسخاً من تفليس وأربعين فرسخاً من برتوخة . ومن الراجح أن تكون كسال هذه أسفل مدينة تأرُس كى يستقيم الوصف (انظر فيما بعد) : وقد وصل إلينا درهم ضرب فى تفليس عام ٨٥هـ (٧٠٤ م) فى عهد الخليفة عبد الملك .

العهد العباسى :

أغار الخزر بقيادة الرأس طرخان عام ١٤١هـ (٧٥٨ م) على بلاد أرمينية (انظر يعقوبى ، ج ٢ ، ص ٤٤٦) . ويتحدث الطبرى (ج ٣ ، ص ٣٢٨) عن هذه الحرب فى حوادث سنة ١٤٧هـ (٧٦٤ م) فيقول إنه أسرى فى غزوة أستاخرخان الخوارزمى (كئنا) كثير من المسلمين . وأهل التمة ودخل الترك مدينة تفليس . ويقول يعقوبى إن فتنة الصنارية حدثت بعد عام ١٤١ مباشرة . ويمكن

إسحاق بن إسماعيل :

(خريف عام ٨٥٢ م) ثم أخذ يرقب الحركة من فوق التلال العالية بالقرب من صُغْدِيل ، وهي تلال مَسْخَا التي إلى الشمال من إسنِي Isani أي صغدييل (انظر وصف تفليس فيما يلي) .

ونفذ إسحاق من صفوف العدو ولكن « نَقَاطِين » (قاذفات اللهب اليونانية) بها أضرمت النار في المدينة وحرقت قصر إسحاق وأسر الترك والمغاربة ابنه عمرو وقطع رأس إسحاق وهلك خمسون ألفاً (٢) بسبب اشتعال النيران في المدينة ، وأسر المغاربة من كان حياً من أهل المدينة وسلبوا من وقع منهم صريعاً : وكانت زوج إسحاق ابنة صاحب السرير (إمارة الآوار إلى الشمال من داغستان) في صغدييل التي كان يدافع عنها الخوئية (شعب صاصون انظر مادة « يافارقين ») وقد آمن بها الخوئية على حياتهم على شرط أن يلقوا أسلحتهم وأن يتابعوا حروبه في اتجاه جَرْدَمَكان وبَيْسَلْكان .

(انظر الطبرى ، ج ٣ ، ص ١١١٤ - ١١١٦) وانظر Thomas Artabuni ، ج ٣ ، فصل ٩ - ١٠ ، طبعة Brosset ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧٤ ، ص ١٤٠ - ١٥٠) . وورد في كتابة كرجية بكنيسة أتني Ateni أن بقا استولى على تفليس عام ٨٢٣٩ . (انظر Khrist. Vostok : Djawakhov) سنة ١٩١٢ ، ج ١ ، ص ٢٨٤) . وكان تخريب هذه الإمارة الإسلامية - موطن موالى الأمويين القدماء - مغلطة يزد تباركها وقعت فيها الخلافة ، إذ كانت هذه الإمارة المركز الذي تجتمع حوله الأهليون . ويروى المؤرخون العرب أن سلطان العرب

يقول المسعودى إن إسحاق قرشى الأصل (مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٦٥) وكان أبوه إسماعيل بن شعيب مولى مروان الثاني (١٢٦ - ١٣٢ هـ = ٧٤٤ - ٧٥٠ م) وقد استقر في بلاد الكرج في عهد الخليفة الأمين (١٩٣ - ١٩٦ هـ) وكان بينه وبين الولي أسد بن يزيد حملة متناوشات (العقبى ، ج ٢ ، ص ٥٢٨) . وذكر اسم علي بن شعيب عم إسحاق في أخبار الكرج (ج ١ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦٥) ويقال إنه أخذ تفليس من خالد والراجع أن ذلك كان بعد عهد محمد بن عتاب . وكان اسم إسحاق معروفاً في ولاية حسن الباذغيسى ثاني من ولي الحكم بعد خالد . وعند ما وصل جنود تيوفيلوس Theophilos (٨٢٩ - ٨٤٢ م) من البوزنطين إلى وَتَنْد بالقرب من قارص قطع سيك ولد إسماعيل أوصالهم (انظر Asrlık Stephen ، ج ٢ ، فصل ٥ ، ترجمة Dulaurier ، ص ١٧١) . وكان من نتيجة هذه الأعمال الباهرة أن أطلق الخليفة الواثق (٨٤٢ - ٨٤٧ م) يد إسحاق في أرمينية ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً لأن عمداً ولدخاله وخليفته هزم إسحاق وطرد الصنارية . وجاء في أخبار الكرج أن أمراءهم الذين كانوا لا يرهبون الخلافة لبعدها عنهم ساعدوا عمداً على إسحاق كما ساعدوا حلفاءه وهم أهل كفتيا والصنارية .

ثم حدث أخيراً في عهد المتوكل أن أرسل بقا الكبير الشرائى الركني إلى أرمينية . وخرج بقا من ديبيل إلى تفليس في ربيع الأول عام ٢٣٨ هـ

في القوقاز بدأ في الاضمحلال منذ ذلك العهد (انظر المسعودي ، ج ٢ ، ص ٦٧ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ٥٨) : واستدعى بغا من تلك البلاد بعد ذلك مباشرة : (انظر Brosset : كتابه المذكور ، ج ١ ص ٢٦٦ - ٢٦٨ ، وانظر Thomas Artsruni). وكان بتفليس دار لسك الدراهم ظلت باقية حتى عام ٩٢٢ ميلادية . زمن المعروف أن السكة ضربت في التواريخ التالية : ٢١٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ هـ : (انظر Tischenhausen : *Monnaies des Khalifs orientaux* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧٣ ، وخاصة باخوموف Fakhomov : كتابه المذكور) .

الساجية والسالارية والشكادارية

قامت في آذربيجان في ذلك الوقت أول أسرة إسلامية قبضت على أزمة الأمور مع خضوعها لحكومة بغداد ، ونفى بها الأسرة الساجية (عام ٢٧٦ أو ٢٧٩ - ٣١٧ هـ ، انظر . هذه

المادة وانظر أيضاً R. Vannier : *O monetakh* .

Sadyidov Izvestia Obshe. izuch Azarb.

باكو سنة ١٩٢٧ ، رقم ٥ ، ص ٢٢ - ٥١) .

فقد سار أبو القاسم يوسف لشدة أذى المسلمين

المنزليين في الشمال ، فوصل إلى تفليس عام ٩١٢

(٤) وكان أميرها يدعى جعفر بن علي (انظر

بعد) واستولى على قلعة أجرتو وقلعة بجرتو على

مجرى أبورا Iora الأعلى (انظر Brosset ، ج ١ ،

ص ٢٧٥ ، تعليق ٢) . وتذكر أخبار الكرج حلة

أخرى فيها بن عاي ٩١٨ و ٩٢٣ قام بها الساج

واستولوا على مسجد ذي القرنين . ولا تذكر المصادر

الإسلامية شيئاً عن هذه الحملة . وجاء في أخبار

الكرج بعد ذلك خبر ظهور السالارية (انظر هذه

المادة) في برزعة وآذربيجان .

وأعان جمراط (٨٢٦ - ٨٧٦ م) الخليفة

على إسحاق إلا أن الأسرة الشرقية لم تغم من وراء

ذلك ما كانت تأمله . فاستولت الأسرة المنافسة لها

التي استديعت من أمخازيا (راجع مملوك خرثليا هـ

فيما كتبناه آنفاً) على خرثليا . ويقول المسعودي الذي

صنف كتابه عام ٣٣٢ هـ الموافق ٩٤٢ م (مروج

الذهب ، ج ٢ ، ص ٦٩ ، ٧٤) : ولما نهر كرت

قبداه من بلاد جرجان من مملكة جرجين (وهو من

سلالة البجاردة الأبيديين وتوفي عام ٩٤١ م ،

انظر Marquart ، ص ١٧٦) ومعه ببلاد أمخاز

(كلما) حتى أتى ثغر تفليس هـ . وكان الكفار

يحيطون بسكان هذه المنطقة من كل جانب ولكنهم مع

ذلك لم يفتقدوا شجاعهم وكان عددهم كبيراً هـ

بجرات الثالث وبجرات الرابع :

نستدل من عدد المارد على هذه البلاد
 وأنه قد غلبت علما القوضى (Bermet) حتى
 جاء بجرات الثالث (٩٨٠-١٠١٤) فوجد خرتاليا
 وأختازيا وتآو (على نهر چورخ) وأردنج . وفي
 عهده غزا فضلون الشدادي (انظر هذه المادة)
 أرمينية ولكنه هزم على يد الكرج . وكان مسجد ذي
 القرنين مقر الملك على الدوام . ولكن الأحكام كانوا
 يعيشون في كوتاي (خنكسي) . وفي عام ١٠٣٠م
 (٤٢١ هـ) شن أشراف الكرج وكختيا - يماونهم
 جعفر أمير تفليس - الغارة على فضلون الكنجوي ،
 فلما مات فضلون احتل ليرت أربيلاني أمير ثريالث
 Thrialetl القوي على جعفر فأمره ، وثريلث هذه
 على المجري الأعلى لهر خرم ، ولم يطلق سراحه
 إلا بشفاة الملك الحدث بجرات الرابع (١٠٢٧ -
 ١٠٧٢م) وكان غرضه ألا تقع تفليس في يد ليرت
 Liparit الشقيف ، وأعيد جعفر إلى حكم تفليس
 ولكن الملك حاصرها بعد ذلك بسنوات . واستمر
 الحصار عامين صالح الملك في نهايتهما جعفر
 على غير انتظار عشوة ليرت . وبعد وفاة جعفر
 سلم شيوخ (بر) تفليس مفتاح المدينة إلى بجرات
 فاحتل قلعة دار الجلال والرجين : تسمى قلقة
 وثبور Thabor (انظر وصف تفليس فيما بعد) ،
 وخرب سكان حتى إستن Isan (على الضفة اليسرى
 لهر كهر) الجسر فاضطر بجرات إلى ضربهم بالمخانيق .

السلالة :

ظهرت جنود إبراهيم يتال (بالكرجية بهرام

لام) سنة ١٠٤٨ أول مرة في باسيان Basian
 (باسين Pasin على المجري الأعلى لهر الرّس) .
 وأغار السلاجقة في سنة ١٠٥٣ - (؟) على كنجة
 ولكن البوزنطين حلفاء بجرات الرابع كروا عليهم
 فأقلدوا المدينة . وعند ذلك استدعى أهل تفليس
 بجرات من جديد ولكن البوزنطين احتجزوه في
 القسطنطينية ثلاث سنوات بدمالس ليرت .
 واستعاد بجرات بعد ذلك الجزء الأكبر من حصونه ،
 وفي هذا الوقت أغار آلپ أرسلان (١٠٦٣ -
 ١٠٧٩م) على الكرج فجأة (Brosset ١٦٠ ص
 ٣٢٦) . وفي العاشر من ديسمبر عام ١٠٦٨
 سار آلپ أرسلان صحبة ملوك أرمينية وكختيا
 (أفسرئ بن ككيك من أسرة كورديكوز Korikos
 Chorepisopi) التي حكمت من عام ٧٨٧ إلى
 ١١٠٥) وأمير تفليس الملاقة بجرات . وقد تمكن
 من احتلال جميع خرتاليا وضيع كثيراً من النصارى
 وأسر عدداً كبيراً منهم . وعرض الشداية عما فقدوه
 فأعطيت تفليس ورستو إلى فضلون الكنجوي
 وأعطيت آني Ani إلى منوچهر بن أبي الأسوار ،
 وعاد بجرات إلى خرتاليا في ربيع عام ١٠٦٩ . وعسكر
 فضلون عنه إسن (وهي ضاحية على الشاطئ الأيسر)
 على رأس جيش عدته ٣٣ ألف مقاتل وحدث في
 البلاد فساداً ، وأوقع بجرات المفزعة بفضلون ضر
 مخترقاً كختيا ولكنه وقع أسيراً في يد أفسرئ .
 وأطلق بجرات سراح فضلون بعد أن نزل عن حصنه
 قلاع على نهر لوريورا Iora كما نزل عن تفليس . وفي
 ذلك الوقت نودي برجل يدعى سثرب (سيد العرب ؟)
 أميراً على تفليس . وأُعيد آلپ أرسلان هذا

التدبير ، إذ تمكن من إطلاق سراح قضاة : واتخذ جيورجي الثاني Giorgi II بن بجراف (حكم من ١٠٧٢ م إلى ١٠٨٩ م وعاش إلى عام ١١٢٥ م) مدينة كوتايس Kutais مقرأ له ، واحتفظ أغسرتن بأملأكه في كتيخا على أن يبخل في الإسلام .

داود الثاني :

وقامت النهضة في عهد داود الثاني أغمشيلي Aghamashanebeli (ومعنى هذا اللفظ المصلح) الذي تلقب بملك خرتليا وأبخازيا (١٠٨٩-١١٢٥) وأدخل في بلاد الكرج من عمر اللان (دويال) أربعين ألف قساق (بولوقسي) وخمسة آلاف عبد نصرهوا : وقد عاون هؤلاء المنصرة الزارعون إلى الحرب داود على الرغم من جموعهم ، فتمكن بفضلهم من القضاء على سلطان السلاجقة ، وامتنع عن أداء الخراج وأوقف هجرة الترك إلى بلاد الكرج ، وكانت تحدث في مواسم . وزوج ابنته ثمر من شروانشاه (انظر هذه المادة) أنستان (واسمه بالكرجية أغسرتن) وعدة من أقباله .

الاستيلاء على تفليس عام ٥١٥ هـ (١١٢١ م) :

أنفذ محمود بن محمد السلجوقي (١١١٨ - ١١٣١ م) حملة على الكرج لغاية مسلمي تفليس . وقد اشترك في هذه الحملة كل من نجم الدين غازي الأرتقي ودييس بن صدقة المزيدي (عرف باسم دربز Durbez في أخبار الكرج) وأخو السلطان طغرل (صاحب أران وفتجوان) يصحبه أتابكة كُنتغندي . ودخل هذا الجيش ثريال ومنتجيس في

الثامن عشر من أغسطس سنة ١١٢١ ، ولكنه منى بالفرجة على يد داود ومن معه من القفجاق . وفي عام ٥١٥ هـ (١١٢١ - ١١٢٢ م) فتح داود تفليس عنوة لكي تصبح « أبداً دار الصنعة ومقر الملك لأبنائه » (Brosset ، ج ١ ، ص ٣٦٥ - ٣٦٧ ، والإضافات ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣٦ - ٢٤١ ، وانظر ابن الأثير ج ١٠ ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ، كمال الدين : تاريخ حلب في *Renaissance des hist.* ، كمال الدين : تاريخ حلب في *des croisades* ، ج ٣ ، ص ٦٢٨ ، باقوت ، ج ١ ، ص ٨٥٧) . ويقول المؤرخ العربي الصيقي (١٣٦٠ - ١٤٥١ م) ، الذي اعتمد على مصادر لم يصل إلينا بعضها بأن تفليس قد أحرقت ونهبت ، ولكنه يخالف المصادر الأخرى التي تؤكد خبر المظالم التي أقرها داود (Matth. of Edessa في Brosset ، الإضافات ج ١ ، ص ٢٣٠) فيذكر أن الملك قد أحترم شعور المسلمين أكثر مما صنع الحكام المسلمون أنفسهم . ويقال أيضاً إن داود وعد بأن ينقش على السكة صورة من القصص الإسلامي ، ومع ذلك فإن العملة التي سكها هذا الملك عليها صورة الملراء (Adonisi etc. : Pakhomow ، ص ٧٧ - ٨١) . وكان من الضروري اتخاذ الحيلة القصوى في معاملة المسلمين ، لأن القتال بين المسلمين والتصارى كان كما جاء في أخبار الكرج ، لا يزال على أشده (انظر Brosset ، ج ١ ، ص ٣٨٠) .

بنو جعفر :

خلف بنو جعفر داود في حكم تفليس ، ولما تعرف هل كانوا من العرب أو من الكرج الخلف ؟

جاء في أخبار الكرج (ج ١ ، ص ٣٦٧) أن المسلمين حكموا تفليس أربعاً مائة سنة ، بينما يذكر العيني أن بني جعفر وحكم حكموها مائة سنة ، ومن المحقق أنه كان يحكم تفليس حوالي سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) أمير يدعى جعفر [بن علي] (انظر Brosset ، ج ١ ، ص ٢٧٥) وضرب خطبته السيكة في تفليس . ولدنا دراهم المنصور بن جعفر تاريخها عام ٣٤٢ وعام ٣٤٣ هـ باسم الخليفة المطيع لله ، وأخرى لجعفر بن منصور تاريخها عام ٣٦٤ و٣٦٦ هـ باسم الخليفة الطالع لله . وكان أمير تفليس في عهد بجرط الرابع (١٠٢٧ - ١٠٧٢ م) يدعى جعفرأ وقد استولى أبوه على أملاك كنيسة سبوتى تسخوى Sweti - Tikhoweli . في منسختها ، وتسمى في أخبار الكرج باسم « مَحْتَتْ كُيُورْد جِغَمَر » وغتت كُورْد اسم موضع بالقرب من منسختها ، وكان يحكم تفليس خلال الأربعين سنة التي سبقت فتح داود هذه المدينة أحداث من أسرة جعفر حكم كل منهم شهراً على التوالي (انظر العيني) .

الملوك الأقوياء :

كان عهد ديمتري (١١٢٥ - ١١٥٤ م) مسرحاً لحرب أهلية مع أسرة أربلياني Orbeliani وقد عاصره من الملوك المسلمين الأتابك إيلدكتر (بالكرجية إيلدكوز) في آذربيجان ، وسلالة الشدادية في آق ، وظهير الدين شاه أرمن (١١٢٨ - ١١٨٣ م) في خلاط ، والأمير صُلْتَنِي بن علي في أوزن الروم وهو الذي هزمه الكرج بالقرب من آق عام ٥٤٨ هـ الموافق ١١٥٣ م (انظر ابن الأثير

وغلّت الدول الإسلامية التي حول الكرج على حطاً في عهد جيورجي الثالث (١١٥٦ - ١١٨٤ م) وقام هذا الملك بعدة حملات شديدة على أوزن الروم وآق ودين وتيجوان وكنجة وبرذعة وبيتلخان ، كما ذهب إلى دويند لمساعدة ابن عمه شروانشاه أخيشتان ابن ثمر عمه جيورجي (انظر Brosset ، ج ١ ، ص ٣٨٣ - ٤٠٣ ، والإضافات ، ج ١ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٧ ، ٢٦٦ ، ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٩) :

وكان عهد عمر (١١٨٤ - ١٢١١ أو ١٢١٢ م) « شمس خرتليا » أزهى اليهود في تاريخ الكرج ،

وتغلطت في الكرج العادات الإسلامية ، فقد تلقب
القائد إيوانى بالأتابك وهو من ألقاب السلاطين
(Brosset ، ج ١ ، ص ٤٧٤) . وسمعا غير
فتنة قام بها كزّان Gozan بن أبي الحسن أمير نفائس
وخرثليا في عهد عمر : أيكون هذا الأمير من سلالة
بنى جعفر ؟

المغول :

جى جيورجى الثالث لشا بن عمر (وولشا)
في لغة الأبخاز معناها جليل) الذى حكم من سنة
١٢١٢ - ١٢٢٣ م الخراج من كنجة وتقجوان
وأرزن الروم (كرنوكلاك Karnukalak)
وخلاط ، ولكن جند سبّائى وجوبه من المغول
(باللغة الكرجية سبّا Suba وإيانه أو جوبّه)
ظهرت في فارس عام ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) وأوقعت
الغزوة بالكرج مرات ، وتعد أخبار الكرج للفرقة
التي حشنت عند بريدج إيلناأ بإديار الحظ من
جيوش الكرج ، وكانت قبل ذلك لا تتهرأ ،
(انظر Brosset ، ج ١ ، ص ٤٩٣) ،

وتوفى جيورجى فجأة ، فخلفته على العرش
أخته ، سُدّان Runudan (١٢٢٣ - ١٢٤٧ م)
وهي التي يعرفها المسلمون باسم « قيزملك » أي
الملكة الطمرا ، وكانت أميرة حسنة عابطة طلب
يدها جيرانها من المسلمين (Brosset ، ج ١ ، ص
٤٩٥) . واختارت مبيث الدين طغرل صاحب
أرزن الروم السلجوقي وطغرل تكتب باللغة الكرجية
أرثل Ortlul ، وقد تنص طاعة لأبيه :

إذ كانت البلاد مقبلة من بعد على من قاسية .
وأجبرت مملكة الكرج المسيحية أمراء السلاجقة على
قبول الصلح وبذلك اتخذت خطّة الهجوم وأحاطت
نفسها بأقوال من المسلمين . وكان ثمر شأن هام في
إنشاء إمبراطورية كومينينوى Comnenoi بأطرابزندة
(انظر Kunik : 1204 : *Onov. Trapez. imperii*)
Uchen. ap. Akad. Nauk ، ج ٢ ، ص
٧٠٥ - ٧٣٣) : وأوقعت جنودها الذين خرجوا
من ناحية أرزن الروم وأرزنجان الهزائم بالإيلديكيز
في آذربيجان : وجاء في كتاب « سلسلة النسب
الصفوية » (برلين سنة ١٨٤٣ ، ص ٤٣) وانظر
Mil. Asiatique : Khanykow ، ج ١ ، ص
١٨٥٢ ، ص ٥٨٠ - ٥٨٣) ما يؤيد نسب
الكرج أردييل (انظر Brosset ، ج ١ ، ص ٤٦٩ -
٤٧٣) . وجاء في أخبار الكرج أيضاً في
حوادث عام ١٢١٠ - ١٢١٢ م خبر حملة
اكتسحت شمال فارس حتى رَمَجَار Romguaro
بالقرب من نيسابور إلا أن أخبار هذه الحملة فيها
بعد غزوة تبريز ضرب من الخيال (Brosset ،
ج ١ ، ص ٤٦٩ - ٤٧٣) . ولم تدم غلبة الكرج على
الرحم من انتصارات القائلين زخاري وإيوانى
Iwané الباهرة وما ينسبان إلى بيت عمر كرزول
Mkhargardzel وهو بيت أرمي من أصل كردى
(انظر Brosset ، الإضافات ج ١ ، ص
٢٦٧) ولم تحفظ الملكة عمر من كل هذه الفتوح إلا
مدينة قارص (انظر Brosset ، ج ١ ، ص ٤٦٧) .
أما في داخل البلاد فقد كان لزيداد سلطان أمراء
الإقطاع (جوخو) يتطلب من الملكة عناية واهتماماً :

الذي كان مشغولاً في جهات أخرى ، إلى بلاد الكرج إلا في عام ١٢٢٨ عندما شنت في مندور Mindor (معناها في اللغة الكرجية حقل) بالقرب من لوريه Lore شمل جيوش كبير القواد إيواني ، وكانت هذه الجيوش شعبياً شتى من الكرج واللان والأرمن وشعب السريز (وهم أورداغستان) واللكر Lake والقفجاق والسون Swan والأغنيساز والجنيت (جان - إتي ، انظر مادة « لاز ») وأناس من الشام وآسية الصغرى (انظر الجويني ، ج ٢ ، ص ١٧٠) . وجاء في أخبار الكرج (Brosset ، ج ١ ، ص ٥١٠) أن جلال الدين ارتكب مظالم جديدة في تفليس عقب انتصاره في بُلُتَيْس (مندور ؟) غزوة المغول الثانية :

اختفى جلال الدين من الميدان عام ٦٢٨ هـ (أغسطس ١٢٣١) ولكن من بين من الخوارزمية أثاروا القلاقل في القسم الشرقي من بلاد الكرج وألزموا أمراء الإقطاع حصونهم . وكانت تفليس لا تزال في أيدي رُسُلِها عندما دخل مغول جرمغان الكرج عن طريق كنجة عام ١٢٣٦ (Brosset ، ج ١ ، ص ٣٣٣) وجاء في كتاب (d'Ohsson ، ج ٣ ، ص ٧٥) أن ذلك حدث عام ٦٣٢ هـ الموافق ١٢٣٥ م ، وتركت رُسُلُ تفليس إلى كوتاييس ، ثم أحرق وإلى تفليس المليبة (Brosset ، ج ١ ، ص ٥١٤ : « وهكذا دمرت مدينة تفليس »)

واحتل التوتيين Noin البلاد ودمروا مدينة تفليس . وترد في أخبار الكرج دائماً أسماء أربعة من هؤلاء التوتيين هم : جرمغان ، وچفر ، وأيوسر Iosr

ووصفت ابن الأثير هذه الحادثة بقوله « حادثة غريبة لم يوجد مثلاً » (ابن الأثير ، ج ١٢ ، ص ٢٧٠) : وقالت هذه الملكة في رسالة لها إلى البابا إينوسانت الثالث Innocent III ، الذي اعتلى الكرسي البابوي برومة في عام ١٢٢٤ أن غزوة المغول كانت حادثة عابرة ، ولكن علواً جليداً يقف على الأبواب :

وهزم جلال الدين خوارزمشاه أهل الكرج عند كرتي في شعبان عام ٦٢٢ هـ الموافق أغسطس عام ١٢٢٥ (ابن الأثير ، ج ١٢ ، ص ٢٨٣ ، النسوي ، طبعة Houdas ، ص ١١٢ ، Brosset ، add ج ١ ، ص ٣٠٩) ، واعتشلوه قائدهم أسيراً ، ويذكر الجويني أنه أمر هو وأخوه (الجويني ، ج ٢ ، ص ١٥٩) : وسقطت مدينة تيريز في التاسع من شهر مارس عام ١٢٢٦ بسبب خيانة الفرس الذين كانوا يعيشون فيها . ويذكر الجويني أن جلال الدين أبقى على حياة الأهلين وسمح لهم بالانسحاب إلى أغانابا ولكنه هدم جميع معابد النصراني . حل أن ابن الأثير يقول إن المدينة أخلت « حنوة وقهراً من غير أمان » وقتل جميع الذين رفضوا الإسلام ، ويؤيد النسوي أيضاً (ص ١٢٢) خبر مقتل جميع الكرج والأرمن الذين كانوا في تفليس (Brosset ، ج ١ ، ص ٥٠٤ - ٥٠٧) . وعين الوزير شرف الملك والياً على هذه المدينة ، وعندما ذهب هذا الوالي إلى مشته في كنجة ، عاد الكرج إلى تفليس وأحرقوها لأنهم أدركوا أن ليس في وسعهم الاحتفاظ بها (النسوي ، ص ١٢٥) . ولم يجد جلال الدين ،

وبجوى : وانحصر سلطان رسلن في وادى ريونه

• Rion

وغر المغول نظام البلاد السياسى ، فألزموا الكرج خلعهم ، زسروهم لمحاربة غياث الدين سلجوق الروم والإسماعيلية في «ألموت» وينداد وغير ذلك . وقسمت البلاد إلى ستة تومانات ووزع بين التوتين إقطاع أمراء الكرج (منور inthawar) التي أصابها الخضير . واضطر أعيان البلاد إلى الذهاب إلى باتوخان ثم إلى الخان الأكبر في منغوليا حيث مكثوا سنوات . وهكذا أخرج من البلاد ولى العهد داود ويعرف في اللغة المنغولية باسم «نارن» أى «الجليل» وحاول إكسارسلان (Brosset ج ١ ، ص ٥٤٢) أن يجمع البلاد ضد المغول (ولم يكن يعوزه إلا لقب الملك) ولكن المغول أثاروا عليه داود بن جيورجى لشا الذى توج في متسخيتا . وكان عليه أيضاً أن يلعب إلى باتو وإلى قره قورم . وورد ذكر «الداودين» بن من حضر إلى قورلتاي كويوك خان عام ٦٤٣ هـ الموافق ١٢٤٥ م (انظر الجوينى ، ج ١ ، ص ٢٠٥ ، ٢١٢ ، رشيد الدين ، طبعة Blochet ، ص ٢٤٢) . وقد عادا إلى الكرج بعد ارتقاء منسكك العرش (١٢٤٨-١٢٥٩ م) واشتركا معاً في الحكم بادئ الأمر .

وكان هولوكو لايميل إلى داود تارن قهر هذا إلى أنجازيا . وجاء في أخبار الكرج أن البلاد انقسمت لِمَارتين بسبب ذلك (Brosset ، ج ١ ، ص ٥٤٦) . وكان بالكرج الشرقية قيلان : باتوخان من القوقاز ،

وكان يرغب في بسط سلطانه على الكرج ، ثم إيلمخانية فارس الذين أبدوا احتهم في حكم الكرج ، وقد ضاق داود بن لشا غوجه عزيز صاحب خراج المغول (رشيد الدين ، طبعة Quatremère ، ص ٣٩٥ ، ويسميه أحد حكام الكرج) ، لا يترزاه الأموال فقر إلى ابن عمه . واحتل التوتين أويرات أرغون ، مدينة تفليس . ولم يَم الوفاق بينهما إلا عندما اشترك داود بن لشا مع هولوكو في قتال جيوش بركه ، خليفة باتو ، الذى فتح شروان عام ١٢٦٢ (d'Oshon ج ٣ ، ص ١٨٢) . وفى عهد أباقا ، عاد بركه إلى ما وراء القوقاز ثم وصل إلى تفليس حيث قتل كثيراً من النصارى عام ١٢٦٦ (المصدر السابق ، ص ٤١٨) .

وخلفت داود بن لشا ولده ديمتري الثالث (١٢٧٣ - ١٢٨٩) الذى اشترك في الحروب المتعددة التي شنها أباقا وأحمد . وفى عهد أرغون صودرت أموال ديمتري وقطع رأسه بعد أن جلد في أردو . ويطلق عليه الكرج اسم «توداده بوى» Thaw-Dadeboli أى الذى ضحى برأسه .

وقد أقام المغول عدة ملوك ثم غلبهم ، وهما حاول داود السادس (١٢٩٢ - ١٣١٠) أن يتفاوض مع خان بيت باتو (أخيه Otakha - تختنور) ولم يجد بداً من أن يرسل إلى غازان وفداً من جالليق الأرثوذكس وقاضى تفليس (Brosset ، ج ١ ، ص ٦١١) . وهذا يدلنا على مدى انتمائهم للإسلام نتيجة لاحتلال غازان العرش . وظل أهل الكرج يشتركون في جميع حروب المغول ولم

(Nève : Exposé ، ص ٣٧) خبر ارتداد الملك عن دينه ، بيد أن ذلك كان خدعة بارعة مكنته من القضاء على اثني عشر ألفاً من جنود تيمور واستعادة أملاكه. وخلفه على العرش ولده جيورجي عام ١٣٩٥ م. ولم ترد في كتاب « ظفر نامه » (ج ١

ص ٧٥٥ ، ٧٢٠) تفاصيل هذه الحوادث . ولم يذكر في حوادث عام ٧٩٦ هـ (١٣٩٤ م) إلا خبر لإرسال أربعة قواد إلى إقليم آخال تسميته (أخصه ، انظر هذه المادة) لتطبيق « قانون غزا » . وعاقب تيمور بنفسه أهل الكرج المعروفين باسم « قره قاقاقلان » (ذوى اللبوع السوداء ، وهم الكرج من أهل الجبال ، والبشلو والغو سور) ثم عاد إلى شكي (انظر هذه المادة) بطريق تفليس . وفي عام ٨٧٩٨ هـ (١٣٩٥ م) تحالف الكرج مع سيدي على الشكي (انظر هذه المادة) وهزموا جنود ميران شاه التيمورى الذى كان يحاصر ألتنجق بالقرب من تقجوران وأطلقوا سراح طاهر جللاير وكان سجيناً فيها (المصدر السابق) ،

ج ٢ ، ص ٢٠٣) : وظهرت عاقبة هذا الحادث في شتاء عام ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) عندما استولى تيمور على شكي ، فإنه خرب ممر خيمشا (?) الكثير الثغبات بلا رحمة ، وهذا الممر كان على الأرجح في كخنيا الشمالية ، وكان به إقطاع لأسرة خشية عند مَرِّى إلى الشرق من ثيوتى (Brosset ، ج ٢ ، ص ٤٦٤) . وسار تيمور في ربيع عام ١٤٠٠ إلى تفليس وطلب من الملك جيورجي (كركين) أن يسلم بسلطان طاهر ، ولكنه لم يثن رداً شافياً فخرّب البلاد عن آخرها (للمصدر السابق) ، ج ٢ ، ص

ينجهم هذا من الاضطهاد (انظر مقال التوتين نوروز المسلم في عهد غازان ، Brosset ج ١ ، ص ٦١٧) أو الإكراه على ترك دينهم (مثل ما حدث بعد حملة جيلان عام ١٣٠٧) .

جيورجي الخامس :

ارتقى جيورجي الخامس برتبةقواله (Brakinwale أى الجليل) العرش (١٣١٦ - ١٣٤٦ م) بعد وفاة ألباجيتو (١٣١٦) في رعاية الأمير چويان ، واتهم جيورجي فرصة القلاقل التى حدثت في السنوات الأخيرة من حكم الإيلخانية وعمل على طرد المغول : فاستأصل شاة التوار وذعب بجيشه إلى إمرثيا Imerethia . ووجد تحت سلطانه جميع بلاد الكرج حتى سپر Sper (الآن إسپر Ispir) والبلاد التى تمتد من نيكوفسيا Nikophasia ، التى تبعد نحو خمسة عشر ميلاً من سخرم على البحر الأسود ، إلى دريند .

تيمور :

دخل تيمور معترك السياسة في عهد مجراط الخامس الطولن (١٣٦٠ - ١٣٩٥ م) ويقول المؤرخ الرسمى لهذا العهد إن حملته على الكرج كانت جهاداً ، فقد خرج تيمور من قارص شتاء عام ٧٨٨ هـ الموافق ١٣٨٦ م (ظفر نامه ، ج ١ ، ص ٤٠١) ، وكان مجراط معتمداً في قلعة تفليس ، ولكن المدينة سقطت في يد تيمور ووقع الملك والمملكة في الأسر : وورد في كل من أخبار الكرج وكتاب توماس للتسوفى Thomas of Metsoph

بانتصاره على بايزيد . ووصل لإيوانى بن أنى بنا
إلى مكك كـول يحمل الهدايا كما فعل كستانليل
(قسطنطين) أخو جيورجى ، وكان فى ذلك الوقت
على غير واثم مع أخيه (المصلر السابق ، ج ٢ ،
ص ٥١٢) . وذهب الشيخ إبراهيم الشروانى
لتقدير دخول بلاد الكرج وخرجها (المصلر السابق
ج ٢ ، ص ٥٢١) وأرسل جيورجى هدايا أخرى
إلى تيمور ، ولكنه أبى أن يقبلها وطلب منه أن
يعرض بنفسه ، وحاضر تيمور عام ٨٠٦ هـ (أغسطس
عام ١٤٠٣) حصن كجورتن المنيع وكان يدافع
عنه « نزال » أو « نزال » (ورد اسم الحصن
فى أخبار الكرج برئوس على نهر الكيت)
واستولى عليه فى تسعة أيام (المصلر السابق ، ج ٢ ،
ص ٥٢٤ - ٥٣٢) .

وغرب الجند بعد ذلك أطراف بلاد الكرج
إلى حدود بلاد الأغاخز وهى نهاية هذه المملكة
ودمر الجند سبعة مدينة وقرية ، وقد أظن
مؤرخ تيمور فى وصف ما قاموا به من قتل وغرب
(ج ٢ ، ص ٥٣٦) ووقف تيمور عند هذا الحد
نزولا على رأى الملقى والعلماء بأن فى الوضع منع
الأمان لأهل هذه البلاد ، وأرسل أهل الكرج
إلى تيمور ألف تنكة من الذهب خربت باسم تيمور
وألف خيوان وباقية زنها ١٨ مقالا ، إلى
غير ذلك .

والحق تيمور تفليس ، وغرب جميع أذربايجان
وكتالنيا وذهب إلى يلقان فى شتاء عام ١٤٠٣ هـ
١٤٠٤ م : وقد أقطعت جميع البلاد - من يلقان إلى

(٢٤١) وأقيم فى تفليس حامية خراسانية ، ولكن
جيورجى اعتصم ثانية بالجيال . وقد خضع أمير
كرجى يدعى جاني بك من تلقاء نفسه لتيمور ،
واستولى تيمور على قلعة زريت (٢) ونعقت
جنوده جيورجى . وغربت فى طريقها سواتيا .
وذهب جيورجى إلى بلاد الأغاخز وأعاد طاهراً إلى
آسية الصغرى ، وعرض جيورجى على تيمور أن
يؤدى الخراج وذلك بتوسط رجل اسمه إسماعيل
(Bromet ، ج ١ ، ص ٦٦٨) . فقبل تيمور
ذلك ثم رجعت بلاد إيوانى الكرجى (أنابك
سمنسخه) إلى الإسلام ، بينما نبت بلاد القره
قالتانلى ، واستراح تيمور شهرين فى مصيفه فى
ميك كـول (الألف بحيرة) بالقرب من قارص ، ثم
أرسل جنوده لمقاتلة الكرج الذين تجمعوا فى فرسكرد
(قسكرد على البحرى الأعلى نهر شورك)
المصلر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ . وعاد تيمور
عام ٨٠٤ هـ (نهاية عام ١٤٠١ م) إلى ماوراء القوقاز
ماراً بطريق سيواس وبغداد وتبريز : وذهب عماله
(يحصل) لجباية الضرائب (سلو وخراج وجزية) من
جيورجى فأرسلها جيورجى صحة أخيه . ومنع تيمور
الأمان لجيورجى على شريطة أن يمدد بالجنود وأن
يعين معاملة المسلمين (المصلر السابق ، ج ٢ ، ص
٣٧٩) وفى صيف عام ٨٠٤ هـ (١٤٠٢ م)
خرج تيمور من قره باغ إلى ميك كـول وانتزع
حصن ترم من كرجيك حامل تكي (٢) .

وعاد تيمور إلى أوزن الروم عام ٨٠٥ هـ
مصمماً على عقاب جيورجى لأنه لم يعرض لهته

أطرايزنتة - لأهمير خليل ميرزا (للمصدر السابق
ج ٢ ، ص ٥٤٥) .

بعد عهد تيمور

ويستدل على القوضى التي سادت البلاد نتيجة
للتخريب الذي قام به تيمور من ذلك الفعل من
أخبار الكرج الذي وردت فيه بعض الإشارات
الموجزة عن عهود الذين خلفوه . وتذكر المصادر
الإسلامية (مطلع السعدين ، *Notion et extraits* ،
ج ١٤ ، ص ٢٣٥ ، ميرخواند ، *Defrémery* :

Fragments ص ٢٤٥) خبر حملة شهاب الدين
إبراهيم الشرواني ، صديق آل جلاير على قره
يوسف القره قويونلي . واشترك فيها كستانديل
ملك كرجستان . وانلحرت جيوشهما شيلى نهر

الرُمن ، وقتل قره يوسف كستانديل بيده ، وكان
ذلك عام ٨١٥ هـ (١٤١٢ - ١٤١٣) ، وهلك في

هذه الحرب ثلثائة من أشراف الكرج و أنزاوور و
(وأزن بالأرمينية معناها « شعب ») . ووخشت

هو المؤرخ الوحيد الذى يقول إن قسطنطين كان
ملكاً وأنه توفي عام ١٤١٤ م . وأغار قره يوسف

عام ١٤١٣ (١٤١٦ هـ) على إقليم أخال تسبيخه لدعوة
من القرم (المسلمين) وأعمل التخريب فيه

(*Thomas of Metsoph* ، *Nève* ، كتابه المذكور ،
ص ٩٦ ، *add* : ج ١ ، ص ٣٩٩) .

وورد في أخبار الكرج أنه لم يبق في ناحية من توالحي
البلاد من يرأس جراحاتها بتدبير الأمور حتى ارتقى

إسكندر العرش (١٤١٣ - ١٤٤٢ م) ، فقد قام
هنا الملك بطرد المغربين تدريجاً ثم رمم كنيسة

سويى تسخولى في مسيحيتها ورمم الحصون .

والراجع أن الإسكندر هو الذى أوفد الرسل
الكرج الذين احتضوا بشاهرخ عام ٨٢٣ هـ
(١٤٢٠ م) في قره باغ (انظر ميرخواند في

Defrémery : كتابه المذكور ، ص ٢٥١)
ووصل شاهرخ إلى سُمخيتا عام ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م)

فأرسل إليه الإسكندر الهدايا الثينة ، وبعد ذلك
ترك ابن تيمور بلاد الكرج . وفي عام ١٤٤٤

(٨٤٨ هـ) أغار جهان شاه القره قويونلي على
أخال تسبيخه (انظر *Brosset* : ج ١ ، ص ٦٨٣) .

وروى توماس المتسوفى *Thomas of Metsoph*
أن جهان شاه استولى على تفليس عام ١٤٤٠ (انظر

Nève ، ص ١٤٩) .

تقسيم بلاد الكرج :

زادغفرض الروايات الكرجية لهذا العهد حتى أصبح

من السير علياً أن تضمهما (*Brosset* : ج ١ ، ص
٦٧٩ - ٦٨٩) . لأن تاريخ ووخشت الذى يصنح

أخبار الكرج ويكملها يفتق أكثر من غيره وروايات
المؤرخين المسلمين . وهو يبدأ من عهد قسطنطين

الثالث (١٤٦٩ - ١٥٠٥) ، وقد كانت بلاد
الكرج في أيامه مقسمة ثلاث ممالك كبرى (*Brosset*

القسم الأول من الجزء الثاني ، ص ١١ - ١٨ ،
١٤٧ ، ٢٠٨ ، ٢٤٩) هي : خرثلبا على نهر الكُر

(بالكرجية مَسْكَور) وعاصمتها تفليس ، وإيريشا
على نهر ريونه وعاصمتها كوتايس ، وكخشيا على

نهر ألزن وكانت عاصمتها كرجي (بالقارسية كرجم)
ثم انتقلت إلى نيلاو ، ويضاف إلى ذلك أن أتابلك

سمتسخه ، وعاصمتها أخال تسبيخه ، ثار وأسس

إمارة سابكو المستقلة ، وتألّف من سمنسخه على
 الهجري الأعلى لهر الكرّ ، وكلرجيه على نهر شيوخ ،
 وقد دخل أمراءها الإسلام منذ عهد منوچر الثالث
 (صفر پاشا عام ١٦٢٥ ، Brosset ، ج ٢ ، ص
 ٢٢٨) ، واستقل عدد من أمراء البلاد عن
 إمرثيا ، وهم : كوريل كوربا ، وددین منغليا ،
 وکلوف في السوان (انظر مادة « أجاز ») وعكرت
 صفو البلاد في عهد قسطنطين الثالث في غرثليا
 الغزوة التي قام بها بجرات الثاني صاحب إمرثيا .

الآتي قوبولي :

ظهر وقتذاك أوزون حسن وكان له شأن فيما
 وقع من الحوادث ، ويقول منجم پاشي (ج ٣ ، ص
 ١٦٠) إن أوزون ذهب إلى بلاد الكرج لأول مرة
 عام ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) وأطلق سراح الأسرى
 للمسلمين واستولى على قلعة جيماقار (٢) ، وقد
 حالت الفتن دون استيلائه على آخال نسيخه ولكنه
 عاد إلى مهاجمتها عام ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) وخلع
 الملك بكتراني (تقرأ بجرات الثاني صاحب إمرثيا)
 وأسر من الكرج ثلاثين ألف رجل . ويذكر
 وخشّت أن قسطنطين سلم تفليس لأوزون حسن
 فجمع بجرات من الاستيلاء عليها ، وترك أوزون
 حامية بتفليس ولكنه عهد بحكمها إلى قسطنطين
 (Brosset ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ٢٥) وفي « تاريخ
 أميني » أن الولي الذي تركه أوزون حسن عليها
 اسمه صوفي خليل بك ، وقد ظل بها إلى وفاة
 أوزون عام ١٤٧٨ أي عندما استرد الكرج للمدينة .

وأغار سلطان يعقوب الآق قوبولي على
 سمنسخه في خريف عام ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م)
 لتأديب الأتابك قور قواره ، وأرسل يعقوب في
 العام التالي صوفي خليل بك لفتح بلاد الكرج ،
 وبدأ التركان في بناء حصون آخجه قلعه وكاوزاني
 على الهجري الأدنى لهر دبد (بورچله) في الموضع
 المشرف على ملخل بلاد الكرج من الجنوب
 (انظر جغرافية وخشّت) ، وانسحب كستانديل
 (قسطنطين الثالث) من تفليس ، وشرع صوفي
 خليل في حصارها مستعيناً بالإمدادات التي وصلته
 في الشتاء ، واستولى بادئ الأمر على قلعة كُجبر
 (كُجُري إلى الجنوب من تفليس) ، وقتل من
 المسلمين خلق كثير في القتال الذي دار حول تفليس ،
 ولكن ولي آغا إشكجي أخامي استولى على المدينة
 في الثالث من ربيع الأول عام ٨٩٤ الموافق
 ١٤٨٩ م (انظر التاريخ الذي لم ينشر عن عهد
 يعقوب وعنوانه « تاريخ أميني » ، خطوط
 بالمكتبة الأهلية بباريس ، رقم ١٠١ ، ورقة ١٠١ -
 ١٠٥ ، ١٥٥ - ١٥٩) ، وتؤيد أخبار الكرج
 (Brosset ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧) كثيرا
 من تفاصيل هذه الحوادث ولكنها تنكّر خبر
 الاستيلاء على تفليس ، وتضيف إلى ذلك أن أهل
 إقطاع سبيرانانو الذي يعرفه المسلمون باسم « براتش
 ايل » الذي على نهر ألكيت Alget قد أوقفوا الحزبة
 بالتركان .

ظهر وقتذاك أوزون حسن وكان له شأن فيما
 وقع من الحوادث ، ويقول منجم پاشي (ج ٣ ، ص
 ١٦٠) إن أوزون ذهب إلى بلاد الكرج لأول مرة
 عام ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) وأطلق سراح الأسرى
 للمسلمين واستولى على قلعة جيماقار (٢) ، وقد
 حالت الفتن دون استيلائه على آخال نسيخه ولكنه
 عاد إلى مهاجمتها عام ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) وخلع
 الملك بكتراني (تقرأ بجرات الثاني صاحب إمرثيا)
 وأسر من الكرج ثلاثين ألف رجل . ويذكر
 وخشّت أن قسطنطين سلم تفليس لأوزون حسن
 فجمع بجرات من الاستيلاء عليها ، وترك أوزون
 حامية بتفليس ولكنه عهد بحكمها إلى قسطنطين
 (Brosset ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ٢٥) وفي « تاريخ
 أميني » أن الولي الذي تركه أوزون حسن عليها
 اسمه صوفي خليل بك ، وقد ظل بها إلى وفاة
 أوزون عام ١٤٧٨ أي عندما استرد الكرج للمدينة .

الصفويون :

(اسمه إسكندر منشى لوارصاب ، ولكن هذا الاسم لإيراني وهو هراسب ، انظر مرآة البلدان) .

ويذكر إسكندر منشى (عالم آرا ، ص ٦٥) أن الشاه طهماسب قد استولى على مملكة الصلح التي عقدت بين الترك والفرس عام ٩٦١ هـ (١٥٥٣ م) على بلاد مسقى (مسخى = سمسخه) وعلى كارتيل (خرتليا) وكاخت ، بينما استولى سلطان سليمان على بلاد باشى آجيج (ذو الرأس العارية ، وهو لقب ملك إيرنيا) وعلى دادبان وگوريان (كوريا) حتى أطرايزنده وطرابلس (تبره بولى) . واستمر هراسب الأول في مناشة تغليس مما أدى إلى قيام الحملة الرابعة . وتم الاستيلاء على برات . إلى سبراثيانو (Sabarathiano) وگورى وأنى Ateni وملك الملك نفسه في هذا القتال . ويقول وخشت إن هذه الحملات الأربع حدثت عام ١٥٣٦ ، ١٥٤٨ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٨ على التوالي ، ويقول بروسية (Brosset) ، القسم الأول من المجلد الثاني ، ص ٤٥٢) إن هذه التواريخ مرجعة لأنها تتفق تماماً وأحداث الحرب بين الترك والفرس .

وسادت القلاقل البلاد في عهد الملك سويون الأول (Swimon I (١٥٥٨ - ١٦٠٠ م) ابن هراسب الجموح ، وهزمه الفرس ، وخلفه أخوه داود خان الذي اشترى العرش بالارتداد عن دينه . وسجن سويون في قلعة آتسوت وأطلق إسماعيل الثاني سراحه عام (١٥٧٦ - ١٥٧٧ م) لوقف عنوان التهاين .

أغارت فصيلة من جيش إسماعيل بقيادة خادم بك على بلاد الكرج عام ٩٠٧ هـ (١٥٠١ م) ، انظر Dorn نقلا عن شاهنشاه نامه) . وأنفذ دمرت ابن داود الثامن مئة إلى إسماعيل الأول فأوقعت غزوة ديو سلطان عام ٩٢٦ هـ الموافق ١٥٢٠ م (انظر حبيب السبر ، طبعة يومية ج ٣ ، ج ٤ ، ص ٩٢) . وفي سنة ٩٢٩ هـ (١٥٢٢ - ١٥٢٣ م) استولى رأس البيت الصفوى على قلعة آضجه وسلمت له قلعة تغليس بعد أن بذل بعض الوعود ، وقد صبت محرمة الكنائس وابنى مسجداً عند ركن الجسر (انظر وخشت في Brosset ، القسم الأول من المجلد الثاني ، ص ٢٣) ، ولا يزال هذا المسجد قائماً على الضفة اليمنى .

ويذكر إسكندر منشى أربع حملات كبيرة أنفذها الشاه طهماسب على بلاد الكرج . وقد استولى طهماسب على تغليس عام ٩٤٧ هـ (١٥٤٠ م) وخضع واليا من قبل هراسب الأول للفرس ودخل في الإسلام . ثم استولى على قلعة برتيس (برتويس ؟) (انظر عالم آرا ، طهران ، سنة ١٣١٤ هـ ، ص ٦٣) . وكانت الحملة الثانية في عام ٩١٣ هـ (١٥٤٦ م) عندما وفد أمراء الكرج لتقديم فروض الطاعة لطهماسب في شوگنل بالقرب من كسرى (Lenakan = Alexandropol) . وخرجت الحملة الثالثة عام ٩٥٨ هـ (١٥٥١ م) من شكي لتلبية لطلب الأتابك كيخسرو بن قهرقوره (قورقوره) الذى شكى من المظالم التي ألحقها به هراسب

الحكم العثماني: (١٥٧٨ - ١٦٠٣ م):

ولكن بلا جدوى : وعمرد جند فرهاد ناشا من الإنكشارية عند أحوال كلنكي فاضطر إلى الانسحاب، وحصل العثمانيون من القرس بعد حملتهم على تبريز عام ١٥٨٥ (انظر هذه المادة) على آذربيجان وما وراء القوقاز بما فيها بلاد الكرج ، وذلك عتقضى المعاهدة التي عقدت في الحادى والعشرين من شهر مارس عام ١٥٩٠ (انظر أخبار تراتيل مشكى من ١٥٥٩ - ١٥٨٧ في تكيشويلي : كتابه المذكور ، ص ١٨٣ - ٢١٤ ؛ von Hammer ، ج ٢ ، ص ٤٨١-٤٩٧ ، وترجمتها Brosset وشرحها في القسم الأول من المجلد الثاني ص ٤١١ - ٤١٩) : وأهم المصادر التي استقى منها فون هامر von Hammer هو كتاب « نصرت نامه » لمؤلفه على (يناير ١٥٧٨ - يناير ١٥٨٠) : ويمكن الرجوع فيما يخص بالمصادر التركية الأخرى إلى (Babinger : *Geschichtschreiber der osmanen und ihre Werke* Die ص ١١٧ ، ١٨١) . وبعد ارتقاء عمدا الثالث العرش (١٥٩٥م) أسر سويغون في إحدى المناوشات ، وأرسل إلى الآستانة وفيها توفي عام ١٦٠٠ : واستمر للحكم العثماني بين اللدوء والاضطراب من ١٥٩١ إلى ٢١ أكتوبر ١٦٠٣ عندما استعاد الشاه عباس الأول مدينة تقليص . وأعيدت الأمور إلى ما كانت عليه في حكم السلطان سليم (١٥١٢ - ١٥٢٠) بمقتضى المعاهدة التي أبرمت بين الترك والقرس عام ١٦١٢ .

الشاه عباس الأول والملوك المسلمون :

كان عهد الشاه عباس أشأم اليهود في تاريخ الكرج وفي تاريخ كخشيا خاصة . وقد تعارب

توغل العثمانيون في بلاد الكرج من طريق مستسخه تحت إمرة مصطفى لاله باشا عام ١٥٧٨ ، وذلك في عهد الشاه خدابنده الضعيف ، واستولوا على تقليص إلى فر منها داود خان ، وزود الترك تقليص بحامية من مائتى رجل ومعهم مائة مدفع : وولى محمد بن فرهاد باشا على سنجق (باشاائق ؟) *Gesch. des Osman. Reiches : Hammer* (انظر ص ٢٠٢ ص ٤٨٣) وقد حولت كنيسة تان في هذا السنجق إلى مسجدين . وفي شهر أكتوبر وضعت حامية تركية في كوروى وولى عليها سويغون بعد أن جعلت سنجقاً وجاء مصطفى باشا إلى أرزن الروم ، فقتل أزدسر باشا إمام قل خان بن شمخال وحاصر سويغون مدينة تقليص . وكان حسن باشا يزود الحامية بالمؤن (المصدر السابق ، ص ٤٨٩) بيد أن القتال استمر حول المدينة : وفي عام ١٥٨٠ وصل سنان باشا سر حسكر الجديد إلى تقليص وعين أحد أبناء لمراسب بكلكر بك ، وكان قد أسلم وتسمى باسم يوسف ؟) وحلوا سويغون القرب إلى الترك ولكنه باه بالقتل : وغادر محمد بك أرزن الروم في شهر أغسطس ١٥٨٢ ليزود تقليص ببعض المؤن ، ولكن القرس والكرج أوقفوا به للزعمة جند كوروى : وفي ديسمبر عام ١٥٨١ خرج فرهاد باشا على رأس حملة جديدة ليوطد أقدام العثمانيين في المدن التي احتلها : وذهب رضوان باشا إلى تقليص عام ١٥٨٤ : وانحاز داود خان إلى الترك بعد أن فكر في الأمر ملياً : وهاجم سويغون وضربان

عظم على الأمام ، ويرجع الفضل في اعتلاء الشاه صنى خليفة عباس الأول العرش إلى معونة خسرو ميرزا أخى الملك بجرط الذى كان « دأروغه » أصفهان . وبعد هلاك سويون الثانى في الفتنة التى شبت عام ١٦٢٩ ذهب طهمورث الأول الكخنى Theimuraz of Kakhethia (١٦٠٥ - ١٦٦٤) وحكمها من عام ١٦٢٩ إلى ١٦٦٤ . وكان عهده مضطربا حافلا بالزوايا ، ففتت أمه تكون Khetewan في شراز عام ١٦٢٤ (Brosset ، القسم الثانى من المجلد الأول ص ١٦٧) . ووصل بعد ذلك كبخسرو - وقد أسلفنا الإشارة إليه - من فارس وحكم في تفليس وتسمى باسم رسم (١٦٣٤ - ١٦٥٨) وتلقب هذا الملك الشيخ الذى شب في فارس بقلب « قلكر أغاسى » وصيغ بلامه بالصيغة الفارسية . وقد وضعت الحاميات الفارسية في كورى وسورم ، وعاد أسرى الكرج الذين دخلوا في الإسلام من فارس ، وسادت العادات والسنن الفارسية . واحتفل رسم بزواجه في المسجد والكنيسة وكأنه بذلك قد زواج بين هاتين الثقافتين ، ثم أعاد بناء كنيسة متبسختا وغير ذلك ،

و في عام ١٦٣٦ استولى مراد الرابع على إربوان . وتنازل الفرس عنقتضى معاهدة عام ١٠٤١ هـ (١٦٣٩ م) عن مطالبهم في قارس وأخال نفسه (انظر تاريخ نجا ، ص ٦٨٦) . ويقول وحشت إن السلطان قد استولى على إمرثيا وساتباكو Santiago و احتفظ الشاه غرثليا وكخنيا (انظر Brosset ، القسم الثانى من المجلد الأول ، ص ٦٨) .

جيو رجبى ملك غرثليا والإسكندر ملك كخنيا مع الشاه عباس عند حصار إربوان عام ١٦٠٢ ، ولكن الشاه مع ذلك قد أخذ لور من الكرج بعد انتصاره وتزوج من أخت هراسب الثانى (١٦٠٥ - ١٦١٦) يد أنه أحضر هراسب إلى فارس وشقعه عند كلاب قلعه . وذهب الشاه نفسه إلى الكرج عام ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) وولى بجرط الساداس المسلم (١٦١٦ - ١٦١٩) على غرثليا . ثم أوقع العقاب بكخشا . وقد جاء في كتاب عالم آرا (ص ٦٣٥) ، وهو التاريخ الرسمى لعهد عباس ، أن عدد القتلى براوح بين ٦٠ و ٧٠ ألف نسمة . وكان عدد الذين نجحهم في السجن من شاب الجنسين بين مائة ألف و ١٣٠ ألف ، وأضاف إلى ذلك قوله إن مثل هذه الحوادث لم تقع في عهد أى ملك من الملوك منذ بداية الإسلام . و في عام ١٠٣٣ هـ (١٦٢٣ م) أرسل فرجقاي خان إلى الكرج ، وهناك جمع عشرة آلاف رجل من أهل كخشا ولكنه لم يفرزهم إمرثيا وإنما أمر بإعمال السيف في رقابهم (شكازى وار ، عالم آرا ، ص ٧١٩) . فهاجمت تلك الحياتة جيو رجبى ساكنزده وهو عامل مسلم من أصل وضع (موروا Brosset ; Mouraw) القسم الثانى من الجزء الأول ، ص ١٤٨ ، ويكتبها الفرس مهرو Mihraw) وظل يحكم الشاه بإخلاص حتى ذلك الوقت . فقام بفتنة في غرثليا لم يستطع الفرس القضاء عليها إلا عام ١٦٢٦ (انظر Mowatza G. Zhizn Saakadze : Iosselian ١٨٤٨ ، Brosset القسم الثانى من الجزء الأول ، ص ٥٣ - ٥٩ ، ٤٩٧ - ٤٨٩) . وعلى الرغم من جميع هذه للصاب فإن شان أهل الكرج في حياة فارس قد

تمكن من إعادة النظام في قندهار ولكن ميزويس :
 قتله غيلة عام ١٧٠٩ (انظر مادة « أفغانستان »)
 وهزم القوقاز الكرجية الجديدة التي كان يقودها
 كيكسرو خليفة جيورجي (١٧٠٩ - ١٧١١)
 فهلت هذه الحوادث الطريق أمام الأفغان لغزو
 فارس ،

وكان وخشك حاكماً نرثاليا من عام ١٧٠٣ -
 ١٧١١ وملكاً لها من عام ١٧١١ - ١٧٢٤ خلا
 بعض الفترات ، وكان هذا الملك نصرانياً أول
 الأمر : وقد اشتغلت الحاميات الفارسية باتفاق مع
 بعض الكرج بتجارة الرقيق ، وحاول وخشك
 القضاء على هذه التجارة (Brosset ، القسم
 الثاني من المجلد الأول ، ص ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٥)
 وقد أذل المسلمين عامة وخامية قلعة تفليس خاصة
 واختصب العرش منه بن حاي ١٦١٤ و ١٦١٦
 مسلم غير اسمه على قل خان ، ولم يستطع استعادة
 ملكه إلا بدخوله في الإسلام .

وطلب الشاه حسين معونة وخشك بعد
 الانتصار الحاسم الذي أحرزه الأفغان عند كون آاد
 بالقرب من صفه عام ١٧٢٢ ، ولكن وخشك
 خد ، الروس في نوفمبر عام ١٧٢١ (Brosset ،
 القسم الثاني من المجلد الأول ص ١١٧) واضطر
 بطرس الأكبر ، وكان قد وصل إلى جريد في
 الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٧٢٢ ،
 أن يبادر بالعودة إلى روسيا . واشترك من ناحية
 أخرى محمد قل خان (قسطنطين الثالث) ملك
 كخنيا مع التركية Lesgis في قتال وخشك

وخلف رسم ولده بالتبني وخشك (١٦٥٨ -
 ١٦٧٦) وهو المعروف عند العرب بالشاه نواز الأول .
 وظلت سياسة التقرب من القوقاز على ما كانت عليه ،
 فقد تزوج الشاه عباس الثاني (١٦٤٢ - ١٦٦٧)
 من ابنة الشاه نواز : وكان الشاه نواز يؤيد سنن
 التصاري وإن كان مسلماً ، فقد بلغ من أمره أنه
 أعاد مناسك الاحتراف والشاء الزباني التي كان
 يحجل منها الشعب في عهد رسم (Brosset ،
 كتابه السابق ، ص ٧٩) واستقرت قبائل آذربيجان
 وقره باغ المسلمة (١٥٠٠٠ جواتشيري وبيات)
 في كخنيا زيادة في عون الشاه نواز (انظر تاريخ
 الشاه عباس الثاني ل محمد طاهر وحيد في Dorn ، ص
 ١٠٩ ، ١١١ ، وانظر Brosset ، القسم الثاني
 من المجلد الأول ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤) وحارب
 شاه نواز في إمرشيا حتى إذا ما نصب ولده على
 عرشها ، استعاد الشاه مكانته كما نص عليها في
 معاهدة عام ١٦٣٩ .

وقسم جيورجي الحادي عشر مقاليد الحكم
 من الشاه سليمان : ولكنه وقع ضحية دسائسه في
 كخنيا عام ١٦٨٨ فنصب الشاه مكانه أريكه الأول
 Erekle (١٦٨٨ - ١٦٩١ ، ١٦٩٥ - ١٧٠٣)
 وأسلم هذا الملك الذي شب في روسيا وأصبح
 يعرف باسم نذر على خان .

هزو الأفغان لفارس :

أرسل الشاه حسين الملك جيورجي على رأس
 فصلة من أهل الكرج لقتال البلوج والأفغان عندما
 أحلوا في إثارة القلاقل في فارس الشرقية . وقد

ولجأ الملك الخلعو وشغتك إلى روسيا
تصحيه حاشية عندهما ١٤٠٠ شخص ، وذلك في
أغسطس عام ١٧٢٤ : ولا استولى الترك على خرتاليا
أحصوا عدد سكانها ، وفرضوا الضرائب
على الأهالي : وكان الشريف طوبال عيكان باشا هو
الوحيد الذي خلف أثناء إقامته في تفليس . ذكرى
طية في نقوس الكرج (Brosset) : القسم الثاني
من المجلد الأول ، ص ١٢٩) : ولم يلقب عيسى
بلقب الملك ، وأصبح إسحاق باشا حاكم آخال
تسخه السلطان الحقيقى في هذه الديار . وقد دوت
الحكم واستقر في تفليس : وعين إسحاق باشا والياً
على جميع بلاد الكرج بعد وفاة عيسى عام ١٧٧٧
(Brosset) : القسم الثاني من المجلد الأول ،
ص ٢٣٦) : وفي عام ١٧٢٨ قسم إسحاق خرتاليا
بين أمراء الأقطاع (مشور Mithawar) . ومكنه
تخاضعهم من السيطرة عليهم جميعاً : واستمر التركي
Mithawar في سلب بلاد الكرج ونهبها (انظر Brosset ،
مكتابه المذكور : von-Hammer ، ج ٤ ، ص
٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٨١ ، ٢١٣) ،

نادر شاه :

جعل الشاه طهماسب نهر الرس حداً لاصلا
بين فارس وتركيا ، وذلك عام ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ -
١٧٣١ م) بعد حرب أصاب فيها شتاً من الانتصار
(انظر مهدي خان : تاريخ نادى ، كبرى عام
١٢٨٤ ، ص ٩٠ ، ترجمة جونز Jones ، ج ١
ص ١٤١ ، von Hammer ، ج ٤ ، ص ٢٧٧) وهو
يذكر أن تاريخ هذا الصلح كان في ٦ فبراير عام

واستولى على تفليس عام ١٧٢٣ وأباحها ثلاثة
أيام ،

الفتح العثماني الثاني (١٧٢٢ - ١٧٢٤) :

ألقى الترك ما قام في فارس من الفتن
والاضطرابات كما أزعجها تقدم الروس ، فقد
استبج قال الشيعة . وفي يونيو عام ١٧٢٣ أقام
مرحوم إيراهيم باشا على تفليس بكر بن وختكلك ،
وكان قد تفاوض مع ابنه في هذا الشأن من قبل ،
ويعرف بكر هذا في القارصية باسم شاه نواز
وبالتركية باسم إيراهيم باشا . واحتل الإنكشارية
القلعة ، وسرعان ما ثار بكر ولكن الترك أرسلوا
الإمدادات إلى تفليس بقيادة عيسى عم بكر الذي
سمى آنذاك باسم عبد الله . وفي ذلك الوقت تم توقيع
المعاهدة الروسية القارصية التي أبرمت في الثاني عشر
من سبتمبر عام ١٧٢٣ وعقبتها ألحقت الأقاليم
التي على بحر الخزر بالروسيا : وفي مقابل ذلك نجح
السفير الفرنسي في سماعه لإبرام معاهدة بين الروس
والترك بالآستانة في الثاني عشر من يونيو عام ١٧٢٤ ،
وعقبتها : احتفظت روسيا بباغستان والشريط
الضيق من الأرض الساحلية ، بينما استولت تركية على
ما وراء القوقاز بأمره حتى شياخي عا في ذلك بلاد
الكرج (Geschichte des osmanischen (von Hammer
Rakhat ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ - ٢١٤) ، والمؤرخ
العثماني لهذه الحوادث هو علي زاده . ويمكن
الرجوع في شأن المصادر الأخرى إلى (Babinger :
Die Geschichtsschreiber der osmanen und ihre Werke .
ص ٢٨٩ ، ناي : قصصهم ذو حتى كرجستان)

فقر إلى جبال قره كلخان (پشو) وروس (٢٠٠٠)
إلى الغرب من كوري (٢) وجرس . وأرسل نادر
الجند في إثره ولكنه وصل إلى تفليس في التاسع
والعشرين من جمادى الأولى حيث أدب خصومه
وأثاب أجوانه . ونقلت ستة آلاف أسرة كرجية
من قبيل (Abots) إلى خراسان (المصدر السابق)
ص ١٢٤ = Jones ، ص ٢١٩) : وفي عام
١٧٣٦ أمر صني خان طهمورث وأرسله إلى فارس ،
وأطلق نادر سراح طهمورث في بداية الحملة
الهندية ولكنه احتفظ بابنه الأصغر أريكه Brekle ،

وفي عام ١١٥٦ (نهاية عام ١٧٤٣) أمر
طهمورث خان سام ميرزا المطالب بالعرش
أمر (١٧٤٤) على خان قليج ٢ (تطلق عليه
المصادر الكرجية اسم خنجل وقز لجلي) وهو الذي
حين يكلم بك على تفليس ، وقد هزم بالقرب من
دنييس على يد أرغوي يوسف باشا حاكم آخال
تسخه ، وكان قد ذهب إلى داغستان لزولا على
أوامر الباب العالي لمساعد مدحياً آخر للعرش
يدعى صني ميرزا . ولما وصل نادر إلى كوري نقل
طهمورث إلى خرثليا جزاء له على حسن بلائه ،
وعين ابنة أريكه Brekle على كخنيا (انظر
المصدر السابق ، ص ٢٠٢ = Jones ، ج ٢ ،
ص ١٦٤ ، Broeset ، المجلد الثاني القسم الأول
ص ٧٧ [Papuna Orbeliani] والمجلد الثاني ،
القسم الثاني ، ص ٢٠٨ ، خرخولنزه) وفرض
نادر عام ١٧٤٥ ضريبة على الكرج قدرها ١٥ ألف
تومان . وذهب طهمورث ليطلب تخفيض هذه

(١٧٣٢) : ولم يرض نادر شاه ذلك فخلع طهاسب
عن العرش وعود غزو ما وراء القوقاز . وفي أثناء
غزوه داغستان (١١٤٧ هـ = خريف عام ١٧٣٤)
خرج إسحاق باشا والي تفليس على رأس جيش
لمساعدة كنجه ، ولكن طهمورث بن نظر على خان
(أريكه الأول Brekle) وابن عمه على ميرزا
المعروف باسم اسكنتر ، وهو ابن إمام قلبي ،
(حارث الثالث) هاجما إسحاق باشا فلم يجد بدا من
الاعتصام بقلمة تفليس . وقد مر نادر ببلد كل
السور قد قدم العطايا إلى هذين الأميرين (المصدر
السابق ، ص ١١٤ ، Jones ، ص ١٨٠ ، ص ٢٠٠)
وفي خلال حصار كنجه أمر نادر شاه ، صني
خان بغاري أن يحاصر تفليس بمساعدة أشرف
الكرج (موراوان وزناوران) المصدر السابق ، ص
١١٦ ، Jones ، ص ٢٠٥) .

وسلم إسحاق باشا قلمة تفليس في الثاني
والعشرين من ربيع الأول عام ١١٤٧ الموافق
١٧ سبتمبر عام ١٧٣٤ عندما هزم عبد الله باشا
عند بغاورد بالقرب من إريوان (المصدر السابق ،
ص ١٢٣) : واستدعى نادر أشرف (تلواندان
وأزناوران) خرثليا وكخنيا ، وكان طهمورث
أعظم هؤلاء الأشراف وأوسعهم جاهاً . واستعمل
نادر على ميرزا على خرثليا وكخنيا لإسلامه ولأن
أخاه محمد ميرزا (ليون Leon) خر صريعاً في
قتال مع عثمان باشا . وسُمح لطهمورث بالذهاب إلى
كخنيا لإحضار أسرته (كوچ) إلى تفليس . وأصبح
طهمورث في ذلك الوقت سريع البت في الأمور ،

على الرغم من هذه الانتصارات . ففي عام ١٧٦٠ ذهب طهمورث إلى الروسيا بطلب عونها . ولكنه لم يبلغها إلا بعد وفاة الإمبراطورة العصابات بأمان ، وقد توفي هو نفسه في سانت بطرسبرغ . فيما بين ٨ و ٢٠ يناير عام ١٧٦٢ ،

الضريبة ، ولكن بانه نياً وفاة نادر عند وصوله إلى تبريز ، وخلف نادر آغا على العرش . على قلى خان زوج خوتان ابنة طهمورث ؛
بعلقة كفتيا :

مرت الكرج بفترة هدوء عقب الاضطرابات التي حدثت بعد وفاة نادر (١٧٤٩) وخلال حكم كرم خان ، وكان أميراً ميالاً إلى السلم لم يتعد سلطانه شمال نهر الرس . وكان طهمورث بارعا فاستغل هذه الفرصة السانحة (كان ملكاً على خرتليا من عام ١٧٤٤ - ١٧٦١) كما استغلها ولده إريكه أو إريكلى Irakli الثاني (وهو ملك كفتيا من عام ١٧٤٤ - ١٧٦١ ، وملك خرتليا وكفتيا من عام ١٧٦١ - ١٧٩٠) ، وكان عهد هذين الملكين النصرانيين من أسعد العهود في تاريخ الكرج . فقد قاما بعدة غزوات إلى ما وراء القوقاز . ففي عام ١٧٥٢ هزم إريكه بالقرب من إريوان أفغان آزاد خان وهو منافس لأسرة زند ، ثم أمره عام ١٧٩٠ عند قزوخ ولأمره إلى كرم خان . وقد أدب أكراد إريوان في الأعوام ١٧٦٥ و ١٧٧٠ و ١٧٨٠ وتبعهم جنود الكرج في إقليم بايزيد ، وكان الكرج يصلون بنتاج كل عام تقريباً غزوات عصابات داغستان ، وكان أشطر زعمائهم شخص يدعى عيسى خان أوزدزولم ينجح سوى بخانية شيكى (انظر هذه المادة) . وحطى جلبي وأغا كشي (فيما بين عامي ١٧٥٢ - ١٧٥٣) في الإيقاع بأهل الكرج .

يبد أن الحالة كانت مضطربة في بلاد الكرج

وأصبح إريكه Erekle بعد ذلك ملك هذه الدولة الموحدة فاستمر في اتباع سياسة التقرب من الروسيا . وفي بداية الحرب الروسية التركية وصلت إلى الكرج (عام ١٧٦٩) قوة روسية بقيادة الجنرال توتلين Tottleben ثم حمل هو وإريكه على آخال تسخه . ولكن الخلاف دب بين هذين الخليفين (انظر خطاب كيرين الثانية إلى فولثير بتاريخ ٤ ديسمبر عام ١٧٧٠) فاضت الجيوش الروسية إلى الروسيا عام ١٧٧٢ . وتمكن إريكه بمفرده من إسراخ نصر باهر عند أسبيلزه Aspindza وحاصر هو وسليمان Solomon حاكم إمرشيا آخال كلكى . وصرعان ما اتخذ سليمان باشا حاكم آخال تسخه خطة الهجوم . ولم توث معاهدة كوجوك قينارجة التي عقدت بين الترك والروس عام ١٧٧٤ إلى تغيير في حدود بلاد الكرج . وكل ما حدث أن تنازل الباب العالي عن الجزية المفروضة على الشبان والفتيات وغير ذلك من الكوس (انظر المادة ٢٣) ، ولم ير سليمان باشا حاكم آخال تسخه بعد هذه المعاهدة بلداً من لإرسال من مثله في الاستثناء . على أنه عاد إلى طلب المعونة من سانت بطرسبرغ وطلب ضم مملكته (prusovokupleno) إلى الروسيا (انظر Tagaurei)

جيورجى من قارص جيشاً عدته ألفان من الزرقة بقيادة ولديه . وخرج موقف الملك من مكابد أهل بيته . وفى عام ١٧٩٩ أرسل جيورجى وفداً إلى سانت بطرسبرغ ، وكان غرضه وضع بلاد الكرج تحت سلطان الإمبراطور المطلق مثل باقى الأقاليم الروسية لا تحت الحماية ، وإبقاء الملك فى بيته :

وفى الثامن عشر من ديسمبر عام ١٨٠٠ وقع بطرس الأول فرماناً بضم الكرج إلى الروسية (prisoyedineniye) وأعلن هذا الضم فى الثامن عشر من يناير سنة ١٨٠١ بعد وفاة جيورجى فى الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٨٠٠ . وفى الحادى عشر من مارس قتل بطرس الأول ، وفى شهر إبريل طلب رسل الكرج من الإمبراطور إسكندر الأول أن يقيم عليهم أميراً منهم يلقب بنائب الإمبراطور وملك الكرج : وفى ١٢ سبتمبر عام ١٨٠١ أدرك إسكندر الأول استحالة إعادة الحكومة القديمة على الكرج فى ظل الحماية ، فأيد فرماناً للذى أصدره بطرس الأول . ولم يعمل بمعاملة فنكنشتين Pinkenstein (١٨٠٧) التى اعترف فيها نابليون بحقوق فارس على الكرج . وتنازلت فارس بمقتضى المادة الثالثة من معاهدة عام ١٨١٣ عن مطالبتها فى هذه البلاد ،

تفليس سنة ١٩١٧ :

ظلت حال تفليس على ما هى عليه حتى شتت الثورة الروسية عام ١٩١٧ . وانفصل إقليم ما وراء القوقاز Transcaucasia عن الروسية وأعلن استقلاله فى ١٢ إبريل عام ١٩١٨ . وخلفت

Gramoti رقم ١٤٤) : ولم تقطع روسيا برأى فى هذا الأمر ، فلما لم تبسط حاجتها على هذا الإقليم إلا فى ٢٤ يولية عام ١٧٨٣ بمقتضى معاهدة خاصة . وضمت روسيا لإريكه بمقتضى هذه المعاهدة أراضيه كما تركت له الاستقلال فى حكم بلاده ، ولكنها تولت تدبير الشئون الخارجية . وأرسلت جيشاً روسيا إلى تفليس ثم استلحته عام ١٧٨٧ .

القاجار :

خلف الزند القاجار فى أثناء هذه الفترة . فى عام ١٧٩٥ حاصر أغا محمد قاجار شوشة من أعمال قره باغ ثم أجه إلى تفليس فاستولى عليها فى الحادى عشر من سبتمبر عام ١٧٩٥ ونهبها بلا شفقة ولا رحمة (انظر Brosset ، المجلد الثانى القسم الثانى ، ص ٢٦٠ : Voyage en Orient : Oliver) ، ص ٧٨ ، ص ٣ ، شهادة شاهد عيان ، وهو طبيب مجرى) : وأحرق غزوة الفرس غزوة أخرى شنها أهل داغستان . ووصل إلى الكرج عام ١٧٩٥ فرقتان من الجنود الروس . وفى مارس عام ١٧٩٦ أعلنت روسيا الحرب على فارس ، ولكن كثيرين الثانية توفيت فى ٦ - ١٨ نوفمبر ، فاستدعى ولدها بطرس الأول الجنود الروسية على الفور . وخرج أغا محمد ثانية إلى ما وراء القوقاز إلا أنه قتل بالقرب من شوشة فى الخامس عشر من يونية عام ١٧٩٧ ، وتوفى الملك لإريكه الكهل فى ١٢ - ٢٣ يناير عام ١٧٩٨ .

وخلفه على العرش ولده جيورجى الثانى عشر ، فترك أمر منافسيه إلى فتح على قاجار . وأرسل

وقد أصبح «غرفة الطعام في تفليس ويكرم أهلها، وكانت تفليس تقرأ من نفوس الإسلام (أى آخر بلاد المسلمين في هذه الناحية ، الإصطخرى) » وكان الأعداء يحطون بها من كل جانب (ابن حوقل)، وأورد البلاخرى تفصيلات طريفة عن تفليس في القرن التاسع ، فيقول إن المدينة بنيت من خشب الصنوبر . أما القزويني فيذكر أن أسقف المنازل فقط هي التي بنيت من خشب الصنوبر . ويقول زكريا القزويني إن ص:ت الموزن كان يسمع من إحدى ضفتي نهر الكبر تفليس في العهد المغولي ، ويسمع ناقوس النصارى من الضفة الأخرى، وكان غالب سكان المدينة من النصارى . ويصف حمد الله مستوفى بيوت تفليس بأن البيت منها كان يشيد فوق الآخر فكان سقفه فناء للمتل الذي يليه :

ووصف الترك مدينة تفليس منذ القرن السابع عشر ، من ذلك ما أورده حاجي خليفة (روايته الموجزة تشير إلى الأعوام من ١٦٣٠ - ١٦٣٥) وأوليا چلي (عام ١٦٤٨) وفي هذا العهد وصف شاربان Chardin في عام ١٦٧٣ للمدينة فكان أول أوربي فصل الكلام فيها . وقد أسهب أوليا چلي في وصف قلاع تفليس . وكانت أكبر هذه القلاع على الضفة اليمنى لنهر الكبر إذ بلغ محيطها ستة آلاف خطوة وطول أسوارها ستين ذراعاً . وكان بهذه القلعة سبعون برجاً وحامية عدها ثلاثة آلاف رجل ولم يكن حولها خندق . وكان بها برج يزودها بالمياه (صولوق قوله) : وكان في القلعة الكبيرة سبعة متزل مسقوفة بالطين ، أما القلعة الصغيرة ،

تفليس عاصمة جمهورية من جمهوريات الاتحاد الروسي . ولكن المسلمين رفضوا الاستمرار في قتال الترك . وفي ٢٦ مايو وافق مجلس النواب الروسي (الدايت Duma) على تقسيم ما وراء القوقاز . تأسست ثلاث جمهوريات هي : الكرج وأرمينية وآذربيجان، وأصبحت تفليس عاصمة الكرج من جديد . وفي ٢٨ مايو سنة ١٩١٨ وقع الاتفاق الموقت بين الكرج وألمانيا . وظهرت الجنود الألمانية في تفليس، ثم حلت محلهم الجنود الإنكليزية بعد الهدنة . وفي ٢٦ يناير عام ١٩٢١ اعترف الحلفاء بالكرج .

إلا أن السلطان فيها انتقل إلى أتباع الاتحاد السوفيتي في فبراير ، ولم يحل ذلك من قتال ، ونظمت ما وراء القوقاز ، فاعتبرت جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي الروسي U. S. S. R. ومن ثم غدت تفليس مقر الحكومة المركزية لما وراء القوقاز Z. S. S. R. كما غدت في الوقت نفسه عاصمة بلاد جورجيا (جمهورية جورجيا السوفيتية الاشتراكية) .

وصف تفليس :

لا يذكر جغرافيو العرب إلا تفصيلات قليلة عن تفليس ، فالإصطخرى (ص ١٨٥) يقول إنها مدينة كبيرة يحيط بها أسوار من الطين لما ثلاثة أبواب ، وبها حمامات حارة طبيعية كحمامات طبرية . ويقول مسنير بن مهمليل (في ياقوت) إن هذه الحمامات كانت للمسلمين لا تدخلها غيرهم ، ويوازن ابن حوقل (ص ١٤٢ - ١٤٤) بين طواحين الماء بتفليس وبين طواحين الموصلي والرقعة.

الحجارة . ويقول بروستيه Brosset إن سكانها الأرمن هم الذين بنوها (Brosset ، المجلد الأول ، ص ٨٠) . وكانت تفليس على ضفة نهر الكرنجاء القلعة وإلى الجنوب منها . وأقام شاه صفى عمدة للسادات على مرتفعات ثابور Thabor إلى الشرق من دجانه ، ومن هذا الاسم اشتق الاسم القارصى ميد آباد .

٣ - الحى الخارجى كارث أوبانى بالقرب من حلبة السباق (أسپارد asparez) وهو إلى الشمال من الحيين الأولين وقرعهما .

٤ - الحى الذى على الضفة اليسرى لنهر نجاه القلعة وكان يسمى إيسى Isani أو نيسى Nisani (عرف فيها بعد باسم أولتبر awlabar) وإلى الشمال من هذا الحى هضاب متعنتة : ويسمى هذا هو الحى المعروف عند العرب باسم صغد تيل : وهذا الحى هو مقبرة صغد تيل Sagodebel المذكورة فى اللغة الكرجية ومعناها : المنكب ، وقد ورد فى تاريخ حياة القديس أبو St. Abo (انظر Brosset : *Additions* ، ص ١٣٦ ، *Schulze* : *Das Martyrium* ، *d. hl. Abo von Tiflis, Texte und Untersuchungen* سنة ١٩٠٥ ، مجلد ١٣ ، ص ٣٥٠) وورد هذا الاسم مرتين فى أخبار الكرج (انظر Brosset ، ج ١ ، ص ٤٠٧ ، ٦٣٣) .

وأهم قلاع تفليس ثلاث :

١ - قلعة ثابور القديعة (كورجى قلعة) على التل الذى على الضفة اليمنى لنهر دجانه ، وقد خربت فى عام ١٦١٨ وعام ١٧٢٥ ثم فى عام ١٧٨٥ .

وهى التى على الضفة اليسرى ، فلم يكن بها سوى ثمانية منزل ، ولكنها كانت متينة جدا بفضل أسوارها ، وفى المصور الجغرافى الذى وضعه شاردان (الله حه رقم ٣) منظر عام لتفليس يبين فيه هذه الرحالة أهم منشآت تفليس التسع عشرة كالكنايس والفصور وغيرها .

ووصف مدينة تفليس فى القرن الثامن عشر تورنفور Tournetort (عام ١٧٠١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ ، ومنظر تفليس ، ص ٣١٤) ووخشت فى كتابه الجغرافيا ، وقد أوضح بروستيه Brosset غوامض هذا الكتاب (ج ١ ، ص ١٨٠) ونشر De Plalo الخطة العامة لمدينة تفليس فى *Advertisement sur la Carte générale de la Géorgie* باريس سنة ١٧٦٦ ، وقد تلقى الناشر هذه الخطة من أمير الكرج أثناء إقامته فى روسيا) وللتقويم الذى نشره ليوسليان P. Losellian عام ١٨٦٦ قبة كبرى ، لأنه يحدد مواقع الأماكن القديمة فى تفليس .

وتفليس القديمة من أربعة أحياء : ثلاثة منها حل الضفة اليمنى لنهر الكرنج الذى ينحى عند تفليس من الشمال إلى الجنوب ومن الشمال الشرق إلى الجنوب الشرقى . وهذه الأحياء هى : كله أو كليسى (بالعربية قلعة) وهو الحى القديم ويقع داخل أسوار المدينة بين مجرى ملولاكى ودجانه اللذين يصبان فى نهر الكرنج . وبهذا الحى قلعة نارين كله (قلعة نارين) .

٢ - المدينة التى يطلق عليها مصفة خاصة اسم تفليسى Tphliss وهى التى تحت جبل الشيون

الحدودية (تفليس إلى باكو ، تفليس إلى باطوم ،
تفليس إلى جتلا ، وعيسى إلى دختيا) .

سكانها :

بلغ عدد سكان تفليس عام ١٧٨٣ - بعد عهدى
طهمورث ولاريكلا الزاهرين - ١٦٦ ألف نسمة ،
وكان بها أربعة آلاف منزل . وفي سنة ١٨٠٣ كان
عدد سكانها يتراوح بين ٢٧٠٠ و ٣٠٠٠ منزل بها ٣٥
ألف نسمة . ويعود ذلك النقص في عدد السكان إلى
الغزوة التي قام بها أغا محمد عام ١٧٩٥ ، وهي
الغزوة التي تركت آثارها في كل مكان حتى في عهد
كعبه Gamba . وتدل الإحصاءات الدقيقة التي قام
بها ديوا ده مونتيري Dubois de Montpereux عام
١٨٣٤ على أنه كان بهله المدينة ٣,٦٦٢ منزلاً
و ٤,٩٣٦ أسرة ، وبلغ عدد سكانها ٢٥,٢٩٠ نسمة ،
ولا يشمل هذا العدد الروس . وازداد عدد السكان
بسرعة بعد ذلك فبلغ عددهم ٣٤,٨٠٠ عام ١٨٥٠
و ١٧٠ ألفاً عام ١٨٦٥ و ١٦٠,٦٠٥ عام ١٨٩٧ .
وكان الأرمن بالنسبة لهذا الرقم الأخير ٣٨,١٪
والكرج ٢٦,٣٪ . والروس ٢٤,٨٪ . وفي إحصائه
سنة ١٩٢٢ بلغ عدد سكان تفليس ٢٣٣,٩٥٨
سمة منهم ٨٥,٣٠٩ من الأرمن و ٨٨,٤٠٠ من الكرج
و ٣٨,٦١٢ من الروس و ٩,٧٦٨ من اليهود
و ٣,٩٨٤ من القزاق و ٣,٢٥٥ من الترك
الأذربيجانية و ٢,٤٥٧ من الألمان وغيرهم (انظر
Zakawsky تفليس سنة ١٩٢٥ ص ١٥٦ -
١٥٧) . وفي الإحصاء الذي تم في ١٧ ديسمبر سنة
١٩٢٦ بلغ عدد سكان تفليس ٢٨٢,٩١٨ نسمة

وكانت تسمى الباب الجنوبي القلعة المسمى « باب
كعبه » ،

٢ - قلعة نرين ، وهي على تل قلعه ، والظاهر
أن هذه القلعة كانت تعرف قبل الإسلام باسم
« شرس تسخه » (انظر وخشت) . وقد عطلت
هذه القلعة عام ١٨١٨ (انظر صورتها في المصور
الجغرافي الذي وصفه كعبه Gamba) .

٣ - القلعة التي على الضفة اليسرى (إيسى
Isani) وكانت بمثابة رأس الجسر .
وبدأ الترك عام ١٧٢٨ تحسين هذا الموضع للمرة
الأخيرة ، ولكنهم لم يتموا العمل ،

لما قصور الملوك فأقلعها قصر ميخى على
الضفة اليسرى قدام الجسر القديم . وفي عام ١٦٣٨
ابتنى الملك المسلم رسم في تفليس على نهر الكر قصرأ
طوله نحو أربع مائة قدم . وفي هذا القصر استقبل شاه
نواز الرحالة شاردان ، وإلى الجنوب من هذا القصر
غير بعيد ابتنى الملك وخشتك السادس قصرأ عامراً
بالزخارف الفارسية ، وقد دمره الترك عام ١٧٢٥
(انظر Iosselian : Opusany ، وعن المساجد
انظر صفحة ٢٣٩) .

ولم تتسع مدينة تفليس القديمة كثيراً سبب
موقعها فهي محصورة بين نهر الكبر والمرتفعات التي
على الضفة اليسرى (انظر Charden) ، وأضحت هذه
المدينة في الاتساع في القرن التاسع عشر فامتدت
كثيراً وواجهت هذا القديعة ، هي تتسع بصفة خاصة
على طول الضفة اليسرى حيث يجري الخطوط

المصادر :

المصدر الرئيسي هو :

(١) *Histoire de la Géorgie* : M.F. Bromet

سانت بطرسبرغ ١٨٤٩-١٨٥٧ : المجلد الأول

القسم الأول عبارة عن مقدمة عامة بقلم المؤلف

تشمل تاريخ البلاد حتى عام ١٤٥٠ ، والمجلد

الأول القسم الثاني عبارة عن زيادات استعان

المؤلف في كتابتها بالمصادر الأرمنية والإسلامية ،

والقسم الأول من المجلد الثاني عبارة عن تاريخ

الأمير وخشخت (حوالي ١٤٥٠ - ١٧٥٠) وهو

تاريخ منفصل للممالك الأربع خورلينا ، كاخيا ،

سايبكو Saeapago ، إمرشيا : وهذا التاريخ

مبني على زيادات ، والقسم الثالث من المجلد الثاني عبارة

عن الحوادث المتأخرة وللكترات وغيرها (حوالي

١٦٥٩ - ١٨٥٩) : ومجموع صفحات هذا

للكتاب ٢٤٢٤ صفحة من القطع الكبير (٢)

(٣) *Bibliographie analytique des* : Laurent Bromet*ouvrages de M. F. Bromet* ١٨٢٤-١٨٧٩ ،

سانت بطرسبرغ سنة ١٨٨٧ وهو عبارة

عن تحليل ٢٧١ كتاب بحث ويمكن الرجوع

في شأن تاريخ المصادر إلى التواريخ الثلاثة التي

ترجمها لكيشويل Tkalishwili في

Matrisalov ، تفليس سنة ١٩٠٠ ، ج ٢٨ ، ص ١

- ٢١٤ ، وهذه التواريخ مبنية بكتاب الأمير

وخشخت الحام في الجغرافيا الذي أعده في موسكو عام ١٧٤٥

ونقله إلى الفرنسية Bromet بعنوان *Description**géographique de la Géorgie* ، سانت بطرسبرغ سنة

١٨٤٢ وبه المصورات الجغرافية الأصلية ، وقد

نقله إلى الروسية جنشويل Djanashwili ، تفليس سنة

١٩٠٤ ونشره في *Zap. Kavk. Otd. Russ. Geogr.*

Otd. مجلد ٢٤ ، ج ٥ (٤) P. Iosseliani ،

Istprichskii vzgliad ، تفليس سنة ١٨٤٩ ، وهو

تاريخ الكرج في العهد الإسلامي سنة ١٥٦٩

- ١٧٢٩ (٥) وقام جنشويل Djawakhishwili

بتتبع تاريخ الكرج وأصدره بعنوان *Khartvel oris**Istora* في مجلدين ، تفليس سنة ١٩١٣ وهو إلى غاية

غزوة المغول ، المجلد الأول ، الطبعة الثالثة سنة

١٩٢٨ ، وقسم من المجلد الرابع (ما بعد العهد

التيموري) سنة ١٩٢٤ .

ونذكر إلى جانب المصادر الإسلامية المذكورة

في صلب المادة :

(١) ياقوت : المعجم ، ج ١ ، ص ٧٨ مادة

أعزاز ، ج ١ ، ص ٨٥٧ مادة تفليس ، ج ٢ ، ص

٥٨ مادة جرجان (٢) زكريا القزويني : آكار البلاد

طبعة تستيفد ، ص ٣٤٨ (انظر *Geographien* : Dorn

ص ٥٢٨) (٣) حمد الله مستوفى : نزهة القلوب ،

مجموعة كتب التذكارية ، ج ٢٣ ، ص ٩٣ ، ١٨٢

(٤) حاجي خليفة : جهان نما ، ج ٢ ، ص ٢٩٤

(٥) أوليا جلي ، سياحنامه ، ج ٢ ، ص ٣١٥ -

٣١٩ (٦) زين العابدين شرواني : بستان السباحة

سنة ١٨٣١ ، طبع في طهران سنة ١٣١٥ هـ ، ص ٤٨٢

(٧) صنع الدولة : مرآة البلدان ، ج ١ ، ص ٤٦٩ -

٥٠٠ ، انظر *Reisnag* ، *Geographie* : Dorn*de Georgien* ، *Mém. Acad. de St. Petersburg*

، المجموعة السادسة ، ج ١ ،

sciences politiques

سنة ١٨٤٣ وهو ترجمة للقنرات المتصلة بتاريخ
الكرج المأخوذة من تواريخ الصغويين، وقد ترجمها
إلى الفرنسية Brosset في القسم الأول من المجلد الثاني،
ص ٤٤٥-١٠٥ (٨) *Geographica Caucasica* : Dorn
ص ١٨٤٧ *Mém. Acad. St. Pétersbourg* ، ج ٧ ، سنة
٤٦٥-٥٦١ (الإصحاحي ، القزويني ،
ومستوفى ، هفت إقليم) (٩) Delémery :
*Fragments des géographes et historiens arabes et
persans inédits relatifs aux anciens peuples du Caucase*
المجلة الآسيوية سنة ١٨٤٩ ، ج ١٣ ، ص ٤٥٧-
٥٢٣ ، ج ١٤ ، ص ٤٤٧-٥١٤ ، سنة ١٨٥٠ ،
ج ١٦ ، ص ٥٠-٧٥ ، ١٥٣-٢٠١ ، سنة ١٨٥١ ،
ج ١٧ ، ص ١٠٥-١٦٢ (١٠) *Karaoulow* :
Soudaniya arab. pisateley o Kavkaze, Sborn.
materialow dlia opisaniya Kavkaza ، ج ٢٤ ،
٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ (ترجمة لمصوح جغرافي العرب)
Armenien unter der arabischen ; Ghazarian (١١)
Herrschaft. Zeitschr. f. armen. Philologie ،
سنة ١٩٠٣ ، ج ٢ ، ص ١٤٩-٢٢١ (١٢)
Ostaurop. und ostasiat Streifzuge : Marquart
ليسك سنة ١٩٠٣ ، ج ٤ ،
iberischen Bagratiden ، ص ٣٩١-٤٣٦ .

المهد القولي وما بعد القول :

سنة ١٨٤٣ وهو ترجمة للقنرات المتصلة بتاريخ
الكرج المأخوذة من تواريخ الصغويين، وقد ترجمها
إلى الفرنسية Brosset في القسم الأول من المجلد الثاني،
ص ٤٤٥-١٠٥ (٨) *Geographica Caucasica* : Dorn
ص ١٨٤٧ *Mém. Acad. St. Pétersbourg* ، ج ٧ ، سنة
٤٦٥-٥٦١ (الإصحاحي ، القزويني ،
ومستوفى ، هفت إقليم) (٩) Delémery :
*Fragments des géographes et historiens arabes et
persans inédits relatifs aux anciens peuples du Caucase*
المجلة الآسيوية سنة ١٨٤٩ ، ج ١٣ ، ص ٤٥٧-
٥٢٣ ، ج ١٤ ، ص ٤٤٧-٥١٤ ، سنة ١٨٥٠ ،
ج ١٦ ، ص ٥٠-٧٥ ، ١٥٣-٢٠١ ، سنة ١٨٥١ ،
ج ١٧ ، ص ١٠٥-١٦٢ (١٠) *Karaoulow* :
Soudaniya arab. pisateley o Kavkaze, Sborn.
materialow dlia opisaniya Kavkaza ، ج ٢٤ ،
٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ (ترجمة لمصوح جغرافي العرب)
Armenien unter der arabischen ; Ghazarian (١١)
Herrschaft. Zeitschr. f. armen. Philologie ،
سنة ١٩٠٣ ، ج ٢ ، ص ١٤٩-٢٢١ (١٢)
Ostaurop. und ostasiat Streifzuge : Marquart
ليسك سنة ١٩٠٣ ، ج ٤ ،
iberischen Bagratiden ، ص ٣٩١-٤٣٦ .

سنة ١٨٤٣ وهو ترجمة للقنرات المتصلة بتاريخ
الكرج المأخوذة من تواريخ الصغويين، وقد ترجمها
إلى الفرنسية Brosset في القسم الأول من المجلد الثاني،
ص ٤٤٥-١٠٥ (٨) *Geographica Caucasica* : Dorn
ص ١٨٤٧ *Mém. Acad. St. Pétersbourg* ، ج ٧ ، سنة
٤٦٥-٥٦١ (الإصحاحي ، القزويني ،
ومستوفى ، هفت إقليم) (٩) Delémery :
*Fragments des géographes et historiens arabes et
persans inédits relatifs aux anciens peuples du Caucase*
المجلة الآسيوية سنة ١٨٤٩ ، ج ١٣ ، ص ٤٥٧-
٥٢٣ ، ج ١٤ ، ص ٤٤٧-٥١٤ ، سنة ١٨٥٠ ،
ج ١٦ ، ص ٥٠-٧٥ ، ١٥٣-٢٠١ ، سنة ١٨٥١ ،
ج ١٧ ، ص ١٠٥-١٦٢ (١٠) *Karaoulow* :
Soudaniya arab. pisateley o Kavkaze, Sborn.
materialow dlia opisaniya Kavkaza ، ج ٢٤ ،
٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ (ترجمة لمصوح جغرافي العرب)
Armenien unter der arabischen ; Ghazarian (١١)
Herrschaft. Zeitschr. f. armen. Philologie ،
سنة ١٩٠٣ ، ج ٢ ، ص ١٤٩-٢٢١ (١٢)
Ostaurop. und ostasiat Streifzuge : Marquart
ليسك سنة ١٩٠٣ ، ج ٤ ،
iberischen Bagratiden ، ص ٣٩١-٤٣٦ .

سنة ١٨٤٣ وهو ترجمة للقنرات المتصلة بتاريخ
الكرج المأخوذة من تواريخ الصغويين، وقد ترجمها
إلى الفرنسية Brosset في القسم الأول من المجلد الثاني،
ص ٤٤٥-١٠٥ (٨) *Geographica Caucasica* : Dorn
ص ١٨٤٧ *Mém. Acad. St. Pétersbourg* ، ج ٧ ، سنة
٤٦٥-٥٦١ (الإصحاحي ، القزويني ،
ومستوفى ، هفت إقليم) (٩) Delémery :
*Fragments des géographes et historiens arabes et
persans inédits relatifs aux anciens peuples du Caucase*
المجلة الآسيوية سنة ١٨٤٩ ، ج ١٣ ، ص ٤٥٧-
٥٢٣ ، ج ١٤ ، ص ٤٤٧-٥١٤ ، سنة ١٨٥٠ ،
ج ١٦ ، ص ٥٠-٧٥ ، ١٥٣-٢٠١ ، سنة ١٨٥١ ،
ج ١٧ ، ص ١٠٥-١٦٢ (١٠) *Karaoulow* :
Soudaniya arab. pisateley o Kavkaze, Sborn.
materialow dlia opisaniya Kavkaza ، ج ٢٤ ،
٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ (ترجمة لمصوح جغرافي العرب)
Armenien unter der arabischen ; Ghazarian (١١)
Herrschaft. Zeitschr. f. armen. Philologie ،
سنة ١٩٠٣ ، ج ٢ ، ص ١٤٩-٢٢١ (١٢)
Ostaurop. und ostasiat Streifzuge : Marquart
ليسك سنة ١٩٠٣ ، ج ٤ ،
iberischen Bagratiden ، ص ٣٩١-٤٣٦ .

Tiflis v istor. i etno- : Bakradie and Berzenow
graf. etnosheniyekh ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧٠
 (٣) *Tiflis-stolitsa Gruzii* : Djanashvili ، تفليس
 سنة ١٨٩٩ وهو باللغة الكرجية .

مصادر كتبها الرحالة الغربيون والروسيون في :
 (١) *Bibliographia Caucasica* : Miensarow ، سانت
 بطرسبرغ سنة ١٨٧٠ وخاصة الصفحات من ٨٧ إلى
 ٨٩ (٢) *Istoriya voyny na Kavkaze* : Dubrowin
 ج١ ، القسم الثالث ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧١ (٣)
Grande Encycl. russe وجها بحث كتبها *Masalski*
 و *Tsagareli* وأقدم الإشارات عن تفليس كتبها
Josephat Barbaro عام ١٤٣٦م *A. Contarini* عام
 ١٤٧٣ *Voyages* : Chardin (٤) *Langhi* ، سانت
 بطرسبرغ سنة ١٨٩٠ (٧) الكاتب نفسه : *Gramoti*
 الجغرافي (٥) *Tournefort* ، باريس سنة ١٧١٧ ، ج٢ ،
 ٣٠٧ - ٣٢٠ (٦) *Gueldenstaedt* ، سانت بطرسبرغ عام
 ١٧٨٧-١٧٩١ (٧) الكاتب نفسه : *Reisen in Georgien*
 ١٧٧٠ طبعة *Klaproth* ، برلين سنة ١٨١٥ ،
 ١٢٧ - ١٣٢ (٨) *Voyage dans* : Gamba
 ، باريس سنة ١٨٢٦ ، ج٢ ،
 ١٥٤ - ١٨٤ (تفليس) واللوحة رقم ٣٣ من
 للمصور الجغرافي (٩) *Dubois de Montpéroux*
 ، باريس سنة ١٨٣٩ ،
 ج٣ ، ص ٢٢٥ - ٢٧٥ (تفليس) وغير ذلك ،
 [مينورسكي] *V. Minorasky*

وتشمل الصفحات من ١ إلى ٩١ ملكرة كتبها *F. Ploen*
 عن العلاقات بين روسيا والكرج حتى عام ١٧٣٩
 (٢) *Akti sobran Kavkaz. arkhigraf.* : Bergé
 ، وهي وثائق رسمية متصلة بالقوقاز
 في عشرة مجلدات ، تفليس سنة ١٨٦٦ - ١٨٨٥
 (٣) *Materiali novishy istorii Kavkaza* : Butkow
 ١٧٧٢ - ١٨٠٣ ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٦٨ .
 في ثلاثة مجلدات وبها تواريخ مفصلة للحوادث
 أعدها *Bromet* (٤) *Snozhniye Rassii* : Belokurov
 ، موسكو ١٥٧٨ - ١٦١٣ ، ج١ ،
 سنة ١٨٨٩ (٥) *Arsenii Sukhanov* : Belokurov
 ج١ ، موسكو سنة ١٨٩٢ (٦) *Tsagareli*
 ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩٠ (٧) الكاتب نفسه :
Otmashchaya k Gruzii (القرن الثامن عشر)
 في مجلدين ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩١ ، ١٨٩٨
 و ١٩٠٢ (٨) *Utworzdeniya* : Belawski and Potto
rusz vladicstoa na Kavkaze ، تفليس سنة ١٩٠١ -
 ١٩٠٨ ، في ١٢ مجلداً (٩) *Prisoyedineniye* : Avalow
 ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠١
 و ١٩٠٦ ، وبه كذلك لغة عن العلاقات مع فارس
 (١٠) *Ocherki iz istorii* : W. E. Romanowski
 ، تفليس سنة ١٩٠٢ .

مصادر متعلقة بتفليس بصفة خاصة :

(١) *Opisaniye dreamostey* : P. Iosselian
 ، تفليس سنة ١٨٦٦ ، وبه ذكر للآثار
 الإسلامية في الصفحات من ٢٣٨ إلى ٢٧٣ (٢)

منشلاق (انظر هذه المادة) وأنه قتل بأمر خان أوروس . وعهد ابنة تتمش إلى الفرار مرة أو مرتين، لكنه عاد ثانية وعثر عنه لحضائه سنة في ذلك الوقت . وفي عام التين الموافق عام ١٣٧٦ م ذهب إلى تيمور فاستقبله في سمرقند . وفي رواية عبد الرزاق السمرقندي (مخطوط في جامعة لينينغراد ، ورقة ٧٠ ب : مادة تتمش) أنه كان قد هزم قبيل ذلك على يد خان بك بولاد ، ومنع تيمور تتمش حكم ملن أترار وصبران وسيفناق ، وهاجمه فيها فقتل بها وهو ابن من أبناء خان أوروس ، وشعر فقتل بها صريماً في هذه الواقعة ، على أن اللاترة دارت على تتمش ، ولم يجد بداً من الرجوع إلى تيمور ، فألمه بالرجال وعاد إلى صبران لكنه سرعان ما منى بالفرجة على يد تتمش قياً وهو ابن آخر من أبناء أوروس خان ، قُتِر مرة أخرى إلى تيمور . وجاء في ظفرنامه (الطبعة الهندية ، ج ١ ، ص ٢٧٨) أن تيمور ألقى نفسه مضطراً في آخر عام التين (أوائل عام ١٣٧٧ م) إلى قتال اللخان هو وتتمش ، وهزم العدو وتوفي أوروس خان في أعقاب ذلك ، وخلفه ابنه نخته قبا ثم ابنه الآخر تيمور ملك . وقتل تيمور راجعاً إلى حاضرة ملكه في مسهل عام الحية الموافق عام ١٣٧٧ م .

وكان من جراء هذا أن تيمور ملك هزم تتمش ، على أن تيمور ملك نصب خاناً لسيفناق نزولاً على رغبة تيمور (المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢٨٤) وأخبر تيمور في الشتاء (١٣٧٧ - ١٣٧٨ م) أن تيمور ملك قد أمدن الثراب فرالت هيبة بين الناس ، وبلغ هذا مسامع تتمش فقام بحملة سريعة في الشتاء نفسه قفى بها على حكم تيمور ملك . وفي الربيع التالي (١٣٧٨ م) خرج تتمش من سيفناق غازياً منازل القبيلة الذهبية في الغرب ، ونجح في هذه النزوة (المصدر السابق ، ص ٢٩٠) ويمكن

« تُتَمَش » ويكتب أيضاً تُخْتَمَش ، وهو ما درجت عليه الحوليات الروسية مثلاً : خان القبيلة الذهبية . وقد زعم براون (Browne : *Persian Literature under Tartar Dominion*) كبريدج سنة ١٩٢٠ ، ص ٥٨٣) أن الرسم يُتَمَش صحيح ، ولعله اعتمد في ذلك على العبارات التي نقلها في صفحة ٣٢٨ ، بيد أن هذا الضبط يخالف ما جاء في عدة مخطوطات وفي الوثائق والسكة الأويغورية . فابن عريشاء مثلاً (طبعة مصر ، ص ١٤ ، وفي مواضع أخرى) جرى على رسمه تتاميش خان .

والأخبار عن أصل تتمش مختلفة اختلافًا كبيراً ، واسم أبيه هو بلا شك تولى خوجه على الرغم من أن المخطوطات قد حرقته في كثير من الأحيان . وجاء في شجرة النسب التي أوردها زمباور (*Mamel de Géologie et : Zambaur*) ، هانوفر سنة ١٩٢٧) ، وشجرة النسب التي أوردها لين پول (*Linn-Poole*) وغيره أن تولى من إخوة خان أوروس ومن حفلة أورده أكبر أبناء جوجي . على أن أبا الغازي (طبعة Demnions ، ص ١٧٨) يقول إنه الخطر من صلب ابن آخر من أبناء جوجي هو تقاي تيمور خان . ومصلونا الوحيد عن حياة تولى خوجه وصلى حياة ابنه هو مصنف لا نعلم اسم مؤلفه كيب لمزنا إسكنلر حفيد تيمور ، وقد وصفه ريو (*Catalogue of Persian : Rieu*) ، ص ١٠٦٢ ، *M.S.S. in the British Museum* ، وما بعدها . ولدينا نسخة أخرى من . في المتحف الآسيوي ببلينغراد (انظر خاتمة مادة « لوريزرك ») وجاء في هذا المصدر (مخطوط المتحف الآسيوي ، ورقة ٢٤٢ ب) أنه كان حاكم

الأحداث ، انظر مادة « تقاتيمور » ، وأظهر تيمور نحو خصمه حتى في هذا الظرف شيئاً كثيراً من ضبط النفس ، فقد أخذ إليه ابنه ميران شاه على رأس فرقة من المقاتلة خرجت من معسكراته الشتوية في قرأ باغ . وانتصر ميران شاه على تتمش ، ومع ذلك أطلق سراح الأسرى واكتفى تيمور بتعنيف تتمش وتخليده .

وحول نهاية السنة نفسها (١٣٨٧ م) أخذ تتمش جيوشه للإغارة على قلب إمبراطورية تيمور إذ ذاك في فارس . وكان النصر لحليف القبيلة الذهبية في كل مكان ، وتقدمت هذه القبيلة إلى نهر جيحون وحاصرت بخارى وغربت أربابها (ظفرنامه ، ج ١ ، ص ٤٤٣) فعاد تيمور مسرعاً وغادر فارس في أواخر المحرم عام ٧٩٠ هـ (أوائل فبراير ١٣٨٨ م) . ولم يشرع تيمور في الحملة على القبيلة الذهبية انتقاماً منها إلا في عام ١٣٩١ م ، وفي بداية هذه الحملة وصل وفد من قبل تتمش ، على أنه لم يكن له أثر في مجرى الحوادث ، وذاكرت الدائرة على تتمش عند قنصل زنجي في يوم الاثنين ١٥ رجب سنة ٧٩٣ هـ (١٩ يونيو ١٣٩١ م) وتقدم تيمور حتى نهر ايتل (الفلجا) بيد أنه عاد إلى مملكته دون أن يخضع بلاد القبيلة الذهبية . وأجر تتمش على التخلي عن عرشه حينما عاد إليه من بلاد ، وقد بلغتنا رسالة بحث بها من تائه (آفاق) إلى الملك الهولندي « ياغالو » Yagello في ١٠ رجب عام ٧٩٥ هـ (٢٠ مايو ١٣٩٣ م) روى الهان في هذه الحوادث من ناحيته ، فقال إن أعداءه استنصروا تيمور عليه وأنه ، أي تتمش ، لم يعلم بهذا إلا متأخراً ، ذلك أنهم تخلفوا عنه في بداية القتال فاضطربت الأحوال في مملكته اضطراباً عظيماً . استقرت فالترم ياغالويان يومئذ بما فاته من الحرب .

زيادة التحقق من تاريخ هذه الفتوح بالرجوع إلى الحوليات الروسية . في الثامن من سبتمبر عام ١٣٨٠ م هزم شيخ القبيلة الذهبية ماماي (في ظفر نامه : تماق) على يد الروس عند كوليكوفو على نهر لدون ثم على يد تتمش بجوار بحر آزوف بعيد ذلك . وعلم الروس في العام نفسه بخبر انتصار الهان الجديد . وفي عام ١٣٨١ م طلب تتمش من الروس الدخول في طاعته فأبوا ، فعاد على روسيا في العام التالي (١٣٨٢ م) وسلبها في غير شفقة ولا رحمة . وفي السادس والعشرين من أغسطس خرب حاضرتها موسكو تخريباً تاماً ونهبها : وقام الحكم الترى فيها مرة أخرى واستغرق قرناً آخر من الزمان . وفي رواية مؤرخ إسكندر الذي يحمل اسمه (مخطوط بالمتحف الأسبوري ، ورقة ١٤٣) أن تتمش كان حاكماً عادلاً حم الشاطئ . ويقال أيضاً إنه كان رجلاً وسيماً . على أن فضائله لم تجده نفعاً لنعم وقائه لتيمور . لما إن تولد حكمه حتى أظهر له العداوة ، فغزا تيمور خوارزم عام ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م) وحلت سنة ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م) والسكة تضرب فيها باسم تتمش : والذي نعلمه أن تيمور لم يتم في هذه المناسبة بأى خطوة ضد خوارزم أو ضد تتمش . وجاء في ظفرنامه (ج ١ ، ص ٤١٠ وما بعدها) أنه يقال إن أول عمل من أعمال تتمش فيه جلاء لتيمور هو حملته عام ٧٨٩ هـ (وهو عام الأربب الموافق عام ١٣٨٧ م) . على آذربيجان مخترباً دربند . وكان تتمش في الشتاء القالت قد أخذ جيشاً لفتح تبريز (انظر هذه المادة : ظفر نامه ج ١ ص ٣٩٢) ولم يكن في هذا القتل عدوان صريح على حقوق تيمور ، لأنه لم يكن وصل بعد إلى هذه المدينة ، وعبت تتمش بتبريز عبثاً مريباً ، فقد أعمل فيها القتل والنهب ثمانية أيام (هكذا قال الكاتب زين الدين القزويني الذي عاصر هذه

العداوة التي اضطرت في العام التالي : وانشل
تيمور أمداً طويلاً بالقتال في أرمينية وبلاد الكرج ،
وبينما هو على هذه الحال إذ بلغه في أواخر عام
١٣٩٤ أثناء مقامه في شكشي خبر من شيروان بأن
جيوش القبيلة الذهبية غزت بلاده ، ولم يجد تيمور
مشقة في طردهم منها ، ثم انكأ إلى عمود آباد وشتى
فيها (ظفرنامه ج ١ ، ص ٧٣٢ وما بعدها) وخرج
منها في ربيع عام ١٣٩٥ في حملته الكبرى على
تقتمش ، وقبل أن يشرع فيها أرسل من قبله شمس
الدين الماليني إلى تقتمش وانتظر رده عند سامور
جنوبي دريوند : ولم يرش تيمور عن جواب تقتمش
فشرع في حملته ، وكانت الوقعة الفاصلة على نهر
ترك في يوم الأربعاء ٢٣ جمادى الآخرة عام ٨٩٧
للموافق ١٤ أبريل عام ١٣٩٥ م (ظفرنامه ، ج ١
ص ٧٤٥ وما بعدها) واضطر تقتمش مرة أخرى
إلى التواري إلى حين : ولم يبلغ تيمور موسكو قط
كما جاء في ظفرنامه (ج ١ ، ص ٧٦١) وإنما
بلغ بذلك التي رجع منها أدرجه كما تقول الحواريات
الرسمية في ٢٦ أغسطس عام ١٣٩٥ م : وسلبت
آزاق بعيد ذلك ونهبت حاجي ترخان (أسترخان)
وسراي (انظر هذه المادة) وسفك دم كثير : وفي
ربيع عام ٧٩٨ هـ (١٣٩٦ م) رجع تيمور إلى
آذربيجان بطريق دريوند دون أن يمكن لنفسه أو
لأقواله في بلاد القبيلة الذهبية : واستطاع تقتمش
أن يعود إلى عرشه ثانية : ويقول ابن حجر العسقلاني
إنه قاتل عام ٧٩٩ هـ (أكتوبر ١٣٩٦ - سبتمبر
١٣٩٧) القرنجة من أهل جنوه (Tiesenhausen)
كتابه المذكور ، ص ٤٥١) : وفي الثالث من ذي
الحجة عام ٨٠٠ هـ (١٧ أغسطس ١٣٩٨) استقبل
تيمور سفير منافس تقتمش وخليفته تيمور قلغ
ابن تيمور ملك (ظفرنامه ، ج ٢ ص ٣٣ وتاريخ
ذلك في المصدر الأصلي *Teksti do istorii*

وأصبح تجاره أحراراً في التنقل هنا وهناك (ههـ) ،
ج ٣ ، ص ٣ وما بعدها) .

وددت العداوة الصريحة بين تيمور وتقتمش
وقتناك ، وأولدت تقتمش سفراءه يحملين بالمداء إلى مصر
عام ١٣٨٥ م (Tiesenhausen : *Sbornik materialov*
atnasyashchikhsya k istorii Zolotoi ordii
سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٨٤ ، ص ٤٢٧ وما بعدها)
ولم نسمع في هذه المناسبة بأشفاقه مع مصر على قتال
تيمور : على أن البعث التي أولدت عامي ١٣٩٤
و ١٣٩٥ لم يكن لها من غرض سوى التحالف بين
مصر وملكة القبيلة الذهبية على تيمور (الكتاب
السابق ، ص ٤٢٨ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠) وكان هذا أوان
« حرب السنوات الخمس » التي شنها تيمور على
الغرب (١٣٩٢ - ١٣٩٦) : ففي عام ١٣٩٣ أولدت
تيمور بعة من بغداد إلى مصر (ظفرنامه ، ج ١ ،
وما بعدها) وقتل سفير تيمور بأمر من السلطان
برقوق (انظر هذه المادة) عند الرجبة وهي من
الثغور الواقعة على القرات (المصدر نفسه ، ج ٢ ،
ص ٢٧٥) وفي عام ١٣٩٤ رغب تيمور في التوجه
إلى الشام ثم عدل عن ذلك وتوجه إلى شمال العراق
(مؤرخ إسكندر الذي لا تعرف اسمه ، غطوط
في المصحف الأسوي ، ورقة ٢٩١ ب) . وفي رواية
الكاتب المصري (ابن حجر العسقلاني في
Tiesenhausen : كتابه المذكور أنفاً ، ص ٤٥٠)
أن سبب ذلك ما بلغه من أن تقتمش قد أغار على
ممتلكات تيمور ، وكانت آذربيجان والأراضي
التي إلى الشمال منها حتى دريوند يحكمها منذ عام
١٣٩٢ ميران شاه بن تيمور (انظر مادة تبريز)
وكان تقتمش يطلب من قبل جهازاً بديرند وشيروان ،
وقد ضربت السكة فيهما باسمه من عام ٧٩٠ إلى
عام ٧٩٢ هـ (١٣٨٨ - ١٣٩٠ م) : على أن
مصدرنا من المصادر لم يشر إلى أنهما كانتا مبعث

جها في حرم مكة (تسمى قلادة والجمع قلاد) . وذكر القرآن (سورة المائدة : الآية ٢ : ٩٨) القلاد والمهدي من بين مناسك الحج التي شرعها الله . والفرض من التقليد والإشعار تمييز الحيوان الذي يضحي به في الحرم وإكسابه ضرباً من الإحرام يظن أنه شبيه بإحرام الحجيج . وقريب من هذه الشعيرة ، وإن لم يكن عينها ، ما جرى عليه الحاجج من التقليد هم وخيلهم بلحاء بعض أشجار الحرم في رجوعهم من الحج ، ويسمى هذا اللحاء أبشاً . قلادة (١) وثمت رواية شاذة عنها تذهب لمسحاً . ينافي العقل فقول إن التقليد يكون من وقت الخروج إلى الحج ويجعل الشعرة قلادة وقت الرجوع منه (٢) وما زالت هذه العادة باقية في شعائر الإسلام ، ولكن التقهوا درجوا على معارضتها وإغفالها . وقلادة المهدي على التقبض من ذلك ، فهي نعل الحاج أو نعلاه أو قطعه من الأدم . إذا أعوزه النعل . وتشترك البدنة وعليها الشعرة في أهم مناسك الحج ، فقيم مع الحاج في عرفة ثم تلج في منى . وقد ورد ذلك تفصيلاً في حديث عن النبي ﷺ ولا يبعد أن يكون محمد فعل ذلك (٣) ، على أن هذا الحديث والأحاديث التي سنذكرها ليست في الأكثر سوى شواهد على شعائر الإسلام في أول عهد . وفي صلب الإسلام اختلف المسلمون في شأن الرجل يبعث بهديه مقلداً إلى مكة ويقعد هو عن الحج ، ولعل ذلك من شعائر الإسلام خاصة ، وكان العرب

Sredney Azii : سانت بطرسبرغ سنة ١٩١٥ . ص ٥٤) . وفر تقتمش إلى قبضت Witowt أمير لتوانيا وانتصر له هنا الأمير ، بيد أن النصر هزمه على وركيسله في الثاني عشر من أغسطس ١٣٩٩ ، فهام تقتمش على وجهه وأخذ يضرب من بلد إلى بلد ، وأوقد قبيل وفاته رسولا إلى تيمور في أترار فوصل في يوم الأربعاء ١٢ رجب (١٤ يناير ١٤٠٥) وأبدي لتيمور ندم مولاة وسواله المغفرة . ووعد تيمور أن يمر ببلاد القبيلة الذهبية في عودته من حملته إلى الصين وأن يعيد تقتمش إلى عرشه (ظفرنامه ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ وما بعدها) . وفي المراجع الروسية أن تقتمش سحر صرباً عند تومن من أعمال سيبيريا عام ١٤٠٦ وهو يقاتل جيش خان شادي (٨٠٢ - ٨١٠ = ١٣٩٩٪ ١٤٠٠ - ١٤٠٧ / ١٤٠٨) . ويقول مؤرخ إسكندر الذي يجمل اسمه (المتحف الآسيوي ، ٢٤٣ ب) إنه مات حشف أنه .

المصادر :

وردت في صلب المادة ، ولم تعد أخبار الأوربيين الأولى عن تقتمش (وخاصة *Geschichte der Goldenen Horde: Hammer-Purgtall* و *History of the Mongols: Howorth* القسم الثاني) تستقيم وما نعلمه الآن عن المصادر . وانظر أيضاً مادة « تيمورلنك » .

[بارتولد . W. Barthold]

« تقليد » (انظر مادة « قلد »)

والتقليد : لغة « جعل شيء في العلق أو في المنكين » ، وله في الاصطلاح ثلاثة معان : ١ - التقليد عادة فشأت بين العرب أيام جاهليتهم وبقيت في شعائر الإسلام القديمة وفي الفقه ، وهي جعل أشياء بعينها في رقاب الهبل التي يضحي

(١) هذا الذي حكاه كاتب المادة لا نعرفه ، ولم نجد قلالاً من أحد من العلماء فيه ، بل لا نعلم أن أحداً من المسلمين يمسحاً به فلا ندرى من أين جاء به ؟
(٢) وهذه الرواية التي سماها شاذة لم نسمع بها أيضاً
(٣) بل قد ثبت في الأحاديث المسماة أن النبي صلى الله عليه وسلم قلّد هدية في حجة الوداع ، وذلك كآب المادة في بعض الأحاديث لا يترد في مسحتها ، وأهل العلم بالحديث وعلوم الإسلام يعرف بالصحيح من الضعيف .

وعطاء ومحمد بن سيرين : أما الإشارات العارضة إلى غيرهم فلا يقول عليها كثيراً (١) .

وقد يستر سعيد بن المسيب الإحرام تيسيراً كبيراً وإن كان قد أتى على ركن من أركانه ، ففتح الجماع في ليلة الجمعة (٢) . ومن الشواهد الأخرى على الصلة الوثيقة بين الإحرام والتقليد ما روى عن سفيان الثوري وأحمد بن حنبل وإسحق وغيرهم من أن الحاج إلى مكة يصبح محرماً بالتقليد وحده ، وما قيل من أن قيام الحاج بالتقليد يوجب عليه الإحرام ، وهو رأى قريب من الرأى الأول . ويذهب أنس ابن مالك إلى أن الحاج إلى مكة لا يستحب له على الأقل أن يفصل بين التقليد والإحرام . ويستحب في التقه جعل القلادة (نملان أو نمل واحد أو قطعة من الأدم) في أعناق الإبل والبقر . ويقول الشافعية والحنابلة وأبو ثور وداود إن ذلك مستحب أيضاً إذا كانت البلد أصغر من الإبل والبقر ، ومن الأحناف والمالكية من لا يميز ذلك ، ويحرم هؤلاء تحريماً باتاً اتخاذ الهذلي من البدن الصغيرة . وإذا ما ذهبت البدنة غسست قلائدتها في منها . وانصرف الحجاج عن جلب الهذلي من ديارهم وأقيمت لها سوق في منى فأهمل التقليد .

(١) خلاصة القول في هذا أن الرجل إذا قلده عليه وإسسه إلى مكة وهو باقي في بلدته ، حل يصير بذلك محرماً ، فيمتنع عما يمنع منه الحرم من لباس والطيب والتبسم وغير ذلك أو لا يلبس ما يلبس من غير ما يلبس عليه ما يحرم على المحرم حتى ينحر عليه . قال الثوري : « وكذا يلعب ابن عمر أن صنع منه في هذه المسألة شيء » . وذهب كافة العلماء إلى أنه لا يصح محرماً بذلك ، وأما ما يصح ، محرماً بنية الإحرام أو نواه . وهذا هو الصحيح الذي يدل عليه الأحاديث ، وقويته حديث النسائي الذي يشترط فيه كتاب المدة : « من جابر : أنهم كانوا إذا كانوا حاضرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تمت بالهدى فمن شاء أحرم ومن شاء ترك » . وانظر المجموع للثوري شرح الملهب (٤ : ٣٦٠ - ٣٦١) ودليل الأوطان للشوكاني (٥ : ١٦٢ - ١٦٥) وتفسير القرطبي (٦ : ٣٦ - ٤٢) .

أحمد محمد شاكي

(١) هذا نقل صحيح ، ولا نعلم مالا يقول به .

أحمد محمد شاكي

يجعلونه أيام وثبتهم : وهناك أحاديث غلب عليها الاحتجاج بسنة النبي تفرض على من يبعث بهديه الإحرام من وقت أن يقلدها أو يوصى بتقليدها إلى أن تلبح . وهناك طائفة أخرى أكثر من هذه تذهب إلى أن النبي لم يحرم في هذه الحالة . وفي بعض أحاديث الطائفة الثانية ميل ظاهر إلى التناظر . ومن هنا اشتد الحديث (١) الذي أورده البخاري (كتاب الأضاحي ، باب ١٥) في إنكار هذا الإحرام ، وهو حديث ظاهر الموى (٢) . وجلي أن ورود هذه الشبهة في نص الحديث يثبت وجودها .

ثم إن هناك حديثاً توسط بين الأمرين فترك الخيار في الإحرام لمن يبعث بهديه (النسائي : كتاب الحج ، باب ٧٠) ولما اكتمل التقه ضاق بهذا الإحرام وأهمله (أجنى الشافعي بإنكاره في كتاب الأم ، ج ٢ ، ص ١٨٣) ، ولم يكلف نفسه مشقة تفنيده (ولا شك في أن المسلمين نبلوه من عهد قريب . وإذا تخلينا عبد الله بن عباس - وهو إمام القائلين بهذا الإحرام - وإن لم يدع ذلك سند تاريخي - ومهرم وعلياً ، وقد ذكرنا في هذا المقام خطأ ، وعبد الله بن عمر الذي استشهد به في تأييد الرأى المناهض ، فإن القول بالإحرام في هذه الحال لم ينسب إلا لقيس بن سعد بن عبادة وإبراهيم النخعي

(١) نص الحديث عن البخاري : حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا شهاب بن عبد الحميد عن شريك عن أبي مائة قال لما يا أم المؤمنين أو رجلا يست بالهدى إلى الكعبة ويحيط بالضرع فيوصي أن قلده بدنته فلا يزال من ذلك اليوم محرماً حتى يطأ الناس . قال سمعت مصليها من وراء الحجاب فقالت لقد كنت أفتل فلانة فهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليمت عليه إلى الكعبة فما يحرم عليه مما حل للرجال من أهله حتى يرجع الناس .

الاحكام

(١) لا يلزم إلا ما ذكره كاتب المقالة في حكمه بوضع الحديث ، وما دلل عليه ذلك ، وهو حديث صحيح رواه البخاري ، ويحتمل وغيره ، وعسى أنه هو الذي أخذ به كل العلماء أو أكثرهم .

أحمد محمد شاكي

٢ - التقليد التولية في منصب من مناصب الجيش ويكون بالإبلاس المقلد السيف . ومنه تقليد الولاة الأعمال ، ويدخل في ذلك القضاء .

المصادر :

- (١) *Arab-Engl. Lexicon* : Lane ، مادة قلد
(٢) *Dictionary of Technical Terms* : Sprenger
(٣) *Bibliotheca Indica*) ، ص ١١٧٨ .

٣ - ثم إن التقليد قبول قول الغير في مسائل الدين بلا دليل . وإتباع الإنسان غيره فيها يقول أو يفعل معتقداً الحقيقة فيه من غير نظر وتأمّل في الدليل . (والقول بأن الاستعمال الاصطلاحي مأخوذ من القلاعة خطأ) . والتقليد بهذا المعنى ضد الإجتاد (انظر هذه المادة) . وقد نشأ في الزمن الذي

تكررت فيه المذاهب (انظر مادة « مذهب ») ، وبعض الفضل في نشأة هذه المذاهب راجع على الأقل إلى اتباع أكابر الفقهاء خاصة . ويستعمل الشافعي (الرسالة ، ص ٨ ، س ١٨) لفظ التقليد بمعنى قريب جداً من معناه الاصطلاحي المتأخر ، على أن الطحاوي ظل يتبع التقليد في نقد الأحاديث أو في احتياط أحكام الفقه بها . وإذ نحدد الرأي

ونختص ذلك فنقول بأنه جاء في حديث أن تقليد الإبل بالأوتار (تسمى أيضاً قلائد) يدمعها العين ، خصوصاً إذا تلبس منها ناقوس^(١) .

المصادر :

- (١) *Arab-Engl. Lexicon* : Lane ، مادة قلد
(٢) الأحاديث : Wensinck ، *Handbook* ، مادة الأضاحي (٣) مالك بن أنس ، الموطأ في طبيعته (٤) الزرقاني : شرحه على الموطأ (٥) الطحاوي : شرح معاني الآثار ، طبعة حجرية ١٣٠٠ هـ ، ج ١ ، ص ٤٣٩ (٦) كتب الفقه (٧) *Gandefroy-Demombynes* ، *La Pèlerinage à la Mekke* ، ص ٢٧٩ - ٢٨٥ ، وفيه دراسة وافية جداً للتقليد في الجاهلية والإسلام وإن كانت تختلف في بعض المسائل الصغيرة عما جاء في هذه المادة .

(١) نقل حرب صليب أيضاً ، ونخشى أن يكون تحريفاً ، فإن كاتب المادة رأى حديثاً في الموطأ ليس في أبواب الحج بل في أواخر الكتاب في باب « ما جاء في نزع المائيق والجريس من العين » (ج ٢ ص ١١٨ طبعة الطبعة سنة ١٢٤٢ هـ) وهو من أبي بصير . الاقتصادي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسل للناس وهم في متبهم ، يعني تزويم للتبؤلة في السفر : لا يتبين في رتبة يمر ثلاثة من وير أو ثلاثة أو فطمت . قال يحيى : سمعت مالكا يقول : أرى ذلك من العين . فهذا الحديث في النهي عن تقليد الأبل في السفر ، ولا علاقة له بالهدى ، وقد علم مالك أن هذا التقليد كانوا يسمونه من أجل العين . والنهي صلى الله عليه وسلم نهام عنه . فلا معنى لأن يأتى به الكاتب بشكل يروم أن هذا العمل من شماتة الأبل والنهي قد نهى عنه . ثم قد ورد النهي من عمليق الأجراس في امتناع اللواب ، كما في حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالأجراس أن تنطق من أعتاق الإبل يوم يمر ومن أتى نحو ذلك ، رواها ابن حبان في صحيحه . بل أن النهي من امتناع الأجراس جاء في أحاديث كثيرة . وانظر التزييف والتزييف للعلوي (ج ٢ ص ٦٨ ، الحلية التنزية) وهناك حديث آخر في شأن النبل رواه أحمد بن حنبل في مسنده (ج ٣ ص ٢٥٢) : « من جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النبل مقود في نواصيته العين . والنبل إلى يوم القيامة ، وأهلها معاقون عليها ، فاسموا بنواصيتها وأسموها بالبركة ، وقفلوها ولا تفلوها الأوتار » . ولله ابن الأثير في النهاية بعمان : « أجودها : « أيراد بالأوتار جمع وتر القيثارة ، أي لا تصفروا في أمانتها الأوتار فتشتت لأن النبل ربما وصت الأصابع فتشتت الأوتار ببعض شحمها فتشتت . وتلبس أمتا نهام منها لأنهم كانوا يستقون أن تقليد العبل بالأوتار يدل على نهام العين واليدني ، تكون كالوزة لها فنهام وأعلمهم أنها لا تدلع شرواً ولا تصرف حلماً » .

(١) يشير إلى موضع الصفحة والسطر من رسالة الشافعي طبعة بولاق سنة ١٢٢١ وهما الفقرتان (١٣٥ - ١٣٦) من طبعة المحلى بشرحنا سنة ١٢٥٧ - ١٢٧٨ (ص ٤٢) وهو ينكر على بعض من يروم أن في القرآن كلمات عربية تثلث من غير اللغة العربية وأن بعض الناس قلد من لزم هذا الزعم ، وليس بهداه : « ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه ، تقليد له ، وترك المسألة له من جهة ، وسأله غيره ممن خالفه ، وبالتقليد اغفل من اغفل منهم ، والله ينظر لنا وهم » . وقد قلنا على هذا في شرحنا هناك بما نلناه : « التقليد لا يرضى لأهل العلم أن يكونوا مقلدين ، وكان رضي الله عنه حرباً على التقليد ، ودفعاً إلى الاجتهاد والاخذ بالأدلة الصحيحة » . ومن هذا قال لمبيد أبو إبراهيم المزني ، المتوفى سنة ٦٦٤ ، في أول مختصره الذي أعده من فقه الشافعي : اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن اندريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله : لا يرضى علي من إفراد ، مع اعلامية توبيخ من تقليد وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ، ويصاحبه فيه نفسه . ج ٤ ص ٢ من جامع كتاب الآم » .

وتمت طائفة بأشياء من المسائل يرجع فيها من مذهب إلى آخر (*Vorlesungen : Goldziher* : *naber den Islam* ، ص ٢٥ ، الطبعة الثانية ، ص ٤٨-٥٠) واختلفت الآراء في شأن هذا الرجوع وفي جوازها من الناحية النظرية (*Handleitung : Juynboll* : الطبعة الثالثة ، ص ٢٢) . وكثيراً ما عدت أن تعرض مسألة ويتبع فيها أحكام مذهب آخر أصلي من غيرها من الأحكام . وتشير كتب الفقه نفسها أحياناً بجواز التقليد في هذه الحالة ولكن بشرط أن تنظر المسألة إلى غايتها طبقاً لأحكام المذهب الملتزم .

كل هذا جائز في التقليد في مسائل الفقه . أما في العقليات كمسائل الأصول فإن لدينا رأياً ثالثاً إلى جانب الرأيين القائمين بوجوده وجوازه ، وهذا

في المذهب واكتمل الاعتقاد بتوقف الاجتهاد بالإطلاق منذ القرن الثالث ، والاجتهاد بأنواعه الأخرى بعد ذلك زمن متفاوت طويلاً وقصراً بالنسبة إلى كل نوع ، التزم كافة العلماء والمامة بتقليد غيرهم من المتقدمين . ويذهب جمهور أهل السنة إلى أن كل شخص ملزم كما كان منذ قرون عدا قرره سلفه مستنداً ، ولا يحق لأحد بعد أن يعد نفسه أهلاً لتقرير حكم برأيه في الفقه من غير أن يرجع إلى حكم من سبقه من المهتدين . ويقال في الدفاع عن هذا الالتزام بالتقليد أن فقهاء القرون الأولى للإسلام هم وحدهم الذين رزقوا نظراً وحداثة توهلهم لاستنباط أحكام الفقه من أصوله والقول برأى خاص بهم فيها وأن غيرهم من أهل القرون التالية يصحزون عن ذلك صجزاً كبيراً ، وليس هذا القول إلا منحنى من مناحي في التاريخ الفلسفي للإسلام على مذهب أهل السنة .

وقد كان للتقليد أثر في تميز الخلاف بين المذاهب ، ولكنه لم يكن السبب في خود الحافظ إلى التوسع في الفقه في الأزمنة المتأخرة .

وبينما يجمع الجمهور على أن العلم ملزم بالتقليد كالفقه ، إذ يلتزم الفقيه أحياناً بدين صفة اجتهاد المذهب بدليله . وإذا تعدد المهتدون ، وهو الغالب ، فليقلد أن يقلد من يختار (مادام لم يخرج بطبيعة الحال على الإجماع . أي لا يختار اجتهاداً لم يقره الإجماع . ووجوب التقليد قائم أيضاً على الإجماع) وعن أحمد بن حنبل وابن شريح أنه يجب عليه النظر في الأرجح فيها واتباعه (والواقع أن هذا الخلاف محصور في الاصطلاح) وللمقلد من الوجهة النظرية أن يختار اجتهاداً جليداً كلما عرضت له مسألة من المسائل ، ولكن التمس أن يلتزم لمذهباً من المذاهب الأربعة المقررة (١) .

(١) ليس هناك أي دليل على وجوب اتباع مذهب من المذاهب الأربعة ، وإنما هذه كلمة شاعت منذ النعوم في مصدر

شعب فيها العلم ، واشتدت المصيبة بين العلماء المذاهب الأربعة الذين بينهم ، وقد كانت هناك أبا المصيبة لمذهب أخرى يتبعها لها أئمتها ، كصاحب دارو الظاهري ومذهب ابن جرير الطبري . صاحب التفسير . ومذهب الأمامي وغيرهم . ثم ضحك العلماء قتلوا النعوم والجهل في المصيبة للمذاهب الأربعة ، ومن حين أن يقلد أهالي الجاهل . وأما الآية وفي كل حين لما كان أحد منهم ليرى أن يقلد أحد ، بل كانوا يعلمون العلم ويظهرون الناس على أدلة ، ويجادلونهم بالبرهان وأبوابهم ، ويراقبونهم ويغالونهم . ولم يجعل الله نول أحد من العلماء حجة على الناس . بل الحجة في الآية الصحيحة من الكتاب والسنة والاستنباط منهما ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها . لما طعمه العالم من الدليل والفتح به وجب عليه اتباعه . وجرم عليه أن يخالفه قبل أحد كائناً من كان ، في كل عصر وجين . وأما أوجه الناس في هذا الشأن أن نلوا أن معنى « الاجتهاد » أن يكون العالم المجتهد عالماً في كل علم وفي كل مسألة ، وأن يفسح للناس لمذهباً يتبعونه ويلزمونه به ، ولم يقل هذا أحد . والاجتهاد بالرغ للجهل في المسألة . فرب عالم متوسط دوس مسألة واحدة واقتضاها وعرف وجه الحق فيها ، ووصل إلى ما لم يصل إليه أهل علمه ، وهذا أمر ينبغي مساعدته في كل العلوم والمسائل . ثم قد يظهر العالم ولكن الله لم يقله إلا أن يصل بها علم ويما وصل إليه اجتهاده . وهذا بالقراءة في المسائل النظرية العقلية ، وأما المسائل الشرعية من الدين معرفة فقهية ، وهي الكيفية المترتبة برأى علماء أو علماء ، فليست محل اجتهاد ولا خلاف ، ولا يسمى أحد بها يقلد ، لأنها قضية يتقنه . وأكثر العلماء المتقدمين من أتت الفقه والحديث إنما كان هذا شأنهم ، درسوا المسائل وعرفوا أدلتها وعرفوا أقوال الأئمة ودرسوا منها ما اهتمت له لروايتهم وأخذوا به ، فظنهم الجاهلون يقلدون ، وإنما هم مجتهدون وأقرب اجتهادهم اجتهاد غيرهم . ومنعوا الناس القول في وجوب الاجتهاد على العلماء ومنعوا التقليد الصلابة ابن القيم في (إلام المومنين) فيرجع إليه من شاء يشقق والخمسة .

معارضهم وهم المحدثون في الإسلام . والحق إن الحنابلة هم الذين مهدوا الطريق لهم : وقد اتس أولئك المحدثون اجتهاداً جديداً عملوا به ، وهو يفوق كثيراً أسمع اجتهاد بنفه تقدم الفقه في العهد الأول بانتظر إلى عمره من القيود (انظر المهد الأول بانتظر إلى عمره من القيود) وما كبه المحدثون على اختلافهم ، وقد ذكرنا أهم آرائهم في مادة « شريعة » ورفض الإباضية التقليد لأسباب تشبه أسباب الحنابلة الوهابية . ثم إن الشيعة أنكروا ملهب التقليد السني . ويقول الإثنا عشرية بوجود مجتهدين في خبة الإمام المستر يقومون بهداية المؤمنين ، وهم لا يجوزون تقليد الميت لأن طولاء المجتهدين في كل وقت أئمة أحياء يأمنون بهم في مسائل الدين ، المصادر :

- غير ما ذكرنا في صلب المادة (١) Lane :
Arab. Engl. Lexicon ، مادة قلد (٢) Sprenger :
Dictionary of the Technical Terms ، المكتبة
الهندية ، ص ١١٧٨ ، ولا يعتمد عليه كل الاجتهاد
وانظر عن المصطلح (١) كتب الأصول (٢)
Juynboll : Handleiding ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٣
وما بعدها ، تعليق ١٣ (٣) Snouck-Hurgronje :
Verspreide Geschriften ، ج ٢ .
[شاخت J. Schacht]

الرأى لا يميزه لأن هذه المسائل تقتضى العلم ، ولا يحصل العلم بالتقليد وحده . وكان الأشاعرة هم الذين أذاعوا هذا الرأى المعتبر في الإسلام (Vorlesungen : Goldziher) ، ص ١٢٣ ، ١٣٦ ، تعليق ١٠ ، الطبعة الثانية ، ص ١٢١ وما بعدها ، ٣١٧ تعليق (٧٢) :

ولم يقرر التقليد الفقهي عند أهل السنة من غير معارضة . وحتى الأجيال المتأخرة كان فيها علماء يرون ألا يخلو وقت من مجتهد مثل ابن دقيق العيد المتوفى عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) أو السيوطي المتوفى عام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) وبعضهم يزعم لنفسه الاجتهاد المطلق مثل الجويني المتوفى عام ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) والسيوطي ، وبلغ الأمر ببعضهم أن قالوا بوجوب الاجتهاد على الفقهاء المتأخرين وضموا التقليد مثل داود بن علي وابن حزم وغيرهما من فئات الظاهرية ، وبعض الحنابلة مثل ابن تيمية وابن قيم الجوزية اللذين كانا من متشددى أهل السنة . ويتكرر الوهابية ، وأولهم إمامهم ابن عبد الوهاب ، التقليد ، وتكرر آراؤهم إلى الحنابلة (انظر مؤلفات الحنابلة ورسائلهم التي يدعون فيها إلى ملهبهم المظبوغة في مطبعة النار بالقاهرة ، وانظر أيضاً رسالة الشوكاني « القول القيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ») وكما أنكروا الحنابلة التقليد أنكروه أشد



مكتبة وعلوم إنسانية للجمهور

٩٢ شارع قصر العيني ق. ٢٠١٨١٠ - ٢٠١٨٩٩